

شيماء يسري "شموسة"

سوسم القرنفل

رواية



الكتاب : موسم القرنفل
اسم المؤلف : شيماء يسري شموسة
تصميم الغلاف : ريهام البلتاجي
التدقيق اللغوي : ريهام محمد
الطبعة : يونيو 2021
رقم الإيداع : 17087 / 2021
الترقيم الدولي : 0 - 422 - 779 - 977 - 978
الموقع : www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات:
00201004022774

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو
نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض
صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء
والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية
بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

المنوان، 10 ش هدى شعراوي، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com



dar_ibda3



ibda3-tp



dar_ibda3

هذا العمل من وحي خيال الكاتبة، وأي تشابه بينه وبين
الواقع فهو من قبيل المصادفة لا أكثر...

إهداء إلى

أ.د. ابتسام مرسي (رغيدا المصرية)

رفيقة رحلة الشغف الفئهة وتوأمي الفكري

شكر خاص

لولدي اللذين تحملا أيامًا من الانحسار والتقوقع النفسي
بين أروقة الخيال وحمى الشغف.

شكر وتقدير

لكل من ساعدني أو دعمني في رحلة القرنفل

شموسة

«ولتَعْلَمَنَّ مَا أَنْتَ سَاعٍ إِلَيْهِ هُوَ سَاعٍ إِلَيْكَ
وَأَنْ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي تَتَقَبَّلُ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْآلَامِ..
سَيُفْتَحُ لَكَ الْبَابُ».

جلال الدين الرُّومِي

الفصل الأول

«أين ترى نفسك بعد خمس سنوات؟».

تطلع لوهلة في اللوحة الإعلانية الكبيرة المعلقة على الحائط خلف من يسأله التي تمثل رجلًا معلقًا من عقبيه وسط لوحة مستفزة صاحبة الألوان، وعاد للتركيز في السؤال الذي يبدو - طبقًا لحالته وظروفه - مستفّرًا معصبًا هو الآخر، ورغم ذلك شعر ببعض الراحة لأنه قد ذاكره جيدًا وحفظ الإجابة من صفحات الإنترنت التي تعطي النصائح للمقبلين على الالتحاق بوظيفة جديدة، فأكثر ما يوتره في المقابلات الشخصية - وهو الذي قد مر بعشرات المقابلات من قبل - هي الأسئلة التعجيزية غير المتوقعة التي ليس لها علاقة بتخصصه ولم يدرسها في الجامعة.

سيطر على ساقه التي باغته واهتزت فمبتها على الفور، ورد بظهر مفروود من جلسته أمام ذلك الممتعض خلف مكتبه منذ بداية الجلسة: «أرى نفسي وقد تقلدت منصبًا ذا شأن في هذه الشركة بعد العديد من المشروعات والتصاميم الناجحة إن شاء الله».

مط الآخر شفثيه ونظر في أوراق سيرته الذاتية للمرة العاشرة بالنظرة المتعالية نفسها وقال بجفنين مرتخيين: «لو كنت حيوانًا يا عصام أي نوع من الحيوانات ستكون؟».

تسمرت عينا الأخير على محدثه لعوان وباغتت بعض قطرات العرق جبينه الأسمر وقد قُتلت فرحته في مهدها

بعدما أجاب على كل الأسئلة حتى الآن؛ لكن ها هو السؤال الذي يسميه (من خارج المنهج) - وفي وصف آخر حينما يكون رائق المزاج (عفريت العلبة)- قد انفجر في وجهه كتلك اللعبة البلاستيكية القديمة التي تتحول من قرطاس آيس كريم جميل ملون إلى قبضة مباغطة تضرب في الوجه ويتبعها رنة ضحكة ساخرة من صاحبها السمج.

لم يستطع عصام كبح جماح نفسه ورد باستهجان: «نعم؟! حيوان؟!».

هز الآخر رأسه ببرود ثلجي وهو يعتدل للخلف ليستند بظهره على ظهر الكرسي عاقدا ذراعيه تحت صدره، فحاول عصام التحكم في انفعالاته حتى لا يفقد صبره أمام هذا المستفز الذي يسأل أسئلة أكرمه استغفارا وأجاب وهو يجز على أسنانه: «ما علاقة هذا السؤال بالتقدم لوظيفة تخص الإعلانات والتصاميم؟!».

بنظرة واثقة ولهجة مستخفة زادت حدتها عن بداية المقابلة رد الثاني: «بالطبع له علاقة ولو كنت مصمما خلاقا ومبتكرا كنت عرفت الإجابة بسهولة».

تقبض عصام يبحث في ذهنه عن إجابة وهو يحاول الحفاظ على ابتسامة عصية على وجهه لكن ما هي الإجابة الصحيحة التي سترضني هذا البارد المتعالي؟

قال الآخر وهو يعود للأوراق أمامه: «دعنا من هذا السؤال أنت منذ أن تركت آخر شركة كنت تعمل بها قبل ست سنوات

لم تلتحق بأي وظيفة؟!».

- «لم أجد وظيفة مناسبة»

رفع الرجل عينيه عن الأوراق وقال بلهجة بدت متهكمة:
«لست سنوات؟!».

رد عصام مبررًا: «أعتقد أنك تعلم ظروف البلد جيدًا في
السنوات الأخيرة».

فسأله الرجل سؤالًا مباشرًا: «وماذا كنت تعمل خلالها
إذن؟».

تردد عصام في الإجابة لكنه لم يستطع الكذب، وهل
سيشعر بالحرَج من وظيفته الحالية؟! فرد بصراحة ووضوح:
«أعمال حرة».

مال الآخر برأسه يسأل بفضول: «أي نوع من الأعمال الحرة
بالضبط؟».

- «سائق سيارة أجرة».

اتسعت عينا الرجل وصدق فيه لعوانٍ ثم غمغم: «ها؟! سائق
تاكسي؟!».

النظرة المستهجنة في عيني الآخر جعلت عصام يرد
بكبرياء وهو يطحن قبضتيه المستقرتين فوق فخذه:
«تاكسي أو سيارة أجرة جماعية لا يهم ما دامت وظيفة
حلال أليس كذلك؟!».

مط الآخر شفتيه وقال وهو يعود للنظر في الأوراق: «أمم». (وبعد برهة من الصمت المدقق في المعلومات أمامه متجاهلاً صور التصاميم المرفقة بالملف أضاف): «لكن هناك بعض البرامج الخاصة بالتصاميم لم تحصل على شهادات فيها يا أسطى عصام».

برقت عينا الأخير بانفعال واضح وكشرت ملامحه هل هذه أسوأ مقابلة شخصية مرت عليه؟ أم أن هناك أسوأ منها؟

لم يكن يملك رفاهية الإجابة ولم تسعفه ذاكرته بأي حيلة لتهدئة نفسه، ولم يستطع التحكم في أعصابه أكثر أمام هذا المتحذلق الذي يتصرف ببرود وتعالٍ منذ وصوله الذي أدخل شابًا آخر بدلًا منه قبل قليل بعد أن خرج لاستقباله بنفسه، مما أشعر عصام بأن الأمر تشوبه المحسوبية فضرب بيده على المكتب وهو ينتفض واقفًا وقال بلهجة خطيرة: «لا داعي للسؤال عن برامج وتطبيقات لم تكن موجودة في الإعلان الخاص بالوظيفة وقل إنها لم تعد متاحة».

انتفض الرجل بإجفال ثم أسرع بالسيطرة على نفسه وهو يقول باستنكار: «ما هذا يا أسطى أقصد يا باشمهندس عصام؟! هل هذه أخلاقيات مجال العمل؟!».

عدل عصام من سترة بدلته الرسمية وقال وهو يتحرك للمغادرة: «لا تتشدد بالأخلاقيات يا أستاذ (وسحب الملف الخاص به من أمام الرجل مضيقًا) أنا من لا يريد العمل لديكم».

قالها وتحرك مغادرًا أمام أنظار الرجل الذاهلة وخرج يصفع خلفه بابًا مكتوبًا عليه لافتة (مدير الموارد البشرية) وأخذ يشتم من بين أسنانه، يشتم هذا المستفز ويشتم نفسه لإخفاقه في التحكم في أعصابه، فتحرك مغادرًا المكان بسرعة ووقف في تلك البناية الشهيرة في وسط العاصمة ينتظر دوره لركوب المصعد وهو يوبخ نفسه ويعنفها؛ لأنه انفعل وأفسد المقابلة ولأنه لم يكسر أسنان ذلك المتحذلق في الوقت نفسه.

هناك شيء غير مريح يحدث بل مرعب لو تركت لمخاوفها الفرصة لتتكاثر في ذهنها ضربات قلبها لم تتوقف عن الطرق في صدرها منذ أن دخلت لهذا المكان قبل بضع دقائق.

ضمت ساقها في جلسة حاولت ألا تفضح توترها فوق تلك الأريكة التي تتوسط بهو المكان الهادئ، وتطلعت في المرأة الأربعينية المتأنقة التي تتحرك هنا وهناك، والتساؤلات التي تتدفق في مخيلتها لا تريد أن تتركها في حالها منذ أن استقبلتها هذه المرأة، جالت عيناها بتوجس في المكان الذي كان عبارة عن شقة، صحيح من الخارج معلق على الباب لافتة باسم الشركة؛ لكن المكان ليس سوى شقة.. شقة فارغة من الناس.

هل من المعقول ألا يكون فيها موظفون إلا هذه المرأة المريبة؟! وهل من المعقول ألا يكون هناك متقدمون للوظيفة

مثلها؟!

أخرجتها المرأة من شرودها حينما اقتربت تحمل صينية عليها كأس به عصير وضعته أمامها، فتطلعت فيه بريبة متسائلة في سرها عن هذا المكان الذي يقدم ضيافة للمتقدمين للعمل عنده، ثم رفعت وجهها تسأل المرأة بابتسامة مرتبكة: «ألا يوجد غيري للمقابلة سيدة باكينام؟».

ابتسمت باكينام وردت: «الحقيقة أنا لي نظام معين في المقابلات أعطي لكل متقدمة للوظيفة الفرصة كاملة وفي الوقت نفسه لا أحب أن أعطل وقتها لذا أخصص ساعة لكل واحدة، ألم أسالك في الهاتف حين اتصلت بي عن أي الأوقات تناسبك خاصة حينما أخبرتني أنك ملتزمة بعمل حتى الثانية ظهرًا؟».

- «أين بقية الموظفين إذن؟».

سؤال خرج من فمها لم تستطع كبحه فأجابت المرأة موضحة: «نحن شركة جديدة كما أخبرتك في الهاتف يا أستاذة مرام وما زلنا في مرحلة تعيين الموظفين، كما أن طبيعة عملنا كما وضع في الإعلان تسويق سياحي عبر الهاتف من المنزل».

هزت مرام رأسها رغم عدم اقتناعها وراقبت المرأة تبتعد لتعود وتجلس خلف مكتب الاستقبال، ثم تطلعت حولها بعدم راحة فتأملت الصور الإعلانية الكبيرة على الحائط لتلك الشركة المتخصصة في التسويق السياحي، وتساءلت هل

خانها ذكاؤها هذه المرة وأوقعت نفسها في مشكلة؟

دخلت نيللي مسرعة إلى إحدى البنايات الشاهقة التي توجد في أكبر ميادين العاصمة، التي تضم مكاتب وشركات بالإضافة للجزء السكني فيها ووقفت أمام المصعد تضرب على أزراره بقلة صبر وهي تضع الهاتف على أذنها تعيد الاتصال مرة أخرى لعله يرد عليها، إن رأسها سينفجر من التفكير بعد ما علمت به من حقائق صادمة قبل عدة أيام حتى تطور الوضع لما آل إليه ليلة أمس ماذا يحدث معها؟ إن العالم ينهار من حولها.

فتح المصعد بابه فأسرعت بالدخول وهي تعيد الهاتف لجيب بنطالها الجينز وتضغط على زر الطابق الخامس عشر وهي تقول لنفسها بتوتر: «أدعو الله أن أجذك يا عمو جودت فأنا في أشد الحاجة إليك».

«لماذا لم تشربي العصير بعد؟» قالتها السيدة باكينام وأضافت: «لا لا نحن أولاد بلد ونضيف زوارنا على أكمل وجه، أنت أيضًا حينما تنضمي لفريق العمل عندنا ستضيفين ضيوفنا».

ردت مرام وقد بدأ الشك يتحول ليقين أن هناك شيئًا غير مريح يخص هذه المقابلة: «شكرًا لا أحب العصير».

رن هاتف مرام الموضوع في حجرها فأجفلت لوهلة
وتطلعت فيه لتجد اتصالاً من والدها فكتمت صوت المكالمة
وقالت بارتباك وهي تنهض: «عليّ أن أنصرف فوراً».

سألته باكينام باندهاش: «إلى أين؟! إن الأستاذ هيم في
انتظارك لإجراء المقابلة».

قالت مرام بتلعثم وهي تكتم صوت مكالمة واردة أخرى من
والدها وترفع يد حقيبتها فوق كتفها: «تذكرت موعداً مهماً
وعليّ أن أنصرف أعذر بشدة».

رن جرس داخلي في المكان فقالت باكينام: «ها هو الأستاذ
هيم يطلب دخولك انتظري لحوان».

تجمدت مرام في وقفها بجوار الأريكة تفكر بحيرة، هل
شكوكها في محلها أم أن مخيلتها نسجت خزعبلات درامية
كما يصفها أخوها دوماً؟!

دخلت باكينام لأحد المكاتب تقول بهمس من بين أسنانها:
«ثروت سأتركها ترحل إنها ترفض شرب العصير».

تحرك المدعو ثروت يقول بلهفة وهو يتطلع في شاشة
معلقة على الحائط تنقل له ما يحدث في بهو الشقة: «لماذا لم
تحاولي إقناعها بشرب العصير يا عواطف؟».

قالت الأخيرة بغیظ هامس: «قلت لك رفضت، وبصراحة
تبدو بسيطة ولا ترتدي إلا أسورة ذهبية يتيمة في يدها».

أغلق الأخير الشاشة بالمتحكم عن بعد وقال وهو يقترب

منها: «النقود ستظهر من تحت الأرض بعد التصوير إن جسدها رغم أنه مكتنز؛ لكنه أبيض ومغري جدًا».

سمعا صوت عتلة باب الشقة القريب جدًا من باب المكتب وكأن أحدًا يحاول فتحه، فأسرع ثروت بفتح باب المكتب وخرج وخلفه عواطف التي سألت مرام: «ماذا تفعلين؟».

ضربات قلب الأخيرة كانت تُضرب كالمطارق في صدرها وهي تقول بتلعثم: «أريد أن أخرج لِمَ.. لِمَ تغلقون الباب؟!».

كانت مرتبكة بشدة تبحث عن طريقة لفتح الباب مما جعل ثروت يشك في أنها قد سمعت شيئًا من حديثهما، فخشي أن تفضحهما واقترب منها يمسك بمعصمها قائلاً ببعض الهدوء: «إلى أين آنسة مرام؟ ألن تقومي بالمقابلة الشخصية؟».

نفضت معصمها من يده بسرعة وقالت صارخة وقد أصيبت بالهلع: «اترك يدي».

عادت تحاول فتح الباب بعد أن تأكدت شكوكها ولعنت نفسها أن تهورت بالذهاب لمقابلة عمل دون إخبار أسرتها، بينما أسرع عواطف بالقول: «ماذا حدث يا آنسة مرام؟».

كشر ثروت عن أنيابه وتبادل النظرات مع عواطف حينما هتفت مرام وهي لا تزال تحاول شد عتلة الباب: «أريد الخروج من هنا حالاً».

زاد شعور ثروت بالخوف من أن تفضحهما ولم يجد بُدًا من التخلي عن هدوئه ويقول بحزم وهو يمسك بمرفقها: «تعالى

وأخبريني ماذا حدث».

صرخت وهي تخلص مرفقها من يده قائلة: «قلت سأخرج حالاً وإلا سأصرخ وأفضحكما».

هتفت عواطف بخوف وقد وجدت الأمر يخرج عن السيطرة: «أتركها ترحل يا ثروت».

أدار وجهه إليها هادراً: «اسكتي أنت».

في اللحظة نفسها لاحظت مرام أن هناك قفلاً عالياً في الباب كان مغلقاً ففتحته وأسرعت بفتح الباب لتخرج؛ لكن ثروت أمسك بها على عتبة الشقة وحاول سحبها للداخل، صرخت مرام تحاول الإفلات منه: «اتركني اتركني وإلا سأبلغ عنكما الشرطة».

كهم فمها بيده بسرعة فكتم صوت صرخة كادت أن تشق سكون البناية الضخمة؛ لكن صرختها المكتومة وصلت لنيللي التي كانت تقف بجوار أحد الأبواب شاردة ذاهلة في الطابق الخامس عشر، بعد أن علمت أن جودت قد سافر، استفاقت من شرودها عند سماعها لصياح فتاة وتهديدها بإبلاغ الشرطة وتحركت نحو سور السلم تشرئب بعنقها وتنظر، ثم اتسعت عيناها وهي ترى في الطابق الرابع عشر رجلاً يكهم فم فتاة شابة ويسحبها بالقوة لداخل الشقة المجاورة للسلم ويغلق الباب، انفجرت دقات قلبها بتوتر وأسرعت بالنزول على السلم نحو تلك الشقة واقتربت ترهف السمع فأتاها صوت مقاومة الفتاة وصياحها المكتوم، فشعرت بالارتباك

الشديد وأخذت تفكر بسرعة ماذا تفعل؟ وكم عددهم بالداخل وماذا سيفعلون بالفتاة المسكينة، تطلعت عابسة في اللافتة التي تحوي اسم شركة للتسويق السياحي وتملكها الخوف وعقلها يحذرهما من التدخل، ابتعدت للخلف مقتربة من المصعد وهي تقول لنفسها وهي ترفع الهاتف على أذنها: «لا بد أن أتصل بالشرطة».

لتجز على أسنانها مندفعة نحو الشقة الوحيدة في ذلك الطابق، التي تقع آخر الممر وهي تحدث نفسها: «حتى تحضر الشرطة سيكونون قد أذوا المسكينة (وهتفت وهي ترن الجرس وتضرب على الشقة الأخرى بقوة) هل من أحد هنا؟». بعد دقيقة من الطرق على باب الشقة وحين لم تجد أي إجابة، عادت بسرعة لتلصق أذنها بالشقة التي أدخلت فيها الفتاة وازداد توترها فتحركت تنظر لأعلى وتصيح: «الحقونا.. الحقونا».

لعل أحدًا يسمعها ولم تنتظر ردًا بل قامت بجراءة وتهور بالعودة للشقة المعنية والطرق على بابها بعنف وهي تقول: «افتحوا الباب».

بنظرات مرتعبة نظرت عواطف لعروت الذي لا يزال يكمم فم مرام وهي تتلوى بقوة وتحاول التخلص من ذراعه الذي يحاوط جسدها، ثم أسرع نحو العين السحرية بينما أتى الصوت الأنثوي يقول: «ديدي حبيبتي لا تخافي لقد اتصلت بالشرطة وستأتي حالًا».

عبست عواطف ونظرت لثروت تقول: «من ديدي؟! هذه ليست اسمها ديدي!».

قال ثروت من بين أسنانه وهو يحاول السيطرة على شراسة مرام: «ربما مخطئة في العنوان لا تردي واتركيها». صاحت برعب: «ماذا لو فضحتنا في البناية؟!».

تحركت نيللي تنظر من سور السلم وهي تصيح: «الحقونا.. الحقونا (ثم عادت نحو الشقة تقول) افتحوا الباب وأخرجوها قبل أن تصل الشرطة».

كانت لحظات عصبية متوترة يغيب فيها التفكير المنطقي ويغلب عليها التصرف السريع، لطمت عواطف على وجهها وقالت لثروت: «قلت لك اتركها ما دامت لم تشرب العصير».

كانت مرام تنتفض من الخوف؛ لكن شعورها بالخطر كان يطفئ على كل شيء فظلت تقاوم لتفلت من ذراع الرجل التي تقبض عليها بقوة شاعرة بالأمل في أن تنجح من على الباب في جعلهما يطلقان سراحها، فجأة ساد الصمت فأتسعت عينا مرام بخوف من مغادرة من على الباب وتركها، بينما أسرع عواطف بالقول بعد أن نظرت مرة أخرى من العين السحرية: «إنها فتاة واحدة ولا تزال واقفة وتحاول الاتصال بأحدهم».

قال ثروت: «حاولي صرفها أو الإمساك بها قبل أن تفضحنا وتلم علينا سكان البناية».

قالها وأسرع بسحب مرام بالقوة لغرفة مكتبه المجاورة لباب الشقة، بينما فتحت عواطف الباب تقول متصنعة الهدوء: «من تريدان يا فندم؟ ليس لدينا آآآآه».

أطلقت صرخة حينما رشت الأخرى في عينيها بخاخ مزيل العرق الذي أخرجته من حقيبتها فوضعت المرأة يدها على عينيها تتأوه بألم، بينما غمغمت نيللي وهي تبحث في حقيبتها بيد ترتجف بشدة من الخوف والتوتر: «أين ذلك الزفت الصاعق؟».

في الغرفة الداخلية ارتبك ثروت لسماعه صرخة عواطف ولم يعلم ماذا ألم بها فانتهزت مرام الفرصة ونجحت في أن تعض يده بوحشية جعلته يرخي كفه عن فمها متوجعًا، وذهنه مشغول أكثر بمن هم في الخارج لتسرع هي بالتقاط فواحة عطر من الفخار من فوق منضدة جانبية بقربها وضربته بكل قوتها في جانب رأسه ضربة جعلته يتوجع ويفلتها كليًا، فهرولت نحو باب الغرفة وفتحته لكنه سرعان ما لحق بها ودفعها لداخل الغرفة، واستدار ليرى ماذا يحدث بالخارج فتلقى صعقة كهرباء من نيللي التي ظهرت على باب الغرفة فارتد للخلف قليلًا ووقف مشلولًا، تجمد المشهد لثوان ووقفت مرام تتطلع في الرجل بعينين مصعوقيتين ولتلك الشابة التي صاحت فيها قائلة: «هيا بسرعة».

قبل أن تكمل عبارتها كانت عواطف تنقض عليها من الخلف فوقع الصاعق من يد نيللي التي أخذت تقاومها وهي تقول: «ما هذا؟! ألم يؤثر فيك صعق الكهرباء يا امرأة!».

تخلصت مرام من صدمتها وانضمت إلى نيللي تعض المرأة في ذراعها كي تترك نيللي، فصرخت عواطف وتركتها لتستدير نيللي على عقبيها وتسدد لها ضربة بحركة من حركات الدفاع عن النفس جعلتها ترتد للخلف، نظرت نيللي حولها بمزيج من الخوف والتحفز لأن يكون هناك المزيد ثم أسرعتمسك بيد مرام وتهرول هاربة من الشقة.

تجاوزتا الباب والمصعد وهرولتا على السلم ممسكتان بيدي بعضهما لا يعرف من منهما كانت تقود الأخرى، فغريزة البقاء وحدها ما كانت تدفعهما دفعا فوق الدرجات هربا من تلك الدقائق العصبية، بعد لحظات وعند الطابق الثاني تقريبا هدأت هرولتهما وقد شعرتا بالتعب فتوقفت مرام أولا تضع يدها على صدرها ومالت بجذعها للأمام مستندة على سور السلم تقول وهي تنهت بصوت عالٍ: «لن أستطيع التحرك أكثر.. أشعر أن قلبي سيتوقف».

رفعت نيللي رأسها للأعلى تتأكد من عدم وجود من يلاحقهما ثم جلست على السلم تنهت قائلة: «لا أتوقع أن يلاحقانا في هذا الطابق أمام الناس».

جلست مرام بجوارها بصعوبة وسألت وهي تنهت: «ماذا تقصدين؟».

أشارت نيللي وهي تتنفس بصوت عالٍ على معمل التحاليل والأشعة الذي يحتل الطابق الثاني أمامهما ويفتح أبوابه للداخل والخارج بعكس الأدوار العليا الهادئة تمامًا ولم تقو

على قول أي شيء فهزت مرام رأسها وقد فهمت.

بعد دقائق التفتت مرام لنيللي بعد أن لملت شتات نفسها بعض الشيء وقالت بصوت مرتجف: «أنا عاجزة عن شكرك يا أختي».

مدت نيللي يدها تقول: «نيللي.. نيللي شرف الدين».

سلمت عليها مرام قائلة: «أنا مرام عارف ولا أعرف كيف سأرد لك معروفك هذا، لولا شجاعتك لكنت..».

بإدراك متأخر لما كان من الممكن أن يحدث لها ترقرت الدموع في عيني مرام ولم تستطع أن تكمل الجملة، لقد كادت أن تنتهك جسدياً أو تقتل أو كليهما، يا الله كيف وقعت في هذا الفخ بهذه السذاجة؟!

دفنت وجهها في كفيها تبكي فربتت عليها نيللي تقول بتعاطف: «الحمد لله أنك بخير، ماذا كنت تفعلين في هذه الشقة؟!».

رفعت مرام وجهها ثم أخرجت من حقيبة يدها منديلاً ورقياً وأخذت تجفف دموعها وهي تستقيم واقفة وتنظر لأعلى بتوتر ثم قالت: «تعالى لنخرج من هذه البناية أولاً أرجوك».

كان عصام في الشارع يقف شاردًا أمام تلك البناية التي انتهى قبل قليل من إفساد المقابلة الشخصية فيها، إنه

غاضب.. غاضب من كل شيء.. غاضب من الحياة كلها في هذه اللحظة، لماذا تغلق الأبواب في وجهه؟! لماذا الالتحاق بوظيفة تناسب دراسته وشغفه أمر صعب؟! لقد أتم الثلاثين من العمر ولم يحقق شيئًا حتى الآن.

تطلع في الميدان الواسع المزدهم أمامه، ثم رفع رأسه لتلك الواجهة الإعلانية التابعة لشركة إعلانية كبرى، إحدى الشركات التي حاول الالتحاق بها ولم يفلح، تطلع في التصميم الدعائي لأحد المنتجات وهو يعلم أن أحد زملائه من أيام الجامعة هو من صممه، لقد تباهى ذلك الوغد بذلك على صفحته على الفيسبوك، كما تباهى قبل عامين بالطريقة نفسها بالتحاقه بالعمل بتلك الشركة والكل يعلم أنه قد حصل على الوظيفة بنفوذ والده، أما والده هو فيبدو أنه على حق، هكذا فكر عصام وللمرة الأولى يعترف بذلك فالحاج عارف كان معارضًا لدخوله لكلية الفنون التطبيقية، كان يريد أن يلتحق بكلية أكثر عملية في سوق العمل على حد تعبيره؛ لكن الشغف كان يسيطر عليه التصاميم والديكورات وغيرها كانت تأسره.

«وما زالت» قالها في سره ونظر لأعلى يتطلع في كيس رفعته الرياح النشطة التي تنذر بيوم عاصف، كان الكيس يطير في الهواء بشكل قد يحسبه الناظر للوهلة الأولى أنه طائر محلق بثقة في السماء؛ لكنه سرعان ما سيكتشف أنه مجرد كيس.

ضاق صدره بتلك الخاطرة وبشكل أو بآخر شعر أن أحلامه

تشبه ذلك الكيس، وأن عليه أن يعترف بزيفها فالكيس لن يصبح أبدًا طائرًا حقيقيًا، هبت بعض الرياح القوية فدخلت بعض ذرات التراب في عيني عصام الذي دعك عينيه بقوة، ثم راقب سقوط الكيس في وسط الشارع فمرت عليه سيارة دهسته وأخذته في طريقها ملتصقًا في عجلاتها، ربما أن الأوان لأن يستسلم بعد ثماني سنوات من التخرج عليه أن يتخلى عن حلمه، وأن يبقى كما هو سائق، عليه أن يركز جهوده على أن يمتلك سيارة أجرة تخصه بدلًا من ذلك الميكروباص الذي يعمل عليه سائقًا باليومية.

عليه أن يتخلى عن لقب (المهندس عصام) وأن يبقى فقط (الأسطى عصام) الشهير بالبرنس.

فك رابطة عنقه التي تخنقه وخلعها، ثم أخرج هاتفه الذي يرن من جيبه ينظر فيه عابسًا ورفع على أذنه يقول بحشجة: «نعم أبي (وازداد عبوس وجهه قائلًا) ماذا تعني بأن مرام لا ترد عليك؟ (ونظر في ساعته) أليس من المفترض أنها أنهت عملها منذ ساعتين؟!».

قال والده في الهاتف: «لقد أخبرتني أنها ستذهب بعد مواعيد العمل لشراء ملابس لها، وأتصل بها منذ نصف ساعة لا ترد، أريد أن أعرف أين وضعت دواء جدتك فأنا لا أجده، كما أنهم يقولون في النشرة الإخبارية إن الرياح ستشتد شيئًا فشيئًا لتنقلب لعاصفة بحلول الليل».

هز عصام رأسه عدة مرات وقال: «حسنًا سأتصل بها يا أبي

وأطمئنتك لا تقلق».

قالها وأغلق الخط مغمغماً: «أي ملابس ستبتاع هذه المجنونة في هذا الطقس؟!».

«كنت في مقابلة عمل» قالتها مرام وهي تقف على بعد أمتار من البناية التي خرجت منها هي ونيللي، وأضافت وهي تعدل من حجابها الذي لعبت به الرياح: «كانوا قد وضعوا إعلاناً لطلب فتيات للتسويق السياحي عبر الهاتف من المنزل، وكان المرتب مغرياً، في البداية شككت في الأمر لكن دفعني الفضول للاتصال وردت عليّ هذه المرأة التي تدعى باكينام، كان حديثها حلواً ولم أشك في أي شيء وأعطتني موعداً اليوم (وضربت على رأسها مضيضة بضيق) أنا غبية كيف تصرفت بهذا التهور؟ لم أفعلها أبداً، المشكلة أنني لم أخبر أهلي خوفاً من اعتراضهم فأخي متشدد جداً في مثل هذه الأمور والحقيقة لديه كل الحق؛ لكني لا أعرف كيف خائني ذكائي لأقع في فخ هذه المرأة».

نظرت نيللي حولها وقالت وهي تبعد طرف حجابها الذي غطى وجهها: «المهم أنها مرت على خير وحفظك الله، لقد انقلب الجو علينا التحرك (وسألتها) أين تسكنين يا مرام؟».

رن هاتف الأخيرة فأتسعت عيناها وهتفت بارتباك: «أخي».

شعرت نيللي بالتوتر بالنيابة عنها بينما أسرع مرام بالرد: «نعم أخي».

سألها عصام: «أين أنت ولماذا لا تردي على أبيك يا ست الهانم؟!».

حاولت التماسك حتى لا يظهر في صوتها الارتجاف الداخلي الذي لا تزال تشعر به وقالت: «أبي؟! لقد اتصل بي حينما كنت أعبر.. أعبر الطريق».

سألها: «أين دواء روح؟».

ردت على الفور: «في أول درج في خزانة المطبخ ولا تتركوا بقيته معها لأنها تلعب به».

صوت نفير سيارات عالٍ جعله يسألها مقاطعًا: «أين أنت بالضبط؟».

ردت تنظر حولها: «أش.. أشترى بلوزة أنا.. أنا وصاحبتي».

قالتها وهي تنظر لنيلى ثم عادت تنظر في الأرض وهي تسمع عصام يسألها بمزاج عكر: «وهل هذا وقت مناسب للشراء؟ أين أنت الآن؟».

بلعت ريقها وقالت وهي تتطلع أمامها: «أنا في ميدان (xxx) عند محطة المترو».

نظر عصام حوله وقال: «أنا قريب جدًا منك ابق مكانك ولا تتحركي أنا آتٍ لآخذك».

قالها ولم يعطها الفرصة للرد، بل أغلق الهاتف وهو يعبر الشارع ليركب حافلة أجرة جماعية صغيرة (ميكروباس)

ويقودها مبتعدًا.

سألها نيللي بفضول: «هل ستخبرينه بما حدث ليخبر الشرطة؟».

هتفت مرام بفزع: «لا.. لا لن أستطيع أن أخبره، فلا أريده أن يعلم أنني كنت غبية وتهورت إلى هذا الحد وكدت أن أودي بنفسي إلى التهلكة، كما أنني لا أريد أي فضيحة فعصام سيكون رد فعله عنيفًا معهما، وبالتأكيد سيتطور الأمر حتى يصل لقسم الشرطة وستصبح فضيحة للعائلة كلها (وأضافت بلهجة مرتعبة) أنا لا أريده أن يتورط بسببي».

شعرت نيللي بغصة في حلقها وشردت في حديثها، فكم تمنّت أن يكون لها أخ يحمل عنها ما تحمله الآن فوق ظهرها، أخ تلجأ له في محنة كالتي تمر بها، وضعت مرام يدها على صدرها تهدئ من ضربات قلبها التي عادت للصخب ثم أمسكت بيد نيللي قائلة بامتنان: «لا أعرف كيف أرد لك الجميل، أنت كنت شجاعة جدًا لا أصدق أبدًا أنك اقتحمت المكان دون أن تعرفي ماذا ينتظرك فيه».

هرشت نيللي في رأسها وردت بحرج: «الحقيقة لم أشعر بنفسي وشعرت أن انتظار الشرطة غير منطقي، ولم أجد الوقت للاستنجاد بأحد (وابتسمت ابتسامة محرجة وهي تضيف) أنا أيضًا لا أعلم كيف واثني الجراءة لاقتحام شقة لا أعرف من فيها؛ لكن صراخك المكتوم جعلني أتصرف بتلقائية».

قالت مرام وقد عادت الدموع تترقرق في عينيها: «بل تصرفت بمنتهى الشجاعة، لقد أرسلك الله لإنقاذي والله سأبقى طوال العمر مدينة لك بحياتي يا نيللي، فليخرجك الله من كل ضيق ويسترك يا رب».

قرصت الدموع عيني نيللي وقد قلبت عليها الدعوة المواجه فأمنت خلف دعائها وهي تفكر في أنها تحتاج هذه الأيام لهذه الدعوة بالذات، وعزمت على الرحيل قائلة: «حمداً لله على سلامتك مرام، احذري المرة المقبلة، أتمنى أن أراك على خير».

أمسكت مرام بذراعها تقول: «ألن تعطيني رقم هاتفك؟ ما زلت أشعر أنني مدينة لك وأريد أن أرد لك معروفك».

ابتسمت نيللي ابتسامة واهنة وردت: «ليس هناك داع لكل هذا، أنا تصرفت بتلقائية وفعلت ما يمليه علي ضميري؛ لكن بالطبع تفضلي رقم هاتفي».

بعد أن أملت الرقم قالت مرام: «سأرن عليك الآن احتفظي برقمي اسمي مرام (ثم اتسعت عيناها تنظر خلف نيللي قائلة بارتباك) أخي وصل».

استدارت نيللي تنظر خلفها ثم عبست مدققة في المارة قبل أن تضيف مرام وهي تمسك بذراعها: «ابق معي دقيقة من فضلك أشعر أنني إن رأيته سأنفجر بالبكاء وأشكو إليه ما حدث».

نظرت إليها نيللي ثم عادت تنظر خلفها مرة أخرى تسأل:

«أين هو؟».

قالت مرام وهي تعدل من حجابها حول وجهها وتعدل ملابسها: «إنه هذا الذي يترجل من الميكروباس على الناحية الأخرى من الطريق».

تطلعت نيللي لذلك الشاب الأسمر الذي ترجل من مقعد السائق، يرتدي بدلة رسمية أنيقة رغم أن ربطة العنق مفتوحة بإهمال فرفعت حاجبها باندعاش لهيئته التي لا تتماشى مع ذلك الميكروباس الذي كان يقوده، راقبته وهو يقطع الطريق بين السيارات متقبضاً متحفزاً عريض الكتفين آتياً نحوهما، فعاد ذلك الشعور بالغصة يلح عليها أنها لا تملك أحاً مثل مرام، فأحنت رأسها شاردة في مصيبتها التي ألقتها عنها قصة مرام لبضع دقائق، وسألت نفسها ماذا ستفعل؟ أين ستذهب؟ بل أين ستختبئ؟ تريد أن تبقى بعيدة لبعض الوقت كي تفكر، فلا ترغب في أن يجبروها على شيء ولا تريدهم أن يصلوا إليها قبل أن تقرر ماذا ستفعل.

دقق عصام وهو يقترب بخطواته في أخته، ثم تطلع في تلك الشابة التي تقف معها ترتدي بنطالاً من الجينز الأزرق وفوقه بلوزة بيضاء وسترة سوداء وحجاب صغير حول وجهها، فرفع حاجباً تلقائياً ثم كسر نظرتة بمجرد اقترابه وتطلع في مرام قائلاً: «السلام عليكم».

انتبهت نيللي فغمغمت: «وعليكم السلام».

بحركة لا شعورية اقتربت مرام من أخيها تمسك بكم

قميصه، وكأنها تدخل في محيط حمايته وهي تمنع نفسها من البكاء، فسأل عصام أخته: «هل انتهيت من شراء ما تريدين؟ الجو لا يسمح بالبقاء وقت أطول بالشارع».

ردت مرام بلجلجة: «نعم انتهيت».

كان لديه فضول شديد ليعرف من هذه التي لم تعرفه عليها مرام؛ لكنه تطلع في يدي أخته قائلاً: «لكني لا أرى أية مشتريات!».

قالت مرام بسرعة: «لم أجد ما أريد».

رد ساخراً وهو يضع يديه في جيبي البنطال الأسود: «بالطبع لن تجدي ما تريدين بسهولة فلا بد أن تلفي على المحلات سبعة أشواط على قدميك لربما كان هناك أفضل من المحل الذي قبله».

لم ترد مرام على مزحته بل تطلعت في وجهه صامته تبحث في عقلها الخاوي عن رد، فأشار لها عصام بعينه نحو نيللي التي تقف إلى يساره، التي تنظر في هاتفها شاردة، فأسرعت مرام قائلة بارتباك وقد انتبهت أنها لم تعرفهما لبعضهما: «يا إلهي نسيت أن أعرفكما، نيللي هذا عصام أخي وهذه هي نيللي صديقتي يا عصام».

رفع الأخير حاجبه باندهاش مردداً في سره اسمها غير الشائع الذي هو اسم فنانة استعراضية شهيرة، كانت تقدم حلقات الفوازير في رمضان ثم هز رأسه يحييها، بينما قالت نيللي بسرعة وهي تهم بالمغادرة: «تشرفنا (ونظرت لمرام

مضيضة) لا بد أن أذهب».

قالت مرام بسرعة: «لماذا لا نوصلك؟».

ونظرت لأخيها الذي هز رأسه موافقًا فردت نيللي: «لا شكرًا أنا..».

قاطعتها مرام هاتفية بإصرار: «تعالى معنا سنوصلك».

رن الهاتف فى يد نيللى فأتسعت عيناها ثم أسرع بالقول بسرعة وهى تخطو عدة خطوات مبتعدة: «أنا لا أحتاج للتوصليل شكرًا مرام فرصة سعيدة».

تحركت تعبر الشارع فصاحت مرام خلفها: «سأتصل بك إن شاء الله».

استدارت نيللى وهزت لها رأسها، ثم قطعت الشارع وهى تتحدث فى الهاتف فتابعها نظرات عصام للحظة ثم عاد لأخته يتطلع فيها فوجدها تنظر إليه، ولم يدر أنها تمنى أن تلقى نفسها فى حضنه فضيق عينيه وسألها: «أنفك أحمر هل كنت تبكين؟».

غمغمت بسرعة: «لا لكن يبدو أن الجو البارد أثر على».

فرد ذراعه على كتفها يهم بالتحرك قائلاً: «تعالى لنسرع إلى الميكروباس (وعادت عيناه تتابعان نيللى باهتمام وهو يسأل أخته) من نيللى هذه؟ إنها المرة الأولى التى أسمع أن لك صديقة بهذا الاسم؟».

قبل أن ترد مرام أطلقت صرخة قوية بينما هتف عصام:

كانت ثوانٍ معدودة لكنها فارقة كالسيف الحاد الذي يقطع بلا رحمة، وقد قطعت بالفعل هل كانت صدفة أم قدر؟! بلاء أم ابتلاء؟! أم أنها رحمة.

ثوان معدودة

كانت نيللي تعبر الشارع وعقلها مشغول بالمصائب التي تقع فوق رأسها الواحدة تلو الأخرى وانتباهها كله مع محدثها الذي أخبرها بما جعلها تتسمر مكانها لثوان، مجرد ثواني تحديق في الأرض بأنفاس متسارعة بعد أن أغلقت الخط قبل أن يمر شيء ما بجوارها بسرعة ويحتك بها فلم تشعر بنفسها إلا وهي تقع على وجهها، وترتطم رأسها بحرف الرصيف وسكن بعدها كل شيء حولها وكأنها قد فقدت السمع، ثم عادت إليها الأصوات والصيحات ورأت الوجود فوقها بعيدة ومشوشة.

ثوان معدودة

كان عصام ومرام ينظران إليها وهي تعبر الطريق وشاهدا الدراجة بخارية التي اخترقت السيارات والرصيف ومرت من خلف نيللي فارتطمت بها، ثم أدار ركبها رأسه من تحت خوذته وتطلع فيها وهي ملقاة على الأرض وبعدها زاد من سرعته عابراً للميدان منعطفاً ناحية اليمين، قبل أن يستوعب أحد ما حدث، فصرخت مرام وأسرعت هي وأخوها يقطعان

الطريق الذي كان متوقفاً بالفعل كي تمر السيارات من اتجاه آخر.

ثوان معدودة..

وكان عصام يُبعد المتجمعين حول نيللي التي لم تجد القدرة على الاعتدال بينما هتفت مرام وهي تنزل على ركبتيها وتعدلها على ظهرها ثم ترفع رأسها: «نيللي.. نيللي ردي عليّ».

لحظتها شعرت الأخيرة بألم حارق بساقها فتطلعت في وجه مرام، ثم عصام وغابت عن الوعي.

بعد عدة ساعات

أصوات عالية تسمعها بين فترة وأخرى ثم تختفي أصوات لعدد كبير من الناس وبكاء أطفال وحديث امرأة تشتكي من شيء ما بحرقة، كانت الأصوات تتلاشى وتعود وكأنها تجلس فوق أرجوحة؛ لكنها لم تكن ترى شيئاً وغير قادرة على فتح عينيها، ألا زالت ملقاة في الشارع؟! وحدها! وسط المارة!

قفزت بها الأرجوحة إلى مكان بعيد، مكان مقبض خرس فيه الألسنة وانحنت فيه الرؤوس خاشعة تنصت لصوت المقرئ:

(يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ازْجِعي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتي).

رأت نفسها في ذلك اليوم قبل ستة أشهر وهي تقف أمام مدفن والدها، يلفها الأسود وتشعر بالوحدة رغم العدد الكبير الذي يحضر الدفن ورغم أنها وحيدة طوال عمرها؛ لكنها الوحشة التي تنهش القلوب عند الوداع الأخير.

أمام الغرفة الكبيرة وقف عصام ومرام صامتين شاردين أمام بابها المفتوح بعد أن غادر المتطوعون الذين حضروا معهما لنقل نيللي لأقرب مستشفى، فلمحت مرام أحدهم قادمًا وقالت: «لقد وصل أنس».

رفع عصام أنظاره يتطلع فيه بينما هرول الأخير إليهما قائلاً بقلق وهو يتفحصهما: «هل أنتما بخير؟ هل حدث شيء لكما؟».

رد عصام بإنهاك: «الحادث لم يكن يخصنا يا أنس».

قال الأخير وهو يتطلع في مرام: «أنا لم أفهم على الهاتف غير أن صاحبة مرام صدمتها سيارة وأنكما في المستشفى معها فخفت أن تكونا تخفيان عني شيئًا (ومال جسده للأمام يطلق زفرة راحة وهو يستند بيديه على ركبتيه قائلاً) حمدًا لله أنكما بخير (ثم اعتدل واقفًا بعد ثوانٍ وتطلع في وجه مرام الباكي وسألها) من هذه وماذا حدث؟!».

اختلفت الأخيرة نظرة مرتبكة نحو عصام ثم ردت: «إنها كانت صديقتي بالجامعة وافترقنا ثم عدنا للتواصل عبر الفيسبوك واتفقنا أن نرى بعضنا اليوم».

رفع عصام حاجبه ووقف أمامها متخصراً يقول: «ألم يكن خروجك من الأساس من أجل شراء بلوزة؟!».

غمغمت وهي تشعر بالضيق فهي لم تعتد الكذب على أهلها: «تواعدنا أن نتقابل أمام محل الملابس».

سأل أنس مستفهماً: «المهم الآن ما حالة صاحبته وأين أهلها؟!».

رد عصام شاعراً بالأسف: «كُسرت ساقها وتم وضعها في جبيرة ولا تزال لم تفق بعد».

عقد أنس حاجبيه وسأل: «هل دخلت في غيبوبة؟!».

هز عصام كتفيه وتطلع حوله قائلاً: «لا أحد هنا يعطينا معلومة مفيدة».

عاد أنس يسأل: «وأهلها؟».

أجابه عصام: «لا نعرف عنها شيئاً».

رفع أنس حاجبيه ونظر لمرام قائلاً: «كيف لا تعرفان عنها شيئاً؟! أليست صاحبتك؟!».

ردت مرام: «قلت لكما كانت صاحبتي أيام الجامعة ولسنا متقاربتين ولا أعرف تفاصيل عن حياتها الشخصية».

عدل أنس من وضع النظارة الطبية على وجهه ثم سألها عابثاً: «ولماذا تقابلينها إذن إن كنتما لستما متقاربتين؟!».

أجابته بعصبية: «كنا بصدد إعادة علاقتنا يا أنس، أهو

تحقيق؟!».

رفع حاجبيه وعاد برأسه للخلف متحاشيًا عصبيتها ثم قال مشاكسًا: «ما ذنبي أنا لتصيحني في وجهي؟! كدت أن تكسري النظارة بصوتك».

لملمت ابتسامة تريد أن تظهر على شفثيها وتصنعت العبوس ثم تحركت نحو الغرفة وهي تقول: «سأدخل لأرى إن كانت نيللي قد أفاقت أم لا».

هتف أنس هازئًا: «من؟! ما اسمها؟!».

أشاحت بيدها بتبرم وتركتهما، بينما نظر أنس لعصام قائلاً بتفككه: «اسمها نيللي (واستمر في مزاحه) لماذا لا تتصلون بزميلتها الفنانة شريهان إذن، لربما عرفتكم طريق أهل الأخت نيللي».

رفع عصام عينيه الشاردتين يناظر أنس بنظرة جانبية، بينما سأل الأخير بلهجة ذات مغزى: «وما رأيك أنت يا باشمهندس؟».

- «في ماذا يا صيدلي؟».

أجاب الأخير وابتسامة نادرة تتلاعب على شفثيه: «في نيللي؟».

رد عصام بجدية: «تبدو بنت ناس محترمين».

هز أنس رأسه وقد عاد لجديته يسأل: «وماذا بعد؟ هل ستبقى هنا أنت ومرام؟».

هز عصام كتفيه وقال زافراً: "لا أعرف بصراحة، مرام منزعة جدا وكانت تبكي منذ قليل، كما أنني لا أستطيع أن أترك الفتاة وحدها دون أن يكون بجوارها أحد".

غمغم أنس بلهجة ساخرة: «طبعاً خاصة وإن كان اسمها نيللي».

في الغرفة التي تحتوي على عدد كبير من الأسرة حركت نيللي رأسها متململة من صوت صرخ طفل صغير مرافق لإحدى زائرات مريضة أخرى في السرير المجاور، فأخذت تقول بانزعاج: «اششش ما هذا الإزعاج!».

اقتربت منها مرام تسألها بلهفة: «نيللي هل تسمعينني؟ هل أنت بخير؟».

فتحت الأخيرة عينيها لتجد وجه مرام الأبيض المستدير مطلاً عليها من علو، ف اتسعت عيناها وغمغمت هامسة: «من أنت؟!».

ضربت مرام على صدرها وصاحت: «هل فقدت الذاكرة؟! (ورفعت جذع نيللي وحضت رأسها مولولة) حبيبتي يا نيللي حبيبتي».

رمشت نيللي عدة مرات وخذها على صدر مرام تحاول استيعاب أين هي وما هذا المكان ثم ابتعدت عن حضن مرام وتطلعت حولها والأسرة الكثيرة التي تحتوي على مريضات أخريات وعادت بأنظارها لمرام تسألها: «أين أنا؟ ومن أنت؟!».

غمغمت مرام باكية: «حبيبتي أنا مرام التي التقيت بك قبل عدة ساعات».

لم تنصت لها نيللي بل نظرت لساقها المجبر الممدد على السرير فخفق قلبها من الخوف، وقد بدأت تتذكر ما حدث لها في الطريق، فأخذت الأوجاع تضرب بجسدها، صداع شديد في رأسها وألم نتيجة كدمة في جانب وجهها فسألت: «أين نحن يا مرام؟».

هتفت مرام بسعادة: «هل تذكرتني؟».

عادت نيللي بجذعها تستلقي على الوسادة وهي تغمغم بتألم: «أجل الفتاة التي كانت بالشقة المشبوهة».

لطمت مرام على وجهها وتطلعت حولها ثم استقر نظرها على باب الغرفة المجاور للسرير وقالت بهمس: «اخفضي صوتك بالله عليك ستفضحينني!».

صمت نيللي وشردت في مصابها وهي تتطلع في المكان حولها وأدركت أنها في مستشفى حكومي، فسألت مرام: «إلى أي مدى تضررت ساقي؟».

ردت الأخيرة وهي تخرج شيئًا من حقيبة يدها: «لقد كسرت ساقك وتم وضعها في جبيرة غير ذلك لا يوجد سوى كدمة في رأسك وأخرى في وجهك حمدًا لله».

لمست نيللي موضع الألم في وجهها لتضيف مرام: «لقد صدمك سائق دراجة بخارية وهرب ولم يعط لأحد فرصة

لمعرفة رقم اللوحة؛ لكن أعتقد أن هناك من أبلغ الشرطة لا أعرف فقد انشغلنا بإسعافك، حتى عصام يشعر بالضيق لأنه كان يريد أن يلاحقه».

شردت نيللي مرددة في سرها: «سائق دراجة بخارية صدمني وهرب».

قاطعت مرام شرودها حينما قالت: «لم نجد للأسف حقيبتك أو هاتفك كان الناس متجمعين حولك وبعد انتظار الإسعاف لفترة قررنا نقلك أنا وعصام وبعض المتطوعين للمستشفى؛ لكني لم أفكر في أمر حقيبتك إلا بعد أن وصلنا للمستشفى، فعاد عصام مرة أخرى لمكان الحادث ولم يجد شيئًا حتى إنه سأل الباعة المتجولين في المكان وأكشاك البيع».

اتسعت عينا نيللي لتقول مرام بأسف وهي تفتح كف الأخرى وتضع فيه سلسلة ذهبية وخاتما: «هذا ما كنت ترتدينه وقت الحادث، وأتمنى أن يكونوا قد سلموا حقيبتك للشرطة أو أمسكوا بالجاني».

- «الشرطة؟!».

رددتها نيللي بخفوت وارتجاف بينما استمرت مرام في ثرثرتها: «لم نكن نعرف أي شيء عنك حتى نخبر أهلك (وأطرقت تضيف بخزي) لقد أخبرت أخي أننا أصدقاء من الجامعة وعدنا لتقوية علاقتنا مؤخرًا لهذا لا أعرف عنك شيئًا».

كانت نيللي غارقة في أفكارها وأوجاعها ومخاوفها، لقد أضحت غير قادرة على الحركة ووحيدة، بينما قالت مرام: «أعطني رقم هاتف أي شخص من أهلك لنخبرهم بما حدث لك».

غمغمت نيللي وقد قرصت الدموع عينيها: «أنا ليس لي أحد».

عقدت مرام حاجبها وسألتها: «ماذا تعنين؟! أين والدك؟ والدتك؟ إخوتك؟».

بصوت يخنقه البكاء: «والداي متوفيان وليس لي إخوة».

اتسعت عينا مرام وسألتها بلهجة مصدومة: «ألا يوجد لك عم؟ أو خال؟».

بلعت نيللي ريقها بصعوبة وصمتت قليلاً ثم ردت بتردد: «لا أحد ليس لي أحد أنا وحدي».

خرجت الكلمات من بين شفتيها ثقيلة مؤلمة فترقرقت الدموع في عيني مرام وقالت بشفقة: «يا حبيبتي أنت وحيدة!».

هزت نيللي رأسها وعادت لشرودها تفكر في وضعها الحالي وغمغمت: «آخر من كان لدي هو والدي الذي توفاه الله قبل ستة أشهر».

ارتعشت الدموع في عيني مرام وقالت: «حبيبتي ومن سنتصل به من أجلك؟».

تماسكت نيللي وقالت بخفوت: «لا تشغلي بالك بي جزاكما الله خيرًا على ما فعلته أنت وأخوك اشكريه بالنيابة عني».

وحاولت رفع جذعها بصعوبة لتعتدل جالسة؛ لكنها لم تستطع فهتفت مرام: «ماذا تفعلين؟! الطبيب أخبرنا أنك بحاجة للمبيت هنا لمراقبة حالتك (ونظرت حولها تقول) سأبحث عن الممرضة».

عادت نيللي لاستلقائها وراقبت مرام وهي تستقيم واقفة وتابعتها حتى خرجت من الباب المجاور للسري، ثم سمعت صوتها يأتي من الخارج يقول بلهجة مشفقة: «ليس لها أي أحد والدها توفي قبل ستة أشهر».

عبس عصام وسألها باهتمام: «عم أو خال أية أقارب!».

هزت مرام رأسها بينما ناظرها أنس عاقدًا حاجبيه بشك.

وقف ثلاثتهم في صمت حائر في الوقت نفسه اقتربت إحدى الممرضات فأسرعت مرام إليها تقول: «لو سمحت لقد استفاقت المريضة أين الطبيب ليفحصها?».

هزت الممرضة رأسها بما يعني أنه قادم ثم ناولتها ورقة تقول: «هذا الدواء ليس موجودًا بالمستشفى أحضروه للمريضة».

خطف أنس منها الورقة وقال بتحفز: «لماذا؟ أليس هذا مستشفى حكومي؟ (وتطلع في الورقة مضيئًا) ولماذا هذا النوع بالذات وسعره أغلى؟ ما به الأرخص منه».

ردت الممرضة: «هذا ما كتبه الطبيب وليس موجودًا بالمستشفى».

سألها ببرود: «والبديل؟».

زفرت بقلة صبر قائلة: «ليس هناك بديل لهذا الدواء بالمستشفى يا أستاذ».

هم أنس بالجدال معها فأمسك عصام بذراعه بينما استدارت الممرضة نحو الغرفة ليقول عصام: «لا تجادل فأنت تعرف أننا لن نصل لشيء».

ضرب أنس الورقة في كف عصام قائلاً بغیظ: «إذن ابتاعه أنت يا عاقل».

مط عصام شفتيه وقال وهو يتفحص النقود في جيبه: «بكم هو تقريبًا؟ فأنا لم أرزق بشيء اليوم، كما رأيت الميكروباس معطل طوال اليوم».

قال أنس وهو يأخذ منه النقود التي أخرجها ويتفحص محفظته هو الآخر ليضيف على المبلغ: «أنا أيضا الحالة متعسرة فنحن في آخر الشهر كما تعلم لكن سيسرها الله، سأحاول أن أبحث عن بديله أولاً فهذا النوع غالي».

تأثرت نيللي بما سمعته واستوعبت أخيرًا حقيقة أنها دون حقيقة أو هاتف فصدمت، هل وصل بها الحال لأن يتصدق عليها الناس؟!

في خارج الغرفة فتحت مرام حقيبتها تقول بسرعة:

«سأعطيكم من مصروف الشهر».

غمغم أنس قائلاً بلهجة مغتظة: «أنت تخرسين، فأنت جلابة المصائب».

بينما اتسعت عينا عصام وكشر عن أنيابه قائلاً وهو يهم بالانقضا ض عليها: «إذن لا يزال معك من مصروف الشهر يا كاذبة وقد أخبرتني هذا الصباح أننا سنقضي بقية الشهر نأكل التراب حينما طلبت منك بعض النقود».

انكمشت مرام للخلف ترمش بعينيها عدة مرات بينما تدخل أنس يقف بينهما قائلاً: «هدئ أعصابك يا بني كلهن يفعلن كذلك».

غمغم عصام بغيط: «يا عمنا لقد أشعرتني أننا مقبلين على مجاعة في البيت».

قضمت مرام ظفر إبهامها تطالعه بنظرات تدعي البراءة بينما سحبه أنس قائلاً: «هيا لنحضر الدواء (ونظر لمرام قائلاً) وأنت حضري نفسك لأن نرحل حينما نعود».

قالت بشفقة: «وستتركها وحدها؟!».

تكلم عصام وقد عاد لجديته: «ليس هناك ما سنفعله، ما فهمناه أنها ستكون تحت المراقبة لأربع وعشرين ساعة، أي إنها ستبيت هنا وأنا وأنت هنا كل هذا الوقت، وكما ترين أقف بالبدلة الرسمية وأعطل مصالحي، كما أن الطقس ينذر بليلة سيئة».

قبل أن تهم بقول أي شيء قال بلهجة قاطعة: «ولن تستطيعي البقاء هنا وحدك يا مرام، أقولها لك قبل أن تفكري فيها».

قالها واستدار يتحرك مع أنس مبتعدًا.

أطرقت الأخيرة برأسها ثم تحركت تدخل الغرفة وسألت الممرضة التي كانت تقف بالقرب من سرير نيللي: «متى سيأتي الطبيب؟».

ردت الممرضة قبل أن تتحرك نحو سرير آخر: «أخبرناه باستفاقة المريضة وسيأتي إن شاء الله».

اقتربت مرام من نيللي تقول بشفقة: «كيف ستبقيين وحدك هنا؟ وماذا ستفعلين بعد خروجك؟».

قالت نيللي شاعرة بالامتنان الشديد والتأثر لمشاعرها الدافئة خاصة بعد الذي سمعته: «شكرًا لك يا مرام، حقًا لا أعرف كيف أشكرك أنت وأقاربك، وإن شاء الله سأرد لكم معروفكم هذا حين أقف على قدمي».

غمغمت مرام بصدق: «لا تقولي هذا الكلام فبعيدًا عن أنك مثل أختي فأنا أحمل معروفك في رقبتى ليوم الدين».

ابتسمت نيللي ابتسامة واهنة وتمنت أن تتجاوب مع مشاعرها؛ لكنها كانت متألمة نفسيًا وجسديًا وتشعر بالحيرة.

قالت مرام وهي تمسك بذراعها: «هل ستحتاجين لأن أبيت معك؟ سأحاول إقناع أخي لعله يرضى، ولا أعرف إن كانوا

سيسمحون بذلك هنا أم لا لكني سأسأل».

ردت نيللي بلهجة واهنة: «ليس هناك داعٍ لتعطيل نفسك من أجلي».

قالت مرام بعزم وتصميم: «أعدك أن أحضر إليك غداً إن شاء الله سأحاول أن أحصل على ساعة تأخير من العمل وإن رفضوا سأأتي إليك بعد انتهاء الدوام، (ونظرت في عينيها مطمئنة) لا أريدك أن تقلقي يا نيللي أنا معك، هل تريدان أن أحضر لك شيئاً معي؟».

قالت نيللي بخفوت وهي ترفع أنظارها وتحقق في سماء الغرفة العالي: «لا شيء شكراً لقد فعلت الكثير شكراً لك».

وتطلعت في السقف شاردة ما هذه الورطة؟ ولماذا يحدث كل هذا معها؟ لماذا؟!

الفصل الثاني

الوحدة مرة.. والخذلان طعنة سامة تؤلم المطعون.. إن قالوا الحياة صدفة فدعهم يلهثون في متاهات التبرير.. وحدهم المؤمنون بالقدر من يروونه ابتلاءً و(لعله خير).

بعد ساعتين

إنها ترتجف..

هكذا تشعر وهي ممددة في هذا السرير الإسفنجي غير المريح وقد هدا المكان نسبيًا إلا من بعض الثرثرة الجانبية الآتية من أحد الأسرة، كانت ترتجف من الوحدة ومن الخوف، أجل إنها خائفة ويلاحقها ألف سؤال ماذا ستفعل؟ وأين ستذهب؟ إن عادت لشقتها سيصلون إليها وهي لا تريد أن يعرف أحد بمكانها لفترة، تريد أن تبتعد وتفكر بهدوء لتستوعب حجم الصدمات التي تلقتها الأيام الماضية، ثم تقرر ماذا ستفعل في ورطتها وماذا ستفعل في القادم؟

«أ من الممكن أن يبلغوا عنها الشرطة؟!».. «وهل حادثة الدراجة النارية مقصودة؟!».

اتسعت عيناها بهلع وهي تستنكر أن يصل الأمر إلى هذا الحد؟! انهمرت الدموع الساخنة من جانبي عينيها وهي تحديق في سقف الغرفة مغممة بهمس: «ماذا أفعل يا أبي؟ أنا في محنة شديدة.. يا رب أنت وحدك تعلم كل شيء».

من أسوأ اللحظات التي قد تمر على الإنسان هي أن يلتفت حوله فلا يجد أحدًا يمد له يد المساعدة، فقد ازداد شعورها بالوحدة حينما غادرت مرام ومن معها، كانت تشعر ببعض الألفة في وجودهم؛ لكنها لم تستطع أن تطلب منها أن تبقى، حاولت الاعتدال بصعوبة وجلست تتطلع في ساقها الذي وضعت له جبيرة بدءًا من تحت الركبة حتى مشط قدمها بعد أن تم قص بنطالها الجينز بطول الساق حتى الركبة.

تحاملت على الشعور بالألم في أكثر من موضع في جسدها ورفعت ساقها بكلتا يديها وأنزلتها على الأرض، يا الله! إن الأمر أصعب مما تخيلت كيف ستمارس حياتها الأيام المقبلة حتى تنزع هذه الجبيرة؟ لن تستطيع الاتصال بالخالة راجية التي تستعد لزفاف ابنتها في البلدة كي تأتي إليها، دارت بعينيها في الغرفة الكبيرة ماذا تفعل هنا؟ لماذا بقيت ولم تغادر؟ هي ليست بحاجة لمتابعة حالتها كما طلبوا، ولن تتحمل البقاء هنا في مكان غريب تشاركها فيه أخريات.

شعرت بالرغبة في دخول الحمام فتطلعت في الباب البعيد في آخر الغرفة ورأت إحدى المريضات تخرج منه فترددت في الدخول بعدها، المشكلة أنها لا تحفظ أي رقم ممن تعرفهم لتتصل بهم لا أحد كل الأرقام كانت مسجلة على الهاتف، الرقم الوحيد الذي كانت تحفظه كان رقم والدها الراحل، تذكرت أباهما وشعرت بغصة فهي تحمله مسئولية ما يحدث معها الآن، هل ما اكتشفته صحيحًا؟ لا تستطيع أن تصدق أبدًا.. إن هذا كذب بالتأكيد باهي شرف الدين رجل

عصامي شريف لا يفعل ذلك أبدًا.

لمحت الممرضة فناداتها: «يا أختي من فضلك».

اقتربت منها الأخيرة تسألها: «لماذا تجلسين هكذا؟».

كانت تجلس على طرف السرير وقد أنزلت ساقها أرضًا
فقالت: «أريد أن أغادرها لا ساعدتني من فضلك؟».

وفتشت في جيوبها فلم تجد إلا عملة ورقية من فئة
صغيرة، بينما قالت الممرضة: «الطبيب أوصى أن تكوني
تحت المراقبة لمدة أربع وعشرين ساعة ما دمت قد حضرت
فاقدة للوعي، لتأكد من أنك لم تصابي بارتجاج في المخ».

ردت نيللي بإصرار: «أريد أن أخرج أرجوك أنا بخير».

سألها الممرضة وهي تنظر لحالة ساقها: «ألن تنتظري
أقاربك؟!».

صمت نيللي وعادت لشرودها لم تقرر بعد أين ستذهب؟
هل تستقل سيارة أجرة وتذهب لشقتها ثم تطلب من البواب
أن يكسر الباب لأنها فقدت مفتاحها مع حقيبتها؟ حتى وإن
فعلت ماذا ستفعل في التوقيع المطلوب منها غدا؟ وإن
تحجبت بحالتها الصحية قد يحضر لها الأوراق حتى البيت،
ماذا لو رفضت التوقيع؟ هل سيبلغ الشرطة؟ هل لديه الجرأة
لفعل ذلك كي ينتقم منها؟!

قالت الممرضة بشفقة: «لماذا تبكين هل تريدين أن أتصل
بأقاربك.. لقد تركوا معي رقمًا للاتصال».

انتبهت نيللي من شرودها وأدركت أنها بالفعل تبكي فمسحت دموعها، في الوقت الذي كانت فيه مرام تهزول في ممر المستشفى عائدة وعصام يتبعها متأففاً مغتاضاً، لقد أصرت أخته أن تبتاع وجبة من أحد المحلات وألحت عليه أن يعودوا من منتصف الطريق إلى المستشفى حتى تعطيها لنيللي والحقيقة أنه رغم رغبته في العودة للبيت حتى يبدل ملابسه ويقضي بعض الالتزامات المتأخرة كان يشعر بالشفقة هو الآخر على تلك الشابة، التي تدعى نيللي التي ليس معها أحد وتخيل أن مرام أخته مكانها ولا يوجد أحد بجوارها فتألم قلبه.

صاح يلحقها بصوته: «أمامك دقيقتين فقط.. أنا حالي معطل منذ الصباح وها قد أمسى الليل والطقس سيئ بالخارج فخلصيني».

هزت مرام رأسها دون أن تستدير إليه واندفعت تدخل الغرفة نحو أول سرير على اليسار وقالت بحماس: «نيللي حبيبتي.. لقد أحضرت لك طعاماً خشيت ألا يعجبك طعام المستشفى... (وقطعت حديقها لتقول بجزع) نيللي؟! لماذا تبكين؟! هل حدث شيء؟!».

كانت نيللي قد انهارت في البكاء حينما ظهرت مرام أمامها في هذه اللحظة بالذات، تحمل لها طعاماً فتدخلت الممرضة قائلة: «ها قد حضرت قريبتك (واستدارت لمرام تقول) تريد أن تغادر الآن».

حركت مرام أنظارها بين نيللي والمرضة قبل أن تتركهما الأخيرة مغادرة، فوضعت الكيس على السرير وجلست بجوارها تسألها: «لماذا تريدان الخروج قبل الاطمئنان عليك؟».

قالت نيللي وهي تمسح دموعها وتحاول التماسك: «لا أريد البقاء هنا لم أعتد على المبيت في مكان غريب».

قالت مرام وهي تستقيم واقفة: «لا بأس أخبريني بعنوانك ونحن نوصلك».

رفعت نيللي إليها عينيْن دامعتين وأجابت باختناق: «الحقيقة أنا لا أعرف إلى أين أذهب (وأضافت مغممةً) أنا لست من العاصمة أنا من مدينة (..) وجئت اليوم لمقابلة صديق والدي ولم أجده، وبصراحة لا أريد أن أعود لشقتي».

«لماذا؟!» قالتها مرام باندهاش فردت نيللي: «أرجوك مرام لا تسألي عن التفاصيل لأنني لن أستطيع أن أجيبك حاليًا؛ لكن إن أردت مساعدتي (وأخرجت من جيبها السلسلة الذهبية وأضافت وهي تضعها في يدها) هلا بعت لي هذه السلسلة فكما تعلمين حقيبتني ضاعت وكل شيء فيها ضاع وليس معي أية نقود».

تطلعت مرام في السلسلة في كفها لتضيف نيللي: «أنا أعلم أنها خفيفة الوزن لكني بحاجة لأي مبلغ من المال حاليًا كي أستأجر غرفة في فندق».

سألته مرام بعدم فهم: «ولماذا لا تعودين في الصباح

لمدينتك؟!».

صمتت نيللي قليلاً ثم قالت مفسرة: «الشقة الإيجار التي أعيش فيها هناك عليها بعض الخلاف بيني وبين صاحبها».

وشردت قليلاً مفكرةً أن مبلغ السلسلة لن يمنحها إلا أجر غرفة في فندق درجة ثالثة إن أرادت أن تنتظر حتى تنزع الجبيرة، فقالت لمرام التي تحقق فيها باتساع عينيها: «وخذي الخاتم أيضاً (وغمغمت بحزن وهي تنظر إليه) إنه خاتم أمي رحمها الله، المهم بالله عليك اطلبي من أخيك أن يبيعهما وإن كنت تعرفين مكان لغرفة مفروشة للإيجار ف..».

اندفعت مرام تحضنها باكية وقد تأثرت بكونها وحيدة ولا تجد مكاناً للمبيت فقالت لها: «حبيبتي لا تحزني ولا تشغلي بالك سييسر الله كل عسير».

غمغمت نيللي بلهجة حزينة: «أسفة مرام؛ لكن لا أعرف غيرك في هذه اللحظة لأطلب منه هذا المعروف».

أبعدت مرام رأس نيللي عن حضنها ومسحت دموعها وهي تقول: «انتظري قليلاً سأعود إليك».

غادرت الغرفة بينما شردت نيللي وهي تمسح دموعها فينهمر المزيد منها وهي تشعر بالخزي بادعائها أنها من خارج العاصمة؛ لكنها لم تجد ما تقوله فكيف ستفسر لها وضعها الغريب.

في الخارج قال عصام لأخته متخصراً: «نعم؟! تببت

عندنا؟! ما فهمته منك أنك بالكاد تعرفينها وأنها لا تريد أن تفصح عن المشكلة التي جعلتها لا تريد العودة لشقتها».

قالت مرام بتعاطف: «يا عصام البنت في ضائقة وليس لها مكان وتريد أن تبيع سلسلتها وخاتم والدتها من أجل أن تجد غرفة تأويها حتى تدبر أمرها، كما أن الطقس سيئ بالخارج».

ضيق عصام حاجبيه وسألها: «كيف كانت صديقتك أيام الجامعة وهي من مدينة أخرى».

ازداد شعور مرام بالضيق فالكذبة تتعقد وتنجب الكذبة تلو الأخرى خلفها فقالت: «كانت صديقتي أيام الجامعة؛ لكنها كانت مغتربة ليست من العاصمة وتقيم في المدينة الجامعية ولم تكن في الفرقة الدراسية نفسها كان بيننا أصدقاء مشتركون (ثم أسرعت بالقول) أنت البرنس المعروف بشهامته هل ستترك الشابة هنا؟ أم ستتركها تغادر المستشفى وهي لا تعرف أين تذهب؟!».

أطرق برأسه مفكرًا يشعر بالحيرة فمن ناحية يشعر بالشفقة على الفتاة وأخلاقه ورجولته لا يسمحون له بتركها وحيدة بمفردها، ومن ناحية أخرى الحياة على الأسفلت علمته توخي الحذر فهو لا يعرف من هي وماذا خلفها فأغمض عينيه يقول في سره: «الشهامة أم الحذري برنس؟».

في الوقت نفسه كانت نيللي مطرقة الرأس وقد سمعت أطراف الحديث بين مرام وأخيها وشردت في اقتراح مرام بأن تذهب إلى بيتهم واحتارت هل توافق أم ترفض؟

فبالتأكيد لن يجدوا لها غرفة شاغرة بهذه السرعة.

رفع عصام رأسه لأخته يقول وهو يرفع الهاتف على أذنه:
«دعيني أستمير الحاج عارف والدكتور أنس».

بعد نصف ساعة كانت الرياح الشديدة في استقبال نيللي التي خرجت من بوابة المستشفى ترفع ساقها المجبرة عن الأرض وتتحرك مستندة على كتف مرام الأقصر منها وعلى ساعد عصام القوي، في اللحظة نفسها وقف الميكروباس أمام بوابة المستشفى يقوده أنس، الذي كان ينتظرهما بعد أن عادوا من منتصف الطريق بسبب مرام التي أرادت إعطاء الطعام لصاحبتهما، ترجل أنس من مقعد السائق يمط شفتيه بامتعاض فهو على الرغم من أن الحاج عارف قد رحب بإحضار صاحبة مرام للبيت؛ لكن أنس بطبيعته المرتابة المدققة كان معارضاً ويميل لفكرة البحث لها عن غرفة للسكن حتى في هذا الطقس السيئ، فتح عصام باب الميكروباس وقال: «مرام.. أنا سأصعد وسأمد لها يدي وأنت دعميها من الخلف كي تصعد، فباب الميكروباس مرتفع عن الأرض».

علق أنس بلهجة متهكمة لم يفهمها إلا عصام: «لن ينفع يا ذكي.. الحل أن تحملها مرة واحدة وترفعها فوق المقعد».

أحس عصام بالخرج وحجج أنس بنظرة مؤبخة بينما أطرقت نيللي برأسها بخرج أشد منه فتدخلت مرام تقول:
«أنس كلامه صحيح (وسألت نيللي) هل لديك مانع؟».

ظلت الأخيرة مطرقة برأسها وهزتها هزة بسيطة جعلت

مرام تعطي الموافقة لأخيها الذي مال يضع ذراعه تحت ركبتي نيللي والآخر خلف ظهرها ورفعها من فوق الأرض وأسرع بوضعها على المقعد.

بعد دقائق كان الميكروباس يتحرك بأربعتهم، عصام أمام عجلة القيادة بينما أنس على الكرسي المجاور له يقول في الهاتف: «حاضر يا زينة.. حاضر حبيبتي أنا في طريق العودة حسناً آسف على تأخري اليوم».

أما مرام فكانت تجلس بجوار نيللي الشاردة في زجاج النافذة المجاور لها تسأل نفسها هل ما تفعله صائب؟! هل شعورها بالثقة في مرام وأهلها في محله؟! هل يكفي ما فعلته هي وأخوها معها حتى الآن حتى تثق في أنهم أناس طيبون لدرجة أن تذهب لتبيت في بيتهم؟! إنهم على حق فحالة الطقس ستعرقل بيع السلسلة والبحث عن غرفة لها الليلة، ما هذا اليوم العجيب منذ بدايته؟!

تطلع عصام في المرأة الأمامية وسأل نيللي: «لا بد أن تقدمي بلاغاً للشرطة ضد الشخص الذي صدمك».

سيرة الشرطة جعلتها تشعر بالارتباك فقالت بسرعة: «لا داعي فأنا أعترف بأنني كنت شاردة وأنا أعبر الطريق».

لاح الاندهاش على وجهه وقال: «مهما كان الأمر لقد صدمك وهرب بكل رعونة وجبن (ولوح بقبضته يقول من بين أسنانه بغیظ وهو يتطلع في الطريق أمامه) حظه جيد أني لم أمسك به».

قبل أن تجد نيللي ردًا مناسبًا هتفت مرام: «وحقيبتك وهاتفك لا بد أن تبغني عن ضياعهما خاصة أوراقك الرسمية».

بلعت نيللي ريقها الجاف وهزت رأسها تقول: «لديك حق إن شاء الله سأفعل ذلك في أقرب فرصة فكما ترين وضعي الحالي».

ساد الصمت فتطلعت نيللي أمامها في الطريق المظلم وراقبت الشجر الذي تتمايل غصونه بفعل الرياح الشديدة، فضمت سترتها حول نفسها لتقلل من الشعور بالارتجاف والوحشة، إن الطقس مخيف أو ربما هي التي تشعر بالخوف وهذا ليس من طبعها إنها نيللي شرف الدين ما الذي هز ثقتها في نفسها إلى هذه الدرجة؟!

ضغط عصام على مشغل الصوت في الميكروबाص وصدحت إحدى أغانيها المفضلة لفرقة (مسار إجباري) ولم تعلم بأنها أغنية عصام المفضلة أيضًا التي كان يستمع إليها صباحًا أثناء طريقه للمقابلة الشخصية، فسندت رأسها على زجاج النافذة البارد وشردت في الطريق الموحش أمامها تتساءل بقلق ترى ماذا ينتظرها في الغد؟!

زيك أنا مقسوم ما بين الضفتين

بعد ساعات وساعات يرجعني الحنين

أوقات بحس إننا شمس وقمر

طريقين سفر.. ما بيتلاقوش

أغراب ما بين كل الوشوش

أمام إحدى البنايات في منطقة سكنية تضم فئات من الطبقة الوسطى وقف الميكروباس وعلى الرغم من الطقس السيئ فإن الشارع لم يكن خاليًا تمامًا فغمغت مرام: «يا إلهي ظننت أن الرياح الشديدة ستجعل الشارع خاليًا».

لم تفهم نيللي مقصدها فقد كانت مرتبكة تشعر ببعض التردد لما هي مقبلة عليه، وتساءل نفسها للمرة التي فقدت عددها لماذا قبلت؟ كان من الممكن أن تصر على أن يبحثوا لها عن غرفة في فندق؟ لماذا تشعر أنها تعاني عدم اتزان وهذا ليس من شيمها.

نزلت مرام من الميكروباس واستقبلهم عند بوابة البناية شاب مراهق في السابعة عشر يمسك بكرسي بلاستيكي في يديه ووقف يحدق في نيللي فاغر الفاه متسع العينين، لم ينبهه لحالته إلا ضربة من يد أنس على مؤخرة رأسه فنظر له باستنكار ليقول أنس من بين أسنانه: «عيناك يا محترم؟».

هرش خلف رأسه بينما قال عصام ببعض العبوس: «ضع الكرسي في داخل البناية يا مراد.. وأفسح مجالاً لندخل».

أسرع مراد بالتنفيذ بينما سألت نيللي بهلع «علام تنوون بالضبط؟!!».

رد عصام بصوت هادئ: «شقتنا تقع في الطابق السابع ولا يوجد مصعد.. وليس أمامنا إلا أن نجلسك على الكرسي ونحملك أنا وأنس».

أسرع أنس بالقول مستنكراً: «تقصد أنت ومراد هذا الذي أصبح طولي سيسعده المساعدة جدًا».

ابتسامة بلهاء ارتسمت على شفتي مراد المماثل في الطول لعصام وأنس.. بينما ناظر عصام أنس بغيظ وتحرك ليقف أمام باب الميكروباص ورفع نظراته لنيلي يمد يده لها.

نظرته العابثة على وجهها وكفه الممدود أمامها أصابها برجفة وارتباك بينما قال صوته الهادئ: «هل أحملك أم ستحاولين النزول؟».

مدت مرام هي الأخرى لها يدها فنظرت نيلي للكفين الممدودين أمامها ثم مدت يديها لتمسك بمعصمي الاثنين وتحاول النزول بساقها السليمة، كانت المهمة مجهدة ومؤلمة؛ لكنها نجحت في النزول أخيراً لتقف على قدمها السليمة بينما الأخرى مرفوعة عن الأرض وبمساعدة الاثنين خطت بضع خطوات إلى داخل البناية حتى استقرت جالسة على الكرسي البلاستيكي وهي تتطلع حولها بتردد متسائلة كيف سيحملونها لسبعة طوابق؟!

أمسك عصام أنس من قفاه قبل أن يبتعد ودفعه ليحمل الكرسي معه، فامتثل الأخير مرغماً وساعده في رفع الكرسي ثم بدأت الرحلة الشاقة للصعود نحو الطابق السابع مما جعل

نيلى تغطى وجهها من الحرج وهى تشعر بمشقة أن يحملاها بهذا الشكل، ووبخت نفسها فى سرها أن وافقت من الأساس على أن تتقل على أناس لا تعرفهم صحيح هى فى موقف صعب وكأن الظروف كلها تشكلت كى تذهب معهم لكن كان من الممكن أن تصر على أن يجدوا لها غرفة مفروشة.

عند الطابق الرابع أنزل الشابان الكرسي ووقفا يلتقطان الأنفاس فقالت نيلى بحرج شديد: «أنا آسفة جدًا.. أنا لا أجد ما أقوله لكما أنا..».

تكلم أنس بلهجة هازئة مقاطعًا: «ربما لو طلبت من عصام أن يحملك لبقية الطوابق.. آهههههه».

تأوه قصير أطلقه حينما نكزه عصام من خلف ظهر نيلى شاعرًا بالحرج، فبلع لسانه ومعه الابتسامة الشريرة التى ألحت لتظهر على شفثيه بينما قال مراد من خلفهم: «إن كنت قد تعبت فدعني أساعد مكانك».

غمغم عصام بمزاج عكر: «لا يا مراد.. هو من سيحمل معي».

تكلمت مرام التى تنظر حولها بارتباك: «اخفضوا أصواتكم لا نريد أن نلفت الانتباه سنخضع لسين وجيم من الجيران».

لكز عصام أنس ومال الاثنان ليرفعا الكرسي مرة أخرى صاعدين وخلفهما مراد ومرام، بمجرد أن وصلوا للدور السابع قالت مرام بهمس: «ادخلوا بسرعة قبل أن تلمحنا أم بيسو».

لم تكذ تكمل عبارتها حتى سمعوا صوت باب الشقة المقابلة

يُفتح فكتهم عصام وأنس ومراد الضحك وهم يدخلون للشقة التي كان بابها مفتوحاً في انتظارهم في الوقت نفسه الذي طلت امرأة أربعينية من الشقة الأخرى تقول لمرام: «مساء الخير مرام حبيبتي من هذه وماذا حدث؟».

ابتسمت مرام ابتسامة مجاملة وردت: «هذه؟ هذه قريبتنا من البلدة».

تطلعت المرأة في الباب المفتوح ثم سألتها بفضول معروف عنها: «ولماذا كانوا يحملونها هكذا؟».

ردت مرام محتفظة بالابتسامة نفسها: «لأنها قامت بعملية جراحية في ساقها بعيد الشر عنك».

رددت أم بيسو بتعاطف: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

قالت مرام وهي تمسك بباب شقتهم: «من بعد إذنك يا خالة أم بيسو».

حين استقر الكرسي على الأرض في وسط صالة مقسمة لقسمين، قسم على اليمين بضوء خافت وآخر في واجهة باب الشقة، أحست نيللي بالمزيد من الحرج والكل يحدق فيها، فقالت امرأة طاعنة في السن بلوعة من جلستها فوق أريكة في آخر الصالة: «مرام حبيبتي كيف كسرت ساقك؟!».

أسرعت مرام نحوها تربت على ظهرها قائلة: «ليست أنا يا جدتي».

فتدخل رجل خمسيني قائلاً: «قلت لك صاحبتها يا أمي (ثم

توجه نحو نيللي يقول بلهجة حانية) ألف لا بأس عليك يا ابنتي».

بعينين دامعتين هزت نيللي رأسها وقالت بصوت خرج مخنوقًا بالبكاء: «أشكرك وأعتذر أنني فرضت نفسي عليكم (ومدت يدها تسلم عليه) أنا نيللي شرف الدين صاحبة مرام».

قالت مرام: «هذا أبي عارف شلتوت وهذه جدتي روح الفؤاد».

تدخل مراد يقول بابتسامة بلهاء: «وأنا مراد عارف».

هزت نيللي رأسها بتحية صامتة لتقترب طفلة في السابعة منها تقول: «وأنا زينة».

ابتسمت نيللي ابتسامة ضعيفة فمد لها عصام ساعده قائلاً بعبوس: «هيا لننقلك لغرفة مرام».

رفعت نيللي إليه أنظارها ثم أخفضتهم وهي تضع يدها على ساعده وبمساعده هو ومرام وقفت وبدأت في التحرك نحو الداخل.

شدت زينة كم سترة أنس فمال إليها لتهمس وهي تقرب كفيها من فمها: «من هذه الفتاة الجميلة يا أبي».

اتسعت عينا أنس يتصنع المفاجأة ثم همس لها قائلاً: «هل هي جميلة حقًا؟».

هزت رأسها مؤكدة وهمست: «بالطبع ألا تراها جميلة؟!».

نظر لها وقال وهو يدغدغها: «أنا لم أر حتى الآن أجمل من زينتي».

تلوت وهي تضحك قائلة: «ما زلت أخاصمك لأنك تأخرت والآن ستنزل للصيدلية وتتركني».

قال أنس وهو يمسح شفتيه بتبرم طفولي: «الجميلة خاصتك هي من أخرجتني عن الأجمل منها للأسف».

دخلت نيللي أخيرًا إلى غرفة بها سريرين فجلست على السرير الأقرب للباب، ثم أسرع عصام بالمغادرة لتقول مرام: «استريحى وسأجلب لك منامة لتبدلي فيها ملابسك، أنت أطول قليلًا مني وأرشق لكن أعتقد أن ملابسى ستناسبك».

لم تستطع نيللي الرد بينما جاء صوت عصام ينادي على مرام من الخارج فأسرعت وهي تقول معذرة: «سأعود إليك».

خرجت مرام ليستقبلها عصام قائلاً: «سأبدل ملابسى لأن عندي موعد آخر.. هلا أعددت أي لقمة أنا لم أكل منذ الصباح».

هزت رأسها بالإيجاب ليقول أنس: «وأنا ذاهب للصيدلية لقد تأخرت على الدكتور فياض».

قال عارف: «ألن تأكل يا أنس؟».

رد الأخير قائلاً: «سأبتاع أي شيء في طريقي».

قالت مرام وهي تتحرك نحو المطبخ: «أنتظر سأعد لك سندوتشات سريعة».

هز رأسه رافضًا بينما أمسكت فيه زينة بتدل ليبقى.

في الوقت نفسه تركت روح الموجودين وتحركت بقامتها القصيرة المنحنية متجهة للداخل، فدخلت الغرفة على نيللي التي استلقت فوق السرير تحقق في السقف في حالة من الذهول وصاحت: «ماذا تفعلين في غرفتي؟!».

انتفضت نيللي جالسة تطالعها باتساع عينيها دون رد، لتقول روح وهي تشيح بيدها: «هذه غرفتي هيا أخرجي».

في الخارج أغمض عصام عينيه وطحن ضروسه، بينما أسرع مرام نحو الغرفة تقول بمهانة: «جدتي هذه ضيفة وستبقى في سريرى أنا ولن تقترب من سريرك».

طالعت المرأة نيللي بعبوس ثم قالت متخصرة: «وماذا لو سرقت أشياءي؟!».

ربت مرام على ظهرها وقبلت كتفها تقول: «لا تقلقي أنا سأخفي لك أشياءك ولن يعرف أحد مكانها».

شعرت المرأة العجوز ببعض الراحة، فتحركت مع مرام للخارج وهي تحدج نيللي شذرا بينما نظرت مرام للأخيرة بنظرات محرجة معذرة قبل مغادرتها للغرفة.

في الخارج استقبل عارف أمه قائلاً: «لماذا انفعلت عليها يا أمي؟!».

هتفت العجوز تقول لابنها موبخة: «أسكت أنت.. ألا يكفي أنك تركت الأغراب يقتحمون غرفتي!».

غمغم مراد متهكمًا: «الدور على أبي الآن في التوبيخ». ناظرته روح بعينين ناريتين بينما تدخل عصام يقول وهو يبعد مراد بعيدًا عن جدته: «احترم نفسك وابتعد من هنا». تدخل عارف يقول لأمه بمهادنة وهو يحيطها بذراعه: «ما رأيك أن تبיתי معي في غرفتي يا أمي؟». أبعدت روح ذراع ابنها عنها وقالت بعناد: «لا لن أترك غرفتي للأغراب».

كانت أعينهم تختلس النظر نحو الممر المؤدي للغرف، شاعرين بالحرج فقال أنس من وقفته بجوار باب الشقة: «ما رأيك في أن تبיתי معي يا روح؟».

ناظرته بقرف وهي تقول: «تريدني أن أبقى في بيتك الذي يشبه المقبرة؟! كما أنك طول اليوم بالخارج وسأبقى وحدي».

هتف أنس شاعرًا بالإهانة: «أنا بيتي مقبرة يا جدتي؟!». غمغمت بفم ملوي: «البيت الذي ليس به امرأة هو مقبرة». رد ساخرًا: «بل المكان الذي به النساء هو المقبرة (وتنحني يقول مستدركا وهو يختلس النظر نحو مرام) لا تؤاخذيني مرام».

ابتسمت له الأخيرة ابتسامة ممتعة، بينما رفعت له زينة وجهها تقول: «أبي أنا أيضًا نساء».

قال مداعبًا: «بل أنت ملاكي الجميل».

تدخل عصام يقول بجدية: «لن تقدر جدتك على نزول وصعود السلم يا دكتور».

غمغم أنس بلهجة ساخرة وهو يشير بعينه للكرسي البلاستيكي: «الكرسي موجود يا حبيبي أم أنه لأناس معينين».

حدجه عصام بنظرة مُعنفة بينما قالت مرام بترج: «اخفضوا أصواتكم أرجوكم يكفيننا فضائح ولا تشغلوا بالكم أنا سأنام في أي مكان».

قال عصام: «نامي في غرفتي مع مراد وأنا سأنام بالصالة».

تدخل عارف قائلاً: «ولماذا لا ينام مراد معي ومرام مع عصام؟!».

نظر له مراد باستنكار فعلق عصام: «بل ينام مراد في الصالة وأنا ومرام ننام في غرفتي».

ناظره مراد باستنكار آخر فتدخل أنس قائلاً: «ولماذا لا ينزل مراد لينام في شقتي؟!».

اتسعت عينا مراد بينما اعترضت زينة قائلة بقوة: «لا.. مراد لا».

حدج الأخير زينة شذراً ثم صاح منفجراً في الجميع: «هل أنا دمية بين أيديكم؟! أنا لن أترك غرفتي أو سريري لأحد.. آسف».

رفع عصام قبضته يلوح بها في وجه الأخير مغتاظاً بينما قالت مرام: «يا جماعة اخفضوا أصواتكم أرجوكم لا يصح هذا».

غمغم أنس وهو يفتح الباب مغادراً: «إذن تعالى أنت يا عصام عندي بالأسفل».

رد عصام: «أنت ليس لديك إنترنت مفتوح وأنا أحججه من أجل التصاميم التي أعمل عليها طوال الليل».

كانت نيللي تسمع كل ما يقال بالخارج وتأثرت به وفي الوقت نفسه شعرت بالذنب الشديد، فتحاملت على نفسها بصعوبة وأمسكت بالحائط لتقفز عدة خطوات على ساق واحدة حتى أصبحت خارج الغرفة وقالت عبر الممر: «أنا لا أعرف كيف أعذر لكم عما سببته لكم.. إن شاء الله سأغادر في الصباح».

التفت الجميع إليها لتسرع مرام نحوها قائلة: «لا تقولي هذا حبيبتي».

قالت نيللي: «أنا سأنام في الصالة أرجوك مرام».

تدخل عارف قائلاً: «لا يصح بنيتي كما أن الأمر بسيط فالمكان يسع الجميع».

قالت مرام وهي تمسك بيدها لتدخلها الغرفة من جديد:
«لا تقلقي أنا لن أترك الغرفة وسأبقى معك أنت وجدتي..
استريحي الآن وكلي الوجبة الموجودة بالكيس مع الأدوية».

بعد قليل كان مراد يصيح باستنكار: «بطاطس مقلية
وسلطة فقط؟! هذا هو الطعام بعد يوم طويل لم أكل فيه يا
عالم!».

حدجته مرام بتوبيخ وردت ببرود: «ومخلل.. لا تنسى
المخلل».

بينما قال له عصام وهو يكور أصابع البطاطس في رغيف
ويأكل منه بجوع من وقفته بجوار المنضدة: «قل الحمد لله
وكل».

زفر مراد بغيظ بينما راقبت مرام والدها المصاب بالشلل
في ذراعه الأيسر الذي يحاول أن يتعامل مع الطعام ويجاهد
لعمل الساندويتش، فتدخلت قائلة بلطف: «سأقوم بعمل
سندوتشات لأبي ولأنس لكن سأعطي جدتي طعامها أولاً».

كانت روح متفوقة على أحد المقاعد أمام شاشة التلفاز
تتابع فيلمًا أجنبيًا من أفلام الضرب والحركة فاقتربت منها
مرام تعطيها الطبق قائلة: «صنعت لك البطاطس مهروسة يا
جدتي».

ابتسمت لها الأخيرة بامتنان وهي تتناول منها الطبق وتعود
للمتابعة باتساع عينيها، لتسرع مرام عائدة نحو منضدة
السفرة وتساعد والدها في عمل سندويتشًا له فابتسم

لها عارف بامتنان، قالت مرام لأخيها الأصغر: «سأصنع ساندويتشات لأنس اذهب واعطها له في الصيدلية».

هتف مراد بفم مملوء بالطعام معترضًا: «ولماذا أنا.. أنا لست متفرغًا».

قال عارف بتحفز: «منشغل بماذا إن شاء الله؟! ألا يكفي أنك لا تذاكر».

غمغم الأخير: «لقد ذاكرت.. ألم أكن في درس خاص اليوم».

تدخلت مرام لتمنع بداية مشادة مسائية متكررة بين والدها ومراد: «انزل لأنس فالأمر لن يأخذ منك خمسة عشر دقيقة».

قال رافضًا: «آسف لن أنزل وأصعد كل هذه الطوابق من أجل السيد أنس كما أنني عندي مباراة على الإنترنت مع أصدقائي بعد قليل، اتصلي به يرسل أحد الصبية وأنزلي له الطعام بالسبّث».

كاد عارف أن يفعل لكن عصام أسرع بالتدخل وهو يتبادل النظرات مع مرام قائلاً: «أنا سأخذها في طريقي (ودفع أخوه مضيئًا) اذهب وكُل في أي ركن وأغلق فمك هذا».

نظر مراد بتردد نحو مرام فأشاحت بوجهها بغير رضا، ليطلق هو زفرة حائقة فهو لا يقوى على أن تغضب منه ثم قال: «حسنًا سأذهب يا مرام لا تلوي فمك».

قال عصام بلهجة قاطعة وهو يعدل من ملابسه، بنطال من الجينز وتيشيرت خريفي فوقه ستره جلدية سوداء: «قلت أنا

سأخذ الطعام إليه في طريقي».

دلف عصام إلى الصيدلية الصغيرة التي يعمل بها أنس مساء في الحي نفسه، وتطلع فيه وهو جالس على المكتب أمامه بعض الأوراق ويدون أشياء من الهاتف فقال بسرعة وهو يضع كيسًا فوق زجاج الطاولة: «هذا لك».

رفع أنس رأسه وسأله: «ما هذا؟».

رد عصام: «مرام أرسلت لك طعامًا».

قال أنس وهو يستقيم واقفًا: «لماذا أرسلته لقد ابتعت علبة (كشري)».

قال عصام وهو يتحرك مغادرًا: «أنت تعرفها حينما ثصر على شيء أنا سأذهب تأخرت على صاحب المطبعة».

قال أنس بسرعة: «لم تخبرني ماذا فعلت في مقابلة اليوم؟».

استدار إليه عصام بلامح واجمة فقال أنس وقد فهم الإجابة: «فهمت.. ترى ماذا كان السؤال التعجيزي هذه المرة؟!».

غمغم عصام من بين أسنانه: «لو كنت حيوانًا فأني حيوان ستكون؟».

مط أنس شفتيه وقال متهكمًا: «ما شاء الله! أنت تحتاج لأن

تكون منجمًا لتتوقع هذه الأسئلة».

أضاف عصام بغيظ: «دعك من هذا السؤال فإجابة كل الأسئلة لا يضمن لي وحده القبول؛ لكنهم أدخلوا شخصًا قبلي على الرغم من أنني حضرت أولاً وحين سألت بكل لباقة وتهذيب قيل لي أسبابًا لا تقنع طفلًا صغيرًا ثم خرج مدير الموارد البشرية بنفسه يودعه على باب مكتبه وهو يقول (أبلغ تحياتي للسيد فلان) هذا بخلاف نظرات الاستهانة والاستفزاز التي كان يتعامل معي بها طوال المقابلة والاستخفاف بي لأنني أعمل سائق ميكروباص».

«ولماذا أخبرته؟!» قالها أنس باندهاش فرد عصام موضعا: «سألني ماذا كنت أفعل خلال الست سنوات الماضية بعد أن تركت آخر شركة أعمل بها».

قال أنس بغيظ: «كنت اخترعت أي حجة».

زفر عصام وهو يفرك أصابعه في شعره الأسود وقال بضيق: «أنا ذاهب.. عد لما تفعل.. هل تذاكر؟».

هز أنس رأسه وقال: «أدون بعض الملاحظات من بنك المعرفة».

هز عصام رأسه وسأله: «متى موعد القضية؟».

رد أنس ساخرا بمرارة: «تقصد متى موعد تأجيل القضية فهي تؤجل كل مرة».

قال عصام باختناق وهو يتحرك مغادرا: «حقك لن يضيع

عند الله إن شاء الله السلام عليكم».

خرج عصام وترك أنس منكس الرأس يديه في جيبي بنطاله يتطلع في الأرض شاعرًا بالضيق فسيرة القضية دوامًا ثقل عليه المواجه، ثم سحب نفسًا طويلاً بعد دقائق وأخرجه ببطء وتحرك ومعه كيس السندوتشات عائداً إلى المكتب.

نظر في بعض الأوراق الخاصة برسالة الدكتوراه التي يعدها ثم نظر لعبة الكشري البلاستيكية وعاد للكيس في يده يفتحه ويتطلع في محتواه من البطاطس المقلية والمخلل، ليقضم من أول سندويتش قضة كبيرة بجوع وهو يجلس مكانه أمام المكتب ليكمل ما كان يفعل.

- «أريد فخذًا كبيرًا هل سمعت؟ فخذ كبير يملأ العين».

قالها الجزار وهو يقف أمام مطبعة صغيرة مع عصام الذي كان متقبضًا إلى جانبيه يطحن ضروسه ويمارس أقصى درجات ضبط النفس، بينما تدخل صاحب المطبعة يقول مهدئًا الجزار: «كل ما تريده من تعديلات على المنشور الدعائي للمحل سيُنفذ يا معلم (وبابتسامة عصبية قال لعصام) أليس كذلك يا برنس؟».

رد عصام بهدوء وهو يتطلع في وجه الرجل المقلوب: «يا معلم حسونة المنشور الدعائي واضح لأي كفيف أنه عن محل يبيع اللحوم.. والاسم واضح (جزارة المعلم حسونة وأولاده)

ليس ضروريًا أن نضيف هذه الـ(فخدة)».

قال الرجل بإصرار: «يا عم البرنس أنا يهمني أن أجذب عين الزبون، فيسيل لعبه ليشتري اللحم ولهذا أريد أن أضع صورة فخذ عجل كبير في أول صفحة».

أشاح عصام بوجهه مغمغماً من بين أسنانه بخفوت ساخر: «والله اللحم بالذات لا يحتاج للدعاية ولا الإغراء لشرائه، يحتاج فقط للنقود ولن يزيد حجم فخذ اللحم الزبون الفقير إلا سخطاً».

- «بم تحدث نفسك؟».

سأل الرجل بغباء فعاد عصام ينظر له ثم قال بعد أن سحب نفساً طويلاً يعينه على ضبط أعصابه: «أقول حاضر يا معلم حسونة.. أكبر فخذ عجل سيزين المنشور إن شاء الله، أي تعديلات أخرى؟».

قال حسونة: «نعم.. أريدك أن تكبر اسم المحل في المنشور أريده ضخماً، ولون الصفحات أحمر كلون اللحم».

رفع عصام حاجبيه قائلاً: «أحمر!! حاضر».

تدخل صاحب المطبعة يقول للمعلم بدبلوماسية: «إن شاء الله غداً آخر النهار ستكون الكمية مطبوعة وجاهزة يا معلم حسونة».

ناظره عصام بغيظ بينما أسرع حسونة بإلقاء السلام والمغادرة بعد أن قال: «يأذن الله».

راقب عصام ابتعاد الرجل ثم استدار لصاحب المطبعة الذي يغلق أبوابها استعدادًا للرحيل: «لماذا أخبرته بموعد التسليم في الغد؟ متى سأقوم بالتعديل أنا وأسلمه لك يا حاج؟».

رد الرجل ببرود: «اسهر عليه اليوم وابعثه مع أي شخص في العاشرة صباحًا إن لم تستطع الحضور وكما اتفقنا يا برنس، لا نريد تفلسف على الناس، نحن نطبع ما يريده الزبون حتى لو كان في نظرك بشع وسيئ (ورفع ذقنه مضيئًا ببعض العنجهية) عليك بالالتزام بذلك وإلا كما تعلم المصممون كثر يبحثون عن وظائف».

طريقته استفزت عصام فأمسك بيد الرجل ووضع فيها المنشور بعنف قائلاً بلهجة خطيرة: «ما دام المصممون كثر فابحث لك عن واحد منهم».

قالها وهو يستدير مغادرًا فأسرع الرجل بالإمساك به قائلاً ببعض الدبلوماسية: «إلى أين يا برنس يا حبيبي أنت الفنان».

قال عصام ساخرًا: «لا لست كذلك في نظرك؛ لكنك تعلم أنني أتهاون معك في الأسعار وأنجز لك ما تريده بشكل أسرع، عمومًا سأنتهي من هذا التصميم في الوقت المحدد ولنرى بعدها ماذا سيحدث».

رمش الرجل بعينه قائلاً بغباء: «ماذا سيحدث يا برنس؟».

قال عصام بجدية: «اسمي المهندس عصام عارف يا حاج لقب البرنس هذا يدعوني به سائقي الميكروباس وأنت تعلم ذلك».

قالها وتحرك مبتعدًا بينما قال الرجل بتزلف: «أنت الفنان..
يا برنس أقصد يا باشمهندس».

دس عصام يديه في جيب سترته الجلدية وسار في طريقه
بخطوات عصبية غاضبة.

إلى متى سيستمر هذا الوضع؟ إلى متى سيظل معذبًا؟ لو
كان العمل كسائق يدر عليه دخلًا كافيًا لأن يحيا حياة كريمة
هو وأسرته لوأد حلمه أن يعمل مصمم جرافيك في شركة
محترمة وتحمل طبيعة عمله الحالي التي تتطلب منه التعامل
مع بعض الأنماط والفئات التي لا تشبهه؛ لكنه مضطر أن
يتكيف معهم ويجد لنفسه مكانًا بينهم.

إنه يعاني من الناحيتين عمله على سيارة ليست ملكه
يقتسم دخلها بينه وبين صاحبها الذي حدد مبلغًا يوميًا
مرتفعًا وثابتًا يحصل عليه مهما كان إيراد اليوم، والثاني
شغفه الذي يريد أن يمارسه أن ينطلق فيه عالم الصور
والألوان والتصاميم والإعلانات، ذاكرته البصرية ذكرته
بصورة ذلك الإعلان الذي كان معلقًا على الحائط صباح اليوم
رجل مقلوب معلق من قدميه وسط لوحة صاخبة الألوان إلى
حد مزعج.

إلى متى سيظل يلف في هذه الحلقة المفرغة إلى متى يا
الله؟!

بعد ساعتين

اقتربت مرام من جدتها التي غفت أمام التلفاز فأغلقتة ورفعت نظارتها من على وجهها ثم أيقظتها لتنام في مكانها، فقالت روح معترضة: «الفيلم لم ينته بعد البطل كان سينتقم».

ربت مرام على ظهرها وقالت وهي تقودها للداخل: «كفى أفلام يا جدتي لقد شاهدت الكثير اليوم عمومًا سيعاد في الصباح».

في الغرفة تطلعت نيللي في مرام التي تدخل تسند جدتها وراقبتها وهي تقودها كطفلة صغيرة نحو السرير الملاصق للحائط وتدثر جسدها الضئيل بالأغطية، قبل أن تستدير إليها قائلة: «لماذا لم تنامي حتى الآن؟».

جاء صوت مراد من الخارج يصيح بانتصار، فأضافت مرام معلقة: «سأطلب من مراد أن يلعب في غرفته ويخفض صوته وسأغلق لك الباب».

قالت نيللي بسرعة: «لا أرجوك اتركي الجميع على راحتهم أنا لست قادرة على النوم ربما لتغيير المكان (ثم سألتها بفضول) كم عمرك مرام؟».

أجابت مرام: «ستة وعشرون.. وأنت؟».

ردت نيللي: «تسعة وعشرون».

غمغمت الأخرى: «حمدًا لله خفت أن يكون بيننا فرق كبير

في العمر ويكتشفون أننا لا يمكن أن نكون قد تقابلنا في الجامعة».

ابتسمت نيللي ثم سألتها: «ألن تنامي؟».

أجابت مرام: «سأنتظر حتى يأتي أنس ويأخذ زينة ثم أنام».

لم تفهم نيللي إلى أين سيأخذ أنس زينة؛ لكنها هزت رأسها فانسحبت مرام بهدوء وهي تغلق الباب خلفها وتوجهت للصالة حيث ذلك الركن خافت الإضاءة المفتوح على الصالة الأخرى، الذي يحتوي على صالون قديم يستخدم عادة لاستقبال الضيوف،

وقفت تتطلع في مراد الذي يتمدد على إحدى الأرائك يلعب لعبة على هاتفه فقالت له بتوبيخ: «صوتك عالٍ وجدتك نائمة.. ثم إنني أخبرتك عشرات المرات ألا تجلس في هذه المنطقة حتى لا تتلف الأرائك».

قال بلهجة ساخرة وهو مشغول بما يفعل: «إنها تالفة وقديمة بالفعل يا مرامي».

ردت عليه ساخرة: «لهذا لا تزيد من إتلافها».

قال بعناد المراهقين: «لن أتزعج عن مكاني فاغربي عن وجهي الآن فأنا مشغول».

شعرت مرام بالغضب وابتأست ملامحها من أسلوبه الوقح؛ لكنها لم يكن لديها طاقة نفسية لتوبيخه بعد يوم مشحون

متعّب للأعصاب فصمتت وانسحبت للخلف بوجه واجم دون تعليق، تصنع مراد عدم الاهتمام؛ لكن عينيه اللتين تتابعان ابتعادها فضحتاه إنه لا يحب أن يحزنها هي بالذات؛ لكنه في الوقت نفسه يشعر أن هناك ما يدفعه لمخالفة كل شيء.

غطت مرام زينة التي استسلمت للنوم على أريكة الصالة ولولا أن سريرها مشغول لطلبت من أنس أن يتركها لتنام معها هذه الليلة بدلاً من الخروج بها في هذا الطقس البارد، مسدت على شعر زينة بحنان جارف وتأملتها بعينين غائمتين كيف أنها تكبر يوماً بعد يوم، ثم مالت لتطبع قبلة على خدها وتوجهت بعدها إلى غرفة والدها لتطمئن عليه، طرقت الباب فقال عارف: «ادخلي يا مرام».

فتحته ووقفت تقول بابتسامة حلوة تزين وجهها الأبيض المستدير: «كيف تعرف دوماً أنني مرام؟».

بيده السليمة وضع الكتاب الذي كان يقرأ فيه جانباً ورد: «كل واحد منكم له دقة تخصه أنتِ تطرقين الباب برفق وحنان، أما عصام فيطرقة طريقة جادة صريحة وزينة تنادي (جدي.. جدي) بإلحاح، أما ذلك التيس فهو يشعرني بصوته الجمهوري أنه قادم ليقبض علي».

ضحكت بخفة فتأملها عارف وقال بقلق: «ما بك؟».

كانت تحضن نفسها في وقفاتها أمامه دون أن تدري الحقيقة أنها لم تتوازن نفسياً حتى الآن بعد الموقف الذي تعرضت له ظهر اليوم، ولولا الأحداث التي تلت ذلك وألتهتها لا

تعلم كيف كان اليوم سيمر عليها، ردت بابتسامتها المعهودة:
«جئت لأتدل في حزن أبي».

قالتها وهي تتحرك لتجلس بجواره فحاطها عارف بذراعه
السليم لتنام على صدره وتنكمش مقاومة رغبة قوية في
البكاء.

سألها عارف: «ألا يزال مديرك يتعامل معك بغلاظة؟»
ابتسمت ابتسامة متوترة وردت: «منه لله لن أقول غير
ذلك».

ربت عليها يشعر بالضيق لم يكن يريد أن يخرج للعمل،
كان يتمنى أن تعيش مدلة في خير والدها وفي بيته،
فيكفيها المسؤوليات التي ألقيت على عاتقها في سن صغيرة
جداً بعد وفاة والدتها؛ لكن أين هو خير والدها هذا؟ فهو لم
يستطع أن يحقق لها ذلك لا وهو يعمل ولا بعد أن ترك العمل.

قَبَل رأسها في مواساة صامتة يخفي مشاعر الإحباط
والقهر في الوقت الذي دق باب الشقة ثم انفتح فاعتدلت
تقول: «أتمنى أن يكون أنس مع عصام حتى يأخذ زينة.. أريد
أن أنام».

قال عارف مشفقاً: «إن لم يكن معه اتركها مع عصام أو مع
مراد فهو يسهر على الإنترنت طوال الليل، وادخلي أنت نامي
بنيتي».

أتى صوت عصام من الخارج يقول: «معي أنس».

دخل أنس إلى حيث تنام ابنته فحملها لتقول مرام من الداخل: «دثرها بالغطاء جيدًا حتى لا تبرد وأعد لي في الصباح».

غمغم أنس وعصام يساعده في تغطية ابنته التي حملها: «حاضر.. حاضر».

أوصله عصام إلى الباب فاستدار إليه أنس يقول بصوت خافت: «بالمناسبة أنا لست مستريحًا لما تقوله الأخت شريهان هذه كلامها فيه غموض».

صح له عصام قائلًا: «نيللي يا عمنا.. اسمها نيللي».

رد الآخر ساخرًا: «نيللي أو شريهان كلها فوازير وألغاز وهذه البنت وراءها لغز».

هز عصام رأسه وقال مؤيدًا: «أنا أيضًا أشعر أنها تخفي شيئًا لكنني أشعر بالشفقة عليها والتعاطف معها وأصدق أنها ليس لديها مكان لتذهب إليه حقًا».

قال أنس وهو ينزل على السلم: «عمومًا حاول ألا يطول بقاؤها هنا».

أغلق عصام الباب بعد مغادرة أنس وأخذ يفكر في تلك السمراء التي تببت لديهم، فبعد مرور اليوم بأكمله بدأ يسترجع كل التفاصيل ويدقق فيها ويرتبها في رأسه قطعة بجوار الأخرى إن بها شيئًا غامضًا ويثير فضوله، خرج بعد قليل من غرفته بعد أن بدل ملابسه لأخرى بيتية مريحة

وسار في الممر الذي يجمع غرف البيت الثلاث والمطبخ والحمام تحرك فيه بحرج وطرف عينه يتأكد من أن باب غرفة مرام مغلق، فتحرك مراد تلقائيًا يترك له المكان ليدخل غرفة النوم، حين جلس عصام في الصالة خرجت مرام من المطبخ تقول: «هل أعد لك سندويتشًا لم تأكل جيدًا قبل أن تخرج؟».

هز عصام رأسه رافضًا وقال: «سأعده لنفسي اذهبي أنت لتنامي».

سألته وهي تقترب منه وتنظر للاب توب (الحاسوب المحمول) الذي يفتحه أمامه: «وأنت هل ستسهر ككل ليلة؟».

زفر قائلاً بإجهد: «لن أسهر على أي شيء يخص التصاميم الليلة؛ لكنني أحتاج لتعديل منشور دعائي وأحتاج للهدوء، وأخوك كالعادة لا يكف عن السب واللعن مع تلك اللعبة التي يلعبها والثرثرة مع أصحابه، وأنا ليس لدي رغبة في الشجار معه خاصة وعندنا ضيوف».

اقتربت مرام تربت على كتفه وقالت بتعاطف: «عرفت من أبي أن المقابلة فشلت حتى قبل أن تدخل للتصفية».

ابتسم ابتسامة مرة فقامت مواسية: «لا تيأس يا عصام».

ابتسم الابتسامة نفسها ولم يعلق لكنه سأل: «هل عرفت أي تفاصيل جديدة من صاحبتك؟».

ردت مرام: «لا لم أجد فرصة لأتحدث معها وشعرت في

المستشفى أنها لا تريد أن تقول المزيد (وأضافت شاردة) ربما لديها عم معلاً أو خال يريد أن يزوجها لابنه فرفضت فطردها من البيت».

اتسعت عينا عصام ثم قال ساخراً: «ارحمينا بالله عليك من تلك المسلسلات الساذجة التي تفقأ المرارة التي تشاهدينها». قالت مجادلة: «وما به تخميني؟! إنها قصة في منتهى المنطقية».

قال ساخراً: «منطقية؟! لا أصدق أنه لا يزال هناك فتيات يُجبرن على الزواج في عصرنا هذا كما أن صاحبك هذه لا تبدو لي من هذا النوع الذي يجبر على شيء». ردت مرام ببساطة: «ولهذا هربت».

رفع أنظاره لأعلى ثم عاد يناظرها قائلاً: «يا بُنيتي.. وهل هناك عم سيرمي ابنة أخيه لحمه ودمه وشرفه في الشارع؟!». اتسعت عيناها وقالت: «ألا تقرأ صفحات الحوادث؟!».

أجابها مجادلاً: «هذه حالات فردية». هزت كتفيها تقول ببساطة: «ربما هي من تلك الحالات الفردية (ثم عبست ملامحها وتحولت للامح المحقق كونان مضيفة) ربما حبسها فهربت».

قهقهه عصام ضاحكاً وهو يضرب كفًا بكف فقالت مرام بغیظ: «لماذا لا تصدق أنه لا يزال هناك بنات تجبر على

الزواج؟!».

هدأت ضحكاته ونظر في اللاب توب دون تعليق فأضافت بلهجة صادقة: «أيًا كانت أسبابها فهي تبدو وحيدة وليس لديها أخ كأخي يحميها أخ يدعى عصام عارف وشهرته البرنس».

داعبت مشاعره بجملتها لكنه رد ساخرًا وهو يضع يده على قلبه: «قلبي.. قلبي انفجر من التأثر».

طالعه بعينين غائمتين وابتسامة حانية فأضاف عصام: «مهما قلت لن أزيد من مصروف البيت ليس معي أقسم بربي أنا أكاد أجن وأحصل على بعض برامج التصاميم غالية الثمن لأتدرب عليها كي أزيد من مهاراتي المكتوبة في السيرة الذاتية؛ لكن المبالغ كبيرة وأحاول أن أبحث عن نسخ مجانية لها على الإنترنت لكنني لم أفجح حتى الآن في الحصول على نسخة تعمل بكفاءة».

أشفقت عليه لكنها قالت مشجعة: «سثفرج يا عصام إن شاء الله سثفرج».

هز رأسه لها وغصة مرة تقف في حلقه ولم يعقب.

بعد قليل في غرفة مرام كانت نيللي تحاول التظاهر بالنوم حتى ترفع عن كاهل مرام أي شعور بالحرص من وجودها، رغم توترها لأنها ستشارك شخصًا آخر الغرفة بل والسرير وهو أمر ليست معتادة عليه؛ لكنه أمر مفروغ منه فيكفي ما سببته لتلك العائلة البسيطة من ارتباك ومتاعب، شعرت بحركة

بجوار السرير ففتحت عينيها لتتفاجأ بمرام تفرش مرتبة إسفنجية رفيعة على الأرض فأسرعت نيللي بالقول منزعجة: «ماذا تفعلين يا مرام؟!».

قالت الأخيرة وهي تخرج بطانية إضافية من الخزانة: «أستعد للنوم».

قالت نيللي بضيق: «لا لن أسمح بهذا أبدًا إن كان هناك من سينام على الأرض فهو أنا».

عبست مرام وقالت باستنكار: «كيف هذا؟! أنت ضيفتنا».

اعتدلت نيللي بصعوبة وقالت بحرج شديد وهي تمسك بساعدي مرام: «أرجوك مرام يكفي شعوري بالحرج منك ومن أهلك، كيف ستنامين على الأرض بالله عليك، لن أسمح بهذا أبدًا إما أن ننام معًا في السرير نفسه أو أنام أنا على الأرض».

صمتت مرام قليلًا ثم قالت بابتسامة: «حسنًا سأنام بجوارك».

تحركت تمسك بالغطاء الإضافي واستلقت بجوار نيللي فعادت الأخيرة لاستلقائها.. لتقول مرام بعد دقائق بلهجة ناعسة وهي تتوسد كفيها: «ما زلت كلما اختليت بنفسي أتذكر ما حدث لي ظهر اليوم لقد كدت بكل تهور أن أفقد كل شيء (ووضعت يدها موضع قلبها مضيضة) قلبي يدق بتوتر الآن لمجرد الذكرى.. ومنذ قليل كدت أن أبكي في حضن أبي مرة وفي حضن عصام مرة أخرى، الحمد لله.. الحمد لله كنت سأضيع وأضيع عائلتي في لحظة».

انهمرت الدموع من عينيها فقالت نيللي بتعاطف: «قدر الله وما شاء فعل، حاولي نسيان الأمر».

قالت مرام موضحة: «أنا لست متهورة صدقيني لكني وقعت في فخ الإعلان حينما وجدتها امرأة وخدعتني بحلو الكلام، كما أن اللئيمة لم تضع مرتبات مبالغ فيها كي أشك فيها (وأضافت بلهجة ممتنة) مهما عبرت لك عن شكري وامتناني يا نيللي لن أوفيك حقك، لقد أرسلك الله لإنقاذي».

قالت نيللي شاعرة بالحرَج: «أنا فعلت ما يمليه علي ضميري لا أكثر.. وربما أرسلنا الله من أجل بعضنا اليوم فحينما أفكر فيما حدث بعد ذلك لينتهي بي الأمر هنا في بيتك أشعر بالذهول».

لم ترد مرام فتطلعت فيها نيللي لتجدها قد غفت فعادت تحقق في سقف الغرفة وتفكر، بينما صوت شخير جدة مرام قد بدأ يعلو، ترى ماذا حدث؟ وهل اكتشفوا اختفاءها؟ وهل اختفاؤها لفترة هو الحل؟ لقد تمنى الابتعاد كي تقرر بهدوء كيف تتصرف في ورطتها، وها قد تحققت أمنيتها بطريقة لم تتوقعها.

ما يهم هو أن تتذكر رقم هاتف رامي فهو الوحيد الذي سيخبرها بالجديد لا بد أن تتذكره وبسرعة.

الفصل الثالث

لا تسير الحياة على وتيرة واحدة، حتى مع من يسحقهم
الروتين تحت عجالاته ومن يعتقد ذلك فهو ساذج، فحصة
صغيرة كافية لتحريك المياه الراكدة.

في اليوم التالي

كانت الساعة تدق السادسة حينما خرج أنس من المطبخ
يضع كوبًا من الشاي بالحليب على منضدة صغيرة بجوار
طبق السندويشات، ثم صاح بصوت عالٍ: «زينة هيا إلى
الطور سأصنع لك سندويشات للمدرسة».

لم ترد الأخيرة فتحرك وهو ينظر في ساعة يده مفكرًا في
الأشياء التي عليه أن يفعلها قبل مغادرته، ثم توقف عند باب
غرفة ابنته يطرق طريقة سريعة ويفتح بابها قائلاً: «زينة أنا
أتحدث معك».

صرخت الأخيرة باعتراض: «أبي!».

مط شفتيه وعاد يرد الباب قائلاً من خلفه: «آسف يا زينة».

كانت تقف حائرة في وسط الغرفة بفانلة داخلية قطنية
وشورت، تقلب رداء المدرسة في يديها فسألها: «هل تريدين
المساعدة؟».

قالت بإصرار: «لا.. أنا أستطيع أن ألبس وحدي».

غمغم مشجعًا: «ما شاء الله عليك (ثم سألها) هل أعد لك سندويتشات لتأخذها معك للمدرسة؟».

قالت باعتراض: «لا.. مرام ستعدها ككل مرة».

قال بغیظ: «ولماذا لا أعدها لك؟! علينا الاعتماد على أنفسنا مثلما بدأتِ تعتمدين على نفسك في ارتداء ملابسك».

غمغمت بحنق وهي تضرب الأرض بقدمها: «لكني أحب السندويتشات التي تصنعها لي مرام أنت تصنع ساندويتشات بشعة».

أسبل جفنيه قائلاً: «جزاك الله خيرًا يا ست زينة أسرعي ليس هناك وقت».

تركها وتحرك مسرعًا يتفقد حقيبة مدرستها الملقاة على مقعد بجوار باب الشقة تفقد الكتب في الحقيبة، ثم تطلع حوله يتذكر أين وضع الورقة الخاصة بجدول الحصص لقد تركها صباح أمس في مكان ما حينما كان يسرع هو وزينة للحاق بموعد المدرسة، ولم يعد إلا في المساء يحملها نائمة على كتفه ليضعها في سريرها فطلبت منه أن يبقى بجوارها حتى تنام؛ لكنه بقي طوال الليل فقد نام مجهدًا ولم يدر بنفسه إلا في الصباح.

حين لم يجد الورقة المطبوعة للجدول فتح هاتفه وأخذ يبحث عن صورة له محتفظ بها على هاتفه موبخًا نفسه أن عليه أن يكون أكثر تنظيمًا مما هو عليه، ثم غمغم في سره باستهجان: «أنت تقول لنفسك هذا الكلام كل صباح يا أنس؛

لكنك لا تفعل شيئًا».

عاد يهون الأمر على نفسه: «وكيف ستنفذ ذلك يا دكتور وأنت لا تجد الوقت لتبقى في البيت حتى تعيد تنظيم ما تريد تنظيمة (ثم أضاف بانتصار) ها قد وجدنا جدول الحصص».

بعد قليل كان يقف ببنتال الخروج وفانلته الداخلية أمام منضدة السفرة يكوي قميصه، فخرجت زينة تقول: «لم يبق إلا تصفيف شعري».

كانت ملابسها غير مرتبة فتوجع قلبه على صغيرته التي تحاول الاعتماد على نفسها منذ أن بدأت تشعر ببعض الخجل الطبيعي منه، ورغم أنه يُقدّر ذلك لكنه يشعر بالشفقة عليها أن تضطر لذلك في هذه السن المبكرة، قال لها مشجعًا: «ملاكي الصغير ماهرة جدًا، تعالي لأعد لك ملابسك».

جلس على المقعد وأخذ يعدل لها ملابسها ثم نظر للجورب الذي ارتدته مقلوبًا فابتسم وأجلسها على ساقه ليعدله لها وطلب منها أن تحضر فرشاة الشعر فأسرعت بالهرولة نحو غرفتها، إن البنت تكبر وتحتاج لنموذج أنثوي تحتذي به، خاصة في هذه الفترة الحساسة ما بين الطفولة والمراهقة، قبل سنوات وحين كانت لا تزال رضيعة كان يقوم بكل ما يخصها في السنة الأولى من عمرها قبل أن ينتقل للعيش هنا بجوار عمه وتساعدته مرام في رعايتها؛ لكن مرام سيأتي يوم وتتزوج فماذا سيفعل هو مع زينة التي تحاول الاستقلال

بنفسها وتحتاج لإشراف أنثوي؟

تجاهل تألم قلبه عند خاطرة أن مرام سيأتي عليها يوم وتتزوج وابتسم لزينة التي عادت بالفرشاة ووقفت أمامه توليه ظهرها ليمشط لها شعرها البني كلون شعره، فشردت أفكاره مع حركة المشط على شعرها إلى تلك الذكرى البعيدة التي اعتبرها أصعب أيام حياته على الإطلاق حين كان يعيش هو وزينة فقط، ما زال يذكر شعوره المرتعب حينما أدرك أن عليه أن يتولى أمر ابنته الرضيعة ذات الثلاثة أشهر ولم يكن وقتها خيار الزواج بأخرى لتراعيها مطروحا أو مرحبا به منه لا ماديا ولا نفسيا، وقتها كان لا يزال في المدينة الساحلية البعيدة عن العاصمة التي هي مسقط رأس العائلة وكان يعمل ويعد رسالة الماجستير بل كان في الجزء النهائي منها، هذا بالإضافة لرعاية والده الذي اشتد عليه المرض في الفترة نفسها فكان ممزقا من كل الاتجاهات يسهر طوال الليل مع زينة الرضيعة يهددها ويحضر لها قنينة الحليب ويبدل لها الحفاض مثل أي أم، ويستغل الوقت الذي كانت تبقيه فيه ساهرا في وضع اللمسات النهائية لرسالة الماجستير ومتابعة حالة والده المرضية.

لن ينسى الأيام التي نامت فيها زينة على كتفه أو حجره لساعات كحل وحيد حتى تكف عن البكاء ويستطيع هو إنجاز العمل في تلك الرسالة التي كان يعتقد وقتها أنها ستغير حياته، ولن ينسى حينما كان يستيقظ صباحا فيترك أحد الجيران من أصحاب والده مع أبيه ويحمل زينة في حقيبة

الرضع المعلقة في رقبتة ويسرع بها إلى حضانة تستقبل
الرضع حتى الرابعة عصرًا، فيترك لهم زينة بقلب أب ملتاع
كتبت عليه الأقدار أن يقوم بدور الأم في هذه المرحلة
المبكرة من عمر ابنته ثم يسرع إلى الصيدلية التي كان يعمل
بها.

هكذا مرت الأيام صعبة معذبة له تعلم فيها وتألم كثيرًا
وازداد ارتباطه بابنته ارتباطًا مضاعفًا، حين نال درجة
الماجستير وتوفي والده بعدها بفترة قصيرة، قرر أن يأتي
للعاصمة بعد أن أخبره عصام بأن هذه الشقة معروضة
للإيجار وحمد ربه أن استطاع أن يسكن في البناية نفسها مع
عمه وأولاده فهم الباقون له من عائلته لتشاركه مرام التي
كانت في التاسعة عشر وقتها في تربية ابنته، فكانت زينة
تقضي معها النهار ومعه الليل.

«أبي».

قالت زينة بعد أن استدارت إليه فقطع ذكرياته يقول:
«نعم».

قالت بتعجل: «هيا حتى لا نتأخر على المدرسة سأشارك
في الإذاعة المدرسية اليوم».

«انتظري سأربط لك الضفيرة».

أمسك بطوق مطاطي صغير وربط أسفل الضفيرة التي
صنعها، إن جذل الضفائر من الأمور التي يفخر أنه قد أتقنها
رغم أن مرام تضحك حينما يتباهى بذلك علنًا، نفى عنه

صورة وجه مرام المستدير مكتنز الخدين الذي يضحك بإشراق وسأل زينة: «ما رأيك في الضفيرة؟».

أمسكت بطرفها تنظر إليها ثم قالت: «لا بأس بها».

هتف شاعرًا بالإهانة وهو يراها تتركه وتتوجه نحو حقيبتها: «لا بأس بها! إنها رائعة».

صمت قليلًا ثم قالت: «بصراحة يا أبي مرام تصنع لي أجمل ضفيرة في الدنيا».

رفع حاجبًا مغتاطًا ثم أطرق برأسه يمثل الإحباط فاحمرت وجنتا زينة وتحركت مقلتيها يمينًا ويسارًا لتعود بعد ثوان تنظر إليه وهي تقول بدبلوماسية: «لكنك أسرع شخص يجدل الضفيرة في العالم».

ابتسم لذكائها ولباقتها ثم نظر في ساعته قبل أن يقفز واقفًا وهو يصيح بهلع: «تأخرنا سأرتدي ملابسني بسرعة».

«يا مراااام».

قالها عصام بغیظ فأسرعت بالخروج من الممر المؤدي للغرف وهي تقول بهمس موبخ: «اششش.. اخفض صوتك».

قال بغیظ: «الساعة اقتربت من الساعة وأنا لم أتحرك، لقد تأخرت وسيكون دوري في موقف سيارات الأجرة متأخرًا».

قالت بسرعة وهي تعدل من حجابها حول وجهها وتتحرك

لترتدي حذائها بسرعة: «حالا.. حالا».

قال عصام وهو يفتح باب الشقة: «سأنتظرك بالأسفل».

قبل أن تتجه نحو الباب قالت بهلع وهي تعود للمطبخ: «يا إلهي نسيت كيس السندويتشات الخاص بزينه».

على السلم وبمجرد أن نزل عصام للطابق السادس وجد أنس يغلق الباب ومعه زينه فقال الأول لعصام: «جميل أنك لم تتحرك بعد أوصلنا في طريقك لأن زينته عندها إذاعة مدرسية وأنا أيضًا عندي مشوار مهم قبل الذهاب للعمل».

في الميكروबाص بعد قليل هتفت مرام وهي تتطلع في حقيبة زينته: «لم تضع لها التيشيرت الأحمر يا أنس».

ضرب أنس على جبهته ثم استدار من جلسته في المقعد المجاور للسائق وقال لمرام التي تحدجه بغضب: «نسيت أنا آسف».

قالت بانفعال: «لقد أرسلت لك رسالة على هاتفك مساء وطلبت منك أن تضع التيشيرت في الحقيبة حتى لا تنسى في الصباح».

تطلع في وجهها واستاء لأنها غاضبة منه فقال بهدوء: «نسيت يا مرام والله وضعت زينته في سريرها ونمت بجوارها من التعب».

حدجها عصام بنظرة لائمه في المرأة الأمامية جعلتها تبتلع ما تشعر به من غضب وتشيح بوجهها نحو النافذة، فقال أنس

ليخفف من شعورها بالضيق: «أين المشكلة في ألا تحضر التيشيرت الأحمر المفروض ألا يطلبوا من الأطفال سوى ملابس المدرسة (ونظر لزيئة التي بدى عليها الإحباط وقال) إن رفضت المعلمة أن تشاركي في الإذاعة المدرسية بسبب التيشيرت الأحمر أبلغيني».

هتفت مرام بضيق: «القصة ليست كذلك».

قال أنس بهدوء ليخفف عنها: «عمومًا قدر الله وما شاء فعل».

بلعت لسانها وأشاحت بوجهها نحو النافذة وهي تعرف أن عصام لا يعجبه ما تفعله؛ لكن الأمر خارج عن إرادتها زينة بمثابة ابنتها لقد تولت رعايتها منذ أن كانت صغيرة أقل من عام ونصف العام.

عاد أنس ينظر أمامه فقالت زينة: «ألن تحضر معي يا أبي لتراني وأنا أشارك في الإذاعة المدرسية؟!».

رفع حاجبيه متفاجئًا ثم نظر في ساعته وأدار وجهه لينظر ابنته بنظرات حائرة لتضيف زينة: «كل أصحابي سيكون معهم أمهم أو أبوهم يشاهدونهم».

عند هذه النقطة لم يستطع أنس الرفض فعليه أن يسد فراغ الأب والأم في الوقت نفسه.. في اللحظة نفسها همت مرام بالتطوع للحضور حتى لو كان هذا سيعطلها عن عملها ويسبب لها مشكلة مع مديرها الفظ؛ لكن أنس قال: «حاضر زوزو سأحضر الإذاعة».

رفعت زينة ذراعيها تصيح بفرح ثم قالت لوالدها مشرطة:
«وسرورني بهاتفك».

هز رأسه موافقًا وهو يقول: «وسأصورك بالهاتف».

بعد قليل كانت مرام تلوح لزينة من النافذة بعد أن نزلت
هي وأنس أمام المدرسة، فحرك عصام بالميكروباس مبتعدًا
ثم قال لمرام عبر المرأة الأمامية: «كلمتك أكر من مرة في
موضوع زينة».

أطرقت برأسها ولم ترد فأضاف: «أنت لست والدتها يا
مرام.. لا بد أن تسيطر على هذه المشاعر بداخلك لأنك بت
تصرفين مع أنس بعصبية وتحاسبينه بشكل غير لائق».

قالت مدافعة: «لم أقصد.. وأنت تعرف مقدار احترامي
للدكتور أنس؛ لكنك تعرف أيضًا ما هي زينة بالنسبة إلي
(وأضافت بصوت مختنق بالبكاء) ويحزنني أن تشعر في
المدرسة أنها دون أم وأنا مقيدة لا أعرف كيف أخفف عنها
هذا الشعور خارج محيط البيت كاليوم مثلًا وهي تحضر
للإذاعة دون التيشيرت الأحمر بينما الباقيات قد أحضرنه هذا
يؤلم قلبي لأن ذلك سيحزنها خاصة وأن الفتيات يعايرنها
لأنها دون أم».

قال عصام بضيق: «أنا متفهم لمدى تعلقك الشديد بزينة؛
لكني لا أحب أن تتطاولي على أنس في الحديث فأنت أدري
بظروفه وكيف أنه يكافح ويصارع طواحين الهواء».

تألم قلبها وهتفت مقاطعة: «أعرف ذلك وأشفق عليه لكن الأمر خارج عن إرادتي، كل ما يخص زينة هو خارج عن إرادتي».

قال عصام بلهجة أكثر هدوءً: «ليس أنس فقط المشكلة يا مرام أنت تعرفين أنني أتحدث لمصلحتك هذا التعلق الزائد بالبنات سيكون سبب مشاكل لك حينما تتزوجين إن شاء الله، فأي رجل طبيعي لن يقبل بأن تتعلق زوجته بابنة ابن عمها خاصة حينما يكون عازبًا».

ترقرقت الدموع في عينيها وأشاحت بوجهها تقول: «حاضر سأحاول يا عصام أعدك أنني سأحاول».

وتطلعت من النافذة تشعر بالضيق، ولا تعرف كيف تنفذ ما يطلبه منها كيف ستخفف من تعلقها بزينة.

التاسعة صباحا

الشارع لم يتغير والناس كما هم مهما غاب عنهم وعاد مهما غرق في برائن الاكتئاب ثم طفى على السطح، يجد أن الحياة بالخارج مستمرة هو فقط وحده من يشعر أنها توقفت.

رائحة الطعمية الساخنة المنبعثة من الكيس الذي يحمله كانت تثير الشهية للأكل وهو يسير عائداً للبيت، بعد أن قرر التخلي عن اكتنابه والنزول للشارع كي يحرك قدميه قليلاً، وما دفعه للخروج اليوم هو تلك الضيفة التي أحضرتها ابنته

ليلة أمس ففكر في أن يبتاع الفطور اليوم ويعيد الكتب للعم أمين في طريقه، حيا من يعرفهم من أهل الشارع الذي يسكن فيه منذ سنوات طويلة واقترب من دكان كتب صغير عتيق المنظر هو أقدم بناية تقريبًا في الشارع كله الذي هو منطقة سكنية تضم مباني ذات طابع حديث فقد كان هذا الدكان قديمًا - كما سمع من العم أمين صاحبه - يقع وسط ميدان وكانت له شهرة واسعة بين الراغبين في اقتناء أو تبديل الكتب المستعملة من القارئ والباحثين؛ لكن بعد أن تجددت المنطقة بأكملها لم يعد للميدان وجود، فتحول الدكان لمبنى قديم داخل منطقة سكنية يحمل اسمًا قديم الطراز وهو (كتب خانة) فأصبح غريب الهيئة والاسم بين أبنية الشارع.

قال عارف ملقيًا التحية: «كيف حالك يا عم أمين؟».

استقام رجل عجوز وخرج من خلف كومة من الكتب القديمة فوق مكتب عتيق وقال مرحبًا: «حمدًا لله كيف حالك يا ولدي؟».

رد الأخير قبل أن يمسك كيس الفطور بأسنانه ويعطيه الكتب التي كان يحملها تحت ذراعه السليم: «أنا بخير والحمد لله هذه دفعة من الكتب التي أخذتها منك».

سأله العم أمين: «هل تريد أن تبدلها؟».

رد عارف: «لا يزال عندي بقية سأنتهي من قراءتهم ثم أبدلهم بكتب أخرى».

قال الرجل وهو يتفحص وجه عارف: «إلى متى ستظل

على هذا الحال يا ولدي؟ منذ أن تقاعدت عن العمل وحالك لا يعجبني».

أشاح عارف بأنظاره مغمفًا: «الحمد لله على كل حال (ثم عاد إليه يقول بعد برهة مغيّرًا الموضوع) كيف حالك أنت وحال الأولاد؟».

تنهد العم أمين ورد مهمومًا: «حالي أن أصغر أولادي يريد أن يدفني وأنا حي يا عارف».

هتف عارف قائلاً: «أطال الله في عمرك ماذا حدث؟».

ناظره العم أمين مجيبًا: «يريدني أن أتوقف عن بيع الكتب المستعملة ويأخذ هو الدكان ليؤجره كمخزن، لا أنكر أن بيع وتبديل الكتب لم يعد يأتي بدخل مناسب وأنه لولا القلة الباقية من القراء مئلك أنت والدكتور وابنتك وبعض الباحثين الذين يبحثون عن المراجع القديمة لكنت مت من الجوع؛ لكن ماذا يريد مني أولادي؟ أنا ربيتهم من رزق هذه الكتب وعلمتهم حتى تخرجوا من الجامعات وكل منهم أصبح له وظيفة، لماذا لا يتركوني في دكاني ودكان أبي حتى أموت».

كان منفعلًا فشعر عارف بالشفقة عليه وقال ليشاركه همومه: «والله يا عم أمين هم الأولاد لا ينتهي، ها أنت ترى عصام جامعي ويعمل سائقًا بالأجرة والدكتور أنس ابن أخي غير قادر على الحصول على حقه في التعيين في الكلية حتى الآن، ومرام أصبحت في السادسة والعشرين ولم تتزوج

بعد، والصغير مراد لم يعد صغيرًا يا عم أمين أصبح متمرّدًا رافضًا لكل شيء حتى التعليم، هل تصدق ذلك! هل تصدق أننا نضغط عليه بقوة كي يكمل تعليمه! وبكل صدق أقول لك أشعر بالخوف الشديد على هذا الولد إنه كاره لكل شيء كاره حتى لحياته معنا».

قال العم أمين بوجوم: «الأجيال الجديدة تفكر بشكل يختلف عنا حفيدي مثله ويشعروني دومًا أن عليّ أن أبحث لي عن مقبرة لأقضي فيها المتبقي من عمري».

غمغم عارف: «بعيد الشر عنك يا عم أمين أنت بركتنا».

قال أمين ساخرًا: «لا أشعر أنني كذلك أشعر أنني (وغمامت عيناه واختنق صوته) أشعر أنني أصبحت ضيقًا ثقيلًا على هذه الدنيا وفي زمن ليس زمني».

تطلع إليه عارف صامتًا لا يجد من الكلمات ما يواسيه بها، فبطريقة أو بأخرى أضحى هو الآخر يرى نفسه مثل العم أمين منذ أن تقاعد عن العمل، رغم أنه لا يزال في منتصف الخمسين من العمر.

كانت الأرض مليئة بالجثث فتطلعت حولها بصدمة ثم استدارت لتجد مرام تتطلع إليها من بعيد وبجوارها أخوها عصام يرتدي بدلة رسمية، ولمحت اللوم والصدمة في عينيها وهما يناظرانها بنظرات اتهام فصرخت قائلة: «لم أفعل صدقوني لم أفعل شيئًا».

أدار لها عصام ظهره غاضبًا وسحب أخته من يدها مبتعدًا فأدارت مرام رأسها تتطلع فيها مصدومة بينما هي تلاحقهم بصوتها: «لم أفعل شيئًا صدقوني».

فتحت نيللي عينيها وشهقت مرتعبة ليس من أجل ذلك الحلم الذي رآته إنما بسبب ذلك الوجه غائر التجاعيد الذي كان مطلاً عليها من علو، بعينين صغيرتين مدققتين واحتاجت لبضع ثوان لتستوعب أنه وجه الجدة العجوز، فقالت بصوت هارب منها: «ماذا حدث؟! لماذا تقفين هكذا؟!».

لم ترد روح إنما عدلت قامتها المنحنية فوق نيللي وقالت: «هيا اصحي لقد نمت كثيرًا».

اعتدلت نيللي بصعوبة وغمغمت بهمس وهي تنظر للساعة المعلقة على الحائط: «لم أنم سوى بضع ساعات متقطعة».

أنزلت ساقها المجبرة بكلتا يديها على الأرض وسحبت ورقة صغيرة من فوق منضدة السرير لتجد مرام قد كتبت لها (صباح الخير لقد ذهبت للعمل وسأعود في العائية والنصف تقريبًا وضعت لك الفطور على المنضدة حتى لا تشعرين بالحرج).

بمجرد أن قرأت السطور سيطر عليها الحرج من جديد، فوضعت الورقة بجوار الطبق المغطى ورفعت الغطاء بفضول لتجد رغيفًا من الخبز، فعقدت حاجبها باندهاش وأمسكت بالرغيف تقلبه في يدها لتتأكد أنه وحده دون أي شيء معه، قبل أن تعيده لمكانه في الطبق أتاها صوت روح تقول: «أنا

لست سارقة لم آخذ شيئًا».

التفتت نيللي خلفها فوجدت روح جالسة على سريرها تضم علبة جبن معلّات إليها وهي تقول: «هذا الجبن لي لماذا وضعت له لك مرام؟ أنا لست سارقة».

ابتسمت نيللي ولم تجد ما ترد به لكنها سألتها: «من بالخارج أريد أن أذهب للحمام؟».

ردت روح: «عارف بالمطبخ ومراد نائم».

هزت نيللي رأسها وامتنعت لأن المرأة مدركة وواعية، فقد ظنت أنها تعاني بعض الأمراض العقلية التي تصيب المسنين.

كانت بحاجة ملحة لدخول الحمام فتغلّبت على شعورها بالحرّج واستقامت واقفة تقفز بساق واحدة لتخرج من الغرفة، بعد أن قامت بلف حجابها حول رأسها فوجدت البيت هادئًا تمامًا إلا من صوت الأواني بالمطبخ فحمدت ربها واستمرت في القفز مستندة على الحائط حتى وصلت للحمام الصغير.

بعد قليل وقفت تتطلع لوجهها في المرأة القديمة المعلقة فوق الحوض وتتأمل الكدمة الواضحة في وجهها والأخرى عند منابت الشعر، ماذا حدث كي تنقلب حياتها بهذا الشكل رأسًا على عقب؟ وماذا ستفعل في الأيام المقبلة؟

حين خرجت من الحمام وقعت عيناها على ستارة تم إسدالها لتغطي أول الممر وتحجب الصالة عن الشقة بالداخل،

فعلمت أن والد مرام من فعل ذلك حينما وجدها قد دخلت الحمام، تقافزت على ساق واحدة حتى وصلت للستارة وأبعدتها فوجدت عارف يضع أطباقًا على منضدة السفرة ويقول لوالدته عابثًا: «ولماذا أخذت علبة الجبن يا أمي ألم أعطك علبتك؟».

هتفت الأخيرة بضيق: «هذه لي ألا يكفي أن زينة تأكل منها معي؟!».

اتسعت عينا عارف وقال ساخرًا: «وهل أخذت إنتاج جبن المملحات في البلد حصرًا لك يا روح!».

لمح نيللي تطل برأسها من خلف الستار فأشار بيده قائلاً: «تعال يا بنيتي تفضلي الفطور جاهز».

احمرت وجنتا نيللي وخرجت تقول: «صباح الخير».

قال عارف: «لا تؤاخذينا.. أمي أخبرتني أنها أخذت علبة الجبن عمومًا أنا لم أكن أعلم أن مرام قد تركت لك فطورًا لذا ابتعت الفول والطعمية لنفطر سويًا».

ابتسمت نيللي وتحركت على ساق واحدة تخفي شعورها بالحرج حتى وصلت لمنضدة السفرة فسألها عارف: «كيف حال ساقك؟».

قالت وهي تنهت جالسة على كرسي السفرة: «أشعر بعدم الراحة من الجبيرة وبالآلم أيضًا».

«ألف لا بأس عليك.. هيا ابدئي».

قالها وهو يناولها رغيفًا طازجًا ثم قال لأمه التي فتحت التلفاز ووقفت تبحث عن شيء حولها: «اتركي التلفاز يا أمي وتعالى كي تفطري».

قالت روح بعبوس: «أين النظارة (ثم نظرت لنيللي تقول بحدة) هل سرقت نظارتي؟!».

اتسعت عينا نيللي بينما أسرع عارف بالقول: «بالله عليك يا أمي لا يصح ما تقولينه».

ناظرته بتبرم ليقول وهو يشير على منضدة جانبية: «النظارة هناك هيا لتأكلي».

سحبها من يدها لتجلس فقالت مشترطة: «سأكل من الجبن المملحات».

غمغم عارف وهو ينظر في ساعته: «حاضر (ثم أضاف) لماذا لم يصحو هذا التيس حتى الآن؟ أليس لديه موعد لدرس خاص (وتحرك نحو ممر الغرف مضيئًا بقرف) ألا يكفي أنه لا يذهب للمدرسة».

سمعت نيللي انفعال والد مرام وطرقه على باب الغرفة الخاصة بمراد، وسمعت الآخر يصيح بعصبية مطالبًا بالمزيد من النوم فتوترت.

حين عاد عارف وجلس مكفهر الوجه حاولت نيللي أن تلطف الأجواء فقالت: «القول رائع سلمت يدك».

ابتسم لها ابتسامة باهتة وبدأ بذراعه السليم الأكل فقالت

لتفتح موضوعًا: «ألف لا بأس على ذراعك هل هي إصابة قديمة؟».

تدخلت روح قائلة: «سقطت الماكينة عليه فلينتقم الله من أصحاب العمل».

ربت عارف على ظهر أمه ثم أوضح: «كان حادثًا أثناء العمل».

في الدقائق التالية أخذ يحكي لها كيف كان عاملاً في مطابع جريدة من أكبر الجرائد القومية في البلد، وكيف تدرج فيها حتى أصبح رئيسًا للعمال في المطبعة حتى حدثت له إصابة عمل أحدثت شللًا في ذراعه الأيسر واضطر بعدها لأن يتقاعد، كان يتكلم بفخر عن مهنته وأخذ يشرح لها تفاصيلها وكأنه كان بحاجة للعرثرة فحدثها عن أنواع آلات الطباعة كيف كانت وكيف تطورت فاستمعت له بإنصات، ربما لتطرد الأفكار المتشابكة من عقلها المشحون، وربما لأنه كان متحدثًا لبقًا وخلال الحديث وجدت نيللي أن العم عارف مثقف ومطلع وتمنت لو تحمل في ذاكرتها عن والدها ذكرى كانا فيها يتحدثان كهذه اللحظة يعثران دون هدف سوى التسلية؛ لكنه كان دومًا مشغولًا بعمله وهي أيضا كانت مشغلة بأن تحقق له ما كان يعدها من أجله طوال عمرها كانا مشغولين عن بعضهما بتحقيق ما يصبو إليه والدها وها هي أضاعت كل شيء من بعده.

بعد قليل خرج مراد بعد أن بدل ملابسه وعلى ما يبدو لم

يطل في المجادلة مع والده نظرًا لوجودها، سحب كرسيًا وجلس أمام السفرة يأكل بينما تفاجأت نيللي أنها قد أكلت كثيرًا فقالت مخرجة وهي تنفض يدها: «سلمت يديك يا عمي لم أكل بهذه الشهية منذ مدة (وأضافت وهي تراه يرفع الأطباق الفارغة بيده السليمة) ليتني قادرة على التحرك لمساعدتك».

قال مراد فجأة وهو يترك مقعده: «بالمناسبة فكرت لك في فكرة للتنقل».

تطلعت فيه وهو يتحرك نحو الداخل ثم عاد ومعه كرسي من المعدن خفيف الوزن وقال لها: «تستطيعين الاستناد على ظهر هذا الكرسي».

ابتسمت له وشكرته فقال عارف لابنه: «لا تنس بأن تحضر زينة من المدرسة بعد انتهاء الدرس».

هز مراد رأسه في وقفته بجوار المنضدة يحشر الطعام في فمه فأضاف عارف: «وأريد أن أعرف قيمة الاشتراك في باقي الدروس الخاصة التي ستلتحق بها يا مراد».

تكلم الأخير موضحًا: «قلت لك لقد فات أوان الحجز فهو يبدأ من الإجازة الصيفية ونحن لم تكن ظروفنا تسمح وقتها».

حدجه عارف بوجه مكفهر فبلغ مراد لسانه، وأحس أنه قد تجاوز في الحديث أمام الضيفة فقالت نيللي بسرعة وهي تستقيم واقفة وتمسك بالكرسي المعدني الذي أحضره

لها مراد: «سأدخل لأستريح حتى تأتي مرام (ونظرت لمراد قائلة) شكرًا على هذه الفكرة فهي أفضل بالتأكيد من القفز كالأرنب».

عند العصر كانت مرام تدخل من الباب تحمل ما جلبته من السوق في طريق عودتها، دخلت تنهت بقوة فاستقبلتها زينة بالتهليل بينما قال عارف مشفقًا: «لماذا لم تنادي على مراد ليحمل معك هذه الأكياس يا مرام؟!».

قالت لاهمة وهي تضع الأكياس: «حتى يتحرك من مكانه وينزل تكون روعي قد خرجت من جسدي (وأشارت لزينة) ماء.. أعطني ماء يا زوزو».

أسرعت زينة إلى المطبخ بينما اعتدلت نيللي في سريرها حينما سمعت صوت مرام، فهي تلزم الغرفة منذ دخولها بعد الفطور تشعر ببعض التقلص في معدتها لأنها قد أكرت في أكل الفول صباحًا وقد دخلت إليها زينة حينما عادت من المدرسة وأخذت تستجوبها كم ستبقى، وبماذا تشعر وساقها مجبرة، وكيف كانت مدرستها حينما كانت في سنها واقترحت بأنها ستحول لها الجبيرة لساحة مليئة بالرسومات والألوان كما فعلت إحدى زميلاتهما حينما كسرت ذراعها.

دخلت مرام على نيللي تقول باهتمام: «كيف حالك يا نيللي طمئيني.. لا تؤاخذيني تركتك وحدك».

قالت نيللي بامتنان: «يكفي ما فعلت به أنت وأهلك (وصمتت

قليلاً ثم قالت) مرام كنت أريد أن أطلب منك طلباً».

قالت الأخيرة وهي تخلع عنها حجابها: «اطلبي ما تشائين».

خلعت نيللي سلسلتها من رقبتها تقول: «هلا طلبت من أحد أن يبيع لي هذه السلسلة؟».

قبل أن تعترض مرام أسرع نيللي بالقول: «أحتاج لأمر شخصية يا مرام أبسطها ملابس داخلية فأنا سأموت كي أستحم، لا بد أن يكون معي نقود، أكثر الله من خيركم تحملتموني في بيتكم وأكرمتموني».

نظرت مرام للسلسلة في يد نيللي فأضافت الأخيرة: «لقد أبقيت على خاتم أمي؛ لكنني أحتاج لمبلغ لأدبر به أمري حتى أنزع الجبيرة، وأحتاج لأن اشتري عكازاً كي أتحرك به أرجوك مرام أنا أشعر بالضيق الشديد وأنا هنا عالة عليكم».

قالت مرام وهي تعيد حجابها لمكانه حول رأسها: «سأطاولك في بيع السلسلة حتى تشعرني ببعض الراحة؛ لكن فكرة الغرفة في فندق لن أسمح لك بها».

ابتسمت نيللي لتضيف مرام وهي تغادر الغرفة: «سأستأذن أبي وأذهب لبيع هذه السلسلة».

هتفت نيللي متفاجئة: «الآن؟! لقد وصلت للتوا مرام.. مراراً».

كانت الأخيرة قد أغلقت باب الغرفة خلفها فزفرت نيللي وقالت وهي تحاول القيام: «ماذا ستفعل هذه المجنونة؟!».

حين استطاعت الخروج مستندة على الكرسي كانت مرام تهم بالخروج ومعها مراد فقالت نيللي شاعرة بالذنب: «الأمر ليس عاجلاً يا مرام».

ردت مرام وهي تلحق بمراد الذي سبقها في الخروج: «في الليل سيزداد الجو برودة كما أنني لا أضمن أن يكون لدي طاقة للخروج سأذهب لمحل قريب وأعود بسرعة حتى أعد الطعام (ثم نظرت لزيينة تقول أمرة) وأنت قومي بواجبك المدرسي حتى أعود».

قالت الأخيرة متذمرة وهي تعود لمشاهدة الكرتون بجوار الجدة روح: «مرامي أرجوك لم أشاهد هذه الحلقة».

أشارت مرام لنيللي قائلة: «هلا باشرتها بالله عليك».

رمشت نيللي متفاجئة من الطلب ثم قالت: «آه طبعاً بالتأكيد».

فخرجت مرام خلف مراد بينما وقفت نيللي تنظر لزيينة ولم تعرف ماذا عليها أن تفعل بالضبط، فلم تباشر طفلاً في واجبه المدرسي من قبل.

دخل المخزن يلقي السلام على العمال وتوجه نحو عدد من الكراتين الكبيرة المرصوفة فوق بعضها ووقف يتطلع فيها وكأنه يجري لها مسحاً ضوئياً بعينه ثم أشار على إحداهن التي تقف في المنتصف قائلاً: «أريد هذه».

قال رئيس المخزن معترضًا: «ولماذا لا تأخذ من على الطرف يا دكتور هل سنحمل كل هذا من فوقها؟!».

استدار أنس يقول ببرود: «أريد ما أشرت عليها يا عم فخري لو سمحت».

طحن الرجل ضروسه وقال لأحد العمال: «أنزل يا بني الكراتين التي فوقها حتى تصل لتلك الكرتونة التي يريدها الدكتور أنس».

انتظر الأخير حتى أذاخوا الكراتين من فوق الكرتونة المعنية، وصعد فوق سلم معدني وفتحها ثم أخرج منها بعض العينات من الدواء ودون في دفتر بعض البيانات بعدها شكرهم بهدوء وغادر فقال العامل لرئيسه متأففًا: «دومًا يختار كرتونة للفحص من مكان صعب».

في أحد ممرات الشركة تطلعت ياسمين في أنس القادم ناحيتها فعدلت من هيئتها ودعكت شفتيها ببعضهما ثم تحركت تقطع الطريق أمامه وتسقط مجموعة من الأوراق والدفاتر عمدًا على الأرض، كانت تبعد عنه بعدة أمتار لكنه لم يتوقف بل استمر في طريقه كالإنسان الآلي ومر من جانبها متابعًا سيره دون أي التفاتة، فاتسعت عيناها مصدومة ليقتررب زميل آخر يقول لها: «هل أنت بخير دكتورة ياسمين؟».

انتبهت لمحدثها فقالت بارتباك وهي تلملم أشياءها بسرعة: «نعم.. شكرًا».

بعد دقائق كانت تقترب من المصعد وهي لا تزال تتطلع في أنس الذي يقف ينتظره فوقفت تفكر فيما قالت له زميلتها عنه عندما التحقت بعملها هنا في الشركة، أنه يتعامل ببرود وغلاظة مع النساء ويشاع أن السبب في ذلك هو زوجته الأولى لكن لا يعرف أحد أسباب طلاقه، فُتح المصعد فتحرك أنس ليدخله أولاً متجاهلاً وجودها فظلت واقفة حتى كاد الباب أن يغلق ليسرع أنس بالضغط على الزر ليووقفه ويسألها: «هل ستأتين يا دكتورة ياسمين؟».

شعرت الأخيرة بالغيظ فقالت: «لا.. تفضل أنت دكتور أنس».

قبل أن تكمل جملتها كان أنس قد أغلق باب المصعد الذي تحرك لأعلى فوقفت تزم شفيتها بغيظ، اقتربت منها صديقتها مديحة قائلة بسخرية: «أنا أتابعك منذ بداية الفيلم الهندي الذي قمت به منذ قليل كما أخبرتك لا تحاولي معه ولا يغرك وسامته إنه مشهور بفضاظته وبروده مع الجنس الناعم».

نظرت ياسمين للمصعد المغلق ثم قالت: «لن أياس وسأستمر في المحاولة ربما كنت أنا من تفك عقده ويفك هو عقدتي وأتزوج قبل أن أصل لسن الثلاثين».

أطلقت صاحبها صوتاً ساخراً من حنجرتها وقالت: «كان غيرك أخطر!».

بعد ساعتين قضتهما في مساعدة زينة على القيام بواجبها

المدرسي في تجربة تخوضها للمرة الأولى، دخلت مرام مع مراد مكفهرة الوجه تلهث من صعود السلم مما زاد من شعور نيللي بالعقل والحرَج، بادرت زينة مرام قائلة: «كتبت بعض الواجب لكن لا يزال هناك بقية مرامي».

مالت الأخيرة تقتنص بعض القبلات من خد الصغيرة بمناغشة، قبل أن تعتدل أمام نيللي وهي تقول: «هذه فاتورة بيع السلسلة صاحب المحل كان يشك أنني سرقتها وطلب فاتورة الشراء وما إلى ذلك ثم أخبرني بمن شعرت أنه قليل فذهبت لآخر أبعد منه لأتأكد من السعر فوجدت الجديد يعطيني ثمنًا لا بأس به، رغم أنه كان أيضًا ينظر لي بريبة لربما كنت قد سرقتها المهم أنني أعطيته صورة بطاقتي الشخصية حتى يطمئن (وناولتها كيس كبير مضيئة بصوت خافت) وابتعت لك ملابس داخلية وطقمين من الملابس الرياضية المحتشمة تناسب النوم والبقاء في البيت، أتمنى أن يكون المقاس مضبوطًا (وأعطتها مبلغًا من المال أخرجته من حقيبتها) وهذا بقية المبلغ».

نظرت نيللي في المبلغ وقالت: «كل هذا ما شاء الله!». ردت مرام: «أحضرت لك الملابس من محل يبيع بسعر الجملة».

تطلعت فيها نيللي وهي تزيح عن رأسها الحجاب ولا يزال وجهها محمّرًا من المجهود فلم تدر بنفسها إلا وهي تقترب منها وتحضنها قائلة بتأثر: «لا أعرف كيف أشكرك يا مرام

ولا أعرف كيف أعبر لك عن شعوري تجاه ما تفعليه معي
قد تظنني مبالغة لكني لم أحظ بأحد يعاملني بهذه الطريقة
الـ..».

توقفت الكلمات في حلقها ولم تدرك كيف تشرح ما تشعر به
فربت مرام على ظهرها ضاحكة، ابتعدت عنها نيللي تناظرها
بامتنان لتقول مرام: «هيا اذهبي وبدلي ملابسك».

همست نيللي بمسكنة طفولية: «أحتاج للاستحمام يا مرام
لقد وصلت لدرجة التعفن».

ضحكت الأخيرة ملء شديها وقالت: «سأشغل لك السخان
حتى تجهزي نفسك».

بعد قليل كانت مرام قد أغلقت ذلك الستار الذي يغلق
الممر ووقفت في الحمام مع نيللي التي قالت وهي تتطلع
في زجاجة شامبو باسم مجهول: «ألا يوجد شامبو للشعر أو
للجسم باسم معروف؟! لم أسمع عن هذا الاسم من قبل».

ابتسمت مرام وقالت وهي تفتح خزانة عالية وتخرج منها
شيئًا ملفوفًا بكيس أسود: «يوجد طبقًا لكني أخفيه عن البقية
فلا نستخدمه إلا أنا وزينة».

رمشت نيللي بعينيها عدة مرات ثم سألتها بدهشة:
«لماذا؟!».

قالت مرام ضاحكة: «لأن عصام ومراد حين يكتشفان
وجود الشامبو الخاص بي لا أستطيع أن أصف لك ماذا

يفعلان ليستفزاني.. الزجاجة لا تبقى أكثر من أسبوع وكأنهم يشربانه فأصبحت أبتاع لهم من الرخيص لأوفر، ففي النهاية شعرهما قصير ولا يحتاج إلا الصابون».

ابتسمت نيللي وهي تأخذ منها زجاجة الشامبو وتعرفت على اسمه بسرعة وتابع لأي شركة فشكرتها لتقول مرام وهي تخرج: «حينما أخرج مرة أخرى سأبتاع لك بعض المستلزمات الشخصية النسائية فأنا لا أشتريها عادة من صيدلية الحي في وجود أنس لأنني أشعر بالحرج، آه وضعت لك هذا الكرسي البلاستيكي لو أحببت الجلوس عليه وقت الاستحمام ووضعت لك أيضًا كيسًا كبيرًا فوق الرف تستطيعين لف الجبيرة به، هل تريدين المساعدة في ذلك؟».

هزت نيللي رأسها نافية فأغلقت مرام الباب خلفها بعد أن قالت: «كوني على راحتك سأمنعهم من الدخول إلى هذه المنطقة حتى تنتهي من حمامك».

وقفت نيللي تحقق في الباب القديم الذي أغلقته مرام خلفها عاجزة عن وصف شعورها، إنها تختبر كل دقيقة شيئًا جديدًا.. شعورًا جديدًا، وتشغل رأسها فكرة جديدة ومرت عليها بعض اللحظات أثناء اليوم خيل إليها أنها في غيبوبة أو ربما تحلم

لا تعرف إن كان حلمًا جيدًا أم سيئًا هو فقط حلم تغيرت فيه تفاصيل حياتها وكأنها ذهبت في رحلة لمكان آخر لتقابل أناس آخرون لم تحتك بهم يومًا.

تطلعت حولها في الحمام الضيق الذي رغم أنه نظيف لكنها شعرت ببعض الضيق فهو لا يشبه حمامها ليس في المساحة أو الإمكانيات فقط؛ لكن أيضًا في مشاركة أغراب في الحمام نفسه والأدوات نفسها وفكرت في أن عليها أن تطلب من مرام أن تبتاع لهاليفة استحمام.

تحت رذاذ الماء الدافئ أخذت تسترجع كل شيء حدث لها خلال الفترة الماضية حتى وصلت إلى هذه اللحظة التي تقف فيها بكيس يغطي نصف ساقها تستحم في بيت غريب، وبرغم هذا حاولت استعادة اتزانها النفسي مارست كل الحيل التي تعرفها من أجل ذلك وطرحت كل المشاكل أو بمعنى أصح المصائب أمامها كي تقرر ماذا ستفعل في القادم فلا وقت للانهيـار وليس هذا أيضًا المكان المناسب له وأول خطوة لا بد أن تبدأ بها هي أن تقرر، أين ستعيش خلال فترة علاجها حتى تنزع الجبيرة؟ فهي فرصة ذهبية كي تفكر فيما ستفعله بعد ذلك.

حين انتهت من حمامها ثم خرجت تلف وشاحاً نظيفاً حول وجهها أعطته لها مرام، ومرتدية ملابسها البيتية الجديدة من بنطال واسع وسترة شتوية، كانت تستند على ذلك الكرسي وتتحرك ببطء نحو المطبخ فوجدت مرام تقف بملابس بيتية بنطال قماشي واسع وبلوزة شتوية بأكمام طويلة شبيهة بالتي ترتديها، شعرها كان بنيًا طويلًا ترفعه في كعكة فوقية مفككة وكان أمامها عدة أواني للطبخ وتلقي على زينة بعض الجمل من كتاب القراءة فتكتبها الأخيرة المتربعة على كرسي

خشبي بجوار الباب.

المنظر كان يدعوها للتأمل أن مرام هذه تعمل كالدينامو دون توقف، ومن يراها يعتقد أن زينة ابنتها رغم أن الأولى تبدو صغيرة، هي نفسها لوهلة تصورت ذلك ليلة أمس لكن حين قالت إن أنس سيأخذ زينة فهمت أنهما لا يناما في البيت نفسه.

استدارت لها مرام تقول: «حمام الهنا».

غمغمت نيللي ضاحكة: «أخيرًا أصبحت نظيفة».

ضحكت مرام وعادت لما تفعل وهي تقول: «الطعام سيكون جاهزًا بعد قليل والجميع سيجتمعون على العشاء لقد هاتفت عصام وسينضم أنس أيضًا».

هللت زينة ثم جاءها صوت روح يقول: «يا زينة حلقة القط والفأر».

انتفضت الأخيرة تترك مقعدها وقالت لمرام باستعطاف: «أريد راحة مرامي تعبت».

قالت الأخيرة: «لقد أوشكت على الانتهاء».

ارتسمت ملامح البؤس والترجي على وجه زينة فقالت مرام: «حسنًا اذهبي وسننتهي من الإملاء فيما بعد».

أسرعت الصغيرة تغادر المطبخ وراقبتها نيللي وهي تتقوقع بجوار روح التي قالت لها: «سأتركك فقط تشاهدين هذه الحلقة؛ لكن بعد قليل سأقلب القناة كي أشاهد المصارعة

و(علت صوتها) أليست المصارعة بعد قليل يا عارف؟».

سألت نيللي مرام: «لماذا لا تناديك زينة بعمتي؟ أليست عمته؟».

عبست مرام تستوعب السؤال ثم ضحكت قائلة: «أنا بالفعل في مقام عمته؛ لكنها تعودت منذ أن كانت صغيرة بدعوتي بمرام مثل الآخرين، ثم أصبحت تقول (مرامي) مثلما يدعوني مراد».

«ما معنى (في مقام عمته) أليس أنس أخوك؟».

سؤال سأله نيللي متعجبة فرفعت مرام حاجبيها وأسرعت بالقول ضاحكة: «لا.. لا دكتور أنس ابن عمنا».

سألها نيللي: «أهو طبيب؟».

أجابت الأخرى: «لا صيدلي».

هزت نيللي رأسها وتحركت تجلس على الكرسي مكان زينة وهي تقول: «لقد ظننته أخوك يشبهكم في الملامح رغم اختلاف لون البشرة».

ردت مرام وهي تقلب الأرز في الحلة فوق الموقد: «لا هو ابن عمنا، أنس سالم شلتوت، ويسكن في الطابق السادس الشقة التي تقع تحتنا بالضبط هو الوحيد الباقي من أقاربنا الباقين في مسقط رأس أبي من الأقارب البعيدين، يعمل نهارًا في قسم التحكم في الجودة في إحدى شركات الأدوية وفي المساء في صيدلية الحي (وأضافت بلهجة فخورة)

وحاصل على درجة الماجستير وعلى وشك الحصول على درجة الدكتوراه، وإن شاء الله سيكون من أصغر من يحصلون عليها في البلد إنه في الرابعة والثلاثين من العمر.

رغم سخاء مرام في الإجابة فإن نيللي رفعت حاجبها متفاجئة وقالت: «يعمل في شركة أدوية؟! ما اسمها؟».

حركت مرام مقلتيها لأعلى في محاولة للتذكر ثم قالت: «نسيت اسمها».

فهزت نيللي رأسها ثم سألتها: «زوجته؟ أقصد والدة زينة».

تركت السؤال مفتوحاً فلوت مرام شفيتها وتغيرت ملامحها للضيق فأسرعت نيللي بالقول: «أسفة لم أقصد التطفل أنا كنت أثرر معك لأسليك وأنت تطبخين».

قالت مرام بضيق: «سأحكي لك عنها فيما بعد حينما نجلس سوياً».

بعد آذان المغرب دخل عصام عائداً من الخارج فألقى السلام ثم قال: «معي أنس».

فهتفت مرام من وقفها في المطبخ وهي ترفع أحد الأوشحة وتلفه حول رأسها: «فليتفضل».

راقبت نيللي بنظرات مختلطة من جلستها على باب المطبخ زينة وهي تهرول نحو والدها قائلة: «أرني صورتني وأنا في الإذاعة المدرسية».

مال الأخير يقبل وجنتيها ثم ترك لها هاتفه المحمول وسأل:

«كيف حالك يا روح الفؤاد؟».

كانت الأخيرة مشغولة بمتابعة حلقة المصارعة ولم ترد فغمغم ساخراً: «متى ستكف هذه المرأة عن مشاهدة هذا العنف!».

أما نيللي فحركت أنظارها نحو عصام بنظرة أكثر تدقيقاً وفضول شديد يملكها نحوه.

كان يرتدي بنطالاً من الجينز القديم وحذاء رياضياً قديماً وكنزة صوفية فوقها سترة جلدية سوداء فانتابها الفضول لتعرف لماذا كان يرتدي بدلة رسمية يوم أمس وما الذي كان يفعله بهذا الميكروबाص الذي كان يقوده.

أسرعت بخفض نظراتها بسرعة حينما حانت منه نظرة مختلصة نحوها ولم تدر لم شعرت بالارتباك، ربما لأن نظراته فيها قوة وعنفوان يؤثران فيها.

قال أنس بلهجة أحستها نيللي متهمكة بعض الشيء: «كيف حالك يا آنسة.. نيللي؟».

قالها وكأنه يسألها إن كانت متزوجة أم لا.. فردت الأخيرة: «نيللي فقط وأنا بخير والحمد لله أحاول أن أتكيف مع وضع قدمي الحالي».

كان يقف يديه في جيبى سترة رملية اللون يماثل عصام في الطول؛ لكنه يختلف عنه فلون بشرته أفتح بكثير وشعره بني وعرض كتفيه أقل من عرض كتفي عصام الواضحين.

احمرت وجنتاها وأخفضت نظراتها توبخ نفسها على هذه التفاهة التي باتت تفكر فيها، هل أصبحت متفرغة للدرجة التي تجعلها تدقق في هذه الأمور؟! أم أنها تحاول الهرب من الموضوعات الأخرى الأكثر خطورة في رأسها بهذه الأفكار المراهقة؟!

كان عصام يمسك في يده منذ دخوله شيئًا يشبه العصي ووقف حائرًا أين يضعه، فسحبه أنس الذي لم يرحمه من سخريته طوال الطريق من الصيدلية حتى باب الشقة وقال وهو يفتحه فازدادت طولًا: «لقد أحضر لك عصام عكازًا طبيًا كي تتحركي به.. لكن بالطبع عليك الحذر فالحركة للضرورة فقط».

أشاح عصام بوجهه بعيدًا وتمنى أن يضرب أنس لكنه قال موضحًا: «إنه مستعمل كان عند أحد المعارف يستخدمه؛ لكنه لم يعد يحتاجه فاستعرتة منه لبعض الوقت».

قال أنس بلهجة مسلية: «يبدو مستعملًا فعليًا بالمناسبة لقد نسيت السعر على العكاز يا باشمهندس».

قالها وهو ينزع ورقة السعر يلصقها على صدر قميص عصام الذي حدجه بنظرات نارية؛ لكن الأخير استدار لنيللي التي تبدو متفاجئة وقال وهو يقترب منها: «ها هو تستطيعين تعديل الطول كما تريدين».

تطلعت نيللي في العكاز ثم نظرت لعصام تقول: «أنا شاكرة جدًا جدًا.. هل من الممكن أن أعرف ثمنه؟».

حدجها عصام بنظرة من نظراته القوية غاضبًا بينما قال أنس وهو يعود ليقف بجوار عصام ينزع ورقة السعر من فوق قميصه ويقطعها بطريقة علنية: «لقد أخبرك أنه مستعار فصدقيه».

تحرك عصام يقطع الطريق نحو الداخل، بينما قال عارف الذي كان يراقب ما يحدث: «هيا حاولي الاستناد عليه بنيتي».

أخذ الواقفون يتابعون محاولة نيللي الوقوف والاستناد على العكاز وساعدتها مرام حتى اطمأنت أنها بدأت تتحرك به ببطء، ثم استدارت نحو أنس تقول بملامح طفولية: «أنس».

كان يقف يديه في جيبه سترته يتطلع أمامه؛ لكنه يعلم أن كل خلية فيه منتبهة لوجودها منذ أن دخل حتى لو لم يبد عليه ذلك، وحتى لو منع عينيه من النظر إليها وها هي بمجرد أن اقتربت تحفزت ذرات جسده كلها وتسارعت دقات قلبه اللعين، فشعر بالضيق من نفسه واستمر في الادعاء بالنظر أمامه على نيللي التي تجرب العكاز لتقول مرام بلهجة منغمة: «دكتور أنس هل أنت غاضب مني؟».

تحركت عيناه بنظرة جانبية نحوها وسألها: «لماذا؟».

ردت وهي تقوس شفيتها لأسفل: «لأنني كنت حادة معك هذا الصباح».

كان وجهها الممتلئ المستدير يحمل تعابير طفولية أمام عينيه فيزيد من صعوبة مهمته وهو يجيبها: «لا.. لست غاضبا

المهم ألا تكوني أنت غاضبة مني ست مرام».

وضعت قبضتها على فمها فسحب نظراته بصرامة مع نفسه لينظر للأمام وقد بدأ ضيقه يزداد وسمعها من بين ضربات قلبه العالية تقول: «أنت تعرف أن زينة نقطة ضعفي وأنا لا أريدها أن تتألم».

عاد ينظر إليها قائلاً: «أنا أتفهم ذلك جيداً ولست غاضباً مرام؛ لكن لا أفهم لماذا انفعلت كل هذا الانفعال إنه مجرد تيشيرت أحمر، وها أنت رأيت أنهم لم يمنعوها من الاشتراك». قالت موضحة: «أنا لا أريدها أن تشعر أنه ينقصها شيء بسبب عدم وجود أمها يا أنس».

تألم قلبه وحرك أنظاره نحو صغيرته التي تشاهد هي وروح الفؤاد الصور والمقاطع المصورة على هاتفه ثم قال باقتضاب: «تمام.. فهمتك».

حاولت مرام تغيير الموضوع الذي تعلم أنه يضايقه فأسرعت بالقول: «هل أخبرتك أنني انتهيت من الرواية التي أعطيتها لي؟».

قال متهكماً: «أخيراً».

ابتسمت وردت: «نعم أخيراً».

- «وما رأيك فيها؟».

ردت مرام بحماس: «أحببتها جداً.. وأعجبتني فهي ملهمة، ما رأيك أنت؟».

مط شفّتيه وقال وهو يجبر عينيه على النظر أمامه:
«استفزّنتني بعض الشيء».

سألته باندهاش: «لماذا؟!».

رد متهكمًا: «فكرة أن لكل منا أسطورته الشخصية أشعر أنها
فكرة نظرية وليست واقعية».

قالت مرام تناقشه: «هو يقصد ألا نرضى بما في أيدينا
وأن نعمل من أجل تحقيق الحلم الذي نتمناه، وحتى لو لم
نحققه سنتعلم في رحلة تحقيقه أكثر بكثير مما لو كنا قانعين
بواقعنا».

- «كلام إنشائي».

قالها وهو يطم شفّتيه فقالت متفاجئة: «الحقيقة تصورت
أنه سيعجبك فأنت نفسك تسعى لتحقيق حلمك ولا تريد
التنازل عنه رغم مرور كل هذه السنوات».

هز كتفيه ورد: «ربما أنا مُستفّز من هذه الرواية، لأنني لم
أستطع تحقيق حلمي حتى الآن».

ردت مرام: «ربما عمومًا أنا شخصيًا سأعمل بنصيحته
وسأحاول تحقيق أسطورتي الشخصية».

طالعتها بنظرة جانبية وسأل: «والمعنى؟».

صمتت تناظره بغباء ثم أجابت: «لا أعرف لكني سأخبركم
حينما أعرف».

لم يستطع أن يتحكم في ابتسامة ارتسمت على شفثيه وذاب قلبه حينما ابتسمت له هي الأخرى ساخرة من نفسها، فأرغم عينيه على التطلع أمامه مرة أخرى لتقول مرام مضيفة: «لكن هناك عيبًا وحيثًا في الرواية بالنسبة إليّ».

سألها دون أن ينظر نحوها مدعيًا متابعة زينة: «ما هو؟».

ردت مرام شارحة: «إنه لم يخبرنا عن لقائه بحبيبته حينما عاد، كيف كان وبما شعر كيف أغفل هذه الجزئية».

رد عليها بلهجة جادة وهو يعود لينظرها بجانب عينيه: «ربما لأنها جزء فقط من رحلته لتحقيق حلمه».

مطت شفثيها وقالت بغير رضا: «حتى لو كان ذلك.. كان من المفترض أن يخبرنا بعلاقته مع حبيبته وكيف استقبلته وكيف تزوجها وما إلى ذلك».

ابتسم ابتسامة ساخرة فقالت بغيظ: «لماذا تضحك؟!».

غمغم بهدوء وهو يعود للنظر أمامه: «لم أخطئ حينما أطلقت عليك لقب ذات الأحلام القرنفلية».

في غرفته كان عصام قد انتهى من الاغتسال وتبديل ملابسه لأخرى بيتية، فهو لا ينوي الخروج الليلة بعد العشاء يرغب في السهر على تصاميمه، فوقف يفكر ويحلل ما فعله اليوم وحرصه على شراء ذلك العكاز لصديقة مرام، وأصر على أن يفسر الأمر كما أوضحه لأنس أنها مجرد شفقة منه على الفتاة، فحالتها دون أهلها تعير نخوته كرجل لا أكثر.

في الخارج هتف مراد الذي وصل قبل قليل آتياً من الخارج:
«ما شاء الله.. صينية بطاطس وأرز بالشعرية ودجاج محمر
(ونظر لمرام يسألها) لماذا هذا الحنان المتدفق والكرم الكبير
اليوم؟!».

ضربت على كتفه تقول بتوبيخ: «اجلس وكل يا مراد».

جلس الأخير بينما تحركت عينا نيللي نحو عصام الآتي
من الداخل فأسرعت بالإشاحة بنظرها في الوقت الذي اتخذ
الأخير مكانه قبالتها صامتاً، ليقول مراد لمرام وهو يرفع
إصبعه كتلميذ يطلب الإذن بالحديث: «أريد أن أعرف هل هذا
معناه أن غداً الجمعة لن تطبخي أكلاً مميزاً كما تعودنا يوم
الجمعة؟!».

جزت على أسنانها شاعرة بالحرص أمام نيللي، بينما ربت
أنس الذي يجلس بجواره على صدغه بخشونة قائلاً: «كل يا
حبيبي (وملأ المعلقة بالأرز ودسها في فمه مضيقاً) كل وأنت
صامت».

تطلعت نيللي في التفاف الجميع حول المائدة وشعور حلو
يدغدغ قلبها فكم تمت أن يكون لها أسرة كبيرة تلتف حول
المائدة كل مساء.

بعد قليل تنحنحت وقالت: «الحقيقة أنا ممتنة لكم جميعاً
ومهما فعلت لن أستطيع أن أرد لكم معروفكم معي، فلولاكم
لا أعرف كيف كنت سأصرف مع ما حدث لي (وفركت كفها
تحت المنضدة بتوتر وهي تضيف) وكنت أتمنى أن تكملوا

معروفكم معي بإيجاد غرفة مفروشة أو غرفة في فندق، فأنا ليس معي حتى هاتف لأبحث على الإنترنت عن أسعار فنادق مناسبة».

وتجاهلت إلحاح عقلها عليها بأن المبلغ الذي معها لن يكفيها أكثر من أسبوع تقريبًا في فندق ثلاثة نجوم بالإفطار فقط وقالت: «أنا أعرف أنني أثقل عليكم بطلباتي؛ لكنكم أهل شهامة وكرم».

قالت عبارتها الأخيرة وعيناها تذهبان دون أن تدري نحو عصام الذي يتطلع في طبقه صامتًا منذ بداية الجلسة بينما قالت مرام عابسة: «ولماذا الفندق يا نيللي؟! وماذا ستفعلين فيه وحدك؟!».

نظرت إليها نيللي تقول: «يكفي هذا القدر لقد أثقلت عليكم و..».

قاطعها عارف قائلاً: «ما فهمته من مرام أنك من مدينة أخرى وليس لديك أقارب هنا أو هناك.. فلماذا لا تبقيين معنا حتى تنزعين الجبيرة وأنا وعصام وأنس سنسافر معك بعدها لنحل مشكلتك مع صاحب الشقة ما مشكلتك معه بالضبط؟».

أسرعت نيللي تقول بمراوغة: «أنا لا أريد أن أثقل عليكم وسأتدبر أموري إن شاء الله».

وضع أنس المعلقة في فمه بعد أن ناظر عصام بنظرة ذات مغزى وقد استشعر هروبها من السؤال بينما قالت مرام: «ابقي معنا يا نيللي فأنا والله سعيدة أنك معي فليس لي

صديقات».

طالعتها نيللي بتردد فتدخلت روح تقول: «إن بقيت لن تأكل من علبة الجبنة لأنها لي وحدي».

ابتسمت نيللي بينما قالت مرام: «ابقي معنا حتى تنزعي الجبيرة، أنت بأمان هنا بيننا وسنقضي أنا وأنت الوقت في أشياء كثيرة نفعلها ماذا ستفعلين في غرفة في فندق وحدك».

ازدادت حيرة نيللي وتطلعت أمامها تفكر ثم قالت باندفاع: «لو بقيت فاسمحوا لي أن أدفع مقابل إقامتي هنا».

قبل أن تكمل جملتها كان عصام قد وضع الملعقة على المنضدة بحدة هاتفاً: «نعم؟! ومن أخبرك يا فندم أننا نقدم في بيتنا غرفاً للإيجار؟!».

أجفلت نيللي من شراسته المفاجئة فنظر عارف لابنه نظرة لائمة، بينما أسرع مرام تقول بدبلوماسية: «نيللي حبيبتي ما الذي تقولينه؟! أنت بذلك تهينينا».

الحرص والارتباك سيطرا عليها من رد فعل عصام الحاد الذي لا يزال يطالعها بنظراته القوية والحادة فأسرعت بالقول وهي تحاول السيطرة على ضربات قلبها العالية: «أنا أعذر.. لم أقصد أية إهانة أبداً كنت فقط أرفع عن نفسي الحرج الذي أشعر به وأنا أثقل عليكم بفرض نفسي بينكم أنا..».

قاطعتها مرام تقول وهي تحيط كتفيها بذراعتها: «ابقي من

أجلي أنا يا نيللي أرجوك».

فطالعتها نيللي بنظرات حائرة ولم تعلم بم ترد.

في تلك الأثناء كان أحدهم يقترب من البناية التي تسكن فيها نيللي شرف الدين؛ لكنه تفاجأ بمن يخرج من تلك البناية وخلفه عدد من الرجال، فسقط قلبه بين قدميه وأسرع بالاختباء خلف حافلة تقف عند الرصيف المقابل وسمعه يقول لحارس العقار: «إن جاءت أخبرها أن تمر علي فقد اضطررنا لكسر باب الشقة وغيرنا المفتاح».

فسيطر عليه الإحباط وفهم أنها ليست موجودة فأسرع بالتحرك بسرعة مبتعدًا في خوف وحيرة متسائلًا ماذا سيفعل في المصيبة التي بحوزته؟!

الفصل الرابع

بعد أسبوع

الألفة لا تحدث إلا مع راحة النفس.. والنفس تتوق للدفع
وصدق الشاعر

وهي في أشد الحاجة لذلك.

حقائق لم تغفل عنها يومًا؛ لكنها أضحت أكثر وضوحا
وهي تحلل أسباب شعورها بالراحة في بيت عارف شلتوت
رغم بعض الأمور غير المريحة في وضعها كضيقة في مكان
ليس مكانها، بالإضافة لأن تلك الأيام الهادئة إلى حد الملل
أثناء النهار أعطتها فرصة لاستعادة توازنها النفسي وتحديد
خطواتها التالية، هذا ما أقرت به بعد أن أبعدت عن ذهنها
التفكير في المشاعر الحزينة والمحبطة كالمعلومات التي
قيلت لها عن والدها التي ترفض تصديقها، قررت أن تنتظر
عودة العم جودت من رحلة علاجه بالخارج، وهذا سيتطلب
منها متابعة مكتبه بعد أن استبعدت أن تتصل بإحدى بناته
لأنها ستتخرج من أن تطلب منها ألا تخبر أحدا عن اتصالها
فعلاقتها بالعم جودت وبناته معروفة للجميع، وهي ترغب في
أن تقضي عطلتها دون مقاطعة حتى تكون مستعدة للوقوف
على قدميها والمواجهة.

على سيرة العطلة ابتسمت وهي تتطلع في غرفة مرام ذات
الأثاث البسيط وقالت لنفسها: «هل هذه هي أخرة صبرك في
العطلة يا نيللي».

عادت تحمد ربها وتشكره على أن وضع في طريقها مرام وعائلتها ورغم ألم ساقها وضيقها من الجبيرة؛ لكنها كانت بحاجة لذلك البعد عن كل شيء كانت بحاجة لأن تعيد ترتيب أوراقها، ثاني شيء عليها أن تفعله هو أن تتذكر رقم هاتف رامي إنها تتذكر جزءًا من الرقم ويختلط عليها آخر رقمين والتجربة تحتاج لفرضيات طويلة وتحتاج لهاتف، ولهذا أعطت نقودا لمراد ليلة أمس حتى يبتاع لها هاتفًا مستعملًا يدخل على الإنترنت.

نما إلى سمعها صوت مراد العالي ثم صوت عارف خاصة أن الغرفة بها نافذة جانبية صغيرة تطل على الشرفة الوحيدة بالشقة وشعرت بالتوتر وحين علا صوتهما أحست بالقلق من تطور الجدل في عدم وجود مرام أو عصام أو أنس فالثلاثة يحتوون أي موقف يحدث بين عارف وابنه الصغير، بتلقائية ومدفوعة بالرغبة في الوجود وكأنها تحاول ضمينا القيام بدور الثلاثة في عدم وجودهم أسرع نيللي بالتقاط عكازها والخروج من الغرفة وأذناها تلتقطان شيئًا فشيئًا الحديث الدائر.

هتف مراد بانفعال: «أين المشكلة في أن أطلب مصروفي قبل موعده؟».

قال عارف بغضب: «أنا أعطيتك مصروف الأسبوع الذي لم ينته بعد».

تكلم مراد مجادلًا: «أخبرتكم أنني أريد مصروف الأسبوع

القادم مقدما يا أبي، أريده سلفة قبل مواعدها».

عند نهاية الممر ترددت نيللي في الخروج إلى الصالة أثناء شجارهما، وفي الوقت نفسه لم تستطع العودة لمكانها فوقفت مكانها خلف طرف الستارة المطوية جانبا وازداد توترها بينما قال عارف من بين أسنانه بغيظ مكبوت: «لم أقبض المعاش بعد يا متخلف؛ لكن ما هو الشيء الملح الذي تطلب من أجله مصروف الأسبوع القادم مقدما؟».

أجاب مراد باندفاع: «عندي مباراة مهمة جدا على الإنترنت الليلة وخطوط الهاتف مقطوعة بسبب عطل الخط وسيحتاج الإصلاح لثمانين وأربعين ساعة كما أخبروني حين قدمت الشكوى، لذا أشعر أنني سأصاب بجلطة والله».

هتف عارف منفعلا: «بل أنا من سيصاب بجلطة بسببك يا بارد أي لعبة التي تفعل كل هذا من أجلها».

طالعه مراد وذرات الغضب تشتعل بداخله والسخرية مما يحب تشعره في الوقت نفسه برغبة في البكاء فازداد حنقا وغضبا بينما أضاف عارف موبخا: «ألا يوجد لديك أي شعور؟ ألا ترانا مضغوطين ماديا بسبب دروسك الخصوصية وتلك المبالغ التي ندفعها من أجلك؟ وليتك تهتم لا أشعر بأنك مهتم من الأساس».

هتف مراد بانفعال: «أية دروس التي تتحدث عنها يا أبي؟ هما مادتان فقط وغيري يأخذ في جميع المواد».

صرخت روح فجأة بانفعال من جلستها على الأريكة: «لماذا

تعلي صوتك يا قليل التربية؟!«.

نظر إليها مراد صائحا: «أنا لست قليل التربية يا جدتي».

قال عارف بحزم وهو يرفع سبابته: «احترم جدتك ولا تعلي صوتك نحن لم نبخل عليك بشيء، كم مرة طلبت منك أن تعرف قيمة الاشتراك في باقي المواد».

هتف مراد بجنون وكأنه يتحدث بلغة من خارج الكوكب: «قلتها ألف مرة ولم يبق إلا أن أغنيها على الربابة لقد فات الوقت فات الوقت، الحجز عند كل المدرسين كامل العدد وقد بدأ من بداية الصيف ومع هذا أنا أوصيت أكثر من مركز دروس إذا وجدوا أي فرصة سيبلغونني واليوم عندي موعد مع أحدهم سيخبرني إن كان قد نجح في إيجاد مكان لي أم لا».

شعر عارف بالضيق الشديد وغمغم: «أنا لا أعرف ما هذا الجنون الذي يحدث (ونظر لمراد ليفرغ فيه شعوره بالغضب والإحباط) ورغم هذا.. ورغم المبالغ التي ندفعها والتي سوف ندفعها أنت تطلب بكل جرأة مصروفا إضافيا كي تلعب لعبة.. عيب على طولك الذي فاق طولي».

صرخ مراد بانفعال: «وما ذنبي أنا في كل هذا؟!«.

رد عارف: «ذنبك أنك غير مُقَدَّر لحالتنا المادية (ورفع إصبعه محذرا) وإياك أن تطلب من عصام يكفيه ما يعانيه».

غمغمت روح الفؤاد من مكانها بشفقة: «قلبي عليه وهل

هناك مثل عصام أو أدب عصام أو أخلاق عصام أمنيّتي أن أراه سعيدا مرتاحا في أعلى المناصب».

احمرت وجنتا نيللي تلقائيا عند ذكر اسمه ومرت صورته سريعا أمام أنظارها وهو عابس الوجه، بينما أنهى عارف الحديث قائلا: «الرد على طلبك وصلك لذا احترم نفسك وقدر ظروفنا».

ناظره مراد بوجه مكفهر ثم صاح بغضب: «ظروفنا ظروفنا ظروفنا لماذا أنجبتمونا من الأساس إن لم تكونوا تملكون ما يحقق لنا ما نريد؟! هل أنجبتمونا لتذلونا بما تفعلونه من أجلنا؟!».

العبارة عصرت قلب عارف هزته سكبت الملح فوق جراحه فوقف متقبضا يتابع انصرافه وخروجه من باب الشقة غاضبا.

على السلم فُتح باب الشقة المقابلة وخرج منه مراهق بدين في عمر مراد ونادى عليه فتوقف الأخير قائلا دون أن يستدير: «ماذا تريد يا بيسو؟».

قال باسم: «لا شيء كنت أريد أن أطمئن عليك».

غمغم مراد باقتضاب وهو يتحرك نزولا: «أنا بخير لا تؤاخذني أنا متعجل».

راقبه باسم حتى اختفى عن أنظاره ثم غمغم بخفوت يبلع عبارته: «كنت أريد أن أسألك أن تلعب معي أونلاين».

وأطرق برأسه وعاد ليدخل شقته في إحباط.

أما نيللي فظلت واقفة في الممر يسيطر عليها التوتر وغلبتها الشفقة متمنية لو تستطيع المساعدة؛ لكنها مقيدة بالمبلغ الذي تملكه حاليا ومقيدة بعدم رغبتها في جرح مشاعرهم فهذا من ضمن ما لاحظته عنهم أنهم حساسون جدا، شعرت بالقلق على عارف فأطلت برأسها من خلف طرف الستار لتنتفض مجفلة حينما وجدت وجه روح أمامها لا يفصل بينهما إلا بضعة سنتيمترات فوضعت يدها على قلبها تقول: «سأموت بالسكتة القلبية بسببك يا حاجة روح».

ضيقَت الأخيرة عينيها تتفحصها ثم قالت: «علام تنصتين؟!».

بلعت ريقها وردت بكبرياء: «لم أكن أتنصت كنت في طريقي للصالة».

قالتها وهي تستند على عكازها متخذة بضع خطوات لتسألها روح: «هل تعرفين كيف تبحثين في قنوات التلفاز؟ هناك قناة تبث أفلاما قديمة نسيت رقمها».

سألت نيللي بذهن شارد وعيناها تبحثان عن عارف الذي اختفى في الشرفة مكانه المفضل: «ما اسم القناة؟».

أجابت روح: «لا أعرف لكن عليها علامة هلال».

عقدت نيللي حاجبها ثم قالت وهي تتجاوزها: «حاضر لكن امنحيني بضع دقائق وسأعود».

حين دخلت الشرفة وجدت عارف يعتني بنباتاته.. هوايته المفضلة بعد قراءة الكتب التي حول بها الشرفة الصغيرة لحديقة جميلة أغلبها من زهرة القرنفل، هواية أولى لها اهتمامه بعد تقاعده كما فهمت منه، تنحنحت فالتفت لها فابتسمت ولم تجد ما تقوله غير أن تسأله: «هل أنت بخير؟».

هز رأسه مطمئنا يداري مشاعر متألمة تجيش في صدره فما أقسى على أب من أن يرى معاناة أولاده حتى لو كانوا مدللين كأصغر أبنائه فقالت نيللي: «أنا كنت معله بالمناسبة حين كنت في سنه».

نظر إليها بصمت لتقول باستدراك: «بالطبع لم أكن بهذا الطول أو الصوت الجهوري أو العصبية لكني كنت في مراهقتي ناقمة على كل شيء، لأن أبي كان يضغط علي كثيرا خاصة بشأن الدراسة كان متحكما في كل ما يخصني.. يريدني بالشكل الذي يراه مناسباً لي وللعائلة.. ولم يكن يسمح لي - بدعوى أنه الأكثر دراية بمصلحتي - بأن يكون لي رأي حتى فيما أرtdي وفيمن أصاحب وفيما أقضي وقت فراغي».

تعاطف عارف معها لكنه حاول أن يكون دبلوماسيا فقال لها بصدق من وجهة نظر أب: «أحيانا نقسو على أولادنا لأننا نخاف عليهم».

ردت نيللي بتلقائية: «وأحيانا يكون هذا الخوف هو قيد يقيد به الابن ويترك أثرا حتى لو تحرر منه فيما بعد».

ساد الصمت وأعادت نيللي في رأسها ما تفوهت به للتو فسألها عارف: «وماذا حدث؟ أقصد قلت إنك كنت مثل مراد».

بلعت غصة مرة في حلقها وردت وهي تشيح بيدها في الهواء: «الأمر أخذ مني فترة تمرد ثم بعد ذلك استسلمت وحاولت التكيف (وأضافت والشعور بالمرارة يزيد) لكن بصراحة لم أكن سعيدة كنت كمن يجلس في تابوت ضيق خائف لا هو حي ولا هو ميت».

كان التشبيه غريبا أوجع قلبه وجعله يفكر فيه، بينما شردت نيللي في زهور القرنفل المختلفة الألوان وسألت نفسها عن الذي جعل تلك المشاعر تطفو على السطح مرة أخرى كانت قد تعاملت معها منذ زمن وقررت التكيف لإسعاد والدها ونيل رضا.

صاحت روح من الداخل: «يا (نيللي) ألن تأتي؟».

ابتسمت نيللي للطريقة التي تنطق بها اسمها واستدارت تقول: «حاضر آتية».

سألها عارف عابسا: «ماذا تريد أمي؟».

هزت نيللي رأسها تجيب: «تريدني أن أبحث لها عن قناة معينة».

زفر قائلا: «الله معك عموما إن أردت أبحث لها أنا عنها».

أسرعت نيللي بمقاطعته قائلة: «لا أنا سأسلي نفسي

بالبحث عن القناة التي تريدها».

قالتها وتحركت لتعود لروح المتذمرة فجلست أمام شاشة التلفاز تبحث بين عشرات القنوات عما تريده الجدة وعقلها مشغول بذكريات الطفولة والمراهقة التي هاجمتها دون إنذار، وفكرت فيما كان يضايقها من والدها من وجهة نظره كأب هذه المرة الأولى تفكر بهذه الطريقة، ربما لأنها أشفقت على عارف كما تفهمت مراد وذلك الصراع الذي يرزح تحته صراع فترة المراهقة المربك.

أغلقت مرام حقيبتها تستعد للمغادرة في الوقت نفسه الذي خرج مديرها يقول بتحفظ: «إلى أين؟».

ردت هاجر زميلتها في المكتب: «ننتظر موعد المغادرة».

وقف في وسط المكتب وكرشه أمامه وقال بعنجهية: «والعمل المتراكم؟».

تدخلت مرام قائلة: «لقد أنهينا كل شيء والحمد لله».

قال موضحا: «هناك المزيد سأعطيه لكما بعد قليل وليس هناك مغادرة إلا بعد أن نهييه».

تسديد لكمة إلى وجهه ثم حمله وشقلبته من فوق كتفها أرضا ثم حمله مرة أخرى ومسح المكاتب البالية القديمة به.. مكتب.. مكتب حتى يصبحون أكثر نظافة، هذا ما كانت تتمناه مرام لحظتها وهي متجمدة في مكانها تناظره وتطحن

ضروسها، أما زميلتها فأسرعت بالقول اتقاء لشره: «تحت أمرك يا فندم نحن في الانتظار».

استدار المدير بعدها عائدا لمكتبه ونظرات الفتاتين تكاد أن ترشقه في ظهره بنظرات مسننة لتقول مرام بحق: «لماذا سيؤخرنا لماذا؟! هو الذي يحضر متأخرا كل يوم ما ذنبنا نحن في ذلك؟!».

هدأتها زميلتها قائلة: «ليس هناك داع لافترعال مشكلة حتى لا يعاقبنا تعرفينه جيدا».

بغیظ وشعور كبير بالقهر غمغت مرام وهي تجلس خلف مكتبها: «أعرف.. حسبي الله ونعم الوكيل».

دخلت الأستاذة سهير مديرة أحد الأقسام وتطلعت في الفتاتين الواجمتين وسألت: «ما بكما؟».

قالت مرام وهي تقف لتستقبلها: «سيجلطنا يا مدام سهير والله يريد أن يؤخرنا وأنا ينتظرني الكثير في البيت».

قالت سهير مهدئة: «لا تحرقى دمك حبيبتي عموما أنا أيضا سأتأخر قليلا وجئت لأرى إن كنت موجودة لتسليني فساكون في القسم وحدي (ثم استدركت قائلة) وهاجر بالطبع».

اندهشت مرام من الطلب الغريب لكنها قالت: «حسنا.. لا بأس سنسلي بعضنا إذا ما دمنا سنبقى سويا».

قالت سهير بحماس غير مبرر: «رائع (ثم أضافت وهي تدقق فيها) تبدين مجهدة مرام لماذا لا تذهبين للحمام

وتهندمين نفسك قليلا (واستدركت قائلة) حتى تشعرين ببعض الانتعاش».

زاد اندهاش مرام وتبادلت نظرة مختلصة مع زميلتها ثم قالت: «آه طبعا بالتأكيد».

قالت سهير وهي تربت على كتفها: «حين تنتهين من العمل مري علي لتخبريني بأنك سترحلين (وأضافت بحرج) وهاجر طبعا».

هزت مرام رأسها بطريقة آلية ثم استدارت نحو صاحبها تناظرها بعدم فهم بمجرد أن غادرت سهير فبادلتها الأخرى الحيرة نفسها ثم سألتها: «لماذا تطلب منك أن تبقي معها؟».

فكرت مرام لبرهة ثم قالت: «ربما تخاف من البقاء في مكتب خال».

لمعت عينا هاجر وقالت: «بنت يا مرام ربما السبب هو ما أفكر فيه».

رمشت الأخيرة عدة مرات بعدم فهم لتضيف هاجر وهي تترك مكتبها وتقرب منها: «أنت تعلمين أن ابنها قد جاء في زيارة من البلد التي يعمل بها، وقد سمعنا قبل فترة أنه فسخ خطبته لتلك العروس التي لم تكن تحبها مدام سهير والكل في الشركة يعلم بأنها تحبك».

قالت مرام مقاطعة: «وأنا أيضا ربي يعلم أحبها جدا».

أكملت هاجر تخمينها بالقول وهي تضرب ظاهر يدها في

باطن الأخرى: «لهذا أتوقع أن ابنها سيزورها اليوم لهذا طلبت منك أن تعيدي ترتيب هندامك في الحمام».

لمعت عينا مرام وغمغمت بوجنتين متوردتين: «هل تعتقدين ذلك؟».

قالت هاجر وهي تمسك بساعديها: «بالتأكيد (ثم أضافت) سأبدأ في الحقد عليك إنهم كما تعلمين عائلة ميسورة الحال وابنها هذا يعمل في منصب محترم في بنك في دولة خليجية كما أنه وسيم».

اتسعت عينا مرام وسألتها: «حقا وسيم؟».

ردت هاجر مؤكدة: «أجل رأيته مرة منذ بضعة أشهر كان في زيارة للوطن ومر عليها ليوصلها للبيت».

أمسكت مرام بيدي صاحبته وهي تستوعب الموقف، وقد بدأ الحماس يدب فيها فقالت: «هل تعلمين يا بنت يا هاجر لو كان تخمينك صحيحا سيكون لك هدية».

- «مرام».

صيحة جاءت من مكتب المدير بددت القلوب الحمراء التي هربت بسرعة من المكان وجعلتها تفيق من الأحلام الوردية لتسرع بالقول: «نن.. نعم أستاذ حمودة حاضر».

بعد نصف ساعة وبعد أن أنهت ما طلبه المدير وقفت مرام في حمام تلك الشركة الصغيرة التي تعمل بها وتطلعت في المرأة بعد أن أعادت رسم عينيها بالكحل ثم أخرجت طلاء

الشفاه الذي أعارته لها هاجر وطلت شفتيها بالوردي ووقفت
تقيم نفسها وحجابها وجسمها، ثم أخذ التردد يحيط بها من
كل جانب قبل أن يسيطر عليها كلياً وهي تتأمل جسدها
المكتنز، إنها ليست بدينة لكنها مكتنزة خاصة من منطقة
الذراعين والصدر.. طولها متوسط بين الفتيات.. ووجهها
أبيض مستدير ولديها خدين ممتلئين كانا عقدتها أيام
مراهقتها وتمنت أن تنسفهما نسفا فهما أول عنوان لاكتناز
جسدها.

طردت العقد الأنثوية الدفينة جانبا وعادت لتأمل شكلها
فأحست أن طلاء الشفاه كان مبالغاً فيه جداً، ربما لأنها تكتفي
في العادة بالكحل فأسرعت بمسح شفتيها وتركت بقايا
الطلاء عليهما لتعطيها شكلاً مميزاً ثم عدلت من حجابها
قبل أن تتجمد يدها، حين استرجعت معلومة لم تنتبه لها إلا
الآن وهي أن ابن مدام سهير هذا يعمل في الخليج أهذا معناه
أنه يرغب في أن تسافر معه زوجته؟ إن هذا الأمر مرفوض
بالنسبة إليها رفضاً باتاً لقد رفضت من قبل أن تبتعد عن
عائلتها وتعيش في مدينة أخرى وأنهت علاقة حب لتمسكها
بعدم الابتعاد عن أهلها الذين يعتمدون عليها اعتماداً كلياً،
ولهذا مستحيل أن توافق على السفر خارج البلد أبداً.

ذكريات الحب الأول ألحت عليها فأصابتها بالحزن وخاطرة
أن العريس المرتقب ربما يبحث عن زوجة تسافر معه أصابتها
بالإحباط؛ لكنها مرام التي تكره الحزن وتتجاهل الخيبات
تحبسها في صندوق أسود في قاع الذاكرة وتملاً صدرها

بالطاقة الإيجابية لتواصل لذا نفضت عنها تلك الأفكار الاستباقية وقررت أن تخوض التجربة قبل الحكم عليها.

بعد قليل كانت تسحب هاجر بالقوة نحو مكتب مدام سهير التي كانت بالفعل وحدها، بينما بقية الموظفين في المكتب وأغلب موظفي الشركة قد رحلوا، فشاهدتا سهير تفعل شيئاً ما على الحاسوب التي ابتسمت لهما وقالت: «تعاليا أدخلا قاربت على الانتهاء (ونظرت في ساعتها ثم أضافت وهي تخرج علبة بلاستيكية من كيس) معي قطع من الكيك صنعتها بنفسى».

أسرعت مرام بالقول وهي تستند هي وهاجر على أحد المكاتب: «لا شكرا.. هل نساعدك في شيء؟».

هزت سهير رأسها وقالت: «لا أنا فقط أحفظ بعض الملفات كنت أعمل عليها طوال اليوم».

طريقة على الباب وصوت رجولي جاء يقول: «السلام عليكم» جعل الفتاتين متحفزتين بينما قالت سهير بابتسامة متسعة: «ها قد حضر أسعد ابني».

دخل المكتب شاب طويل فقالت سهير موضحة ببراءة: «جاء ليأخذني للبيت (وأشارت على الفتاتين) هذه مدام هاجر وهذه آنسة مرام تعملان بقسم السكرتارية بالشركة».

هزت هاجر رأسها وكذلك مرام وقد شعرت بالارتباك الشديد، فأسعد هذا وسيم فعلا كما أنه أنيق، قالت هاجر فجأة وهي تنظر في ساعتها: «علي أن أذهب لا تؤاخذيني يا

مدام سهير فقد تأخرت على استلام ابني من الحضانة».

أمسكت مرام في طرف بلوزة زميلتها تحاول منعها من المغادرة وهي تشعر أن خديها قد تحولا لكتلتين من النار؛ لكن هاجر خلصت بلوزتها منها وناظرتها بنظرة تعني (حظ سعيد) وأسرعت - بمنتهى النذالة - كما وصفتها مرام في سرها بالمغادرة دون أن تعطي لها أي فرصة حتى لتقول (خذي معك).

ساد الصمت في الغرفة وعينا ذلك الـ أسعد مسلطان على مرام التي كانت تلهي نفسها في تلك الدقائق بشت مهادج الخائنة في سرها لتقول سهير بعد برهة: «حالا سأنتهي».

تكلمت مرام وهي تعدل من وضع يد الحقيبة فوق كتفها: «وأنا أيضا لا بد أن أذهب فقد تأخرت على العودة.. وحمدا لله أن الأستاذ أسعد قد حضر ليبقى معك».

قال أسعد بسرعة: «لماذا يا آنسة مرام إن كان يضايقك وجودي (ونظر لأمه) سأنتظرك في السيارة إذن يا أمي».

صوته كان يشبه أبطال المسلسلات هكذا فكرت مرام بهيام وهي تسرع بالقول بارتباك: «لا.. لا أبدا أنا فقط تأخرت على العودة للبيت».

قالت سهير وهي تلملم حاجياتها: «انتظريني لنخرج سويا إذن».

قبضت مرام بقوة على يد حقيبتها المعلقة على كتفها

شاعرة بأن خديها أصبحت كجمرتي نار وهي تستشعر نظرات أسعد المتفحصة لها، فسلطت أنظارها على مدام سهير لتسمعه يسألها: «منذ متى وأنت تعملين هنا يا آنسة مرام؟».

لم يتحرك فيها شيء سوى مقلتيها اللتين نظرتا إليه وردت: «منذ أربع سنوات تقريبا».

غمغم بـ(ما شاء الله) فعادت تنظر لمدام سهير وخيل إليها أن الأخيرة تتلأأ في القيام من مكتبها فقالت مرام: «هل أساعدك في شيء؟».

غمغمت سهير وقد تركت مقعدها أخيرا: «لا حبيبتي.. ها أنا جاهزة».

في الدقائق التالية وفي الرحلة من مقر الشركة مرورا بالمصعد حتى وصلوا لأسفل البناية رافقت مرام مدام سهير وابنها وحاولت أن تكون طبيعية قدر الإمكان؛ لكن هيهات فبداخلها كان كل شيء غير مستقر في مكانه، وحين عرضت عليها سهير أن تركب معهما ليوصلها رفضت بشدة رغم إلحاح المرأة؛ لكنها أصرت لا تعرف لماذا فعلت ذلك بالضبط؛ لكنها وجدت الأمر غير لائق وغير مريح، فقالت سهير بإحباط: «حسنا كما تريد حبيبتي كنت أتمنى أن نوصلك».

أسرعت مرام بالقول: «أنا سأستقل تاكسي من هنا للبيت.. شكرا لك تفضلا في أمان الله».

لكزت سهير ابنها فقال الأخير الذي لا يزال يبخلق فيها: «سأوقف لك واحدا إذن».

وتحرك لناحية اليمين فازداد حرج مرام وأسرعت ناحية اليسار وأشارت لأحد التاكسيات قبل أن يصل إلى أسعد ووضعت نفسها فيه بسرعة وهي تلوح لهما بالوداع.

بمجرد أن تحرك التاكسي زفرت بقوة ووضعت يدها موضع قلبها لتهدئ من شعورها بالارتباك، ثم تملكها الغيظ وهي تفكر في أنها ستضطر لدفع أجرة التاكسي لمشوار المنزل وهو مبلغ بالتأكيد سيؤثر على الميزانية، راودتها نفسها لأن تستمتع بالرحلة ما دامت قد ركبت وانتهى الأمر وأن تدل نفسها قليلا بوسيلة مواصلات مريحة بدلا من سيارة الأجرة الجماعية التي تستقلها يوميا في العودة؛ لكن التفكير في المبلغ الذي سيدفع في هذه الرحلة كان كالشوك ينغزها من تحت المقعد المريح الذي تجلس عليه وفكرت في أن هذا المبلغ تستطيع أن تشتري به شيئا مفيدا للبيت أو ربما طبخة دسمة للأسرة فأسرعت بالقول: «هلا أنزلتني هنا من فضلك».

رفع السائق حاجبيه متفاجئا فهو لم يبتعد كثيرا سوى أن انعطف في شارع جانبي؛ لكنه ركن على جنب يناظرها عبر المرأة الأمامية فقالت مرام وهي تتطلع في العداد وتخرج من حقيبتها المبلغ: «لقد تذكرت شيئا وسأنزل هنا».

بعد أن غادر التاكسي وقفت تتطلع حولها وأدركت أنها قد نزلت في مكان لا يمر منه الميكروباص الذي يذهب ناحية المنطقة السكنية التي تعيش فيها، فزفرت موبخة نفسها أن تسرعت في النزول وتحركت سيرا على الأقدام إلى أقرب

محطة للميكروباص وهي تفكر في أسعد هذا وتتساءل هل تخمينها هي وهاجر صحيح؟ وهل أعجبته؟ ماذا لو كان حظها جيدا وأعجبته ولم يشترط عليها أن تسافر معه؟ ليته يفعل وقتها ستنتظر عودته كل بضعة شهور وفي الوقت نفسه ستبقى مع عائلتها.

بدأت مخيلتها القرنفلية - على حد وصف أنس - بنسج خيالات لها وهي متأبطة ذراع أسعد وكيف أن وسامته ستشعرها بالتميز بين البنات تخيلته وهو يهتم بها ويدللها ويخبرها بمشاعره تجاهها وتطرفت أفكارها إلى حد تخيله وهو يعترف لها أنه بمجرد أن رآها قد وقع في حبها فورا.

خيالات بلون ورائحة القرنفل هونت عليها المسافة التي مشيتها على الحذاء ذي الكعب العالي؛ لكنها شهقت فجأة وتبخرت خيالاتها القرنفلية حين مرت سيارة من جوارها فوق بركة ماء فلطخت قدميها وطرف تنورتها الطويلة.. فشعرت وكأنها صفة من الواقع تطلب منها أن تستفيق وقد أفاقت بالفعل.

صور كل ما حوله يتحول لصور لقطات ثابتة لكنها تتحدث ألوان متداخلة أو متناقضة أو صاخبة، أو ليس لها معنى ومع هذا مميزة.

هذه المرأة التي تحمل طفلها وتنتظر عبور الطريق يدها تقبض على ابنها بما يفضح خوفها لو حولها لتصميم يوما

ما سيركز على حركة يدها القلقة وهذا الذي يقف على الرصيف يقضم أظافره مفكرا، كرشه ككرش امرأة حامل في الشهر السابع وهاتان المراهقتان ترتديان ملابس المدرسة تتضحكان بسعادة على شيء ما في الهاتف.

عيناه كعدستي كاميرا تلتقطان ما حوله تركزان على كل ما هو مميز وغير اعتيادي تبرزانه، شكل المباني من فوق الكوبري مآذن الجوامع أسطح البيوت أعمدة الإنارة حتى شكل مقالب القمامة تخزن في عقله بكل تفاصيلها وهو عاشق للتفاصيل

إن الصور شغفه ومتعته وعالمه الذي يعيش فيه.

خرج من تأملاته اليومية وهو يقود الميكروباس حين تطلع في المرأة الأمامية ولفت نظره الشاب والفتاة اللذان احتلا المقعد الأخير متخطيان المقعد الفارغ قبله، لقد توجس منهما منذ أن دفع الشاب أجرة المقعد الأخير كله الذي يسع لأربعة أفراد حتى لا يركب أحد بجوارهما ويبدو أن ظنه كان بمحله.

طحن ضروسه وهو يراها تميل على كتف الشاب بدلال، بينما يمد هو ذراعه حول كتفها ويده الأخرى تلعب في دلاية السلسلة المعلقة على صدرها هامسا بشيء ما فاشتعل الغضب في عيني عصام؛ لكنه طالب نفسه بالتريث وظلت عيناه تراقبانهما تحسبا لأي تمادي في الوقاحة.

سأل أحد الركاب من المقعد الذي يقع خلف عصام راكبا آخر: «هل ستدفع يا حاج؟».

أخرج الرجل العجوز من جيبه مبلغا بسيطا وأعطاه للرجل فعبس الآخر وهو ينظر في كفه ثم قال: «ما هذا يا حاج أين الباقي؟».

قال الرجل بحرج وهو ينظر نحو مقعد السائق: «ليس معي غيرهم أقسم بالله يا ولدي».

ناظره الرجل بشك بينما قال عصام من المقعد الأمامي دون أن يلتفت: «لا بأس أعد له ما دفع».

تدخل أحدهم من المقعد الثاني قائلا: «أنا سأدفع لك يا حاج لا تشغل بالك».

رد عصام بلهجة قاطعة: «وأنا لن آخذ الأجرة انتهى الأمر يا أستاذ».

نظر العجوز للرجل خلفه ممتنا ثم نظر أمامه يقول لعصام: «بارك الله فيك يا ولدي وكفاك شر الطريق».

هز له عصام رأسه وزهنه لا يزال مشغولا بالتناهي في آخر مقعد، بينما مط الرجل الذي كان يجمع الأجرة شففيه بامتعاض.

بعد قليل قال العجوز: «هنا سأنزل يا ولدي جزاك الله خيرا».

ركن عصام الميكروباس جانبا لينزل العجوز ببطء وهو يدعو لعصام بالستر ثم عاد الأخير للتحرك بالسيارة ليقول الرجل الذي كان متطوعا لجمع الأجرة: «يبدو لي محتالا».

رد عصام دون أن يلتفت له: «هذا بينه وبين ربه».

غمغم الرجل بحرج وهو ينظر في النافذة جواره: «بصراحة الواحد منا لم يعد يصدق فالنصابين كثر هذه الأيام».

ركن عصام السيارة فجأة واستدار خلفه فارتعب الرجل خاصة أن جدية عصام وهيئته تعطيان مبررا منطقيا لهذا الشعور، ليقول عصام وهو ينظر للمقعد الخلفي: «الأخ أميتاب باتشان الذي يجلس بالخلف».

انتبه له الشاب ليقول عصام بلهجة أمرة: «انزل».

كان عصام قد استشعر بأن الشاب قد بدأ يتحسس جسد الفتاة بحركات مخفية ففارت دماؤه، تتطلع الركاب للمقعد الأخير فشعر الشاب بالحرج وقال غاضبا: «لماذا؟ ما هذه الوقاحة؟!».

هتف عصام بصوت رغم أنه ليس جهوريا لكنه يدخل الرعب في القلوب: «أنت تعرف جيدا من هو الوقح ولا تجعلني أقول المزيد قلت أنزل فورا إن أرادت الأخت البقاء فلا بأس أما أنت فأنزل».

لكزت البنت الشاب لينزلا لكنه هتف في عصام معاندا: «أنا لن أنزل لست خادما عندك.. ولم أفعل شيئا أنت مجنون؟!».

«أنت تعرف ماذا كنت تفعل جيدا» قالها عصام بمقلتين مقلوبتين في الوقت الذي تتطلع الباكون في الشاب والفتاة وقد خمنوا ما حدث لتتدخل امرأة قائلة: «أنا رأيته وأنا

أصعد الميكروباس تفرد ذراعك على كتفيها وهي تنام على كتفك والمنظر كان في منتهى القرف بصراحة».

أسرع الشاب بالقول مبررا: «إنها زوجتي».

زمجرة معترضة خرجت من حنجرة عصام قبل أن يقول: «لو كانت حلالك وعرضك يا حبيبي لم تكن لتفعل هذا معها على الملأ (وصاح بلهجة مرعبة) قلت أنزل ولا تجعلني أكسر لك عظامك».

هتف الشاب وقد شعر بأن كرامته قد سحقت أمام الجميع: «قلت لن أنزل أرني ماذا ستفعل».

فتح عصام بابه وخرج متوجها نحو النافذة الخاصة بالمقعد الخلفي وضرب بكفه على جسم السيارة بضربة غاضبة ارتجت لها القلوب، فامتقع وجه الشاب وانكمشت الفتاة ثم تحركا يغادران الميكروباس والشاب يبرطم ، بعد دقيقة صفع عصام الباب الذي خرجا منه ليهتف الشاب بكرامة مجروحة: «لولا أنني لا أحب المشاكل للقتك درسا لن تنساه».

لم يرد عليه ولم يلتفت بل تحرك متقبضا بقوة يدور حول مقدمة الميكروباس عائدا لمقعده، ثم تحرك مبتعدا تاركا الشاب والفتاة على الطريق يتفتتان من الغضب.

قبيل المغرب

مرام شخصية استثنائية بحق، هذا ما يتأكد لها كل يوم إنها كما وصفتها من قبل دينامو هذا البيت تبذل مجهودا كبيرا لدرجة تشعرها بالشفقة عليها، خاصة وهي محبوسة في هذه الجبيرة ولا تستطيع أن تمد لها يد المساعدة، والغريب أن مرام لا تشتكي ولا تتذمر ولا تتصرف بنفسية الضحية أو المضحية وهذا ما يجعلها في نظرها استثنائية ربما لأنها كانت تعتقد نفسها الفتاة الأكثر ضغطا وانشغالا ومسؤولية على هذا الكوكب؛ لكن يبدو أن أيامها في هذا البيت ستغير نظرتها لكثير من الأمور في حياتها.

سألت مرام التي قد قلبت الصالة رأسا على عقب لتمسح الأرضية: «كم كان عمرك حين توفيت والدتك مرام؟».

ردت مرام وهي تنهت من إزاحة المقاعد: «كنت في الثالثة عشر من العمر».

عبست نيللي وعلقت: «كنت صغيرة جدا (ثم انتبهت وسألت) ومراد؟».

ردت مرام: «كان في الرابعة».

تقوست شفتا نيللي في جلستها غير المريحة ممددة ساقها فوق الأريكة بعد أن رفضت أن تدخل الغرفة وأصرت على أن تسلي مرام وهي تعمل ثم قالت: «يا إلهي كنتما صغيرين!».

توقفت مرام واضعة راحتها على صدرها وشردت نظراتها نحو الشرفة حيث يجلس عارف خارجها وقالت: «مرضت فجأة وخلال شهور تطورت حالتها وماتت (وصمت لبرهة

ثم أضافت) أذكر لحظة أن عرفت بالخبر كنا بالمستشفى كلنا أبي انهار، بينما وقف عصام يحدق فيه ذاهلاً غير مستوعب الخبر كان وقتها في السابعة عشرة أما أنا فلم أفهم معنى عبارة (أنها ماتت)؛ لكني أخذت مراد في حضني وأنا أطلب من عصام أن يعيد ما قاله الطبيب لأنني لا أستوعب».

صمت لبرهة ثم نفضت عنها الحزن وقالت زافرة: «رحمها الله».

تكلمت روح وهي متربعة فوق الأريكة بعض أن رفضت أن تترك الصالة هي الأخرى: «وأنت يا مسكينة من ربيت مراد».

غامت عينا مرام بعاطفة أمومية لتقول نيللي باندهاش: «الحقيقة لا أستطيع التصور أن فتاة في العائلة عشر تحمل مسؤولية بيت وتعتني بطفل في الرابعة من عمره».

ابتسمت مرام قائلة: «كله مقدر ومكتوب (ثم قالت لروح بغیظ) لماذا لا تذهبي لتستريحي بالداخل يا جدتي؟!».

هتفت روح وقد انقلبت هذه اللحظة على مرام: «هل ستتحكمين في وأنا في بيت ابني؟ (وربتت على الأريكة مضيفة) لن أتزعج من هنا».

مطت مرام شفتيها ونظرت لنيللي متخصرة فحركت الأخيرة مقلتيها يمينا ويسارا ثم قالت وهي تربت على ساقها المجبرة: «أشعر بعدم الراحة لأنني لا أستطيع مساعدتك لهذا أريد أن أبقى معك لأسليك».

نظرت مرام لزينة فانكشمت في جدتها روح التي قالت
لمرام بصرامة: «واتركي زينة معي لأننا سنشاهد حلقة الرجل
الأبله بعد قليل».

عبست مرام وسألت: «من الرجل الأبله؟!».

نظرت زينة لجدتها موضحة: «اسمه مستر بين يا جدتي».

هزت روح رأسها فعادت مرام تنظر لزينة التي وقفت فوق
الأريكة وتعلقت برقبتها وطبعت عدة قبلات على خدها
مترجية ألانت قلب مرام وتركتها، فتأملت هما نيللي بإعجاب
إن زينة هي الأخرى متعلقة بمرام بشكل لافت فهي من ربته
كما علمت.

تحركت الأخيرة وبدأت في مسح الأرضية لتقول نيللي:
«مرة أخرى أنت تشعريني بالعجز يا بنت يا مرام».

قالت مرام ضاحكة: «لا أعرف لماذا لا أتخيلك وأنت
تمسحين الأرض مثلنا يا نيللي».

صمتت الأخيرة فتوقفت مرام عما تفعل واستدارت لها
تسألها: «هل تفعلين؟».

تنحنت نيللي قائلة: «حسنا أعترف بأني مدللة قليلا لكني
لست سيئة إلى هذا الحد».

ضيق مرام عينيها وسألتها: «هل كانت والدتك كذلك؟».

هزت نيللي رأسها بالإيجاب فسألت مرام: «متى توفيت؟».

ردت نيللي: «حين كنت في الثانوية العامة».

تدخلت زينة تسأل نيللي: «كم عمرك نيللي؟».

ردت نيللي: «تسع وعشرون».

فنظرت لمرام تسألها: «وأنت مرامي؟».

ردت الأخيرة وهي تعود لما تفعل: «ست وعشرون يا زينة».

قالت الأخيرة: «إذن نيللي هي الأكبر بـ...».

وصمتت تحسب على يدها بينما سألت روح: «هل أنت

متزوجة يا (نيللي)؟».

هزت نيللي رأسها نافية لتقول روح وهي ثمصص شفتيها:

«لو كنت متزوجة لما كنت اضطررت للمبيت في بيت

الأغراب».

احمرت وجنتا نيللي بحرج لتسرع مرام قائلة: «مستر بين

بدأ يا جدتي».

اتسعت ابتسامة الأخيرة ووضعت نظارتها والتفت بالشاشة

أمامها بينما تبادلت مرام ونيللي النظرات لتقول الأولى: «علي

أن أسرع فعصام سيأتي بعد قليل وربما أتى أنس معه».

هتفت زينة قائلة: «سيأتي.. أخبرني على الهاتف أنه سيأتي

أولا ولن يذهب للصيدلية مباشرة».

راقبتها نيللي وهي تعمل وتذكرت قصة أنس التي قصتها

عليها، والحقيقة كانت قصة مرهقة عاطفيا لها وهي تسمعها

فما بال من عاشها وتعايش معها.

علمت بأن أصول العائلة من مدينة ساحلية بعيدة عن العاصمة، وأن عارف استقر في العاصمة منذ زمن بعيد بعد أن تعين في مطبعة تلك الجريدة التي عمل بها لمدة خمس وعشرين سنة حتى اضطرته إصابة العمل للتقاعد المبكر، وأن عائلة عارف كانوا يزورون بيت العائلة في الإجازات حتى توفي شلتوت وجاءت أمه روح الفؤاد لتعيش مع ابنها الأصغر في العاصمة بعد وفاة زوجته، أما سالم والد أنس شقيق عارف الأكبر الوحيد فقد بقي في مسقط رأسه وتزوج وأنجب أنس، حين حصل أنس على مجموع عال في الثانوية العامة كان تنسيق كليته في العاصمة فقضى سنوات الدراسة الخمس عندهم وكان يزور والديه في نهاية الأسبوع حتى انتهت دراسته وحصل على تقدير الثالث على الدرجة، وهذا أحزنه بشدة لأنه كان يطمح لأن يكون أستاذا بالجامعة والدرجة لم تكن متاحة إلا للأول والثاني فقط، حتى جاءت الفرصة له لأن يحقق حلمه حين اعتذر الأول على الدرجة عن الترشح للدرجة مفضلا عقد عمل أتاحه في دولة خليجية وبالتالي أتيحت الفرصة للثاني والثالث للتعين فأسرع أنس بتقديم أوراقه للكلية ثم تفاجأ بأن الثالث مكرر وهو ابن رئيس القسم قد قدم أوراقه هو أيضا رغم أن درجاته في مواد التخصص المطلوبة للتعين أقل منه وصدم حين تم اختياره بدلا منه.

وعندما قدم تظلما اكتشف أنه قد تم تغيير مواد التخصص

قبل نزول الإعلان بفترة وجيزة لتتناسب مع المواد التي تفوق فيها ابن رئيس القسم، وما فهمته نيللي أن أنس اكتشف أيضا أن النية كانت مبيتة من البداية لتعيين ابن رئيس القسم وأن أبوه من سعى في إيجاد عقد العمل لصاحب المركز الأول حتى يترك دوره في التعيين، وحينما هدد أنس باللجوء للقضاء وعده وكيل الكلية احتواءً للموقف ولعدم إثارة فضيحة بأنه إن حصل على الماجستير سيعين - استثنائيا - على درجة مدرس مساعد لهذا أثر أنس للسلم وقرر الاستمرار في التمسك بحلمه.

عندما حصل أنس على شهادة الماجستير بعد أربع سنوات وطالب بحقه رُفض طلبه بحجة عدم وجود مخصصات مالية من وزارة المالية لتعيين مدرسين مساعدين جدد وقتها وعدم حاجة القسم لتعيينات جديدة، وتنصل منه وكيل الكلية الذي كان قد تقاعد عن العمل الإداري وقتها وتحجج بأنه لم يعد يملك سلطة إدارية لتنفيذ وعده القديم له بأن يعينه في حالة حصوله على الماجستير، لهذا رفع أنس قضية ضد الكلية يطالب فيها بحقه الأساسي الذي تم التلاعب فيه لصالح ابن رئيس القسم، وفهمت نيللي أن القضية في المحاكم منذ سنوات ولا يزال محامي الكلية يماطل فيها ويؤجلها، أما قصة زواجه فلم تكن أقل إحباطا وألما من قصته مع حلمه مما جعل نيللي تشفق عليه وتنظر له نظرة أخرى غير انطباعها الأولي عنه بأنه بارد وذا لسان لاذع.

بعد ساعة كانت مرام تقف متحصرة على باب الشقة يظهر فرق الطول بينها وبين الشابين الواقفين أمامها عصام ومعه أنس وقالت بإصرار: «لن تدخل يا عصام إلا بعد أن تخلع الأحذية خارج الشقة».

هتف الأخير بغیظ: «وأنا لن أخلع حذائي على باب الشقة هل كلما مسحت الأرضية يلبسك عفريت الأحذية (وأشاح بيده قائلا) ابتعدي عن طريقي».

صرخت وهي ترفع له سبابتها ووجهها محذرة: «وأنا قلت لن يدخل أحد هذا البيت إلا بعد أن يخلع حذاءه لقد تعذبت في تنظيف الشقة اليوم».

تدخل أنس قائلا وهو يخلع حذاءه بهدوء: «أنا إنسان مطيع».

ناظره عصام بغیظ ثم جحظت عيناه وهو يرى مرام تهز رأسها لأنس برضى وتقول وهي تفسح له الطريق: «تفضل يا دكتور».

ناظر الأخير عصام بنظرة مغيظة ليقول له عصام بامتعاض: «هل تخلّيت عن مبادئك بهذه السهولة وخلعت حذاءك يا دكتور؟!».

تطلع أنس في مرام ثم عاد يقول له بصوت خافت مسموع: «مرر الأمور يا بني.. انظر إليها كيف تبدو كقطة مسعورة ستنهش لحمنا بسبب القليل من الماء سكبه على الأرض وسحبته بالمساحة».

اتسعت عينا مرام وهي ترفع أنظارها لأنس الذي قال لها
بجدية وهو يعدل نظارته الطبية على وجهه: «أحاول إقناعه
لا تدققي في كلامي».

كانت نيللي تضحك من جلستها ممددة الساق على الأريكة
وهي تراقب مشاكساتهم بينما تدخلت روح تقول من مكانها:
«اتركي عصام حبيبي إنه يشقى ويتعب».

مال أنس للخلف وأدار وجهه يناظر جدته من فوق كتفه
وهو يقول مستنكرا: «هو يشقى ويتعب وأنا أفرقع أصابعي
بالخارج!».

أشاحت روح بيدها دون رد بينما قال عصام بلهجة منتصرة
وهو يخطو بحذائه خطوتين داخل الشقة: «جدتي قالت
اتركي عصام حبيبي».

تمسكت مرام بقرارها وصرخت وهي تقف أمامه محذرة:
«عصام التزم بما أقول ولا تجن جنوني».

قبض على رقبتها بيده قائلا وهو يهددها: «يا بنيتي أنت لن
تتحملي نفخة مني».

قال أنس لعصام بنفاد صبر: «يا بني خلصنا وتنازل (ومال
عليه قائلا بصوت مسموع) ستحرمنا من الطعام وسنتشرد يا
صديقي».

ناظره عصام وهو يرمش بعينه مترددا ثم نظر خلف أنس
نحو الجالسين في الصالة يسأل: «ماذا طبخت اليوم؟».

ردت زينة الواقفة فوق المقعد تشاهد ما يحدث ضاحكة:
«معكرونة بالبشاميل وبانية».

سحب يده بسرعة من فوق عنقها كمن صعقته الكهرباء،
بينما أمسك أنس فيه بقوة قائلا بخفوت: «من الذكاء أن
تطأطئ الرأس وقت الأزمات يا باشمهندس».

كان المشهد يعطي لنيللي فرصةً للتدقيق في عصام فراقبت
تفاصيله وشكله المضحك وهو يميل ببطء ليخلع حذاءه
ويضعه بأدب جم بجوار حذاء أنس بالخارج بينما الأخير
يقول ساخرا: «ما شاء الله لم أر في أدبك يا حبيبي أدب
الفجعان».

ضرب عصام كفا فوق الآخر يقول لأخته بامتعاض: «هل من
أوامر أخرى أخت مرام؟».

شمخت الأخيرة بأنفها تشعر بالانتصار وقالت وهي تبتعد:
«لا.. تفضلا البيت كبيتكم».

فأشاح عصام بقبضته خلفها يغمغم بغیظ: «جبارة».

ثم عاد لجديته مرة أخرى حينما تلاقت عيناه بعيني نيللي
وأسرع كل منهما بالإشاحة بنظراته بعيدا بحرج.

تعلقت زينة بعنق والدها الذي غمرها بذراعيه ومال يدغدغ
رقبتها بأسنانه فأصدرت ضحكات سعيدة، فتأثرت نيللي
وهي تراقبهما ليعطي أنس لزينة قطعة الشيكولاتة خاصتها
وعيناه تختلسان نظرات مأكرة نحو جدته التي تتابعهما من

مجلسها بلهفة ثم وضع يديه في جيبه بصمت.

عبست روح ثم قالت معترضة: «وأين الشيكولاتة خاصتي؟!».

رد أنس ببرود: «اطلبي من عصام حبيبك أليس هو من يشقى ويتعب؟!».

تحركت مقلتاها داخل عينيها الغائرتين وسط تجاعيد الزمن وهتفت باستنكار: «هل تذلي يا سالم؟! طبعاً العقربة زوجتك هي من طلبت منك ذلك».

عبست نيللي بعدم فهم وهي تتطلع في ضحكهم المخفي ليقول أنس بهدوء ويديه في جيبه سترته: «أنا لست سالم يا جدتي.. أنا ابنه وتلك العقربة التي تقصدينها هي أمي رحمها الله وكانت أطيّب خلق الله يا روح الفؤاد؛ لكنك كنت تضعينها في رأسك دون سبب عموماً كما قلت لك اطلبي من عصام حبيبك».

هتفت روح: «وماذا فيها إن قلت إن عصام حبيبي يتعب ويشقى أليس هذا صحيحاً؟!».

ابتسمت نيللي وهي تراقب لين ملامح عصام التي لم تره إلا جادا صامتا، الذي اقترب من جدته وجلس بجوارها فغامت عينا روح وربت عليه ثم مدت يدها لتقرب رأسه إليها وتطبع قبلة على خده مشهد يكاد يكون قد تكرر أمام أنظار نيللي يومياً سواء في وجود أنس أو عدم وجوده، فالجدة روح تكن محبة خاصة في قلبها لعصام حتى أكثر من

مرام التي تكاد تعتمد عليها اعتماد الطفل على أمه.

لوى أنس شفتيه وقال باستنكار: «انظروا كيف تتطلع فيه وكأنه رشدي أباطة!».

ربت عصام على ظهر جدته قائلاً بحنان: «أنا سأشتري لك ما تريدين يا جدتي (واختلس نظرات صبيانية مغيظة نحو أنس وقال بلهجة مسلية) لكن أنس حفيدك أيضاً».

غمغم أنس ببرود ساخر: «شكراً على المعلومة الرائعة».

أشاحت روح بيدها تقول: «لا.. لأنه لا يعطيني الشيكولاتة».

هتف أنس مغتاضاً: «أنا أحضرها لك كل يوم يا روح ومع هذا كلما رأيت عصام أصابك إسهال عاطفي غير مبرر، والآن تتنصلين مني لأنني لم أمنحك إياها».

صمتت روح قليلاً وظهرت علامات التفكير على وجهها ثم قالت: «لأنك تشكني بالإبرة».

ودعكت مؤخرتها فانفجر الحاضرون في الضحك ليقول أنس مبتسماً: «تعادينني لأنني أحقنك بدوائك يا روح؟!».

أشاحت بوجهها بغير رضا فتحرك يجلس بجوارها الناحية الأخرى وأخرج الشيكولاتة من جيبه فلاحت اللففة على وجهها ليبعد أنس الشكولاتة عنها قائلاً: «أعطني قبلة مثله أولاً».

قالت روح بسعادة: «أنت حبيبي يا سالم ولولا زوجتك العقربة التي...».

ضاع بقية كلامها بين الضحكات التي انفجرت بسبب التعبير الذي ارتسم على وجه أنس قبل أن يضرب على جبهته بيأس ثم قال لها بنفاد صبر: «قبليني يا روح دون أي كلام.. قبليني».

طبعت قبلة على خده فأعطاهها قطعة الشكولاتة ولم يقوَ إلا على أن يقبل رأسها.

بعد قليل سألها مراد: «هل أعجبك؟».

كانت نيللي تتطلع في الهاتف المستعمل الذي ابتاعه لها فرفعت إليه أنظارها وقالت بامتنان: «أراه ممتازا خاصة بالنسبة إلى سعره توقعت شيئا رديئا لكنه ظريف أحببته».

سألها مراد مضيقا عينيه: «ماذا كان نوع هاتفك الذي فقدتيه؟».

حين أخبرته بالنوع والاسم ناظرها نظرة مرتابة قائلا: «هل أنت متأكدة أنك لم تصابي بارتجاج في المخ؟!».

كان وجهها جادا وهي تحاول فهم تعليقه قبل أن تضحك ضحكة خافتة جعلت عصام الجالس هو وأنس في الصالة الأخرى أمام اللاب توب الخاص به يرفع حاجبا وهو يختلس نظرة إليها متسائلا في سره ما هو الموضوع الذي يجمعها بمراد ويضحكها ثم غمغم وهو يلوي شفتيه: «أكل هذا لأنه ساعدها في شراء هاتف؟!».

قالت نيللي لمراد وهي تعدل حجابها حول وجهها بحركة

مختالة: «أنا لا أهذي».

رفع مراد مقلتيه قائلا بتهكم: «حسنا وأنا كنت أمتلك سيارة بوجاتي».

قالت متسائلة: «ما هذه الماركة؟! لم أسمع عنها!».

قال مدافعا: «هذه أغلى سيارة في العالم حاليا بقيمة ثمانية عشر مليون دولار تقريبا (وفتح هاتفه قائلا) سأريك (ثم تجمدت يده ليتمتم بامتعاض) نسيت أن الإنترنت مقطوع».

أسرعت نيللي بالقول بصبيانية: «لماذا لا تصدقني أستطيع أن أخبرك بتفاصيله».

اتسعت عينا مراد قائلا بانبهار: «أتقولين الصدق؟! (وضرب على صدره يقول بطريقة مسرحية) وتجلسين هكذا وتقولينها بهدوء عجيب أنك فقدتيه أنا لو مكانك لكنت الآن في العناية المركزة أعاني ذبحة صدرية».

ابتسمت نيللي ثم قالت: «أنا بالفعل حزينة عليه وعلى ثمنه الذي ضاع (ثم أضافت هامسة وهي ترفع سبابتها إلى فمها) اجعل هذا الموضوع بيننا».

سألها بارتياح: «لماذا؟!».

كانت لا ترغب في أن تشعر الآخرين بعدم الراحة معها فقالت بهدوء وهي تحرك كتفيها: «لا أشعر بالراحة في الحديث عن تفاصيل حياتي حاليا..(وأضافت بلهجة أكرهمسا) هذا سر بيننا يا مراد».

أسعده أن تأتمنه على سر فهز رأسه يعدها بكتمانه لتقول نيللي: «أخبرني برقم هاتفك هل حفظت رقمي الجديد عندك؟».

هز رأسه بالإيجاب وأسرع بطلب رقمها لتسجل رقمه ووعدا أنه حينما يعود الإنترنت سيرسل لها أرقام بقية الأسرة في الوقت نفسه الذي ظلت عينا عصام تتابعان المشهد لكنه غير قادر على سماع ما يقولان.

رن هاتف مراد فأغلق الخط يقول من بين أسنانه: «ارحموني».

سأله نيللي: «ماذا حدث؟».

زفر يقول ببؤس: «أصحابي يلحون علي للدخول على الإنترنت.. من أجل الاستعداد لمنافسة مهمة اليوم (ووضع يده على صدره قائلا) أشعر بأن قلبي سيتوقف من الحسرة.. إنها منافسة على لقب كبير في اللعبة».

قالت نيللي: «ما رأيك أن أحول لك رصيда من المبلغ الذي شحنت به هاتفك لتشتري باقة إنترنت على الهاتف؟».

ناظرها مراد مترددا يقلب الأمر في رأسه ثم هز رأسه رافضا فكادت نيللي أن تقول (هدية لك لأنك ساعدتني في شراء الهاتف) لكنها تراجعته وهي تذكر نفسها بحساسية هذه العائلة لكرامتها فقالت لترفع عنه الحرج: «اعتبره قرضا صغيرا وأعده لي حينما تحصل على مصروف الأسبوع الجديد».

لمعت عيناه ولاح الأمل فيهما ثم هز رأسه موافقا بحرج،
لتسرع نيللي بتحويل رصيد له ورأت وجهه يضيء بالسعادة
وهو يتركها بعد قليل وينزوي في غرفته.

إنه لا يزال طفلا هذا ما أيقنته خلال الأيام الماضية،
صحيح يتساوى في الطول والمظهر الرجولي مع عصام
وأنس لكنه في حقيقته طفل.. ويذكرها بنفسها بطريقة
أو بأخرى أو ربما تتعاطف معه لأن حياتها قد بدأت تتغير
وتتعدد بمجرد أن دخلت المرحلة الثانوية وبدأ ضغط والدها
يزداد، وقد يكون هذا التفسير هو سبب شعورها بالسعادة
الآن حينما فعلت شيئا يسعده.

«فيما أنت شاردة؟».

قالتها مرام وهي تضع أطباقا على طاولة السفرة فقالت
نيللي وهي تنزل ساقها أرضا وتتناول العكاز: «لماذا لم تعطني
السلطة لأعدها؟».

ردت مرام وهي تتحرك نحو المطبخ: «بدأت فيها بالفعل..
استريحى أنت».

تحركت نيللي تعرج خلفها بينما عينا عصام لا تزال تلاحقها
دون إرادة منه.

حسنا.. عليه أن يعترف بأنها تشغل تفكيره لكنه يخبر نفسه
بأنه مجرد فضول مقاوما اهتماما وليدا يريد الإعلان عن
وجوده ومستهجنا أن ينشغل بفتاة غامضة مثلها لا يعرف أي

مصيبة خلفها.

شاكسه أنس الجالس يشاهد كراسة رسومات ابنته:
«هااي.. عيناك يا محترم».

أسبل عصام جفنيه قائلا وهو يحرك المؤشر أمامه على أحد
التصاميم: «ماذا تقصد؟».

قال أنس لابنته: «جميل جدا زوز.. اذهبي وساعدي مرام
في إعداد المائدة».

تحركت الأخيرة بينما رد أنس على عصام بلهجة مسلية:
«أبدا لكن عينيك من وقت لآخر تتطلعان تراقبان تدققان وأنا
خائف عليك يا ابن عمي فكما تعلم لا نعرف ماذا خلفها».

قال عصام متهمكا وهو يدعي التركيز فيما يفعل: «يبدو أن
حرمانك من الجنس الناعم يجعلك ترى خيالات.. يا مسكين».

لكمه أنس في ذراعه بغیظ فناظره الثاني بنظرة مسلية
استفزته وجعلته يقف ويشرف عليه من علو محاولا خنقه،
فرفع إليه عصام وجهه قائلا وهو يضحك: «لست في مزاج
للمزاح».

استمر أنس يحاول خنقه ليقول له عصام بخفوت مستفز:
«هل نكأت الجرح بكلامي؟ بأنك بائس وحيد وتتوق لمعاشرة
امراة».

استمر أنس فيما يفعل وهو يرد من بين أسنانه: «تعلم بأني
لم أعد أطيق جنس النساء».

قهقهه عصام وقال مازحا بوقاحة: «لا تطيقهم شيء والحاجة للأمور الأخرى شيء آخر، خاصة حينما يكون قد سبق لك الزواج يا مسكين».

أبعد أنس يده عن رقبة عصام ثم عاد ولف ذراعه حولها قائلاً: «لااااا.. أنت تحتاج لتأديب الليلة».

قاطع عارف مشاكساتهما حين خرج من غرفته يقول: «هل سنصلي المغرب قبل الأكل فصلاة العشاء سيؤذن لها بعد قليل».

عاد أنس لوقاره تاركاً عصام الذي لا يزال يضحك وقال لعارف: «أجل يا عمي سأتوضأ ونصلي معك».

غمغم عارف وهو يتحرك ليجلس بجوار أمه أمام التلفاز: «ونادوا على ذلك التيس ليصلي معنا.. لا أراه يصلي».

في المطبخ قالت نيللي مبتسمة وهي تجلس على كرسي وتقطع السلطة التي أصرت على إعدادها: «وهل وجدتيه وسيما؟».

قالت مرام بوجنتين مشتعلتين: «طويل ووسيم وأنيق».

هزت الأخرى رأسها قائلة: «أتمنى أن يكون تخمينك صحيحاً».

أضافت مرام على كلامها: «وأتمنى لو كان صحيحاً أن يكون راغباً في أن تبقى زوجته هنا في البلد وألا تسافر معه فأنا لن أستطيع أن أترك عائلتي كما ترين».

هزت نيللي رأسها وبلعت سؤالاً يشغلها (لماذا لا تتزوج من أنس) فزينة تربطهما بشكل أو بآخر؛ لكنها تخرجت من طرحه وسألت بدلا منه سؤالاً آخر: «لماذا تصر الحاجة روح على أن تنادي أنس باسم والده؟».

هزت مرام كتفيها وقالت: «هي كذلك منذ أن مات ابنها سالم قبل ست سنوات لقد حزنت كثيرا لوفاته، كان ابنها البكري وتدهورت حالتها العقلية بعدها وكأنها أخفت وجع قلب الأم خلف ذاكرتها فأصبحت تخلط بين الماضي والحاضر؛ لكنها أحيانا تناديه باسمه (وأضافت بحماس) بالمناسبة الدكتور أنس يشبه والده جدا لدرجة أن أبي يحتفظ بصورة لعمي سالم إن رأيتهما ستشعرين بأنك ترين أنس في عصر ماضي كان عمي سالم وسيما رحمه الله».

لم تستطع نيللي أن تمنع سؤالاً معيناً يثير فضولها فسألتها: «وهل عصام في نفس سن أنس؟».

أجابت مرام وهي تخرج صينية ساخنة كبيرة من الفرن: «لا.. لا عصام أصغر بأربع سنوات إن عمره ثلاثون سنة».

مطت نيللي شفتيها وقالت في سرها: «إذن السيد ذو الكبرياء العالي أكبر مني بسنة واحدة».

كانت لا تزال تشعر بالضيق كلما تذكرت انفعاله عليها الأسبوع الماضي حينما اقترحت أن تدفع نظير إقامتها بالبيت، أضافت مرام بابتسامة: «عيد ميلاده قريب وسيتم الواحدة والثلاثين إن شاء الله».

عادت نيللي تحدث نفسها وهي تقطع حبة الطماطم بالسكين: «عام ونصف العام ليس فرقاً كبيراً ليتعامل معي بهذه الحدة».

لتجادل نفسها معترفة بأنه كما راقبته الأيام الماضية هادئ ورزين وجاد وليس متطلباً معلماً هو شائع عن الرجال، يقضي الفترة التي يوجد فيها في البيت أمام اللاب توب الخاص به، وكم كانت صدمتها حينما علمت أنه جامعي وأنه مهندس جرافيك وتصاميم لكنها لم تستوعب بعد لماذا يعمل سائقاً لميكروباص أجرة، وتمنت أن تعلم المزيد من المعلومات عنه لكن دوره في حكايات مرام المسلية لم يحن بعد وهو يتجنبها أو ربما اعتقدت ذلك بسبب الأفكار المراهقة التي تسيطر عليها نتيجة للفراغ الذي تعيشه.

عادت ونهرت نفسها قائلة: «أنت بالفعل تعانيين الفراغ يا نيللي.. والعمل لمدة إثني عشرة ساعة يومياً كان حلاً فيك».

لكنها عادت واعترفت لنفسها بأن إعجابها يزداد بهذه العائلة يوماً عن يوم أحببتهم.. أحببت دفئهم ومراعاتهم لبعضهم.. أحببت بساطتهم وكرمهم.. أحببت جو العائلة التي تفتقدها والطاولة التي يجتمعون حولها مساء كل يوم مهما كان بينهم ومهما كان نهارهم، حتى أنس الذي لا يوجد إلا يوم أو اثنين أسبوعياً على العشاء رغم أنه يدفع حصته في مصروف البيت من أجل وجبة يحصل عليها آخر الليل وهو يأخذ زينة كما أخبرتها مرام أحببت الجميع هكذا ببساطة.

بعد قليل كان الجميع ملتفين حول المائدة فهتف عارف باستنكار: «كم.. كم المبلغ قلت؟!».

رد مراد ببرود: «هذا هو المبلغ الذي أبلغوني به».

قال عارف بذهول: «لكن هذا المبلغ مبالغ فيه جدا.. وأكثر من المادتين اللتين تتلقى فيها دروسا خصوصية».

رد مراد بهدوء استفز والده: «المبلغ لم يزد إلا قليلا عن المبلغ الأصلي لمن حجزوا بالصيف لهذه المادة لكنه زاد بسبب الحجز المتأخر ومن أجل إيجاد مكان لي في المجموعات، مع العلم أن هناك دروسا فائتني وسيتم تعويضني عنها بشكل مستقل».

ناظر عصام أنس وقد فقد شهيته التي كان يتسابق فيها مع أخيه وابن عمه على إنهاء صينية المعكرونة الكبيرة، بينما قال عارف وهو لا يزال تحت الصدمة: «هل تعني أن هذه المبالغ دفعها أناس مثلنا يعيشون في مستوى معيشي عادي وليس في القصور والفلل».

قال مراد شاعرا بالمرارة: «يدفعون يا أبي.. ولي أصحاب يدرسون في كل المواد وليس مواد معينة مثلي وهناك منهم من يذهب لمدرسين أكثر شهرة ويدفعون مبالغ أكبر بكثير من هذه».

لاحت الصدمة على وجه عارف فتدخل عصام يقول مشفقا على والده: «لا تشغل بالك أنت يا أبي سندبرها إن شاء الله المهم أن ينتهي من هذه السنة على خير».

غمغم عارف وقد فقد شهيته هو الآخر: «لا أصدق أننا لا بد أن ندفع كل هذه المبالغ كي يدخل الجامعة الموضوع لم يكن بهذا الشكل المتطرف وقت دراستك أنت أو مرام وقبلكم أنس ما شاء الله عليه كان متفوقا دون دروس أقسم بربي».

هتفت زينة بسعادة تناظر والدها الذي يدفن أنظاره في طبقه صامتا يجاهد مشاعره الشخصية تجاه شخص ما يسيطر بحضوره على كل حواسه وجزيئاته: «أنت كنت متفوقا يا أبي؟».

هز الأخير رأسه بالإيجاب وظل منشغلا أو متشاغلا بالطعام، بينما قال مراد بلهجة متهمكة معلقا على كلام والده: «والحقيقة ما شاء الله عليهم يتقلدون المناصب العليا الآن ويسكنون الفلل والقصور».

اكفهر وجه عارف فقامت نيللي بالتدخل قائلة: «وتلقي دروسا خصوصية في كل المواد لا يضمن أيضا الالتحاق بكليات القمة يا مراد.. أنا مثلا كنت ضعيفة في المواد العلمية وأبي رحمه الله أصر على أن ألتحق بالقسم العلمي وتلقيت دروسا خاصة في كل المواد».

من بين كل الجالسين الذين كانوا متابعين لها أحست نيللي بنظرات عصام القوية نحوها وبإدراك متأخر لأنها قد تدخلت في مشكلة عائلية لا تخصها، احمرت وجنتاها لكنها أكملت بمبات انفعالي: «لكني مع هذا لم أستطع أن أحقق أمنية أبي وأن أدخل كلية الصيدلة التي تمناها».

أسرع مراد بسؤالها: «وماذا درست في النهاية؟».

سقط قلب مرام بين قدميها انتظارا لرد نيللي وتمنت لو تذكرها بكذبتهما وحين بدأت نيللي بالرد توقفت عضلة قلبها حتى سمعتها ترد قبل أن ترفع الشوكة إلى فمها: «درست إدارة الأعمال».

زفرت مرام براحة وعاد قلبها للنض، بينما صمت مراد مفكرا، لتميل مرام على نيللي هامسة: «أهذا هو الصدق أم أنك تذكرت كذبتنا بأننا كنا في كلية واحدة».

ابتسمت نيللي وردت هامسة: «أنا بالفعل درست إدارة الأعمال».

غمغمت مرام وهي تلتقط أنفاسها بارتياح: «الحمد لله ربنا كريم لم يرد أن يفضحني».

تدخل عارف قائلا لمراد: «اسمع لماذا نذهب للغريب وابن عمك موجود، أنس يستطيع أن يدرس لك الكيمياء والرياضيات.. وأعتقد الفيزياء أيضا».

رفع الأخير حاجبيه متفاجئا لكنه لم يعلق، بينما اتسعت عينا مراد رافضا ليضيف عارف: «ألم يكن يدرس لك العلوم والرياضيات في الإعدادية؟!».

هتف مراد معترضا: «لاااا.. أنس لا».

ونظر للأخير الذي منحه ابتسامة شريرة جعلت مراد ينتفض واقفا ويقول بعورة: «أنا من الأساس لا أريد أن أكمل

تعليمي.. أخبرتكم أنني لا أريد».

جاءت السيرة التي تجن جنون عارف فتوتر الجميع حتى نيللي توترت بينما هتف عارف منفعلًا: «هل سنعود لهذه السيرة يا مراد؟!».

قال الأخير بانفعال: «يا عالم لماذا تدفعون كل هذه المبالغ ولماذا أقوم أنا بكل هذا المجهود؟! ما الداعي؟!».

هتف عارف بذهول: «ما الداعي؟! تقول ما الداعي؟! ألا تريد أن تتخرج في الجامعة كأخويك وابن عمك؟!».

رد مراد مدافعا عن أفكاره: «وما الذي جنوه بالشهادة الجامعية؟ أخبرني ها هي مرام تخرجت في كلية التجارة وتعمل مجرد سكرتيرة في شركة صغيرة، وها هو عصام تخرج من كلية الفنون التطبيقية ذات المجموع العالي ليكون مصيره في النهاية سائق ميكروباص، وأنس (وأضاف ساخرا) ما شاء الله! حقه في التعيين في الجامعة رغم تفوقه سرقوه ويعمل في قسم الجودة في شركة أدوية (وصرخ بجنون يسأل أنس) كم راتبك بعد كل هذه السنوات من الدراسة يا دكتور ها أخبرني!».

لم يلتفت إليه أنس بل ظل يلعب بالطعام بشوكتة بينما ترك عصام مقعده قائلا بلهجة موبخة وهو يدفع مراد في كتفه: «لماذا لا تحترم نفسك وتحترم من هم أكبر منك سنا ألا تجد طريقة للحديث بأدب».

صاح مراد بجنون وقد وجد متنفسا لغضبه: «ولماذا لا

تحترمونني أنا الآخر وتحترموا رغباتي أنا لم أعد صغير».

كانت ضربات قلب نيللي ومرام تتسارع بجنون، بينما صرخت روح بانفعال: «هذا الولد قليل الأدب قلت ذلك من قبل قليل الأدب والتربية».

ناظرها مراد قائلا بحقد يوارى خلفه الشعور بالألم: «أنا لست كذلك.. بل أنت التي لا تحبينني تحبين الجميع إلا أنا يا جدتي».

احتقن وجه روح الفؤاد وهمت بالشجار معه فأسرعت مرام بترك مقعدها والذهاب لجدها تقنعها بأن تتحرك معها إلى غرفتها تعرف بأن مراد سيستفزها وسيشتعل البيت كله ضد مراد، بينما ترك أنس مقعده ووقف حائلا بين مراد وعصام الذي يناظر أخيه غاضبا ليقول للكبير: «دعنا نتناقش بهدوء.. أنا أعتقد أن لديه حق فيما يفكر فيه».

ناظره عصام متفاجئا ليقول أنس بصراحته المعهودة: «هو لم يخطئ فيما قال عنا.. اهدأ ودعنا نتحدث».

تابعت نيللي مغادرة روح الفؤاد مع مرام للداخل التي تشتم وتسب بعصبية بينما استدار أنس لمراد قائلا: «أخبرنا علام تنوي؟ وماذا تريد أن تعمل حينما تكبر وتصبح مسئولا عن نفسك وعن بيت وأولاد؟».

قال مراد بعقّة: «أريد أن أقدم مقاطع مصورة على تطبيق اليوتيوب على الهاتف».

اتسعت عيون الشباب الأربعة أنس وعصام ونيللي ومرام التي عادت من الداخل بعد أن ألهمت الجدة، بينما عبس عارف يقول بعدم فهم: «ما معنى هذا؟ لا أفهم كيف ستجني المال؟».

رد مراد على والده بكبرياء: «هذه المقاطع تجلب المال حسب عدد المشاهدة».

سأله عارف وهو يجمع من شتات ذاكرته ما قرأه هنا وهناك عن هذه التطبيقات في الصحف: «كم يعني؟ وماذا ستقدم؟». أجاب مراد بحنق: «قلت لك على حسب المشاهدة وهناك من يجنون آلاف الجنيهات شهريا».

هتف عارف باستنكار: «هذا الكلام ليس حقيقيا بالطبع!».

رد مراد يتحداه: «بل حقيقي أنتم من لا ترغبون في الاعتراف بأن الدنيا تغيرت لست بحاجة للتعليم ولا الدراسة ولا التعب أستطيع مثل غيري أن أكون نجما مشهورا من خلال هذه المقاطع (وأضاف بحماس) يوجد مثلا زوج وزوجة يقدمان مقاطع مصورة لو ترى كيف كانا وماذا أصبحا الآن وماذا يملكان من ثراء فاحش».

كان ما يقوله صعبا أن يفهمه عارف فتطلع في وجوه الجميع وهو يسأل بحيرة: «لا أفهم ماذا يفعل هذان الزوجان ليتربحا من المقاطع؟».

تناظر الشباب الأربعة ثم تولى أنس الرد: «يصور حياته

اليومية هو وزوجته يا عماه ويقوم بمقالب سمجة وهكذا».

رفع عارف حاجبيه قائلا: «تذكرت مقالا عنهما في الصحف (ونظر لمراد يسأله مصدوما) وهل تريد أن تفعل هذا مع أهل بيتك؟!».

صاح مراد وقد شعر بضعف موقفه بعدما كان يتحدث باقتناع قبل لحظات: «ليس هذا فقط ما يقدم، هناك مقالب يقدمها شباب و....».

قاطعه عارف صائحا بانفعال: «تريد أن تكون أراجوزا للتسلية؟!».

كان عصام متقبضا مطأطئ الرأس يفكر كيف يتصرف مع مراد كيف يتعامل معه ومع أفكاره الغريبة، بينما أضاف عارف وهو يرفع سبابته محذرا بوجه مكفهر: «قسما بالله لو لم تتوقف عن الهراء الذي تتلفظ به سأ...».

قطع عبارته فجأة وأمسك ب صدره جاحظ العينين فكانت مرام أول من صرخت: «أبيييييي».

الفصل الخامس

«بمقدور الطموح نفسه أن يدمر أو ينقذ، وأن يصنع من أحد
بطلاً ومن آخر وغداً» (إريك هوفر)

بعد ثلاث ساعات

خرجت مرام من غرفة والدها بعد أن اطمأنت عليه فأغلقت
الباب خلفها مستاءة مما حدث وتسبب في تطور الموقف
حتى انفعل والدها؛ لكن حمدا لله كان توعكا بسيطا انتهى
حين حقنه أنس بحقنة تخفض من ضغطه ودخل ليستريح
بعد أن تراجع مراد واعتذر له ووعدته - إرضاء له - بأن يقبل
بمساعدة أنس له في بعض المواد.

هكذا انتهى الموقف لكنه ترك فكرهم مشغولا على مراد،
فتلك الأفكار التي يتبناها كانت متطرفة أكثر من مجرد
مراهق يمر بفترة دقيقة من حياته.

حين خرجت وجدت روح ونيلى تجلسان في الصلاة
تشاهد الأولى فيلما عربيا قديما بعد نوبة بكاء حار وصراخ
وولولة انتابتها بمجرد أن شاهدت حالة ابنها لكن سرعان ما
نجح عصام في تهدئتها وطمأنها عارف على نفسه، استقبلتها
عينا نيلى بالسؤال القلق: «هل هو بخير؟».

هزت مرام رأسها قائلة: «أجل بخير حمدا لله».

وتطلعت في مراد الجالس بعيدا في الصلاة الأخرى يلعب

على هاتفه، فمطت شفيتها وتحركت تعدل في طريقها الغطاء فوق زينة التي نامت فوق الأريكة ثم ذهبت إليه، في الشرفة كان عصام يتحدث مع أنس في الهاتف قائلاً: «هل تعتقد فعلاً أنها مرحلة وستمر؟ يا أخي كنا مراهقين والله.. وكنا ضائقين بكل شيء حولنا ومتمردين؛ لكن ليس إلى هذه الدرجة من الكره لكل شيء لهذه الدرجة من الرغبة في انسلاخ الجلد من النظرة الدونية لكل ما هو قديم (وتحرك في الشرفة بعصبية حتى كاد أن يشوط بقدمه إصيصاً في الأرض مضيقاً) منذ فترة تناقش معي بأمور تخص السياسة في البلد وأنت تعلم موقفي جيداً وتعلم أنني أعارض أموراً كثيرة لا تعجبني؛ لكني حين استمعت له وجدته كارهاً حتى لهويته فصدمت».

قال أنس وهو يتابع مساعدته في الصيدلية الذي يعطي دواءً للزبون: «مواقع التواصل وغيرها مليئة بالأفكار المتطرفة للأسف وكل هذا يسمعه هو ومن في مثل عمره ويصدقونه».

هز عصام رأسه وأضاف مؤيداً: «أجل يومها انفعلت وأنا أتناقش معه وعلمت بأنه يتابع مدوّناً شاباً يقدم حلقات مصورة على تطبيق شهير على الإنترنت وحين سمعت بضع دقائق فقط من ذلك المدون كدت أن أتقيأ من الأفكار المغلوطة التي يحدث بها الشباب، والمشكلة أنني حين بحثت خلفه وجدته يعيش في بلد أجنبي، أي إنه يسمم عقول الشباب وهو يعيش في بلد متقدمة ويدعوهم للثورة وهو يأكل التوست ويشرب القهوة سريعة التحضير (وزفر

باستياء) بصراحة أنا قلق يا أنس ومن الواضح أن أبي لن يستطيع احتواؤه فهناك فجوة هائلة بين الجيلين وعليّ أنا أن أحمل على عاتقي توجيهه».

قال أنس وهو يمسح شفتيه حينما دخلت الصيدلية امرأة وجهها ملطخ بالأصباغ وترتدي ملابس ضيقة: «لا تحمل نفسك أكبر من طاقتها كعادتك يا برنس أنا وأنت سنتابعه وسنحاول بقدر الإمكان تصحيح أفكاره وإن شاء الله فترة صعبة وستمر».

في الصالة وقفت مرام متخصرة أمام مراد الذي بادرها بالقول دون أن يرفع أنظاره عن الهاتف: «نعم مرام».

حين لم ترد اضطر لأن ينظر إليها ثم قال بلهجة متحفزة: «تفضلي مرام ابدئي وصلتك في توبيخي مثلهم».

نازعها شعوران متناقضان، الشفقة عليه والرغبة في ضربه لكن عاطفتها غلبتها فمالت عليه تمسك بخديه قائلة بتوبيخ لطيف: «ماذا أفعل بك هل أحطم رأسك هذا في الحائط؟!».

ناظرها بملامح طفولية مستعطفة زادت من دفع العاطفة من قلبها فأضافت بترج: «حلفتك بالله يا مراد ترفق بأبيك فأنت تعلم وضعه الصحي».

هز رأسك يغمغم بطاعة: «حاضر».

سألته وهي تمشط شعره بأصابعها: «هل أحضر لك طعاما؟ (وأضافت بلهجة متهمكة) لم تأكل سوى نصف الصينية فقط

يا مسكين ثم فقدت شهيتك بعدها».

قهقه ضاحكا وهو يجيب: «شكرا مرامي.. سأدخل أقضي على ما تبقى من الطعام في السهرة».

تركت وجهه وقالت محذرة: «ضع كل الأواني المتسخة في الحوض وإياك والفوضى سأقتلك».

هز رأسه متبسما فتركته وعادت تقول لنيللي: «سأدخل لأستحم».

هزت نيللي رأسها وعادت تتطلع في هاتفها من جديد، لقد سجلت أرقام العائلة كلها التي أرسلها لها مراد وأدخلت بريدها الإلكتروني الشخصي وغيّرت كلمة السر متجنبة أن تفتح بريدها الإلكتروني الخاص بالشركة خوفا من أن يكون متتبعا، فكرت في أن ترسل لرامي من بريدها الشخصي لكنها تراجعته فهي غير متأكدة إن كان هناك من يستطيع اختراق بريده الإلكتروني أم لا.

حتى حساباتها على مواقع التواصل لم تدخل عليها لم تكن مستعدة للمواجهة بعد تريد المزيد من الوقت، وفي الوقت نفسه ترغب في معرفة إلام آلت الأمور، فبالأكيد لن يستطيعوا التصرف بدونها لكن إلى متى؟!

انتبهت لعصام الذي خرج من الشرفة وعاد ليجلس في الصالة الأخرى أمام تلك المنضدة الصغيرة الموضوع عليها اللاب توب الخاص به، روتين يفعله كل ليلة ثم دفنت وجهها في هاتفها وعادت للغرق في أفكارها، بينما عقد عصام

حاجبيه وهو يتطلع في مراد الذي يلعب لعبه أونلاين على هاتفه وسأله بريبة: «الإنترنت لا يزال مقطوعا في البيت.. من أين حصلت على باقة إنترنت؟ أبي أخبرني أنك قد صرفت مصروف الأسبوع وكنت تريد مصروف الأسبوع المقبل؟».

قال مراد بمراوغة وهو يستقيم واقفا لترك المكان لعصام: «تصرفت في مبلغ».

قالها وتحرك مغادرا فراقبه عصام بشك حتى توقف عند نيللي في طريقه وسألها: «كيف حال الهاتف هل يدخل على الإنترنت بشكل جيد؟».

هزت رأسها بابتسامة في الوقت الذي انفجرت الدماء في رأس عصام وهو يشك في شيء ما جعله ينتفض واقفا وينادي مراد.

خرج صوته حادا بعض الشيء فالتفت مراد إليه بينما ناظرته نيللي مجفلة ليقول عصام وهو يتحرك نحو الشرفة: «تعال أريدك فورا».

الارتباك الذي لاح على وجه مراد أقلق نيللي فسألته: «هل حدث شيء؟».

غمغم بتلقائية وهو يخفض رأسه: «أعتقد أنه خمن من أين حصلت على النقود لأشتري باقة الإنترنت».

قالها وتحرك يدخل الشرفة خلف أخيه بينما توترت نيللي وخافت من أن يتشاجرا.

وكعادتها المندفعة سحبت عكازها واستندت عليه لتستقيم واقفة؛ لكنها عادت وطلبت من نفسها التعقل فمن غير اللائق التدخل بينهما؛ لكن التوتر ظل يسيطر عليها ففكرت من الممكن أن يتدخل الجدة التي تشاهد التلفاز بتركيز وكأنها تتابع الفيلم للمرة الأولى غير مؤهلة لهذه المهمة ومرام لا تزال في الحمام.

تملك منها الفضول لتعرف ماذا سيقول له عصام فغمغمت باستنكار هامة: «هل سيوبخه ثم يوبخني أنا الأخرى لأنني منحتة المال؟! (وعبست مضيفة) من يحسب نفسه حتى يتحكم ماذا أعطي ولمن نقودي وأنا حرة (وأكملت بوعيد) هذه المرة لو وجه لي أي ملاحظة حادة لن أسكت له وسأغادر البيت حتى لو بقيت في الشارع».

نظرت للشرفة من بعيد يأكلها الفضول لتعرف ماذا ستكون ردة فعله إن أخبره أن النقود منها ثم لمعت عيناها في اللحظة التالية واستندت على عكازها متجهة للداخل.

دخلت غرفة مرام تعرج بالعكاز والحماس يسيطر عليها وأسرعت نحو تلك النافذة الجانبية الصغيرة التي تطل على الشرفة وألصقت أذنها بها فجاءها الصوت خافتا لكنه مسموع.

أما في الشرفة فهتف عصام: «ألا تخجل من نفسك هل هذا تصرف رجل لديه كرامة؟!».

احتقن وجه مراد ورد مدافعا: «إنه دين سأرده لها صدقني».

لوت نيللي شفتيها وغمغمت تحدث نفسها: «لماذا يحشر أنفه؟ أنا حرة في نقودي أعطيها لمن أشاء».

شعرت أن الصوت قد ابتعد فعادت وألصقت أذنها بالنافذة حتى كادت أن تخترق زجاجها الخشن، بينما هتف عصام من بين أسنانه وهو يمسك بياقة مراد: «دين أو غيره يا محترم.. الرجل الحقيقي لا يأخذ نقودا من امرأة سواء برضاها أو بالغصب وبعيدا عن اعتراضى على مبدأ الاقتراض في حد ذاته، خاصة مع السبب الذي دفعك لذلك لكن كان من الممكن أن تطلب منى أو من أي من أصحابك».

تسارعت دقات قلب نيللي بشكل غريب واحمرت وجنتاها لسبب مجهول لها؛ لكنها غمغمت بتهكم: «لماذا يشعر أنه الذكر الوحيد على كوكب الأرض!».

غمغم مراد بضيق: «لم أرغب في أن أظهر أمام أصدقائي أنني لا أملك المال».

هتف عصام باستنكار: «خجلت من الاقتراض من أصحابك ولم تخجل من الاقتراض من امرأة!».

داعبت كلماته رهافة حس الأنثى فيها لكنها حدثت نفسها تقول بعناد: «حسنا لن أنبهر ولن أسمح لنفسي بالانبهار.. إنه مستفز».

جاءها صوت عصام يضيف بغير تصديق: «تقترض من ضيف في بيتك مهيض الجناح مكسور الساق».

عبست نيللي وغمغت باستنكار: «مهيض الجناح! من أين أتى بهذا التعبير؟ في أي عصر نحن (وأضافت ترمش بعينيها) أنا نيللي شرف الدين مهيزة الجناح؟! (ونظرت لساقها) ثم ما الداعي لذكر ساقى المكسورة في الحديث؟!«.

تطلعت في النافذة المغلقة تود لو تفتحها وتسدد له لكمة في كتفيه العريضين لكنها عادت وألصقت أذنها بالزجاج لتسمع المزيد فجاءها صوت من خلفها يقول: «ماذا تفعلين؟!«.

انتفضت نيللي حتى كادت أن تفقد توازنها وتقع؛ لكنها اعتدلت بصعوبة وأمسكت بالعكاز تتطلع في روح متمنية لو تنشق الأرض وتبلعها لتضيف روح بحاجبين معقودين متفحصة: «هل تعانين من الحساسية وتحكين خدك بالحائط؟!«.

غمغت نيللي بارتباك: «أنا.. أنا كنت..«.

كانت تشعر بالخزي من نفسها فأسرعت بالقول وهي تتجه نحو باب الغرفة: «سمعت صوتا يأتي من الشرفة سأذهب لأرى هل انكسر أحد الأصص».

قالتها وأسرعت بمشيئها العرجاء تختفي من أمام العجوز. حين خرجت للصالة كان مراد يدخل من الشرفة فناظرته كي تفهم منه إلام انتهى الأمر؛ لكن الأخير كان مكفهر الوجه وتجاوزها نحو غرفته دون أن يقول شيئا، ثم خرج عصام بعدها وتحرك ليجلس في الصالة الأخرى، في الوقت نفسه

الذي تفاجأت فيه بروح خلفها فناظرتها نيللي وامتعق وجهها خوفا من أن تفضح أمرها فبادرتها بالقول لتشتت انتباهها: «ألا زلت تحفظين رقم القناة التي وجدتها لك؟».

أجابت روح وهي تعود لتجلس مكانها وتخرج كيسا من جيب جلبابها البيتي: «هذا هو السبب الذي جعلني أبحث عنك لقد نسيت رقمها».

أسرعت نيللي بإملائها الرقم وهي تعود لتجلس مكانها على الأريكة وقد شعرت بالراحة فقالت روح وهي تخرج بعض المكسرات من الكيس: «لن أعطيك من هذه المكسرات لأنها ستزيد من الحساسية في وجهك».

امتعق وجه نيللي في الوقت نفسه الذي خرجت فيه مرام من الحمام تجفف شعرها بالمنشفة فاشترأت نيللي بعنقها تنظر في الممر وسألتها: «هل ستنامين الآن؟».

ردت مرام: «لا يزال أمامي بعض الأمور لأفعلها أولا».

هزت نيللي لها رأسها فتوجهت الأخرى إلى غرفتها بينما عادت نيللي لتنظر أمامها على ذلك الصامت المستفز الجالس أمام اللاب توب، الذي تسلل منه صوت أغنية خافت.

حواليا ياما وشوش

والقلب وحداني

وحروف حروف بتشبهني

وحروف معنداني

وإدارى من خوفي

يمكن يتوه عني

بس الغريب جرحك في القلب مستني

إن كل ما فيه يستفزها صمته تجاهله لها، تعترف أنها باتت
تفكر فيه الأيام الماضية بطريقة غريبة عليها فلم تكن منشغلة
من قبل بشاب ما أو لتكون دقيقة لم تتح لها الفرصة أن تفعل
ذلك، فمن ناحية انشغالها الدائم ومن ناحية أفكارها انشغلت
كثيرا بتحديد موقفها تجاه طارق... شعرت بالضييق عندما
جاءت سيرة طارق في رأسها وأحست بالخذلان فرغم كل
شيء كانت تظنه راقيا متحضرا لكن ما بدر منه الليلة السابقة
للحادثة صدمها فيه بشدة.

نفضت عنها ذكرياتها المؤلمة وحاربت المشاعر السلبية كما
وعدت نفسها ثم عادت تختلس النظر لذلك الصمت، وقررت
أن تمارس بعضا من مراהقة متأخرة - أو شقاوة حديثة العهد
- فسحبت عكازها واستقامت واقفة وقد عزمّت على المبادرة
بالتحدث معه.

قد تكون جريئة.. قد تكون شجاعة.. أيا كان المسمى لكن
فضولها تجاهه يتوحش، لذا قررت أن تقترب من الصورة كي
يزول عنها الفضول ويفتر حتى تفكر في أمور أهم.

أحس بها قادمة فتصلبت يده على فأرة اللاب توب متسائلا
عن السبب وهاجمه ارتباك مفاجئ أخفاه خلف ملامح جادة،

وهو يدعي عدم انتباهه لكن هيهات إنه منتبه ومنتبه جدا..
خطوات تقترب وضجيج يعلو في الصدور وتردد بين إقدام
وإحجام.

حين اقتربت نيللي هربت منها شجاعتها ووجدت نفسها
في موقف مرتبك وما أربكها أكثر أنها ليست معتادة على هذا
الشعور، فهي تعيش في مجتمع منفتح وتتعامل في مجال
عملها مع الجنسين لكنها تعترف أنها هنا في هذا البيت باتت
تكتشف أشياء جديدة عن ذاتها، تحجبت بالكيس الصغير
الذي يحتوي على شريط دواء يخصصها أرسله أنس قبل قليل
مع أحد الصبية والموضوع على منضدة السفرة، ووقفت على
بعد أمتار تتفحصه رغم أنه لا يحتوي إلا على شريط واحد
من الدواء، بينما استمر عصام متشاغلا حتى اضطرت نيللي
للمبادرة بالقول بعد برهة: «مسار إجباري أليس كذلك؟».

ازداد ضجيج التوتر في الصدور ولم تتلق نيللي سوى
الصمت فاحمر وجهها بغیظ

ألم يسمعها؟ أم أنه يتجاهلها؟ أم ماذا؟ اشتعلت وجنتاها
بحرج وكادت أن تستدير عائدة لكنها تجمدت حينما رفع
رأسه إليها يسألها: «آسف هل قلت شيئا؟».

كان عصام بالفعل غير متأكد هل وجهت له كلاما أم كانت
تحدث نفسها.. واحتار لكنه قرر أن يبادر بالسؤال شاعرا
بالحرج هو الآخر.

أجابت نيللي وهي تتوقع أن وجنتيها لحظتها كانتا مزينتين

بدائرتين حمراوين كأفلام الكرتون: «قلت هل تحب الفريق
الغنائي مسار إجباري؟ (وأشارت على اللاب توب وأضافت)
ظننت أن الأغنية التي كنت تسمعها في الميكروباص ذلك
اليوم مجرد صدفة».

عليه أن يعترف أنها أرق بكثير مما كان يظن، وأن عينيها
البنيتين جميلتان هذا ما كان يفكر فيه وهو يرد: «أجل إنه
فريقي الغنائي المفضل».

تسارعت ضربات قلبها وابتسمت تقول: «وأنا أيضا».

ساد الصمت المرتبك وانتظرت أن يقول شيئا فلم يبخل
عليها وسألها: «كيف حال ساقك؟».

تراقصت نبضات قلبها على إيقاع هادئ وهزت رأسها
تجيب: «الجبيرة مزعجة جدا وثقيلة وتمر علي لحظات أتمنى
فيها أن أكسرها وأتخلص منها».

قال بتعاطف: «أعلم إنها سخيفة.. جربتها منذ عدة أعوام
في يدي عموما هانت ثلاثة أسابيع وتنزعينها هكذا قال
الطبيب».

هزت رأسها وهي تفكر أن الثلاثة أسابيع ربما تكون نهاية
رحلتها هنا أو قبل ذلك، ثم أسرعت بالقول لتطيل الحديث:
«تفاجأت حينما علمت أنك خريج كلية الفنون التطبيقية ومع
هذا تعمل سائق».

انقلاب مقلتيه أشعرها أنها قد نطقت بما استفز كبرياؤه

فبلعت ريقها قبل أن تسمعه يقول بتحفز: «وما وجه الاندهاش بالضبط؟!».

أسرعت بالقول: «لماذا تسيء فهمي دائما أنا لم أقصد شيئا».

هل يسئ فهمها فعلا؟ أم أنه يتصرف معها بحساسية هكذا سأل نفسه في الوقت الذي أضافت نيللي: «كل ما في الأمر أنني أشعر أن الفنانين مرهفو الحس وإن فكروا في امتهان مهنة أخرى غير دراستهم ستكون قريبة من ميولهم.. ولم أقصد أي انتقاص من مهنة السائق».

أقر لنفسه أنه يتصرف بحساسية المفرطة ليست من شيمه فقال بلهجة أهدأ: «هذه هي الوظيفة المتاحة حاليا ولو انتظر كل شخص أن يعمل بمهنة قريبة من ميوله سيجلس عدد كبير من الناس عاطلين عن العمل».

سألته بسرعة وهي تستند على المنضدة شاعرة بعدم الراحة في ساقها: «ولماذا لم تلتحق بوظيفة في شركة دعاية وإعلان مثلا أقصد أن تخصصك مطلوب في أكثر من مجال».

صوتها به بحة ولها أنف.. قطع أفكاره ناهرا نفسه وأجلى صوته مجيبا: «الشركات المتوسطة والصغيرة رواتبها ضعيفة وأنا عندي التزامات كثيرة لذا أبحث عن شركة تحقق لي الطموح المادي والفني في الوقت ذاته».

جادلته قائلة: «لكن أي إنسان يبدأ السلم من أوله ويضاف لسيرته الذاتية تباعا خبراته العملية».

كان هناك جانب مستفز بداخله لأسئلتها الصريحة خاصة وأن العلاقة بينهما لا تسمح بذلك على حسب ما كان يرى؛ لكن جزءًا آخر منه كان فضوليا لأن يستمر بالحديث معها فأجاب: «أعلم ذلك لكن البداية من الصفر في سن الثلاثين مع ظروف صعبة».

لم تتوقف إنها فرصة للحديث مع السيد الصامت فسألته: «ألم تعمل في مجال تخصصك أبدا؟».

رد موضحا: «عملت عامين بعد التخرج ثم طلبت لأداء الخدمة العسكرية وبعدها لم أستطع إيجاد وظيفة مناسبة لكنني أعمل بشكل حر مع بعض المطابع».

هزت رأسها بتفهم ثم سألته: «ولماذا لا تجد لنفسك مكانا على مواقع التواصل (وتابعت عيناه يدها التي حركتها في الهواء وكأنها تتحدث في مؤتمر وهي تضيف شارحة) أنا لست ضليعة في أمور التصاميم لكن أشعر أن كل شيء يمكن التسويق له في العالم الافتراضي الآن».

ما هذا السخف الذي تفعله؟ إن هذه هي المرة الأولى التي تتحدث فيها معه ومع هذا تحقق معه كما لو كان متهما؟! هكذا وبخت نفسها وهي تسمعه يجيب: «أتفق معك.. وأنا بالفعل بدأت التسويق لنفسي على مواقع التواصل؛ لكن هذا المجال المنافسة فيه شرسة خاصة مع عملاء لا تتعاملين معهم وجها لوجه».

كان من المفترض أن تنهي الحوار وتتقهقر لتعود لحدودها

هناك عند الأريكة؛ لكنها فرصة لم تعرف إن كانت ستتكرر مع السيد صاحب الكبرياء أم لا فأسرعت بالقول: «الحقيقة مرام أخبرتني أن تصاميمك رائعة».

أجاب بحرج: «هي فقط تبالغ لأنني أخوها».

لم تكن هذه هي الإجابة التي تنتظرها لكن أن يريها بعضا من تصاميمه التي تتحرق شوقا لرؤيتها، حسنا تعترف أن عبارة (تتحرق شوقا) مبالغ فيها لذا ستختار بدلا منها (يتملكها الفضول) لكنها بالفعل تتحرق شوقا لماذا تكذب على نفسها.

ساد الصمت من جديد.. وكل منهما ينتظر الآخر أن يقول شيئا فهمت نيللي بالتراجع للخلف بعد أن شعرت أن منظرها أضحى سخيفا وبعد أن ازداد الألم في ساقها في الوقت نفسه الذي خرجت فيه مرام من الداخل تنادي عصام، كان وجه الأخيرة أحمر فتبادلت نيللي معها النظرات التي أكدت لها أن هناك أمرا مهما تريد أن تقوله فالتقطت عكازها وتحركت مبتعدة تترك لهما مجالا للحديث وجلست على الأريكة تتابعهما من بعيد.

عبس عصام وهو يرفع أنظاره لأخته التي قالت له بلامح خجلة: «عصام هناك أمر أريد أن أخبرك به».

عقد حاجبيه قائلا: «خيرا إن شاء الله».

هزت رأسها وقالت: «خير (وأضافت وقد بدأت تنهت من الانفعال) لقد اتصلت بي مدام سهير منذ دقائق».

مط شفتيه وسألها: «من مدام سهير؟».

الاسم التقطته أذنا نيللي وخمنت ما يحدث بينما ردت مرام بسرعة: «مدام سهير.. رئيسة أحد الأقسام عندنا بالشركة التي أوصلتني لزيارتها في بيتها قبل بضعة أشهر حين استأصلت المرارة».

هز رأسه متذكرا لتضيف مرام وقد ازداد احمرار خديها: «اتصلت بي تخبرني أنها أنهم...».

سألها ساخرا من حالتها الغريبة: «أنهم طردوك من العمل؟». ضربته في كتفه بحنق ثم قالت: «أخبرتني أنها تريد أن تزورنا هي وأسررتها يوم الجمعة لم تحتل حتى تراني صباح غد بالمكتب واتصلت بي».

عبس عصام وسألها: «وسبب الزيارة؟».

ضغطت شفتيها ببعضهما ثم ردت: «للتعارف فابنها هنا في إجازة ويبحث عن عروس».

تفاجأ عصام أو ربما شعر ببعض الارتباك فسيرة زواجها تشعره بالقلق ربما عليها وربما لأنها ستترك العائلة لكنه هز رأسه يقول بهدوء: «خيرا إن شاء الله (ثم كشرت ملامحه وسألها وهو يرفع إليها نظرات مدققة) ولم هذه السعادة التي لم تحدث مع عريس من قبل.. هل تعرفين ابنها هذا؟».

أسرعت بالقول: «لالا.. أنا أعرف مدام سهير وأكن لها محبة كبيرة في قلبي، أما ابنها فرأيتة مرة واحدة (وأكملت ببطء

وتقطع وهي تهرب من مواجهة عينيه المدقتين) عصر اليوم».

رفع حاجبا فأسرعت بالقول وهي ترفع أمامه سبابتها وكأنها تقسم: «جاء صدفة اليوم ليعيد والدته للبيت فرآني (وتخضبت بالحمرة وهي تضيف) هذا كل ما حدث».

مط شفتيه فأضافت: «أبي نام فأردت أن أخبرك أنت، خاصة أنهم متعجلون كما فهمت منها لأن إجازة ابنها قصيرة».

رفع عصام زاوية شفته العليا وقال متhekما: «وما المطلوب إن شاء الله؟ أن نلّفك في ورق هدايا ونرسلك لسعادة البيك بالبريد المستعجل! (وشرست ملامحه مضيّفا) موضوع متعجل هذا يخصه نحن سنأخذ وقتنا في البحث والفحص لنعرف أصله وفصله وسيرته».

طالعتها صامتا وهو يراقب ابتسامتها وأحس أنها متحمسة هذه المرة بعكس المرات السابقة التي تقدم لها خطاب لم تكن قد رأتهم؛ لكنه سرعان ما ازدادت ملامحه عبوسا وسألها وهو يداري شعورا تلقائيا بالقلق عليها: «هل تعنين أنه ينوي أن يسافر بعروسه للدولة التي يعمل بها؟».

أشرقت ملامحها وهي تجيب بحماس: «لا لقد أخبرتني مدام سهير قبل قليل أنه ينوي أن يبقى زوجته هنا في الوطن ويزورها مرة أو مرتين في السنة وهي لم تكن لترشحني له لو كان غير ذلك فهي تعلم جيدا أنني لا أطيق

الابتعاد عن أهلي».

شعر بالراحة وانتظمت أنفاسه لكنه قال بامتعاض كاذب: «خسارة.. فرحت وقلت سنرتاح منك بشحنك لدولة أخرى (وأشاح بيده قائلا) اذهبي وسأتحدث أنا مع أبي».

ونظر إلى شاشة اللاب توب أمامه لكنها لم تتحرك فعاد ينظر إليها ليجدها تقول بنظرات مدققة تشع مكرا: «أنت تتضايق كلما جاءت سيرة عريس (وأضافت بلهجة متهكمة وهي تميل عليه) أخي حبيبي الذي لا يطيق بُعدي ولا يستغني عني».

قال بإنكار: «من أدخل في عقلك هذا الكلام الفارغ؟!».

أمسكت صدغيه وداعبت لحيته النابتة وهي تطلق كلمات مداعبة مناغشة بلهجة غير مفهومة فقال متأففا وهو يتحكم في ابتسامته ويحاول الإفلات بالرجوع برأسه للخلف: «بدأت فقرة لغة الفضائيين الخاصة بمرام».

استمرت في مداعبته بفرك صدغيه والتفوه بعباراتها الحنونة غير المفهومة فقال محرجا وهو يختلس النظر إلى نيللي التي تتابع من بعيد: «توقفي مرام عن تلك الطريقة الكلابية».

قالت وهي تزيد من مناغشته: «كلابية؟!».

هتف مغتاظا والخرج يشمله من رأسه حتى أخمص قدميه: «أجل كلابية تشعريني أنك تداعبين جروا صغيرا بلهجة

فضائية».

مالت أكثر لتمطر خده بالقبلات فازداد حرجه طرديا مع تدفق مشاعر المحبة لها في قلبه ليبعدها وهو يقول بلهجة محذرة: «والله سأكسر عظامك في يدي إن لم تتوقفي يا مرام».

كانت تحفظه وأحست أنه قد وصل لأقصى قدرة له على تحمل مشاكستها فابتعدت تقول بإغظة: «عليك أن تستعد لفراقي يا مسكين.. فإن لم يكن هذا العريس سيأتي بعده.. جهز نفسك للفكرة حتى لا تنهار بكاء حينها».

لم تعطه الفرصة للرد بل استدارت تكتف ضحكا فاستقبلتها نيللي بابتسامة متسعة وتأثر غمر قلبها بالدفع لتسألها مرام: «هل ستنامين الآن؟».

ودت نيللي لو أن تبقى فلم تكتف بالحديث مع السيد الصامت بعد لكنها قالت وهي تلتقط عكازها: «أجل».

فاستدارت مرام تنوي إقناع جدتها بالذهاب لسريرها؛ لكنها وجدتها قد نامت وهي جالسة فابتسمت وأسرعت بتغطية زينة وهي تقول لعصام: «دثرا زينة جيدا بالله عليك يا عصام حين يأتي أنس ليأخذها».

بعد قليل كانت روح تستقر في سريرها مستغرقة في النوم بينما مرام لا يزال وجهها متوهجا فقالت لها نيللي وهي مستلقية على السرير: «تبددين متحمسة للغاية».

اتسعت ابتسامة الأخيرة وقالت: «لو كتب للأمر التوفيق سيكون به مميزات كثيرة خاصة مع ظروف سفره ورغم هذا أشعر ببعض الذنب أنني سأتزوج وأترك عائلتي من سيعتني بهم؟».

ابتسمت نيللي وردت: «لكنها سنة الحياة ولا أعتقد أنهم سيحبون أن تبقى دون زواج».

قالت مرام وهي تجلس بجوارها على السرير: «لا بالطبع لقد حاول أبي وأخي إقناعي أكثر من مرة لكن لم يتقدم لي من شعرت بالراحة والقبول معه (وصمت قليلا فراقبت نيللي تبدل ملامحها للحزن وهي تضيف) إلا مرة واحدة».

سألها نيللي: «ماذا حدث؟».

تربعت مرام تواجهها في الجلسة وسحبت نفسا عميقا وأطلقتته وهي تجيب: «إنه شخص تحركت له مشاعري لأول مرة جارنا أو بمعنى أدق شقيق جارتنا فتاة شابة تسكن في البناية المقابلة، وكنت أعرفها وهو أخوها الأصغر وكانت جامعته هنا في العاصمة فحضر من مدينته ليعيش فترة الدراسة مع أخته وزوجها كنت أتردد على أخته من وقت لآخر، لأنها كانت منتسبة لكلية التجارة التي أدرس بها لكنها لا تحضر بسبب مشاغل البيت والأسرة فكنت أساعدها في جلب المحاضرات والكتب وغيرها».

قاطعتها نيللي تسألها: «كانت صديقتك؟».

ردت مرام بهدوء: «لن أستطيع أن أقول صديقة فأنا لم يكن

لي أبدا صديقة مقربة فنمط حياتي يختلف عن غالبية البنات بشكل لا يمنحني الوقت للتواصل مع صديقة بشكل مستمر، وقتي ضيق جدا وأحيانا أنسى مرام نفسها في وسط زحام اليوم فكنت بالطبع لا أتواصل كثيرا فلا يستمر البنات في علاقتهم معي وينسونني كما أنساهم وبالطبع أعذرهم لكن هذا شيء خارج عن إرادتي».

قالت نيللي بصدق: «مرام أنا معجبة بك (وأمسكت بيدها بين كفيها تضيف) أنتِ one of a kind».

رفعت لها الأخيرة حاجبيها ثم قالت: «أنا تعليم مجاني يا نيللي وهذا التعبير غريب علي».

ابتسمت نيللي وقالت بمحبة: «أقصد أنك مميزة وليس لك شبيه أتعلمين؟ قبل أن أعرفك كنت أظن نفسي الفتاة الوحيدة في الكون التي لم تُمنح فرصة لأن تعيش مراهقتها وشبابها وكان الشعور بالأسف على نفسي يلازمي طوال الوقت؛ لكني بعد أن رأيت كيف أنك تمنحين كل شيء، وتتقبلين ظروفك وقدرك كله دون تذمر أو شعور بالقهر أو حتى دون استدرار عطف الآخرين وشفقتهم بالشكوى شعرت أنني كنت غير ناضجة وقصيرة النظر».

لمعت الدموع في عيني مرام وقالت بتأثر: «كلامك مؤثر لكني لا أتصور أنني بهذا التميز الذي تصفينه.. فأنا مثلي بنات كثر ولا أعتقد أنني أفعل شيئا غير الواجب».

ماثلتها عينا نيللي في لمعة العين بالتأثر وردت: «لهذا أقول

عنك one of a kind».

قالت مرام باعتراف وهي تشدد على يدي نيللي: «لكنني سعيدة بوجودك جدا يا نيللي أشعر بأني قد ظهر لي أختا فجأة لا تتصوري مدى سعادتي وأنا أنهى دوامي وأعود راکضة للبيت لأن هناك أختا لي تنتظرني وسأحكي لها تفاصيل اليوم وأشاركها في الساعات المتبقية منه، فأنا أفقد أحاديث الفتيات وعالمهن (وأضافت بما يشبه الترجي) أتمنى حينما تتركين هذا البيت ألا تنقطع صلتك بنا».

قالت نيللي بتلقائية: «ماذا تقولين الله وحده يعلم كيف أصبحت محبتكم في قلبي».

كان زخم المشاعر يزداد بينهما ويملاً الغرفة فأسرعت نيللي تقول وهي تعتدل على السرير: «أكملي ماذا حدث مع هذا الشاب؟».

قالت مرام وقد انتبهت لأنها نسيت أن تنهي القصة: «المهم كنت ألاحظ بأنه يحاول التقرب مني وإثارة انتباهي وأنا كنت أتصنع عدم الانتباه، فكان إعجابا صامتا بيننا حتى صارحتني أخته برغبته في التقدم لي فعائلته ميسورة الحال ويستطيع أن يخطبني رغم أنه كان في السنة النهائية من دراسته، فكان جوابي أن يتقدم لأبي المهم أن أبي وعصام رفضا لأنه لا يزال يدرس وأنا كذلك، وتأجل الأمر حتى تخرج وتقدم لي مرة أخرى هو وأهله وبدأنا فترة التعارف، وقبل إعلان الخطبة بوقت قليل علمت بأنه ينوي أن يستقر في مدينته

وليس في الشقة التي تجاور شقة أخته، التي كنت أعرف بأنها ملك لعائلته فعلى ما يبدو أن أهله قد رفضوا أن يعيش بعيدا عنهم وضغطوا عليه كي يسكن بجوارهم في شقة في بيت العائلة مثل إخوانه الذكور، بل إنهم حتى يجبروه على الموافقة أجروا الشقة التي يملكونها هنا لمدة خمس سنوات حتى لا يفكر في الزواج فيها والابتعاد عنهم، وبالطبع كان الأمر صادما ومرفوضا من قبلي وحاول هو إقناعي بالعيش معه خارج العاصمة وحاول أبي التدخل وإقناعي وكذلك عصام؛ لكني رفضت لم أستطع أن أبتعد عنهم كانوا يحتاجونني كثيرا وكانت فترة صعبة في حياتنا تزامنت مع حادثة أبي وتقاعده.

«وافترقتما؟» سألت نيللي فردت مرام: «أجل افترقنا».

«وهو هل تزوج؟»

هزت مرام رأسها مجيبة: «أجل علمت أنه قد تزوج بعدها بعام».

سألها نيللي بتعاطف: «ألا زلت متأثرة بهذه التجربة؟».

ردت مرام بهدوء: «لا أنكر أن بداخلي غصة أو شيء أكبر من ذلك لا أعرف مداه بالضبط لأنني لم أسمح له بأن يشغلني كثيرا، واريته خلف غيمة الذكرى وتمنيت له التوفيق وانتهت القصة قبل أن تبدأ».

قالت نيللي مشجعة: «إن شاء الله سيكون عوضك أكبر وأحسن منه وسيزيل الحزن من قلبك لأنك تستحقين كل

شيء جميل».

أشرقت ابتسامة مرام من جديد وسألتها: «وأنت هل مررت بتجربة حب من قبل؟».

شردت نيللي بأنظارها بعيدا لبضع ثوان ثم عادت لمرام تقول: «لا لم يكن عندي وقت لذلك كنت ألث طوال عمري منذ دخولي للثانوية، أذاكر أضعافا لأستوعب المواد العلمية المعقدة التي يفشل عقلي في فهمها، وحين فشلت في دخول الكلية التي تمنها أبي درست إدارة الأعمال وانخرطت في عدة دورات جانبية ومهام من أجل إرضائه وإسعاده فموت أمي أثر فيه بشدة (وأسرعت بالاختصار مضيقة) إنها تفاصيل كثيرة يا مرام سأحكي لك عنها يوما لكن هناك تعقيدات في حياتي أريد أن أحلها أولا وأعدك أنني سأحكي لك كل شيء حين أكون مستعدة».

ربت مرام على ذراعها بلطف ثم تحركت لتستلقي بجوارها على السرير وتحقق في سقف الغرفة فشعرت نيللي بالذنب تجاهها فمرام تتحلى بالكرم في إخبارها بكل شيء، وهي غير قادرة على معاملتها بالمثل تخشى إن أخبرتها عن تفاصيل حياتها أن تشعر مرام بعدم الراحة، أو أن تسيء فهمها فعلاقتها لا تزال في طور كسب الثقة.

قالت مرام وهي لا تزال معلقة الأنظار بسقف الغرفة: «أتعلمين يا نيللي أنا أشعر بذنب كبير».

أدارت لها الأخرى وجهها باستفهام لتدير مرام لها وجهها

موضحة: «أشعر بالذنب لأنني لم أبلغ الشرطة عن تلك الشركة المزيفة وقد تتهميني بالمبالغة لكنني أشعر أنني أسهم بهذه السلبية في الإيقاع بالمزيد من الفتيات في فخ هذين الحقيرين بعدم إبلاغي عنهما أو إيقافهما بأي وسيلة».

هزت نيللي رأسها وقالت متفهمة: «أعرف هذا الشعور بالذنب أعرفه جيدا والحقيقة أنا أيضا كنت أفكر في نفس الموضوع لكنني لم أرغب في إعادة مناقشته معك حتى لا أضايقك».

قالت مرام بلهجة معذبة: «علي أن أفعل شيئا يا نيللي لكنني لا أريد الزج بنفسي في ورطة ولا اللجوء لعصام فكرت في أن أخبر أنس لأنه يتمتع بعبات انفعالي أقوى من عصام؛ لكن بصراحة خجلت من أن أظهر أمامه بمظهر الهباء المتهورة وخشيت من أن يغضب مني، المهم أنني استبعدته هو الآخر فلا أريد لأي فرد من عائلتي أن يتورط في الموضوع».

اعتدلت نيللي ورفعت رأسها واستندت على كوعها وهي تقول: «اسمعي أعتقد أن هناك خطأ ساخنا يمكن الاتصال به بشأن حالات التحرش والاعتصاب وغيرها وسمعت أنه يكفل السرية التامة للمتصلة، عرفت ذلك بعد قضية شهيرة أثارت الرأي العام (والتقطت هاتفها من جوار السرير وهي تقول) سأبحث لك عنه على الإنترنت».

قالت مرام بتردد: «لكن أخشى أن تكبر القصة ويزجون باسمي في الموضوع».

فكرت نيللي قليلا ثم قالت: «استخدمي اسما مستعارا وسجلي شهادتك وما حدث معك وعنوان الشركة واسمها».

هزت مرام رأسها بالموافقة فأسرعت نيللي بالبحث عن الرقم على الإنترنت.

بعد نصف ساعة كان البكاء قد غلب مرام بعد أن انتهت من تسجيل رسالة صوتية للجهة المختصة فاستعادة التفاصيل أعادت إليها الشعور المؤلم والذكريات المؤذية، فربتت عليها نيللي وهي تقول بتشجيع: «انتهى الأمر الآن.. تستطيعين الاطمئنان على أنك أوصلت صوتك للجهات المعنية».

قالت مرام من بين دموعها: «أتمنى ألا يكون هناك أخريات قد وقعن في الفخ نفسه بسبب تأخري في الإبلاغ».

ردت نيللي: «لا أتوقع بعد ما حدث الأسبوع الماضي أنهما قد يتجرآن لاستئناف نشاطهما بهذه السرعة من المنطقي أن يتريعا قليلا ليريا أن كنت قد أبلغت عنهما أم لا، هذا إن لم يكونا قد تركا الشقة من الأساس وبحنا عن مكان جديد فمن مثلهم يغيرون أماكنهم بشكل مستمر بالتأكيد حتى لا يكشفون».

أحست مرام بالراحة من كلمات نيللي المشجعة فاستمرت الأخرى في تشجيعها تقول وهي ترفع لها كفها في الهواء: «لقد أحسنت مرامي».

اتسعت عينا مرام متفاجئة باللفظ التحببي ونظرت لكف نيللي المرفوع أمامها ثم ضربته بكفها بسعادة جمّة احتفالا

بتحقيق الإنجاز، وبعدها استلقت مكانها فوق السرير الذي أصبحت تشارك نيللي فيه وأخذت تعثر عن أمنياتها بالنسبة للعريس القادم حتى غلبهما النوم.

بعد قليل فتحت نيللي عينيها باتساعها وهي تسأل نفسها كيف لم تفكر في هذه الفكرة قبل ذلك؟ إنها تستطيع أن تحصل على رقم الشركة من الإنترنت وبعدها تحاول الوصول لرامي.

بعد يومين صباح يوم الجمعة

ينكر.. يراوغ.. يفر.. يهرب.. إلى متى سيستمر في ذلك؟ لكن ماذا سيجني بالاعتراف؟! ماذا سيجني غير الإحباط والمزيد من الألم والغضب.

ألم حارق يكوي قلبه وغضب عظيم يملأ صدره ويزيد من شعوره بالانهزام.

إن أراد الاعتراف بما يبدأ؟ هل يعترف أنه إنسان مهزوم ومرارة الهزيمة كالعلقم في فمه؟ أم يعترف أنه يحبها؟ بل غارق فيها، لا لا سيعترف بنصف الحقيقة إنه إنسان مهزوم يضيق صدره بالحياة كلها؛ لكنه لن يقر بالجزء الآخر فأمور الحب والعواطف هذه لا تليق به أبدًا.

الامر ببساطة - وكما يخبر به نفسه دائمًا - تأثر منطقي وطبيعي بها.

تحرك في غرفة النوم فنزع الملاءة عن السرير بعصبية وألقاها في الأرض، فاليوم هو الجمعة وقرر أن يفرغ نفسه لتنظيف الشقة، فأمسك بالمنفضة وأخذ يضرب بها على السرير، يضرب بغل بغضب بقهر، تصارعه أفكاره ويصارعها من جهة ويصارع مشاعره هو وأفكاره من جهة أخرى، مما أحال الوضع بداخله لفوضى عارمة بدأت منذ أن علم صباح أمس بأن مرام سيأتيها اليوم خاطب، وأن لديها قبولاً مبدئياً به أو ربما تقول هذا من حرجها وهي غارقة في حبه.

ازدادت ضرباته على مرتبة السرير ليته يستخدم هذه المنفضة لمعاقبة أناس كثيرين حوله، معاقبة من سرقوا حقه في التعيين.. معاقبة طليقته.. معاقبة ظروفه وحظه.. معاقبة قلبه هذا الذي يراهق لكن للأسف طبيعته لا تميل للعنف.

عاد مرة أخرى لمعترك أفكاره مصرا على رأيه، تأثره بمرام أمر طبيعي رجل عازب وأب لطفلة عانى معها في السنة الأولى من حياتها حتى مدت له مرام يد المساعدة وانتشلتها هو وطفلته من وضع صعب، فهي كعادتها عطوفة كريمة راقية متفانية شملت ابنته بعطفها ربتها وعلمتها الكثير خففت عنه الحمل الكبير ولا تزال تفعل، استضافت ابنته في سن صغيرة خلال النهار بدلا من أن يكون مصيرها حضانة أطفال مضحية أحيانا بحضور محاضراتها، منحها حبا كبيرا لم تمنحه لها أمها كانت لها أما حقيقية، فمن الطبيعي أن يتأثر بها بعد كل هذا من المنطقي أن يحدث ذلك بعد أن تشاركها في كل شيء يخص زينة فيشعر أنها شريكته فيها أمر عادي أن

يحدث هذا التأثير وهي تشاركه حلمه في ابنته.

استمر في الضرب على المرتبة وهو يصارع طاحونة الأفكار في رأسه.

أمر منطقي أن يتأثر بها كرجل حتى لو أصبح لا يطيق كل النساء؛ لكنها استثناء للقاعدة فهي مرام القرنفلية كأحلام المراهقة الملونة مرام التي تشع طاقة ودفء، القدرة على تحويل الحطام من حولها لعالم ينبض بالحياة.

وأمر منطقي حين يراها بهذا التميز وحين تكون الوجه الآخر لزوجته الأولى أن يتأثر بها، إنها كحلم الجوعان بقفة من الخبز خبز طازج شهى دافئ ومشبع كل هذه المنطقيات يخبر بها نفسه دوما يذكرها يقاومها، يسوق الدلائل المنطقية والعلمية ليفسر لنفسه ما يشعر به تجاهها، فهذا رغم صعوبته أخف وطئًا من الاعتراف، لأن الاعتراف مؤلم.. مؤلم لدرجة لن يحتملها الاعتراف يعني قهزًا جديدًا يعني المزيد من الحسرة والمزيد من الأحلام الممنوعة.. وهذه المرة ستكون القاضية.

لهذا فليحيا الإنكار.. وليسقط ذلك القلب الطامع فيها فمرام تستحق شابًا بظروف أفضل تبدأ معه حياة جديدة، شابًا لم يحترق من قبل ولم يهزم ولم يتحول لركام، شابًا يحقق لها الراحة بعد شقائها وتعبها، مرام تستحق حياة أفضل.. تستحق الكثير وهو لا يملك ما يقدمه لها لا يملك شيئًا.

ازدادت ضرباته على المرتبة بشكل جنوني مع ازدياد

صراعاته مما جعل زينة تسرع إلى الغرفة وتتسمر لتحقق فيه ذاهلة، قبل أن ترفع يديها إلى أذنيها لتتحاشى الصوت وهي تقول: «ماذا تفعل يا أبي؟!».

صوت ابنته ضاع وسط عراكه مع نفسه ولم يوقفه إلا انكسار المنفضة فرفع يد المنفضة المتبقية في يده وأخذ يتطلع فيها لاهثًا لتقول زينة: «أبي هل أنت بخير؟». فأدار وجهه لابنته وهز رأسه دون رد.

بعد قليل كان ساقى بنطاله البيتي مرفوعين حتى ركبته وهو يسكب الماء في الأرض ويجرها بالمشاحة، بينما ذهنه لا يزال مشغولا بالحدث الذي سيحدث اليوم مفكرا كيف سيهرب هذه المرة من حضور المقابلة، لقد أخبره عصام يوم أمس أنه اتصل بأحد أصدقائه الذين يعيشون في المنطقة السكنية التي يسكن فيها العريس وأسرته وطلب منه السؤال عنه، وما عرفه عصام كان مشجعا جدا فيما يخص ذلك العريس وعائلته مما زاد من حماس بيت عمه عارف فكيف يتنصل من حضور زيارة اليوم؟ كيف؟

رن هاتفه فترك المشاحة والتقطه من فوق المنضدة ليجد مكالمة دولية فطحن ضروسه مغمغما بسخرية: «هذا ما كان ينقصني!».

نادى على زينة التي لبث النداء على مضض تاركة لعبها فقال محذرا: «انتبهي حتى لا تتزحلقيين على الأرض الرطبة يا زوز (وأعطاها الهاتف يقول) هذه المكالمة لك».

أخذت الهاتف وردت بطريقة آلية: «نعم أنا بخير كيف حالك؟».

واستمرت في طريقها نحو الداخل تقول بذهن مشغول عن محدثتها: «لا أريد شيئا شكرا».

ثم أرسلت قبلة عبر الهاتف بطريقة آلية باردة وأسرعت بإغلاقه وإلقائه بجوارها أرضا.

وقف أنس متخصرا يتابع عودة ابنته للعب في أرض غرفتها ولا يعلم هل عليه أن يشعر بالراحة أن ابنته لا تشتاق لأمها أم يشعر بالأسى لأن البنت تتصرف معها كما تتصرف مع امرأة غريبة، لا تحبها ولا تكرهها ولا تفتقدها ولا تهمها في شيء وكيف لا تفعل ذلك وهي بالكاد تعرفها، ولولا أنه لم يرغب في أن يحرم ابنته من أمها حتى لو كانت أما صورية لا تستحق لما سمح لها أن توجد في حياة ابنته هذا إن اعثبرت مكالمات الهاتف مرة أو مرتين أسبوعيا لدقائق معدودة حسب وقت الفراغ عند أمها وجودا في حياة البنت.

عاد يمسك المساحة وهاجمته الذكريات وكأن اليوم كان ينقصه سيرتها، سيرة نها

زوجته السابقة.

هاجمته الذكريات فرأى نفسه وهو يقابلها للمرة الأولى في ساحة كلية العلوم عن طريق أصدقاء مشتركين ويتعرف عليها، نها عبد الغفور نابغة كلية العلوم.

كان يكبرها بثلاثة أعوام.. يتيمة تعيش مع خالها وأسرته فربطتهما علاقة إعجاب استمرت حتى تخرج وحدث له ما حدث مع إدارة كليته وقرر الإسراع في الإعداد لرسالة الماجستير حي يستعيد حقه المسلوب في تلك الأثناء، وبمجرد أن تخرجت هي تقدم لخطبتها وأسرعوا لإتمام الزواج لضيقها بالحياة في بيت خالها وقررا تأجيل الإنجاب لفترة حتى يحصل هو على الماجستير وتستقر أوضاعه وحتى تنتهي هي أيضا من رسالة الماجستير التي قد بدأت فيها.

هاجمته الذكريات فاستعاد ذلك اليوم الذي اكتشفت فيه نها بحملها في زينة وكيف كانت مصدومة، وكيف رغبت في أن تجهض الجنين حتى لا يعطلها عن طموحها العلمي، فنها طموحة إلى حد جعله يكره تلك الصفة فيها بعد أن كانت مثار إعجابه في البداية؛ لكنه التطرف هو ما يجبرنا على الكفر بكل كل شيء حتى لو كان في ظاهره صفة حميدة، رفض أنس رفضا باتا إجهاض الجنين الذي ليس له ذنب في مخططاتهما، رفض ارتكاب ذنب بقتل روح قطعة منه، فقضت نها فترة حملها في زينة بمزاج اكتئابي رافض للإنجاب، حتى جاء الخبر الذي دمر علاقتهما تماما حين فازت نها بمنحة لتكمل دراستها بالخارج، يومها تبدلت حالتها من قمة الاكتئاب لقمة السعادة.

قال أنس بعدم استيعاب: «لا أفهم».

وضعت نها يدها على بطنها المنتفخ وأجابت بعصبية وهي تتحرك في صالة شقتهما القديمة: «ما الذي لا تفهمه يا أنس؟ هل تظنني سأرفض المنحة هل تحسبني بهذا الغباء؟!».

رد بلهجة ساخرة: «لا بالطبع لست غبية أبدا فأنت نها عبد الغفور الأولى على الدفعة؛ لكني أناقش معك ظروف حياتنا في ظل حملك هذا وفي ظل الكثير من التعقيدات الأخرى التي تعرفينها وتخص واقعنا».

ردت بلهجة قاطعة: «أنت تعرف أن إجراءات المنحة تأخذ وقتا في التنفيذ سأكون قد وضعت حملي ونرتب لإجراءات السفر كلنا».

قال باستنكار: «سفر من؟».

ردت بمقعة: «سفرنا أنا وأنت والطفلة».

قال بتهكم بارد: «آه الطفلة التي لم تختاري لها اسما حتى الآن عموما السؤال المهم: ماذا سأفعل أنا هناك ماذا سأعمل؟».

رفعت كفيها في الهواء تقول وهي تحاول تهدئة انفعاله: «اسمعني يا أنس أنا فكرت في كل شيء مخي يفكر.. يفكر منذ أن علمت بالخبر أنت ستسافر معي وأنا سأدرس وأعمل في الوقت نفسه بينما أنت ستبقى مع طفلتنا فكما تعلم الحياة هناك غالية جدا ولن نقدر على أن نضعها في حضانة

أطفال أول الأمر، وبالطبع خلال هذه الفترة ستبحث عن وظيفة هناك».

هتف أنس باستنكار: «تريديني معك مربية أطفال؟!».

أسرعت نها بالقول: «ما هذا الكلام يا حبيبي هذه ابنتك.. ابنتنا.. صدقني حياتنا كلها ستتغير للأبد، اسمع أنا سأذهب للمنحة وسأفعل ما بوسعي لدعوتك للزيارة أنت وهي أو نقدم من الآن على طلب تأشيرة لك من السفارة حتى لو سياحة بحيث تكون في الوقت نفسه الذي سأسافر فيه، وهناك تبقى مع ابنتنا حتى يستقر حالنا وبعدها..».

قاطعها باستنكار: «والماجستير الذي أوشك على الانتهاء منه؟ وحلمي بأن أكون أستاذًا بالجامعة؟!».

قالت بلهجة متهكمة: «أنس هل أنت مدرك لما تقول؟ لدينا فرصة للسفر للخارج وأنت متمسك بالتعيين في جامعة عربية».

قال مصححا: «تقصدين لديك أنت فرصة للسفر».

قالت بمراوغة: «تستطيع أن تراسل الجامعة هناك وتحاول إكمال دراساتك العليا».

رد مجادلا: «هذه الدراسة ستكون باهظة التكاليف وأنت تعلمين ذلك».

ردت ببساطة استفزته: «من الممكن أن تؤجل الموضوع لفترة، خاصة كما قلنا إنني سأكون مشغولة بالدراسة والعمل

في الفترة الأولى وبعد أن تستقر حياتنا وتكبر بنتنا وتعتمد على نفسها تبدأ أنت في البحث عن عمل والادخار من أجل الالتحاق بالدراسات العليا هناك».

قال بعدم فهم: «أتريديني أن أتخلى عن كل شيء هنا وأسافر معك كمربية أطفال حتى تستقر أحوالنا ثم أحاول أن ألتحق بجامعة هناك إما أن أنجح أو أفلح! لكن يا أستاذة هناك شيء لم تنتبهي له وأنت تخططين وتتوحيشين في خيالك كيف سأترك أبي وحده هنا وأنت تعلمين أنه طريق الفراش ويحتاج لرعاية طبية؟!».

امتقع وجهها لكنها ردت بهدوء: «أقنعه بأن يسافر للعاصمة ليبقى مع أخيه وأمه هناك سيكون بين أهله ولن يحتاج لشيء».

انفجر غاضبا: «هل تطلبين مني أن أترك أبي المريض كي أذهب خلفك لأعمل مربية أطفال وبعدها في محطة بنزين أو عامل توصيل حتى أستطيع العمل في مجال دراستي بعد اجتياز الامتحانات الخاصة بتلك البلد؟!».

صاحت تقول بلهجة متهكمة: «الحقيقة أنت هنا تعمل مدير شركة أدوية! أنس انتبه لما تقول.. أنت تعمل في صيدلية بعد التفوق في الثانوية العامة ودراسة خمس سنوات والمجهود الخرافي الذي بذلته سرقوا حقك في التعيين في الجامعة لصالح ابن رئيس القسم وأصبحت في النهاية تعمل في صيدلية يا أنس، ولا تملك حتى المال ليكون لك واحدة

ملكك هل بالفعل تصدق بأنهم سيبرون بوعدهم ويعينونك إن حصلت على الماجستير؟!».

هي لحظة.. لحظة خاطفة تكون الفاصلة تفتح أعيننا على حقيقة غافلة.. لحظة تكون اختبارًا لعلاقتنا مع الآخر لقيمتنا عنده.. لحظة أدرك فيها أنس كل شيء فتطلع فيها بغضب ليس فقط لأنها تواجهه بالحقيقة؛ لكن لأنها تتلفظ بها بقسوة أطلت من عينيها، شيء ما توحش فيها منذ أن علمت بأمر المنحة غطاء انكشف عن وجهها ليعري أمامه روحها، قد يكون شخصًا مثاليًا وربما عاطفيًا حينما تمنى أن تضعه هو وطفلتها في مقدمة اختياراتها لم ينكر عليها حلمها؛ لكنه كان يتمنى أن يشعر بها مترددة بين السفر والبقاء من أجل الأسرة، كان يتمنى أن يرى نفسه في عينيها كان يتمنى ولم يجد ما تمناه.

قال لها بلهجة قاطعة: «أنا غير موافق».

لاحت الصدمة على وجهها وخيل إليه أنها على وشك الإصابة بذبحة، فقالت لها وهي تمسك ببطنها: «ماذا تعني؟». قال باللهجة نفسها: «أعني أن هذا الوضع مرفوض لن أترك أبي وأسافر خلفك لمصير مجهول ولن أعذب ابنتي في أيامها الأولى بسفر لمكان مجهول».

أسرعت بالقول: «حسنًا كما تريد أبقى هنا مع البنت وأنا سأستقر وأرسل لكما».

هتف باستنكار: «أبقى مع من يا نها؟ إنها في بطنك وحتى

تنتهين من الأوراق والإجراءات ستكون قد وصلت هل ستتركينها في عمر أيام لتسافري خلف حلمك؟!».

لاح على وجهها بعض التردد وهربت أنظارها هنا وهناك؛ لكنها عادت بعد برهة تتطلع فيه بعثات قائلة: «لا بد من التضحيات في بداية الطريق وهذه فرصة لن تعوض ساكون غبية إن رفضتها».

قال مقارعا: «ليس بالضرورة أن تكوني ذكية طوال الوقت، أحيانا نتغابي من أجل أمور أهم في حياتنا».

صاحت باعتراض: «أنت تزوجتني وتعلم بأن حلمي هو أن أكون أستاذة جامعية وهنا في هذا البلد تعلم وضع البحث العلمي، وتعلم التحديات الصعبة التي تواجه الباحثين وأنا وأنت سبق أن تناقشنا في هذا الموضوع».

وقف أمامها صامتا متحصرا مطرقا برأسه يحاول أن يجد مخرجا من الوضع المعقد ثم رفع إليها أنظاره يقول بلهجة صادقة: «أنا متفهم لكل ما تقولينه ولا أعارض أن تحققي طموحك، وأقسم لك أن هذه الفرصة إن كانت قد جاءتك قبل الحمل لكنت تركتك تسافرين وتحملت غيابك؛ لكن الآن هناك طفلة في المعادلة تحتاج لأسرة مستقرة وتحتاج لبعض التضحيات مني ومنك».

انفعلت تقول بجنون: «أنت تعرف أن هذا الحمل لم يكن في الحسبان».

صاح غاضبا: «لكنه حدث.. حدث وانتهى الأمر، لم نسع إليه

لكنه أتانا رزقًا من الله».

قالت بلهجة باكية: «لو كنت تركتني لأجهضه».

كان قد وصل لأقصى درجة من التحمل والشعور بالاستياء فصاح غاضبا: «هل سنعود لهذه السيرة؟ كيف تستحلين ما حرمه الله بهذه البساطة؟! إنها ابنتك جزء منك في بداية الحمل قلت ربما لأنها لا تزال نطفة في رحمها لكن الآن (وأشار على بطنها المنتفخة) الآن وهي تتحرك في بطنك كيف تقولين هذا الكلام».

أجهشت بالبكاء فوقف يتطلع فيها حائرا حتى رفعت إليه وجهها بعد برهة تمسح دموعها وتقول بارتباك: «اسمع يا أنس.. هذه الطفلة سأكرهها صدقني إن أصبحت عقبة في طريقي ومنعتني من تحقيق حلمي أترضى بأن أكره ابنتي؟».

اتسعت عيناه ووقف يتطلع فيها لبرهة مصدوما لتضيف نها صارخة: «لو كنت أنت مكاني ماذا كنت ستفعل؟».

رد أنس بمرارة: «لن أجيبك بأن مهمة الرجل غير مهمة المرأة فيما يخص طفل رضيع وأن الطفل يحتاج لأمه أكثر في السنوات الأولى من عمره وأن فطرة الأنثى تتدخل في اختياراتها في هذه المواقف؛ لكني سأقول لك بكل صدق لو كانت هذه الفرصة ستسبب لأسرتي المشقة أو لو جاءتني ووالدي بهذا الوضع الصحي سأرفضها بالطبع صحيح سيتمكني الحزن والحسرة لكني سأرفضها فالأمر لا يحتاج لسؤال».

قالت باستهجان: «اختيار غير موفق لشخص لا ينظر إلا تحت قدميه».

بلع الإهانة وقال بلهجة حازمة قاطعة: «آسف أنا غير موافق على سفرك وغير موافق على أن تتركي لي طفلة وليدة كي تحققي حلمك المزعوم فأنا أشفق على ابنتي من مجرد الفكرة».

صاحت والجنون يتراقص في مقلتيها: «ماذا تعني بأنك غير موافق؟!».

رد بحزم: «غير موافق على هذا الحل يا نها.. ولن أقبل لا بترك أبي ولا بتركك لابنتك في هذه السن الصغيرة جداً ولا بأن أذهب خلفك لأكون مربية أطفال حتى تحققين طموحك أعلم أن ما أقوله محبط؛ لكن القدر فرض علينا هذا الوضع وعلينا أن نختار أولوياتنا».

واختارت نها اختارت السفر، بل قامت بكل الإجراءات دون علمه وتفاجأ بها وهي تضعه أمام الأمر الواقع وبأنها ستترك معه ابنتهما التي لم تكمل من العمر ثلاثة شهور على وعد بالمحاولة بإرسال طلب زيارة له، أو ربما قصدت أن تضغط عليه حتى يضطر للسفر معها بعد إقناع والده بأن ينتقل للعيش مع أخيه عارف بالعاصمة وهذا استفزه ولم يقبله لم يقبل أن تضعه أمام الأمر الواقع لم يقبل بأن تضحي بابنتها وأن يكون طموحها أقوى من فطرتها كأُم طبيعية مرتبطة بطفلتها، لم يقبل بأن تقوم بالإجراءات كلها دون علمه فما

كان منه إلا أن خيرها بين السفر والانفصال، خيرها وهو يعلم ماذا ستختار فالفترة التي عاشها معها جعلته يتقين إلى أي مدى هي متطرفة في طموحها، فاختارت نها السفر فما كان منه إلا أن أخرجها من حياته طلقها دون أي شعور بالندم، وسافرت هي وحاولت استرضاءه واستمالته بعد سفرها لكنه صدها حتى بعد وفاة والده لم يقبل بأن يذهب خلفها فلم تكن تستحق في نظره لأية لحظة تفكير في العودة إليها حتى عادت نها بعدها بأربع سنوات.

قبل ثلاثة أعوام

زجره عارف بنظراته وهو يعطيه يد زينة في الممر المؤدي للغرف المسدلة ستارته تحجبه عن باقي الشقة، محاولا إقناعه أن يسمح لزوجته السابقة التي عادت من الخارج أن ترى ابنتها، لقد لجأت نها لعمه الذي سمح لها بالحضور لبيته فقابلها أنس لكنه كان معاندا لأن يسمح لها برؤية ابنتها التي لم ترها خلال أربع سنوات إلا في بضعة صور كان عارف يرسلها لها على الهاتف شفقة بها حينما لجأت إليه لتحصل على صور لابنتها، قال عارف بلهجة هادئة: «أنت ستفعل هذا لأنك لا تريد أن تحرم ابنتك من أمها يا أنس لا من أجل أمها».

مط الأخير شفتيه بغير رضا وهو يمسك بيد ابنته التي تطالعهما بعدم فهم، بينما اندفعت مرام تخرج من غرفتها كقطة شرسة تتلحف بإسدال الصلاة في وضع استعداد

للهجوم قائلة بتحذير: «إن فكرت هذه الإنسانية مجرد تفكير في أخذ زينة...».

قاطعها عارف بلهجة حازمة: «مرام».

طالعها أنس بشفقة وهي تكبت الدموع في مقلتيها وتقول بحشجة باكية عائدة لغرفتها: «كما ترون».

رق قلبه لها وهو الذي قد بدأت مشاعره قبل سنة في الميل نحوها وتخطت نظرتة لها حدود ابنة العم التي تصغره بثمانى سنوات لتصبح نظرة رجل لأنثى فقال لها مهدئا: «اطمئني مرام (ونظر لعمه) عمي يعرف جيدا أنى لن أسمح بهذا أبدا».

زفر عارف بيأس ليقول أنس لابنته التي تقف متململة: «تعالى زينة أريد أن أعرفك على شخص».

حين خرج من خلف الستارة إلى الصالة حيث الركن البعيد الخاص بالضيوف سارت خطواته نحو نها التي وقفت تستقبل ابنتها بنظرات متفحصة، التي حضرت قبل قليل فاضطر لاستقبالها نزولا لرغبة عمه ولم يتبادل معها سوى بضع كلمات مقتضبة، ازداد انقباض قلبه مع كفه على يد ابنته الصغيرة وهو يقترب من زوجته السابقة وكأنه يعلن عن ملكيته لها عن أحقيته فيها ثمرة عمره التي عانى وتآلم مع كل يوم يزيد في عمرها زرعته التي استضافتها رحم هذه السيدة ثم تركتها له برعما صغيرا راقبه لحظة بلحظة وهو ينمو ويكبر.

في تلك الخطوات البسيطة عبر الصالة ترك خلفه إنسانا

يشع بالدفع كمرام واستقبل آخر بارد المشاعر كالتي تقف أمامه معلقة العينين بابنته، في تلك الخطوات بين أنس الدافئ رقيق القلب وأنس البارد لاذع اللسان، مرت من أمامه سريعا لمحات من حياته مع زينة وتذكر يوم أن نبت لها أول سن يوم أن وقفت واستندت على الأرائك لتحاول المشي يوم أن نطقت أول كلمة (أبي) ويوم أن التحقت بروضة الأطفال ووقف أمام بوابة المدرسة قلبه معلقا بصغيرة خلف جدرانها تبدأ أول خطوة في خروجها للعالم.

حين وصل لتلك الضيفة التي حلت عليه قبل قليل تطالعه بزهو لأنها قد حصلت على درجة الماجستير وعينت في جامعة أوروبية، بينما هو كل ما حققه الحصول على الدرجة العلمية لكنه لم يعين كما وعدوه بل التحق بقسم الجودة في شركة أدوية بلغ غصة مسنة في حلقه ومال يقول لابنته التي تتطلع في أمها بخجل طفولي من الأغراب زاد حسرة قلبه: «زينة هذه ماما ألم تسأليني لماذا لا تملكين من تناديهما بماما مثل زميلاتك بالصف وأخبرتكم بأنها مسافرة؟».

مالت نها نحو ابنتها فانكملت الأخيرة تمسك بساق والدها لتقول نها بابتسامة: «ما شاء الله تعالى لأضملك زينة».

بتردد واضح شجعتها نظرات والدها لأن تترك نفسها لتلك المرأة لتضمها ثم تملصت منها بعد ثوان لتقول نها وهي تغالب مشاعر أمومة باهتة: «هل رأيت ماذا جلبت لك من هدايا؟».

أشارت على حقيبة سفر مفتوحة بها عدة أكياس فاقتربت منها زينة بفضول لتقول لها بحماس: «أحضرت لك ملابس وأحذية ولعب».

انشغلت زينة بتفحص الأكياس بينما وقف أنس يطحن ضروسه مقاوما رغبته في إلقاء الهدايا في وجهها وطردها وللحظة اختبر مشاعره كرجل نحوها فلم يجد حتى بقايا مشاعر لديه تخصها، وكم أراحه ذلك.. كم أراحه أنها أضحت مجرد رفيق جاوره في مقعد في رحلة قصيرة من عمره، ثم تركه عند أول محطة مغادرا حياته وقد حاول قلبه لحظتها إجباره على الاعتراف بتلك المشاعر الوليدة التي نبتت وسط رماده المحترق كبراعم قرنفل ملونة تخص فتاة أخرى؛ لكنه أنكر ونهر ذلك القلب.

أخرجت زينة عروسا لعبة من أحد الأكياس ثم قالت وهي تحملها مهرولة لتختفي بالداخل خلف الستار: «مرامي انظري لتلك العروس».

بمجرد أن ابتعدت زينة قال أنس لنها: «الألعاب هي فقط ما سأسمح به، أما الملابس والأحذية فأنا آسف لن أقبل بها حمدا لله ابنتي لا تحتاج لشيء».

عبست لها وقالت باستهجان: «ماذا تعني بهذا الكلام؟ هل ستحرمني من أن أهدي ابنتي الهدايا؟».

رد ببرود: «قلت ما لدي فيما يخص هذا الموضوع ولن أكرره».

صمتت قليلا ثم قالت: «أنس أريد أن أتناقش معك في مستقبل زينة، فأنت بالتأكيد ستحب أن تحصل على أفضل شيء، أنا جئت لأخبرك بأنني قد قررت البقاء في الخارج فكما أخبرتك قد غينت في الجامعة هناك وهذه فرصة كبيرة كما تعلم».

قال أنس بلهجة ساخرة: «ألف مبروك والمطلوب».

قالت بنظرات متحدية: «كنت أتمنى أن آخذ زينة لتعيش معي».

انقبض قلبه من مجرد الفكرة فقال بلهجة قاطعة: «آسف».

سحبت نفسا عميقا ثم قالت بهدوء: «اسمعني يا أنس إنها فرصة جيدة للبنث ستتعلم أفضل تعليم وأنا أستطيع أن أكفل لها حياة كريمة».

قال بإصرار وبلهجة أكثر حدة: «آسف ابنتي لن تغادر البلد ولن تذهب لأي مكان».

صاحت باعتراض: «إن كان طموحك قد توقف عند هذا الحد فلا تفوت فرصة كهذه على البنث ولا تتخيل لأنك قد ألحقتها بمدرسة للغات أنك قد قمت بإنجاز أنا سألت عن هذه المدرسة ووجدتها مدرسة ضعيفة المستوى لهذا مصروفاتها أقل المصروفات بين مدارس اللغات؛ ولكن إن سافرت معي..».

قاطعتها صائحا: «اسمعي لست متفرغا لأسمع منك أفكارك

الألمعية عن مميزات الحياة بالخارج وعن صعوبة الحياة هنا ابنتك ورأيها نزولا لكلمة عمي الذي توسط لك عندي وهي موجودة وتستطيعين التواصل معها كما تريدين وإن بقيت في البلد سنتفق على مواعيد لتريها بانتظام وهذه ليس شهامة مني أو كرم أخلاق فللأسف لا أتمتع بهذه الصفات فيما يخصك؛ لكن من أجل ابنتي التي لا أريد أن أحرمها من أمها وهي على قيد الحياة أي شيء غير ذلك فهو مرفوض».

اكفهر وجهها وقالت من بين أسنانها وهي ترفع نظراتها الغاضبة إليه: «يا دكتور أنس تحلى لمرة واحدة برؤية طموحة من أجل ابنتك أنا سأزوج الشهر المقبل من طبيب عربي مقيم هناك وأرغب في ضم ابنتي لي وتكوين أسرة».

رد بلهجة قاطعة: «وأنا لن أقبل بأن تتربى ابنتي بعيدا عني أو في كنف رجل غريب».

صرخت غاضبة: «البنت ما زالت في حضائتي يا أنس وأستطيع أن أخذها بالقوة».

شرست ملامحه واقترب منها عدة خطوات أجبرتها على التقهقر للخلف ومطالعتة بنظرات مرتعبة وهو يقول بصرامة: «ليس هناك قوة ستوافق لك على ما تطلبينه يا أستاذة فأنت تنازلت عن حضانة ابنتك حين تركتها رضيعة من أجل طموحك كما أن القانون لا يسمح للمتزوجة بآخر بحضانة أولادها من زوج سابق أم أن الحياة في أوروبا أنستك قوانين بلدك».

صاحت باستنكار: «لكن هذه قوانين ذكورية متخلفة».

حاول التماسك حتى لا يدق عنقها ورد بلهجة ساخرة: «آسفون أنا وكل المواطنون في هذا البلد.. آسفون لأننا لم نرق بعد للمستوى الذي يليق بمخططات جنابك».

حملت حقيبة يدها تهم بالمغادرة وقالت وهي ترفع له سبابتها مهددة: «أنا سأخذها بالقوة يا أنس وسترى».

«ومن سيسمح لك بهذا؟!».

قالت مرام باندفاع وهي تقترب منهما والجنون يطل من عينيها، ففاجأت أنس كما تفاجأت نها التي انكمشت قليلا وهي تقول: «مرام؟!».

قالت الأخرى متخصرة وهي تقف: «أجل مرام يا روجي».

قالت نها بهدوء ورزانة: «مرام أنا أعرف أنك قد توليت أمر زينة كما أخبرني العم عارف لكن لو سمحت هذا الأمر يخصني أنا والدكتور أنس فقط فلا تتدخلي أرجوك».

قبل أن يقوم الأخير بالتدخل قالت مرام وهي تهم بالهجوم عليها: «لا يا روجي سأدخل أنا أيضا وإن كنت تريدين أن تحافظي على طريقة للتواصل مع ابنتك فتحلي بالأدب واحترمي أهل هذا البيت الذي تقفين فيه وتوقفي عن التهديد».

طريقتها أخرجت أنس من مزاجه الذي تعكر برؤية نها ووقف يتابعها وهي تشيح بيديها مكفهرة الوجه صائحة: «ألا

تستحين على وجهك تركت ابنتك قطعة لحم حمراء من أجل السفر والآن تطالبين بها بكل جراءة ووقاحة».

«مرام» قالها عارف بحزم من وقفته على باب الشرفة فنظر أنس لعمه ليترفق بها واقترب منها يقول بهدوء متجاهلا دغدة تناغش قلبه: «يكفي مرام».

أدارت وجهها ترفع له عينيْن مغرغرتين بدموع الخوف من فراق زينة فأشفق قلبه عليها وقال مطمئنا: «لن يأخذ أحد ابنتي مني حتى لو رفعت قضية في محكمة العدل الدولية ثقي بي».

أسعده الاطمئنان الذي لاح في عينيها ورآها تدير وجهها لنها التي تقف أمامهما ممتعة الوجه لا تجد حجة تدافع بها عن نفسها، ولا تجد سلاحا تهدد به فناظرتها مرام لبرهة بنظرات محتقرة واستدارت لتواجه والدها الذي لا يزال واقفا يناظرها بنظرات موبخة فأخذ احمرار الشعور الحرج مكان احمرار الغضب على وجهها وأسرعت بالعودة للداخل.

بعد تلك الزيارة التي خرجت نها فيها من بيت عمه تهدد وتتوعد لم يرها وعلم بعد ذلك من معارف مشتركين بأنها قد عادت لذلك البلد وتزوجت من طبيب يكبرها بعشرين سنة، وبعدها بدأت تتواصل مع زينة؛ لكن البنت لم تكن تتجاوب معها بالشكل المرجو من الجميع مجرد بضع دقائق على الهاتف تفعلها كنوع من الواجب لتلك السيدة التي تحمل اسم (ماما) التي ترسل لها لعبا في عيد ميلادها، ولا تستجيب

لمحاولات نها لإطالة الحديث معها هكذا اختصرت العلاقة بين زينة وأمها.

عاد أنس من ذكرياته واستمر في سحب الماء بالمساحة نحو الحمام وهو لا يزال غارقا في طوفان من الذكريات فخرجت زينة تسأله: «أبي هل ستتركنا مرام حين تصبح عروسا؟ أخبرتني جدتي روح بأنها ستذهب لبيت جديد».

صمت ولم يرد واستمر في سحب الماء بقوة لتقول زينة بحزن: «لكني لا أريدها أن تتركنا يا أبي أشعر برغبة في البكاء كلما فكرت بهذا الأمر».

توقف عما يفعل ثم قال بحشجة لابنته الواقفة عند حدود غرفتها: «لا تقولي هذا الكلام أمامها يا زينة أرجوك حتى لا تشعرينها بالذنب فتقرر التضحية بالمزيد من سنوات عمرها من أجل الآخرين (وأضاف محدثا نفسه) من حقها أن تبدأ حياتها الخاصة وأن تعيش لنفسها فقط ومن حقها أن ترتبط بمن لديه القدرة المادية على تدليلها وتعويضها عن سنوات عمرها التي سرقتها المسؤولية، لا بد أن نشجعها كلنا لتفعل ذلك وأن نسعد من أجلها فهي تستحق أن تحمل فوق الرؤوس لا أن تحملنا هي فوق ظهرها».

وكنتم أنين قلبه يقول لنفسه ناهرا: «أنت موهوم يا أنس مشاعرك مشاعر احتياج.. طمع لأنها تملك كل ما تتوق إليه فلا تكن مستغلا ولا تظلمها معك فهي لا تستحق منك ذلك».

وقفت زينة تتابع والدها بعدم فهم بينما عاد أنس لسؤاله

الأساسي كيف يتنصل من مقابلة اليوم فعمه مصر على
وجوده؟ وكيف سيهرب من المواجهة مع قلبه؟ وكيف
ستكون الأيام المقبلة دون مرام.

الفصل السادس

بعد قليل

يقولون دوما (ابحث في التفاصيل) وهي لم تكن يوما منتبهة لتلك الحقيقة؛ لكن يبدو أن ذلك الهدوء الذي تعيشه حاليا منحها الفرصة لأن تدقق في التفاصيل ليس فقط فيما حولها إنما في حياتها الشخصية أيضا، فاكتشفت أن هناك أمورا صغيرة تجلب السعادة لمن قرر أن يبحث عنها بين التفاصيل.

اليوم هو الجمعة يوم اجتماع العائلة على مائدة الإفطار فخرجت نيللي من الغرفة تستند على عكازها وأنفها يلتقط رائحة الطعمية التي تقليها مرام في المطبخ كطقس أسبوعي يخص يوم الجمعة، استقبلها عارف مبتسما فبادلته التحية بمثلها وهي تستشعر أنه أكثر انشراحا عن ذي قبل، أكل هذا من أجل العريس المنتظر أن يأتي مساء اليوم! كانوا جميعا موجودين عدا أنس وابنته فألقت تحية الصباح وواصلت طريقها إلى المطبخ تلقي التحية على مرام التي استقبلتها بابتسامة واسعة، لقد قضيتا يوم أمس تعدان وصفات طبيعية للبشرة وتتناقشان فيما سترتدي مرام من خزانة ملابسها حينما تقابل العريس، البيت كله متوتر وكأن الحدث كبير وعرفت من مرام أنهم يتوترون بهذا الشكل في كل مرة يدق فيها خاطب الباب؛ لكن هذه المرة أكثر إثارة وترقب، جلست نيللي معها في المطبخ متجاهلة اعتراضها على عدم

جلوسها في الصالة فدخل مراد واقترب من نيللي يخرج من جيبه مبلغا من المال قائلا بصوت خافت: «شكرا لك».

عبست وسألته: «ما هذا؟».

قال موضحا والحرص يزين محياه: «هذا هو المبلغ الذي اقترضته منك شكرا لك».

قالت معترضة: «لكنك أخبرتني أنك ستعيده لي في منتصف الأسبوع».

غمغم بغموض: «تصرف في المال.. أشكرك».

فهمت أن عصام قد أعطاه المال ليعيده، فطحنت ضروسها وأخذته ثم سأله بمشاكسة: «هل أضفت الفوائد على المبلغ؟».

انفجر مراد ضاحكا ثم أجاب: «ابقي الفوائد ديئا علي سأسدده لك فيما بعد».

تنهدت بطريقة مسرحية وقالت: «تمام كابتن مراد».

قال لها بعفوية مراهق: «وجهك منير بعد القناع الذي وضعتيه أمس أنت ومرام».

تفاجأت نيللي بملاحظته، بينما استدارت مرام تناظره باتساع عينيها فشعر بالحرص وقال: «ماذا؟ قلت الحقيقة وأنت أيضا مرامي وجهك مختلف بعد القناع».

قالها وهو يقترب منها ثم حضنها من الخلف فيلف ذراعه

حول كتفيها ويميل ليطبع قبله على خدها فقالت مرام موبخة وهي ترفع الطعمية من الزيت: «أصبحت وقحا يا مراد».

قهقه ضاحكا ثم قال: «أنا أقول الصدق كل واحدة فيكما وجهها مختلف عن السابق».

قالت نيللي بمشاكسة: «مرام الأحلى فهي ما شاء الله بيضاء وملامحها جميلة».

أدار مراد وجهه لنيللي قائلا بلهجة مغازلة: «بالمناسبة أنا أحب السمراوات أكثر من بيضاوات البشرة».

هتفت مرام بذهول: «ما شاء الله على الوقاحة العلنية».

انفجر مراد ونيللي ضاحكين لتقول الأخيرة بصوت رقيق وخجل تمثيلي وهي تخبئ وجهها خلف كفيها: «شكرا مراد».

في الصالة رفع عصام حاجبه وتطلع ناحية المطبخ من وقفته مع والده يمسك باللاب توب بين يديه ويريه صورة لافتة إعلانية قد صممها، بينما الآخر يعطيه بعض النصائح تخص الطباعة، فتطلع فيها عصام وهي تجلس في المطبخ ورأى مراد يقترب ليقف أمامها يقول شيئا ثم يضحكان فتذكر حلم ليلة أمس، لقد رآها في منامه لا يذكر بالضبط تفاصيل الحلم لكنه يذكر جيدا أنه قد رآها في حلمه أل هذه الدرجة تشغل باله؟! ترى ماذا خلفها؟ هيئتها وطريقة كلامها توحيان أنها راقية وهذوؤها وثقتها في نفسها عجيبان بالنسبة إلى فتاة في بيت غريب والتزامها بحجابها داخل البيت من

الأمور التي جعلته يحترمها، إنها مزيج مختلف لم يقابله قبل الآن ليست خجول مرتبكة وفي الوقت نفسه ليست جريئة إلى حد الوقاحة، ترى مما تهرب؟ هل من المعقول أن ليس لها أهل! مع من كانت تعيش إذن؟! أمن المعقول أن يكون تخمين مرام بشأن عمها وابن عمها حقيقيا؟ وكنها لا تبدو ممن يمكن إخضاعهن ولا يتصور أنها قد تكون هاربة منهم إن كانت قصة مرام صحيحة فهو يستشعرها أقوى وأشجع من ذلك.. وسؤال آخر.. أهى في عمر مرام؟ لا يستطيع التقدير إنها أطول منها وأنحف بكثير الحقيقة، إن قوامها رشيق ولديها بشرة خمرية ذا لمعة مميزة وملامحها.

«عصام».

قالها عارف فانتبه الأخير بارتباك وتدفق الدم في أوردته وهو ينظر لأبيه الذي سأله: «فيم شردت؟ هل كنت أحدث نفسي!»

أسرع بالقول: «لا لا يا حاج أنا معك وأسمعك.. وسأخبر صاحب المطبعة بنصائحك بشأن طباعة هذه اللافتة (ثم نظر لوالده مضيفا بلهجة متحسرة) آه يا أبي آه لو كنا نملك المال لأدركت أنت مطبعة صغيرة».

ابتسم عارف وربت على كتفه ثم غمغم «ألن يصعد أنس للفتور؟»

رد عصام وهو يعود ليضع اللاب توب على المنضدة: «أرسل لي رسالة قبل قليل أنه سيفطر في شقته فليده حملة تنظيف

في الشقة».

عبس عارف قائلا: «وما دخل هذا بالفطور؟ إنه اليوم الوحيد الذي نجتمع فيه صباحا».

التقط هاتفه من فوق منضدة جانبية قريبة وأسرع بالاتصال بأنس ليقول له بعد برهة: «كنت صعدت يا أنس لنفطر سريعا (صمت قليلا ثم عاد يقول) على أي حال لا تنسى أن تتفرغ مساء اليوم من أجل مقابلة عريس مرام، لا بد أن تكونوا جميعكم موجودين».

وعبست ملامحه وهو يستمع لمحدثه ثم قال بضيق: «اعتذر للدكتور فياض يا أنس».

خرجت مرام من المطبخ عابسة بعد أن وبخت مراد الذي وقف يثرثر مع نيللي متجاهلا طلبها بأن يضع الأطباق على طاولة السفرة، وقالت لوالدها وهي تلتقط أطراف الحديث: «لماذا لم يصعدا للفطور؟ لقد جهزت عجة البيض لزيئة».

أبعد عارف الهاتف عن أذنه مجيبا: «يقول إنها قد فطرا قبل قليل».

ازداد عبوسها وهي تضع الأطباق على الطاولة وغمغمت: «زيئة كانت تشتهي العجة ووعدتها أن أصنعها لها يوم الجمعة».

تدخلت روح قائلة: «أنا أحب عجة البيض ضعها لي مع جبن المخلات».

بعد قليل كانوا يجلسون حول مائدة الطعام فشعرت
نيلى بأن شهيتها مفتوحة وطالعت بعينها الجميع وللحظة
افتقدت زينة وأنس، لم تكن من قبل مولعة بالطعام لكن يبدو
أنه من الآن فصاعدا سيرتبط في ذهنها بجو العائلة ربما
لأنها اللحظات التي يترك فيها الجميع كل شيء يشغلهم عن
بعضهم يوما ما، حينما يكون لها أسرة ستقدر جدا لحظات
التجمع حول طاولة السفرة لتصنع منه وقتا سعيدا

شرد ذهنها متسائلة ترى كيف سيكون شكل أسرتها
المستقبلية؟ وهل ستنجح في تكوين أسرة من الأساس أم
ستقضي سنواتها المقبلة خلف القضبان؟!

سأل عارف والدته: «ما بك يا أمي؟».

أشاحت روح بوجهها وقالت بتذمر: «مرام لا تهتم بي
وتعاملني معاملة سيئة».

للحظة تجمدت كل حركة حول الطاولة وناظرها الجميع
بعيون متسعة قبل أن تقول مرام: «أنا يا جدتي؟!».

قالت روح بحنق: «طلبت منك مرتين أن تبحثي لي عن
العباءة الزرقاء».

تنهدت مرام وردت: «أنا كنت أحضر الفطور يا جدتي وقلت
لك حاضر».

هدرت فيها بتوبيخ: «وهل الفطور أهم مني؟».

استدارت مرام حول المائدة واقتربت تربت على ظهرها

وهي تقول بلهجة حانية: «حاضر يا جدتي تناولي فطورك أولا».

مطت الأخرى شفتيها بعبوس فأسرع عصام يربت على ظهر جدته هو الآخر قائلا: «هل أقشر لك بيضة يا جدتي؟».

نجح في إخراجها من حالتها المتذمرة فأدارت وجهها إليه وتغيرت ملامحها تقول بلهجة حانية وهي تلتقط البيضة من الطبق: «بل أنا من سأقشرها لك يا حبيبي».

غمز عصام لمرام لتعود لمكانها فعادت لتجلس بجوار نيللي وأخذت تنظر في طبق عجة البيض وهي تشعر بوخز في قلبها، ثم تركت مكانها فجأة واتجهت نحو أحد المقاعد تلتقط إسدالها فسألها عارف باندهاش: «ماذا تفعلين؟».

ارتدت الإسدال على عجل وقالت وهي تلتقط طبقا وتضع فيه بعضا من عجة البيض قائلة: «سأنزل سريعا لزيينة حرام البنت كانت تشتيهيها».

قال عصام باعتراض: «انتظري.. أنا أو مراد سننزلها بعد الفطور».

قالت وهي تسرع الخطى نحو الباب: «الأمر لن يأخذ مني دقيقتين سأعطيها لها من على السلم».

لم تعط لأحد الفرصة وخرجت فزفر عصام بينما لحقتها روح بصوتها وهي تضع البيضة المقشرة في طبق عصام: «لا تتأخري حتى تبحمي لي عن العباءة والباروكة».

اتسعت عينا مراد وقال باندهاش: «نعم؟! العبادة وماذا؟!». لم تكن عيون الباقيين أقل اتساعا من عيني مراد لتسرع نيللي بسؤالها: «هل تملكين باروكة؟!». ردت روح بفخر وهي تشمخ بأنفها: «بالطبع عندي واحدة شقراء». مط عارف شففيه وقال بامتعاض: «كان ذلك قبل أربعين سنة يا أمي، لقد انتهى عصر البواريك». عبست روح وقد غلبتها شيخوخة ذاكرتها فقالت بإصرار: «ما زالت عندي وسأرتديها اليوم في استقبال الضيوف». غمغم عصام بلهجة ساخرة: «سترتدين الباروكة فوق العبادة؟!». هزت روح رأسها بتأكيد فاتسعت عيناه ثم تراقصت ابتسامة مليحة فوق شففيه دغدغت قلب نيللي دون أن تدري واندفعت تقول بمشاكسة: «لكنك خمريه اللون يا حاجة روح والباروكة الشقراء لا تليق بك». عبست روح الفؤاد وقالت لها بانزعاج: «بل هي رائعة علي كنت أرتديها في المناسبات كيف تقولين هذا وأنت لم تربني وأنا ألبسها». ردت نيللي بالمشاكسة نفسها: «لأنك في نفس لون بشرتي تقريبا وأنا لا يليق بي الشعر الفاتح». شردت أفكار عصام متسائلا عن لون شعرها أو نوعه لكنه

أسرع بنفض الأفكار المراهقة من رأسه بينما قربت نيللي
ظاهريدها من يد روح فوق الطاولة تقول: «انظري.. نحن في
نفس درجة السمار تقريبا».

غض عصام بصره عن يدها الرفيعة الخمرية التي بدت
رقية التكوين بينما قالت روح وقد ازداد عبوسها وانزعاجها:
«أنا أفتح منك.. أنت سمراء».

قالتها بامتعاض فتنهدت نيللي وقالت باستسلام: «طيب».
تدخل مراد قائلا: «أنت في نفس سمرتها يا جدتي وأبي
وعصام مثلك وأنا أفتح قليلا بينما مرام بيضاء البشرة كلون
بشرة أمي وجدي شلتوت رحمهما الله».

تنهدت روح وقالت بابتسامة شاردة: «أجل شلتوت كان
وسيمًا أبيض البشرة وكانت تلاحقه الفتيات دوما».

ابتسمت نيللي وسألتها: «وماذا كنت تفعلين حين يفعلن
ذلك؟».

عبست روح ترد بانزعاج: «وهل تعتقدين أنني كنت أسمع
لواحدة أن تشاغله أو أن تقترب منه؟ إكنت أكلتها بأسناني!».

في الطابق السادس فتح أنس الباب ووجدتها تقف يمينا
فوق الدرجة الثانية من السلم متلحفة بإسدال الصلاة الذي
يداري جسدها المكتنز فناظرها لعوان صامتا وقلبه يتلوى بين
جانبيه قبل أن تنفجر هي ضاحكة، انتبه إلى ضحكاتها ونظر
لنفسه ثم أسرع بإنزال ساقي البنطال وهو يقول متصنعا

الجديّة: «ماذا يُضحكك إن شاء الله».

حاولت التحكّم في ضحكاتها وقالت: «منظرك».

أشاح بأنظاره بصعوبة عن وجهها الصبوح كأشعة نهار لامعة وتمتم ساخرا: «سعداء أن أضحكناك ست مرام».

نزلت الدرجتين واشربأت بعنقها إلى داخل الشقة بفضول ففتح الباب باتساعه قائلا بلهجة فخورة أضحكته: «انظري واملئي عينك بالروعة والإتقان».

انفجرت ضاحكة مرة أخرى فزغرد قلبه من البهجة وسمعها تقول وهي تشير على الأرضية الرطبة: «هل تعتبر هذا مسحا للأرضية؟! أنت تسكب الماء وتجره بالمساحة يا دكتور».

قال مدافعا وكأنها قد جرحت كرامته: «لن أسمح لك بالتهكم من فضلك.. كله إلا الذم في مهاراتي».

هتفت باعتراض وهي تلمح زينة مقبلة عليهما: «أنت حتى لم تجفف الأرضية جيدا.. انظر لآثار المساحة على الأرض ستتلطخ من جديد (وصاحت) حاذري أن تنزلقي زوز».

هتفت الأخيرة بسعادة وهي تقترب: «مرأاااميين».

ابتسمت لها مرام وقالت لأنس بغیظ: «قلت لك دعني أنظف لك الشقة في يوم لا تكن فيه موجودا.. سأحضر مراد معي إن كنتم تشعرون بالحرّج من الجيران».

لم يرد فهذا الأمر لا يستسيغه أن يكلفها بتنظيف بيته ووقف يتأملها وهي تميل على زينة لتغمرها بحضن حاني

جعله يغبط ابنته لتعطي مرام الطبق الملفوف بكيس للأخيرة وهي تقول: «هذه العجة التي وعدتك بها».

قالت زينة بحماس: «شكرا مرامي أنا بالفعل جائعة».

نظرت مرام لأنس الذي عبس يقول لابنته بغیظ: «ألم أصنع لك ساندويتشا قبل ساعة ولم ترغبی فی المزيد؟!».

قالت زينة بتهكم: «أبي سندوتشاتك بشعة».

نظر لها باستنكار فضحكت هي ومرام ليرفع نظراته نحو الأخيرة باستنكار والمزيد من نفحات البهجة تغمر قلبه، وتمنى بكل صدق أن تظل سعيدة بهذا الشكل حتى لو كان في ذلك مزيد من الاحتراق لقلبه.

صوت خطوات آتية من أعلى وظهور جارههم في الدور التاسع ينزل جعل أنس يسحب زينة لتقف أمامه ظاهرة على الباب بينه وبين مرام، ومد ذراعه في الهواء منبها ابنة عمه بحركة حمائية صامتة، وقد عادت ملامحه لجديتها حتى تنتحي جانبا وتسمح للرجل الذي ألقى عليهما السلام بالنزول فتحركت الأخيرة بتلقائية.

بعدها قال أنس: «عودي أنت الآن».

في الوقت نفسه كان عصام يميل بجسده فوق سور السلم العلوي ينادي: «مرام».

قالت الأخيرة بسرعة وهي ترفع طرف إسدالها عن الأرض وتتحرك صاعدة: «آتية حالا».

شيعتها نظرات أنس متقبضا ثم أطرق برأسه يدخل شقته وهو يحدث نفسه: «تشجع يا أنس أنت فقط موهوم جائع أمام قفة خبز طازجة شهية».

أما في شقة عارف فدخلت مرام وخلعت إسدالها وقد شعرت بالراحة وبالشهية للطعام.

بعد الإفطار جلسوا بالصالة وقد اقترب موعد صلاة الجمعة فقالت مرام: «لا تنسى أن تحضر الجاتوه يا عصام».

هز الأخير رأسه فسألها مراد: «ما داموا سيأتون قبيل المغرب هل ستطبخين لنا قبلها يا مرامي اليوم الجمعة و...».

قاطعه عارف قائلا: «ألن تستحي على وجهك هل تطلب منها أن تقف في المطبخ اليوم».

تطلع مراد في وجوه الجميع قائلا: «ما المشكلة هل سنصوم اليوم لأنه سيأتينا ضيوف».

تدخلت نيللي تقترح: «ما رأيكم في أن نطلب اليوم طعاما جاهزا؟ أنا سأدعوكم على بيتزا».

هتف مراد بحماس: «فكرة جيدة أعرف محلا للبيتزا والفتائر آخر الشارع ممتاز وأسعاره جيدة».

أضافت نيللي وقد انتقل إليها الحماس: «إذن اسمحوا لي أن يكون غداء اليوم على حسابي».

«ما هذا الذي تقولينه؟!».

قالها عصام عابسا ثم ناظر أخيه المتحمس بنظرات مستهجنة فعبست نيللي بدورها وقالت بتحفز: «هل عندك مانع؟!».

بعبوس شديد رد باندفاع: «نعم عندي ألف مانع وما تقولينه لا يصح وغير مقبول».

استفزها وأفقدها هدوءها الذي تتمتع به فقالت بعبوس مماثل: «لَمْ تشعرني بأني أهنتكم باقتراحي؟!».

حاول عارف التدخل فقال بهدوء: «عصام».

لكن الأخير اندفع كالقطار يقول لنيللي: «ألا تدركين أن ما قلته للتو يعتبر إهانة لنا».

كرر عارف منبها: «عصام».

بينما عقدت نيللي ذراعيها أمام جذعها ترد: «ألا ترى أنك تبالغ في ردة فعلك؟ خاصة فيما يخصني؟».

ودارت ضيقا شديدا في صدرها وأضافت بكبرياء وهي تسرع بالتقاط عكازها: «عموما من الواضح أنني ضيف ثقيل ودوما يُفسر كلامي بشكل خاطئ، لذا أعتذر عن أي إهانة وجهتها لكم اسمحوا لي».

استقامت واقفة وتحركت إلى الداخل تعرج أمام أنظاره المصدومة فحدجته مرام بغیظ وأسرعت خلفها بينما زفر مراد وترك الجلسة منزويا إلى الركن البعيد من الصالة.

أما عارف فقال لابنه بتوبيخ: «ماذا تفعل بالله عليك؟!».

شعر عصام بالاستياء وأحس بالندم على اندفاعه لكنه قال مجادلا: «ألا ترى طريقتها يا أبي؟! إنها مصرة على عدم احترامنا».

هتف عارف: «عصام ماذا حدث لك؟ إنها تتصرف بتلقائية.. ولم أر في كلامها ما يجعلك متحفزا بهذا الشكل كلما تكلمت». إنه متحفز لا ينكر.. يصارع شيئا ما مجهولا بداخله فقال مدافعا عن نفسه: «هل ستوافق يا أبي أن تصرف علينا في بيتنا؟!».

ناظره عارف بحيرة يحاول فهم حالته ثم أجاب: «حتى لو كان المبدأ مرفوضا.. كان من الممكن الاعتذار بلباقة لا أن تخرجها بهذا الشكل».

تحركت مقلتي عصام بحيرة وقال مبرطما وهو يترك مقعده ويستقيم واقفا: «أنا لم أقصد لكنها استفزتني (وأضاف هاربا) سأذهب لأستعد لصلاة الجمعة».

في غرفة مرام كانت نيللي تقاوم بكبرياء رغبة قوية في البكاء بينما مرام تقول: «لا تؤاخذيه هو مندفع لكن أقسم بالله قلبه طيب ولا يقصد ما يقول صدقيني».

ادعت نيللي أن الأمر لم يؤثر فيها وقالت ببرود: «حصل خير لم يحدث شيئا عموما أنا لن أستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك.. جزاكم الله خيرا على استضافتي عشرة أيام دون

معرفة سابقة بي».

قالت مرام بجزع: «ماذا تقولين؟! (ثم أضافت بلهجة لائمة) هل هذا وقت مناسب لما تقوليه وأنت تعلمين بأني احتاجك اليوم بالذات».

اشفقت عليها نيللي فقالت: «سأبقى الليلة حتى لا أسبب لكم ارتباكاً وغدا...».

قاطعتها مرام تقول: «دعينا من الغد ولنفكر في اليوم فقط فأنت تعلمين أنني متوترة».

هزت نيللي رأسها بصمت وبدخلها عذمت على أن ترحل في القريب العاجل فلن تسمح لنفسها بالمزيد من الحرج من هذا الـ «المستفز».

شردت ترتب أفكارها ستنتظر لترى نتيجة اتصالها برامي غدا لقد حاولت الاتصال به مرتين يوم أمس على هاتف الشركة الذي حصلت عليه من الإنترنت لكن لسوء حظها كانت نهلة السكرتيرة من ترد وحرصها على عدم معرفة أحد بمكانها جعلها تخشى من أن تتعرف الأخيرة على صوتها فأغلقت الخط، غدا إن شاء الله ستحاول من جديد وهذه المرة ستطلب محادثة رامي ولن تهتم إن تعرفت نهلة على صوتها المهم ألا يعلموا بمكانها حتى لا تزج عائلة العم عارف في مشاكلها الشخصية.

كانت مرتبكة وتحاول تنظيم أنفاسها كما طلبت منها نيللي التي تقف معها في المطبخ فرتبت هدامها للمرة الأخيرة، بلوزة ناعمة باللون الأبيض فوق تنورة قرنفلية اللون ويزين وجهها البسيط الزينة حجاب من لون التنورة نفسه.

قالت لها نيللي وهي تراها ترفع الصينية الفضية الكبيرة التي استعارتها من الخالة أم بيسو والمرصوص فوقها أطباق الجاتوه وكاسات مشروب غازي: «أنت تبدين رائعة يا مرام فلا ترتبكي حين تدخلين انظري للصينية وتأكدي من أن خطواتك ثابتة حتى تضعينها فوق المنضدة، ثم بعدها ارفعي نظراتك للموجودين وابدئي بالترحيب بهم».

هزت مرام رأسها عدة مرات وسحبت نفسا عميقا ثم خرجت من المطبخ وقلبها يدق بعنف، فأسرعت نيللي تعرج بعكازها لتفتح لها الستارة التي نزلت لتحجب الصالة عن بقية الشقة، ثم وقفت خلفها تتابع الحوار الدائر في الركن البعيد من الصالة.

إن الترقب والتوتر يسيطران عليها كما لو كانت فردا من هذه العائلة هذا بالإضافة للتعاطف مع مرام التي أحستها وحيدة دون أنثى ناضجة بجانبها في مناسبات كهذه وكم كانت سعيدة وهي بجوارها اليوم تقدم لها يد المساعدة.

أبعدت طرف الستارة قليلا وراقبت الجالسين خاصة ذلك الجالس مفرد الظهر عريض الكتفين، فمطت شفيتها وهي

تشعر أنها لا تطيقه فلم تخرج من الغرفة إلا للمطبخ ولم تقابله منذ ما حدث صباح اليوم.

قال رائف والد أسعد وهو يتطلع في مرام التي مالت تضع الصينية الثقيلة وتتنفس بعدها الصعداء أن أوصلتها سالمة: «بسم الله ما شاء الله على عروستنا».

تمتم عارف بلهجة فخورة وهو يقدم ابنته لوالد العريس الذي مد يده ليسلم عليها: «ابنتي مرام».

سلم عليها والد أسعد ثم تلقى سهير في حضنها تقول: «والله ونعم التربية والأخلاق يا أستاذ عارف ما شاء الله.. لا يختلف أحد في الشركة على أخلاقها ولا أدبها ولا شهامتها».

أحس عارف وولده بالزهو بينما غمغت روح التي تجلس بجوار ابنها بالعباءة الزرقاء وحجاب أبيض بعد أن تم إقناعها بصعوبة بأن الباروكة المزعومة غير موجودة: «إن مرام قررة عين والدها وذلك الخاطب الذي كان يريد أن يأخذها خارج العاصمة...».

سعل عارف بينما أسرع عصام بالقول: «مرام مرتبطة بنا ولا تستغني عنا طبعاً لماذا لا تأكلين من الجاتوه يا جدتي».

ونظر لمراد الأقرب إليها في الجلسة ليسرع بإعطائها طبقاً أما مرام فازداد اشتعال وجهها خاصة وهي تترك مدام سهير وتمد يدها بخجل لأسعد الذي سلم عليها وابتسامة واثقة تزين شفثيه جعلتها تسحب يدها بسرعة وتنظر حولها أين تجلس لتسرع سهير بالقول: «تعالى بجواري يا مرام».

وانتحت جانبا بحيث تجاورها على الأريكة ليكون أسعد مجاور لها من الناحية الأخرى في مقعد منفرد وبجواره عصام.

نظر عارف لابنه البكري مشيرا له بحركات مخفية يسأل عن أنس فهز عصام كتفيه بلا أعرف ليخرج الثاني هاتفه ويتطلع فيه لدقيقة كان فيها يرن على أنس عدة مرات متتالية ويغلق الخط، ثم عاد يضعه في جيبه مرحبا بالجميع.

نظر أنس في الهاتف ولاتصالات عمه المتكررة التي يغلق فيها الخط قبل أن يرد عليه ففهم بأنه مع الضيوف، وتقبض بقوة يشجع نفسه على المضي قدما فيما قرره فنظر لزينة التي تجلس على المكتب الصغير بالصيدلية ترسم في كراستها ونظر في ساعته ثم قال للمساعد: «أنا سأغادر الآن وإن حضر المندوب ليسلم الأدوية قبل وصول الدكتور فياض فأطلب منه أن ينتظره قليلا (وأضاف بلهجة معذرة) أنا تأخرت عن مواعيدي لا بد أن أغادر الآن».

هز المساعد رأسه بطاعة ليقول أنس: «هيا يا زينة».

من باب الصيدلية دخلت شابة أنيقة تقول: «أنا أعذر عن التأخير يا دكتور أنس».

تفاجأ أنس بوجودها وتمتم: «دكتورة سها!».

قالت الأخيرة وهي تدخل خلف الواجهة الزجاجية: «أبي

عنده موعد هذا المساء ولم يستطع الاعتذار لذا سألني
أنا بدلا منه لأستلم من المندوب وتستطيع أنت الذهاب
لمشوارك».

هز أنس رأسه وسألها: «هل سيتأخر عليك الدكتور فياض؟
إن تأخر أبلغيني لأعود مبكرا».

قالت مطمئنة: «لا.. لن يتأخر لا تقلق».

واستدارت لزينة تقول مرحبة: «كيف حالك يا حلوة؟».

ابتسمت زينة بخجل لتخرج سها من كيس كان بيدها لفافة
وهي تقول: «ما أخرني أني رغبت في شراء هدية لزينة
عندما علمت أنها معك بالصيدلية».

شعر أنس بالحرص وقال بلطف: «لم يكن هناك داع يا دكتورة
سها».

نظرت زينة لوالدها وكأنها تسأله عما إذا كانت تأخذ الهدية
أم لا فهز رأسه موافقا لتقول سها بلطف: «أتمنى أن تعجبك».

أشار أنس بعينه لابنته ففهمت وغمغمت بالشكر ليقول هو:
«لا تؤاخذيني يا دكتورة سها مضطر للاستئذان وشكرا على
الهدية.. هيا يا زينة تأخرنا».

أسرعت الأخيرة نحوه فقال أنس لسها التي وقفت تتطلع
فيه بنظرات خاصة: «لو انتهيت من مشواري سريعا سأعود
إن شاء الله».

قالت سها بلهجة دافئة: «خذ وقتك يا دكتور أنس ولا تشغل

بالك كما قلت لك أبي سيمر علي ليعيدني للبيت».

هز أنس رأسه وأمسك بيد ابنته مغادرا للصيدلية وهو يفكر في سها فياض الابنة الوحيدة لصاحب الصيدلية صيدلانية مطلقة تصغره بثلاث سنوات وتحاول منذ فترة بشكل واضح التقرب منه ومن زينة، وعلى الرغم من احترامه لوالدها ولها وتشجيع عصام الذي أسر له من قبل بمحاولاتها للفت انتباهه، فإنه غير قادر على التجاوب معها خاصة مع مشاعره المرتبكة تجاه مرام.

نفذ عنه سيرة سها وأسرع الخطى عائدا للبيت وذهنه مشغول بالذي يحدث في شقة عمه عارف لحظتها يقدم خطوة ويتراجع عدة خطوات مستشعرا صعوبة الموقف وفي الوقت نفسه لا يريد أن يغضب عمه بالإضافة لأنه مادام يفعل ذلك لمصلحتها ويمنع نفسه من الطمع فيها لعدم قدرته على منحها ما تستحقه عليه أن يتأكد بنفسه بأنه لا يضحى بها لأجل شاب لا يستحقها ولن يحقق لها السعادة وعليه أن يتحمل ذلك الألم الذي ينبض في قلبه.

سأل والد أسعد قائلا: «وأنت يا عصام لماذا لا تعمل بشهادتك بدلا من العمل كسائق أجرة (وتنحني مضييفا بلباقة) لا أقصد شيئا أنا فقط أشعر بالخسارة أن تكون جامعيًا ومتخصصًا في مجال كهذا المجال ولا تعمل بشهادتك».

رد عصام وصدرة يضيق بهذا السؤال الذي بات يسأله له

الرائح والغادي: «الحقيقة أنا رجل عملي وما دامت الوظيفة بشهادتي لن تحقق طموحي فأني وظيفة شريفة ومالها حلال لا أجد غضاظة في العمل بها».

قال والد أسعد: «صدقت بُني».

تدخل أسعد يقول ببعض المباهاة: «الحقيقة هذا هو السبب الذي جعلني أبحث عن وظيفة بدولة أخرى فلم أرغب في أن أضيع وقتي وشبابي في البحث عن وظيفة مناسبة في الوطن».

ابتسم عصام بمجاملة وداخله يموج بانفعالات كثيرة بينما اندفعت روح تقول: «وهل ستأخذ مرام منا وتسافر (ونظرت لعارف تقول بحدة) أنا لا أوافق على هذه الزيجة يا عارف إن هذا الولد المتكبر سيخطفها منا».

تنحج عارف بحرج بينما قالت سهير بتفهم: «لا تقلقي يا حاجة روح مرام هذه كابنتي ربي يعلم كم أحبها وأسعد سيحافظ عليها ويصونها ولن يبعدها عنكم».

أطرقت مرام برأسها بوجنتين مشتعلتين بينما عينا أسعد تختلسان النظرات إليها ليقول عصام وهو يمد ذراعه ويمسك بطبقها: «لماذا لم تأكلي من طبقك يا جدتي؟».

ابتسمت روح وأشارت على طبق آخر يقع بعيدا وهي تقول: «أريد هذا الذي به كور حمراء».

أطبق على شفتيه حتى لا يضحك ومنحها ما تريد فناظرته

بعينين غائمتين وهي تتمتم: «أسعدك الله في الدارين العقبى
عندك حينما أراك عريسا يا عصام عن قريب».

ابتسم لها ابتسامة حانية بينما قال عارف لأبي أسعد وهو
يرفع إليه الكأس: «وأنت لماذا لم تمد يدك يا أستاذ رائف؟!».
قال الأخير بحرج: «لا أحب السكريات سامحني».

عبس عارف لتدخل سهير التي تلتهم من طبق الجاتوه
خاصتها: «إنه بالفعل ليس له لا في الجاتوه ولا في
المشروبات الغازية ليل نهار يشرب شاي.. شاي ودون سكر».

انتفضت مرام واقفة وهي تقول: «سأصنع لك كوبا من
الشاي إذن فلا يصح أن تزورنا دون أن تشرب شيئا».

أسرع رائف بالقول: «حلفتك بالله لا تقومي من أجل الشاي
الأمر بسيط ونحن أهل».

عادت لتجلس بتردد ومقلتها تتحركان بحيرة يمينا ويسارا
نحو أبيها وأخيها الأكبر وكأنها تسألها (ما العمل؟) ليقف
عصام على قدميه قائلا بلهجة مجاملة: «ابقي يا مرام مكانك
مادام قد أقسم عليك لكن لا يصح أن ألا يشرب عندنا شيئا».

وتحرك مبتعدا في الوقت نفسه الذي حدج عارف ابنه
الأصغر بعينيه ليفعل أي شيء بدلا من جلسته الصامتة يتطلع
في هاتفه.

من خلف الستارة المواربة لمح عصام نيللي تشير له بأن
يعود وبأنها من ستعد الشاي فhez رأسه وعاد لمكانه بينما انتهز

مراد الفرصة ليترك الجلسة التي اعتبرها مملة ويبتعد.

أما عارف فأحس من حديثهم أنهم متعجلين للحصول على رأيهم الليلة ورغم أن المعلومات التي وصلتهم عنهم بعد بحث عصام عن خلفيتهم كانت جيدة ورغم ارتياحه المبدئي للعائلة كلها؛ لكنه أراد أن يترك الفرصة لمرام لتتحدث مع العريس وبعدها يقرر إن كان يقبل بتعجلهم أم يطلب وقتا للتفكير، فانتهاز فرصة أن أسعد قد أبدى إعجابه بما حدثهم عنه بتحويله شرفة البيت لحديقة صغيرة وحديث أسعد عن تجارب مماثلة شاهدها عند أصدقائه في الدولة التي يعمل بها ليقول وهو يضع الطبق من يده السليمة: «ما رأيك يا مرام أن تأخذي أسعد ليرى الشرفة ويخبرنا إن كانت قريبة مما شاهده بالخارج أم لا؟».

أحمر وجه الأخيرة وارتبكت بينما وضع أسعد طبقه مرحبا بالاقترح لتستقيم مرام واقفة فوقف بدوره يغلق زر سترة البدلة الأنيقة ويتبعها حيثما قادتة نحو الشرفة وهي مرتبكة، حتى كادت أن تتعثر في طرف السجادة فتابعهما عصام بنظراته يمتد شفثيه لا يشعر بالراحة لوجودها مع شاب غريب، شاب يقدره كعريس لأخته من عائلة محترمة وميسور الحال وسمعته طيبة؛ لكن هناك شعور بداخله يغبطه فهو مقارب له في السن ومع هذا له وظيفة ثابتة تدر عليه دخلا جيدا ويملك ما يجعله يتقدم لخطبة فتاة فقال وهو يترك الجلسة: «سأذهب لأستعجل الشاي».

في المطبخ وقفت نيللي تبحث حولها بحيرة وتفتح

الخزائن العلوية والسفلية قبل أن يدخل عليها مراد قائلا: «عم تبحثين؟».

سألته: «أين براد الشاي؟».

أجاب وهو يقترب لبحث معها: «أعتقد أنه في هذه الخزانة».

مطت شفيتها تقول: «لماذا لا تستخدمون غلاية كهربائية؟!».

ناولها مراد البراد مبتسما وهو يهز كتفيه بـ(لا أعرف) فأسرعت نيللي بملئه بالماء ووضعه على الموقد وهي تقول لمراد: «أكمل معروفك وابحث عن مكان الشاي».

رفع ذراعه ليخرجه من الخزانة العلوية وهو يقول: «أمرك آنسة نيللي (ووضعه على المنضدة قائلا) أية أوامر أخرى؟».

نظرت نيللي لعبة الشاي وقالت بلهجة طفولية: «مراد ألا يوجد أكياس شاي بفتلة؟ أنا لا أعرف مقدار الشاي بالملعقة ولن أجرب للمرة الأولى في الضيوف».

قهقهه ضاحكا وهو يشير لها كي تبتعد ويأخذ مكانها قائلا: «يبدو أنك فاشلة في المطبخ يا آنسة».

هتفت باعتراض طفولي: «أنا لست فاشلة».

انتهى مراد من وضع مكيال الشاي المناسب في الكوب وقال لها وهو يعوج فمه يمينا ويسارا مقلدا النسوة الكبار: «يا لخيبتك يا نيللي! يا لخيبتك.. لا تعرفين كيف تصنعين كوبا

من الشاي».

قالت مدافعة عن نفسها: «أشربه دوما في أكياس بفتلة ما المشكلة؟!».

عاد يعوج فمه يمينا ويسارا قائلا وهو يرفع البراد عن النار ويفرغ نصفه في الحوض: «وكل هذا الماء من أجل كوب واحد من الشاي؟! بهذا الشكل سنرسل الشاي للرجل على عنوان منزله بدلا من أن يشربه عندنا لأننا سننتظر كل هذا الماء حتى يغلي أيتها المدللة».

انتبهت نيللي لما فعلت واعترفت أنه محق لكنها قالت وهي تغير من وضع ساقها الذي يؤلمها لوقوفها وقتا طويلا: «أنا لست مدللة يا كابتن مراد».

ناظرها مضيقا عينيه وهو يقول مدققا: «اعترفي أنسة نيللي أنك ابنة باشا سابق أو ابنة ملياردير وتهربين من المافيا».

أطلقت نيللي ضحكتها قائلة: «ملياردير؟! أكرمك الله ربما أكون مرفهة قليلا لكن لست بهذا الغراء أبدا ولست ابنة باشا للأسف ووالدي رجل عصامي مسقط رأسه قرية صغيرة في محافظة (..) وكان مكافحا يدرس ويعمل في نفس الوقت وكان من أوائل الثانوية العامة».

قالتها وهي تغمز بعينها بلهجة ذات مغزى فاصفر وجه مراد وقال بلهجة خطيرة وهو يللم شفتيه حتى لا يضحك: «ماذا تقصدين بالعبرة الأخيرة؟!».

ضحكت وقالت ببراءة كاذبة: «أنا؟ أنا لم أقصد شيئاً كابتن مراد (وأضافت بإغظة وهي ترقص حاجبها) أنت من تشعر بالتقصير».

نحنحة جاءت من على باب المطبخ ثم قال عصام بعبوس: «أين الشاي؟ (وأضاف موجهها حديثه لمراد) كل هذا الوقت من أجل كوب من الشاي؟!».

قال الثاني: «الماء على وشك الغليان».

أشار له عصام ليغادر المطبخ فتملل الأخير ليقول عصام بقلة صبر: «اخرج يا بني كي أدخل.. سأخذه أنا للضيوف».

تحرك مراد يغادر المطبخ فأمسكت نيللي عكازها وقد وجم وجهها بمجرد ظهوره وتحركت تعرج نحو باب المطبخ دون أن تنظر إليه.

عند الباب فرد الأخير ذراعه يسد مجال الخروج أمامها فتوقفت مسبلة الأهداب وقالت بلهجة حازمة: «أريد أن أمر لو سمحت».

لم يرد ولم يتحرك وعيناه تدققان في وجهها القريب لون سمارها به لمعة مميزة وأنفها جميل رغم أنه ينتهي بتكور عند مقدمته؛ لكنه يراه جميلاً أما شفتاها فمكتنزتان، رفعت نيللي إليه أنظارها تواجهه بمقلتين بنيتين لامعتين وثابتتين وكررت بلهجة حازمة: «أريد أن أمر من فضلك».

غمرة دفء ورفرفة فراشة دغدغت قلبه قبل أن ينتشر

الشعور في كامل جسده فتحنح قائلاً بعينين قويتين
النظرات وصوت هادئ: «كما تتهميني أنني أخطئ تفسير ما
تقولين أنت أيضاً تفعلين يا أستاذة».

ناظرته بنظرة ثابتة مستهجنة فتسائل في سره كيف تكون
هذه هاربة من أهلها هناك روح شجاعة يراها تطل من هاتين
العينين روح فتاة حرة لا تهرب؛ لكن تواجهه كما تقف أمامه
الآن فقال لها: «أتمنى أن تمنحيني فرصة لتوضيح وجهة
نظري».

ردت بالعبات نفسه: «أعتقد أن هذا ليس الوقت المناسب لما
تقول».

صدرت إيماءة صامتة موافقة من رأسه وعيناه ذات
النظرات القوية ظلتا مثبتتين عليها لعوان قبل أن يرخي
جفنيه ويرفع ذراعه متراجعا للخلف ليسمح لها بالمرور،
فاستندت على عكازها تخرج بذقن مرفوع، في مرورها من
أمامه استشعر عصام طراوة جسدها الرشيق رغم المسافة
الكبيرة التي فصلت بينهما، فكان مرورها كهبة رياح دافئة
تحمل في طياتها رائحة القرنفل ليبتلع ريقه مبعداً نظراته عن
متابعة سيرها نحو غرفة مرام.

أما نيللي فبمجرد أن دخلت الغرفة وأغلقت الباب تنفست
الصعداء مطلقة أنفاس كانت محبوسة في صدرها وهي
تدعي العبات، وأسرعت بإلقاء نفسها على السرير ترفع ساقها
الذي يئن من الوجع ثم وضعت يدها موضع قلبها تقول: «ماذا

يحدث لك يا نيللي؟!».

في الشرفة قال أسعد لمرام: «يبدو أن أهلك مرتبطون بك كثيرا».

فركت كفيها وهزت رأسها وهي ترخي جفينا تشع بالخجل فقال لها مشاكسا: «ويبدو أنك لا تتحدثين كثيرا».

قالت بابتسامة: «أنا؟! أبدا بل أنا ثرثرة للأسف».

ابتسم يقول: «ولماذا لا تثررين معي إذن؟».

أشاحت بأنظارها عنه وقالت: «ماذا أقول؟».

رد أسعد: «اسأليني كما سألتك أنا».

أسبلت أهدابها لعوان ثم رفعتهم تسأله: «لماذا تركت خطيبتك السابقة؟».

صمت قليلا ثم أجاب: «كان اختلاف الطباع بيننا كبيرا».

ناظرته مرام ترغب في المزيد من الإيضاح فأضاف أسعد: «أنا أحب أن تكون زوجتي مطيعة وأكره الجدل الكثير».

ضيق عينها تسأله: «ما معنى (مطيعة) أتريدها دون شخصية؟!».

أسرع بالقول موضحا: «لا طبعا أنا أؤمن بالمشاركة بين الزوجين لكن وقت الجد الرجل من له الكلمة العليا».

شعرت بالارتباك ولم تفهم إن كان كلامه هذا ثقة بنفسه أم غرورا ليسرع أسعد قائلا: «أمي حدثني عنك كثيرا حتى من

قبل أن أقدم على الخطبة السابقة وأنا أثق في رأي أمي.. إنها تحبك جدا».

قالت مرام بصدق: «وأنا أكن لها محبة كبيرة في قلبي».

فقال أسعد وهو يتأمل وجهها الممتلئ: «وهل محبتك لها ستشجعك على الموافقة مثلما شجعتني على رؤيتك والتقدم لخطبتك؟».

تحولت وجنتا مرام لجمرتين مشتعلتين وأشاحت بنظراتها بخجل دون قدرة على الرد.

أما في الصالة فرفع مراد زاوية شفته العليا باستهجان وهو يرى مرام مع أسعد في الشرفة، وشعر بالضيق فنظر لعصام الذي خرج من المطبخ حاملا كوب الشاي على صينية وناظره باعتراض فمط الثاني شفته بامتعاض صامت واستمر في طريقه نحو الركن البعيد من الصالة حيث يجلس الباكون ليعود مراد ليتطلع نحو الشرفة بانزعاج، إنه غير معتاد على أن تقف مرام مع شاب غريب.. فتملكته الغيرة وسيطر عليه الخوف.. الخوف من أن يفقدها إنها الوحيدة وسط فوضى المشاعر والأفكار التي يرزح تحتها كمراهق الوحيدة التي لا يتزحزح شعوره نحوها ربما مرت عليه لحظات كره فيها أقرب الناس إليه وكره فيها نفسه لهذه المشاعر لحظات غريبة لا يعرف سببها وكأنه يركب لعبة الأفعوانية؛ لكن مرام هي الشخص الوحيد الثابت في وجدانه دون زحزحة.

أخذ يحوم بالقرب من باب الشرفة بغير هدى وهو ينظر

أنظاره بين الطفلة وذلك الشاب العابس الذي دخل للتو فهتف أنس: «زينة تعالي هنا».

تجمدت الأخيرة ولم تفهم ثم نظرت لأسعد بنظرة متفحصة وتحركت مبتعدة في الوقت نفسه الذي اقترب أنس بخطوات ثابتة نحوهم ليتدخل عصام قائلا: «الدكتور أنس ابن عمنا الأستاذ أسعد رائف».

مضت ثوان وكل من الرجلين يناظر الآخر قبل أن يمد أنس يده ودون أن يدري ضغط بخشونة على يد أسعد وهو يتطلع في عينيه، وكأنه يريد أن يسبر أغواره قائلا بلهجة باردة تناقض قلبه الذي يحترق: «تشرفنا».

ناظره أسعد بدوره بعدم راحة شاعرا بعدائية غير مبررة منه؛ لكنه تمتم بكلمات مجاملة قبل أن يتركه أنس ويتحرك نحو الجالسين ليرحب بهم فتلاقت عيناه بعيني عمه الذي ناظره بنظرات لائمة، سلم أنس على رائف وسهير بينما عارف يعرفهما بلهجة فخورة: «الدكتور أنس ابن أخي».

حين جلس الأخير مال بجذعه للأمام يستند بمرفقيه على فخذه مشبكا أصابعه وهو يقول بملامح عابسة: «أنرتنا يا أسعد».

رد الأخير ببرود وهو يعود ليجلس مكانه على المقعد: «بنورك».

بلع أنس ريقه وعيناه تلحظان مرام التي عادت لتجلس بجوار سهير وقال لأسعد: «وما أخبار العمل بالخليج في أي

وظيفة تعمل؟».

كانت الأجواء في الدقائق التالية مشحونة بالتوتر هكذا شعر عارف وعصام ومرام خاصة الأخيرة التي لم تحدد بالضبط إن كان شعورها هذا حقيقيا أم لأنها متوترة ومرتبكة وتوشك على الإصابة بحروق بالخدين من كثرة الحرارة التي تشع منهما؛ لكنها أحست أن أنس متحفز تعرفه وتحفظه إنه متشكك بارد مع الأغراب فأرجعت حالته هذه لحرصه مثل والدها وأخوها على أن يتفحص العريس جيدا ودعت أن يستمر أسعد في الاحتفاظ بهدوئه رغم أنه بدا منزعجا من أسئلة أنس أو لتكون دقيقة تحقيق أنس المبطن معه؛ لكنها لازمت الصمت مادام أبوها وأخوها لم يتدخلوا بل تركاه لبعض الوقت قبل أن يغيرا مجرى الحديث، فالتزم أنس الصمت بعدها واستسلم للأفكار والمشاعر التي تجلده ومعهم رغبات صبيانية ملحة لأن يحطم فك ذلك الأسعد الذي يوزع ابتساماته هنا وهناك وكأنه يضحك عليه وعلى خيبته وهو يترك بملء إرادته الفتاة التي يطمع فيها لنفسه لشاب آخر.

أما عارف فكان يشعر بضغط رائف وزوجته للحصول على موافقة حتى إن سهير قالت مازحة: «بصراحة السلم عندكم عالي لذا أتمنى أن تكون زيارتنا الثانية لكم في حفل الخطبة دون مماطلة».

ناظر عارف عصام يأخذ رأيه فأعطاه الأخير موافقته على العريس لتتحرك عيناه نحو أنس الذي كان يميل للأمام مستندا بمرفقة على فخذه ومنشغلا بهاتفه وحين لم ينظر

له ضغط على زر اتصال به لينتبه الأخير ويرفع له نظراته،
تجمدت اللحظة بين أنس وعمه وتمنى الأول أن يصرخ قائلا:
«لا لا أوافق يا عمي رغم أنه عريس ممتاز وميسور الحال لا
أوافق فمراهم لي تخصني أنا.. تخص أنس».

وتمنى أن يسمح لمشاعره الصبيانية بأن تتدخل في الحكم
على هذا العريس وأن يعلن رفضه لأسباب تافهة حاكمة
تحت مسمى مستفز متحذلق وسيم بمبالغة مقبل على الحياة
بشكل غير مبرر، وتمنى أن يثور ويطرد الضيوف شر طردة
في مشهد انفجاري مؤثر يتناسب مع ما يعتمل في صدره
لحظتها، كان يتمنى أن يفعل ذلك لكن السعادة التي رآها على
وجه مرام قبل أن تستقيم واقفة وتمر من أمامه بتلك التنورة
القرنفلية اللون لتترك الجلسة منعه من أن يطلق العنان
لأمانيه.

زهرة القرنفل جاءها قاطفها يا أنس واقترب اليوم الذي
سيكون محرما عليك حتى النظر إلى وجهها الذي تستمد منه
طاقتك لتكمل يومك وصبرك كي تغلب يأسك.. زهرة القرنفل
المميزة التي زرعها عمك ستنتقل لتمد جذورها في أرض
أخرى غير أرضك وستطرح قرنفلات صغيرة ليست من دمك.

احتدت عينا عارف يحث ابن أخيه على الرد بسرعة قبل أن
ينتبه الجالسون المنشغلون بالحديث مع عصام وروح التي
أخذت تعثر بأمر من الشرق ومن الغرب، فابتلع أنس ريقه
الجاف بصعوبة وهز رأسه ببطء يخبر عمه أنه يراه عريسا
جيذا هز رأسه بعد أن تمنى أن ينكسر عنقه قبلها فيكون

لديه حجة حتى لا يفعل.. فشعر عارف بالراحة لاتفاق عصام وأنس مع رأيه أن العريس مناسب واستقام واقفا يقول مشيرا على الهاتف: «لا تؤاخذوني معي مكالمة مهمة».

قالها وتحرك نحو الداخل يبحث عن مرام التي وجدها بالمطبخ فقابلته الأخيرة بوجنتين مشتعلتين وأنظار خجولة ليسألها: «ما رأيك؟ يبدو أنهم مصرون على الحصول على رد الليلة وأعتقد أنهم قد وصلهم أننا قد سألنا عنهم في الشارع الذي يسكنون فيه».

صمتت مرام فقال عارف: «لو كنت غير متأكدة سأبلغهم أننا نحتاج لوقت كي نعطيهم الرد ولن يهمني تعجلهم».

ردت مرام بتلعثم: «ما تراه مناسبا يا أبي».

ناظرها عارف قائلا: «المهم ما تريه أنت يا روح أبيك».

عضت على شفتها السفلي وقال: «وما رأي عصام وأنس؟».

هز رأسه وأجاب: «ليس لديهما اعتراض.. المهم أنت».

هزت رأسها وقالت بهمس ناعم: «قلت ما تراه يا أبي».

ابتسم عارف وسحب رأسها ليقبل جبينها، ثم تحرك بحماس يعود للجلسة التي سرعان ما كان جالسوها يقرأون الفاتحة بسعادة، عدا واحد كان يقرأها رحمة على قلبه الذي يحتضر.

في آخر الزيارة التي انتهت بالاتفاق على أن تكون الخطبة الجمعة المقبلة في بيت عارف نظرا لقرب سفر العريس وتجنبنا لإضاعة الوقت في تجهيزات شكلية، وقف أنس في

الشارع أمام بوابة البناية يتطلع في الضيوف المغادرين بسيارتهم الثمينة بينما عصام يودعهم بحرارة، بعد مغادرتهم تطلع عصام في أنس الذي كان واجما يديه في جيبى سترته الشتوية يشيع السيارة المغادرة بأنظاره فاقترب منه يقول: «لا أصدق أننا قد قرأنا الفاتحة واتفقنا على موعد الخطبة! أتمنى أن يكون ابن حلال كما توسمنا فيه هو وأسرته الخير».

لم يرد أنس بل ظلت أنظاره مسلطة على الطريق الذي اختفت فيه السيارة ليضيف عصام مبدى قلقه: «أشعر بالارتباك الحقيقة أنه يتملكني الخوف عليها كلما جاءها خاطب أخشى من أن ترتبط بشخص يحزنها أو يقهرها أو يسيء إليها بأي شكل وهي كما تعرفها حمولة ومتفانية وقليلة الشكوى».

ظل أنس صامتا وظلت نظراته تحقق في الفراغ ليضيف عصام ساخرا من نفسه: «أعلم أن شعوري هذا مبالغ فيه يذكرني بما شعرت به يوم كادت أن تخطب لذلك الشاب الذي كانت معجبة قبل سنوات لم تعاصر أنت هذا الموضوع، كان ذلك قبل أن تنتقل للعيش معنا أنت وزينة بوقت قصير، عموما أتمنى أن يكون أسعد هذا هو العوض لها فهي تستحق العوض بعد كل ما حملته فوق أكتافها منذ صغرها، ويا ويله مني لو أساء إليها سأريه من هو عصام عارف».

حين استمر أنس في صمته تفحصه عصام قائلا: «أنس ما بك؟ لم أنت صامت هكذا؟!».

رفع إليه الأخير أنظاره وغمغم بإرهاق: «أنا متعب مرهق بشدة.. وأتمنى ليوم واحد أن أرتاح.. أتمنى أن يكف رأسي عن التفكير وأنام بملء جفني.. أتمنى أن أظل نائما ليوم واحد حتى ساعة متأخرة من النهار غير مبال بأي شيء.. ودون أن أفكر فيما ينتظرني من أمور علي إنجازها.. دون أن أجبر نفسي على الاستيقاظ حتى لا تبقى زينة وحدها ولا تموت من الجوع أو من الوحدة أو من سوء يطالها.. أتمنى ليوم واحد ألا أرى سوى ما هو جميل.. جميل فقط وأن أكف عن رؤية القبح في كل ركن حولي خلف الوجوه والتصرفات والضمائر وخلف اللافتات اللامعة».

كان يهذي وكأن كل آلامه قد ألحت عليه فجأة بينما ضحك عصام ساخرا وقال باندهاش: «ما بك الليلة يا عبقرى؟ وما هذا الكلام الكبير؟».

هز أنس رأسه عدة مرات وقال بلهجة ساخرة مرة: «صدقت إنه كلام كبير وثقيل ثقيل يجثم على الروح».

عبس عصام وسأله بقلق: «هل حدث شيء؟».

رد أنس بتلقائية: «هذه هي المشكلة أنه لا يحدث شيء (وأسرع بالقول متنهدا وقد انتبه لنظرات ابن عمه القلقة) لا تشغل بالك ربما غبظت ذلك العريس وقلب علي المواجه.. بارك الله له فيما أعطاه».

قال عصام ضاحكا: «لست وحدي الشرير إذن بارك الله له فيما رزقه ورزقنا معله».

غمغم أنس بلهجة ساخرة: «ما شاء الله نحن الاثنان قنبلتان من الحقد على وشك الانفجار (وناجى روح جده متهمًا) انظر لأحفادك وبمن بليت العالم يا حاج شلتوت؟!».

قهقهه عصام قائلاً: «دعنا من سيرته إذن حتى لا تنفجر به السيارة وتحزن مرام (وأضاف قائلاً) أنا عندي مشوار وأنت؟».

رد أنس: «وأنا لا أريد الصعود للشقة ولا العودة للصيدلية ولا فعل أي شيء.. أريد أن أسير في الشارع بلا هدى».

قال عصام وهو يتأبط ذراعه ويسحبه معه مبتعداً: «أنا أعرف مشكلتك أنت تحتاج لـ...».

وهمس في أذنه بوقاحة ليقول أنس هازئاً: «ما بك هذه الأيام؟! تشعرني أنك تيس حل عليه موسم التزاوج!».

ضحك عصام ملء شذقيه ليضيف أنس متهمًا: «تري ما الذي عَقد حالتك يا مسكين؟! هل هو شخص ما غامض بساق مكسورة يحتل بيتك هذه الأيام?!».

تذكر عصام وقفتها وجها لوجه على باب المطبخ وتسارعت دقات قلبه بشكل جنوني لكنه قال: «لا تراوغ واعترف يا أنس أنك تعاني بشأن هذا الجانب أليس كذلك؟».

غمغم أنس قائلاً عبارة ساخرة من فيلم شهير: «منذ متى ونحن نسأل هذه الأسئلة يا (كلاوي)؟!».

قهقهه عصام فأضاف أنس: «أنت رائق الليلة إلى أين

تأخذني؟».

رد الثاني مشاكسا: «سأخذك لنقابل فتاتين ستفرجان عنا الكرب الذي نحن فيه».

علق أنس هازئا بمقولة من فيلم آخر: «رائع.. فأنا أعشق الانحراف لكني لم أجد من يشجعني عليه».

بعد قليل قال صاحب المطبعة وهو يشير على عصام: «هذا هو الباشمهندس عصام الشهير بالبرنس ملك التصميمات وسينفذ لك طلبك بإذن الله (ونظر لعصام قائلا) الأستاذ يريد غلافا لديوان شعر سيقوم بطباعته عندنا في المطبعة (وغمز له مضييفا) إنه متعجل لطباعة النسخ ولن يختلف معنا على أي شيء».

تطلع عصام باندھاش في الشاب الذي يجلس أمامه على كرسي خشبي أمام باب المطبعة كان عمره لا يتجاوز العشرين سنة بهيئة غريبة تذكره بهؤلاء المراهقين أصحاب مراد، يرتدي بنطالا من الجينز مقطوع من كل جانب لا سيما من عند الركبة وسترة جلدية مليئة بحلقات معدنية غريبة، وشعره يقف فوق رأسه بشكل عمودي يوحي للناظر إليه أنه قد تعرض للتو لصعقة كهرباء فاختلس نظرة سريعة نحو أنس الواقف ينتظره على بعد خطوات ثم رحب بالشاب قائلا: «أهلا بك أخبرني بطلبك بالضبط تريد غلافا لديوان شعر؟».

هز الشاب رأسه وهو يحتسي علبة مشروب غازي ضيفه

بها صاحب المطبعة فسأله عصام: «هل هناك فكرة معينة في رأسك للتصميم؟».

تحركت مقلتا الشاب يمينا ويسارا بحيرة وهو يستقيم واقفا ثم أجاب: «لا أريده فقط غلاقًا جاذبًا».

رد عصام وهو يعود ليتفحص هيئته التي لا توحى له أنه يعرف كيف يكتب اسمه: «بالطبع لا بد أن يكون جاذبًا».

وصمت مفكرا بينما قال صاحب الورشة وهو يتطلع في هاتفه الذي يرن: «دقيقة وسأعود».

وغمز لعصام قبل أن يختفي داخل المطبعة بما يعني (اهتم بالزبون) فسأل عصام الشاب: «أخبرني إذن عن فحوى الديوان أو نوع القصائد التي تكتبها أو أي شيء».

قال الشاب بحماس: «معي نسخة من الديوان على الهاتف اعطني رقمك لأرسله لك».

أملاه عصام الرقم وسأله وهو ينتظر أن يصله الديوان: «ما عنوان الديوان؟».

أجابه الشاب: «فرقع المُرَّة».

«نعم؟؟؟!!!» قالها عصام باتساع عينيه فلاحته ابتسامة على وجه الشاب قائلا بسعادة: «اسم جذاب أليس كذلك؟!».

رمش عصام عدة مرات وأدار وجهه لينظر لأنس الواقف على بعد خطوات ثم عاد يقول له: «فرقع المُرَّة؟! هذا هو اسم الديوان؟!».

هز الشاب رأسه في الوقت الذي لمس عصام شاشة هاتفه
يفتح الملف المرسل وهو يغمغم بذهول: «كيف يفرقها لا
أفهم؟!».

رد أنس بلهجة ساخرة: «يفرقها يا أخي.. يفرقها بالتأكيد
هي من النوع المنفوخ عند أطباء التجميل مادامت (مُرَّة)
فقرر أن يفرقها انتقاما منها».

صمت عصام يبخلق في هاتفه فغلب الفضول أنس واقترب
منه يحشر رأسه معه ليرى محتويات الديوان، التي كانت
بصياغة ركيكة مبتذلة باللهجة العامية تتخللها عبارات فجّة
ووقحة ثم غمغم من بين أسنانه وهو يشيح بوجهه بعيدا:
«من الواضح أن اليوم هو اليوم العالمي لـ (فرقة) المراءة».

بينما رفع عصام أنظاره للشاب الذي قال: «أهم شيء أحتاج
للغلاف سريعا وكذلك النسخ المطبوعة».

فسأله بفضول لم يستطع كبته: «لا تؤاخذني لكن هل لديك
من سيشترى نسخا من هذا الديوان؟».

أجاب الشاب بكبرياء وهو يحشر يده في الجيب الأمامي
لبنطاله الضيق: «طبعا.. فالقراء متحمسون جدا لطباعته».

ردد أنس ساخرا: «القراء!!».

هز الشاب رأسه موضحا: «بالطبع القراء على صفحتي على
الفيس بوك هم من شجعوني على طباعة الديوان، أبحث عن
صفحتي باسم (الشاعر سوكا الأدهم) ستجدها بسهولة

فعندي متابعين كثر حاولت التواصل مع أكثر من دار نشر ولم
أنجح، فقررت (مامي) مساعدتي وتشجيع موهبتي بالتكفل
بطباعة الديوان على حسابها».

هز عصام رأسه وردد خلفه بخفوت: «مااااامي!».

ثم نظر لأنس الذي قال له مهدئا: «تحكم في أعصابك ودع
الليلة تمر (ثم أضاف متنهدا وهو يشيح بوجهه لينظر في
الفراغ) رحمك الله يا أحمد شوقي.. رحمك الله يا أمل دنقل».

ناظره الشاب بغير فهم يسأله: «من يكونا؟».

طحن أنس ضروسه دون رد في الوقت الذي عاد فيه
صاحب المطبعة يتطلع في الوجوه قائلا: «علام اتفقتما؟».

سحب عصام أنظاره عن الهاتف وقال وهو يعيده إلى جيبه:
«تعال يا حاج أريد أن أحدثك في شيء».

قالها وهو ينتحي به جانبا ثم أضاف أمام عيني الرجل
المتسائلتين: «أرى أن تبحث له عن مصمم آخر».

«لماذا؟!».

سأله الرجل فأجاب عصام وهو يتحكم في أعصابه: «لأنني
لن أشارك في هذا العته».

سأله صاحب المطبعة: «ماذا تقصد؟ ماذا حدث؟».

رد عصام من بين أسنانه: «هذا الذي يسميه ديوان شعر ما
هو إلا....».

قاطعة صاحب المطبعة قائلا بانفعال خافت: «هذا ليس من شأننا يا برنس أنا صاحب مطبعة ووظيفتي أن أطبع ورقا، ولا يهمني ماذا يحتوي هذا الورق مادام ليس ضد القانون».

مط عصام شفتيه ورد وهو يربت على كتف الرجل: «هذا شأنك.. أما أنا فلن أصمم غلافا لكتاب بهذا المستوى».

علق الرجل مستنكرا: «وهل كل مصمم ينتقي الكتاب الذي سيصنع له غلافا؟!».

أجاب عصام بقناعة: «إن كان يحترم نفسه ويحترم ما يفعله لن يقبل أن يوضع اسمه على كتاب بهذه التفاهة حتى لو كان صاحبه سيدفع مبلغا كبيرا».

قال الرجل بغیظ: «أنت تكبر الأمر يا عصام».

استحضر عصام عبارة أنس التي تفوه بها يائسا قبل قليل ورد عليه: «إنه بالفعل كبير.. كبير وثقيل ويصيب بالكآبة، ابحت عن مصمم آخر يا حاج فكما قلت لي من قبل «المصممون يملؤون السوق» السلام عليكم».

قالها وتحرك يخرج من باب المطبعة فتابعه سوكا بنظراته المندهشة وهو يغادر ثم نظر لصاحب المطبعة يقول باندعاش: «لم نتفق على الغلاف؟!».

قال الرجل بوجه مكفهر يداري غيظه: «دعك منه إنه يتبطر على النعمة اعطني مهلة حتى صباح الغد سأكون قد وجدت لك مصمما آخر وجهزت لك أكثر من غلاف سأرسلهم لك على

هاتفك واختار منهم ما تريد وبعون الله النسخ ستكون جاهزة في الموعد».

أما أنس فقال لعصام مشجعا وهو يسير بجواره مبتعدا: «لا بأس يا حبيبي لا تنفعل فكل منا لديه (سوكا الأدهم) في مهنته».

بعد ساعتين كان عصام يدخل من باب الشقة قائلا: «أنس معي».

فعدلت مرام حجابها على رداؤها البيتي بينما اندفع مراد يخطف اللعب الكرتونية المربعة من يد أخيه قائلا: «حبيبي يا عصوم قلبي كان يشعر بأنك ستحضر بيتزا حينما اتصلت بمرام تطلب منها ألا تحضر العشاء وتنتظر عودتك».

لم يرد عصام إنما تطلع بغیظ في نيللي التي سحبت عكازها وتحركت نحو الداخل بمجرد وصوله، فتابعها عيناه حتى دخلت غرفة مرام وضاق صدره وهو يقف متقبضا بينما قال أنس من وقفته خارج الشقة: «هيا يا زينة».

هتفت مرام عابسة: «ألن تأكلا أم أنك اشتريت لكما بيتزا أيضا».

رد أنس من الخارج: «لا أريد.. هات قطعة لزينة أن كانت تريد».

قبل أن تعلق مرام معترضة قال عارف بلهجة متحفزة:

«تعال يا أنس أريدك».

مط الأخير شفتيه ودخل الشقة يلحق بعمه الذي خرج إلى الشرفة الذي بادره بالقول فور رؤيته: «ماذا يحدث يا أنس؟».

أجاب الأخير مدعيا عدم الفهم: «ماذا تقصد يا عماه؟».

تكلم عارف بلهجة مؤنبة: «كنت أظنك ستهتم بأن تكون جالسا جنبا إلى جنب بجوار عصام لتقابل عريس مرام، لا أن تأتي بعد نصف الوقت مثل الأغراب وبعدما ألححت عليك بالاتصال هل سنشحنك منك الاهتمام يا أنس؟!».

أسرع الأخير بالقول: «ما عاذ الله يا عمي كما قلت لك كانت هناك طلبية أدوية لا بد أن أستلمها أنا أو الدكتور فياض، والدكتور فياض...».

قاطع عارف عابسا: «وهل الدكتور فياض أهم مني؟!».

رد أنس بسرعة: «لا تقل هذا يا عمي.. صدقني كنت قادما لكنني انتظرت وصول الدكتور حتى يستلم الطلبية بدلا مني.. فالمساعد لن يستطيع استلامها وبمجرد أن حضرت الدكتورة سها بدلا منه جئت فورا».

ظل عارف يناظره بنظرات لائمة فاقترب أنس من عمه وقبل كتفه قائلا بمحبة خالصة: «لا تغضب مني لم أتعمد التأخير أقسم لك».

هدأ عارف وقال وهو يربت على كتفه: «أريدك أن تكون دوما بجوار عصام ومرام ومراد لا أريدكم أن تفترقوا بعد

موتي.. ابقوا دوما يدا واحدة عصام سيحتاج لمن يحمل معه الحمل وليس عندي من أثق به إلا أنت».

قال أنس مداريا تأثره بكلمات عمه: «وهل لي غيركم يا عماه أنتم عائلتي الوحيدة.. بارك الله لي فيكم وأطال في عمرك». ابتسم عارف وسأله: «ما رأيك في أسعد؟».

رسم أنس ابتسامة مقتصبة على شفثيه قائلا: «أتمنى أن يسعد مرام».

هز عارف رأسه وغمغم: «وأنا أتمنى ألا نكون قد تسرعنا في إعلان الخطبة (وربت على ذراعه مضيئا) هيا لنرى ماذا جلبتما للعشاء فأنا جائع».

اختلس أنس نظرة سريعة نحو مرام وهو يخرج مع عمه من الشرفة ثم غمغم: «ليس لدي شهية (وقال لابنته) هيا يا زينة».

هتف عصام معترضا وهو ينظر لمراد الذي بدأ هو وروح في التهام البيتزا: «تعال وكل يا بني قبل أن يتم نسفها كلها». غمغم أنس: «بالهناء والشفاء أنا مجهد وأريد النوم هيا يا زينة قلت».

قالها ببعض العصبية متجها نحو الباب فأسرعت مرام باللاحاق به تقول: «أنس انتظر».

تجمد عند الباب ولم يستدر فمدت له يدها بعلبة بلاستيكية وقالت: «وضعت فيها بعضا من البيتزا لك ولزينة».

هز رأسه والتقط العلبة دون أن ينظر إليها ثم فتح الباب لتسبقه زينة على السلم؛ لكنه استدار بوجهه نصف استدارة يسألها بخفوت: «هل أنت سعيدة مرام؟».

احمرت وجنتاها وردت بخجل: «قلقة ومرتبكة لكني سعيدة الحمد لله».

هز رأسه عدة مرات ومقلتاه تتراقصان فوق وجهها وكأنه يلمسه بنظراته قبل أن تصبح ملكا لغيره ثم قال بخفوت: «أتمنى لك السعادة من كل قلبي.. فأنت تستحقينها».

قالها وخرج يغلق الباب خلفه فاستدارت مرام وتقابلت عيناها بعارف الذي ناظرها مبتسما لتقول وهي تضع يدها على قلبها: «مازلت مصدومة حتى الآن أنا خطبتي الجمعة المقبلة».

أما عصام فجلس يأكل البيتزا وذهنه مشغول بتلك المستفزة التي تركت المكان بمجرد دخوله والغيط يكاد أن يفجره لأشلاء.

بعد دقائق قالت مرام وهي تحاول إقناع نيللي: «لماذا لا تريدين الطعام؟».

أجابت الأخيرة: «لا أريد مرام شكرا لك».

نظرت الأخيرة لطبق البيتزا في يدها وسألتها: «هل ترفضين البيتزا بالذات بسبب عصام؟».

لم ترد نيللي إنما أغمضت عينيها وهي مستلقية على ظهرها

فوق السرير وأصابع كفيها مشبكة فوق بطنها فابتسمت مرام وقالت: «لا بأس سأحضر لك طعاما آخر».

قالت لها وهي تفتح الباب فأسرعت نيللي بفتح عينيها والنظر نحوها تقول: «شكرا مرام لن أكل شيئا».

قالت الأخير بابتسامة ولهجة متفهمة: «لا تقلقي سأخبر كل من بالخارج أنك لن تأكلي وسأحضر لك طعاما دون أن يعرف أحد».

وغمزت بعينها ثم غادرت فضغطت نيللي شفتيها ببعضهما تحافظ على جدية وجهها ثم عادت تغمض عينيها وتسحب نفسا عميقا تحاول الاسترخاء؛ لكن قلبها لم يستجب بل ظل يتراقص في صدرها كالمهبول منذ أن دخل عصام بالبيتزا لتغمغم وهي تعوج شفتيها: «قلت من أول لحظة إن لديه هوسا ما يجعله يظن أنه الذكر الوحيد على هذا الكوكب».

أما في الخارج فناظر عصام أخته بعبوس قائلا باستهجان وهو ينظر للطبق في يدها: «ما معنى لا تريد الطعام؟!».

هزت مرام كتفيها ببرود وردت وهي تناظره بنظرات مأكرة: «ماذا أفعل يا عصام حاولت معها ترفض تماما».

غمغم مراد بفم مملوء بالطعام: «لديها كل الحق فيكفي الحرج الذي تعرضت له هذا الصباح».

قال عصام بعصبية: «اخرس أنت (ثم نظر لأخته قائلا) وأنت هل ستتركينها دون طعام؟ (واستدرك بحرج) أقصد

إنها صاحبتك و... وضيقة عليك الضغط عليها لتأكل».

تهدت الأخيرة بطريقة مسرحية وقالت وهي تتركه نحو المطبخ: «وماذا سأفعل يا أخي إنها عنيدة.. عنيدة (وأضافت بلهجة أكثر مكررا) وأتمنى ألا تصر غدا على أن تترك البيت كما كانت تقول صباح اليوم».

غمغم عصام بعبوس: «تترك البيت؟! (ثم أضاف يحدث نفسه بخفوت) حسنا فلتتركه إن هذا أفضل وأكثر راحة لجميع الأطراف».

قالها ثم حشر قطعة البيتزا في فمه بالقوة.

في العاشرة صباح اليوم التالي

أمسكت نيللي بهاتفها وسحبت نفسا عميقا تهدئ من ضربات قلبها وهي تطلب رقم الشركة وتدعو في سرها ألا ترد نهلة، أجابها مكتب الاستقبال فتنحنحت وقالت: «أريد أن أتحدث مع السيد رامي علاء في الـ Head Office (مكتب الإدارة العليا) من فضلك».

فطلبت منها موظفة الاستقبال الانتظار وحولتها داخليا ليأتيها صوت يقول: «رامي».

هتفت نيللي بسرعة: «رامي أنا نيللي».

الفصل السابع

من نكون؟

فرع من شجرة عتيقة معمرة، ورثنا منها الشكل والنوع
وحتى الأمراض والآفات؟ أم نبتة تنفصل عن الأصل وتزرع
في طين آخر فننمو مستقلين؟

أنحن فرع من الأصل؟ أم أصل لفرع قادم؟

ورثة الماضي؟ أم فرسان الحاضر؟ مجبرون نحن أم
مخيرون؟ مفعول بنا أم فاعلون؟

تطلعت من وقفتهما في الشرفة على الأصص الجديدة التي
ساعدت فيها العم عارف على نقل نباتات القرنفل بعد أن فصل
كل نبتة صغيرة وليدة في إصيص صغير حتى تنمو بشكل
مستقل وعادت لتشرذم من جديد.

من هي؟

نيللي باهي شرف الدين وحيدة والديها، والدها من أصول
ريفية بسيطة كان يمتاز بالذكاء والنبوغ منذ صغره، وكافح
كي يكمل تعليمه فعمل في مهن مختلفة بجانب دراسته،
كان الأوسط بين أخويه أخوه الكبير (علام) كان غير متعلم،
والصغير (مهدي) كانت علاقته به متوترة، فمهدي هذا كان
منافسا لباهي في كل شيء وحاقدا عليه - كما كان يصفه
والدها دوما - وذلك لأن باهي يتمتع بنباهة وذكاء جعلاه

دوما محطا لأنظار الجميع في القرية، خاصة حينما جاء ترتيبه الأول على المحافظة كلها في الثانوية العامة فكان مزار حديث القرية البسيطة لسنوات طويلة.

التحق باهي بكلية الصيدلة لأنه لم يقدر على مصروفات كلية الطب وحينما تخرج استطاع أن يحصل على عقد عمل في دولة خليجية، فعمل هناك لبضع سنوات مكنته من ادخار مبلغ من المال وقرر أن ينشئ صيدلية بعد أن عاد ليستقر في الوطن ثم تزوج من أمها، فتاة من عائلة ميسورة الحال فعاشا حياة هادئة مستقرة لم ينغص عليهما فيها إلا أمر واحد وهو ضعف قدرة باهي على الإنجاب، وبعد عدت محاولات فاشلة ومكلفة للحقن المجهرى ولدت نيللي ابنتهما الوحيدة التي لم يستطيعا الإنجاب بعدها.

بعد عدة سنوات قرر باهي إنشاء شركة أدوية، طموحه الذي كرس من أجله حياته فيما بعد فباع الصيدلية وقررت زوجته بيع ما ورثته من عائلتها كي تساعد في تحقيق حلمه، فما كان منه إلا أن أدخلها شريكة معه في الشركة فأصبح هو وزوجته من لهما النسبة الأكبر في الشركة وباقي الشركاء كانت لهم أنصبة صغيرة ليتفاجأ باهي أن أخاه مهدي الذي أدمن على تقليده في كل شيء يرغب في أن يدخل معه شريكا في الشركة.

في البداية رحب باهي لعل هذه الشراكة تشعر مهدي بالثقة في نفسه وتجعله يكف عن اللحاق به في كل خطواته؛ لكن الأخير ظل على مدى سنوات يحاول أن يوسع نفوذه في

الشركة ويكبر من حصته بشراء حصص الآخرين مما أشعر باهي بعد فترة بالشك في نواياه لينقلب الاثنان لمتنافسين - وإن كان بشكل غير مباشر - في شركة الأدوية التي كونت خلال السنوات التالية اسما محترما رغم أنها تعتبر شركة متوسطة الحجم وليست كبيرة تعمل في استيراد المادة الخام للأدوية والتعاقد مع مصانع محلية لتصنيعها ثم تقوم بعدها ببيعها في السوق المحلي.

والدها كثيرا ما صرح أنه كان يتمنى أن يأتيه ذكر ليرثه ويحمل اسمه تلك العبارة سمعتها نيللي كثيرا حتى ترسخت في وجدانها وكانت السبب فيما عاشته في حياتها من ضغط، فباهي شرف الدين كان يعدها كي تخلفه في إدارة الشركة التي تمثل شقاء سنين عمره فأصر عليها أن تدرس المواد العلمية التي تجد صعوبة في فهمها كي تحقق له حلمه بأن تدخل كلية الصيدلة، كما أن حياة المنافسة بينه وبين أخيه مهدي كانت تدفعه للضغط عليها، خاصة أن مهدي لديه ابن يكبرها بعامين هو طارق سعى عمها بقوة كي يكون له دور في الشركة حتى أضحي مديرا للموارد البشرية.

وحتى ترضي نيللي والدها وتحقق له ما يريد وتخفف من إحباطه لعدم قدرته على الإنجاب مرة أخرى رضخت بعد فترة من تمرد المراهقة لمخططاته؛ لكن الدكتور باهي شرف الدين كان طموحه جامحا فيما يخصها ولم تستطع أن تجاري سقف توقعاته فظلت طوال حياتها تسعى وتبذل المجهود أضعافا فوق قدراتها، ومع هذا لم تقدر أبدا على الوصول لهذا

لم تستطع نيللي الحصول على مجموع يؤهلها للالتحاق بكلية الصيدلة كما تمنى والدها ولا حتى كلية العلوم، فالتحقت في النهاية بكلية التجارة وتخصصت في إدارة الأعمال وحين ماتت والدتها وهي في السنة الأولى من الجامعة وتأثر والدها بفراقها -وهو أمر بالنسبة لطبيعة شخصية والدها المتحفظة التي لا تظهر عاطفتها كان أمرا جلا- حاولت نيللي بذل مجهود أكبر لتحقيق ما يتمناه والدها قدر استطاعتها فالتحقت بدورات تدريبية عديدة تخص مجال الأعمال تؤهلها كي تخلف والدها في الشركة، خاصة أن والدتها قد كتبت نصيبها لها قبيل وفاتها بوقت قصير حتى لا يرث معها أحد وبذلك أصبحت لنيللي بعد بلوغها لسن الرشد حصة كبيرة في الشركة، وظلت تلهث لتحقيق أحلام لم تتمناها أبدا فعينت بعد تخرجها كمديرة للعلاقات العامة في الشركة وانخرطت في مجال العمل بشكل كان يسيطر على حياتها كليا، خاصة مع كبر سن والدها ومرضه في السنوات الأخيرة وهذا هو السبب الرئيسي الذي كان يشعرها دوما أنها لم تعيش حياتها ولم تتمتع بمراهقتها ولا بشبابها، لم يكن عندها الفرصة للانخراط في مجتمع الإناث ولم تحظ بلقب مدلة أبيها كما تتمتع الكثير من الفتيات، كانت دوما مشغولة وكان باهي يعاملها وكأنها شاب وليس فتاة حتى في علاقته بها كان جافا.. خشنا..كثير الانتقاد وصعب الإرضاء.

في العام الماضي اشتد المرض عليه واضطرت لمرافقته للخارج ليخضع لعدة عمليات جراحية؛ لكنه تعرض لانتكاسة صحية بعد عودته ومات وتركها وحيدة فعمها علام الوحيد الذي بقي في القرية، الذي لم تكن تراه إلا في مناسبات متفرقة حين تسافر مع والدها قد توفي قبل وفاة والدها بعدة سنوات وأبناؤه فلاحون بسطاء ليس لها علاقة وطيدة بهم.

أما علاقتها بعمها مهدي فكانت فاترة حذرة، خاصة مع كل السنين التي عاشتها في توتر من علاقة الأخوين، كما أن والدها كثيرا ما حذرهما منه وهذا ما جعلها دوما مترددة تجاه طارق ابنه ابن عمها الذي أبدى إعجابه بها لسنوات وحاول كثيرا إقناعها بالارتباط به؛ لكنها بعيدا عن عدم موافقة والدها لظنه أنها طريقة جديدة من أخيه للهيمنة على الشركة لم تستطع تحديد مشاعرها تجاه طارق، علاقتها به كانت في المجمل جيدة وتوسمت فيه اختلافا عن والده، ورغم هذا ورغم إلحاحه المستمر لم تستطع أبدا أن تراه أكثر من ابن عم أو ربما صديق في بعض الأحيان التي افتقدت فيها الرفقة؛ لكن كل هذا تغير بعد أن صدمت فيه الليلة السابقة لمجيئها لهذا البيت.

ارتعش جسدها للذكرى فحضنت نفسها وقد أشعرتها الرياح الباردة بالارتجاف وتذكرت ما حدث وغير حياتها رأسا على عقب.

بعد وفاة والدها وبعد أن ورثت نصف نصيبه في الشركة

وورث عمها النصف الآخر مناصفة مع أولاد عمها علام أصبحت صاحبة الحصة الأكبر ومديرة للشركة التي تعرضت في الفترة الخاصة بمرض والدها وسفره للعلاج لكبوة وتراكمت عليها الديون، بالإضافة لنصيب أولاد عمها علام الذين تم تقدير نصيبهم ومنحه لهم أموالاً سائلة بناء على طلبهم مما زاد من مشاكل الشركة المالية لهذا حاولت نيللي بعد وفاته أن تعوض الخسارة وتكمل المسيرة من أجل والدها وشقاء عمره الذي وضعه في هذه الشركة نقطة ضعفه، فحاولت ببعض الإجراءات أن ترفع الشركة من كبوتها ومن بين هذه الإجراءات وقعت عقداً مع شركة أجنبية للحصول على المادة الخام لبعض الأدوية الجديدة التي سيتم طرحها في السوق المحلي، وتم إرسالها للشركة المحلية لتصنيع تلك الأدوية؛ لكن بعد الانتهاء من التصنيع جاءت تقارير من إدارة جودة المادة الخام بالمصنع تفيد أنها غير مطابقة للمواصفات.

حين عادت للعقود بينها وبين الشركة المصدرة تفاجأت بما صدمها، فالشركة التي وقعت معها العقد واستوردت منها لم تكن الشركة الأوروبية المعتمدة لتصنيع هذه المادة الخام إنما شركة أخرى تحمل اسماً مشابهاً جداً للشركة الأوروبية، لم تدر نيللي كيف حدث ذلك؟! وكيف لم تنتبه للاسم؟! وحين بحثت خلف تلك الشركة وجدت أنها تباع المادة الخام للأدوية بمواصفات لا ترقى للمواصفات المعتمدة دولياً، فتوفرها بأسعار أقل بكثير من الأصلية، وأن من يلجأ إليهم من شركات الأدوية يعتمد الغش في الدواء برشوة الجمارك ومصانع

الدواء من أجل ربح مادي أضعاف مضاعفة حينما تطرح الأدوية في السوق بالأسعار الأصلية، والمشكلة الأكبر من ذلك كانت تخص سمعة الشركة المستورد منها المادة الخام التي ارتبطت بفضيحة قبل فترة تخص وجود شوائب مسرطنة في المادة الفعالة التي تصدرها.

ورغم عمل نيللي لسنوات طوال في شركة والدها كمديرة للعلاقات العامة؛ لكنها لم تكن تدري بالفنيات الدقيقة التي تخص الأدوية أو هذا ما اكتشفته بعد أن اكتشفت المصيبة التي حلت على الشركة بهذا الاتفاق وهي حتى الآن غير متأكدة من جودة الأدوية التي تم تصنيعها، ولا تجد من تثق فيه من أهل الخبرة والاختصاص ليفتيها في الأمر خاصة مع شكها في كل من حولها، فعمها مهدي الذي كان خلف هذا التعاقد مع الشركة المصدرة هو رئيس اللجنة الفنية التي قررت الشراء متورط في الأمر، وحين واجهته حاول إقناعها أن الأدوية سليمة وأن السوق مليء بأدوية من الشركة نفسها وأصحاب شركات أخرى يكسبون أضعافا مضاعفة منها، كما حاول إقناعها أن ما ذكر في التقرير من وجود شوائب في المادة الفعالة تحدث أحيانا في بعض الطلبات وليس بالضرورة أن تكون خطيرة وأن الصفقة سليمة ولن يلتفت إليها أحد.

لكن نيللي رفضت أن توقع على إذن توزيع الأدوية في السوق واتهمت عمها بأنه السبب في الضغط على المصنع لتسريع تصنيع الأدوية قبل ظهور نتيجة تحليل المادة الخام

كما هو متبع وهددته بفضح الأمر، فصدمها عمها بما لم تستطع تصديقه أبدا أخبرها أن والدها يتعامل مع تلك الشركة منذ سنوات دون علم الشركاء الباقين غير المتخصصين في مجال الأدوية، وأن هذا ليس جديدا مما يدل على أن الأدوية سليمة وأن معايير الجودة متشددة ومدققة بشكل مبالغ فيه، إدعاء أن يكون والدها متورطا في التعامل مع الشركة المصدرة للمادة الخام غير المطابقة للمواصفات أمر لا تستطيع تصديقه لا تصدق أن باهي شرف الدين الرجل العصامي الذي بنى نفسه بنفسه قد يخالف شرف المهنة التي كرس لها حياته، حتى لو كان المقابل ملايين الجنيئات فأسرعت بمجرد أن أخبرها عمها بهذا الادعاء إلى البحث عن العقود السابقة للشركة؛ لكنها وجدت الموظف المختص غير موجود مما شل تفكيرها وصعب من مهمتها.

قبل حادثة الدراجة النارية بيومين

فتحت نيللي باب مكتب عمها في الشركة بانفعال فطلب الأخير من محدثه على الهاتف أن يغلق الخط وقابلها بوجه جامد، اندفعت مخترقة الغرفة ثم توقفت أمام مكتبه تقول لعمها الذي استند لظهر المقعد مشبكا أصابعه: «أين الأستاذ ثروت مدير قسم المشتريات؟».

هز مهدي كتفيه ورد ببرود: «لا أعلم مثلك ما عرفته أنه طلب إجازة لظروف شخصية حتى نهاية الأسبوع».

قالت بغیظ: «إن هاتفه مغلق».

تحرك مهدي لیستقیم واقفا ویخرج من خلف مكتبه قائلا بلهجة متهكمة: «وكیف لی أن أعرف؟! من المفترض أن أسألك فأنت مدیرة الشركة».

ردت بعبوس: «طارق یقول إنه لا یعرف مكانه أيضا لماذا قرر القیام بإجازة فی هذا التوقیت بالذات».

استمر مهدي فی بروده وأجاب: «وكیف لی أن أعرف؟! عموما حین یعود سنجازیة لإغلاقه لهاتفه وتعطيله للعمل».

عقدت ذراعیها تحت صدرها وقالت بلهجة متهكمة: «ألا ترى أن التوقیت غریب خاصة حینما طلبت رؤية التعاقدات السابقة للشركة وتقریر اللجنة الفنية الذی أوصى بشراء المادة الخام؟!».

رد بلهجة هادئة استفزتها: «قلت لا أعرف یا ابنة أخي».

ناظرته بكره تسلل إليها خلال الأيام الأخيرة منذ أن واجهها بالحقائق الصادمة وقالت: «ما قلته عن أبي لا أستطیع تصدیقه، باهي شرف الدین لا یفعل ذلك.. لا یخون شرف مهنته أبدا».

مط مهدي شفтіه وقال بقرف: «سنعود مجددا للشعارات الجاهزة التي لا تفهمین معناها (وناظرها بتحدٍ یضیف) سأسألك سؤالا: هل أنت متخصصة فی المجال الدوائي؟».

بلعت ریقها وردت: «لا».

رد بهدوء: «إذن بما أنني أكثر منك خبرة صدقي ما أقوله، هذه الأدوية مثلها مثل أدوية كثيرة في الأسواق من شركات مشابهة، والأمر لم يكن لي شعر به أحد معلما كان يحدث معنا دوما لولا ذلك التقرير الذي جاء من المصنع عن فحص العينات ورأيت أنه أنت؛ لكننا معتادون على مثل هذه التقارير نستلمها ونتصرف مع المختصين بالطريقة التي تخفف من وجع ضمائرهم وها هي الأدوية في الأسواق منذ سنوات ولم يحدث شيء».

اتسعت عيناها ورددت بصدمة: «مستحيل.. مستحيل أن أصدق أن أبي كان يعلم بذلك لا بد أن أرى التعاقدات السابقة».

قال بقلّة صبر: «وبما ستفيد الآن؟!».

كان ما يحاول إقناعها أنه حقيقة مؤلما وصادما فغمغمت وهي تهز رأسها يمينا ويسارا: «أبي لا يفعل ذلك».

اقترب مهدي منها وأمسك بذراعيها بقوة وهو يقول بلهجة مهددة: «نيللي.. دعينا من أمر باهي الآن.. باهي مات وتركنا غارقين في الديون وأسهم الشركة في البورصة تزداد سوءا ولا بد من حل فوري».

كانت مدركة أن عمها يحاول الضغط عليها لتوقع على توزيع الأدوية بشكل عاجل حتى تنتشل الشركة من الإفلاس؛ لكن القرار كان صعبا فخلصت ذراعيها من يديه وقالت بتحدٍ: «ليس عندي أية حلول فورية لا بد أن أدرس أمر هذه الادوية

وأقرر بعدها ماذا أفعل».

جن جنونه فصاح بتهديد: «اسمعي.. أنا لن أسمح بأن تغرق هذه الشركة بسبب عدم كفاءتك».

صاحت باستنكار: «عدم كفاءتي؟! هل تخبرني أنا بهذا الكلام يا عمي؟».

قال مهدي مستمرا في انفعاله: «الوضع الذي نحن فيه خير إجابة على سؤالك، عموما ليس عندك خيار سوى التوقيع وإلا لغرقنا وأفلست الشركة، ووقتها سينكشف كل الماضي وأن الشركة كانت تعمل لسنوات طويلة في استيراد مادة خام غير أصلية ومن تلك الشركة التي ثارت حولها فضيحة الشوائب المسرطنة قبل فترة».

اتسعت عيناها ليضيف: «مماطلتنا في توزيع الدواء سيلفت الانتباه، وقد يتطور الوضع ويسمح لمنافسينا بالبحث خلفنا وأنت أول من سيزج خلف القضبان يا أستاذة».

رمقته بنظرات مرتعبة فأضاف بعقة زادت من خوفها: «أجل أنت.. أنت مديرة الشركة التي تتحمل مسؤولية التوقيع على التعاقدات».

هتفت باعتراض: «لكنك رئيس اللجنة الفنية وكنت حاضرا لكل شيء!».

تجاهل مهدي كلامها وأضاف: «أنت مديرة الشركة ومن وقعت على التعاقد واسم باهي الذي تدافعين عنه بحمائية

سيتلطح وكل شيء سينهار، الحل الوحيد هو توقيعه على التوزيع فوراً ستحافظين وقتها على سمعة والدك وستنتشليين الشركة من الديون بما أن أرباح هذه الصفقة أضعاف مضاعفة.. وبعدها يا صاحبة المبادئ العالية نفذي ما تريدين في الصفقة القادمة (وأضاف بلهجة خطيرة) لكن هذه الصفقة لا بد أن تنزل السوق فوراً ودون أي تأخير.. هل تفهمين؟!«.

تطلعت فيه لبرهة ثم سألته بغضب: «هل أعتبر هذا تهديداً؟».

رد ببرود: «اعتبريه كما تريدين».

قالت نيللي بتحفظ: «لكني لا أقبل بالتهديد».

«اسمعي (قالها وهو يمسك بمعصمها) لو قررت التصرف بغباء فستضطرينني للتضحية بك كي تستمر هذه الشركة».

خلصت نيللي معصمها من يده فضرب على المكتب بجواره مضيفا: «هذه الشركة هي شقاء عمري مثلما هي شقاء عمر والدك ولن أسمح لأحد أن يكون السبب في ضياعها حتى لو كان أنت».

كانت تقف أمامه في حالة ذهول فكل ما حذرهما منه والدها ظهر أمامها في بضع دقائق فعمها مهدي قد برع في إخفاء هذا الوجه القبيح الذي يظهر أمامها في هذه اللحظة خلف شخصية هادئة مداهنة فسألته بصدمة: «ماذا ستفعل؟».

رد بغرور: «الأفكار كثيرة فلا تتحديني فحالتني النفسية وأنا أرى الشركة تنهار ستجعلني أفعل مالا يخطر على بال أحد».

لحظتها أحست بالخوف وأنها تواجه أمرا أكبر من طاقتها وخبراتها فتسمرت أمامه تناظره بذهول وهي تفكر فيما يمكن أن يقوم به، ليقول مهدي بعد برهة وقد استعاد بعضا من هدوئه: «استهدي بالله وحكمي عقلك سأمهلك حتى مساء الغد وتأكدي أنني سأفعل كل ما بوسعي كي أرغمك على التوقيع بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى نخرج من هذه الأزمة».

اشتعل الغضب في عينيها وصاحت من بين أسنانها: «وأنا سأبلغ الشرطة بهذا التهديد».

هز كتفيه وتكلم بهدوء أجج من غضبها: «لا بأس أبلغهم وأخبرهم أيضا أنك وقعت على عقد لمادة خام غير أصلية من شركة سمعتها ليست جيدة.. هيا افضحي نفسك وتصرفي بغباء وسيكون مصيرك السجن في كل الحالات».

عادت نيللي من ذكرياتها تشدد من احتضان نفسها ونظرت للسماء الغائمة تناجي ربها بصمت، فسمعت صوت عارف من خلفها يقول: «لماذا تقفين في الشرفة ما دمت تشعرين بالبرد؟!».

أسرعت نيللي بمسح دموعها والاستدارة إليه مبتسمة ليسألها عارف عابسا: «هل كنت تبكين؟».

أجلت صوتها وقالت وهي تحاول نفض الحزن عنها:

«تذكرت والدي رحمه الله».

غمغم عارف: «رحمه الله.. اسمعي يا ابنتي أنا رجل علمتني الحياة ألا أتطفل على أمور الناس الشخصية فكل منا لديه ما يرغب في أن يخفيه عن الجميع؛ لكني أقول لك إن احتجت لأي مساعدة من أي نوع لا تترددي، صحيح نحن أناس بسطاء لكننا لا نتأخر عن المساعدة أبدا وكل مشكلة ولها حل فلا تيأسي فقط ثقي بنا».

طالعه نيللي بمحبة وتمتمت: «أنا ممتنة جدا لكم يا عمي لم أصدق أن هناك من يستقبلون في بيتهم بكل شهامة فتاة لا يعلمون عنها شيئا ويسبغونها بكرمهم ولم أصدق أنني قد يأتي علي يوم أشعر فيه بهذه الألفة مع أحد (وأضافت باقتضاب) لكن أحيانا تكون المشاكل معقدة وأنا لا أريد أن أورطكم معي ومع هذا أعدك بأني سأحكي لكم يوما، بعد أن أجد طريقة لتصحيح خطأ ارتكبته ولا أعرف كيف ستكون نظرتكم لي بعد أن وثقتم في، فلا أرغب في أن أهز هذه الثقة لهذا أريد أن أخبركم بالجيد عن نيللي شرف الدين أولا قبل أن تروا أخطاءها».

تكلم عارف بلهجة حكيمة: «أتمنى أن تكون أخطاؤك من النوع الذي يمكن إصلاحه يا بنتي».

أخافتها العبارة فسألته: «هل تعتقد أن هناك أخطاء لا يمكن إصلاحها؟».

تحركت مقلته بحيرة ورد بعد برهة من التفكير: «أجل..

أحيانا».

أطرقت نيللي برأسها مفكرة فأضاف عارف بيقين: «ومع هذا فالله غفور رحيم لذا لا تقنطي من رحمة الله».

عاد الأمل لقلبها فغمغمت: «ونعم بالله (قالتها ثم تحركت تهم بمغادرة الشرفة وهي تقول) سأدخل لأمدد ساقي لأنها تؤلمني (وأشارت على الأصص مضيضة) هل تعتقد أنها ستفتح قبل أن أغادركم أشعر بالفضول لأعرف ما هو لون زهرة القرنفل خاصتي».

ابتسم عارف وأجاب: «إن كنت تنوين البقاء على صلة معنا وتزورينا بالتأكيد سترينها حينما تفتح».

ابتسمت نيللي وتحركت لتبحث عن مرام التي قابلتها في الصالة بوجه أحمر تقول بارتباك مشيرة على الهاتف الذي يرن في يدها: «إنه أسعد ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟».

اتسعت عينا نيللي وقالت: «وكيف عرفت؟ هل تملكين رقمه؟».

قالت بسرعة وهي تتحرك بارتباك في كل الاتجاهات في اللحظة نفسها: «لقد طلب من عصام الرقم ليلة أمس.. وفي الصباح وجدت منه رسالة على الواتساب يتمنى لي ليلة سعيدة ويخبرني أنه سيتحدث معي في الصباح».

توترت نيللي لتوترها وقالت: «ردي بسرعة هل ستتركينه يرن هكذا!».

وضعت مرام الهاتف على أذنها وهي تجلي حنجرتها مجيبة بصوت هارب منها: «ألو.. نعم صباح النور».

راقبتها نيللي وهي تتحرك نحو الداخل واستقر بها الحال في غرفة والدها المظلمة فنظرت في ساعة هاتفها لتجدها العاشرة صباحا، وقررت أن تقوم بالاتصال بالشركة لربما نجحت في الوصول لرامي مدير مكتبها.

في غرفة مرام

أمسكت نيللي بهاتفها وسحبت نفسا عميقا تهدئ من ضربات قلبها وهي تطلب رقم الشركة وتدعو في سرها ألا ترد نهلة، أجابها مكتب الاستقبال فتنحنحت وقالت: «أريد أن أتحدث مع السيد رامي علاء في الـ Head Office (مكتب الإدارة العليا) من فضلك».

طلبت منها موظفة الاستقبال الانتظار وحولتها داخليا ليأتيها صوت يقول: «رامي».

هتفت نيللي بسرعة: «رامي.. إياك أن تفصح مع من تتحدث أنا نيللي».

امتنع وجه الأخير وارتبك وهو ينظر لنهلة مساعدته ثم غمغم مسيطرا على انفعالاته: «آه ثواني».

تحرك نحو الغرفة المغلقة الخاصة بمديرة الشركة لكنه تراجع للخلف ينوي البحث عن مكان أكثر أمانا وليس له أذان

في الوقت نفسه الذي وقف فيه طارق شرف الدين مدير قسم الموارد البشرية على باب المكتب، فاصفر وجه رامي وبادره بالقول: «صباح الخير مستر طارق هل أساعدك في شيء؟».

اختلس طارق النظرات نحو نهلة التي وقفت تدفن رأسها في الأوراق بين يديها ثم قال: «لا شيء كنت أتفقد الوضع هل وصلك شيء بخصوص نيللي؟».

هز رامي كتفيه نافيا ثم سأله: «وأنتم؟».

أطرق طارق برأسه ولم يجب فظل رامي واقفا لا يعرف كيف يتصرف، خاصة أن الثاني يسد الباب بوقفته ليرفع طارق نظراته من جديد قائلا: «سأتفقد باقي الوضع في الشركة».

قالها وعيناه تختلسان نظرة سريعة أخرى نحو نهلة ثم غادر.

كان توتر نيللي يزداد وهي تسمع ما يدور وتهمس بترج: «رامي إياك أن يعرف أنني معك».

تحرك الأخير بعدها يغادر المكتب ويتجه نحو الحمامات، المكان الوحيد الذي يتوقع أنه لن يكون به أذان متنصتة فدخله يتفحص كبائنه ليتأكد من أنه لا يوجد به أحد ثم أغلق بابهِ العمومي وهمس بقلق حقيقي: «نيللي هانم هل أنت بخير؟ الجميع هنا قلقون منذ اختفائك».

سألته نيللي: «هل يسمعك أحد؟».

رد رامي بخفوت: «لا تقلقي أين أنت؟ الدنيا مقلوبة رأسا على عقب ويبحثون عنك».

بلعت ريقها الجاف وقالت: «أنا بخير.. قررت الاختفاء لبعض الوقت، أخبرني كيف الوضع عندك».

همس رامي: «الوضع مشتعل خاصة مهدي بك يبحث عنك في كل مكان، في أقسام الشرطة وفي المستشفيات لقد وجدوا سيارتك قبل يومين لكن لا أثر لك».

قالت بسرعة: «اسمع يا رامي قبل أن أنسى لقد فقدت حقيبتني وفيها هويتني وكل بطاقتي الائتمانية وهاتفني وكل شيء هل تستطيع أن تبلغ عن فقدي لها؟».

أجاب عابسا: «أتوقع أنه لا بد أن يقوم الشخص بنفسه بذلك وأخشى إن فعلت ذلك أن يعلم مهدي بك أنني أعرف مكانك، عموما سأرى إن كان هناك طريقة (وعاد يسألها) أين أنت يا هانم؟».

ردت بمراوغة: «كما قلت لك سأختفي لبعض الوقت كي أفكر فيما سأفعل.. أخبرني عن وضع الشركة؟».

رد بسرعة: «الوضع سيئ ومهدي بك في حالة انهيار، إلى متى ستظلين مختفية؟».

تنهدت وردت وهي تنظر لساقها المجبرة: «أحتاج لأسبوعين أو ثلاثة.. أخبرني كيف أصل لعروت أريد أن...».

قاطعها قائلا: «للأسف ثروت لم يظهر بعد».

هتفت بصوت عال متخلية عن حذرها: «لم يظهر؟ كيف؟! ألم يكن في إجازة؟».

رد رامي: «أجل.. لكنه اختفى منذ ذلك الحين، حتى إن مهدي بك أرسل إلى بيته فلم يجد أحدا هناك الشقة مغلقة».

قالت باستنكار: «ماذا تعني؟ هل أنت متأكد؟ ربما عمي هو من يشيع ذلك ليخفي التعاقدات السابقة للشركة وتقرير اللجنة الفنية الذي وقع هو عليه».

أجاب رامي بحيرة: «لا أعرف يا هانم هذا ما وصلني، وأنهم قد وجدوا كل ملفات عمليات الشراء السابقة خالية من العقود».

اتسعت عيناها وغمغمت بغير تصديق: «ماذا تعني لم يجدوا العقود؟ هل أنت متأكد؟!».

أجابها رامي: «لا أعرف يا هانم فلم أكن موجودا بالطبع لكن هذا ما سمعته».

جزت نيللي على أسنانها فأضاف: «مهدي بك يبحث عنك وعن ثروت.. بالمناسبة لقد سمعت أنهم قد كسروا باب الشقة».

قالت نيللي بغضب: «شقتي؟!».

رد رامي: «أجل كانوا يعتقدون أنه قد أصابك شيء وأنت بداخلها حينما اختفيت فكسروا الشقة ولم يجدوك».

غمغمت وهي تحك جبينها بيد مرتجفة: «يا إلهي!».

أضاف رامى: «والخالة راجية اتصلت بي تبحث عنك لأن هاتفك خارج الخدمة».

قالت نيللي بهلع: «نسيت الخالة راجية بما أخبرتها؟».

أجابها مطمئنا: «بصراحة أشفقت عليها من خبر اختفائك، لهذا كذبت عليها وأخبرتها أنك قد سافرت في سفرة مفاجئة تخص العمل».

زفرت نيللي وقالت براحة: «أحسنت يا رامى فالمرأة تزوج ابنتها ولا داعي لإفزازها (ثم أضافت بامتنان) أنا أثق فيك يا رامى لهذا اتصلت بك وأرجو ألا تخذلني».

رد الأخير بلهجة صادقة: «يا هانم أنا لحم أكتافي من خيرك أنت والدكتور باهى رحمه الله».

غمغمت نيللي بحرج: «لا تقل هذا الكلام».

سألها رامى: «المهم علام تنوين؟ فالوضع هنا في الشركة متجمد منذ غيابك».

شردت نيللي وغمغمت بحيرة: «اتركه متجمدا فما زلت لا أعرف كيف أخرج من هذه الورطة بأقل خسائر (وسحبت نفسا مضيفة) اتركه متجمدا قليلا حتى أستطيع التفكير، أه رامى من فضلك أريد رقم هاتف عمو جودت.. وابحث لي دون أن يعرف أحد إن كان قد عاد من رحلة العلاج أم لا.. وأريد رقم هاتفك أنت أيضا وإياك أن يعلم مخلوق أنني

أتواصل معك أرجوك».

بعد قليل وقفت نيللي متسمة في غرفة مرام تحقق في الأرض وعقلها يسترجع كل ما أخبرها به مدير مكتبها، ثم تحركت بعرج وجلست على السرير تطالب نفسها بالهدوء.. فكما قررت منذ بداية الأزمة لن تسمح لنفسها بالانهيار وتساءلت ما هي خطواتها التالية؟ انتظار العم جودت؟ وبم سيفيدها؟ كانت تريد أن تسأله عما سمعته عن والدها باعتباره صديقه الصدوق؛ لكن ماذا سيفيد رده في حل المشكلة الحالية؟ إن رده يخصها هي وحدها سيؤكد لها معلومة أو ينفيها عن والدها شهادة حق تملج صدرها وتصدقها أكثر من تعاقدات سابقة على الورق قد تكون مزورة؛ لكنه بالتأكيد لن يكون له أي دخل في قرارها عما يمكن أن تفعله.

ربما تريد دعمه المعنوي تريد حمايته من عمها الذي لم تعد تأمن جانبه، كان والدها محقا حينما حذرها دوما من الثقة فيه لقد ظهر على حقيقته بعد وفاته، خاصة حينما أعطت لطارق جوابها النهائي أنها غير موافقة على طلبه للزواج منها.. جوابًا ماطلت فيه كثيرا في محاولة منها لرأب الصدع بين الأخوين بل حاولت أن تحب طارق، أن تراه شريكا لحياتها لربما كان هذا الزواج فرصة للم شمل العائلة لكن بعيدا عن رفض والدها لطارق فهي الأخرى لم تستطع أن تقبله كزوج.

إنها بالفعل تحتاج لجودت كشخص تثق فيه ولنفوذه كرجل

أعمال له ثقل في سوق العمل، حتى لا تشعر أنها وحيدة ومتأكدة أنه لن يخذلها لكن حل المشكلة لا يزال في يدها هي.

فكت الوشاح من حول وجهها واستندت بمرفقيها على فخذيهما وبرأسها على كفيها فغطى شعرها الأسود وجهها وأخذت تفكر بعمق، لقد فقدت الثقة في كل من حولها لم يبق لها سوى رامي لتثق به، فهو ربيب والدها الذي تكفل به وبعائلته منذ صغره. ليس لديها حل سوى انتظار العم جودت فلا تعلم لأي مدى قد يصل جنون عمها وتحتاج لاستشارة قانونية من محام ثقة تعرض عليه الموقف كاملا وتفهم منه حجم مسئوليتها وهل هناك مخرج من هذه الورطة؟

«مرام»

قاطعها أسعد فأجابت: «نعم».

تكلم بصوته الرجولي: «هل تدركين أنك تحدثت كثيرا عن قصة رعايتك وتربيتك لمراد وزينة؟».

سيطر عليها الحرج وغمغمت: «حقا؟».

رد بهدوء: «أجل.. أنت تتحدثين عنهما منذ بداية المكالمة».

ازداد حرجها أمامه وتمتمت: «أنا آسفة».

قال بلهجة مسلية: «يبدو أنك تشتاقين لأن تكوني أما».

اشتعلت وجنتاها وأجابت بتلقائية: «بصراحة أتمنى أن أنجب أربعة أو خمسة».

قال مشاكسا: «يا إلهي كل هؤلاء الأطفال!».

سعدت لمجرد الفكرة وأجابت بضحكة خجول: «أجل أنا أحب الأطفال جدا».

غمغم بوقاحة: «تحتاجين لزوج بصحة جيدة يا مرام كي ينفذ لك طموحاتك».

سعلت بارتباك وقالت بلجلجة لتهرب من تلميحاته الجريئة «أنا مضطرة لأن أذهب.. فلا بد أن أعد لحفل الخطبة وتنتظرني أمور كثيرة».

قال أسعد متفهما: «تمام أريدك أن تبلغيني بأقصى عدد من المدعوين الذين أستطيع أن أدعوهم من جانبي (وأضاف متنهدا) وليعينني الله على الباقيين الذي سيلوموني لعدم دعوتهم».

عبست وسألته: «ولماذا لا تدعو كل من تريد».

رد أسعد: «لأن شقتكم لن تسع لكل من أريد أن أدعوهم يا مرام».

شعرت بالضيق لملاحظته لكنها قالت: «أنتم من أصريتم على السرعة كنا سنبحث عن قاعة حفلات لتأجيرها؛ لكن حجز مثل هذه الأماكن يحتاج لأسبوعين قبلها على أقل تقدير».

رد أسعد: «لا بأس.. تعلمين أن ظروف سفري هي ما تحكمني، حدي لي العدد والباقي سأقوم أنا بمراضاتهم فيما بعد».

غمغمت ومازالت تشعر بالضيق: «تمام».

«مرام هل أطلب منك شيئاً؟».

قالها أسعد قبل أن تغلق الخط فردت: «تفضل».

«هلا طلبت من أخيك ألا يذكر أمام المدعوين أنه يعمل سائق ميكروباص؟».

عبست وهي تقول: «نعم؟! لم أفهم».

تنحنح وأوضح: «اسمعي مرام أنا لا أقصد شيئاً وعائلتك عائلة محترمة؛ لكن الناس تحكم بالمظاهر ويهمني جدا مظهري أمام أصدقائي وأي عائلة ناسبت».

جرحت كرامتها فقالت بضيق واضح: «أسعد إن كنت لا تشعر بالراحة من مصاهرتنا...».

أسرع بمقاطعتها قائلاً: «يا بنت الحلال افهميني أنا لا أتحدث عني أتحدث عن الناس».

قالت باندفاع: «وما دخلنا نحن بالناس؟! ما تقوله هذا لن أستطيع أن أخبر به أخي وكأنني أشعر بالعار من مهنته».

قال مهدئاً: «حسنًا لا بأس.. لا تغضبي أتمنى أن يمر اليوم على خير دون أن يذكر أخوك هذا الأمر (وأضاف ممتعضاً)

بصراحة لا أجده أمرا يمكن أن يقال بهذه البساطة التي يقولها أخوك».

صمتت تبحث عن رد هادئ وقد استفز حمائيتها تجاه أخاها ليسرع أسعد بالقول: «هل غضبت مني من أول مكالمة بيننا؟».

قالت بهدوء وهي لا تزال تبحث عن إجابة دبلوماسية: «لا أبدا».

قال أسعد: «حسنا سأتركك الآن وسأتصل بوالدك لنحدد موعدا لنشتري شبكة العروس سلام».

غمغمت وهي تغلق الخط: «سلام».

ثم شردت تفكر في المكالمة.. لماذا لا تشعر بالراحة من طريقة حديثه؟ ليس هناك أمر بعينه تستطيع أن تدلل به على شعورها، ثم عادت وأخبرت نفسها أن هذه هي المكالمة الأولى بينهما ومن الطبيعي أن يحتاجا لوقت حتى يقربا وجهات النظر، سحبت نفسا عميقا وابتسمت بتفاؤل وهي تغادر غرفة والدها لتبحث عن نيلى فأمامها أقل من أسبوع لتجهيز أمور كثيرة قبل حفل الخطبة.

هل يسلك المسلك الصحيح في حياته أم يشئت طاقته دون التركيز في طريق واحد؟ ربما عليه أن يستسلم ويتوقف عن انتظار وظيفة مناسبة بشهادته تحقق له الدخل المادي

الكافي لحياة عادية وتحقق له السعادة المعنوية بالعمل فيما يحب، عليه أن يتوقف عن العدو وأن يركز في طريق واحد وهذا الطريق غالبا سيكون مهنة السائق هل يشتري سيارة بالقسط؟ يعرف الكثير من الجامعيين أو ميسوري الحال حولوا سياراتهم الشخصية لسيارة أجرة تحت الطلب، إنه لا يشعر بالحرَج من كونه سائقا لكن المشكلة في نظرة الناس التي تقلل منه، حتى حينما يعرفون أنه جامعي لا يشفع له ذلك عندهم، لو تجاهل ذلك وقرر أن يشتري سيارة بالقسط من أين سيحصل على مقدم الشراء؟ فأي سيارة ستحتاج لمقدم وهذا لن يستطيع توفيره حاليا فبال تأكيد مرام ستحتاج لتجهيزات كعروس، صحيح والده وضع جزءا من مكافأة نهاية الخدمة الخاصة به في عهده من أجل أخته حين تتزوج؛ لكن زيادة الأسعار الجنونية في الفترة الأخيرة قللت من قيمة هذا المبلغ الذي كان قبل سنوات وقت أن أعطاه له والده، لا بأس به إذن عليه أن يركز في زواج مرام أولا ثم يفكر في نفسه ووقتها سيكون مراد قد انتهى من دروس الثانوية العامة ومصاريفها الشهرية أيضا التي تؤثر على دخل الأسرة.

نبهه أحد الركاب لرغبته في النزول فركن الميكروباص في أقرب جانب مسموح التوقف فيه وأنزل الراكب ثم استأنف طريقه وهو لا يزال يفكر، حين توقف عند الإشارة الحمراء لمح في السيارات الواقفة في الاتجاه المقابل شخصا يعرفه يقود سيارة ملاكي.. إنه رمزي زميله منذ أيام الجامعة، شاب

متعالٍ من أسرة ثرية دقق في سيارته غالية الثمن وقاوم شعورا بداخله حتى لا يحقد عليه وركز في المقعد المجاور له فلمح زميلا آخر فابتسم بحنين لأيام الدراسة؛ لكن سرعان ما هاجمه شعور بالضيق من أن يرياه وهو يقود الميكروباس، لا يعرف كيف تسلك إليه هذا الشعور؟ لكن ليكن منصفًا مع نفسه إنه لا يشعر بالعار لكنه يشعر بالحرَج ولا يريد أن يظهر أمامهما بمظهر ليس منافسًا لإمكانياتهما، عند هذا الشعور تذكر حينما عنف مراد لأنه لم يرغب في أن يعرف أصحابه أنه لا يملك المال ليشتري باقة إنترنت فأحس بالخزي من نفسه، حرك ذراعه يخرجها من نافذة الميكروباس يشير لسيارة بجواره تريد المرور للانعطاف يمينا فمنحها الإذن بالمرور قبل أن تومض الإشارة بالأخضر فرفع يده المستقر مرفقها على النافذة ليدلك بها خلف رقبته وهو يشيح بوجهه على الناحية الأخرى وتحرك بالميكروباس داعيا في نفسه ألا يلحقه، إلى هذه الدرجة أصبحت حالته يرثى لها؟!

انتبه بعد قليل لفتاة مبهرجة الزينة تشير له بأن يتوقف ففعل وهو يراهن نفسه على أنها ستتجاهل المقاعد الفارغة في الميكروباس بالخلف وستقرر الجلوس في المقعد المجاور للسائق وقد كسب الرهان، حينما فتحت باب المقعد المجاور له فقال عصام منبها: «هذا المقعد لفردين هل ستدفعين فردين أم تجلسين بالخلف أفضل؟».

طالعتها وهي تجادله بكبرياء مصطنع وكأنها الملكة كليوباترا قائلة: «ولماذا أدفع فردين؟!».

ابتسم لها ابتسامة سمجة قائلا: «هذا هو المتاح، إما يركب بجواري رجلان أو فتاة وحدها وتدفع أجرة فردين حتى لا أضطر لأن أحضر بجوارها زبونا آخر».

مطت شفتيها المطليتين بلون قوي استنفر مشاعره الحسية وصعدت وهي تشمخ بذقنها بطريقة مفتعلة جعلته يبتسم ساخرا وهو يشيح بوجهه للناحية الأخرى ويتحرك بالميكروباس مغمغما في سره: «لماذا تحسب نفسها هند رستم».

بعد دقائق دقق فيها بطرف عينه متأملا كانت ملابسها ضيقة حول جسدها الممتلئ.. بنطال أبيض يحدد تفاصيل فخذيها وقميص ناعم أسود يحدد صدرها بشكل مزعج له وحجاب يغطي نصف رأسها فقط، بينما غرة كبيرة تخرج منه فأشاح بأنظاره يطلب من نفسه التأدب موبخا: «صدق أنس حين قال إنك أصبحت كتييس يلح عليه الزواج يا برنس».

ابتسم بمرارة لتلك العبارة.. لقد أوشك على إتمام الحادية والثلاثين من عمره ولم يتزوج بعد ولا يعرف متى سيقدر على فعلها هاجمه الإحباط يحطم معنوياته ولم يفلح عطر جارته الفواح في أن ينتشله من الغرق في هذا الشعور، ولا يدري لماذا قفزت نيللي إلى مخيلته، بل عليه أن يعترف أنها تحتل أفكاره منذ أن استيقظ في الصباح وبالذات تلك اللحظات التي جمعتهما عند باب المطبخ ليلة أمس تتكرر في رأسه كشريط تسجيلي خرب، ولا تنفع معه وسيلة لإيقافه وتساؤل ملح لا يريد أن يترك رأسه: هل ستنفذ ما قالت له لمرام

وتغادر اليوم؟

نظر في ساعته وشعر أنه قد وصل لأقصى مدى من الصبر
فالتقط هاتفه واتصل بمرام يسألها بصوت خشن: «كيف
الحال عندك؟».

جاءه صوتها منشغلة بشيء ما وهي ترد: «حمدا لله».

عاد يسألها: «هل من جديد؟».

أجابت باندعاش: «لا جديد.. ماذا تقصد؟».

أسرع بالرد مراوغا: «أي جديد مثلا هل اتصل بك ذلك
الأسعد؟».

أحس بحرجها حينما أتاه صوتها يحمل لمحة دلال وهي
ترد: «أجل اتصل بي».

مط شفتيه وشعور بغيرة أخ على أخته تخربش في صدره
ثم قال: «جميل».

قالت بسرعة: «أسعد سيتحدث مع أبي ليحدد موعدا كي
نذهب لانتقاء الشبكة».

غمغم عصام وهو يتطلع في نافذته: «جميل.. مراد موجود
خذيه معك».

ساد الصمت لبرهة ثم كسره قائلا: «المهم أنه لا يوجد
جديد».

أحس ببعض المكر في صوتها وهي تسأله: «هل تريد أن

تسأل عن شيء معين أو شخص معين؟».

فأسرع بالرد ببرود كاذب: «لا شيء محدد أردت الاطمئنان عليكم لا أكثر».

وأنهى المكالمة وهو يحدث نفسه متهمكا: «ماذا يحدث معك يا فنان؟ إنها لن تستطيع مغادرة البيت وحدها بساقها المكسورة».

باغتت ابتسامة زاوية شفثيه وأحس بارتباك في نبضات القلب فرفع صوت الأغاني وأشاح بوجهه في النافذة المجاورة يدلك خلف رقبتة بيده الحرة مرتبكا وعبد الحليم يقول بالنيابة عنه:

بيني وبينك إيه

يا ريت تقولي عليه

شغلت بالي ليه

بيني وبينك إيه

في المساء

تحسس عارف الصورة بأنامله وداعبها برفق وكأنه يخشى أن يخدشها بلمساته أو ربما يخشى أن يؤذي صاحبته وهو يتمتم بخفوت: «مرام ستتزوج يا شادية كنت أخبرك قبل فترة أنني قلق من أن يفوتها قطار الزواج؛ لكن حمدا لله أتاها خاطب مناسب سيرته طيبة وأهله طيبون ومع هذا أخشى من استعجالهم ربما علي أن أطيل من فترة الخطبة حتى

تتعرف عليه مرام».

صمت يتأمل وجه زوجته الراحلة في جلسته على السرير وبلغ غصة متبوعة بشعور قوي بالوحشة شعور رغم مرور السنين لا يزال يشعر به لفراقها واستمر في الحديث إليها كما تعود أن يحكي لها كل شيء يحكي لها همومه ومخاوفه وتفاصيل يومه.

في الصالة رن هاتف عصام فعبس متفاجئا باسم صاحبه الذي لم يتواصل معه منذ مدة وأسرع بالرد: «كيف حالك يا عمنا؟».

رد صاحبه ضاحكا: «كيف حالك أنت يا عمنا؟ أين أنت؟».

قال وهو يغلق برنامج التصميم الجديد الذي كان يتدرب عليه على اللاب توب: «أنا تائه في الحياة طمئنني عن أخبارك يا آدم».

قال الأخير: «يا أخي رقم هاتفك ضاع مع ضياع هاتفي وأرسلت لك رسالة على الفيسبوك كي تعطيني رقمك لكنك لم ترد».

عبس عصام وقال وهو يحرك المؤشر ويفتح الفيسبوك: «حقا!».

رد آدم مؤكدا: «أجل وفي النهاية حصلت على الرقم من زيد وأتصل اليوم لأدعوك لحفل زفافي».

قال عصام بابتسامة: «ما شاء الله لا قوة الا بالله.. مبارك إن

شاء الله.»

أردف آدم: «سأنتظرك غدا في قاعة (....) في منطقة (....)».

قال عصام مندهشا «غدا؟».

قال آدم مبررا: «قررنا فجأة إقامة الزفاف لضرورة سفر أخت العروس.. ومن يومها وأنا ألف حول نفسي كي أنهي مالم ينته لهذا تأخرت في دعوة الناس وفي الحصول على رقم هاتفك».

قال عصام بمحبة: «أتم لك الله على خير».

أكد عليه آدم: «سأنتظرك يا عصام شلة الكلية كلها ستكون موجودة».

غمغم عصام وعيناه تلمحانها وهي تدخل المطبخ تعرج: «إن شاء الله وهل عندنا أغلى منك».

قال الآخر بمحبة: «أصيل يا صاحبي أراك غدا بإذن الله».

أغلق المكالمة وعيناه لا تزالان تراقبانها باهتمام إنها صامتة اليوم بشكل غريب حتى على العشاء كانت قليلة الكلام والأكل، ولم يفهم السبب هل من الممكن أن يكون كلامه معها يوم أمس هو سبب هذا الصمت؟ يعلم أن الفتيات رقيقات المشاعر لكنه لا يعتقد أنه قد تفوه بما يجعلها في هذه الحالة، كما أنها حينما واجهته عند باب المطبخ ليلة أمس كانت واثقة بنفسها وتحدثه بكبرياء.

فتح الرسالة التي أرسلها له آدم ثم فتح صفحته فوجد

دعوة منه لكل أصدقائه لحضور حفل زفافه فمرر أنظاره على المعلقين على المنشور مستعيدًا الحنين لأيام الجامعة قبل أن تعبس ملامحه حينما رأى اسمها (فاتن) زميلة الكلية وحب المراهقة، ضغط على الاسم بفضول ودخل على صفحتها يتصفحها في جولة سريعة ثم توقف عند صورة لها هي وزوجها وأولادها فابتسم مندهشًا كيف تغيرت خلال السنين القليلة الماضية، هاجمته ذكريات حلوة جمعت بينهما بين أسوار الجامعة وأخرى مرة على أعتاب التخرج، حينما أخبرته أنها قد جاءها عريس ووالدها مصر عليه وأن عليه أن يتقدم لخطبتها وهو لم يكن يملك ما يمكن أن يتقدم به لوالدها كخاطب لابنته وهي لم تستطع الصبر أو رفض العريس فافترقا بهدوء.

تأمل أولادها وزوجها وابتسم ثم نفذ عنه الذكرى التي خرجت فجأة من جيوب الذاكرة وحذفها كملف قديم لم يعد له قيمة وحن الوقت لإعدامه.

لمح نيللي تخرج من المطبخ تهم بالعودة لغرفتها وفي يدها كوب تحرص على ألا ينسكب منها فأسرع بمناداتها: «نيللي». تصلب جسد الأخيرة وتجمدت لعوان تهمس لنفسها: «هل يناديني صاحب الكبرياء؟».

أدارت وجهها نصف استدارة فوجدته يستقيم واقفاً من ذلك الركن البعيد ذي الضوء الخافت ويتحرك نحوها قائلاً: «هل من الممكن أن نتحدث لدقيقة؟».

غمغمت في سرها وهي تسمع صوت مرام في الحمام
تساعد زينة على الاستحمام: «لست في مزاج لمناطحتك الآن
فحالتى النفسية لن تتحمل استفزازك».

تمسكت بكوب مشروب النعناع الذي أعدته لنفسها وهي
تستدير إليه بكليتها بينما اقترب عصام منها متقبضا
يتفحصها وشعوره يتأكد أن بها ما يجعلها جادة أكثر من
العادي، حين وقف أمامها بادرته نيللي قائلة بذقن مرفوع: «لا
بأس قبلت اعتذارك».

وتحركت تهم بالعودة لغرفتها فانقلبت مقلتيه وقال
بعبوس: «ومن قال إنى أود أن أعذر؟!».

اعتلت الدهشة وجهها واستدارت إليه بحدة وهي تقول:
«ظننتك.. آاااااه».

قطعت حديتها عندما اهتز الكوب الساخن في يدها فلمس
إصبعها جسم الكوب وانسكبت بضع قطرات عليه ليسرع
عصام بأخذ الكوب من يدها بسرعة، قالت بعبوس لتداري
شعورها بالحرص أمامه: «ظننتك تريد أن تعتذر».

قالتها ثم رفعت إصبعها تلعقه بحركة عفوية لتخفف من
شعورها بالألم فأشاح بنظراته بعيدا عنها لعوان وقد داعبت
حركتها مشاعر خاصة لديه، ثم تنحنح وعاد ينظر إليها قائلا
بلهجة خرجت عدائية دون قصد: «أنا لم أفعل شيئا لأعتذر
عنه يا آنسة وإن كان هناك من عليه الاعتذار فهو أنت وليس
أنا».

علا صوت التلفاز فعلت نيللي صوتها وهي ترفع إليه سبابتها التي كانت تلحقها قبل ثوان هاتفة وهي تشير إلى نفسها: «أنا؟ أنا من عليه الاعتذار؟ أنا من يتحدث بعدم لباقة؟!».

عبس وهو ينظر للإصبع المستفز الذي يتحرك أمامه ثم قال باستنكار: «هل تقصدين أنني أنا من يتحدث بعدم لباقة؟ أنت المصرية على إهانتنا في بيتنا».

قالت نيللي بغیظ: «لماذا تمشي وأنت تحمل كبرياءك فوق رأسك؟!».

رفع حاجبا مستنكرا فأردفت: «ما وجه الإهانة في أن يكون الغداء على حسابي».

صرخت روح الفؤاد بتوبيخ: «اخفضا صوتيكما لا أسمع الفيلم».

استدار الاثنان إليها بوجه عابس مستنكر ليقول عصام: «جدتي أنت ترفعين صوت التلفاز بشكل مزعج».

هتفت روح: «بل أنتما المزعجان اذهبا وتشاجرا في مكان آخر».

تجاهلها عصام وعاد ليقول لنيللي: «لأنك ضيفة في بيتنا».

قالت مجادلة: «أنا أشارككم حياتكم منذ عشرة أيام، وتغدقون علي بكرمكم أليس علي أن أرد ولو جزءا من هذا الكرم؟!».

قال قبل أن يتحرك مبتعدا: «شكرا لك لكننا لسنا بحاجة لاقتراحاتك بالصرف علينا هذا لن نقبله أبدا».

جن جنونها وصوت التلفاز العالي زاد من استئثار أعصابها فأسرعت باللاحاق به تقول بغیظ: «لماذا؟! لأنني أنثى.. ها! أخبرني باشمهندس عصام أين المشكلة؟».

توقف واستدار إليها بملامح منزعة في الوقت نفسه الذي اعترفت فيه نیللي لنفسها أنها كانت حادة أكثر من اللازم فغمغم عصام بعبوس: «ما علاقة كونك أنثى بالأمر؟!».

قالت مجادلة: «اسأل نفسك لا تسألني أنا أنت ترفض أن أدعوكم على الطعام على حسابي لأنني أنثى».

قلب مقلتيه وقال بإصرار: «ولو كنت ذكرا كنت سأرفض أيضا.. الأمر ليس له علاقة بالنوع بل لأنك ضيفة».

رفعت إليه سبابتها واستمرت في مجادلته وعيناها تومضان ببريق يسحره قائلة: «ها أنت قد قلت (ضيفة) بالتاء المربوطة».

ضرب كفا بكف قائلا: «لا حول ولا قوة إلا بالله! لماذا أنت مصرة على اتهامي بأمور غير حقيقية».

شعرت أن الوضع بينهما يتصاعد بشكل غير مستحب لكنها كانت في غمار معركة ولم ترغب في التراجع أمامه، بينما أضاف عصام: «يا آنسة نیللي هناك أمور لا أقبلها في بيتي تمس صميم كبريائي كرجل».

تحركت مقلتها على وجهه وقالت وهي تنهت لسبب لا تعلمه: «أن تصرف عليك امرأة؟».

رد عصام بلهجة خطيرة مصححا: «أن يصرف علي أي أحد وهذا أمر لا أسمح بالنقاش فيه سواء بالتاء المربوطة أم دون..».

كان الانجذاب بينهما قويا يشد كل منهما نحو الآخر فقاومت نيللي رغبتها في الاقتراب أكثر وقالت بذقن مرفوع: «عموما أنا كنت أنوي المغادرة لكن مرام هي من ألحت علي للبقاء حتى حفل خطبتها وبعدها لن أبقى لحظة واحدة».

«هذا يرجع لمدى تفرغي».

قالها وهو يتحرك مبتعدا نحو الركن البعيد من الصالة والكوب لا يزال في يده فشعرت نيللي بالاستفزاز واستندت على عكازها تقول وهي تلحق به: «ماذا قلت لم أفهم؟».

كان سعيدا لاستدراجها لنقط أكثر هدوء فاستدار إليها يقول ببرود متعمد: «مغادرتك لهذا البيت تتوقف على مدى تفرغي لحملك فوق الكرسي».

احمر وجهها وقالت بصلافة أعجبتة: «إياك أن تتوقع أن شيئا قد يوقفني عما أريد حتى ساقى المكسورة فأنا نيللي شرف الدين (ومدت يدها نحو الكوب) هلا أعطيتني الكوب؟».

رفعه لأعلى فانقلبت مقلتيها ليزم عصام شفتيه بتسل يمنع

نفسه من الابتسام فقالت ببرود متعمد: «حسنا إن كنت تريد كوبا من النعناع عليك بصنعه بنفسك لا أن تستولي على ما يخص غيرك عموما احتفظ به لم أعد أريده».

قالتها واستدارت توليه ظهرها وتعديل من العكاز فسمعته يقول: «نيللي».

أغمضت عينيها وغمغمت من بين أسنانها بغیظ: «نيللي مرة أخرى ودون حتى أنسة أو أستاذة».

استدارت إليه تقول: «نعم.. هل هناك شيء فظ آخر لم تقوله بعد؟!».

كانت شهية حتى بعبوسها عيناها تخطفانه بنظراتهما الواثقة فقال بلهجة مسلية: «سامحك الله عموما أريد أن أطلب منك معروفا».

زمت شفتيها تطالعه لبرهة ثم قالت ببرود متهمك: «لماذا؟ أأست رجالا والرجال خارقون يستطيعون فعل كل شيء لماذا تطلب مني أنا معروفا؟».

قال باقتضاب وقد شعر بالحرَج: «حسنا أنا آسف».

رسمت على وجهها دهشة مفتعلة وقالت بلهجة متهمكة: «هل تعتذر لي؟ لا أصدق».

لوي شفتيه ورد بإغظة صبيانية: «أعتذر عن طلبي وأسحبه».

عادت لزم شفتيها فراقبهما لبرهة جميلتين مكتنزتين ثم

أشاح بنظراته لتسأله نيللي وقد غلبها الفضول: «أممم.. ماذا كنت تريد؟».

نظر إليها قائلا: «كنت أريد مساعدتك في شيء يخص مرام».

أجلت حنجرتها ورفعت ذقنها بكبرياء تقول: «من أجل مرام فقط تفضل ماذا تريد؟».

تكلم عصام موضحا: «مرام ستؤجر فستانا من أجل حفل الخطبة وأنا أحفظها جيدا ستختار الأرخص وأريدها أن تختار الفستان الذي تتمناه بالفعل (وأضاف بحرج) أنا أعلم أن هذه التفاصيل مهمة عند الفتيات ويكون لها ذكريات حلوة.. وأرغب في أن يترك هذا الحدث ذكريات مميزة عندها».

تأملته بنظرة غامضة لم يفهمها ولم يعرف أن إعجابها به يزداد وأن مشاعره تجاه أخته قد لمست وترا حساسا بداخلها.

غمغمت نيللي بهدوء: «أنا أيضا أتمنى لها السعادة فهي تستحق ذلك عموما لا تقلق أنا وهي اتفقنا على أنها ستكون معي على الهاتف وسأساعدتها في اختيار الفستان».

شعر عصام بالراحة فقال: «تمام وكنت أريد أن أعرف متوسط المبلغ الخاص بالتأجير فلست ضليعا في هذه الأمور ولو سألتها ستعطيني أقل مبلغ».

قالت نيللي بتفهم: «أنا أيضا لا أعرف متوسط أسعار تأجير الفساتين فلم يسبق لي أن أجرت واحدا من قبل؛ لكن أعدك أن أستدرجها في الحديث اليوم وأبحث على الإنترنت وأخبرك بمتوسط الأسعار».

هز رأسه ثم قال: «وإن كان هناك أمور أخرى تخص البنات تحتاجها أخبريني من فضلك فلست ملما بها».

«تمام اتفقنا سأرد عليك في أسرع وقت بعد أن نجلس أنا وهي نضع قائمة بالضروريات».

«شكرا».

قالها عصام بامتنان حقيقي فغمغمت نيللي في سرها بتهكم (السيد ذو الكبرياء يقدم الشكر أيضا) ونزلت أنظارها للكوب الذي مد إليها به يده فأمسكت بيد الكوب وهي تسمعه يقول: «حاذري فهو لا يزال ساخنا».

احمرت وجنتاها وهي تلتقطه خاصة حينما لمس إصبعها إصبعه ثم أجبرت نفسها على الاستدارة توليه ظهرها فسمعته يقول بلهجة هادئة: «نيللي».

صوته هذه المرة كان بنبرة خاصة نبرة دغدغت حواسها فغمغمت في سرها بغيظ: «هل سنقضي الليل في نيللي.. نيللي.. نيللي!».

استدارت إليه من جديد بنظرات متسائلة فبلع عصام سؤالا فضوليا قبل أن يصل إلى طرف لسانه وأسرع بالقول: «لا

شيء شكرا لك».

غمغمت ساخرة تقلد طريقته: «عفوا لك».

تلاقت العيون لعوان وكل منهما يريد سبر أغوار الآخر ليتدخل الشعور بالحرص والارتباك ويقطع اللحظة مكتفيا ببريق خاطف متبادل دون علم صاحبيهما قبل أن تستدير نيللي مبتعدة وضربات قلبها تتسارع بشكل لم يحدث لها من قبل، ولم تدر أن صاحب الكبرياء كان أيضا يعاني اختلالا في ضربات القلب.

في اليوم التالي

تطلعت مرام في مرآة محل تأجير فساتين الحفلات وتأملت ببعض التردد الفستان المشمسي المنفوش الذي ترتديه لتقول لها هاجر زميلتها، التي وافقت هي وسوسن زميلة أخرى في الشركة على مرافقتها لاختيار فستان لحفل خطبتها: «أراه رائعا عليك».

تنهدت مرام بعدم رضا ثم طلبت من سوسن تصويرها بمقطع مسجل وهي تتحرك بالفستان وتدور حول نفسها ببطء لتظهر كل تفاصيله وأسرعت بإرسال المقطع لنيللي التي تستقبل منها المقاطع المصورة وصورا للفساتين المقترحة، فتطلعت الأخيرة في التسجيل ثم أرسلت لها رسالة صوتية تقول: «بصراحة أجده مبالغا فيه جدا بالنسبة إلى حفل عائلي بسيط يقام في شقة هذا الفستان مع

تحفظي طبعا على اللعان القوي أراه يناسب قاعة حفلات». هزت مرام رأسها وهي تسمع المقطع الصوتي ثم قالت لمرافقتها: «قلت لكم مبالغ فيه».

مطت هاجر شفيتها وهي تتبادل النظرات مع سوسن، بينما اتصلت مرام بنيلي وهي تشكر صاحبة المحل وتغادر مع الفتاتين لتقول نيلي: «بصراحة المحل رقم اثنين الفستان الثالث كان رائعا.. ولا أعلم لماذا تمرين على كل هذا العدد من المحلات مادام نفس الفستان الذي أتحدث عنه يعجبك؟!».

غمغمت مرام وهي تمشي في المركز التجاري المتخصص في فساتين الحفلات: «أعترف أنني مترددة في الاختيار؛ لكن أعدك أن أنتهي من المرور على محلات هذا الطابق فقط ثم أقرر».

هتفت نيلي باستنكار: «هذا الطابق فقط.. وهل كنت تنوين زيارة كل محال المركز التجاري يا مجنونة».

ابتسمت مرام وقالت باستسلام: «حسنا قلت سأنتهي من هذا الطابق فقط.. بقي ثلاثة محلات ثم أقرر».

زفرت نيلي لتقول مرام وهي تقف أمام واجهة محل للإكسسوارات المقلدة: «وأنت تتذمرين هكذا تذكريني بعصام الذي يتأفف حتى يخرج الدخان من منخرينه إن خرج معي للتبضع».

قالت نيلي ضاحكة: «بصراحة لا أملك هذا الصبر الذي

تملكينه في البحث في كل هذه المحلات أنا بمجرد أن أجد ما يعجبني لا أتردد في شرائه وأعود للبيت».

ساد الصمت ومرام شاردة في الواجهة الزجاجية وعيناها تدوران على المعروضات قبل أن تقول نيللي: «مرام هل ما زلت على الهاتف؟».

في الوقت نفسه قال مراد الذي يقف على بعد أمتار خلفها هي وزميلتيها: «مرام متى سننتهي لقد تعبت قدماي».

انتبهت الأخيرة وأشارت له أن يصبر قليلا ثم قالت لنيللي: «سأمر على المحلات الباقية وإن لم يعجبني شيء سأعود للفستان الذي تحدثين عنه وأجربه مرة أخرى سلام».

أغلقت الخط وظلت تتطلع في الواجهة الزجاجية وفكرة ما تلمع بقوة في رأسها.

بعد قليل كانت مرام ترتدي الفستان الذي رشحته لها نيللي في بداية جولتها وتتطلع لنفسها هذه المرة ببعض الرضا لتهز لها مرافقتها رأسيهما علامة على الموافقة أيضا فأسرعت بطلب التقاط صورة لها مرة أخرى وأرسلتها لنيللي التي بادرتها بالاتصال قائلة: «قلت لك هذا مناسب جدا رقيق وراقي ورائع عليك».

قالت مرام بهمس وهي تبتعد قليلا عن زميلتيها: «بصراحة رائع لكن مبلغ الإيجار كبير جدا أشعر بعدم الراحة إن صرفت كل هذا المبلغ من أجل ارتداء الفستان لبضع ساعات ماذا لو أردت شراءه كم سيكون المبلغ؟».

ابتسمت نيللي وردت: «سيكون بمبلغ كبيرًا لو أردت شراءه، عموما مرام نحن اتفقنا بأنك لا بد أن تدلي نفسك قليلا فهذه اللحظات مميزة، كما أن عصام أعطاك مبلغا يسمح لك بتأجيريه وأوصاك أن تختاري شيئا تحبينه وفي الوقت نفسه يكون مميزا».

غمغمت مرام بتردد: «أشعر بالذنب في صرف كل هذا المبلغ».

قالت نيللي بلهجة متفهمة: «مرام أنت رائعة دوما لكن التطرف في إنكار الذات أمر غير صحي عليك بتدليل نفسك من أن لآخر خاصة في المناسبات المهمة حتى لا تنقلب عليك نفسك وعصام أوصاك بأن تكوني في مظهر لائق».

ابتسمت مرام لنفسها في المرأة وهي تتأمل الفستان ثم قالت: «تمام».

لتسألها نيللي بتردد: «مرام هناك فستان ظهر في الصورة التي أرسلتها لي.. ترتديه دمية العرض في الخلفية هل هو للإيجار؟».

قالت مرام قبل أن تبعد الهاتف عن أذنها: «كل الفساتين في هذا المحل للإيجار دعيني أرى أي واحد».

عادت للصورة ثم للفستان الذي قصده نيللي وقامت بتصويره على دمية العرض وأرساله لنيللي التي قالت لها: «كم سعر التأجير أتوقع أنه مقاسي».

أخبرتها مرام بالتفاصيل لتقول نيللي بتردد: «لكن مرام أشعر بالقرف من لبس فستان ارتدته فتاة قبلي».

رفعت مرام حاجبيها ثم ردت مبتسمة: «الفستان يذهب للمغسلة يا نيللي لا تقلقي».

صمت الأخيرة لبرهة تفكر في الأمر وفيما سترتيديه في حفل الخطبة فلن تستطيع أن تحبس نفسها في الغرفة طوال الوقت، كما فكرت في المبلغ الذي تملكه وقالت باستسلام: «تمام هلا أجرته لي وأوصيتهم أن يغسلوه أكثر من مرة جيداً بالله عليك».

ضحكت مرام وقالت: «حاضر لا تقلقي سأوصيهم بغسله جيداً».

حين ودعت مرام بعد قليل زميلتيها اللتين اضطرتا للمغادرة بقيت بمفردها بينما مراد وقف ينتظرها خارج محل الأحذية الذي تختار منه حذاء للحفل فقالت مرام على الهاتف بعد أن صورت الحذاء: «ما رأيك؟».

ردت نيللي: «هذا الحذاء رائع جداً في قدميك».

تطلعت مرام في الحذاء العالي في المرأة وقالت ببعض الدلال الأنعوي: «سيكون مناسب مع طول أسعد أتمنى أن يعجبه ما ارتديته».

عند ذكر اسم الأخير جاءها اتصال منه فتطلعت في الهاتف ثم قالت لنيللي بسرعة: «يتصل إنه يتصل (وأسرعت بالرد

بعد أن أنهت المكالمة مع نيللي تقول) ألو.. كيف الحال؟
(وصمتت قليلا ثم قالت بعينين متسعيتين) أنت هنا أمام
المركز التجاري؟!«.

بعد قليل كانت مرام تخرج بوجنتين مخضبتيين بالحمرة
وخلفها مراد يتأفف من الغيظ حين علم أن أسعد ينتظرهما
أمام المركز التجاري.

قابلهما أسعد بابتسامة فتطلعت فيه وهي لا تزال متفاجئة
بمجيئه فقد أخبرته في الصباح أنها ستخرج اليوم مع مراد
لتأجير الفستان ولم تدر أن الأسئلة التي سألها إياها عن
المكان وتفاصيله كانت ليفاجئها بمجيئه.

سلم مراد عليه ببرود وشعور بداخله يزداد بالكره تجاه
هذا المتحذلق ذي الابتسامة المستفزة، ثم أسرع بفتح باب
السيارة الخلفي يضع فيه الأكياس ويدعو مرام للجلوس
فيه قبل أن يتخذ مكانه بجوار مقعد السائق، فمط أسعد
شفتيه واستدار حول مقدمة السيارة ليتخذ مكانه أمام عجلة
القيادة ثم عدل المرأة الأمامية وتطلع في مرام قائلا: «ما
رأيكما في أن نجلس في مكان لبعض الوقت؟».

أسرع مراد بالرد بسماجة: «للأسف أنا مرتبط بموعد».

سأله أسعد: «ألا يمكن تأجيله؟».

أجاب الأخير ببرود صقيعي: «لا والله».

رفعت مرام حاجبيها مندهشة مما يقول مراد ومن طريقته

إن حالته استرعت انتباهه وجعلته يشفق على نفسه متسائلا هل وصل به الحال للشعور بالنقص حتى لو كان ذلك داخليا؟ من حقه كإنسان أن يمتلك ما يشعره بالزهو ما يزيد من ثقته في نفسه، خاصة لو كانت ظروف أقرانه أفضل من ظروفه ونظرة أغلبهم ضيقة لا تقيم الرجل إلا بمهنته.

ورغم اقتناعه أن العمل الحلال ليس به عيب؛ لكنه في الوقت ذاته لن يدعي المثالية ولن يحاول أن يرتدي ثوب الملائكية إنه يشعر بالضيق ويشعر أنه في وضع لا يتلاءم مع طموحه ولا حتى مع أقرانه.

قال زيد مشاكسا: «أين أنت يا عم عصام مختفي تماما؟».

ابتسم الأخير وقال بلهجة ساخرة: «هائم في بلاد الله (وتطلع في وجوههم يقول بحنين) اشتقت لكم».

اقترب رمزي من بعيد يقول بنبرة عالية تحمل السخرية في طياتها: «عصاااام.. الأسطى الفنان كيف حالك يا رجل؟».

تماسك الأخير كما وعد نفسه ألا يسمح لأعصابه بأن تغور خاصة من بعض المتحذلقين الذين يعرفهم جيدا وعلى رأسهم هذا الذي تمنى دوما أن يدق عنقه وقال بابتسامة صفراء وهو يمد يده لرمزي: «أنا بخير كيف حالك أنت؟».

ببعض الحركات المختالة استعرض رمزي نفسه يقول بلهجة متعالية: «في أفضل حال كما ترى».

ابتسم له عصام دون رد بينما قال علي: «لماذا لم تعد

تواظب على التردد على صالة الألعاب الرياضية؟ لم ألمحك هناك منذ فترة وأرسلنا إليك عنوان الصالة الجديدة التي أصبحنا نتردد عليها أنا وسامر ولم نرك».

رد عصام معترفا: «الحقيقة انشغلت بأمور كثيرة ولم أعد أمارس أي نوع من الرياضة لكني أنوي أن أعود لصالة الألعاب قريبا بإذن الله».

فقال سامر لعلي بلهجة مازحة وهو يربت على ذراعي عصام العضليين: «يا عمي لا يحتاج لحمل أية أثقال أنظر لجسده (وأضاف بلهجة مشاكسة) أنا لا أحسد لا سمح الله».

ضحك عصام فسأله رمزي مصرا على استفزازه: «وكيف حال الأسفلت يا أسطى عصام؟».

رد الأخير بابتسامة باردة: «يرسل لك التحية يا باشمهندس رمزي ويخبرك أن الأسفلت للوحوش وليس للمدللين».

توتر الجو فحدج زيد رمزي ببعض التوبيخ بينما قال علي: «بالمناسبة يا عصام عندنا في الشركة يطلبون تعيينات جديدة لمهندسي جرافيك».

سيطر الأخير على انفعالاته وقال بهدوء: «حقا».

ليضيف علي وهو يخرج هاتفه ويبحث فيه: «أجل رأيتهم ينشرون إعلانا اليوم سأرسله لك».

هز عصام رأسه برزانة والأمل ينبعث في قلبه من جديد فعلى الرغم من أن الشركة التي يعمل بها علي ليست شركة

كبيرة؛ لكنها ذات سمعة طيبة بالإضافة لأنه قد قرر أن يعدل قليلا من خطته، وأن يلتحق بوظيفة حتى لو كان دخلها غير مرضي ويقوم بزيادة دخله عن طريق قيادة إحدى سيارات الأجرة الخاصة في فترة المساء، هذا بالإضافة للتصاميم الحرة التي تطلب منه من آن لآخر يشعر أنه لو نفذ هذه الخطة سيخرج من عنق الزجاجة وذكر نفسه بضرورة السعي وتغيير الخطط، معترفا أنه قد أضاع الوقت في خطة جامدة في اتجاه واحد ربما هي ما أصابته بهذا النحس الذي لحق به فغمغم لصاحبه بامتنان: «شكرا لك يا علي سأرسل لهم سيرتي الذاتية وليفعل الله ما يريد».

علت أصوات الموسيقى والطبول إعلانا لبدء الزفة فانتبه الجميع للعروسين اللذين ظهرا في نهاية القاعة وتجمع الرفقاء يتطلعون في العريس، ثم بدأت التعليقات الوقحة فيما بينهم والانفجارات بالضحك التي أعادت لعصام بعضا من ذكريات أيام الدراسة حينما كان أخف روحا وأقل حملا وأكثر انطلاقا وجالت عيناه من وقت لآخر في الفتيات الجميلات في الحفل الراقى وشغله سؤال كيف ستكون نيللي في حفل كهذا؟ ولماذا يشعر أن وجوه الفتيات من حوله باتت باهتة وغير ملفتة كالسابق؟ ولماذا نيللي بالذات؟ لماذا يدق قلبه الآن عند التفكير فيها؟ اعتراه الخوف فمشاعره تنجرف نحوها وهو لا يعرف عنها شيئا وهذا مخيف.. مخيف لأنه غير مستعد لتلقي أي صدمة يكفيه ما يشعر به من إحباط.

أخرجه زيد من تأملاته وعصف أفكاره حينما ربت على

كتفه فانتبه له عصام ليقول الأخير: «عندي لك مهمة خاصة ستحتاج لأناملك الناعمة».

عبس عصام وسأله: «ماذا تقصد؟».

قال الأخير بلهجة غامضة: «هناك تصميم يريده أحد الشخصيات الثقيلة في البلد ولا يرغب في أن يطلبه من أي مكتب مشهور حفاظا على السرية وفي الوقت ذاته يبحث عن محترف وليس هاوٍ ولهذا رشحتك له أخبرته أنني سأوصله بملك الفوتوشوب».

سأله عصام عاقدا حاجبيه: «وما هو المطلوب بالضبط؟».

ربت الثاني على ذراعه مجيبا: «ليس الآن سأدبر لكما لقاء وهو سيخبرك بكل شيء وصدقني ستشكرني طوال عمرك على هذه الفرصة، فالمقابل سيكون خيرا كثيرا يا صاحبي ومن الممكن أيضا أن نطلب منه أن يتوسط لك في أكبر الشركات في البلد ليوظفك المهم أن تستغل هذه الفرصة على الوجه الأمثل (وغمز بعينه مضيضا) ووقتها لا تنساني بجزء من هذا الخير».

لاح الاهتمام على وجه عصام وقال: «فليكتب لنا الله الخير».

قال زيد بابتسامة: «خير.. خير وفير بإذن الله يا عصوم استعد لتلقي اتصال مني في أي وقت يا فنان».

الفصل الثامن

بعد يومين

الخوف مقبرة القلوب، يسجنها حية خلف قضبانها؛ فتريد
ولا نقدر.. ننوي ولا نفعل.. نحلم ولا ننول.. ويا ويله من
يسقط في برائن الندم.

فتح باب الشقة ودخل منها عابس الوجه، ثم أغلق الباب
خلفه وتحرك يلقي بجسده فوق الأريكة يسند رأسه للخلف
ملقيا نظارته الطبية وهاتفه ومفاتيحه بجواره وهو يهمس
في سره: «لَمْ باتت الأيام ثقيلة يا أبا زينة (ثم أضاف متهمكا
بصوت أعلى) كن دقيقا وقل أضحت أكثر ثقلا من ذي قبل
منذ متى وهي خفيفة يا وحيد زمانك».

لم يبق سوى أيام على حفل خطبة مرام وهو يجاهد
ويشجع نفسه ويحاول بعقله إقناع قلبه: «أنت موهوم يا
أنس موهوم إنها معادلة رياضية منطقية جدا، أنت تحتاجها
وهي كريمة في المنح نقطة آخر السطر».

جادله قلبه يذكره بذلك الشعور الحارق الذي يتأجج
في صدره منذ دخول ذلك الشاب للبيت؛ لكنه استمر في
المجادلة: «أنت موهوم.. اتركها لتعيش سعيدة.. دعها تبعد عن
الجميع وتبدأ حياة جديدة إنها تستحق ذلك بعد كل ما قدمته
للجميع».

استمر قلبه في إلحاحه وذكره بحلم ليلة أمس، حلم يزعجه بشدة حين يزوره من وقت لآخر فهو لا يسمح لنفسه أبدا بتخطي الحدود في نظرتة لمرام مهما كانت مشاعره ملحة عليه ومهما كان في أشد الحاجة إليها، إنه صارم مع نفسه قاس عليها في نظرتة لابنة عمه؛ لكن في حلمه ليلة أمس تخطى معها كل الحدود حطمها وفعل كل ما تتوق له نفسه ويكبتة.

وبخ نفسه عند هذه الخاطرة يقول من بين أسنانه: «تقصد كل ما تتوق له غرائذك الوقحة يا أنس فليس عصام وحده من أضحى كتييس في حاجة ملحة للزواج».

ضاق صدره بشده وتطلع في الشقة حوله يشعر بالاختناق وهو يسأل نفسه كيف سيتحمل الأيام المقبلة؟! كيف سيصمد؟! إن كان ذلك الشاب لم يصبح خاطبا رسميا بعد وهو لا يتحمل الوضع نار تاكل في قلبه وهو يتخيلها معه.

حاول قلبه الضغط من جديد فهتف أنس بحنق: «وبما سيفيد إن اعترفت يا غبي؟ هل تملك ما لديه؟ أو حتى نصف ما لديه؟ إن كنت تحبها بالفعل فالحب لا يعني الأنانية أبدا، الحب يعني المنح فماذا ستمنحها أنت؟! ستأخذ منها! ستأخذ دون مقابل.. خسئت يا ابن شلتوت».

أبعد مرام وسيرتها عن ذهنه وحاول أن يفكر في أمر آخر فلم يجد إلا ما حدث معه اليوم في العمل الذي هو هم آخر يورقه.

قبل ساعات

«ربما عليك إعادة فحص العينة يا دكتور أنس» قالتها مديرتة بلهجة ذات مغزى وأضافت: «افحصها من جديد أنا أكيدة من أنك ستغير رأيك».

أنزل أنس أنظاره عن اللوحة الكبيرة المعلقة على الحائط خلف مديرتة والمكتوب عليها (وَقُلْ اغْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) ورد ببرود وإصرار: «رأيي؟! وهل في هذه الأمور آراء يا رئيسة؟ هذه العينة غير مطابقة للمواصفات وأنا أكيد مما أقول ولست بحاجة لإعادة الفحص (وأشار على تقرير موجود أمامها على المكتب وأضاف) وهذا هو التقرير وموقع مني».

اكفهر وجهها وصرخت فيه: «مَنْ مِنَ الأساس أولى لك مهمة فحص عينة هذه الشركة؟ ألم يكن هذا الفحص من نصيب الدكتور رفيق؟».

قالتها وهي ترفع سماعة الهاتف، فقال أنس بابتسامة سمجة وهو يعلم أن رفيق ينسب له مهام الفحص التي يرغبون في تمريرها: «تم توزيع عمل رفيق حين غاب بسبب المرض وكان من نصيبي هذه الشركة».

ناظرته بنظرات نارية ووضعت السماعة بعصبية فقال بضيق: «التقرير عندك يا رئيسة اسمحي لي بالمغادرة».

قالها وخرج من مكتب المديرية يشعر بضيق شديد إنه شبه متأكد أن التقرير الخاص به سيمزق وأن الفحص سيسند لزميل آخر أكثر مرونة وتساهلا معهم، أمر تكرر في الفترة الأخيرة منذ أن عين مدير المصنع الحالي الذي تحاول مديرية قسم مراقبة الجودة محاباته وتوثيق صلاتها به بتمرير بعض الأدوية غير المطابقة للمواصفات طبقا لتوجيهاته كما تقول الشائعات.

ورغم أن الجميع يعلمون أن الدكتور أنس سالم مثل حد السيف ويتحاشون إسناد فحص العينات الخاصة بالشركات التي يريدون تمرير طلبياتها دون مشاكل له؛ لكنه لا يشعر بالراحة وأحيانا يشعر أن مرتبه ليس حلالا ينغص عليه حياته هذا الشعور منذ مدة منذ أن بدأ يشعر ببعض الألاعيب الخفية في الشركة؛ لكنه حائر هل ما يفعله كاف؟ أن يقدم تقريره عن جودة الأدوية بكل أمانة أهو كاف؟

زفر بقوة ينفذ هذا الأمر أيضا عن رأسه عندما صدر من هاتفه صوت رسالة جديدة فتحها ليجد تسجيلًا صوتيًا من زينة تسأله متى سيعود، ففرك رأسه بأصابعه بقوة يشحذ قوته للمواصلة قبل أن يتجمد في مكانه مرهفا السمع لثوان وقد خيل إليه أن باب شقة عمه في الطابق الأعلى قد فُتح، فنظر في ساعته والتقط نظارته الطبية منتفضا نحو الباب يواربه.

في الوقت نفسه الذي شب مراد بجذعه من فوق سور سلم الطابق الأعلى ثم خفف من صوت خطواته وهو ينزل ببطء

درجة درجة بخفة شديدة وهدفه المرور من أمام شقة أنس بنجاح دون أن يشعر به فلا يعلم إن كان قد عاد من عمله بعد أم لا.

خطوة على السلم وأخرى بعدها وثالثة.. ها هو يقترب من الفرار لكن باب شقة أنس فتح فجأة ليجد مراد نفسه في اللحظة التالية ملتصقا بالحائط وساعد ابن عمه يضغط على عنقه، رفع مراد يديه باستسلام ليقول أنس بلهجة شريرة: «لا تحسب نفسك حذقا ولا تتصور أنك ستفلت من يدي لأنك صرت في نفس طولي أنا أعلم أنك تتهرب مني».

قال مراد بتأتأة: «أنا أبدا إطلاقا».

سأله أنس: «متى سنبدأ أول حصة؟».

أسرع العاني بالقول: «أي وقت تريده».

سأله الأول متفحفا: «إلى أين أنت ذاهب الآن؟».

تلجلج مراد قائلا: «ل.. ل..».

وصمت يفكر فقال أنس يقلده: «ل..لاين؟ انطق».

«سأشتري شيئا لمرام».

قالها مراد فضيق أنس عينيه مغمغما: «مرام.. متأكد؟!».

اعترف مراد قائلا: «بصراحة سأقابل أصحابي ثم أشتري شيئا طلبته مني مرام».

ترك أنس رقبتة وقال بلهجة صارمة: «غدا بعد أن أعود من

العمل سنبدأ أول حصة قبل أن أذهب للصيدلية مساءً».

غمغم مراد باعتراض: «لكن هذا سيكون وقت الغداء».

رد أنس باستخفاف: «الغداء.. العشاء.. لا يهمني.. هذا الوقت هو موعد الحصة ولا تخاف على بطنك ستأكل ثم تذاكر (واستدرك قائلاً) لا.. ستذاكر وبناء على تجاوبك معي ستأكل».

اتسعت عينا مراد بذهول ليضيف أنس مؤيداً لما يدور في رأس الثاني: «أجل.. سأعذبك من أجل المذاكرة، غدا سنبدأ بإذن الله وأعدك إن تعاونت معي سنصبح أصحاباً ونقضي وقتاً مسلياً».

غمغم مراد بقرف: «كيف يكون الوقت مسلياً مع المذاكرة؟».

«هل تقول شيئاً» قالها أنس وهو يعود لوضع ساعده على رقبة مراد بتهديد فأسرع الأخير بالقول: «لا.. لا».

قال أنس بلهجة محذرة وهو يمسك بتلابيبه: «اسمعي.. ستتصنع الغباء سأريك النجوم وقت الظهيرة، خاصة أنني هذه الأيام في حالة نفسية توحى لي بأفكار سادية سأنفذها كلها فيك (وهزه يسأله) سنتعاون؟».

هز مراد رأسه موافقاً وتطلع حوله قائلاً: «اتركني أرجوك فلا يصح أن يراني أحد الجيران بهذا الشكل».

تركه أنس ثم غمغم وهو يعدل له ياقة القميص: «لا تقلق فكما تعلم الأستاذ ملاك مسافر ولا يأتي لشقته كثيراً».

قالها يقصد الشقة المقابلة لشقته ثم أضاف وهو ينفذ له غبارا وهميا على كتفه: «لكن ما عليك القلق عليه هو مظهرك أمام فتيات البناية.. فاتق شري».

بلع مراد ريقه ثم هز رأسه موافقا فعدل أنس من وضع نضارته الطبية ثم وضع يديه في جيبه بنطاله وهو يرسم على وجهه ابتسامة صفراء، بينما تحرك مراد يواصل النزول مهرولا وصوت برطمته كان يصل لأنس واضحا.

في المساء

قال عصام لوالده بانفعال هامس: «لا بد أن نعرف من هي يا أبي.. أمر غير منطقي أن نستضيفها في بيتنا كل هذا الوقت ولا نعرف شيئا عن خلفيتها».

رد عارف من وقفته مع ولده البكري في شرفة شقته: «ما بك اليوم يا عصام تتحدث في هذا الموضوع كثيرا؟! من يستضيفها يومين دون أن يعرف من هي يستضيفها شهور».

كان عصام مرتبكا يريزح تحت مشاعر كثيرة لا يعرف كيف يتعامل معها والخوف من التورط في شيء مجهول يشعره بالرعب مما هو مقبل عليه، إن الأمر أشبه بهالة مسحورة تخطفه نحوها خطفا لكنه خائف من أن يضيع فيها ويتحطم قلبه، عليه أن يعترف أن حالته ليست مجرد إعجاب ولا تشبه تجربته الأولى في الشعور بمشاعر خاصة تجاه فتاة ما، إنه مصاب بحالة استثنائية تدغدغ أعصابه.. تصيبه

بدفقات مفاجئة من الفرح أو التوتر أو الحزن وإن صدم سيتأذى كثيرا، هذا بخلاف الأفكار التي تؤرقه عمن تكون.. وما قصتها؟ ولماذا تصر على هذه الهالة من الغموض حولها فأجاب والده متصنعا الهدوء: «أنا قلق من..».

لم يجد ما يقوله أمام نظرات والده المتفحصة فاستغل الفرصة وانقض على مرام التي دخلت للشرفة ممسكا بذراعها وهو يقول بخفوت: «هل عرفت أي شيء عن صاحبك؟ كيف تكونين صديقتها ولا تعرفي عنها شيئا؟!».

تفاجأت مرام بانفعاله الغريب وبيده التي تطبق على ذراعها، فنظرت خلفها لتتأكد من اندماج نييلي فيما تفعل ثم تبادلت النظرات المندهشة مع والدها وأجابت: «هي أخبرتني أكثر من مرة أنها لا تريد أن تتحدث ويبدو أنها متألمة فأصعب شيء أن يتحدث الإنسان بما يؤلمه».

حدجها عصام بغیظ فأضافت وهي تدلك ذراعها بعد أن تركه: «لكنها وعدتني أن تحكي لي كل شيء بعد أن تحل مشاكلها».

قال عصام بقلة صبر: «مشاكلها هذه هي ما يجب أن نعرفها».

ردت بعقّة: «صدقني ستكون القصة عمها وابن عمها أو خالها وابن خالها أو شيء كهذا».

شرست ملامحه فأسرعت تقول لوالدها: «سأهرب أنا من أمامه قبل أن يمارس علي حالة الجنون التي تسيطر عليه

في هذه اللحظة (وتحركت مبرطمة) والله أنسيتني ماذا كنت أريد».

تناظر عصام مع والده ثم زفر بغیظ وتحرك هو الآخر تاركا الشرفة.

حين مرت مرام على نیللي المنكبة منذ مدة في تعليم زينة اللعبة التي أحضرتها لها الدكتور سها، أسرع زينة بالقول بسعادة جمّة: «انظري مرّامي على هذه الإسورة التي صنعتها نیللي».

مطت الأخيرة شفّتها وردت بامتعاظ واضح: «جميل».

رفعت نیللي إليها عينيها مدققة لثوان ثم قالت لزينة وهي تساعدّها على ارتداء الإسورة في معصمها: «يا لروعتها في معصمك زوز».

هرولت الأخيرة نحو الشرفة تقول بفرحة: «جدي.. جدي انظر لهذه الإسورة، نیللي صنعتها لي».

فابتسم عارف ومال يطبع قبلة على رأسها.

كانت اللعبة عبارة عن حلقات مطاطية صغيرة ومتعددة الألوان يتم تضيّفها معا عن طريق آلة بلاستيكية لتغزل أكثر من شكل، خرجت زينة من الشرفة واتجهت نحو عصام ومراد الجالسين في الركن البعيد من الصالة تقول: «انظريا عصام».

ابتسم الأخير ودقق في تناسب الألوان بين حلقات الإسورة

المختلفة، بينما اتجهت زينة إلى مراد تربه إياها، فهز لها الأخير رأسه دون اهتمام ثم أشاح بيده حتى تبتعد عنه وهو يتطلع في هاتفه.

مطت زينة شفيتها ثم قالت بقرف: «أتعلم أنا المخطئة أنني أريتك إياها من الأساس».

أشاح بيده مرة أخرى دون أن يرفع أنظاره عن الهاتف فغمغمت: «فظ»

أبعد الهاتف عن عينيه هاتفًا: «ماذا تقولين أيتها القزمة؟!».
أشاحت له بيدها باستهانة وابتعدت فصرخ الأخير شاعرا بالإهانة: «اتقي شري يا زينة».

تدخل عصام يقول لأخيه بتوبيخ: «تعقل أيها الناضج».

هتف مراد بغیظ: «ألا ترى قلة الأدب!».

أدارت زينة رأسها إليه تناظره من رأسه حتى أخمص قدميه فصاح مراد: «انظر».

لتسرع الأخيرة بإخراج لسانها له بإغظة واستدارت لتجد مرام تقف متحصرة تتطلع في ربيبتها بنظرة ناهرة، فتدخلت روح تقول: «تعالى يا زينة أريني الإسورة».

اقتربت الأخيرة من جدتها الجالسة كالعادة على الأريكة التي تواجه التلفاز بينما سألت نيللي مرام: «لماذا لا تستسيغين هذه الهدية؟».

عادت الأخيرة تتطلع في الحلقات المطاطية الملونة وقالت بامتعاض: «لا أحب ما تفعله النساء حول أنس كل واحدة فيهن تحوم حوله، وحين لا تجد له مدخلا تحاول اختراقه عن طريق زينة بصراحة طريقة مكشوفة جدا، وواضح أنها تحاول التودد إليه (ثم أشاحت بيدها وتحركت وهي تقول) علي أن أنظف الأواني المتسخة في الحوض».

لم تستطع نيللي كبج فضولها وأسرعت بالتقاط عكازها والذهاب خلفها إلى المطبخ لتسألها: «وما المشكلة في أن تحاول الفتيات لفت نظر أنس؟».

ردت الأخيرة وهي تهز كتفيها بلا مبالاة: «لا شيء لكنه يرفض الارتباط مرة أخرى».

قالت نيللي مجادلة: «لكن عليه أن يتخلى عن هذا القرار يا مرام، هل تفضلين أن يبقى عازبا طوال عمره؟».

رفعت الأخيرة أنظارها عما تفعله في حوض المطبخ وشردت في الفراغ قائلة: «بالطبع لا.. أتمنى أن يتزوج بامرأة استثنائية تعوضه عن كل لحظة ألم واحتياج وحرمان مر بها وأن تعمر له بيته وتكون له السكن والحضن الدافئ».

هرشت نيللي في رأسها بحيرة ثم سألتها: «وماذا تعرفين عن هذه الصيدلانية؟».

أدارت لها مرام وجهها تناظرها من فوق كتفها قائلة: «سها؟ إنها ابنة الدكتور فياض صاحب الصيدلية التي يعمل بها أنس مطلقة وهي ووالدها أناس طيبون».

قالت نيللي مجادلة: «إذن هي مناسبة للدكتور أنس خاصة أنها تحاول التودد لزيينة».

مطت الأخيرة شففتيها تهز رأسها بالموافقة وقالت وهي تعود لما كانت تفعل: «ليكتب الله له كل الخير».

عادت نيللي تسألها بمزيد من الفضول: «أ تعتقدين أنه لن يستطيع أن يتقدم لفتاة لم يسبق لها الزواج لأنه سبق له الزواج ولديه طفلة؟».

استدارت إليها مرام تتخير بيديها المليئتين بالصابون وهي تقول بحمائية واستنكار: «ومن هذه التي قد تجرؤ على رفض الدكتور أنس إن شاء الله؟!».

رمشت نيللي بعينيها عدة مرات وقد زادت حيرتها ليأتيهما صراخ زينة المعارض من الصالة: «لا.. يا جدتي لا».

تركت نيللي المطبخ عائدة إلى الصالة ولحققتها مرام، حينما زاد صراخ زينة ليجدا روح التي قد لبست الإسورة الملونة في معصمها تقول بعبوس: «قلت لك ستصنع لك (ليلي) واحدة».

بكت الصغيرة ونظرت لمرام مستغيثة ثم أسرع نحو عارف الذي خرج من الشرفة تقول: «أخذت مني إسورتي يا جدي».

تطلعت نيللي في عصام الذي يراقب المشهد من جلسته البعيدة وهو يكتم الضحك ثم عادت بأنظارها لروح تقول

مقترحة: «لماذا لا تعطيهما الإِسورة يا حَاجة رُوح وأنا سأصنع لك واحدة».

صاحت الأخيرة بتوبيخ: «ما لك أنت ماذا أفعل في بيت ابني لماذا تتدخلين؟!».

بلعت نيللي لسانها بينما تدخل عارف يقول: «يا أُمي اعطها الإِسورة وسنصنع لك واحدة».

أدارت له وجهها تقول بتوبيخ: «أنت بالفعل قليل الأدب.. هذا بدلا من أن تنهر عقلة الإصبع هذه وتخبرها أن تحترم جدتها».

أغمض عارف عينيه يتماسك بينما التزم عصام بالمراقبة الصامتة يمنع نفسه من الضحك، فاقترب مراد يقول لجدته بلهجة متهكمة: «ما دامت كعقلة إصبع لماذا لا تراعين ذلك وأنت قد تعديت السبعين من العمر».

حدجته مرام بتوبيخ بينما قال عارف ناهرا: «مراد».

صاحت روح في حفيدها: «أنت أيضا قليل الأدب والتربية (وأدارت وجهها لابنها تقول) إن كنت لا تعرف كيف تعلم أبناءك الأدب فسأغادر هذا البيت فورا».

اتسعت العيون حولها متفاجئين بهذا التهديد الذي لم تستخدمه من قبل، ثم اقترب منها عارف يسألها بحاجبين معقودين: «إلى أين ستذهبين يا أُمي؟».

أجابت بقرف: «سأذهب لبيتي».

رد مراد بسرعة: «بيتك تم بيعه منذ سنوات يا جدتي».

غمغمت بعصبية: «سأذهب لبيت ابني سالم هو أولى باستضافتي فهو ابني الأكبر».

تخسرت زينة تقول: «إن كنت تقصدين شقتنا في الدور السادس فأنا بعدما أخذت مني الإسورة لا أوافق».

أمسكتها مرام من ذراعها تسحبها بعيدا وهي تقول بتوبيخ: «عيب يا زينة تأدبي مع جدتك».

استقام عصام واقفا ليتدخل في الأمر الذي أخذ مساحة أكبر من اللازم فاقترب يقول بهدوء: «كيف ستركيننا يا جدتي؟».

تفرغرت عيناها بالدموع وهي تتطلع فيه ثم أجهشت بالبكاء في اللحظة التالية وسط زهول الواقفين، فأسرع عصام بضمها إلى حضنه يقول مهدئا: «لا بأس لا تحزني».

قالت روح بحرقة: «كل هذا لأنني لا أملك بيتا».

قال عارف بانفعال يداري تأثره: «لماذا هذا الكلام يا أمي؟! ماذا حدث لكل هذا لا أفهم؟!».

غمز له عصام أن يتركه ليتعامل مع الموقف ثم قال لها وهو يشدد من حضنها: «هذا بيتك يا جدتي ونحن عندك ضيوف احتفظي بالإسورة وسنصنع لك واحدة أخرى ليكون معك اثنتين».

عبست زينة وهمت بالاعتراض فسحبته مرام بعيدا وقالت

لها هامة: «سنصنع لك واحدة أحلى منها».

تدخلت نيللي تضيف لزينة بهمس هي الأخرى: «أنا كنت أجرب صنعها لكني سأصنع لك أفضل منها.. تعالي لتساعديني هذه المرة في اختيار ألوانك المفضلة».

رافقتها زينة وهي تعود لتجلس على الأريكة وبدأت تختار من الحلقات المطاطية ألوانها المفضلة، بينما راقبت نيللي الوضع.. عارف ترك المكان وعاد للشرفة بضيق، ومرام اقتربت تساعد عصام في مواسة جدتها، بينما لوى مراد شفتيه وابتعد تاركا لعصام مهمة السيطرة على الوضع؛ لكن نيللي أحست بتأثره هو الآخر.

راقبت عصام وهو يتطلع بنظرات حانية في وجه جدته التي تقول بمسكنة: «أكل هذا من أجل إسورة!».

لعم يديها ثم قبل رأسها وأعادها إلى حضنه فاشتعلت وجنتا نيللي وهي تدقق في ذراعيه حول جدته، وتسأل الدفء إلى عروقه ليشملها من رأسها حتى أخمص قدميها فأسرعت بدفن وجهها فيما تعمل مع زينة ومنعت نفسها من العودة للنظر إليه وقد أصابها اختلال غريب في نبض القلب.

ضرب مهدي شرف الدين إحدى منافض السجائر الخزفية في الحائط بعصبية فكشرت ملامح طارق الذي يقف قبالة في غرفة مكتب والده في البيت ليقول الأول من بين أسنانه بغیظ: «أين من الممكن أن تكون قد ذهبت؟».

رد طارق بقلق: «أخشى أن يكون قد أصابها شيء».

قال مهدي بعصبية: «المهم أن نجدها لا يهمني ماذا أصابها، الشركة تغرق وأنا غير قادر على التصرف دون توقيعها الرسمي علينا بإيجادها بسرعة وليتها تكون جثة هامدة».

كان الجنون يتطاير من عينيه كالشظايا المشتعلة فتأمله طارق متألما من القسوة التي تلازمه كظله ليصيح فيه مهدي: «لماذا أنت صامت؟».

تكلم طارق بانفعال: «وبم أرد وماذا أفعل يا أبي؟ لقد بحثنا عنها في كل مكان ولم نجد إلا سيارتها بالقرب من شقة العم جودت عابدين الذي هو خارج البلاد حاليا وليس هناك أي أثر لها ماذا أفعل أكثر من ذلك؟».

قال مهدي باستخفاف: «ماذا تفعل؟ صدقت ماذا تفعل أنت في الحياة ها؟ بم أستفيد منك أخبرني؟».

أغمض طارق عينيه يتحكم في أعصابه متوقعا بدء وصلة تقرير لا يمر لقاء بينه وبين والده إلا ويسمعها وقد زادت حديثها منذ اختفاء نيللي، بينما أكمل مهدي ثورته قائلا كلاما مكررا اسمعه لابنه البكري مئات المرات: «فشلت في أن تدرس الصيدلة.. وفشلت في امتلاك قلب بنت عمك وأبوها.. والآن فاشل في إيجادها والشركة تغرق وشقاء عمري كله يضيع وأنا غير قادر على فعل شيء بسبب غياب بنت باهي».

ظل طارق صامتا وداخله يموج بانفعالات كثيرة تضغط

عليه بشدة؛ لكنه كالعادة غير قادر على التفوه بها.. غير قادر على التعبير عن رفضه وكرهه لكل ما يخص الشركة والعائلة.

دخلت من باب غرفة المكتب امرأة خمسينية قصيرة وبدينة تحمل ملامح متلازمة داون وقالت وعيناها تدوران بقلق بينهما: «ماذا حدث مهدي؟».

ناظرها الأخير بنظرة خاوية ثم قال متصنعا الهدوء: «لا شيء يا نورية.. لا شيء».

قالها وهو يتشاغل بترتيب الأوراق على سطح مكتبه، بينما اقترب طارق منها يحيط كتفها بذراعه قائلا بلهجة حانية: «لماذا تركت سريرك؟ تعالي لأعيدك إليه يا أمي».

تمتت بلهجة رتيبة: «أنت من أحزنت مهدي.. أنت من أحزنت مهدي وسيذهب للبيت الثاني بسببك».

كررتها مرتين وهي تنهت فقال بهدوء: «لم أحزنه يا أمي تعالي لأعيدك إلى سريرك».

أطاعته وتحركت معه خارج الغرفة وهي تسأله: «هل وجدت نيللي؟».

رد عليها بالنفي فقالت: «ربما تاهت وتبحث الآن عن أحد ليعيدها للبيت أنا أذكر حينما تهت في ذلك المركز التجاري كنت خائفة».

ابتسم طارق لبراءتها ومال يطبع قبلة خاطفة على رأس أمه التي منحته الحياة.. وبلع غصة مرة وهو يعد اللحظات

حتى يغادر والده البيت الذي لا يزوره إلا كل بضعة أيام، موليا كل وقته واهتمامه لزوجته الثانية وأولاده زوجته الثانية التي لم يجرؤ على الزواج منها إلا بعد أن توفي جده والد أمه فلم يجد من يقف أمامه حتى هو الذي كان وقتها في السابعة عشرة من عمره لم يستطع إلا أن يصمت كعادته.

أما مهدي فكان لا يزال يتفتت من الغضب إن كل شيء حوله يوشك على الانهيار وهو في حالة شلل تام غير قادر على إنقاذ الشركة التي أفنى عمره فيها كل هذا بسبب غباء أخيه وابنته أخيه، الذي يظل حتى بعد موته شوكة في حلقه تنغص عليه حياته لقد خلق باهي ليحيل حياته جحيما منذ أن ولد طفلا ذكيا بشكل لافت لنظر كل من حوله وحصل على كل الثناء والانتباه والتمجيد، خاصة وهو يتفوق دراسيا عاما بعد عام ولم ينل هو إلا المقارنة والتقريع والتجريح من الجميع لقد حاول مرارا وتكرارا أن يخطو خطوات باهي حاول أن يبذل مجهودا مضاعفا حتى يحصل على درجات خرافية كالتي يحصل عليها هذا المحظوظ أخوه الأكبر منه بعامين؛ لكنه فشل عذب نفسه في الثانوية العامة خاصة في عدم وجود المال كي يحصل على دروس خصوصية أو مجموعات تقوية لكنه وبعد عام كامل من العذاب والحرمان من كل شيء لم يحصل على المجموع الذي يؤهله للالتحاق بكلية الصيدلة كي يتباهى به الجميع مثلما فعلوا مع أخيه، الوحيد الذي دخل كلية من كليات القمة على مدى سنوات طويلة من عمر القرية.

لن ينسى أبدا كلمات التهكم والتقريع والتحقير ممن حوله حينما لم يستطع التفوق مثل أخيه أخوه الذي كرهه رغم أنه لم يشاركهم في إيذائه؛ لكنه أذاه بشكل آخر أذاه بتجاهله له أذاه بانشغاله الدائم في دراسته وحياته أذاه حينما لم يعر له اهتماما ولم يشعر بأي خطر منه وكأنه متيقن من أنه لا يرقى لمنافسته.

تذكر مهدي كيف التحق بكلية العلوم وكيف حاول محاولات مستميتة للحصول بعد التخرج على فرصة عمل بالخارج مثل أخيه باهي؛ لكنه فشل.. فشل ككل مرة يحاول فيها منافسته، باهي هو السبب في كل ما مر به في حياته من مصاعب وهو السبب الذي جعله يقبل بالزواج من نورية صاحبة متلازمة داون ووحيدة عائلتها الثرية كي يحقق لنفسه الأمان المادي بهذه الزيجة التي أخذت من عمره ثمانية عشرة عاما غير قادر على الزواج بغيرها والتمتع بزوجة عادية وأولاد كثير، ليتفوق بهم على باهي ضعيف الإنجاب حتى توفي والدا نورية وتمكن من تحقيق ما يريد.

وفي المرات القليلة التي شعر بها بالتفوق على أخيه لم يمنحه الآخر الوقت للتمتع بهذا التفوق فحينما أحس أنه أكثر ثراء من باهي الذي كان يملك صيدلية يعيش من دخلها فاجأه الثاني حينما باعها وأسس شركة أدوية بالمشاركة مع زوجته وشركاء آخرون فلم يجد هو بدا من أن يشتري حصة في هذه الشركة حتى يتقاسم معه ما سيحصل عليه منها، وحينما شعر أنه متفوق في إنجاب ولد ذكر هو طارق ابنه

الوحيد من ثورية بينما أخوه لم يستطع إلا أن ينجب فتاة واحدة أفسد باهي له كل مخططاته في أن يتزوج طارق من نيللي برفضه الصريح لهذه الزيجة، وها هو طارق الفاشل خائب الرجاء لا يساعده في مخططاته.

ماذا يفعل في هذه المصيبة التي حلت فوق رأسه؟ لقد استعد لبيع الصفقة بأرباح خيالية ستعوض الوضع المادي الذي يعانيه من نقص في السيولة منذ فترة؛ لكن نيللي الغبية اكتشفت كل شيء بسبب ذلك التقرير السخيف من الشركة المصنعة للأدوية، المشكلة أن الشركة في حالة شلل وهو غير قادر على فعل شيء المخرج من هذه الورطة ليس له إلا طريقين إما أن يجدها ويجبرها على التوقيع بأي طريقة، أو أن يموت موتها ويرث حصتها وهذا هو الحل الأقرب إلى قلبه، الذي إن حدث ستضحك له الدنيا وستحل جميع مشاكله في الحياة وينعم أخيرا بحياة ليس فيها منافسه اللدود بعد أن يرثه هو وابنته.

ربت عارف على كتف عصام ذي الابتسامة الواسعة يهنئه فخرجت مرام بعد أن انتهت من الرد على مكالمة من أسعد تسأل: «ما الأمر؟».

رد عصام وهو لا يزال يمسك باللاب توب الخاص به: «لقد وافقت إحدى الكاتبات الشهيرات على غلاف صممته لإحدى رواياتها».

ابتسمت مرام واقتربت لترى الغلاف الذي صممه وقالت بإعجاب: «ألف مبروك إن شاء الله سيذيع صيتك عند أكثر من دار نشر».

كاد الفضول أن يقتل نيللي لترى أي تصميم من تصاميمه؛ لكنه كما تصفه دائما (قليل الذوق) لم يعرض عليها ولو مرة واحدة ولو على سبيل المجاملة، فظلت تتطلع فيه وهو مبتسم ابتسامة زادت من وسامته وزادت من غيظها، خاصة حينما سمعت كلمة (كاتبة) بالتاء المربوطة وسمعته يخبر مرام: «إنها كاتبة لروايات إلكترونية».

استطالت مرام وطبعت قبلة على وجنته وهي تقول: «مبارك يا حبيبي».

التقت عيناه بعيني نيللي وهم أن يريها التصميم وهو يشعر بالفخر لكنها أسرعت بالنظر في الإسورة الخاصة بزيئة، التي أوشكت على الانتهاء منها فارتبك ولم يعرف كيف يبادر لينقذه مراد حينما اقترب يتطلع في الغلاف بفضول ثم هز رأسه وقال: «جميل (ونظر لنيللي يقول وهو يحمل من يده اللاب توب) انظري يا نيللي».

رفعت الأخيرة رأسها تتصنع عدم الانتباه لما كان يحدث ليميل عليها مراد باللاب توب فراقب عصام تعابير وجهها باهتمام، تأملت نيللي التصميم ثم رفعت رأسها تنظر لعصام وغمغمت: «أحبته ناعم وبه غموض يناسب العنوان».

دغدغت السعادة قلبه خاصة حينما أضافت: «والألوان

أحببت تناسق الألوان جدا».

قالتها نيللي بصدق وهي تعود لتتأمل التصميم من جديد فأبعد مراد اللاب توب من أمامها وعاد به لعصام وهو يقول بمشاكسه: «معجبوك يزدادون يا عم عصام».

ابتسم له الأخير ابتسامة صفراء وهو يأخذ منه اللاب توب بينما تدخلت مرام: «إن عصام له تصاميم ملفتة جدا لكني لا أعلم لماذا يلزمه النحس».

غمغمت نيللي بلهجة ذات مغزى: «أنا لم أر كل تصاميمه لكن هذا أحببته».

أسرع عصام بالقول وكلاهما ينتهز الفرصة كي يقترب أكثر من الثاني: «من الممكن أن أريك إياها (وأضاف ببطء) إن كنت مهتمة».

تحكمت نيللي في تعابير وجهها وردت بملامح حاولت أن تكون عادية رغم أنها كانت ترقص في خيالها رقصة (فتيات التشجيع): «آه طبعاً يسعدني ذلك».

انتهت من تضيف أسورتين لزينة وواحدة لروح التي لبستها بسعادة بجوار الأخرى في معصمها، فجلست زينة بجوارها بعد أن تصالحتا بينما نظرت نيللي لعصام الذي وقف حائراً وجهازه بين يديه ثم قال وهو يقترب منها: «سأتركه لك وأقوم ببعض الاتصالات».

أخذت منه الجهاز تستشعر ارتباكاً داخلياً عند اقترابه

ومستقبلاتها الحسية تستقبل ذبذبات كهربية تصدر منه ولم يكن الحال مختلفا مع عصام الذي أسرع بالعودة لمكانه في الركن البعيد من الصالة.

شاركت مرام نيللي في المشاهدة بينما ظل الأخير يختلس النظرات بين الدقيقة والأخرى ليقراً ملامحها ومشاعر طفولية تسيطر عليه راغبا في أن يكون رائعا أمامها.. أما نيللي فتصفحت التصاميم وأحبت غالبيتها تأملتها بعين الباحث عن روح الفنان فيها تأملتها تبحث عن عصام عن هويته، ورغم كونها غير متخصصة لكنها استشعرت روحه تملأ كل تصميم روح غنية بالتفاصيل والألوان والجرأة التي تخفي في طياتها شاعرية حاملة.

قطعت مرام عليها إبحارها في الصور حين قالت بلهجة متعاطفة: «إن شاء الله موفق يا عصام في المقابلة الشخصية غدا وستلتحق بالوظيفة بإذن الله».

رفعت نيللي رأسها تسأل: «هل لديه مقابلة عمل؟».

هزت مرام رأسها وأضافت: «ادعي معنا أن يفك الله النحس الذي يلاحقه أنا مستبشرة بك خير يا نيللي.. ووجهك وجه سعد علينا».

أحست نيللي بالحرص من كلامها وغمغمت: «ليكتب الله له ما فيه الخير».

غمغم عصام: «المهم ألا يكون هناك أسئلة تعجيزية».

مطت مرام شفيتها وردت: «آه والله صدقت.. أذكر بعض الأسئلة التعجيزية حين كنت أقوم بالمقابلات الشخصية ذات مرة سألني أحدهم كيف أصنع مثلًا على الورقة برسم خط مستقيم واحد».

رفعت نيللي حاجبيها ليقول لها عصام: «ليتهم يسألونني هذا السؤال».

غمغمت مرام وهي تتناول اللاب توب كي تعيده له: «أذكر أنك قد أخبرتني بالحل بعد المقابلة لكنني نسيت».

لاح الاهتمام على وجه مراد فرفع رأسه عن هاتفه وسأل: «وهل يمكن ذلك؟».

طالعه عصام بنظرات مأكرة فاستدارت مرام نحو نيللي وكأنها تسألها إن كانت تعرف الإجابة فهزت الأخيرة كتفيتها، ثم التقطت عكازها واستقامت منتهزة الفرصة لتقترب منهم، قال مراد باهتمام: «أخبرني كيف ذلك؟ كيف أصنع مثلًا على الورقة من خط واحد مستقيم».

رد عصام ببساطة: «اذهب إلى أي زاوية من زوايا الورقة وارسم خطًا مائلًا لتكوّن المثلث يا ذكي».

فغر مراد فاهه بينما نظرت مرام لنيللي وابتسمتا لتسأله الأخيرة باهتمام: «وما هو آخر سؤال تعجيزي سئلته».

أجلى عصام صوته ورد: «لو كنت حيوانًا ماذا سأكون؟».

قهقه مراد وشاركته مرام ونيللي لتقول الأخيرة: «دعني

أخبرك ببعض المعلومات التي درستها في دورة تخص الموارد البشرية».

رفع حاجبا فأضافت دون أن تترك له مجالا للرد: «هذا النوع من الأسئلة ليس الغرض منه أن تجيب بإجابة صحيحة».

سألها عابسا: «ماذا تعنين؟».

ردت موضحة: «أعني ما قلته.. ليس المطلوب منك الإجابة الصحيحة لكن من يسأله يريد أن يقيس قدرتك على التحليل المنطقي وذكائك في الرد».

ناظرها باهتمام فأكملت موضحة: «السؤال السابق ليس له إجابة صحيحة أو خاطئة.. الأمر كله أنه يحاول قراءة عقلك ومعرفة مدى ابتكارك وإبداعك في الإجابة على السؤال، وأعتقد أن الإبداع جزء مهم من صميم عملك».

رغم تفهمه لما أوضحت أنه قال مجادلا: «لكن هذا الرجل كان يتعمد استفزازي وإهانتني خاصة حينما علم أنني سائق».

«ولماذا أخبرته؟».

سألته نيللي فأجاب مجادلا: «ولماذا أكذب؟».

ردت ببساطة: «أنت لا تكذب لكنك تتجمل، هناك فرق خاصة أن العمل الذي تقوم به ليس مشينا ولن يؤثر على وظيفتك التي تتقدم لها بأي شيء إن تم اكتشافه، هو مجرد معلومة لو حذفها لن تؤثر على مصداقيتك في شيء فلماذا لا تحذف المعلومة مادام من أمامك يحكم عليك بسطحية؟».

تأملها وجالت عيناه على ملامحها بينما أضافت نيللي: «أمر جيد أن تعتز بالعمل الحلال وأن ترفض أن تكون عاطلا عن العمل؛ لكن لا تتطرف في الأمر لأن التطرف في حد ذاته قد يوحى بشعور ما بالنقص ولا أعتقد أنك بهذه الشخصية».

اعترف لنفسه أنها محقة وأسعده نظرتها إليه لكنه سألها: «وكيف أجيب بشأن السنوات التي مرت دون وظيفة محددة».

حركت مقلتيها اللامعتين هنا وهناك تفكر ثم قالت وهي تهز كتفيها: «أخبره أنك كنت تعمل بشكل حر أو أن الأسرة لها أملاك وكنت تتابع شؤونها أي إجابة غير محددة».

أطرق برأسه لبرهة ثم رفعها يقول شاردا: «بصراحة لقد أصبح عندي تحفز ضد كل من يقوم بالمقابلات الشخصية».

تدخلت مرام تقول: «لا أفهم لماذا يتعمدون وضع الناس في مواقف صعبة؟ لماذا لا يختارون من يرغبون في توظيفه بلطف؟».

أجابتها نيللي بخبرتها في مجال الأعمال: «هو لا يريد سوى الأفضل بالنسبة لشركته، أنت إن قررت أن تختاري من يساعدك في إعداد أي شيء ستختارين الأمهر والأفضل ومن يملك المهارة اللازمة لتنفيذ المهام التي سترغبين في أن ينجزها».

شردت مرام في الفكرة التي تأكل رأسها منذ ليلة أمس وحاولت ترتيب أفكارها، بينما تدخل مراد قائلا باستهجان:

«ولم كل هذا العذاب؟ يختبرني ويضغط عليّ ويعذبني من أجل وظيفة؟!».

تدخل عصام قائلاً: «المنافسة موجودة في كل مجال يا مراد حتى لو كنت أنت رب عملك فلك منافسون وستشعر بالضغط أيضاً وإن كان من نوع آخر لا يوجد شخص مهما علا أو تحرر خارج المنافسة».

أكملت نيللي على ما يقوله عصام موجهة حديثها لمراد: «هذا صحيح لو عندك قناة على اليوتيوب مثلاً ستجد نفسك في منافسة مع من يقدمون نفس المحتوى.. وستشعر بالضغط من بعض المتابعين لأسباب متعددة كما أنك في المرات الأولى سينتابك ذات الشعور بالقلق (هل سيقبلون بي؟ هل سيجدونني مميزاً ويتابعونني؟)».

صمت مراد ولم يعقب وعاد يدفن أنظاره في هاتفه فقال عصام لنيللي مجادلاً: «لكن لا تنكري أن هناك من يتلذذ في تعذيب المتقدم للوظيفة».

هزت رأسها وردت مؤيدة: «لا أنكر هذا لكن بشكل عام لا بد أن تتفهم طريقة تفكير من يجري أي مقابلة وعما يبحث بالضبط وكيف أنه يضع المتقدم تحت اختبارات ذهنية ونفسية ليختار بعدها الأنسب».

رن هاتف مراد فتطلعت فيه ثم توردت وقالت وهي تبتعد: «سأعود بعد قليل».

عبس عصام ولحقها بصوته قائلاً بعد أن بحث بأنظاره عن

والده الذي اختفى بالداخل: «الوقت قد تأخر يا مرام أخبريه أن الاتصال له أوقات معينة».

هزت الأخيرة رأسها واختفت في الممر ثم ساد الصمت بعدها بين نيللي وعصام وكل منهما ينتظر الآخر ليقول شيئاً. بعد برهة فتحا فميهما في التوقيت نفسه لقول شيء ما ثم صمتا بارتباك ليقول عصام: «ماذا كنت تقولين؟».

اشتعلت وجنتاها وغمغمت بوجه جاد يناقض الفوضى التي تحدث بداخلها: «تفضل أنت».

قال عصام بهدوء: «أريد أن أسمعك».

ازداد اشتعال الوجنتين خاصة مع الطريقة التي نطق بها العبارة وهو يناظرها بنظراته القوية التي تشعرها بأنها توشك على أن تخرقها، وتجاهلت ما وصفته بـ(مشاعر مراهقة متأخرة) تعاني منها ثم أجلت صوتها تسأله: «هل لديك مقابلة غدا؟».

هز رأسه بالإيجاب وأحست بتوتره فاندفعت تقول: «لا أعتقد أن الأسئلة الغريبة فقط هي ما تصيبك بعدم التوفيق».

غمغم بضيق وقد بدأ يشعر بخدش في كبريائه أمامها أن يحدثها عن إخفاقاته: «لا أعرف (ثم غمغم بتلقائية) لم أنت واقفة أليس هذا يضر بساقلك؟».

استسلمت نيللي لألم ساقها ورفعت عنها الحرج وجلست أمامه على المقعد المقابل له في الوقت نفسه الذي تملل

مراد في جلسته وقد أصابه ذلك الشعور بعدم الراحة الذي ينتابه كلما اتصل هذا الأسعد بمرام، خاصة أنه يتصل كثيرا فاستقام واقفاً وقد هاجمه جوع مفاجئ وتحرك قائلاً: «مرام هل بقي شيء من طعام العشاء؟ مراراً!!!».

خيم الصمت من جديد وفكرت نيللي في أن تترك المكان هي الأخرى لتنضم لروح الفؤاد وزينة اللتين تتبععان فيلما للرسوم المتحركة؛ لكن عصام أنقذها حين أجاب على سؤالها السابق: «المشكلة لا تكمن في ذلك السؤال المستفز فحسب، هناك أمور أخرى تستفزني، منها أنني لا أحمل شهادات من جهات يعتبرونها معتمدة تخص إتقاني لبعض البرامج الخاصة بالتصاميم، لقد علمت نفسي بنفسي واثقنتها لأن الالتحاق بهذه الدورات مكلف جداً.. ولا أحد منهم يفكر بتجربة مهاراتي بدلا من السؤال عن الشهادات المعتمدة».

صمت نيللي لبرهة تفكر وهو يتأمل تعابيرها ثم قالت: «إذن عليك أن تقنعه في خلال عدة ثوان أنك متمكن من أدوات هذا البرنامج حتى لو لم تكن تملك شهادة معتمدة فيه».

«وهل هذا سيقنعهم؟».

ردت بعبوس وهي تعقد حاجبيها الجميلين أمام عينيه: «عصام عليك أن تتحلى بالمرونة.. كيف تكون فنانا ولا تتحلى بها؟».

عبس بدوره وسألها متجاهلا دغدغة في أعصابه حين

سمعتها تنطق باسمه: «ماذا تقصدين؟».

ردت موضحة: «أقصد أن ما لا يدرك كله لا يترك كله كما فعلت أنت بعدم استسلامك وعلمت نفسك بنفسك رغم معرفتك أن الشهادة مهمة لبعض أماكن العمل عليك أيضا ألا تخسر المعركة كاملة إن طلب منك شهادة معتمدة في إتقان أحد البرامج ولم يكن ذلك مذكورا صراحة في الإعلان، عليك الدخول من هذه الزاوية وإقناعه بك لا أن تضع المعوق أمامك وتقف متسمرا».

غمغم ببعض الحرج: «الحقيقة أنا لم أكن كذلك قبل سنوات كنت أكثر مرونة، أشعر أنني بت متحفزا في الفترة الأخيرة».

كان الحديث بينهما ينساب بهدوء وكل منهما أضحى أقل توترا فسألته هي: «وما هو تصورك عن السبب الذي جعلك أكثر تحفزا؟».

شردت أنظاره في الأرض فتأملته بنظرة شمولية مدققة وقد أصاب الخبل قلبها، تأملته وسيما بسيطا في ملابس البيت المريحة ورجوليا أكثر مما يتحمله قلبها المسكين.

اعترف عصام بعد برهة: «ربما سئمت من كل شيء».

أيقنت أنه مهموم ثقيل الروح لكنها قالت لتشحذ من همته: «وربما يسيطر عليك شعور من البداية بأنك سترفض».

رفع إليها أنظاره يتطلع فيها بتساؤل فأضافت: «وأعتقد أن المهنة التي تعمل بها حاليا زادتك بعض الخشونة في

التعامل».

عبس قائلا بانزعاج: «ماذا تعنين؟».

أسرعت برفع كفيها موضحة: «لا أقصد أي إساءة».

عقد حاجبيه وسألها متأملا: «هل ترينني متحفزا بشأن عملي الحالي إلى هذه الدرجة؟».

«اسمع يا عصام».

اسمه خرج من فمها مجددا ودغدغ أعصابه فباغتتها بسؤال: «كم عمرك؟».

قالها بهدوء وهو يميل بجذعه للأمام ويستند بمرفقيه على فخذه يتأملها بنظرات مدققة بعد أن ألقى سؤالا كان من المفترض أن يسأله لمرام لا أن يسأله لها مباشرة؛ لكنه فقد صبره وتربيته ورغب في الحصول على أي إجابة منها عن شيء يخصها.

اشتعلت وجنتاها وصمتت تداري ارتباكا غير ظاهر على ملامحها وسألته في المقابل: «من أين أتى هذا السؤال الآن؟».

أخذ يتأملها بجرأة لم يفعلها مع فتاة من قبل هناك ما يجذبه بقوة نحوها ولا يعرف كيف سيطر عليه شعور لحظتها أنه يفعل شيئا عاديا ولا يخرق قواعد اللباقة والأدب فعادت نيللي لتسأله: «هل أعتبر هذا السؤال له علاقة بما نقوله الآن وبالاقتراحات التي اقترحها عليك؟».

وكأنهما يلعبان كرة الطاولة يدفعها إليها فتردها إليه فظلا يناظران بعضهما والأسئلة الحائرة عالقة بينهما، هي تواجهه بتحدٍ هادئ واثق وهو على جلسته نفسها يطالعها بنظرات تطرق على حصونها برفق وهدوء، قلباهما ثملان بنشوة من نوع جديد تضخ ارتباكاً غير معلن في الأجواء.

كسر عصام الصمت قائلاً: «من منا المتحفز الآن؟ عموماً الإجابة على السؤال ليست لها علاقة بما نتحدث عنه؛ لكنه فضول أو... (وصمت قليلاً ثم أكمل) أو رغبة في معرفة المزيد عنك إن لم يكن لديك مانع، أنا عمري ثلاثون عاماً أو لنقل أوشكت على إتمام الواحدة والثلاثين وأنت؟».

قاومت شعور أنثوي فوضوي بداخلها وردت بمقاة اكتسبتها من مجال العمل: «عمري تسعة وعشرون».

النظرة الغامضة التي طالعها بها لعوان زادت من ارتباكها وأيقنتها أنها تشعر بمشاعر خاصة تجاهه بينما قال هو متنحنحاً: «حسناً لنكمل ما كنت ترغبين في قوله».

احتاجت لبضع ثوان لتتذكر ماذا أرادت أن تقول ثم تكلمت: «أريد أن أقول لكل مهنة صفات تعكسها على من يعمل بها.. تعاملك مع الناس في الشارع يومياً ومحاولتك لأن تجد لك مكاناً بين فئة معينة تعمل في هذا المجال لها قوانينها الخاصة أبرزت في شخصيتك جوانب معينة لتتكيف معهم وهذا أمر طبيعي ومنطقي؛ لكن...».

راقب حركة يدها وأدرك أن هذه هي عادتها أن تحرك يدها

كثيرا أثناء اندماجها في الحديث وكأنها تشرح في مؤتمر بينما أضافت نيللي: «على الفرد منا أن يكون واعيا لما يحدث معه ولا يترك صفات معينة لأن تطفى على شخصيته».

هز لها رأسه وغمغم معترفا: «أتفق معك».

أسعدها استجابته الهادئة دون مجادلة واعترفت أنه أكره لنا وانفتاحا مما ظنت ربما هو ذلك التحفز وذلك الكبرياء الذي يمشي يحمله فوق رأسه، مع هيئته الجادة ما يجعل الآخرين يكونون انطباعا غير حقيقي عنه فاندفعت تقول: «ما زلت أشعر أن هناك أسبابا أخرى لا تجعلك تجتاز المقابلات التي تتقدم إليها».

ألح عليه كبرياؤه من جديد وأسرع بالقول مصححا بانزعاج: «من قال إنني أفشل في كل المقابلات؟! الكثير منها يكون بشكل التصفية وعلى مراحل وأنا أجتاز أغلب المراحل وبعضهم وصلت فيه للمراحل النهائية؛ لكن أحيانا تكون الوظيفة مختلفة عن الإعلان أو لا تتماشى مع طموحاتي المادية وأحيانا أجتاز المرحلة النهائية ثم لا يرسلون في طلبى».

فتحت فمها لتقول شيئا فأسرع بالقول: «أعلم بما ستقولينه؛ لكني كما قلت لك سني وأعبائي الأسرية وإمكانياتي كمصمم لا تتماشى مع وظيفة مبتدئ لمجرد أنني لا أحشو سيرتي الذاتية بأسماء الأماكن التي سبق وأن عملت بها لماذا لا أقيم بناء على إمكانياتي أولا؛ لكن ما

يحدث هو العكس غالبا الخبرة المبتة بأماكن أخرى عملت بها والشهادات تأتي في المقام الأول ثم التقييم العملي هذا إن كان هناك تقييم رغم أن روح مهنتي بالتحديد تعتمد على الموهبة أكثر من أي شيء»

ابتسمت نيللي وقالت بحماس وهي سعيدة لاسترساله في الحديث: «ليس هذا ما كنت أرغب في قوله بل كنت أقول ما رأيك في أن نقوم بتجربة مقابلة شخصية معا؟».

رفع حاجبا مستنكرا فأسرعت بالقول: «لقد حصلت على دورة تدريبية في إدارة الموارد البشرية وعندي فكرة لا بأس بها فلماذا لا نجرب ربما اكتشفنا بعض الأمور التي لا تدركها».

عقد حاجبيه وانقلب وجهه لتسرع نيللي بالقول: «لا تستخف بالأمر فالتدريب والمحاكاة يؤتيان بنتائج فعالة».

تطلع فيها متأملا والفضول بداخله يزداد بل يتوحش من أين أتت بكل هذه المعلومات؟ وبهذه الثقة في الحديث؟ من تكون؟ لا تبدو فتاة عادية قد حصلت على دورة تدريبية؟ فسألها: «هل تعملين؟ أقصد هل لديك وظيفة؟».

صمتت وناظرته بتردد فقال بضيق واضح: «لماذا لا ترغبين في قول المزيد عنك؟ ألا تتقي بنا؟».

غمغمت نيللي بسرعة: «من قال إنني لا أثق بكم؟! أنا...».

تطلع فيها ينتظر باقي الإجابة فقالت بضيق لم يغفل عنه: «هلا أجلنا هذا الموضوع أرجوك (ثم تصنعت المرح قائلة) هل

تهرب من التدريب لأنني أنثى باشمهندس عصام؟!».

أظلم وجهه لثوانٍ وقد تملكه الإحباط من مراوغتها؛ لكنه سرعان ما قال بمقلتين مقلوبتين: «أتستفزيني كطفل صغير كي أوافق؟!».

هزت كتفيها وأجابته: «أستخدم ذكائي.. عموما كما ترغب».

صمت قليلا يفكر ثم قال: «لا بأس لتتدرب معا».

صفقت يديها بحماس فاتسعت عيناه متفاجئا بتخليها عن هدوءها ورزانتها وأفلتت منه ابتسامة زينت وجهه لتقول نيللي: «اعطني سيرتك الذاتية».

صمت يناظرها فقالت: «المقابلة ستكون حقيقية يا باشمهندس ولا تستهين بي، أعطني السيرة الذاتية وارتي شيئا رسميا من فضلك كي تعيش الأجواء».

هتف باستنكار: «نعم؟!».

قالت نيللي بتسلٍ: «هيا أريني مهاراتك».

بلع ريقه ورغم عدم اقتناعه بما يحدث كان مستمتعا بالحديث معها وتمنى أن يحدثها إلى ما لا نهاية وأن يشاكسها.. ويستفزها ويحكي لها الكثير والأهم أن يسمع منها ويطمئننها ويحميها مما تخشاه؛ لكنها مصرة على عدم البوح لذا استقام واقفا يقول وقد قبل بالتحدي: «لا بأس أريني مهاراتك أنسة نيللي».

قالها وتحرك مبتعدا نحو غرفته فسحبت نيللي نفسها عميقا

لتهدئ من ضربات قلبها المجنون الذي يتراقص في صدرها بهيستريا وهي تهمس لنفسها: «يا إلهي لقد وقعت في فخ صاحب الكبرياء».

عاد بعد دقائق يمنحها ملفا وفي اليد الأخرى كان يحمل سترة البدلة فتحكمت في ابتسامتها وهي تراه يقف أمامها يرتدي سترة البدلة التي كان يرتديها قبل يومين عائدا من حفل زفاف، كان وسيما بشكل مميز أما الآن فهو مضحك وهو يرتدي السترة فوق ملابس البيت الرياضية وعيناه المثبتتان على وجهها تحمل نظرات شقية.

خرجت مرام من الممر الداخلي تقول بغیظ: «نعم.. يا مراد نعم».

قال بمسكنة وهو يخرج خلفها: «جائع مرامي».

هتفت بغیظ: «وهل أنت طفل سأحضر لك قنينة الحليب! الطعام في المطبخ».

ضحكت زينة ومعها روح الفؤاد فناظرهما بامتعاض ثم غمغم ببراءة مزيفة: «لم أجد أي طعام في المطبخ مرامي».

ناظرته بنظرات نارية والغیظ يسيطر عليها لأنه لم يترك لها مجالا لتتحدث مع أسعد كان يدخل الغرفة بين دقيقة والأخرى بأسئلة وطلبات غريبة، فتطلع مراد في عينيها المغتاظتين ثم مال عليها وحاوط كتفيها من الخلف بذراعه وهو يقول مداعبا: «أحبك مرامي».

وحاول تقبيل خدها بالقوة وهي تقاومه بغيظ فقالت نيللي:
«تعالى يا مرام.. تعال يا مراد لتشاهدانا سأقوم بمقابلة عمل
مع عصام».

اتسعت عينا الأخير هاتفا: «ماذا؟!».

ناظرته بجدية تقول: «لا بد أن تكون تحت ضغط وتوتر يا
باشمهندس (ثم نظرت لزيئة التي وقفت فوق المقعد تراقب
ما يحدث وقالت) زيئة نادي جدك إن كان مستيقظا».

أسرعت الأخيرة بالقفز من فوق المقعد والهرولة للداخل
بينما قال عصام باعتراض: «وأبي أيضا؟!».

ردت نيللي ببرود: «قلت لك لا بد أن تكون تحت ضغط
وتوتر وكونهم يراقبونك سيحقق ما نريد (ولوت شفتيها
المكتنزتين أمام ناظرية لتضيف بلهجة متهكمة) خاصة أنك
صاحب كبرياء عالى ولا تخطئ أبدا».

مط شفتيه فتدخل مراد يقول بلهجة متهكمة: «ما هذه
الأناقة يا عصومي!».

وضع الأخير يديه في جيبى بنطال البيت الذي يرتديه
فوقه سترة البدلة وتطلع في خف البيت في قدميه ثم رفع
أنظاره لأخيه بكبرياء في الوقت الذي خرج فيه عارف من
غرفته بنظرات متسائلة لتقول مرام: «تعالى يا أبى.. نيللي
ستقوم بعمل مقابلة عمل مع عصام وتريدنا موجودين
للمشاهدة».

ابتسم عارف وتحرك ليجلس بجوار أمه التي انضمت للمشاهدين دون أن تستوعب ماذا يفعلون، بينما رفعت نيللي ساقها المجبرة من فوق الأرض لتضعها على المنضدة الصغيرة أمامها قائلة: «لا تؤاخذني (ثم رفعت أنظارها إليه تسأله) مستعد؟».

سحب نفساً وهز رأسه فابتعدت مرام وهي تسحب مرام لينضمها للجالسين على الناحية الأخرى، بينما مدت نيللي يدها لعصام تقول بملامح انقلبت جادة فجأة: «أهلاً باشمهندس عصام».

تطلع في يدها وارتيك لعانية قبل أن يمد كفه بسلام فاتر أسرع بعده بسحب يده فقالت نيللي بلهجتها الجادة: «سلامك لا بد أن يكون جاداً، الكف يملأ الكف وإبهامك على المنطقة التي تقع بين الإبهام والسبابة عند الطرف الآخر».

رد بامتعاض: «أعلم ذلك لكن..».

صمت فاتسعت عيناها تقول: «لا تقل لأنني أنعى!».

مط شفتيه فقالت موضحة: «في مجال العمل الرجل مثل الأنثى سلام جاد لثلاث ثوان؛ لكن لا تمد يدك أولاً إن كانت أنثى اتركها هي من تبدأ، فإن كانت تسلم على الرجال تعامل وكأنها رجل وإن كانت لا تسلم فلا تبدأ أنت بالسلام».

ومدت يدها ليده بملامح جادة، فمد الآخر كفه يسلم عليها لكنه لم يكن أبداً سلاماً بريئاً لكليهما خاصة مع ذبذبات كهرباء عالية الفولت متبادلة بينهما واختلال في نبضات القلب

فسحبت نيللي يدها وتصنعت الحزم والجدية وهي تشير له على المقعد المقابل تقول: «تفضل باشمهندس عصام ولا تؤاخذني أقابلك بهذه الهيئة (وأشارت على ساقها مضيضة) لكن كان لا بد أن أقابلك اليوم حسب الموعد».

ابتسم عصام ابتسامة ضعيفة وهو يجلس ولم يعقب فقلبت نيللي مقلتيها تقول بلهجة متهمكة: «أقول لك لا تؤاخذني وترى ساقى مجبرة ولا تقول كلمة مجاملة واحدة». غمغم باستنكار: «ماذا أقول؟».

ضربت على صدرها بطريقة مسرحية وقالت ساخرة: «ماذا تقول؟ ألا يوجد في قاموسك أي عبارات للمجاملة أو المواساة (ونظرت للجالسين على يسارها وقالت) ألم تلقنوه أي شيء يخص هذا الأمر وهو صغير؟!».

انفجروا ضاحكين فناظرهم عصام بغیظ وعاد بأنظاره إليها يقول بامتعاض: «ما المطلوب مني بالضبط؟».

هتفت فيه بغیظ: «اللف يا أخى المطلوب بعضا من اللطف هل ستقابل العملاء بهذه الهيئة العابسة؟!».

استقام واقفا يقول باعتراض: «نيللى أنت تتهمين على وأنا لا أقبل بهذا».

رفعت إليه أنظارها تقول بإصرار: «بل أنت الذى تحمل كبرياءك فوق رأسك (وأضافت ساخرة وهي تشير على رأسه) حاذر وأنت تتحرك حتى لا يسقط كبرياءك أرضا وينكسر».

انفجار بالضحك أتى من الركن الآخر ففتح عصام سترة
البدة وتخصر يتطلع فيهم ثم فيها وهي تناظره بشقاوة
فانتابته رغبة في أن يلکها ثم یقبل شفٹیها الجمیلتین،

تعرق جبینہ عند هذه الخاطرة فتحنح وعدل السترة ثم
أسرع بالجلوس وقال: «ألف لا بأس عليك».

عدلت نیللی من طرف حجابها الأبيض الذي یبرز سمارها
الملیح وغمغمت: «أشکرك».

بدأت في سؤاله بعض الأسئلة المعتادة فأجابها عصام
بجدية وبدأ یندمجان بعد برهة وكأنها مقابلة حقيقية خاصة
أن نیللی كانت تسأله أسئلة كما لو كانت متمرسة في هذا
المجال، بعد قليل رفعت إلیه أنظارها وسألته: «لو كنت
حیوانا باشمهندس عصام ماذا ستكون؟».

لم یکن قد فکر في إجابہ السؤال بعد لكنه تذكر کلماتها
فارتبك خاصة أن صمت المراقبین وترقبهم كان یوتره
فناظرها مجیبا: «سأكون حصانا (ورکز على الجانب الذي
ستستفید منه الشركة كما قرأ فیما یخص مقابلات العمل
وأضاف) حصانا رابحا تکسب به الشركة».

لمح لمعة رضی في نظرتها الجادة له لمعة أشعرته بالسعادة
لتسرع نیللی بسؤاله: «أخبرني.. لماذا علي أن أختارك؟».

عدل من وضع جلسته الجادة وأجابها: «أنا أحمل شهادة
جامعية في هذا التخصص ولست مجرد هاوٍ، ولي خبرة
عملية في مجال الجرافیک والتصامیم الموجودة في الملف

تحدث عني، كما أنني ماهر في التعامل تحت الضغوط ولدي طموح وإصرار لتعلم المزيد لما سيجد في عالم التصميم ومؤمن برؤية شركتكم ورسالتها».

سألته السؤال الذي يستفزه: «لكنك لا تحمل شهادات في بعض برامج التصميم باشمهندس عصام».

راقبت حركة عصبية في فكه فاستمرت في التحديق فيه لتزيد من الضغط عليه في الوقت نفسه الذي زاد توتر عصام وهو يفكر بسرعة كيف سيقنع من أمامه بإجابة مقنعة خلال عدة ثوان كما نصحته ثم فتح فمه قائلا: «أنا مقدر بالطبع لقيمة الشهادات وسأسعى للحصول عليها بالتأكيد لكن عدم امتلاكي لتلك الشهادات لا يعني أنني لست متقنا لهذه البرامج (واستقام واقفا ومال عليها يمد يده للملف قائلا) اسمحي لي».

سحب الملف وأخرج إحدى تصاميمه يقول: «انظري لهذا التصميم ودقي به هذا صممه ببرنامج (...)».

رغم إعجابها بإجابته لكنها أصرت على وضعه في أكر من موقف ضاغط يخص هذا الموضوع فقالت له ببرود: «أنا لست متخصصة في التصميم يا باشمهندس أنا مهتمتي أن أوظف ما تحتاجه الشركة من موظفين لكني لست ملمة بفنيات كل وظيفة بالتفصيل».

صمت عصام يطالعها من علي فغمغم عارف: «زد ولا تخرجنا».

تدخلت روح تقول لابنها بتوبيخ: «اترك الولد على راحته ألا تراها تعامله معاملة زوجة الأب».

ظل عصام ونيلى متناظران لبرهة ليقول هو بعد أن حافظ على عدم تشتت أفكاره بالمداخلات الخارجية: «أنا متفهم كونك غير متخصصة وأرى أن التمسك بالشهادات دون التأكد من مهارة حاملها أمر لا يخدم هدف الشركة (وتحرك ليعود لمكانه على المقعد مضيفاً) وأن التنفيذ العملي أفضل من مئة شهادة لذا أنا على الاستعداد لأن يسند لي متخصص ما يريد أو أن يطلع على تصاميمي ليؤكد لك مهارتي في استخدام هذه البرامج».

حافظت على جدية ملامحها وأخفت إعجابها بإجابته الجيدة ولم تدر أنه كان ينتظر رد فعلها باهتمام لكنها باغتته بسؤال آخر: «ماذا لو كان المرتب الذي نحدده للوظيفة أقل مما تتوقع؟».

بلع ريقه ورد: «أنا مؤمن بأن هناك أمور أهم من المرتب تكمن في الخبرات التي سأكتسبها بالتحاقى بالعمل لديكم والتحديات الجديدة التي سأبرز فيها مهاراتي والقيمة التي سأكتسبها بوجودي بينكم، وفي الوقت نفسه أنا أثق في أن شركتكم تهتم بالموظفين لديها وتمنحهم مرتبات مجزية».

«ممتاز».

قالتها بالإنجليزية بصوت خافت وهي تنظر في الأوراق فغمرته السعادة لترفع نيلى أنظارها عن الورق وتباغته

بسؤال مشاكس ومتعمد رغم كونه من الأسئلة الشائعة في المقابلات الشخصية: «هل تشعر بالراحة أكثر في التعامل مع الرجال أم النساء في مجال العمل باشمهندس عصام؟».

رد عصام ببساطة: «أتعامل مع النوعين ليس لدي مشكلة».

«كاذب».

قالتها نيللي باندفاع طفولي لم تستطع كبحه يناقض الشخصية الجادة الناضجة التي كانت عليها وأضافت وهي ترفع إليه سبابتها: «كاااااذب.. أنت تعامل النساء بفوقية وتراهن ضعيفات مكسورات».

انفجر الجالسون بالضحك بينما هتف عصام باستنكار: «أنااااااااااااااااا (وضرب كفا بكف مغمما) لا حول ولا قوة إلا بالله! لماذا تصرين على إلحاق تهما غير حقيقية بي يا بنت الحلال! (وانتفض واقفا يسألها) هل انتهت المقابلة آنسة نيللي؟».

هزت رأسها بالإيجاب فلملم أوراقه من أمامها يعيدها للملف قائلا بلهجة متهكمة: «شكرا لتعاونك معنا.. أتمنى أن نكون قد حزنا على الإعجاب».

ردت نيللي وقد عادت لجديتها: «أنت في المجلد ممتاز وأعجبتني إجاباتك الجديدة على بعض الأسئلة.. وكما قلت لك أي سؤال غريب لا تظهر مشاعر الصدمة على وجهك وتعامل معه كأحجية لطيفة وأجب عليه بالمنطق وبتحليل واقعي للوصول لأقرب إجابة منطقية وليست صحيحة، لا تتوتر ولا تسأل عن تفاصيل فتعقده أكثر وتذكر أن صاحبه

يحاول اختبار مدى ذكاءك ومدى تعاملك مع المواقف
المباغطة وقوة التحليل المنطقي لديك وربما مرونتك وحس
الدعابة لديك ولا تستهين ولا تستخف بأي سؤال حتى لو كان
غيبيا أو تافها في نظرك».

هز عصام رأسه يقول بلهجة متهمكة رغم تقديره لما قالتة:
«حاضريا فندم أية توجيهات أخرى؟».

تجاهلت نيللي سخريته وأضافت: «اهتم بنظرة العين
خاصة مع النساء».

رفع حاجبا مستنكرا فأوضحت نيللي بجدية تزيد من
حيرته بشأنها: «هناك فارق بين الحياة العادية وعلاقات
العمل في العمل عليك بالحفاظ على التواصل البصري بينك
وبين محدثك حتى لو كان سيدة.. وبالطبع ليس مطلوبا منك
البحلة أو التسبيل لكن لا بد أن تحتفظ بنظرة جادة مهمة
(وأضافت وهي تنظر في عينيه) ركز في حديثك على منطقة
بين العينين دون مبالغة أو حرج هكذا».

حدقا في بعضهما لئوان تعانقت فيها العيون بشيء لا يمت
لما قالتة بصلة وليس له علاقة بما كانت تشرحه فتدفق
الدفع خلالها في الشرايين وانفجرت فيها دقات القلوب
في الوقت نفسه الذي اقترب مراد ومرام منهما، لتسرع
نيللي بسحب نظراتها بعيدا وهي تضيف بارتباك شاعرة
بأن وجنتيها قد تحولتا لحبتي طماطم ناضجتين» كان هذا
مثالا».

بعد قليل كان عارف قد دخل لينام بينما زينة تكورت على نفسها فوق الأريكة ونامت بجوار روح التي لا تزال ساهرة أمام التلفاز تشاهد حلقة مسلسل رعب.

أما الركن الآخر من الصالة فكانت نيللي لا تزال جالسة تفرد ساقها ذات الجبيرة فوق الأريكة وقد سرقتها الحديث مع عصام كان حديثا عاما يخص ذكريات الماضي وأيام الطفولة وقد أسعدها أنه انطلق في الكلام دون التمسك بدور الرجل الصامت، فبدأ يتحدث عن ذكريات مشتركة تخص جيلهما وتكلما عن أبرز الألعاب والأغاني الشائعة والأحداث الكبيرة في البلد لم تختلف نيللي كثيرا فهي كعادتها منذ أن عرفوها منطلقة فصيحة تعبر عن أفكارها بجرأة محمودة لا تتخطى حد الحياء.

لكن من اختلف هو عصام تخلص من القشرة الصلبة الغامضة وظهرت شخصيته التي يخفيها خلف قناع الصمت.. قناع تكون في السنوات الأخيرة وغلظت قشرته حتى اعتاد عليه فظهرت صبيانيته ومشاكساته وبدأ أكثر انطلاقا رغم احتفاظه بذلك الكبرياء العالي فوق رأسه، هكذا فكرت نيللي وهي تلتقط إصبع بلح الشام الذي قامت مرام بإعداده قبل ساعات.

أما مرام التي شاركتهم الجلسة فكانت منشغلة أغلب الوقت في هاتفها ترسل رسائل وتتلقى أخرى من أسعد، بينما مراد غارق في لعبة ما على هاتفه.

غمغمت نيللي: «أعدتني لذكريات جميلة تخص أيام الطفولة والمراهقة».

انتفض مراد فجأة يقول بتوتر: «أين الشاحن؟».

وتحرك مسرعا نحو الداخل بينما راقب عصام نيللي وهي تقضم إصبع بلح الشام والحيرة لا تزال تأكله والأفكار تتطرف في عقله فتذهب إلى أبعد مدى وهو يحاول وضع تخمين لمن تكون.. متعلمة هي ومثقفة لديها قوة شخصية تثير إعجابه ولديها خبرة بالحياة من حولها بشكل يعير إعجابه أيضا من الواضح أنها تعمل أو كانت تعمل بوظيفة ما فمعلوماتها في مجال الأعمال ممتازة ولا يعرف إن كانت صادقة فيما يخص الدورات التي حصلت منها على خبراتها كما تدعي أم لا ولا يعرف لماذا تصر على عدم التحدث في أمورها الشخصية متمسكة بهالة من الغموض حولها، وهذا يثير ريبته ويشعره أن شك أنس فيها صحيح وأن خلفها مشكلة كبيرة ربما لأن فضوله نحوها فضول ذكوري تجاه أنثى أكثر منه فضول إنساني تجاه شخص غامض كما ينظر إليها أنس لذا يظن أن رؤية ابن عمه هي الأوضح بالتأكيد.

ماذا سيفعل تجاه هذه العنيدة المتحفظة؟ حتى الساعة التي مضت التي تشاركها فيها الذكريات المشتركة للجيل لم يستطع تحديد هويتها.

من نظرتة لها هي بالتأكيد من طبقة اجتماعية أعلى رغم أنها لا تبدو مدلة ذلك الدلال الخاص بالفتيات من الطبقات

الحرية يراها بين هذا وذاك، راقية وفي الوقت نفسه شعبية رقيقة لكنها جريئة وشجاعة، إنها مزيج من كل شيء بنسب متوازنة تجعلها فريدة ومميزة وهذا يزيد من خوفه.. أهي صديقة فيما يخص أنها وحيدة لا تملك أي قريب؟ هل تعيش وحدها فعلا؟ وماذا يمكن أن تكون مشكلتها الخاصة بشقتها؟

غلى الدم في عروقه وهو يتخيل صاحب العقار الذي تسكن فيه يضايقها أو يحاول أن يخرجها من شقتها وأقسم في سره أنه لو كانت هذه هي مشكلتها ليلقن ذلك الرجل ما يستحقه على إرهابها وتخويفها إلى هذه الدرجة التي تضطرها للمبيت عند أغراب. تركت مرام هاتفها وقالت: «نسيت.. أخرجت مشروب العناب من المبرد قبل قليل لنشربه».

تحركت نحو المطبخ فازدادت قوة نظرات عصام نحو نيللي وكأنه يرغب في تحطيم حصونها واختراقها لتشتعل وجنتا الأخيرة التي لم يغفل عنها تحديقه فيها طوال الوقت، ولم يغفل عنها أيضا تلك الأسئلة الحائرة بشأنها في عينيه فوضعت من يدها إصبع بلح الشام كانت قد التقطته وغمغمت بخفوت وهي تتفحص هاتفها: «لقد تأخر الوقت هل ستذهب مرام للنوم».

«هل لديك عم يا نيللي؟».

اتسعت عيناها وناظرته متفاجئة بالسؤال فقال عصام بإلحاح أثر فيها: «أجيبني على السؤال أرجوك».

خيم الصمت فكرر عصام بلهجة أكثر خفوتا وإلحاحا:
«أرجوك».

نظرة عينيه وذلك الترجي الخافت أصابها في مقتل
وأضعف من مقاومتها واستشعرت أن تلك المشاعر التي
تجذبها نحوه على ما يبدو متبادلة.

وبين الفرحة والخوف.. والإقدام والإدبار.. وقعت في فخ
التردد لكنها سرعان ما هزت رأسها ببطء تومئ بالإيجاب
مسبلة الأهداب، فانقبض قلبه بينما أضافت هي بخفوت:
«لكن علاقتنا ليست على ما يرام (ورفعت إليه أنظارها تقول
بترجٍ خافت) ولست مستعدة بعد للحديث عن هذا الأمر يا
عصام، من الممكن أن تطلق على حالي اسم (مرحلة ما بعد
الصدمة) أشعر بعدم رغبة في قص أي شيء أو التحدث
عن أي شيء يخصني، أحتاج لفترة توازن عقلي ونفسي..
وأحافظ بالكاد على ثباتي فهلا منحتني فرصة من الوقت
قبل أن أخبركم بكل شيء؟».

الآلم في عينيها كان عظيما استدّر عطفه وشفقته وحمائيته
في الوقت نفسه فحطم ذلك الإصرار الذي كان ينوي عليه
ليعرف المزيد وقال باستسلام: «لا بأس كما تشائين».

عاد الارتباك ليسيطر على الأجواء فلوت نيللي عنقها نحو
المطبخ لترى لماذا تأخرت مرام.. ليسألها عصام بلهجة متهكمة
ليبدد ذلك التوتر الذي خيم على الجلسة: «وعمك هذا له ابنا
يريد الزواج بك أليس كذلك؟».

أدارت وجهها تنظر إليه بعينين متسعيتين وردت بتلقائية:
«كيف عرفت؟!».

ابتسم لها ابتسامة صفراء وغمغم متهمكها: «قصة شائعة..
كنت أظنها قد انقرضت لكن يبدو أنني كنت ساذجا».

عقدت نيللي حاجبيها بعدم فهم ثم سألته كعادتها المندفعة
دون تفكير: «وهل إجابة هذا السؤال تهمك؟».

النظرة التي ناظرها بها وما تفوه به لحظتها أصاب قلبها
برجفة قوية حين قال بحشرجة: «تهمني بشدة تهمني أكثر
مما تتصورين».

عصام نفسه لم يدرك بما تفوه به إلا بعد أن قاله بتلقائية
لكنه لم يشعر بالندم بعدها عليه أن يعترف بأن هذا هو
شعوره نحوها.

أسبلت أهدابها وقد تضخم قلبها إلى أضعاف وتملكها شعور
بالأنوثة كادت أن تنساه خلف سنوات من اللهاث بين المكاتب
وغرف الاجتماعات وعلاقات العمل وسيطر عليها شعور آخر
أشبه بمشاعر مراهقة في ربيع العمر فانخرست ولم تدر بما
ترد، وأخذت تطوي بإصبعيها السبابة والإبهام طرف سترة
الرداء البيتي الذي كانت ترتديه وقد سيطر عليها الخجل،
فتأملها عصام ولسان حاله يترجاها لأن تبوح بما تخشى
البوح به تصارحه بما تخفيه قبل أن يغرقا، اقتربت مرام
عائدة من المطبخ تقول: «زجاجة العناب متجمدة ستحتاج
لوقت و...».

صمتت فجأة تتطلع في الصمت الغريب الذي يخيم على المكان، فأنزل عصام أنظاره وانتبه لهاتفه الذي رن رنيناً سريعاً وانطفأ فالتقطه ليجد اتصالاً من أنس ثم وجد رسالتين منه الأولى تقول (تعال) والثانية (عصام تعال بسرعة).

عقد حاجبيه ودقق في حروف الرسالة المكتوبة بأخطاء إملائية لا تليق بابن عمه وكأنها مكتوبة على عجل فانتفض واقفا يرفع الهاتف على أذنه وسقط قلبه بين قدميه في طريقه المندفع نحو باب الشقة حينما لم يرد أنس، تبادلت نيلى النظرات المذعورة مع مرام ثم قالت الأخيرة وهي تلحق به عند باب الشقة: «عصام.. عصام ماذا حدث عصام إلى أين؟؟».

لكن الأخير لم يرد عليها بل إنه اختفى من أمامها وكأنه قد طار فوق درجات السلم.

الفصل التاسع

قبل قليل

رغم شعوره بالممل لكنه كان متماسكا حتى لا يظهر عليه وهو يتحدث معها أو بمعنى أصح وهي تتحدث معه، فمئذ أن اتصلت به الدكتورة سها رغم تأخر الوقت وهي تترثر في أمور تخص الصيدلية لكنه لم يكن غبيا حتى يفهم أنها كانت تختلق الموضوعات للحديث وأنها تطرقت أكثر من مرة لأسئلة شخصية عن زينة بالذات وعن دراستها، وعبرت عن تعاطفها معه كرجل يحمل ذلك الحمل وحده وشجعتة بشأن قضيته ضد الجامعة وبشأن البحث الذي يحضره للحصول على شهادة الدكتوراه، كل هذا وهو مكتفٍ بردود قصيرة باذلا مجهودا أكبر مما يفعل في العادة كي يبقى لبقا معها لما يکنه لها ولوالدها من احترام؛ لكن شعوره تجاهها يتوقف عند حدود ذلك الاحترام هذا إن تغاضى عن حقيقة أنه غير مستعد ماديا أو نفسيا للزواج حاليا؛ لكنه حاول أن يختبر إحساسه بها كأنهى كنوع من الهروب والإلتواء عن المشاعر التي تحول حياته إلى جحيم؛ لكنه لم يستطع أن يشعر بأي شيء خاص تجاه سها.

تركها تكمل ثرثرتها عن رغبتها في استكمال دراستها العليا وشرد في طريقته الجديدة في التفكير لم يكن من قبل ذلك العاطفي الذي تتحكم مشاعره إلى هذا الحد في قراراته لكنه أخبر نفسه أن عليه أن يصبر على حالته فترة صعبة وسيكون

بعدها أمام الأمر الواقع بأن مرام لم تعد تحل له أمر أشبه
بخلع ضرس مؤلم هكذا حدث نفسه خلع ضرس بربطه في
شاحنة على وشك الإقلاع.

(ألم مؤقت وسيزول يا أنس وستتكيف بعدها على أن تكون
دون ضرس دون قلب.. دونها).

«دكتور أنس هل أنت معي؟».

قالتها سها فأفاق من شروده يجيب: «آه طبعاً».

غمغمت سها بحرج: «يبدو أنني ثرثرت كثيراً».

تحدث بلباقة ليس معتاداً عليها: «لا أبداً دكتورة سها».

تنهدت سها وقالت: «لقد تأخر الوقت هل ستغلق الصيدلية
بدلاً من مسعد؟ أخبرني أبي أنه طلب المغادرة مبكراً اليوم».

قال أنس وهو ينظر لأوراق البحث التي كان ينوي أن ينتهي
منها في سهرته لكن الوقت قد ضاع: «أجل سأغلق الصيدلية
بعد قليل».

انفتح باب الصيدلية ودخل شابان لم يخف اضطرابهما عن
أنس الذي قال لها: «تصبحين على خير يا دكتورة».

لم ينتظر ردها بل وضع سماعة الهاتف وهو يتطلع في
الشاب الذي اقترب يطلب اسم أقراصاً معينة فتأملهما أنس
وقد بدا أمام عينيه مدمنين دون شك ثم رد بهدوء: «ليس
لدينا هذا النوع».

قال الشاب بلهجة مترجية: «أرجوك نحن بحاجة لشريط واحد.. واحد فقط».

رد أنس ببعض الحزم: «قلت لك ليس لدينا هذا النوع».

أشهر الاثنان مطواتين في وجه أنس ليقول الشاب الثاني وقد انقلبت تعابير وجهه: «اسمع تعاون معنا كي تخرج سليما.. سنأخذ شريطا واحدا».

بلع أنس ريقه ولاحظ حركة عند الباب الزجاجي ليجد اثنين آخرين يقفان بالخارج أحدهما يبدو في حالة غير متزنة يتحرك بهستيرية بينما قال الآخر لصاحبيه بداخل الصيدلية: «أسرعا».

ضرب أحد الشابين على الخزانة الزجاجية التي تقف بينه وبين أنس وقال بتهديد: «ما رأيك في أننا سنفتش الصيدلية شبرا شبرا سواء برضاك أو بعد تقطيعك».

سب أنس في سره ولعن حظه أن يهاجم هؤلاء الفتيان الصيدلية في الوقت الذي هو ساهر وحده في عدم وجود مساعد فرفع كفه يقول بهدوء: «لا داعي للانفعال ودعونا نتفاهم».

قالها ويده الأخرى تفتح هاتفه من أسفل المكتب فصرخ الشاب الذي يقف عند الباب بتوتر: «خلصونا».

التفت له صاحباه بعصبية في اللحظة نفسها التي كتب أنس رسالة سريعة لعصام وأتبعها بضغط اتصال سريعة.

التفت أحدهما وهتف في أنس: «ماذا تفعل؟!».

أسرع الأخير يقول بتحذير وهو يرى الثالث يدخل الصيدلية: «اهدأوا يا شباب ونتفاهم، أنا ليس عندي ما تطلبون».

قبل أن يعترضوا أسرع بالقول: «لكن عندي عقار (....)».

لمعت أعينهم فالاسم الذي ذكره أغلى وأقوى من الذي طلبوه فطالعه أحدهم بشك ليقول أنس بلهجة مؤكدة ليكسب وقتا: «لكن عدوني أن تكون آخر مرة لأنني لن أستطيع أن أوفره مرة أخرى فأنا أعمل في هذه الصيدلية وصاحبها قد يطردني».

قال أحدهم بلهفة: «لا بأس أعطنا منه».

قال الآخر الواقف ناحية الباب وهو يسمع هذيان صاحبه الرابع في سكون الليل الذي بدا لأنس أنه يعاني: «أسرعوا».

تلكأ أنس وهو يتحرك وذهنه يعمل بسرعة في إيجاد مخرج وتساءل هل من الممكن أن يكون عصام قد نام؟ أو لم ير رسالته؟ ستكون مصيبة إن كان الأمر كذلك، إن الثلاثة في حالة مضطربة واثنان منهم يحملان مطواة.

انتبه لمن دخل خلف الخزانة الزجاجية وأصبح خلفه مباشرة وهو يقول بعصبية: «لماذا تتلكأ؟ أين هو؟».

توتر أنس وهو يشعر بطرف المطواة في جنبه فدفعه بعيدا يقول بصرامة: «ابتعد حتى أحضره لكم».

اهتاج الشاب وانضم إليه صاحبه والجنون يتطاير من عينيها فشتم أنس نفسه لاستفزازهما وهاجمه اليأس من حضور عصام، خاصة أنه لم يسمع صوت الهاتف يرن ولو هلة فكر في ابنته من بعده وفي مرام وتنازع بداخله الضمير والخوف لكنه قال وهو يفكر في شيء ليدافع به عن نفسه: «نهدأ يا شباب حتى أحضر لكم علبة (وأشار للشاب القريب منه) اخرج من هنا وعد خلف الخزانة الزجاجية حتى نتفاهم».

«لن نتفاهم نريد علبة بسرعة...».

قالها الشاب الموجود عند الباب قبل أن يسقط أرضا بفعل لكمة وجهها له عصام وهو يقول: «ولم السرعة لا بد أن نقدم لكم واجب الضيافة أولا».

استدار أحد الشابين حاملي المطاوي نحو عصام يشهرها في وجهه بينما ارتعب الثاني من رؤيته وقرر مهاجمة أنس للفوز بما يريد فأسرع الأخير برش (كولونيا) في وجهه ليصرخ ويغطي عينيه بكفه متألما، فلوي أنس يد مهاجمه حتى أجبره على ترك المطواة وسحبه من شعره ليخرجه من الصيدلية، في الوقت نفسه الذي كان عصام قد اشتبك فيه مع الشاب الثاني حامل المطواة وانضم إليه الشاب الذي سقط بالقرب من الباب.

أخرج أنس الشاب الذي بيده إلى خارج الصيدلية لكنه لم يتركه، بينما الرابع يتطلع في المشهد بعينين مرتعبتين ووجه

يبدو عليه ما يعانيه من آلام جسدية في الوقت نفسه الذي سحب عصام الشابين من رأسيهما وقد بدا أثار قبضته على وجهيهما ودفعهما خارج الصيدلية قائلا: «اذهبا من هنا قبل أن يستيقظ الناس وتكون فضيحتكم أمام الجميع وإياكم والعودة».

كان صوت عصام والجلبة التي حدثت قد جرحت بالفعل صمت الليل وهناك من بدأ يفتح شرفته ليشاهد ما يحدث في الشارع فأسرع الشباب بسحب بعضهم البعض وجر صاحبهم الرابع الذي صرخ في هياج: «لم تستطيعوا الحصول على شيء».

فلحقهم أنس بصوته قائلا: «اذهبوا به لمستشفى (...) أفضل.. فهناك سيساعدونه ويساعدونكم».

اقترب أحد المارة يسأل: «هل كانوا يحاولون السرقة؟».

نظر أنس لعصام الذي يقف متخصرا يتنفس بصوت عالٍ بعد أن كان قد قطع المسافة عدوا ثم رد باقتضاب: «أجل».

ضرب الرجل كفا بكف ورد على سؤال لأحد الواقفين في شرفة البيت المقابل وشرح له ما حدث، بينما قال عصام لأنس وهو يتبعه إلى داخل الصيدلية: «اغلقها وهيا معي لماذا تأخرت اليوم وأين المساعد؟».

سحب أنس نفسا طويلا يهدئ من روعه فلن ينكر أنه قد شعر بالخطر ثم رد: «المساعد غادر مبكرا اليوم.. وأنا كنت أنوي أن أسهر لأنتهي من شيء يخص البحث فإن عدت للبيت

سيغلبنني التعب وسأنام (ثم عبس ليقول بلهجة موبخة) ما دمت قادم لماذا لم تتصل بي على الأقل ربما لو سمعت رنين الهاتف شعرت ببعض الاطمئنان وخمنت أنه أنت».

قال عصام بعبوس: «اتصلت بك أكثر من مرة ولم ترد فهربت الدماء من جسدي ولا أعرف كيف أتيت من البيت حتى هنا في هذا الوقت القياسي».

عبس أنس بدوره وتحرك نحو المكتب يبحث عن هاتفه قائلاً: «اتصلت بي؟! (ثم رفع الهاتف ليجده على الوضع الصامت فقال ممتعضاً) لقد أغلقت الصوت على أمل أنني سأركز فيما أفعل».

رفع عصام حاجبا وسأله: «وماذا حدث تبدو محبطاً؟».

أجاب أنس وهو يجمع حاجته من فوق المكتب: «اتصلت بي دكتورة سها وثرثرت كثيراً وأضاعت وقتي».

ارتسمت ملامح شقية على وجه عصام وقال بخبت: «اممم.. الدكتورة سها.. في هذا الوقت المتأخر؟! وثرثرا يا عيني يا عيني».

قال أنس وهو يربت على ذراع ابن عمه بعد أن أطفأ الإضاءة الداخلية للصيدلية: «بلا عينك بلا كبك هيا بنا فانا مرهق».

ناظره عصام بنظرات ماكرة فدفعه أنس أمامه بعصبية وهو يقول: «تحرك يا بني آدم لست في مزاج يتحمل سماجتك».

خرج عصام مدفوعا من الصيدلية وتبعه أنس وبدأ في إغلاقها وتأمينها ليقول عصام معترضا: «أهذه الطريقة اللائقة لمعاملتي بعد أن أنقذت حياتك؟! لو كنت تأخرت عليك قليلا كنت وجدتك غارق في دمك».

قال أنس وهو ينضم إليه ليتحركا مغادرين: «شاكرين لك يا فنان لا حرمتنا الله من عضلاتك».

رن هاتف عصام فأسرع بإخراجه من جيبه والرد: «نعم مرام لا تقلقي أنا بخير أنس كان يواجه مشكلة (وأسرع بالقول مطمئنا) اطمئني (ثم عبس يغمغم) مراد؟ لا أعرف لم أنظر في هاتفي إلا الآن».

قال أنس وهو ينظر في هاتفه: «اتصل بي أنا لكني لم أسمع الاتصال».

قال عصام لأخته: «لماذا أخبرتيه؟! عموما لا تقلقي سأتصل به وأرى أين ذهب».

رن هاتف أنس فقال: «ها هو يتصل نعم مراد».

جاءه صوت مراد مرتعبا يقول: «أنس عصام خرج من البيت مسرعا ولا يرد علي وأنا...».

رد أنس مقاطعا: «معي عصام معي يا مراد فلا تقلق كان الأمر يخصني أنا».

سأله مراد بعدم فهم: «هل أنت بخير؟».

رد أنس مطمئنا: «بخير لا تقلق ونحن قادمان الآن سلام».

بعد أن أغلق الخط مع مرام تأبط عصام ذراع ابن عمه بطريقة استفزت الثاني وهو يقول بلهجة ذات مغزى: «وفيم كنت تتحدث في هذا الوقت المتأخر مع الدكتورة سها أيها الشقي سفاح النساء؟!».

نفذ أنس ذراعه من يد عصام قائلا بعصبية: «بالله عليك ارحمني من مزاجك الرائق هذا (ثم دقق فيه قائلا) أتعرف.. أنا قلق عليك يا عصام».

أطرق الأخير برأسه وقد عاد لجديته فسار بجواره شاردا بأنظاره في الأرض يديه في جيبه بنطاله ليضيف أنس وهو لا يزال يتأمله: «أنا سعيد لأنك خرجت من حالة الاكتئاب والصمت التي سيطرت عليك لفترة طويلة لكني قلق من السبب في حالتك هذه».

رفع إليه عصام أنظاره الحائرة ليقول أنس وهو يسير بجواره في الشارع الهادئ تماما: «أنا لست ضد الفتاة لكن غموضها لا يشعرني بالراحة، وحالتك توترني من أن تتعلق بها ثم نكتشف شيئا قد يصدمننا جميعا».

تطلع إليه عصام بنظرات مترقبة وقال بنبرة غريق يطلب المساعدة: «ماذا تتوقع أن يكون خلفها؟ (وعاد لينظر إلى خطواته في الطريق مضيفا) يبدو أن تصور مرام كان الأصح».

تراقص قلب أنس عند ذكر اسمها ثم تنحج قائلا: «وما تصورها؟».

رفع إليه عصام أنظاره مجيباً: «قالت لي إنها قصة مكررة ولم أصدقها وسألت نيللي اليوم وعلمت أن لها عمّاً ليست على وفاق معه وأن ابن عمها يريد الزواج منها وهي لا تريد».

رمش أنس بعينه وقال مفنداً ما سمعه: «إن كانت هذه هي قصتها فما الداعي لأن تبقى عند الأغراب كل هذا الوقت؟!».

رد عصام يحاول أن يصدق قصتها: «قالت لا تريد أن تسافر لمدينتها وتبقى في الشقة وحدها وهي في هذه الحالة».

لم يقتنع أنس وشرّد في خطواته يقول ببطء مفكراً: «حتى لو كان خوفها من أن تكون وحدها وهي عاجزة رغم أنني أجدها منطلقة وتتحرك بساقها ذات الجبيرة مثل القروء فوق الشجر، ومع هذا سأتصور أن الخوف قد سيطر عليها أول الأمر حينما حدث الحادث لكني غير مقتنع أن تغامر فتاة بالبقاء في بيت أناس أغراب لا تعرف منهم سوى صاحبته حتى لو كانت تخاف من البقاء وحدها».

ساد الصمت وكل منهما شارداً في الطريق أمامه ليقول عصام بعد برهة: «هل تعلم أنها أكبر من مرام بثلاث سنوات؟».

عبس أنس وقال بسرعة: «ما فهمته أنها كانت معها في الفرقة نفسها في الكلية».

رد عصام بشرود: «هذا ما كنت أعتقد أنه أنا أيضاً لكن مرام أخبرتني أنهما كانتا في الكلية نفسها لكن ليس في الفرقة

الدراسية نفسها، فنيلى كانت تسبقها وتعارفا عن طريق
أصدقاء مشتركين».

عبس أنس وقال: «لست مرتاحا لهذا الكلام ويساورني
شعور..».

وصمت قليلا يبلع باقي العبارة أنه يشعر أن مرام تكذب
بهذا الشأن حتى لا يعير قلق أخيها فناظره عصام بتساؤل
ليضيف أنس بمراوغة: «يساورني شعور بعدم الراحة من
نيلى هذه».

سأله عصام باهتمام: «ما رأيك فيها دون خلفيتها
الغامضة؟».

أجابه أنس بلهجة ذات مغزى: «أنت الأكثر دراية فأنت من
يتعامل معها أكثر مني».

قال عصام بإصرار: «أنا أريد أن أعرف نظرتك لها».

أجابه أنس بجدية: «المهم نظرتك أنت يا فنان».

ارتسمت ابتسامة ضعيفة على شفتي الأخير وعاد ينظر
أمامه قائلا: «أنا لا أعرف ماذا يحدث معي يا صيدلي؟ هذه
أول مرة أشعر بما أشعر».

«وهذا ما يقلقني».

قال عصام معترفا: «ويقلقني أنا أيضا.. (وأضاف حائقا) بل
يعذبني».

تطلع فيه أنس صامتا ثم قال بلهجة حكيمة يحاول أن يمهد له أن يتقبل أي صدمة: «على أية حال حتى تتأكد من أنها الشخص المناسب لما تشعر به أخبر نفسك دوما أنه حتى لو لم تكن مناسبة فقد أخرجتك من حالة الاكتئاب التي كانت تسيطر عليك وأتمنى ألا تعود إليها مجددا».

ناظرة عصام بنظرة مأكرة وقال بمشاكسة: «العقبى لك حينما تتخلى عن الاكتئاب المزمّن الذي يسيطر عليك».

شرد أنس في الطريق أمامه ولم يعقب ليقول عصام بعد برهة: «أتعرف أن التعلق بالشخص غير المناسب شيء مرعب يا ابن عمي».

رد الآخر موافقا ويديه في جيبي سترته يشعره ببرودة لا يعرف إن كانت خارجية أم داخلية: «أجل إنه مخيف ومؤلم بشدة.. وقد يحيل حياتك إلى جحيم».

أحس عصام في كلمات ابن عمه بحرقة وعذاب لم يسمعها منه من قبل، فنظر إليه يقول: «لم أعتقد أبدا أنك ما زلت لم تتخط الأمر وأنك.. (وصمت قليلا ثم أكمل) ما زلت تتعذب بفراقها».

انتبه أنس من شروده يتساءل بحيرة: «من تقصد (ثم أضاف وقد أدرك معنى ما يقول) تقصد نها؟!».

طالعه عصام يبحث عن تلك الحرقّة التي نطق بها عبارته السابقة لكنه لم يجد شيئا بينما أوضح أنس: «أم زينة انتهى أمرها بالنسبة إلي منذ وقت طويل جدا».

هز عصام رأسه يشعر بالراحة لأن ابن عمه لا يتعذب فيكفيه ما قابله ولا يزال يقابله في حياته.

على ذكر ما يرزح تحته من ضغوط تذكر حاله هو الآخر فغمغم: «يوم أمس وأنا في حفل زفاف صديقي اكتشفت أنني توقفت عن الذهاب لصالة الألعاب الرياضية التي كنت أذهب إليها أنا وأصحاب الجامعة لفترة طويلة، صحيح هم اشتركوا منذ مدة في صالة أخرى غالية الثمن يرتادها المشاهير لن أستطيع أن أشاركهم فيها؛ لكنني حتى لم أعد أذهب لصالة الألعاب القديمة، لم أعد أفعل شيئاً صرت كالترس الذي يدور بلا توقف وما يشعرني بالمرارة أنني لا أنجز شيئاً مفيداً رغم كل هذا».

تطلع فيه أنس بتعاطف، فأضاف عصام: «هل أخبرتك أنني قررت أن مقابلة الغد ستكون آخر مقابلة عمل سأقدم لها سواء قبلت أو لم ييسر لي الله أموري فكما تعلم أحياناً أجتاز كل المراحل ويبقى الخيار الأخير بيني وبين من اجتازوا معي في يد القائمين على العمل بالشركة؛ لكنني قررت قراراً قاطعاً أنني لن أبحث مرة أخرى عن وظيفة تخصص مجال التصميم سأنتهي من زواج مرام ثم أدخر المقدم لشراء تاكسي يكون دخله لي وحدي دون أن أتقاسمه مع أحد (وأضاف بلهجة أكثر مرارة) وسأكتفي بالعمل الحر من هنا وهناك كهواية أشبع بها شغفي للتصميم وأفكر بطريقة أكثر عملية».

تجاهل أنس السهم الذي أصاب قلبه حينما سمع عبارة (زواج مرام) وقال له مشجعاً: «أحياناً كنت لك ناصحاً بما أني أكبر منك بأربع سنوات لكني في هذا الموضوع بالذات وفيما يخص العمل والرزق لن أستطيع أن أقدم لك نصيحة مجرب ولا نصيحة قارئ مطلع ولا نصيحة حكيم هذا الأمر بالذات معقد ويخضع في النهاية لقانون السعي والرزق والنصيب (وربت على ذراعه مضيفاً) كل ما أستطيع أن أقوله لك وفقك الله لما هو خير لك».

لمحا مراد الذي كان ينتظرهما عند بوابة البناية فقال عصام: «علينا أن نبدأ فيما قررناه بشأن مراد بمجرد أن ننتهي من خطبة مرام يوم الجمعة فلا نريد المزيد من التأجيل حتى لا يخرج الأمر عن السيطرة».

قالها وهو يستقبل أخاه الأصغر الذي اقترب منهما يقول بترقب: «ماذا حدث؟».

بعد قليل شهقت مرام وهي تتطلع في أخيها وابن عمها الواقف عند الباب منتظر الدخول كي يحمل ابنته النائمة فقال عصام: «لا تجزعي نحن بخير والحمد لله».

نظرت مرام لأنس تقول بقلق: «الحمد لله.. (ثم أضافت بعينين دامعتين) كلما تذكرت ما حدث للدكتورة سها قبل سنوات أشعر بالرعب من وجودك في الصيدلية وحدك».

كانت نيللي منشغلة بتبادل النظرات الخفية بينها وبين عصام؛ لكنها انتبهت لما تقوله مرام فسألتها: «ماذا حدث

لها؟».

ردت مرام: «كانت في الصيدلية وطلب أحدهم طلبية كبيرة خرج بها المساعد فدخل عليها من ضربها على رأسها فأغشي عليها وقام بسرقة الصيدلية».

اتسعت عينا نيللي ونظرت لأنس الذي دخل يقطع الصالة نحو ابنته النائمة بينما قالت روح بجزع: «ضربت على رأسك يا أنس؟! أريني».

تسمر الأخير في وقفته المنحنية ثم اعتدل يرد: «لست أنا من ضُرب يا جدتي لا تقلقي هل تتذكرين اسمي في المصائب فقط».

اقتربت روح منه تتفحصه قائلة: «أريني رأسك».

قال بصبر وهو يستجيب لشدها فيحني رأسه لتتفحصه: «لست أنا.. أنا بخير والفضل لعصام».

تركته فجأة وهي تقول بعينين غائمتين: «عصام حبيبي ليس له مثيل».

لوى أنس شفتيه وقال متهكما: «بدأت أعراض إسهال العواطف عموما عصام حبيبك أمسك بشابين وضربهما ببعض وكأنه يكسر بيضتين بلدي».

مال يحمل ابنته وهو يسمي في سره فاقتربت مرام لتساعده على تغطيتها بالغطاء وهي تقول: «دفئها جيدا فالجو بارد».

كان منزعجا من اقترابها منزعجا بشدة يود لو يدفعها بغلاظة بعيدا عنه، يود أن يصرخ بها ألا تقترب منه أبدا ولا تظهر أمام عينيه أبدا كان يود أن يستعطفها بأن ترحمه، فأشاح بوجهه بعيدا ثم تحرك مبتعدا قبل أن تكمل مهمتها في تغطية زينة وهو يقول متجاهلا الصخب الذي يصدره قلبه: «تصبحون على خير».

قالت روح بعبوس: «أيقظها لتمشي على قدميها لم تعد صغيرة كي تحملها بهذا الشكل».

عدل من الغطاء الذي كاد أن يسقط بسبب ابتعاده المفاجئ عن مرام وغمغم بلهجة حانية وهو يربت على ظهر ابنته: «لا بأس ستظل صغيرة أبيها نامي أنت أيضا يا روح.. نامي فمن في سنك ينامون مع أذان العشاء».

تطلعت مرام في ظهره المغادر وشعور غير مريح ينتابها فقالت لعصام بعد أن أغلق الباب خلف ابن عمه: «ما به أنس يا عصام؟».

رد الأخير وهو يتحرك نحو الركن الذي يجلس فيه دوما: «إنه بخير ولم يصبه شيء حمدا لله».

ردت نيللي تداري شعورا مراهقا بالانبهار: «قال لك إنه بخير وإن أخاك ضرب اثنين منهم وكأنه يكسر بيضتين ببعضهما».

اختلس عصام نظرة جانبية نحوها بينما قالت مرام موضحة: «للا أقصد ما حدث اليوم.. أشعر به مهموما بشدة».

رد عصام بلهجة ساخرة: «وهل تريدین لشخص مثله ألا يشعر بالهم يا مرام».

غمغمت الأخيرة شاردة: «لا يا عصام الأيام الأخيرة به شيء مختلف».

قال الأخير يارهاق: «اتفق معك فلندعو الله أن يفرجها علينا كلنا».

هزت مرام رأسها وقالت وهي تخلع حجابها: «هيا يا جدتي لننام هيا يا نيللي لقد تأخر الوقت».

هزت الأخيرة رأسها وقالت لمراد وعصام: «تصبحان على خير (ثم وجهت الحديث لعصام ووجنتها مخضبتين بالحمرة لسبب غير مبرر) حظ سعيد في مقابلة الغد».

هز رأسه وعيناه تتعلقان بعينيها قبل أن تتحرك مستندة على عكازها وتبتعد وكلاهما يدرك أن الحال بينهما لن يعود لسابقه بعد هذه الليلة.

بعد ثلاثة أيام

مساء

«قرنفل.. اصنع وردة القرنفل بدلا من الورد التقليدي».

قالتها نيللي لعصام الواقف فوق أحد الكراسي يزين الحائط الذي سيكون خلفية مقعدي العروسين أثناء حفل الخطبة..

فاستدار إليها وفي يده ورق كوريشة يشكل به وردات فأضافت: «أعتقد ما دام عمي عارف ينوي أن ينسق باقة من زهور القرنفل الطبيعي للعروس فديكور الحائط سيكون أنسب باستخدام نفس الوردة».

غمغم وهو يقوم بطي ورقة: «لديك حق».

ثم نزل من فوق الكرسي وتوجه نحو طاولة السفرة التي تحتوي على العديد من الخامات لصنع الزينة فراقبته نيللي وهو يطوي الأوراق الناعمة ويصنع منها ورود بديعة كزهرة القرنفل.. ثم تطلعت في الحائط الذي تم تزيينه بشكل مبهر.

لتقول زينة التي تتابع عصام وتساعدته منذ البداية: «أنت ماهر جدا يا عصام تصنع أشياء جميلة».

ابتسم لها الأخير ثم عدل لها ما تقوم بعمله تقليدا له فغمغمت نيللي وهي تقترب منه: «أنت بالفعل موهوب تستطيع أن تعمل في مجال تزيين حفلات أعياد الميلاد والزفاف وتصنع ديكورات رائعة».

رفع أنظاره القوية إليها بنظرة اخترقت قلبها ثم عاد لما يقوم به قائلا: «لم أفكر في هذه الفكرة من قبل دوما كانت هذه الأمور للمتعة الخاصة ولمشاريع الكلية لم أفكر في احترافها».

قالت نيللي: «أعرف متخصصين مشهورين في مثل هذا النوع من الديكورات».

رد بلهجة ذات مغزى وهو مستمر في عمله: «وهل هذه المعلومات كانت ضمن دورة أخرى حصلت عليها أيضا؟!».

لم يكن يعلق على ما قالته للتو فقط بل قصد كل اقتراحاتها منذ بداية عمله بتزيين الحائط.. كانت اقتراحات جيدة تنم عن ذوق أنيق وخبرة لا بأس بها.

ردت نيللي بارتباك: «قلت لك إن تخصصي في العلاقات العامة والتحقت بأكثر من دورة تدريبية».

رفع إليها مقلتيه يحدجها بنظرات قوية ثم غمغم وهو يعود لما يفعل: «كما تريدن».

سألته عاقدة حاجبيها: «ماذا تقصد؟».

رد دون أن ينظر لها: «أقصد ذلك الغموض الذي تصرين عليه».

ساد الصمت لبرهة فشعر عصام أنه بات يلح عليها كثيرا اليومين الماضيين فأضاف وقد ألح عليه كبرياؤه: «انسي ما قلته فليس لي الحق في التدخل بشؤونك».

قالها وهو يتوجه من جديد ليصعد فوق الكرسي ثم صاح بعصبية: «مرآااااا أين اختفيت؟ تعال لتناولني شرائط اللصق يا بني آدم».

جلست نيللي على أحد مقاعد السفارة في منتصف الصالة تراقب عصام الذي انقلب مزاجه ومراد وهو يساعده، بينما اقتربت زينة من جدها وأمه لتريهما الوردة التي صنعتها

فابتسم لها عارف وواصل ما يفعله باتصاله بمعارفه ليؤكد عليهم الدعوة لحضور حفل خطبة ابنته، بينما قالت زينة لروح الفؤاد: «عندما أصبح عروسا سأطلب من عصام أن يصنع لي هذه الورود».

غمغمت روح: «بالتأكيد سيصنعها لك خاصة لو كنت ستتزوجين من أخيه».

عبست الصغيرة وقالت: «أخوه من؟!».

ردت روح وهي تخرج بعضا من المكسرات من صرة صغيرة كانت بجيب عباؤها: «مراد طبعاً».

اتسعت عينا زينة ونظرت لمراد الواقف بعيدا يساعد عصام ثم قالت بقرف: «بيع! مراد؟!.. لا لن أستطيع الزواج من هذا الفظ».

تنهدت روح وقالت ضاحكة وهي تضع واحدة من الفول السوداني في فمها: «سنرى.. المهم ألا تبكين يوما لأنه لا ينظر إليك».

قال عارف بلهجة لائمة: «أمي! ماذا تقولين للبنت؟!».

أجابت روح وهي تعوج شفثيها: «وهل أخطأت؟! إنها تجوز له ولعصام».

غمغم عارف باللهجة اللائمة نفسها: «ما الداعي لهذا الكلام في هذا السن يا أمي؟!».

أشاحت روح بوجهها بينما وقفت زينة تتطلع فيهما بصدمة

وانزعاج في الوقت نفسه الذي خرجت فيه مرام من المطبخ تتطلع في الحائط المزين بإعجاب فقال مراد مازحا: «ما رأيك مرامي أنا تعبت في هذا التزيين من أجل عينيك».

لم تفلح مشاكسته في إخراج عصام من مزاجه الذي تعكر بل ظل يطوي ورق الكوريشة ويصنع المزيد من الوردات بعصبية، فربتت مرام على صدر مراد واستطالت على مشط قدمها فطبعت قبلة على لحيته الخفيفة وهي تقول: «العقبى لك في يوم زفافك إن شاء الله».

اتسعت عينا زينة الواقفة بجوار نيللي عند السفارة بينما رد مراد: «يا رب».

لتضيف مرام: «لكن نريد أن نبارك لك على الشهادة العليا أولا».

صاح مراد باعتراض: «لماذا؟ لماذا لا أتزوج أولا ثم أكمل تعليمي (وأضاف بابتسامة وقحة) ساعتها ستكون المذاكرة ممتعة».

رفع إليه عصام مقلتيه يناظره بنظرة خطيرة محذرة ألا يتمادى في المزاح الوقح في وجود الفتيات، فقضم الأخير لسانه بينما قالت مرام: «أريد زهرة قرنفل يا عصام اصنع لي واحدة».

فقالت زينة: «وأنا أريد واحدة».

هز الأخير رأسه في صمت وهو مستمر في عمله فشردت

نيللي تناظره بحيرة وانزعاج لأن مزاجه قد تعكر بعد المزاج الجيد الذي لازمه اليومين الماضيين، لأنه اجتاز المقابلات الخاصة بالشركة التي تقدم للعمل بها ووصل للمرحلة النهائية ولم يبق إلا أن يبلغوه بما قررته الإدارة وليس هذا فقط بل إن العلاقة بينهما كانت تزداد انسيابية وحرارة وخفقات مجنونة فقالت بلهجة ذات مغزى: «عليه أن يصنع زهرة لكل أنثى موجودة هنا».

ظل عصام صامتا يتطلع فيما يفعل ولم يعقب فقالت روح الجالسة على الأريكة البعيدة وهي تلتهم الفول السوداني: «وأنا عصومي أريد واحدة لأضعها في شعري (ثم ضربت على فخذه تقول وقد تذكرت شيئا) مرام لم أصبغ شعري يا مرام والحفل غدا».

تجمدت الأخيرة لعوان ثم أدارت لها وجهها تطالعها مثل الآخرين بحاجبين معقودين ليندفع مراد بالقول متخصرا: «وما علاقة صبغ شعرك بحفل الغد؟!».

قالت بدلال: «أريد أن أفرده على ظهري وأضع الوردة التي سيصنعها لي عصام».

أغمض عارف عينيه وارتبك وهو يحدث أحدهم على الهاتف، ثم استقام واقفا وتحرك نحو الشرفة وهو يحدج أمه بغیظ، أما عصام فلم يرفع نظراته عما يفعل ولم يكتف الضحك ككل مرة، هكذا لاحظت نيللي ولم تعرف أنه غارق في أفكاره المعذبة يتهم نفسه أنه قد تمادى في مشاعره

بشكل أصبح خطيرا وهي لا تزال مصرة على الغموض ولا تريد التحدث، وهذا يوحي إما باستهانتها به وبهم أو أن ما تخفيه خطير.

قال مراد لجده بلهجة منزعة: «ما تقولينه هذا سيحدث على جثتي (وأضاف باستهجان) تصبغين شعرك! وتضعين فيه وردة في الحفل!».

صاحت فيه روح بانزعاج: «أنت تخرس.. مالك أنت أنا حرة طوال عمري حرة أفعل ما أشاء، جدك كان يهديني الورد والياسمين ويحب حين أضعه في شعري».

قلب مراد مقلتيه ورفع زاوية شفته العليا وهو يقول: «كان هذا قبل خمسين عاما.. حينما كنت شابا».

هتفت بانزعاج شديد: «من أدخلك أنت يا..يا..».

أسرعت مرام نحوها تقول وهي تحدج أخيها بتوبيخ: «لا بأس يا جدتي لا تنفعلي حتى لا يرتفع ضغطك».

بينما قالت نيللي لتلهيها خاصة وقد انتفخت عروقها: «أخبرينا كيف كان العم شلتوت يهديك الورد والياسمين».

هدأت روح بسرعة وارتسمت على ملامحها ابتسامة بلهاء وهي تغغم: «شلتوت؟ وهل هناك رجلا مثل شلتوت!».

بعد قليل نزلت زينة من بيت جدها عارف متأففة مغتاضة وهي تحمل كيسا أعطته لها مرام، فقابلها أنس الذي طلب أن تنزل له مادامت لا تزال مستيقظة ورفض بإصرار أن يصعد

ليرى ديكور الحفل متعللا بإجهاده، فقالت زينة لوالدها: «لماذا لم تصبر يا أبي لم آخذ الوردة خاصتي».

عبس أنس دون فهم فأضافت موضحة: «عصام كان يصنع لنا ورودا ولم آخذ خاصتي».

غمغم يارهاق: «خذيها في الصباح هيا».

نزلت معه وهي تقول مبرطمة: «ماذا لو أخذتها الجدة روح؟».

لم يرد أنس كان غارقا في جحيمة الخاص فقالت زينة بمجرد أن دخلت الشقة: «أبي أنا لا أوافق على الزواج من مراد».

«نعم؟!»

قالها باستنكار وهو يستدير إليها وقد نجحت في إخراجه من دوامة أفكاره ليضيف بانزعاج وهو يصفع باب الشقة خلفه: «من أين أتيت بهذا الكلام؟!».

بلعت ريقها ورفعت إليه عينين تشبهان عينيه وهي تجيب: «جدتي روح قالت ذلك.. لكنني لا أوافق (ثم أبعدت خصلتين عن جانبي وجهها وأضافت بوجنتين متوردتين) أنا اخترت من سأزوج به».

رفع حاجبه وتكفف يقول بلهجة ساخرة: «والله!».

هزت رأسها بتأكيد ثم أضافت: «سأزوج من عصام».

ازداد ارتفاع حاجبه ثم قال بعد برهة: «زينة أنت ما زلت صغيرة ولا يصح أن تتحدثي في هذا الموضوع».

قالت باعتراض: «لكن جدتي..».

قاطعها يقول بحزم: «جدتك كبيرة وتتحدث كيفما تشاء لكن أنت ما زلت صغيرة».

أعطته الكيس الذي بيدها بفم ملوي فسألها: «ما هذا؟».

أجابت بعبوس: «هذا طعام أرسلته مرام».

وضع الكيس على السفرة مغمغما: «لست جائعا» قالها بعناد مع نفسه رغم جوعه وأضاف: «هيا لننام فأنا مرهق».

قالت زينة وهي تذهب معه نحو غرفتها: «حسنا لن أتحدث في هذا الأمر لكنني غير موافقة على هذا اللفظ مراد سأتزوج من عصام فهو يصنع زهور قرنفل رائعة من ورق الكوريشة».

غمغم أنس في سره بمرارة: «ليت الأمر كان بهذه البساطة يا صغيرتي كنت صنعت لها بيدي ملايين القرنفلات الحلوة مثلها».

بعد قليل

أغلق عصام هاتفه وقد بدا وجهه غريبا فسألته مرام السؤال الذي كانت تريد نيللي سؤاله: «ماذا حدث؟ هل أخبرك علي بشيء يخص الوظيفة؟».

أجاب وهو يعود للجلوس بجوار المنضدة الصغيرة: «لا بل كان يخبرني أن شركة جودت عابدين تعلن عن حاجتها لمصممين جرافيك».

سعلت نيللي عند سماع الاسم فنظر إليها بقلق لتغمغم: «جودت عابدين!».

كان لا يزال يتجاهلها متعمدا فhez رأسه دون رد وعاد ليكمل ما يصنع لتسأل مرام: «ما هذه الشركة؟».

أجابها عصام: «إنها من أشهر وأكبر شركات الدعاية والإعلان في البلد».

قالت بانشرach: «أرسل إذن سيرتك الذاتية بسرعة».

تكلم وهو يئد أملا يريد أن يثبت في قلبه ككل مرة يرى فيها إعلانا عن وظيفة: «لا.. أنا قررت أن تكون الشركة التي يعمل بها علي آخر شركة أتقدم لها وسواء أرسلوا لي أو لم يرسلوا فلن أرسل سيرتي الذاتية لأحد وسأسلك طريقا آخر».

هتفت مرام باستنكار: «مادامت شركة كبيرة لن تخسر شيئا بإرسال السيرة الذاتية».

غمغم ببعض اليأس: «إنها شركة ضخمة وشهيرة في مجال الدعاية والإعلان وتنظيم المؤتمرات وبالتأكيد يختارون موظفيهم بشكل مختلف».

اندفعت نيللي تقول بصدق: «وأنت مختلف وموهوب وما أسمعه عن هذه الشركة أن صاحبها رجل يقدر الموهبة قبل

الشهادات ولا يسمح بالواسطة».

رفع إليها عينيه وسألها بلهجة ساخرة: «وهذا أيضا عرفتيه عن طريق الدورات التي التحقت بها؟!».

امتقع وجهها وشعرت بالحرّج فقال عصام بضيق: «خذي الوردات يا مرام ووزعيها فعندي بعض الأمور لا بد أن أقوم بها.»

أسرعت إليه تلتقط ثلاث قرنفلات مصنوعات من ورق الكوريشة فنظرت فيهن بعدم فهم ليقول بلهجة واضحة: «الوردية لزيّنة والبرتقالية لجدي أعطيها لهما حينما تريهما في الصباح.. وذات اللون القرنفلي لك.»

قبل أن ترفع أنظارها عن الوردات لتسأله عن زهرة نيللي كانت الأخيرة قد التقطت عكاظها وتركت مقعدها مندفعة نحو غرفة مرام وهي تقول بلهجة جافة: «أنا سأنام تصبحون على خير.»

راقبتها عينا مرام وهي تعرج بعصبية للداخل بينما تقبض عصام مستاء نادما على فظاظته معها، فنظرت له مرام بصمت ولم تدر ماذا يحدث بين هذين الاثنين تشعر بإعجاب متبادل بينهما؛ لكنها لا تعرف ماذا حدث ليتصرف عصام بهذه الفظاظة.

قبل أن تفتح فمها قال عصام بلهجة متعبة: «أذهبي الآن يا مرام بالله عليك.»

قالها وفتح اللاب توب يتطلع فيه تائها فمطت مرام شفيتها
وتركته نحو غرفتها، ظل عصام لبعض الوقت ينظر لشاشة
اللاب توب تائها ثم قرر أن يرسل سيرته الذاتية لشركة
جودت عابدين فلن يخسر شيئا.

الجمعة

بما يفيد الندم بعد فوات الأوان؟ وبما سيشفع الألم
والعذاب الآن؟ فسواء كان غبيا أو مغلوبا على أمره ومقهورا
من ظروفه وقلبه فلا يملك الآن أن يفعل شيئا.

«هونها يا مهون» قالها أحد العمال بصوت مسموع وهو
يدخل من باب الشقة المفتوح منذ الصباح قالها وهو يحمل
عددا من الكراسي المؤجرة ورددها أنس في سره وهو يحمل
قلبه المتضخم وهمومه وآلامه بين جنباته ويقترّب من العامل
يأخذ منه الكراسي ثم تحرك يضعها في ركن من الصالة التي
تم إخلائها من الأثاث ووضعها في الشقة المقابلة شقة أم
بيسو، التي فتحتها لهم بعد صلاة الفجر ليضعوا فيها الأثاث
غير المرغوب فيه مؤقتا.

لقد عرضت المرأة خدماتها عليهم قبل يومين وكم أسعدهم
هذا العرض ولم تكتف بذلك بل حضرت منذ الصباح ووقفت
في المطبخ ترتب أمور الحفل، رغم أنهم قد اتفقوا على أن
يحضروا طعاما للمدعوين من الخارج تعويضا على عدم
إقامتهم لحفل خطبة بقاعة مناسبات، وبعد بحث وتفكير

وحسبة التكاليف وافقوا على اقتراح نيللي بالتوصية على
ديك رومي كبير وبعض الأطباق الجانبية سيذهب عصام
لإحضارهم بعد العصر.

قال عارف لأنس بعبوس: «لماذا لا تترك العمال يضعون
الكراسي يا دكتور».

رد الأخير بعد أن أخذ مجموعة أخرى من الكراسي من
عامل آخر على الباب وذهب ليضعها بجوار الآخرين: «السلم
وحده قاتل يا عماه.. دعني أساعدهم كي ننتهي من رصهم
قبل صلاة الجمعة».

سأله عارف: «أين مراد؟».

صعد أنس فوق أحد الكراسي نحو زينة الحائط التي
ستكون خلف مقعدي العروسين وقام بتثبيت أحد الشرائط
الذي يوشك على السقوط من اسم (مرام) وهو يجيب على
سؤال عمه: «مراد يباشر عمل عمال الفرشة بالأسفل».

قال عارف وهو يشعر بالضيق لعدم قدرته على المساعدة
بسبب ذراعه: «وأنا سأنتهي من تنسيق باقة القرنفل.. هيا يا
زينة لتكملي مساعدة جدك».

قالها وعاد إلى الشرفة فتطلع أنس في الاسم على الحائط
وحرك أنامله عليه يتحسس برفق ثم قبض يده بقوة يمنعها
من أن تنزع الاسم الآخر المكتوب بجوارها ونزل من فوق
الكرسي يتطلع في ابنته ويجاهد كي يمنحها ابتسامة وهي
تقول له: «سوف نصنع باقة من القرنفل رائعة من أجل

مرامي».

هز أنس رأسه صامتاً فأسرعت زينة نحو الشرفة خلف جدها ليسقط قناع (كل شيء على ما يرام) من على وجهه ويسأل نفسه ذلك السؤال الذي يتكرر في رأسه كل بضع دقائق (كيف سيتحمل باقي اليوم؟!).

دخل أحد العمال يلهث بشكل واضح وهو يحمل مقعد ضخم سيجلس عليه أحد العروسين فتناوله أنس منه ليقول الرجل شاكراً: «سلمت يدك يا دكتور».

وضع أنس المقعد تحت الحائط المزين وظل مائلاً عليه غير قادر على أن يستقيم وكأن تضخم قلبه بالألم يثقل كاهله؛ لكن سرعان ما ارتج هذا القلب حينما سمع صوتها من خلفه تقول: «أين عصام يا أنس؟».

اعتدل واستدار يتطلع فيها فهو لم يرها منذ الصباح كانت في غرفتها وخمن أنها تستعد مثل أي عروس، فارتدى ذلك القناع المزيف وأجاب بهدوء: «ذهب ليشتري المشروبات والعصائر».

قالت بلهجة متوترة وهي تتلفت حولها بارتباك واضح: «أخشى ألا نستطيع أن نرتب كل شيء قبل حضور الناس الطعام هل أكدتم على المطعم بالموعد إنهم يتلكؤون أحياناً وأخشى من انشغالي عنكم ألا يتم ترتيب كل شيء و...».

«مرام».

قالها أنس بهدوء وهو يقترب منها مشفقا على حالتها
فرفعت إليه عينيها الجزعتين تقول: «نعم».

تكلم بابتسامة حانية: «تنفسي وهدئي من روعك».

طالعه بمقلتين مترددتين ليضيف مطمئنا: «كل شيء
سيكون على ما يرام.. وكل ما قلته يوم أمس حينما اجتمعتم
لوضع الترتيبات الأخيرة للمناسبة أخبرني به عصام وسينفذ
بدقة إن شاء الله».

كانت تعترف أنها في حالة ارتباك شديد ولم تفصح نيلا في
إقناعها بالهدوء فغمغمت وهي تتلفت حولها: «أنا فقط قلقة
لأنه.. لأنكم رجال.. ونيلا لن تستطيع التصرف بسبب ساقها
و..».

قاطعها وهو يتأملها بذلك الإسدال ذو الوردات القرنفلية
الصغيرة وكأنها تتعمد أن تختار كل ما هو قرنفلي فيما
يخصها وقال: «أولا الست أم بيسو موجودة بارك الله لها».

التفتت مرام نحو المطبخ تقول بتأثر: «أجل بارك الله لها».

ليضيف أنس متحصرا: «ثانيا ما معنى (لأنكم رجال) يا ست
مرام ما بنا إن شاء الله! وما الذي نفتقره؟ ما شاء الله علينا
بارعين في كل شيء».

أشرقت ابتسامتها أمام ناظريه ورفعت قبضتها أمام فمها
تقول بلهجة صادقة: «العقبى لك يا دكتور أتمنى من الله أن
يرزقك بمن تسعدك وتعوضك عن كل شيء».

«ضاعت يا قرنفة.. ضاعت مني وانتهى أمري».

قالها أنس في سره وهو يتأمل وجهها الأبيض ذا الخدين
الممتلئين وضربات قلبه تتسارع بلهفة في صدره بينما
أضافت مرام: «افتح قلبك يا ابن عمي كي يدخله نور صبح
جديد».

استمر في الهمس في سره: «ابن عمك عالق في الظلام..
فنور الصبح مهره غالي».

«هل تعدني؟».

سأله مرام فقال وعيناه ترسمان ملامح وجهها: «ادعي لي
من قلبك يا قرنفة.. ادعي لي بأن يهونها الله علي».

كان في صوته حشجة متألمة فقالت بتعاطف: «فرج الله
همك ورزقك بمن تسرق قلبك».

ابتسم بمرارة وصمت يتأملها لعدة ثوان قبل أن يدخل أحد
العمال بالمزيد من الكراسي، ويتحرك لوضعها خلف أنس الذي
قال لها مرغما: «هيا ادخلي لا تقفي وسط العمال واطمئني أن
كل شيء سيكون على ما يرام».

رن الهاتف في يدها فخمن أنس هوية المتصل من تورد
وجنتيها فتأجج الحريق في صدره، بينما أخرجت روح
رأسها من خلف الستارة التي تغطي الممر تقول: «مرام لقد
اغتسلت».

تحركت الأخيرة نحو الداخل وهي تقول لأنس: «بالمناسبة

مر وقت طويل لم تنادني بلقب (القرنفلة) أسعدني أن أسمعه منك مجددا (ثم وضعت الهاتف على أذنها وهي تقول لروح) حاضريا جدتي أعطني بضع دقائق (وقالت في الهاتف) آلو..

أهذا هو الوداع؟! بهذه السرعة؟! لم يشبع من النظر إليها ولا الحديث معها ولا دعوتها بالقرنفلة، لن يجرؤ على تمنى لمسها أو ضمها في حضن كبير مشتاق على سبيل الوداع ولن يجرؤ على تمنى أكثر من ذلك ود فقط أن يشبع من النظر إليها فغمغم هامسا يرد على عبارتها: «وستكون المرة الأخيرة التي سيسمح لي بنطقها يا بنت عمي..».

بعد قليل قالت روح مبرطمة: «شعري سيجف ويهيش».

تطلعت نيللي فيها وهي تسمع باقي برطمتها لأن مرام في غرفة والدها تتحدث مع أسعد فانتهدت من ترتيب اللازم بشأن ما سترتيديه مرام وأدوات الزينة اللازمة فهي من ستقوم بتزيين العروس ثم قالت لروح مبادرة: «ما رأيك في أن أمشط لك أنا شعرك؟».

طالعتها روح بطرف عينيها بنظرة جانبية ثم ردت بكبرياء: «سأنتظر مرام».

قالت نيللي مشفقة على مرام الممزقة من كل الاتجاهات: «مرام عروس اليوم وعلينا تدليلها لا أن نرهقها».

غمغمت الأخيرة بانزعاج طفولي: «لو تترك هذا الهاتف من

يدها ستجد الوقت الكافي لفعل الكثير.. إنها تتحدث معه كثيرا».

فكرت نيللي لعوان ثم قالت وهي تقترب من سرير روح الذي تجلس عليه الأخيرة بشعر مبلل: «أعتقد أنك قد مررت بذلك في فترة الخطبة معها، أم أنك لم تتزوجي عن حب؟».

عبست روح وقالت مدافعة: «من قال لك هذا الكلام؟ بالطبع تزوجت عن حب.. حب كبير».

أسرعت نيللي بالقول: «ما رأيك أن تحكي لي قصة حبك وأنا أمشط لك شعرك؟».

ناظرتها روح لعوان ثم قالت بتدل طفولي: «لا بأس».

جلست نيللي خلفها وبدأت تمشط للأخيرة شعرها الأبيض الخفيف، بينما انطلقت روح تثرثر وتحكي كيف كانت متمردة ترفض الخاطبين وكيف فسخت خطبتها قبل الزفاف بأسبوعين من ضابط طيار لاكتشافها خيائته، وهو ما أحسته نيللي مبالغة منها لكنها لم تعلق فحكت روح عن أول مرة قابلت فيها شلتوت وكيف كان على حد زعمها يشبه الممثل رشدي أباطة، وكيف قابلها لأول مرة في السينما حينما خرجت هي وزميلاتها في المدرسة الثانوي لحضور فيلم (الزوجة الـ ١٣). أما نيللي فشردت فيما تفعل وتعجبت من أن تكون جالسة في هذه اللحظة تمشط وتضفر شعر امرأة عجوز غريبة فهذا ما لم تتوقع أن تفعله يوما وتذكرت جدتها أم والدتها التي توفيت وهي في العاشرة من عمرها، وحاولت

استرجاع الذكريات عن جدتها الفلاحة والدة أبيها لكنها ماتت وهي صغيرة جدا. إن هذه المرحلة من حياتها هي مرحلة انتقال لكنها لا تعرف ما هي المرحلة المقبلة وكيف ستكون حياتها بعد ذلك تعترف أنها تشعر بالخوف وتقاومه بالهروب في التفاصيل اليومية لعائلة مرام، وكأن واجبا ثقيلا ينتظرها وقرارا مصيريا عليها أن تتخذه وخوف من القادم خوف شديد.

بعد العصر

بعصبية غير مبررة تأففت زينة وهي تستدير لأنس بفستان منفوش تنورته من التل البنفسجي، بينما الجزء العلوي من القماش السميكة بأكمام طويلة وقالت لوالدها: «لا تعجبني هذه التصفيفة لشعري».

قال أنس يارهاق كبير: «زينة أنت طلبت ضفيرة من الأعلى وأن يكون باقي الشعر مسدلا على ظهرك».

قالت بغیظ: «ليس هكذا».

صاح بقلة صبر: «أخبريني كيف إذن (وأمسك بهاتفه يقول بعصبية أكثر) أريني الصورة».

تقوس فمها لأسفل ثم قالت وهي تلملم دبائيس الشعر من فوق المنضدة بين كفيها: «لا أريدك أن تصفف لي شعري».

عبس وهو يراها تندفع نحو باب الشقة وتفتحه فصاح

بأنفعال: «زينة إلى أين؟».

قالت بعناد: «سأصعد لمرام.. لماذا ترفض أن أصعد لها؟».

غلت الدماء في عروقه وتملكت منه رغبة يقاومها منذ بداية اليوم في تحطيم الأشياء، فتركها تغادر ليحميها من الحالة التي تسيطر عليه حتى لا يؤذيها.

في الطابق السابع بعد دقيقة دخلت زينة من باب الشقة المفتوح وأسرعت نحو المطبخ فوجدت أم بيسو تقف فيه تجهز الأطباق وأكواب العصير، فتركها وتحركت نحو غرفة مرام تفتحها دون استئذان فوجدتها مرتدية ثوب الخطبة، بينما نيللي تزين وجهها بمساحيق الزينة، ابتسمت لها مرام وتطلعت في فستانها تقول: «ما هذا الجمال زوز».

تأملتها الأخيرة بارتباك لتقول نيللي وهي تعدل من وضع ساقها المتألم: «اعتدلي يا مرام ليس هناك وقت فلف الحجاب سيأخذ وقتاً طويلاً».

أدارت لها مرام وجهها لتكمل وضع زينتها، بينما انسحبت زينة بإحباط وشعور غير مفهوم بداخلها تغادر الغرفة بكتفين متهدلين.

في الممر خرج مراد من غرفته حائقا وتحرك متجاوزا إياها فكاد أن يرتطم بها وهو يصيح قائلاً: «ابتعدي عن طريقي».

ثم خرج يقول بحنق وهو يمسك بطرفي ربطة العنق المتدلّية حول رقبته: «لا أستطيع ربطها».

قال عارف بغيظ: «ولماذا تربطها؟ المناسبة في البيت يكفي أن ترتدي البدلة فقط مثل عصام وأنس».

قال الأخير بإصرار: «لا أريد أن أرتدي ربطة العنق».

غمغمت روح التي ارتدت عباءة كحلية من المخمل اللامع مع ربطة رأس مثل الطاقية تبين عنقها وقرطين ذهبيين كبيرين يتدليان من أذنيها ومعهما قلادة ذهبية تزين عنقها المكشوف: «أتحسب نفسك عريسا».

عبس مراد فتدخل عصام يقترب منه قائلا: «هات لأربطها لك».

وقفت زينة تتطلع فيهم جميعا تبحث عن شخص يساعدها بديل عن مرام، شخص يفهم ماذا تريد دون أن تعبر عنه بالكلمات؛ لكنهم كلهم مثل والدها لن يفهموها مثلما تفهمها مرام تجولت بعينيها في الصالة التي لم تعد تشبه الصالة القديمة وشعرت بالوحشة وانتابها الخوف من التغيير، فانسحبت بكتفين متهدلين تغادر الشقة بإحباط ونزلت بضع درجات من السلم ثم جلست.

من الشقة المقابلة خرج الفتى المراهق باسم ووقف يتطلع فيها لبرهة ثم سألها بشفقة: «ما بك زينة؟».

أدارت وجهها إليه ثم عادت لتنظر أمامها دون رد فتحرك ينزل إليها وجلس بجسده البدين على درجة أخرى من السلم يقول بلطف: «لم تبدين منزعة؟».

تطلعت فيه ثم أجابت: «مرام مشغولة ولا أجد أحدا ليصف لي شعري من أجل الحفل».

نظر لشعرها وللدبابيس التي تحملها في قبضتها ثم قال ضاحكا: «هذا أمر يصعب علي المساعدة فيه، فلا أعرف الفرق بين شعر البنات والمعكرونة الإسباجتي».

ضحكت زينة فشاركها باسم الضحك على ما قاله.
«ماذا تفعل؟!».

قالها أنس بفحيح مرعب جعل باسم ينتفض واقفا وهو يقول بارتباك: «كنت..كنت أتحدث معها».

قال بلهجة عدائية: «ومن سمح لك؟!».

تلجلج باسم وقال وهو يرجع للخلف حتى كاد أن يسقط: «آسف».

قالها واستدرا صاعدا فراقبت زينة ابتعاده ثم نظرت لوالدها بانزعاج وهو يجلس بجوارها على السلم وقالت: «كنت فظا معه يا أبي».

عبس الأخير وأدار وجهه يرفع أنظاره نحو الأعلى إلى حيث اختفى باسم ثم عاد يقول لابنته: «لماذا تجلسين هكذا؟».

تكتفت تشيح بوجهها بعيدا وهي تقول: «أنا حرة».

مط أنس شفتيه وغمغم مقيما للوضع: «اممم.. أنت حرة (وأدار وجهه ينظر لأعلى وعاد إليها يضيف) يبدو أنني سأأخذ

بعض الإجراءات المشددة من الآن فصاعدا آنسة زينة».

طالعه بطرف عينيها فقال لها: «حسابك معي فيما بعد.. لنرى كيف تصرخين في وجهي وتتركين البيت دون أذني، وتجلسين مع الأولاد على السلم دون ضابط ولا رابط».

طالعه الصغيرة بعدم فهم ثم قالت: «من جاء بسيرة الشرطة الآن؟».

«الشرطة؟!».

قالها أنس عابسا فأجابت زينة: «أجل.. قلت (تجلسين مع الأولاد دون ضابط) ما دخل الضباط بجلوسي على السلم؟!».

لملم شفتيه حتى لا يضحك في الوقت نفسه الذي خرجت فيه أم بيسو تقول: «زينة أين أنت؟ (ثم انتبهت لوجود أنس الذي استدار لها فقالت) لا تؤاخذني يا دكتور لكن أخبرني باسم (ثم استدركت تقول بعد نظرة سريعة لباب شقتها الموارب وهي تخفي هاتفها خلف ظهرها) أقصد علمت.. علمت أن زينة تريد أن تصفف شعرها ومن بعد إذنك فهذا الأمر نسائي ولا تتدخل فيه».

مط أنس شفتيه ونظر لزينة يسألها: «ما رأيك أنا أصفف لك شعرك أم هي؟».

ترددت الصغيرة قليلا ثم ردت: «أعتقد أن أي شخص آخر لن يكون أسوأ منك يا أبي».

قالتها وهي تستقيم واقفة ثم صعدت بينما أم بيسو تكتم

الضحك، فطالع أنس ابنته بعينين جاحظتين ولسان حاله يقول مستنكرا: «أنا!».

في المساء

وقف يتظاهر بالسعادة واضعا قناع (كل شيء على ما يرام) على وجهه يستقبل المدعوين مع عمه وابن عمه غير أنه كان مرابطا عند باب الشقة وكأنه يستعد للهرب في أي لحظة؛ لكنه ظل يخبر نفسه كل بضع دقائق أنه لا يصح أن ينسحب ويترك بيت عمه في مناسبة كهذه ويخبرها أيضا أنه سيكون بخير لقد قابل الكثير من المواقف الصعبة في حياته واعتاد على ذلك، تقبض بقوة وأشاح بأنظاره عن أسعد ذلك البارد الوسيم المبتسم دوما الذي وصل هو وأسرته قبل قليل، والداه وثلاثة إخوة ذكور وزوجاتهم وأولادهم بالإضافة لبعض من أقاربه وأصدقائه ومنذ وصوله وهو يشعر برغبة ملحة في ضربه ضربا مبرحا وإلقائه من الشرفة كي ينزل قطعاً صغيرة ثم تمر من فوقه حافلة كبيرة فتسحق بقاياها، مشاعر همجية تسيطر عليه لكنه يبذل مجهوداً كبيراً ليسيطر على أشلائه وشتات عقله وشظايا قلبه.

وقعت عينا أنس على ابنته بفستانها البنفسجي وتسريحة شعرها التي صنعتها لها أم بيسو فابتسم وهو يراها تنكمش خجلة في حضن جدها وهي ترد على سؤال وجهه لها والد أسعد الذي يجلس هو وزوجته بجوار عارف، بينما روح

المتأنقة تحرثر مع أم أسعد.

حين أبعد أنظاره عنهم تقابلت عيناه مع باسم وارتبك الأخير بشكل جعل أنس يفكر في هذا المراهق إنه صامت منزوي منذ أن حضر، وأمه تبحث عنه بعينيها كلما تحرك هنا أو هناك.

إنه لا يعرف الكثير عنه أو عن أمه سوى أنها قد ابتاعت الشقة المقابلة لشقة عمه وجاءت لتسكن فيها هي وابنها في التوقيت نفسه تقريبا الذي حضر هو وزينة ليسكن في الدور السادس ولا أحد يعلم عنها سوى أنها أرملة تعيش مع ابنها ولا تختلط بالجيران، ولا يزورها سوى عدد قليل من الأقارب من فترة لأخرى، وأن ابنها هذا منطوي خجول لا يختلط كثيرا مثل أمه يرتاد المدرسة نفسها التي يذهب إليها مراد وفي السنة الدراسية نفسها؛ لكنه وكما يسمع عنه متفوق دراسيا وعلى ما يذكر قد حصل على مجموع كبير في الإعدادية.

أشار له بسبابته ليقترّب فبلغ الأخير ريقه ونظر حوله ليتأكد من أنه يقصده ثم تحرك بجسده البدين مقتربا، لم يجد أنس ما يقوله؛ لكن شعور أبوي كان يلح عليه بضرورة التحدث معه فسأله أول شيء تبادر إلى ذهنه: «ما أخبار الثانوية العامة؟». ابتسم الأخير ورد ساخرا: «الحمد لله نقوم بما علينا والبقية على الله».

رد أنس بجدية: «ونعم بالله.. أنت بالقسم العلمي مثل مراد

أليس كذلك؟».

هز باسم رأسه فسأله أنس: «هل تأخذ دروسا في الكيمياء؟».

أجاب باسم: «كنت الحقيقة منضما لمركز للدروس الخصوصية ثم تركته منذ شهر وأحاول الاعتماد على نفسي». عبس الثاني وسأله: «لماذا تركته (وسأل رغم عدم اقتناعه بالسؤال فهو يعلم أن مستواهم المادي جيد) بسبب مبلغ الاشتراك؟».

هز باسم رأسه نافيا ولم يرغب في إخباره أن السبب هو أن والدته كانت تصر للذهاب معه بحجة أن المركز بعيد فعاند معها وقرر عدم الذهاب، لأنه أصبح مصدر تهكم من باقي الطلبة لإصرارها على انتظاره في المركز فقال باقتضاب: «لا.. ليس هذا هو السبب».

فهم أنس أنه لا يريد الإفصاح عن السبب فقال: «ما رأيك أن تنضم لمراد سأساعده في الكيمياء».

لاح الاهتمام على وجه باسم وقال: «حقا بالطبع يسعدني ذلك».

قال أنس وهو يخرج هاتفه: «حسنا أعطني رقم هاتفك سأخبرك متى سنبدأ».

أسرع باسم بإملائه الرقم ثم سأله بتلعم: «بالنسبة إلى مبلغ الاشتراك..».

عبس أنس ورد باستهجان: «عن أي مبلغ تتحدث؟ اذهب يا بني هداك الله فأنا اليوم أفقر للطف مع البشر».

بعد قليل اقترب باسم يداري شعور بالارتباك يصيبه، حينما يوجد في أي تجمع بشري وقال لمراد الواقف وسط أصحابه: «كيف الحال يا مراد».

ناظره الأخير بطرف عينيه ورد باقتضاب: «بخير يا بيسو».

صمت الأخير وانتظر لأن يقوم مراد بتعريفه على بقية الشباب فهم أصدقاء فصله، بينما هو من فصل آخر ويعرفون بعضهم من بعيد؛ لكن مراد لم يفعل شيئا فتمنى باسم أن يكون شخصا مبادرا ويعرف نفسه للجميع؛ لكنه يتعرق وتزداد ضربات قلبه كما يحدث معه الآن.

تدخل أحدهم يسأله: «أنت في فصل (٣ ب) أليس كذلك؟».

هز باسم رأسه ثم أضاف ببعض اللجلجة: «وجاره في الشقة المقابلة (ونظر لمراد يقول) وسأنضم له في الدرس الخاص بالدكتور أنس».

قال مراد بانزعاج: «ها؟ ماذا قلت؟!».

ارتبك باسم وقال: «هكذا قال لي الدكتور».

قبل أن يكمل عبارته كان مراد يبحث عن أنس بين المدعوين ويتوجه إليه تاركا باسم يشعر بالحرج أمام الآخرين، ليستقبل أنس ابن عمه الصغير بوجه عابس يديه في جيبه بنطال البدلة التي يرتديها فهتف مراد بصوت عال

وسط موسيقى الحفل: «أنا أعترض لست موافق على باسم». رد أنس بمزاج عكر: «ومن قال إن لديك حقاً في تقرير هذا الأمر».

ناظره مراد بغضب ليضيف أنس: «ثم.. ما به الولد لترفضه؟».

أوضح مراد بارتباك مراهق لا يفهم دوافعه كلها: «ليس به شيئاً لكنه لزج ويراقبني في الذهاب والعودة ويريدنا أن نكون أصدقاء».

علق أنس: «وما المشكلة الولد وحيد ويبدو مفقدا الرفقة». غمغم مراد: «ألا ترى شكله ومظهره؟ أصحابي يتهمون عليه كلما رأوه».

رد أنس ساخراً: «الحقيقة ما شاء الله على أصحابك الحاصلين على جوائز نوبل (ثم أضاف بتوبيخ) ألا تشعر بالخزي وأنت تحكم على شخص من هيئته، ألا تشعر بالخزي لأنك تترك أصحابك يقررون لك من تصاحب».

عبس مراد ووقف يتطلع فيه، لترتفع الزغاريد فجأة فيلتفتا ويجدا الفتيات يقفن عند الممر، بينما عصام هناك أمام غرفة مرام فسقط قلب أنس بين قدميه بينما أسرع مراد لينضم لأخيه، كان الارتباك يغلب على فرحتهم خاصة أن كل شيء قد تم خلال أسبوع فتطلع عصام في أخته التي تقف أمام باب غرفتها في أبهى زينة وحشر مراد نفسه بجانبه فوقفا

يطالعاها بعينين غائمتين ليميل مراد ويحضنها بتملك وكأنهم سيسرقونها منه، ابتسمت مرام وربتت على ظهره بينما تدخل عصام ليبعده عنها قائلا: «ابتعد يا بني آدم الناس ينتظرون».

حين ابتعد عنها منحها عصام ذراعه لتتأبطه ففعلت وهي تسأله سؤالا غير منطوق عن رأيه في مظهرها فكانت إجابته بغمزة من عينه مصحوبة بابتسامة واسعة، بينما أسرع مراد ليقف بجوارها من الناحية الأخرى ويمنحها ذراعه كي تتأبطه هو الآخر فخرجت للناس تتأبط ذراعي شابين وسيمين أطول منها هما أخوها في مشهد استدعى الزغاريد الحماسية من الحاضرات.

من عند باب الشقة وقف من نصب نفسه مسئولا عن كل صغيرة وكبيرة في الحفل من كان عصبيا طوال الوقت في هيئة لم يراه عليها أحد، حتى عصام وعارف استشعرا أنه في حالة غريبة لكنهما أرجعاها للجهد الذي بذله الجميع اليوم خاصة هو الذي حمل على عاتقه تنظيم كل شيء بيديه، وقف في مكانه عند باب الشقة متسمرا يتأملها بين أخويها غير واع لابنته التي وقفت بجواره تخبره بحماس كم هي حلوة مرام ولم يكن بحاجة لتلك المعلومة فسيكون أعمى البصر والقلب لو لم يعترف أنها جميلة كحلم جميل عصي بعيد المنال، وقف يتطلع فيها بقلب سقط مهشما عند قدميها فأجبر الألم الحارق عقله على الاعتراف بما كان يحاول إنكاره أو تبريره، وسواء كان إنكارا أو تبريرا لم يعد يهم لقد حانت اللحظة التي كان يخشاها وعليه أن يعترف بالهزيمة

أمام قلبه وأمام نفسه، فأدار وجهه ينظر للسلم متقبضا بقوة وموليا ظهره للجميع، بينما أسرعته سهير نحو مرام تسمى وتصلي على النبي وهي تحضن العروس في الوقت الذي وقف عارف وأسعد يتأملها بابتسامة متسعة قبل أن يتقدم الأخير ويدعوها للجلوس في ركن الصالة البعيد، الذي تم وضع مقعدين أنيقين به للعروسين عند الحائط المزين الذي أبهر الحاضرين.

جلست مرام وجلس أسعد بجوارها يفتح زر سترة البدلة فسألته بتلقائية: «ما رأيك؟».

رد بابتسامة: «تبدين رائعة؛ لكن لي ملاحظة سوف أخبرك عنها فيما بعد».

تطلعت بعبوس في فستانها المكون من تنورة من الشيفون الناعم باللون الوردي الداكن الممزوج باللون البيج، بينما الجزء العلوي من التل المخرم على شكل وردات مفرغة ومبطنة بأكماس طويلة ولونها بدرجة أكر دكنة مع حجاب وحزام عريض في الوسط بلون التنورة نفسه به فصوص فضية لامعة على أحد جانبيه ولم تفهم ما يقصد فطالعت بتساؤل ليرد بهدوء: «فيما بعد سنتحدث مرام».

ابتسمت مرام وقد أصابها بعض الإحباط في الوقت نفسه الذي تناوب عليهما المدعوون يقدمون لهما التهاني والمباركات، فقد حضر زملاء مرام وسهير بالشركة وبعض أصدقاء وأقارب العريس ولم يكن من جانب العروس أي

أقارب فأغلبهم أقارب بعيدون واعتذروا عن عدم استطاعتهم الحضور للعاصمة نظرا للدعوة المفاجئة واعددين بحضور حفل الزفاف ليضم الحفل من جانب العروس جيرانهم وبعض معارف العائلة في المنطقة وكذلك أصدقاء مراد.

خرجت زينة لوالدها الذي أصبح فعليا خارج الشقة وقالت له بانبهار: «مرام جميلة جدا يا أبي».

كان الأخير يتعذب في جحيمة الخاص فابتسم لها ابتسامة مفتعبة والألم ينضح من عينيه ولم يعقب بل مال وطبع قبلة صامتة على رأسها كانت أقرب لطلب الدعم من ابنته قبل أن تقول الأخيرة: «أريد هاتفك لألتقط لها الصور.. فمرام خبأت التابلت الخاص بي وقالت سيضيع وسط الحفل».

لم تعطه فرصة للرد بل سحبتة من جيب بنطاله وأسرعت للداخل.

في غرفة مرام كانت نيللي لا تزال لم تخرج بعد لقد بذلت مجهودا كبيرا اليوم ورغم ذلك تشعر أن ما تدين به لهذه العائلة وما تحمله من محبة خالصة لهم يستحق أكثر؛ لكنها مكبلة بتلك الجبيرة في ساقها.

تطلعت لنفسها في المرأة بذلك الفستان المؤجر ورتبت حجابها ثم أمسكت بالعكاز؛ لكنها عادت وعبست من هياتها به كما شعرت بالخرج من خروجها للناس بهذا الشكلي كفي ذلك التوتر الذي تشعر به للاختلاط بأناس لا تعرفهم؛ لكنها أخبرت نفسها أن الأمر يشبه مناسبات كثيرة حضرتها مضطرة ومع

هذا لم تشعر بالراحة في اصطحاب العكاز معها فوقفت تفكر
لئوان ثم فتحت هاتفها وأرسلت لمراد رسالة ثم أعقبتها برنة
على الهاتف حتى ينتبه فأخرجه الأخير من جيبه ليجدها قد
كتبت: «تعالى من فضلك».

كتب وهو يتحرك: «إلى أين؟» (وجه مرتاب).

جاءه ردها: «عند غرفتي».

وعادت وأرسلت مصححة: «أقصد غرفة مرام».

كتب لها وهو يتوجه للداخل: «لا يصح أن آتي إلى
غرفتك» (وجه ملائكي).

كتبت عابسة: «مراد تعال وكف عن المشاكسة» (وجه
غاضب).

«وصلت.. وأقف عند الباب يا فندم» (وجه ملائكي).

أسرعت نيللي تعرج بالعكاز نحو الباب ثم ألقت به أرضا
واستندت على الحائط تسحب نفسا عميقا وفتحت الباب،
فشهق مراد وضرب على صدره بطريقة مسرحية.

عبست نيللي ليقول مراد بمشاكسة: «قلبي الصغير لا يحتمل
هذا الجمال».

ضحكت وقالت: «هيا».

مال برأسه يسألها بلهجة مسلية: «هيا.. ماذا؟!».

قالت ضاحكة: «أعطني مرفقك كي أتأبط ذراعك فلن أخرج

للناس بالعكاز».

اتسعت ابتسامته واقترب أكثر يمنحها ذراعه وهو يقول
بلهجة شقية: «قلت لك قلبي الصغير لا يحتمل».

تأبطت ذراعه ضاحكة ثم رفعت يدها لتعدل له ياقة
القميص وهي تقول بلهجة موبخة: «ارتديت ربطة العنق رغم
أننا أخبرناك أنها تأنقا مبالغا فيه بالنسبة إلى حجم الحفل».
أسبل أهدابه ورد: «هكذا أريد».

مطت شفتيها وبدأ في التحرك وهي تحاول تخفيف حدة
العرج خاصة وهي ترتدي خف البيت تحت هذا الفستان
الأنيق ليقوم مراد بالدندنة بمقطع شهير من أغاني الأفراح:
«اتمختري يا حلوة يا زينة».

ضحكت نيللي ثم تحولت ضحكتها لقهقهة ضاعت وسط
أصوات الحفل الصاخبة، حينما رفع كفه نحو فمه وحرك
لسانه مصدرا صوتا يشبه الزغرودة.

من وسط الصالة اتسعت عينا عصام وهو يراها تخرج
ضاحكة متأبطة ذراع أخيه وخطفت قلبه خطفا بإطلالتها
الأنيقة.

يعترف أنها ليست أجمل فتاة رآها في حياته؛ لكن كل ما
فيها يأسر قلبه ويمنحه قدرا مذهلا من السعادة عند رؤيتها
راقبها ومراد يساعدها على الجلوس على أحد المقاعد في
الركن الذي تتجمع فيه النساء بعد أن قام عارف بتعريفها

لوالدي أسعد كما اتفقوا من قبل باعتبارها قريبتهم من بعيد
وتقضي عندهم بضعة أيام بسبب عملية جراحية في ساقها.

كانت ترتدي فستانا من قطعتين تنورته سوداء تنزل
مستقيمة تحدد رشاقة جسدها لديها اتساعا بسيطا من
الخلف يشبه ذيل السمكة والجزء العلوي يشبه سترة مغلقة
من قماش خشن باللون الفضي كقشور السمك وحزام من
قماش أسود مخرم يحيط بخصرها الرشيق، وكانت تلف
حجابا أسودا حول رأسها، عيناها مكحلتان فزاد الكحل بريق
المقلتين وشفثاها المكتنزتان مطليتان بلون نبيتي.

أكلت الغيرة قلبه وتمنى أن يقترب ليعلن للجميع ملكيته لها؛
لكنه لا يملكها ولا يعرف إن كان سيمنح هذا الحق يوما أم لا..
هكذا حدث نفسه وعيناه تقابلان عينيها في نظرة طويلة،
نظرة وصال طويل عبر الصالة يقطعها المارون من أمامهما.
نظرة تحمل تساؤلات (هل تراني جميلة؟) (هل ترينني وسيما
بالبدلة؟) وتحمل عتابا عما حدث بينهما ليلة أمس، فمنذ
أن تركته غاضبة لم يتحدثا وعلى مائدة الإفطار كل منهما
تعمد تجاهل الآخر، نظرة تحمل استعطافا منه (هلا أخبرتني
بسر؟) واستعطافا منها (هلا صبرت علي؟).

نظرة تبوح بما لم يقله اللسان، وبما منعتة حواجز المكان
والزمان والظروف.

ومع كل هذا كان يصارع حمائية ورغبة ذكورية بدائية في
فرض ملكيته لها رغما عنها وفي الإعلان أنها تخصه حتى

لا تجرؤ العيون الفضولية في الحفل أن تنظر إليها، ولم يكن وحده من يصارع شعورا بدائيا تملكيا هناك آخر كان يقف عند الباب يلعن نفسه ويلعن كل شيء حوله ويقاوم رغبة قوية في القتل، خاصة حينما علت الزغاريد وأسرعت زينة بإعادة هاتفه له وهرولت نحو العروسين لتشاهد بانبهار أم العريس تفتح علبة مخملية كبيرة أمام أعين الحاضرين وتخرج منها شبكة العريس فيبدأ الأخير بإلباسها للعروس.

انتبه الجميع للعروسين بينما لم يقدر أنس على التحمل فاندفع هاربا ينزل السلم لتعقد نيللي حاجبيها باندعاش وهي تحاول أن تجد تحليلا منطقيا لما رآته على وجه أنس، أما مراد فوقف بجوار عصام ويديهما في جيبي بنطاليهما يتطلعان في أسعد الذي يبدو أنه يتمهل عن عمد ليطيل الوقت وهو يلبس مرام قلادة ذهبية لامعة حول رقبتها، فطحن عصام ضروسه وتقبض بقوة بينما اندفع مراد يقول بتهكم: «هل أساعدك في القفل يا عريس؟!».

قبل أن يرد كان مراد يقف بجوار أخته ويميل ليساعد في إغلاق قفل القلادة أمام أنظار أسعد المغتظة بعد أن ترك له المهمة محرجا.

في الدور السادس أغلق أنس باب شقته خلفه ودخل يلقي بنفسه على أقرب مقعد على يسار الباب خلع نظارته الطبية وألقي بها بجواره ثم انحنى للإمام يسند رأسه بين راحتيه، كان صدره يحترق بالألم وقلبه يتلوى من الغيرة عليها إحساس رهيب بالوجع فلم تكن مجرد عملية لخلع ضرس

مؤلم دون تخدير بل عملية سحب روح معذبة من جسد ينزف، وثورة وهياج كانا يناطحانه كي يحطم كل شيء حوله كي يصرخ بالألم لكن عقله أخذ يجاهد للسيطرة ويدعوه للتعقل، هكذا كان يُسحق بقوة بين شقي الرحي، فلم يكن هناك مفر من الاستسلام.. لم يكن هناك مفر من البكاء.. بكى أنس.. بكى كما لم يفعلها من قبل.. بكى متخليا عن كبريائه معترفا بما حاول إنكاره.. وأطلق العنان لدموعه.. بكى نادما على ذنب التخلي عنها لغيره ذنب لم يقتصره بإرادته إنما مغلوب على أمره.

«أنا غبي».. «لماذا اعترفت لنفسي.. أنا غبي».. «ولماذا تركتها من يدي غبي».. «هونها يا مهون».

بكى لدقائق قبل أن يرن هاتفه فينتفض واقفا بإدراك متأخر لما يفعل فمسح دموعه بساعده مستعيدا بقايا كبرياء نازف، وتحرك جيئة وذهابا في صالة شقته ليسيطر على رغبة تحته على المزيد من البكاء والكثير من العنف.

ازداد إلحاح الهاتف فالتقطه من فوق المقعد وسحب نفسا عميقا ثم تنحنح وأجلى صوته يرد بصوت أجش: «نعم عصام».

قال الأخير: «أين أنت؟».

تطلع حوله لمائية وكأنه يبحث عن شيء مجهول ثم أجاب: «أنا في شقتي».

«ماذا تفعل عندك؟!».

تنحني مجددا يقاوم ألما عظيما يمزق صدره ورد: «أرتاح يا عصام فظهري يؤلمني.. يؤلمني بشدة».

جاءه صوت عصام قلقله وهو يقول: «ألف لا بأس عليك بصراحة أجهدت نفسك اليوم يا دكتور».

غمغم أنس دون إرادة منه: «وهل عندنا أغلى من مرام».

قال عصام بامتنان حقيقي: «بارك الله لك يا ابن عمي نردها لك في الأفراح إن شاء الله».

ظل أنس متسمرا يقبض على الهاتف متألما حتى كاد أن يهشمه في يده ليقول عصام: «سأتركك لترتاح قليلا.. افرد ظهرك وحاول أن تصعد بعد قليل».

«إن شاء الله» قالها أنس بحشجة مكتومة وهو يسرع بإغلاق الخط ثم ألقى بالهاتف بعنف وتحرك بهستيريا جيئة وذهابا يفرك رأسه بأصابعه وأخذ يحدث نفسه كالمجنون: «هذا من أجل مصلحتها يا غبي إنها سعيدة ألم ترها سعيدة؟ أعندك أهم من سعادتها؟ من فرحة تراها في عينيها؟ وإن شاء الله هذا المتحذلق سيدللها ويحملها على كفوف الراحة ويعوضها عن كل شيء».

«وإن لم يفعل يا أنس؟» هكذا حدثته نفسه مجادلة وهو يفرك جبينه بأصابع مرتعشة قبل أن يغير اتجاهه قائلا لنفسه بوعيد: «وإن لم يفعل قسما بربي لأمزقه بيدي.. من أجلها ومن أجل قلبي الذي يحترق الآن».

استمر في تحركاته الهستيرية يئد الدموع التي تتجمع في
مآقيه ثم اقترب من النافذة ونظر للسماء نظرة شكوى مبللة
بدموع رجل مهزوم شكوى صامتة لم يستطيع أن يصيغها
في كلمات.

ليس عجزا عن التعبير فقط إنما مخافة من أن يتفوه بما
يخالف عقيدته التي حاول أن يتمسك بها لحظتها كمن يقبض
على الجمر.

الحب الخطف له علامة له علامة

ياخذك ويلف بحور ياما بحور ياما

ويسيب القلب فى دوامة

وأنا أصلي بحب الدوامة

الدوامة

صدحت أغنية المطربة صباح لتشعل الحفل لكنها لم تكن
بصوت الشحرورة؛ لكن بصوت مغن ينطق كلماتها بلهجة
شعبية عجيبة وبتوزيع جديد عصري كما يقولون فشوه
الأغنية في أذن عارف الذي تطلع في أصحاب ابنه مراد
المسؤولين عن تشغيل هذه الأغنية، الذين يرقصون عليها
بطريقة تشبه في نظره حركات القردة والممسوسين من
الجن، ورغم ذلك تسالت كلمات الأغنية إلى قلبين يناغشان
بعضهما عبر الصالة يخفيا الاهتمام يتصنعا التجاهل وكلاهما

يدرك أن الآخر يراقبه.

في الوقت نفسه الذي أفلتت فيه مرام كفها من يد أسعد
بحرج وبحمت حولها لتتأكد من أن الأمور في الحفل تمشي
على قدم وساق وبحمت عن زينة التي لوحت لها من بعيد
فلوحت لها مرام وتبادلتا إلقاء القبل في الهواء ثم بحثت عن
أنس واندeshشت حينما لم تجده ظاهرا.

اصحي بالليل من غير داعي

على صوت من جوه بينده لي

افرك في عينه واقوم خايفة

ألاقيني قصاد قلبي وعقلي

العقل يقول لي سمي ونادي

والقلب شفايفه تودودلي

توردت نيللي وهي تتبادل دون إرادة منها النظرات مع
ذاك الأنيق الذي تقبض عليه متلبسا كل بضع دقائق يتطلع
فيها فيشغلها عن الجلسة المحرجة والمملة وسط أناس لا
تعرفهم صحيح استطاعت بموهبتها الاجتماعية أن تتبادل
أطراف الحديث مع بعض الحاضرات؛ لكنها كانت تشعر
بالممل وبالرغبة في العودة للغرفة خاصة مع انشغال مرام مع
خطيبها وضيوفها.

تطلعت في العروس التي يتم التقاط الصور لها مع العريس
ومع الحاضرين فقطع مراد على نيللي الرؤية حينما اقترب

ووقف أمامها يشاكسها ويميل عليها ليخبرها أن منظرها
بالخف وبالجبيرة التي تظهر من تحت الثوب مضحكا، وكان
ما يفعله المراهق مكشوفاً لأخيه الأكبر الذي تملكته الغيرة
وفارت الدماء في رأسه فمراد يستعرض أمام نظرات أصحابه
علاقته بها، فهم بالاندفاع كي يسحب مراد من رأسه؛ لكنه
ذكر نفسه بالحفل قرن على هاتف أخيه بإلحاح حتى أخرجه
مراد من جيبه ونظر فيه عابسا ثم بحث حوله واصطدم
بعينيه الناريتين.

أشار له عصام بصرامة أن يقترب فبلغ الأخير ريقه وتحرك
نحوه، ليسحبه الأخير من طرف سترته نحو باب الشقة
بعيدا عن الأصوات العالية ثم وقف أمامه وهو يقول من بين
أسنانه: «الرجل المحترم يداري من يهمونه ومن يحترمهم
من النساء عن أعين الرجال، لا أن يستعرض نفسه معهن فإن
كانت نيللي ليس لها قدر عندك فلها قدر كبير عندي لذا كف
عما تفعل واحترم نفسك».

امتقع وجه الأخير يفكر فيما قاله أخوه فربت عصام على
رقبته وتركه عائدا للحفل.

امشي في السكة اشوف نفسي

كده حلوة وروحي عجباني

واتمني اقابله ولو صدفة

ويشوف تسريحتي وفستاني

راقبت عينا عارف أحد أصدقاء مراد المراهقين وهو يرقص
بتميع مازحا وتأمل قصة شعره الغريبة التي ذكرته بطريقة
قص شعر الجديان والماعز ونما إلى مسامعه بعض الألفاظ
الهازئة من أصحابه ساخرين من كلمات الأغنية التي يغنيها
المغني بطريقة غريبة فغمغم لوالد أسعد: «ماذا فعل هؤلاء
بالأغنية؟ ولماذا يتعمدون تشويه ذكرياتنا؟!».

رد الآخر وهو يتطلع في الاتجاه نفسه الذي ينظر إليه
عارف: «كل شيء أصبح مختلفا عن ذي قبل يا عارف يا أخي،
كل شيء شوه من حولنا للأسف ولا أدري هل هم الأعراب أم
نحن من بتنا أعرابا».

تطلع عارف في ولديه اللذين دخلا من باب الشقة وراقب
مراد وهو يعود لأصحابه ثم بلع غصة مسننة في حلقه شاعرا
بالخوف على أصغر أبنائه من مجهول لا يستطيع تحديد
كنهه، وهذا في حد ذاته كان مخيفا.

وساعات أحلامي تضحكلي

بحاجات منكرش أنها حلوة

وأشوف خيالات لو اسجلها

كنت أكتب في اليوم ميت غنوة

وساعات الضحكة ألقاها

غرقانة في دموع الشكوى

عادت نيللي لمراقبة عصام الواقف مع بعض الشباب وتمنت

أن تكون بما ترتدي حلوة في عينه لن تكابر بعد الآن، إنها تكن
مشاعر قوية لصاحب الكبرياء مشاعر أنثوية لم تشعر بها من
قبل مشاعر تخيفها من القادم، حينما يعرف عنها كل شيء
وحاصرتها ذات الحيرة التي سيطرت عليها الأيام الماضية
أيهما أقل ضررا؟ أن تخبره الآن بكل شيء أم تخرج من هنا
لتحل مشاكلها أولا؟

بقي الحب يا ناس ممكن
بالشكل ده يعمل ما بداله
دانا شفته مرة مفيش غيرها
وماكنش حتى واخد باله
والمدهش أنه خطف قلبي
ومبسوطة وراضية وسكتاله

بعد قليل قال عارف يشير على مائدة الطعام: «تفضلوا يا
جماعة».

استجاب الحاضرون وراقبت نيللي ارتباك الوضع عند
المائدة فبرغم أن الديك الرومي مقطع وإن بدا ظاهريا سليما
لكنه سيحتاج بالتأكيد لمن يقف بجواره ويشرف على توزيعه
حتى يكفي العدد، والخالة أم بيسو هذه الجارة الأربعينية
الطيبة التي بذلت مجهودا في ترتيب المائدة لن تستطيع
السيطرة، فأشارت لمراد ليقترّب ثم استندت على ذراعه كي
يساعدها في الحركة واقتربت تقف عند المائدة ثم أخذت

على عاتقها تقطيع وتوزيع قطع اللحم على المدعوين الذين كانوا يعدون لأنفسهم الأطباق بنظام المائدة المفتوحة، وقامت نيللي بإعداد طبقين للعروسين أعطتهما لمراد ليوصلهما.

وقوفها بجوار المائدة لفت انتباه الجميع واستفز حمائية عصام، خاصة وهو يلح نظرات الشباب لها أن لها شخصية كاريزمية مميزة وحلاوة يتذوقها القلب قبل العين، فوقف أحد أصدقاء أسعد أمامها يرسم ابتسامة واسعة وهو يناولها طبقه كالبقية كي تضع له قطعة من الديك ولم يتحرك بعد أن وضعت في طبقه قطعة بل ظل واقفا بالابتسامة نفسها مستمرا في مد يده باستظراف فتصرفت نيللي بلباقة ووضعت له قطعة أخرى؛ لكنه استمر على وقوفه واستظرافه ليقول له صاحبه الواقف بجواره ينتظر دوره: «ابتعد يا عمنا هل ستأخذ الطعام كله لحسابك».

استمر الأخير على وقفته فرفعت له نيللي عينين جادتين وقد اختفت الابتسامة المليحة التي كانت تزين وجهها، ثم وضعت قطعة اللحم في طبق صاحبه الذي شكرها وابتعد ثم وضعت قطعة أخرى لمن وقف مكانه، متجاهلة ذلك المستظرف الذي ظل واقفا ممتقع الوجه يمد لها يده بالطبق بإصرار وعناد.

وقف عصام بجوار نيللي بتصرف تملكي ذكوري بعد أن حدج ذلك المستظرف بنظرة قوية زادت من امتقاع وجهه وحركته من مكانه مبتعدا، ثم قال وهو يلتقط شوكتين

آخرين: «أتركيني أنا لأوزع الباقي يكفي هذا القدر».

احتقن وجهها وانزعجت لتدخله فزمت شفتيها الجميلتين أمام عينيهِ ورفعت إليه عينيها المكحلتين اللامعتين باستنكار تتطلع فيه من هذا القرب الشديد وأنفها تميز رائحة عطره القوي من بين العطور المنتشرة حولها ليقابلها عصام بنظرة صارمة قبل أن ينظر لأخيه كي يساعدها على الحركة، فتركت نيللي الشوكتين واستندت على ذراع مراد مبتعدة بغیظ، بينما بدأ عصام بالتوزيع وهو يبتسم ابتسامة صفراء مستخفة لصاحبه علي الذي شاكسه قائلاً: «لماذا على حظي العاثر يوزع الوجه العكر الطعام بدلا من الوجه المليح».

وضع عصام قطعة اللحم في طبق علي بخشونة ثم مال عليه عبر المائدة يهمس له قائلاً: «خذ طبقك وابتعد قبل أن الصقه بوجهك».

نظر علي لصاحبهما سامر الواقف بجواره بنظرة خاصة مأكرة وغمغم بهمس مازح: «إنها محجوزة يا سامر ليس لي نصيب مع الوجه المليح».

جز عصام على أسنانه يناظرهما بنظرة شرسة جلبت منهما المزيد من الضحك والتفكه قبل أن يبتعدا غامزين له.

في الوقت نفسه وبينما نيللي تبرطم بكلمات مغتازة غير مفهومة وهي تستند على ذراع مراد رن هاتفها الذي أعطته لمراد عند وقوفها على مائدة الطعام فأخرجه من جيبه يمنحها إياه.

التقطته باندهاش متسائلة في سرها عمن يمكن أن يتصل
بها فقد أخبرت رامي ألا يتواصل معها إلا عندما تتصل هي
به، وبمجرد أن نظرت في الاسم حتى اتسعت عيناها وقالت
بما يشبه الصراخ الذي تلاشى مع أصوات الحفل: «مراد.. مراد
ساعدني كي أذهب للغرفة بسرعة أرجوك».

الفصل العاشر

دخلت نيللي للغرفة وأغلقت بابها في وجه مراد الذي وقف متفاجئاً من حالتها قبل أن ينفذ الأمر عنه ويعود للحفل بينما لم تستطع هي الجلوس بل سحبت نفسها عميقاً وأخرجته وهي تقرأ الاسم قبل أن تجيب بلهفة: «عمي جودت».

جاءها صوت الرجل العجوز قلقاً بشكل واضح وهو يقول: «نيللي أين أنت بنيتي؟!».

سألته بصوت مكتوم بالبكاء: «متى عدت؟».

رد الأخير: «عدت منذ أيام وسمعت بالأخبار وباختفائك وقلقت مما قاله عمك المتشنج الذي اتهمني أنني أعرف مكانك ثم تفاجأت وأنا أفتح هذا الخط الخاص بالعمل برسالتك النصية لماذا لم ترسلي لي على الرقم الآخر الذي يخص المقربين؟».

ردت نيللي موضحة: «للأسف فقدته.. ورامي لم يستطع الحصول إلا على هذا ولم يزد في البحث حتى لا يثير الشكوك أنه يعرف مكاني».

سألها متعجباً: «ولم كل هذا؟!».

قالت بعاطفة قوية: «عمي لا أصدق أنني أتحدث معك».

سألها بحزم: «أين أنت الآن؟ تكلمي».

قالت بلهجة مطمئنة: «أنا بخير لا تقلق لكن أرجوك لا أريد لعمي أن يعرف مكاني».

قال بضيق شديد فاختنق صوته: «ماذا فعل مهدي هذه المرة؟ وكيف وصلت الشركة لهذا الحال؟ أخبريني أين أنت يا نيللي».

قالت الأخيرة مهدئة: «اهداً يا عماه وسأخبرك بكل شيء».

قالتها وهي تقفز بساق واحدة نحو السرير لتجلس عليه وتبدأ في قص ما حدث لها وللشركة.

في الخارج بحث عنها عصام وسيطر عليه شعور متناقض بين الضيق والراحة لاختفائها بالداخل فبالنسبة إليه هذا أفضل؛ لكن وخزة في قلبه تفسد عليه هذا الشعور بالراحة مخافة من أن تكون قد غضبت منه وبسببه لن تكمل بقية الحفل.

بعد مدة قال جودت لنيللي بانفعال: «ما هذا الهراء؟! مهدي هذا لن يتغير أبدا طوال عمره فاسد الذمة وانتهازي».

قالت نيللي بترج: «أخبرني يا عماه.. هل تصدق هذا عن أبي؟ فأنت صاحبه من سنوات طويلة».

هتف جودت بالانفعال نفسه: «لا أصدق هذا الكلام أبدا عن باهي.. صحيح لست مطلعا على تفاصيل عمل الشركة لكني أعرف باهي.. أعرفه جيدا وأعرف كيف كان رجلا نزيها وذا ضمير، ومتأكد من أنه لن يخل بشرف مهنته أبدا».

انفجرت نيللي بالبكاء رغم أن حديث جودت دون دليل؛ لكنه كان بالنسبة إليها طوق نجاة من مشاعر كثيرة متضاربة ويؤكد لها أن نظرتها لوالدها في محلها وأن هذا الرجل لا يمكن أن يقوم بما يخالف ضميره أبدا.

قال جودت بحمائية أبوية: «أخبريني أين بيت صاحبك وسأتي إليك حالا».

أسرعت نيللي بالقول: «أولا لا أحد يعلم هويتي حتى صديقتي نفسها، وهذه قصة طويلة سأحكيها لك فيما بعد؛ لكنهم أناس طيبون وضعهم الله في طريقي كي أجد مكانا آمنا أحصل فيه على وقت لترتيب أفكاري، ولا أرغب في أن يعرفوا ما أخفيه من مشاكل فائير ريبتهم مني وأسبب لهم أي مشاكل».

تكلم جودت مجادلا: «ليس بالضرورة أن نخبرهم بالتفاصيل، سأخذك ونرحل وتبقين هنا في بيتي».

ردت نيللي: «أنا هنا مكبلة بساقي المجبرة والشقة في الطابق السابع دون مصعد أي أنك لن تستطيع الصعود إلى كما أنني أتوقع أن يكون عمي مهدي يراقبك الآن ما دمت قد عدت من السفر».

هتف جودت بغیظ: «وهل سأخاف من مهدي؟! فليحاول الاقتراب منك».

قاطعته نيللي تقول: «القصة ليست هكذا فالله وحده يعلم كم شعرت بالاطمئنان لأنك عدت للوطن؛ لكنني أحتاج لبعض

الوقت وأريد أن أترك عمي بضعة أيام أخرى تحت الضغط كي تزيد أخطائه، كما أنني أدرس حاليا وضع الشركة المادي وأبحث عن حلول سريعة منقذة، أما بشأن تلك الأدوية فسأحتاج لمن أثق في رأيه وخبرته ويكون محايدا، وتقريبا وجدته لكن هذا الأمر يحتاج لتمهيد، أنا أركز حاليا على البحث عن إجراءات بديلة».

تكلم جودت بصدق: «نيللي أي مبلغ تريدينه».

قاطعته مجددا: «أعلم يا عماه؛ لكن الديون كبيرة بالفعل وبالتأكيد سأضطر للاقتراض منك بالإضافة لعدة إجراءات أخرى ستساعد على الأقل في تسديد الديون العاجلة وجدولة الأخرى».

سألها: «هل تحتاجين لمحاسب؟».

ردت نيللي: «أجل وسأحتاج لمحامي لأعرض عليه الموقف كله، المهم أن يكون محل ثقة وبعيد عن عمي».

طمأنها جودت قائلا: «لا تقلقي بهذا الشأن سأكلف محام من طرفي وأتواصل مع مدير مكتبك».

أسرعت بالقول: «أنا لا أريد أن ألفت انتباه عمي».

تكلم جودت غاضبا: «لماذا؟ بل عليك العودة ومواجهته أنا لست معتادا عليك بهذا الجبن».

قالت نيللي بلهجة متوعدة: «سيحدث يا عماه سيحدث قريبا إن شاء الله أنا فقط أريد بعض الوقت لأرتب أفكاري

وأفهم موقفى القانونى وهذا وحده سىحتاج وقتا لىدرس المحامى الوضع، أرىء حىن أظهر أمام عمى أن أكون مستعدة للمواجهة وأعلم ما لى وما على (وأضافت بعد أن تذكرت أمرا) هناك طلب آخر أرىء أن أطلبه منك يا عمى الأستاذ ثروت ملىر قسم المشترىات لا بد أن نجده أرىء أن أعرف أين ذهبت العقود السابقة للشركة وأخشى أن يكون عمى يعرف مكانه».

تكلم جودت بضىق واضح: «لا تقلقى سأكلف من ىبحث عن هذا الرجل، اطلبى من ملىر مكتبك أن ىرسل لى بىاناته، ولا تقلقى من أى شىء.. أنت فى حماية جودت عابىءن ولن ىستطىع مهى أن ىقترب منك».

قالت بمرارة: «مهى لن ىستطىع؛ لكن الشرطة تستطىع يا عمى لهذا أرىء أن أعرف موقفى القانونى أولا».

بعد قلىل زفر جودت وقال: «ىبدو أن لىك رغبة قوية فى البقاء عند صاحبتك يا نىللى».

لم تستطع الأخيرة الإنكار فهى تحتاج لبضعة أيام أخرى قبل أن تخرج من مخابها؛ لكن علىها أن تعترف أن هذا لىس هو السبب الوحىء وأنها لىست مستعدة لمواجهة آل شلتوت أو مفارقتهم.

قطع جودت أفكارها حىنما قال: «على أية حال سأتركك على راحتك أرىء فقط أن تطمئنى وكل النقاط التى اتفقنا علىها سأقوم بتنفىذها فوراً بدءاً من صباى الغء».

قالت نيللي وكأنها تحدث نفسها: «أهم شيء السرية وألا يشعر عمي بشيء فلا أريده أن يأخذ حذره، اختفائي لأيام أخرى سيعظم الأمل بداخله أنه قد تخلص مني وستكون ضربة قوية له حينما أظهر ويجدني مستعدة لمواجهته».

رد عليها جودت: «إن شاء الله أنا أكيد من قدرتك على إدارة الأزمة يا بنيتي».

تفرغرت عينيها بالدموع وتمتمت: «لا حرمني الله منك يا عماء لقد كنت بحاجة لهذه الكلمات فلن أنكر أن ثقّتي في نفسي اهتزت بعد الخطأ الذي ارتكبته بالتوقيع على العقد مع تلك الشركة الأخرى».

تكلّم جودت مشجعا: «لا تقولي هذا يا نيللي أنت على قدر المسؤولية، أنا أكيد من ذلك.. وباهي كان دوما يخبرني أنه سيترك من بعده خير خلف».

غمغمت وهي تمسح دموعها: «جبر الله بخاطرك أعلم أنه لم يقل هذا لكنك...».

هتف جودت بانفعال: «وهل أكذب عليك يا بنت؟!».

أسرعت بالقول: «لا.. لم أقصد هذا، قصدت أنك تحاول دعمي ورفع معنوياتي».

أجابها بهدوء: «لا أنكر هذا؛ لكني لا أكذب وباهي رحمه الله كرر هذا الكلام أكثر من مرة أمامي وهو دوما لا يتحدث عنك إلا بكل افتخار».

أجهشت بالبكاء قائلة: «ولماذا لم يخبرني بهذا الكلام أبدا كنت بحاجة ماسة إليه؟».

تمتم جودت: «باهي كما تعلمين لم يكن يحب إظهار عاطفته وربما أراد أن يحفزك بهذه الطريقة؛ لكنه كان دوما فخور بك ولن أنسى حينما قال لي في الهاتف عندما أخبرته أنني سأرسل له زوج إحدى بناتي ليكون معه لعدم استطاعتي للسفر إليه فرد علي قائلا (نيللي موجودة وهي بمئة رجل)».

استمرت الأخيرة تبكي بتأثر فأضاف جودت: «أنا سأتركك الآن وسأتصل بك يوميا لأطلعك على آخر ما توصلت إليه».

أسرعت بالقول: «بل أنا من سيتصل بك يا عمي حين أجد الفرصة للحديث».

غمغم بغير رضا: «كما تشائين تصبحين على خير».

«عمي».

«نعم».

قالت بتردد وهي تمسح دموعها: «هل أعلنتم عن وظائف لديكم بالشركة؟».

«أجل.. ما الأمر؟».

أجابت بلهجة غامضة: «الحقيقة أريد أن أطلب منك معروفا».

«خيرا يا نيللي.. اطلبي ما تشائين».

تملكها الحرج وكأنه سيطلع على ما في قلبها وقالت: «أخو صاحبتي مصمم جرافيك رائع وأراه واعدًا يتمنى أن يجد فرصة للعمل في شركة كشركتك؛ لكنه شاب مكافح ويرى أن الوصول للشركات الكبيرة أمر صعب، خضع لأكثر من مقابلة عمل ولم يوفقه الله (وأسرعت بالإضافة) ليس لأنه ضعيف الإمكانيات لكن تعلم سوق العمل والمنافسات والتوصيات».

تكلم جودت بهدوء قائلاً: «أنا لا أقبل بتوصيات العمل يا نيللي لكن أرسلني لي سيرته الذاتية وتصاميمه».

أسرعت الأخيرة موضحة: «أعلم يا عمي أعلم أنك لا تحب المحسوبية، أنا فقط ألفت نظرك إليه من بين مئات المتقدمين، عموماً هو أرسل السيرة الذاتية بالفعل كما فهمت.. اسمه عصام عارف شلتوت».

رد جودت: «مادام قد أرسلها فسيأخذ مساره الطبيعي مع المتقدمين».

غمغمت نيللي بإصرار: «أعرف لكن كنت أريد (وارتبتك تحاول إيجاد المعنى الذي يعبر عما تريد أن تقول فقالت) إنه شاب رائع ومكافح».

قال جودت بهدوء: «حسناً نيللي أعدك أن أرى ماذا يمكن أن أفعله لأجل خاطرك لكنني في الوقت نفسه لن أجاهل سامحيني».

هتفت بحماس دون أن تدري: «هذا ما أريده فقط نظرة منصفة له.. وأنا أكيدة أنه سيلفت انتباهك».

وبخها جودت قائلا: «تحاولين التأثير علي يا بنت!».
ضحكت وقالت: «لا أبدا؛ لكني أتمنى بشدة أن يكافئه الله
بالعمل معك».

صعد عصام من الدور السادس بعد أن أوصل زينة لأنس
الذي قابله سريعا بحجة ألم ظهره، فدخل عصام الشقة يتطلع
نحو الركن الذي تجلس فيه مرام وأسعد الذي لا يزال موجودا
رغم انصراف الجميع، واطمأن على أن أخاه الأصغر لا يزال
يمارس سماجته ويجلس معهما في الركن نفسه منشغلا في
هاتفه، فلملم ابتسامة مأكرة ترغب في الرقص على شفتيه،
في الوقت نفسه خرجت أم بيسو من المطبخ بعد أن انتهت
من غسل الأطباق، فابتسم عصام لها ابتسامة ممتنة بينما
قابها عارف يقول بلهجة شاكرة: «أتعبناك يا ست أم بيسو».

غمغمت الأخيرة بحبور: «لا تعب ولا شيء العقبى للباقيين
في الصباح نفرز الأواني ونعيد كل شيء مكانه لكن يبقى
الطعام».

ونظرت لبقايا الوليمة على السفرة فقال لها عصام بلهجة
ممتنة: «لا تشغلي بالك نحن سنقوم بالباقي جزاك الله خيرا».
صمتت المرأة لبرهة ثم قالت ببعض التردد: «لي طلب عندك
يا أستاذ عارف».

لاح الاهتمام على وجه الأخير فقالت ببعض الحرج: «هلا

أوصيت مراد على بيسو إنه وحيد ويكاد يجن من الوحدة».

أجابها عارف: «طبعاً بالتأكيد سأحدث معه (وأضاف بعد بعض التردد) لكن لا تؤاخذيني يا ست أم بيسو أنت تحبسينه بجوارك طوال الوقت وهذا ليس صحيحاً بالنسبة لشاب في عمره».

قالت الأخيرة وقد ظهرت ملامح قلقة على وجهها: «العالم بالخارج مخيف يا أستاذ عارف وأنا وحدي كما تعلم».

أوضح لها الأخير مقصده: «لا أنكر ما تقولينه لكن الإفراط في حمايته ليس حلاً.. عموماً سأحدث مع مراد بشأن باسم».

كان عصام منشغلاً عن الحديث الدائر باختلاس النظرات نحو الممر يشعر بالقلق والحيرة، فنيلى منذ أن تركت الحفل ودخلت لم تخرج ثانية أتراها قد غضبت منه؟ لكنه لا يرى بأنه قد فعل شيئاً يستحق غضبها للدرجة التي تجعلها تترك الجزء الأخير من الحفل، لقد طلب من نفسه الصبر كثيراً لكنه أصبح غير قادر على الانتظار ومرام منشغلة بخطيبها الذي لا يزال موجوداً رغم تأخر الوقت أما جدته فجالسة أمام التلفاز تتابع حلقة المسلسل الأجنبي التي فاتتها ولا ترغب في النوم على حد زعمها، فاستسلم أخيراً لإلحاح قلبه وأخرج الهاتف من جيبه يرأسلها: «نيلى».

ووقف يتطلع في الهاتف بقلة صبر حتى جاءه ردها: «نعم».

تراقصت دقات قلبه وهو يكتب: «هل أنت بخير؟».

«أجل بخير حمدا لله.. هل حدث شيء؟».

أسرع بالرد: «لا.. كنت أطمئن لأنك اختفيت فجأة».

جاءه ردها: «شعرت بالإرهاق».

«وهل لا تزالين مرهقة؟».

«قليلا».

«هل تستطيعين الخروج إلى الصالة لبضع دقائق؟».

«لماذا؟».

تردد قليلا ثم كتب: «أريد أن أعطيك شيئا».

خيم الصمت لبرهة ثم جاءه ردها: «حسنا سأخرج بعد

قليل».

بمجرد أن غادر أسعد وقفت مرام في الصالة تطالع الجميع

بوجنتين حمراوين فحضنها عارف مهنئا وتمتم قائلا: «مبارك

لك حبيبتي أتمنى من الله أن يكون لك زوجا صالحا».

لم ترد مرام كانت تسيطر عليها فوضى من مشاعر تعي

بعضها وتجهل البعض الآخر فاقترب مراد وحضنها في صمت،

فلم يكن قادرا هو الآخر على التعبير عن مشاعره التي لم تكن

سعيدة ليخلصها عصام من ذراعيه وهو يقول: «ابتعد وأترك

لي فرصة (ثم أضاف وهو يضم أخته) لماذا جسدك بارد بهذا

الشكل؟».

قالت ضاحكة: «منذ بداية الحفل وأنا أشعر بالبرد لا أعلم

لماذا (ثم أسرعته بالتحرك قائلة) وأريد دخول الحمام فوراً». قابلت مرام نيللي التي خرجت مرتدية ملابس البيت التي بادرتها بالسؤال: «كيف الحال يا عروس؟».

أجابت مرام ضاحكة: «حالي أني بردانة وأريد دخول الحمام».

قالتها وهي تسرع نحو الحمام لتقول نيللي بلهجة متهمكة وهي تتوجه للصالة: «أين الرومانسية يا فتاة اليوم كانت خطبتك».

حين خرجت نيللي للصالة تقابلت عيناها مع عصام الذي وقف بعيداً بادياً عليه الحرج، بينما ربت عارف على ذراع نيللي قائلاً: «أتعبنك بنيتي نخدمك يوم زفافك إن شاء الله». ابتسمت الأخيرة فأضاف: «أنا سأنام (ثم نظر لأمه يسألها) ألن تنامي يا أمي لقد تأخر الوقت؟!».

أشاحت له الأخيرة بيدها وتمتمت: «اقتربت الحلقة على الانتهاء».

قال مراد الذي جلس عند طاولة السفرة: «ألن تأكل يا أبي؟».

غمغم الأخير: «لا أريد.. تصبحون على خير».

قالها وتوجه لغرفته مرهقا بعد يوم طويل وأخذ يحمد ربه على أن مر اليوم على خير ونوى أن يحكي لصورة زوجته الراحلة تفاصيل الحفل كما تعود أن يخبرها بتفاصيل يومه

قبل أن ينام.

أما نيللي فظلت تتطلع بنظرات متسائلة في عصام الواقف في الركن البعيد فأشار لها بيده يمينا كي تقابله عند باب الشرفة، بإشارة لم تستطع تحديدها إن كانت أمرة أم مترجية فعقدت حاجبها واقتربت مستندة على عكازها بينما أخذ مراد يلتقط لنفسه صورا بهاتفه مع ورك الديك الرومي.

بجوار باب الشرفة التي يهب منها نسيم القرنفل التقى القلبان ينهتان من فرط الارتباك وقد ازداد توتر نيللي متسائلة عما يريد عصام بهذا الطلب المباشر.

أما الأخير فكان محرجا يداري ارتبাকে خلف جدية ملامحه حتى إنها شاكسته قائلة لتبدد شعورها بالرجفة كلما أصبحت في محيطه شعور لا تدري متى بدأ لكنه بالتأكيد أكثر ارتجافا هذه اللحظة: «ما هذه الجدية بدأت أشعر بالقلق».

عبس حينما تطلع في وجهها المرفوع إليه وسألها: «أكنت تبكين؟!».

أسرعت بالقول كاذبة: «بالطبع لا».

سألها متفحصا: «لماذا وجهك منتفخ وعيناك حمراوان إذن؟».

ردت مبررة: «يبدو أن (المسكارا) التي وضعتها على رموشي أصابتني بالحساسية».

للحظات استسلم للغرق في بحر عينيها الأسود ذو البريق

اللامع الذي يشده إلى المجهول قبل أن يسحب أنظاره بعيدا ويقول بضيق: «أتمنى ألا أكون قد ضايقتك فتركتِ الحفل قبل نهايته».

ردت بكبرياء: «إذن تعترف أنك كنت فظا؟».

ناظرها من علي ثم أشاح بأنظاره بعيدا وهو يقول: «رغم أنني لا أعرف ما هي الفظاظة في أن أطلب منك أن تستريحي؛ لكني كنت أتوسم فيك نضجا وذكاءً سيجعلك تتفهمين لم فعلت ذلك».

هتفت باستنكار: «كنت! كنت تتوسم!».

ناظرها بطرف عينه ثم غمغم: «وما زلت طبعاً».

أسندت ساعدها على العكاز وردت بلهجة ساخرة: «جزاك الله خيراً الحقيقة لا أعرف كيف سأرد أفضالك علي يا باشمهندس».

كان سعيداً بمشاكستها ككل مرة فغمغم وهو يشيح بنظراته عنها مجدداً: «يكفي أنك تعترفين بذلك».

سألته باستنكار: «أعترف بماذا؟!».

رد بكبرياء: «بأفضالي».

ضربت كفا بكف وهي تقول ساخرة: «لا حول ولا قوة إلا بالله! لا تسكت عن حالتك وأبحث عن علاج يا مسكين».

ضيق عينيه وتطلع فيها باستنكار فرفعت ذقنها تسأله

بتحد: «لماذا لا تعترف بأنك طلبت رؤيتي كي تعتذر».

ظهرت الملامح المستهجنة على ملامحه وهتف باستنكار: «أعتذر عن ماذا يا بنت الحلال؟! عن كوني لم أتحمل أن أراك تتوسطين المائدة والرائح والغادي يدقق فيك؟!».

انفرط عقد ضربات قلبيهما بهذا الاعتراف فأشاح عصام بنظراته بعيدا وهو يتقبض إلى جانبيه وقد وعى لما تفوه به لسانه، بينما حاولت نيللي أن تتحلى بالجدية ففتحت فمها لتقول شيئا سرعان ما تاه وسط صخب أفكارها وضجيج قلبها ثم حاولت التركيز أكثر لتقول: «المهم ماذا كنت تريد؟».

صمت لبرهة قبل أن يرفع يده الأخرى التي كان يخفيها خلف ظهره ويمدها لها بزهرة قرنفل ذهبية.

تفاجأت نيللي فرفعت أنظارها نحوه لكنه كان لا يزال مشيحا بأنظاره بعيدا فعادت للزهرة الاستثنائية التي في يده وأخذتها بأصابع مرتجفة وهي تقول: «ما هذه؟ وما المناسبة؟».

ناظرها عصام نظره جانبيه بطرف عينيه وقلبه يكاد يقفز إلى حنجرتة ثم أشاح بأنظاره مجددا ورد وهو يضع يديه في جيبي بنطاله: «خفت من أن تدعي علي فلا ينقصني من النحس إلا أن تدعو علي أنني مستضعفة بساق مكسورة».

فتحت نيللي فمها وهي تتطلع فيه بإدراك لتعمده استفزازها؛ لكن ما تشعر به لحظتها من مشاعر استثنائية كهذه الزهرة أخرسها لئوان كان عصام فيها قد توقف عن

التنفس مترقبا لردة فعلها، يسب نفسه على تعجله في الإفصاح عن مشاعره لكن مشاعره هي ما تلح عليه بجنون وقلبه سيفقده عقله في القريب العاجل.

تخلصت نيللي من صمتها وقالت بصوت خرج متهدجا يعلن عما تعانيه من فوضى المشاعر: «اعتذار مقبول باشمهندس عصام، وشكرا على لطفك بعد فظاظتك».

قالتها وأسرعت بالهرب أمام عينيه الذاهلتين فذلك عصام جبينه بأنامله ووقف حائرا لا يعرف كيف يحل رد فعلها؟ وتساءل في نفسه هل ما فعله كان تهورا؟ وهل وصلها ما أراد البوح به؟ وإن كانت قد فهمت فما معنى رد فعلها هذا؟

(على رسلك يا عصام أكل هذا من أجل زهرة صنعتها من ورق الكريشة، فتشعر بأنك قد فتحت عكا! إنها مجرد وردة من ورق) هكذا حدث نفسه وأضاف بيأس متhekما (وهذا هو ما تستطيع أن تقدمه لها حاليا يا برنس.. وردة من ورق!).

أما نيللي فجلست صامتة على طرف السرير تتطلع في القرنفلة الذهبية في يدها بتأثر ووصلها ما حاول عصام أن يخبرها به ولا تعرف لم لم تفرح؟ لماذا شعرت بزيادة الحمل فوق ظهرها، ربما لأنها تمنى أن تكون بالفعل تلك القرنفلة الذهبية نادرة الوجود في نظر عصام أو لشعورها بالخوف من أن يعرف بما خلفها وبما أوشكت أن تضربه الناس دون علمها ليته تكون بالفعل قرنفلة ذهبية.

في الساعات الأولى من فجر اليوم الجديد كانت مرام تجلس أرضاً بجوار المقعد الوحيد بغرفتها وفستان الحفل ملقى فوقه، بينما روح يصدر شخيرها صوتاً يضايق نيللي المستلقية على جانبها ظهرها لمرام وهو الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تفعله لها كي تمنحها بعض الخصوصية مع خطيبها، فتلاثتهما محشورات في تلك الغرفة الضيقة وعليهن التعايش أو بمعنى أصح اثنتان وثلاثتهما تفرض نفسها فرضاً عليهما.

هكذا أنبت نيللي نفسها وهي تستعيد تفاصيل الليلة منذ أن اتصل بها العم جودت،

أما مرام فكانت تتحدث مع أسعد بصوت خافت والإرهاق بادٍ عليها ليقول أسعد فجأة: «لم أخبرك برأيي الكامل في مظهرك الليلة».

انتبهت حواسها وهممت بلا معنى ليضيف: «الفستان كان يوضح وزنك الزائد يا مرام».

عبست وغمغمت: «وزني الزائد؟! أنا لست بدينة إلى هذا الحد ربما لست بالوزن المثالي لكن...».

قاطعها أسعد قائلاً بهدوء: «بل وزنك زائد جداً يا مرام، وأنا أكثر ما أكرهه المرأة الممتلئة».

صدمتها كانت شديدة فتجمعت الدموع في عينيها بسرعة وهو يضيف: «نفس الفستان سيكون أروع عليك لو كنت أنحف من ذلك هذا رأيي».

ردت مجادلة وقد أحمرت وجنتاها من الحرج: «لكنك.. لكنك
تقدمت لخطبتي وأنت تعلم شكلي».

أجابها أسعد: «لأنني أعجبت بك وبأخلاقك وشعرت بالراحة
لك ولعائلتك، أما أمور النحافة والبدانة فهي أمور يمكن
التحكم بها».

كان يخنقها البكاء ولم يسعفها ذهنها للرد عليه فلم تكن تعلم
أن شكلها منفر إلى هذا الحد فصمتت ليقول أسعد: «مرام هل
ضايقتك بكلامي؟ اتفقنا منذ قليل على الصراحة بيننا ولم
أقصد مضايقتك، قصدت أن أخبرك برأيي بصراحة وبما أحب
لكن لن أجبرك على شيء»

أحست بالارتباك والإحباط فهي مثل أي فتاة ترغب في أن
تشعر أنها مميزة في عيني خطيبها فبلعت الدموع التي تملأ
حلقها وقالت بحشجة: «لا أعرف ماذا أقول فبال تأكيد كنت
أتمنى أن أكون حلوة في نظرك».

أسرع أسعد بالقول: «لا لا من قال إنك غير ذلك؟! (وأضاف
بلهجة مغازلة) أنت جميلة ولك عيناں جميلتان وشفتان...».

قاطعته تقول بارتباك: «أسعد أنا أشعر بالإرهاك بعد مجهود
الليلة والأيام الماضية دعنا نتحدث في الصباح».

قال متنهدا: «حسنا تصبحين على خير يا خطيبتي».

أغلقت الخط وظلت تنظر في الهاتف لبضع دقائق ثم فتحت
بعض الصور التي أرسلها لها أخويها من أجواء الحفل،

وأخذت تدقق في شكلها وتكبر الصورة معترفة أن لديها
اكتنازا في ذراعيها وخديها ومقدمة جذعها لكن لم تكن
تعلم أنها الى هذا الحد منفرة، استقامت واقفة وتحركت
نحو السرير فتقلبت نيللي الغارقة في أفكارها لتسألها مرام:
«نيللي.. هل أنت مستيقظة؟».

هممت الأخيرة بالإيجاب لتقول مرام: «أنت صريحة ولا
تجاملين أعرف أن أهلي يروني بعين المحبة».
فتحت نيللي عينيها ورفعت رأسها تسألها باهتمام: «ما بك
مرام؟».

سألتها الأخيرة: «كيف كان الفستان علي؟».
«رائع جدا».

«أقصد هل كنت فيه بدينة؟».

عبست نيللي بعدم فهم فأضافت مرام بصوت هامس
مخنوق: «هذا كان رأي أسعد».

فغرت نيللي فمها بمفاجأة ثم قالت بانزعاج: «وهل تفاجأ
بشكل جسمك الآن؟!».

ردت مرام وهي تستلقي على الوسادة: «يقول إنه لا يفضل
البديئات».

همت نيللي بمهاجمته لكنها التزمت الصمت حتى لا تزيد من
مشاعر مرام السيئة، بينما غمغمت الأخيرة وهي تغلق عينيها:
«سأنام الآن لأنني متعبة».

طالعتها نيللي بانزعاج شديد من أسعد هذا، بينما قررت
مرام كعادتها ابتلاع المشاعر السيئة في جوفها واستسلمت
للنوم.

اليوم التالي

صوت تحطم قوي لشيء زجاجي طغى على الضوضاء
التي تدور في رأسه فبلع ريقه الجاف وفتح عينيه يحاول
استعادة وعيه بالكامل، ليأتيه صوت زينة تقول بصوت باك:
«لقد انكسر يا أبي».

ليؤكد له أنه قد سمع بالفعل صوت ارتطام شيء بالأرض ولا
يهلوس كما كان يحدث معه طوال الليل، فقال بأعلى صوت
استطاع أن يتحدث به وهو يعتدل في فراشه بصعوبة: «أنا
قادم لا تتحركي من مكانك كي لا تجرحي قدمك».

جاءه صوتها يقول: «حاضر».

فتحامل على نفسه وعلى ألام جسده واستقام واقفا وهو
يقاوم سعالاً خفيفاً يهاجمه، إنه يعاني الحمى طوال الليل
ولم يستطع أن يغادر الفراش حتى الآن وقد انتصف النهار
حتى إنه لم يقدر على القيام من سريره ليعد لابنته سندويشا
وطلب منها قبل قليل أن تأتيه بعلبة الجبن من العلاجة، كان
الدوار شديداً وهو يترنح في طريقه نحو المطبخ فوجد زينة
تقف منكمشة وحولها قطع الزجاج تملأ الأرض لشيء هو غير

قادر على تحديد ماذا كان قبل أن ينكسر لتبادره زينة بالقول مبررة: «كنت اسحب علبة الجبن ف..».

قاطعها قائلاً وهو يغلق باب العلاج ويلتقطها من تحت إبطيها ليرفعها عن الزجاج: «لا بأس».

أنزلها خارج المطبخ وقال آمراً: «ارتدي خف البيت ولا تتجولي حافية القدمين ولا تدخل المطبخ حتى أكنس الزجاج».

قالها وتحامل على نفسه ليفتح العلاج ويخرج منها علبة الجبن ورغيف بارد هذا ما استطاع أن يفعله وعاد وهو يحارب دواره نحو غرفة النوم يتساءل لماذا تأخر صبي الصيدلية كل هذا الوقت حتى يحضر الأدوية التي طلبها.

بعد قليل رن جرس الباب فسمعه أنس وهو غارق في موجة جديدة من الهلاوس وقد ارتفعت حرارته أكثر فميز صوت ابنته تقول: «سأفتح الباب بالتأكد عامل الصيدلية».

أجبر عقله على التركيز فكان كمن يعوم وسط بحر متلاطم الأمواج وحاول مجددا الاتصال بمراد، فبالتأكيد عصام في عمله الآن لكنه لم يرد فتحامل على نفسه مجددا وترك السرير بقلب أب قلق على ابنته التي خيل إليه أنها غابت في العودة إليه وتوجس مما تخيله صمت لا يسمع فيه صوت الفتى المراهق عامل الصيدلية فأمسك بباب الغرفة وخرج إلى الصالة يسأل: «لماذا تأخرت يا زينة؟».

ردت الأخيرة وهي تمسك بالكيس من الفتى: «آتية حالا».

قال الفتى عبر الصالة: «ألف لا بأس عليك يا دكتور».

هزله أنس رأسه ليسأله الآخر: «هل تريد شيئا آخر؟».

أجابه أنس بالنفي ثم أكد على ابنته أن تغلق الباب جيدا بعد أن رحل وعاد لغرفته كي يتناول دواءه.

مرت ساعتان وارتفعت الحمى من جديد فعادت إلى أنس هلوسته وأخذ يتمتم أمام عيني ابنته وهو يخانق أحدهم: «هل تظنونني ضعيفا لأنني لا أفضل التعامل بشريعة الغاب تظنونني ضعيفا».

تطلعت فيه زينة بقلق شديد واحتارت ماذا تفعل لأنه منعها من أن تخرج دون علمه، فاقتربت منه تضع كفها الصغير على جبينه، ففتح أنس عينين حمراوين يتطلع فيها بتفاجؤ لتقول بقلق: «أبي هل أناذي مرام؟ إنها تستطيع التصرف».

غمغم بهذيان: «مرام لا أريد أن أراها أبدا».

هرشت زينة في رأسها وشعرت بالضيق لأن التابلت الخاص بها ليس معها إنما في شقة جدها عارف ففكرت قليلا ثم تركت الغرفة نحو المطبخ ووقفت بتردد أمام الزجاج المكسور قبل أن تغير وجهتها وتذهب إلى الحمام، فتخرج طبقا بلاستيكيًا كبيرًا يستخدم في غسيل الملابس وتضع فيه قدرا قليلا من الماء ثم عادت تحمله بصعوبة إلى غرفة والدها ووضعت الطبق أرضا فحجمه كان أكبر من المنضدة الجانبية للسريـر.

وقفت تبحث حولها عن قطعة قماش فلم تجد لتسرع نحو غرفتها وتعود ببلوزة تخصها وتغمسها في الماء وتجاهد في عصرها بكفيها الصغيرين؛ لكن البلوزة ظلت تقطر الكثير من الماء وهي ترفعها لتضعها فوق جبينه فشقق أنس واستيقظ من غفوته يتطلع حوله ثم رفع البلوزة عن جبينه يدقق فيها وفي ابنته قبل أن يسترخي ويعيدها على جبينه مرة أخرى فقالت زينة بقلق: «ستكون بخير يا أبي أليس كذلك؟».

غمغم بوهن: «إن شاء الله يا بابا».

ثم تحسس هاتفه تحت الأغشية وأعطاه إياه يقول: «اتصلي بآخر رقم اتصلت به.. فإن رد مراد أخبريه أن يأتي ليصحبك للأعلى أو أن ينتظرك على السلم كي تصعد ليبيت جدك».

عبست وقالت باعتراض: «أنا لست صغيرة يا أبي أستطيع أن أصعد وحدي دون هذا الفظ».

قال مغمضا عينيه: «اسمعي الكلام يا زينة أنا لن أكون مطمئنا على صعودك وحدك لذا لا بد أن يكون هناك من يتابعك حتى تصعدين».

هتفت بغیظ: «أبي إن بين الطابقيين عدة درجات من السلم.. في رأيك ما الذي سيحدث لي خلالهم؟!».

كان قلقه عليها كأب قد اختلط بهذيان الحمى ففتح عينيه الحمراوين وأمسك بذراعها بقوة أوجعتها وهو يقول: «أسعد سيخطفك مني.. وهذه المرة سأقتله لو اقترب منك».

رمشت الصغيرة بعينيها بارتباك وعدم فهم ليضيف أنس وهو يترك ذراعها ويعود برأسه ليستقر على الوسادة وآلام جسده تشتد: «لهذا عليك بسماع الكلام، اصعدي لبيت جدك واطلبي من مراد أن ينزل ليصحبك لتصعدي لبيت جدك».

فغرت الصغيرة فمها تحاول استيعاب ما قاله ثم تحركت بعد برهة تغادر الغرفة قاصدة شقة الدور السابع بعد أن سمح لها بالصعود كما فهمت من كلامه.

مع صوت الباب يفتح ويغلق عاد أنس لهلوساته فأخذ ينادي: «زينة أين ذهبت وتركتيني؟! هل ستتركتيني أنت الأخرى؟!».

في الطابق السابع فتحت مرام الباب وبادرتها بالقول: «لماذا تأخرت في الصعود اليوم؟».

قالت زينة: «مرامي إن أبي مريض جدا».

اتسعت عينا مرام وسألتها: «ما به؟ أهو ظهره؟».

هزت الأخيرة رأسها نافية وردت: «إن حرارته مرتفعة ويقول كلاما لا أفهمه».

أسرعت مرام بالتقاط إسدالها فسألتها نيللي الجالسة عند منضدة السفرة: «ما الأمر؟».

أجابتها الأخيرة بعبوس: «زينة تقول إن أنس مريض ويعاني الحمى».

سألها نيللي: «وهل ستنزلين إليه بنفسك؟!».

ردت الأخيرة: «سأطمئن عليه بسرعة، فأبي لم يعد بعد ومراد الزفت لا أعرف أين مختفي منذ فترة حاولت الاتصال به قبل قليل (وأضافت وهي تتحرك مع زينة) واصلني الاتصال بمراد يا نيللي بالله عليك لعله يحترم نفسه ويرد».

سألت روح بقلق: «هل عارف ولدي يعاني الحمى؟!».

ردت مرام من عند الباب: «ليس عارف يا جدتي بل أنس، فأبي ذهب ليقبض المعاش».

قالتها وأسرعت بإغلاق باب الشقة خلفها ونزلت تهرول على السلم وخلفها زينة قبل أن توبخها قائلة: «تركت باب الشقة مفتوحا يا زينة».

ردت الأخيرة: «ليس معي مفتاح.. كيف سأعود».

دخلت مرام الشقة وأسرعت نحو غرفة النوم غير أنها توقفت لحوان قبل اقتحام بابها المفتوح وهي تعي بإدراك متأخر أنها ستدخل غرفة نوم رجل فأبطأت خطواتها ونادت مرتين قبل أن تدخل: «أنس.. دكتور أنس».

سبقتها زينة للداخل تقول: «لقد أحضرت مرام يا أبي».

فتح الأخير عينيه الحمراوين بينما وقفت مرام أمامه تقول بهلع: «ما بك بعيد الشر عنك!».

مد ذراعه إليها وسحبها لتميل عليه ثم طوق ذراعيه حولها يقول هامسا: «هل اشتقت لي؟ أجئت لأنك اشتقت لي؟ أنا

أيضا اشتقت إليك جدا يا مرام ولا أعلم ماذا سأفعل في الأيام المقبلة في هذا الشوق؟».

هكذا خيل إلى أنس أنه قد فعل لكنه لم يكن قد رفع إصبعاً بل كان يحدق فيها بعينين مرتبكتين قبل أن ينبهه عقله بخطورة ما كان يهلوس به قبل ثوان والذي بدا وكأنه حقيقة فمارس أقصى جهده للتركيز ويقول بحشركة: «ماذا تفعلين هنا؟ أين مراد؟».

ردت الأخيرة وهي تتطلع حوله: «مراد خرج منذ الصباح ومالت عليه لترفع تلك البلوزة الغريبة من فوق رأسه وهي تقول) ما هذا؟!«.

قبض على معصمها بحركة عدائية أفزعته ولم تكن تعرف أنه يصارع هلوساته كي لا يتسبب في كارثة وهو يقول بانزعاج: «ماذا تفعلين؟!«.

قالت وهي تنظر ليده التي تقبض على معصمها: «أنت تعاني الحمى يا أنس جئت لأطمئن عليك».

ترك معصمها ببطء وأخذ يتطلع فيها بصمت لبرهة ثم قال وهو يخفي رأسه تحت الوسادة وكأنها تطارده: «اصعدي بالله عليك لا يصح أن يراك أحد تخرجين من شقتي اذهبي وخذي زينة معك».

سحبت البلوزة التي وقعت بجواره على السرير وبللت المرتبة وكادت في حركتها أن تتعرقل في الطبق البلاستيكي في الأرض فغمغمت: «ما هذا؟!«.

ردت زينة: «كنت أضع له الكمادات».

ابتسمت مرام ابتسامة حانية بينما أخرج أنس رأسه من تحت الوسادة وهتف بعصبية: «مرام قلت اذهبي من هنا».

قالت وهي تميل وترفع الطبق من الأرض: «حاضر.. حاضر سأذهب (ونظرت للأدوية بجواره وسألته) هل أحضر لك وعاء صغيرا به ماء وخل من أجل الحرارة؟».

قال بلهجة غاضبة وقد لمحت عيناه خاتم الخطبة الذهبي الذي يلمع في إصبعها وكأنه يغيظه: «لا أريد شيئا، قلت اذهبي أنت وزينة».

ردت مجادلة: «وكيف أتركك بهذا الشكل؟».

صرخ بغضب: «مرام اسمعي الكلام لو سمحت».

عبست لعصبيته وتحركت تغادر الغرفة مع زينة ليعود أنس ليخفي رأسه تحت الوسادة ويضرب بقبضته على السرير عدة مرات يقاوم رغبة صبيانية لا يعلم كيف لبسته أن يحتجزها في هذه الشقة معه رغما عن أنف الجميع.

سمعها تقول لزينة: «ما هذا الزجاج المتكسر؟ حاذري حتى لا تجرحي قدمك وناوليني المكنسة».

صاح أنس هادرا: «مرام».

فأسرعت الأخيرة بالقول بعصبية «قلت حاضر..».

سعل أنس عدة مرات بعد صياحه بينما قالت مرام:

«سأتصل بمراد أو بأبي ليسرع أحدهم بالعودة (ثم قالت لزينة بعبوس) تعالي يا بنيتي لنغادر».

وتطلعت في الزجاج المكسور تشعر بالغيب لأنها ستتركه بهذا الشكل ثم قطعت الصالة تلوي عنقها هنا وهناك فيما حولها وغمغمت بغيظ وهي تخرج مع زينة وتغلق باب الشقة: «لو يتركوني على هذه الشقة لأنظفها وأعيد ترتيب الأثاث فيها لأصبحت شيئاً مختلفاً».

أما أنس فتطلع في الساعة ليحسب كم تبقى على موعد الجرعة القادمة من خافض الحرارة وجسده يعاني آلاماً شديدة لا يعلم إن كان السبب حمى المرض أم حمى قلبه فغمغم وهو يعرض على الوسادة: «هونها يا رب وامنحني القوة من عندك والهمني بالصبر».

في المساء

«هل بقي الكثير حتى نصل؟» سؤال سألَه عصام لزيد الذي يجلس بجواره في المقعد الخلفي للسيارة التي تقلهما فأجابه الثاني وهو ينظر حوله في الطريق الهادئ الخالي من العمران: «أوشكنا على الوصول».

سألَه عصام بلهجة متهكمة: «يبدو أنك معتاد على الطريق».

لاحت ابتسامة على شفتي زيد وقال بلهجة متفاخرة: «زرتَه بضع مرات في حفلات خاصة كان يقيمها الباشا».

قال عصام بلهجة ذات مغزى: «ومن يكون هذا الباشا؟».

غمز زيد وقال: «ستعرف بعد قليل».

عقد عصام حاجبيه وتطلع بعبوس لصاحبه ثم عاد ليتأمل تلك السيارة الغريبة التي يجلس فيها فمند أن قابل زيد حسب الموعد المتفق والأمور تسير بشكل غامض ومريب بداية من مراوغة الأخير عن الإفصاح عن هوية هذا الذي يدعوه بـ(الباشا) مروراً بالسيارة الفاحشة الثراء التي وقفت أمامهما لتوصلهما لذلك (الباشا) سيارة يعرف عصام أنها بمبلغ مخيف زجاجها أسود وحين دخلها هو وصاحبه وجد أنه ليس فقط نوافذها بذلك الزجاج الأسود بل إن هناك زجاجاً من نفس النوع يفصلهما عن المقعدين الأماميين اللذين يجلس فيهما السائق وحارس ضخمة الجثة أمرهما بالركوب وصولاً لذلك الطريق البعيد عن العمران الذي يقع خارج العاصمة.

ولا ينكر أنه يشعر بالتوجس من هذا المشوار المريب؛ لكن الفضول بداخله حثه على المواصلة بالإضافة لاستنكاره من أن يعتذر عن الذهاب بعدما وعد وقبّل بذلك.

حين توقفت السيارة أمام إحدى الفيلات في منطقة خالية من العمران نزل عصام وتطلع في طاقم الحراس الواقفين أمام الفيلا فاستدار لزيد يقول بلهجة متهمكة يداري بها شعور بالتوتر: «ما هذا يا عم زيد؟ هل نحن في زيارة لرئيس الوزراء!».

ضحك الأخير وربت على كتفه وهو يصحبه لداخل الفيلا، فدلف عصام يتطلع حوله بفضول في المكان ذي الثراء الفاحش بدءا من الحديقة مرورا ببهو الفيلا الفخم وبالخدمات الآسيويات حتى وصلا إلى باب غرفة فتحته لهما الخادمة ليجد نفسه في غرفة مكتب لا تقل وجاهة وثراء عن باقي المكان ثم يتفاجأ بمن يستقبله مرحبا به.

دارى عصام شعوره بالمفاجأة خلف ملامح عادية وهو يمد يده لليد الممدودة ويسلم على رفعت صادق أحد الوجوه الإعلامية المعروفة، إنه عضو البرلمان ولديه برنامج سياسي شهير ومن الوجوه اللامعة المشهورة بالالتزام الديني والمشهود لها بالاستقامة في المجتمع، فسلم عصام عليه ثم سلم على شخص آخر موجود معه كان متعاليا بعض الشيء في سلامه على عصام على النقيض من رفعت الذي بدى بسيطا كما يظهر على التلفاز.

دعاهما الأخير للجلوس فجلس عصام وفكره مشغول بما يريده هذا الرجل منه ليقول رفعت مرحبا: «أهلا يا باشمهندس عصام، الحقيقة الباشمهندس زيد شكر فيك كثيرا خاصة في مهارتك في مجال الفوتوشوب والتصميم، وأنا سألت عنك وعلمت أنك مشهود لك بالكفاءة والأمانة».

(الأمانة) الكلمة ردها عصام في ذهنه أكثر من مرة وهو يرد على رفعت بعبارات مجاملة قبل أن يضيف رفعت: «لذا أنا أقصدك في خدمة شخصية وأعدك أنك إن نفذتها كما يجب ستكون لك مكافأة كبيرة».

رد عصام وهو يمرر أنظاره بين رفعت ورفيقه الجالس بجواره صامتا: «لو أستطيع لن أتأخر يا معالي الباشا».

أخرج رفعت سيجارا غليظا وقام بإشعاله وهو يقول: «تستطيع إن شاء الله فالكل يشهد بمهارتك في مجال الفوتوشوب».

غمغم عصام بحرج: «يقولون في الأمثال الصيت ولا الغنى يا باشا».

قال رفعت بجدية: «سأدخل في الموضوع حتى لا أضيع وقتي ووقتك أريدك أن تترك لي بعض الصور لتبدو حقيقية».

ضيق عصام عينيه وهو يسأله: «صور؟ أي نوع من التركيب؟ ولمن؟».

لاحت الجدية على وجه رفعت تخالف تماما الواجهة الإعلامية المبتسمة وقال ببعض الحذر: «هناك شخص أريد أن أركب له صورا وأحتاج لشخص بارع مثلك بحيث تبدو حقيقية».

قال عصام وقد تيقن من تخمينه: «أريد تفاصيل.. لأنني لا أفهم طبيعة المطلوب بالضبط».

تبادل رفعت النظرات مع رفيقه ثم قال لزيد: «هلا تركتنا لبضع دقائق باشمهندس زيد؟».

قال الأخير بتلعثم وهو يشعر بالحرج: «آه طبعا يا معالي

الباشا».

قالها وهو ينتفض واقفا وربت على كتف عصام ثم غادر الغرفة وأغلق الباب خلفه ليقول رفعت: «أريد تركيب صور لامرأة».

سأله عصام بإصرار رغم توقعه لطبيعة المهمة: «أي نوع من التركيب بالضبط؟».

قال رفعت بلهجة مباشرة: «اسمع يا باشمهندس أريدك أن تتركب صوراً لامرأة معينة في أوضاع فاضحة.. فاضحة جداً أريدها أن تبدو حقيقية وكأنها (وصمت للحظة ثم أضاف ببطء) أنت تفهم ولهذا لجأت لشخص يشهد له بالمهارة مثلك (وأضاف أمام عيني عصام المحدثتين فيه بصدمة) ومهارتك هذه سأقوم بتقديرها جيداً».

استقام عصام واقفا وقال بلهجة حازمة رغم هدوئه الظاهري: «أسف يا باشا طلبك ليس عندي».

كان يقف أمامه متقبضاً يداري صدمته وشعور بالغضب والقرف فقال رفعت بهدوء: «اسمع يا عصام أنا وافقت على ترشيح زيد لك بعد أن سألت عنك لأتأكد من أنك شخص أمين وتملك أخلاق أولاد البلد بالإضافة لمهارتك (وأضاف بلهجة ذات مغزى يحاول إقناعه) وأعرف ظروفك كلها ومستعد لمساعدتك في أي شيء، لو أردت أن أرشحك لإحدى الشركات الـ...».

«أسف يا باشا قلت طلبك ليس عندي» قالها عصام بإصرار

وجدية فتحدث الرجل الصامت قائلا بلهجة متعالية: «لا تتماذى في دلالك علينا ولا تزيد من سقف طموحاتك لأن رفعت لن يزيد أكثر من ذلك في عرضه».

ناظره عصام بنظرات غاضبة وهو يشدد على قبضتيه بجوار جسده فنظر رفعت لمرافقه كي يصمت وعاد يقول لعصام: «اسمع يا باشمهندس الصور المطلوبة لن تستخدم للفضيحة العلنية أؤكد لك ذلك، ولن تستخدم كدليل لجريمة مثلا فتقدم للشرطة إن كنت تخشى المساءلة القانونية ولكي أطمئنك أكثر فهذه المرأة تكون زوجتي بعقد شرعي وبيننا خلاف معين أي إن هذه الصور ستكون للاستخدام الشخصي وبيني وبينها فقط».

ازدادت صدمة عصام وأصابه منطق الرجل المتناقض بذهول لكنه تحكم في أعصابه وقال وهو يتحرك مغادرا: «طلبك ليس عندي يا معالي الباشا اسمح لي بالمغادرة».

أسرع رفعت بالقول كمحاولة أخيرة: «وماذا لو قلت لك إنها ممثلة معروفة بالمشاهد الساخنة التي تمثلها في الأفلام أي إنك لن تفعل شيئا غريبا عما هو معروف عنها في الوسط؟!».

استدار إليه عصام ورد بلهجة قاطعة: «هي حرة تفعل في نفسها ما تريد أما أنا فحد الله بيني وبين الحرام (وأضاف وهو يتحرك للمغادرة) تشرفت بمعرفتك يا معالي الباشا».

هتف رفيق رفعت بانفعال: «أنت يا هذا من سمح لك بالمغادرة؟!».

في الوقت نفسه الذي فتح فيه عصام باب المكتب فوجد حارسا ضخما الجثة يدفعه في صدره فهم للحظة بالهجوم عليه لكنه تماسك يلجم اندفاعه بقوة ويطلب من نفسه استخدام ذكائه فالفيلا مدججة بالحرس واستخدام القوة لن يفيد، فاستدار يقول لرفعت: «مر رجلك بأن يدعني أغادر».

صمت رفعت لبرهة ثم قال: «حسنا يا باشمهندس؛ لكن ما قيل هنا في هذه الغرفة لن تتفوه به لأحد وإلا أنت لا تعرف كيف يكون رفعت صادق حين يغضب».

قال عصام مطمئنا: «دون تهديد يا باشا أنا لم أقابلك أبدا في حياتي، وفمي لن أفتحه هذا وعد مني».

قال رفعت: «وأنا أكيد من أخلاقك يا عصام».

وأشار للحارس أن يفسح له الطريق ليغادر فنفاذ الأخير.

من باب المكتب خرج عصام مكفهر الوجه متقبض إلى جانبه يمارس مجهودا كبيرا ألا يفقد أعصابه خاصة مع زيد الذي قابله بنظرات متسائلة وسأله في لهفة: «ها طمئني».

تركه عصام واستمر في طريقه نحو الخارج فعبس زيد وأسرع باللاحاق به قائلا: «عصام ما بك؟ (وأضاف بلهجة مصدومة) لا تقل إنك رفضت المهمة».

أمسك عصام بتلابيبه قائلا: «أكنت تعلم ما المطلوب؟».

بلع زيد ريقه وأجاب: «أنا لا أعرف سوى أنه تركيب صور لشخص ما وخمنت أنها صور فاضحة».

هذه عصام وهو يقول من بين أسنانه: «ورشتني للمهمة؟!».

رد عليه زيد ببساطة: «أين المشكلة؟ فكما فهمت من الباشا أنه يحتاجها للاستخدام في نطاق ضيق وسيدفع بسخاء.. ليتني كنت بارعا مئلك في تركيب الصور».

طحن عصام ضروسه يمنع نفسه من استخدام القوة فأكثر ما كان يشغله هو أن يغادر المكان بسرعة، لذا دفع زيد بعيدا بعنف حتى كاد أن يسقطه أرضا وتحرك يخرج من باب الفيلا في الوقت نفسه الذي كان فيه رفعت ينظر في شاشة مثبتة في مكتبه تضم بها حيا لأكثر من مكان بالفيلا وراقب عصام وهو يخترق الحديقة بخطوات منفعة وجسد متشنج قاصدا بوابة الفيلا بينما زيد يلحق به فقال له رفيقه: «أخشى من أن يتحدث هذا الشاب بما سمعه منك لم يكن عليك إخباره بطبيعة المهمة».

سحب رفعت نفسا من السيجار وأخرجه وهو يقول مبررا وعيناه تراقبان الشاشة: «أنا سألت عنه حينما رشحه زيد وهذا النوع من الشباب المتحلين بأخلاق أولاد البلد لن يقوم بمهمة كهذه إلا لو أقنعتهم بمشروعية ما يفعل».

رد عليه الثاني ساخرا: «وها هو قد رفض طلبك بمنتهى الصلف».

هز رفعت كتفيه وأجاب: «من حقه أن يرفض لن أجبره (وانقلبت مقلتاه مضيئا) لكن لو تفوه بشيء سيرى مني ما

سيجعله يندم».

سأله الآخر بقلق: «وجيجي التي تهددك بفضح زواجكما العرفي إن لم تعلنه وتحوله لعقد رسمي معلن يا رفعت؟».

شرد رفعت في الشاشة مغمغما: «سنجد حلا إن شاء الله فإن كان هذا الـ«عصام» متشددا فهناك غيره أو ربما وجدت وسيلة أخرى لإغلاق فم جيجي للأبد».

في خارج الفيلا لحق زيد بعصام وأمسك به قبل أن يبتعد عن السيارة الواقفة أمام البوابة والتي ستعيدهما للعاصمة وقال: «إلى أين أنت ذاهب؟ السيارة تنتظرنا ألا يكفي بأنك قد أضعت المصلحة».

كان الآخر قد وصل لأقصى درجات السيطرة على أعصابه فاستدار إليه ووجه إليه لكمة أوقعته أرضا فرفع له زيد أنظاره الذاهلة وهو يمسح الدماء من أنفه ليقول له عصام من بين أسنانه بلهجة خطيرة: «ليس عصام عارف من يعمل في المصالح الوسخة يا زيد..ومن الآن فصاعدا انسى أنك كنت تعرفني».

قالها وتحرك في الطريق الأسفلتي الخالي تقريبا أمام أنظار زيد وحراس الفيلا حتى قابلته شاحنة أشار لها فتوقفت ليصعد إليها عصام تاركا زيد خلفه يسب ويلعن عصام عار.

قال أنس بانزعاج وهو يترك سريره» حاضر..حاضر».

كانت الحرارة قد انخفضت لكن آلام جسده لم تطب بعد
أما آلام قلبه فيعلم أنها ستظل تعذبه للأبد، فتح الباب ليجد
مراد أمامه فقال له بغیظ: «لماذا لم تفتح بالمفتاح.. ألا توجد
لديكم نسخة».

غمغم الثاني بسماجة: «أبي يصلي العشاء والنسخة معه..
وكنت في عجلة من أمري».

قالها وهو يعطيه علبة بلاستيكية مغطاة فسأله أنس: «ما
هذا؟ قلت لا أريد طعاما».

أطلت مرام من سور السلم وقالت وهي تعدل من حجابها:
«هذه شوربة لسان العصفور سهلة في البلع».

رفع أنس إليها أنظاره وخفق قلبه المتعب بقوة زادت من
إنهاكه بينما قالت هي لأخيها: «لا تنسى أن تحضر علبة جبنة
معلبات لجذتك مع الطلبات».

غمغم الأخير بامتعاض: «حاضر».

ظهر صبي الصيدلية صاعدا وألقى السلام وهو ينهت فعبس
أنس وتطلع فيه بتساؤل ليقول الفتى وهو يعطيه حقيبة
بلاستيكية: «لقد أرسلت لك الدكتوراة سها طعاما».

رفع أنس حاجبيه متفاجئا بينما عوجت مرام شفيتها
وقالت بامتعاض: «أعد الحساء يا مراد فلم يعد له داع».

قالتها واختفت تعود لأدراجها مغممة في سرها بقرف:
«أسلوب مكشوف وتقليدي جدا في لفت الانتباه».

أما مراد فأتسعت عيناه وهتف باعتراض: «أعيدة.. هل سأصعد من جديد من أقنعم أنى العبد الذى اشترىتموه».

حزن أنس الإناء الساخن وقال له مشيحا بيده: «أذهب أنت.. أذهب وخذ هذا الفتى معك».

قالها وشكر فتى الصيدلية وهم بإغلاق الباب فتفاجأ بظهور عصام صاعدا الذى ألقى السلام على الواقفين فقال له مراد بسرعة: «إن كان سيعيد الحساء فخذ منه وأنت ذاهب لأعلى».

قالها وطار على السلم ينزل وتبعه فتى الصيدلية، بينما تطلع عصام فى أثره عابسا ثم نظر لأنس يقول: «ألف لا بأس عليك يا وحش، أخبرونى بما حدث كيف حالك الآن؟».

دفع أنس ما فى يده إلى عصام وغمغم بوهن: «امسك هذا من يدي أولا يا بنى، أتعرف أنى مريض وتقف هكذا كاللوح الخشب دون أن تحمل عني».

قالها واستدرا يدخل شقته فأتسعت عينا عصام ونظر فى أثره وفيما أصبح يحمله ثم دخل خلفه وأغلق الباب يسأله: «كيف حالك الآن؟».

رد أنس وهو يدخل إلى غرفة نومه ويستلقي على السرير: «الحرارة انخفضت لكنى ما زلت مريضا».

دخل عصام خلفه وسأله: «ماذا أفعل بما فى يدي؟».

أشاح له الثانى بيده قائلا: «افتحه وهاته فلا بد أن أكل كي

أشفى بسرعة».

جلس عصام بجواره على طرف السرير وفتح الحقيبة البلاستيكية فوجد فيها أكثر من صنف فغمغم بحاجب مرفوع: «ما كل هذا الطعام هل أنت نفساء؟».

رد أنس شارحا: «حساء لسان العصفور من بيتكم.. والباقي أرسلته الدكتوراة سها».

رفع الأخير حاجبيه لكنه لم يكن في مزاج يسمح له بالتعليق وهذا التقطه أنس فسأله: «ما بك؟».

زفر الأخير واعتدل في جلسته وقال بضيق: «لماذا لا يُقدّر الناس إلا بقدر ما يملكونه من مال؟ ولماذا يعتقد البعض أن الشباب المكافحون قد يقبلون بالمال الحرام، أيعتقدون أن صراعنا مع الحياة عجز منا على إيجاد الطرق المشبوهة؟ أيعتقدون أن الحصول على اللقمة الحلال سهل؟ ألا يعرفون أننا ننقب عنها وسط الموائد العامرة بما لذ وطاب من الحرام والمشكوك في أمره، لم ينزعجون حينما يعتبر بعض الحاقدين أن كل الأغنياء لصوص بينما هم يفعلون بالمثل حينما يعتقدوننا سنقبل بالمال الحرام؟! لماذا ينظرون لنا باستصغار؟ ولماذا لا يعترفون أن طريق الحرام أسهل من البحث عن اللقمة الحلال!«.

اتسعت عينا أنس وقال: «ما هذا الكلام الكبير يا بني؟! (وجس جبينه يقيس الحرارة لنفسه ثم التقط الترمومتر من جوار السرير يضعه في فمه وهو يقول) أم أنني عدت

للهلوسة وأتخيلك وقد تحولت لمذيع في نشرة أخبار».

لم تفلح لهجة أنس الساخرة من التخفيف عنه فقال عصام وهو يفتح الأكياس: «لا تشغل بالك.. هيا كل كي تستعيد صحتك سريعاً».

تكلم أنس باعتراض: «أترك الطعام وأخبرني ما بك؟ وما مناسبة هذا الكلام؟».

في الدقائق التالية قص عليه عصام ما حدث له مع رفعت صادق وكيف انتهى اللقاء فقال أنس بلهجة مصدومة: «لا حول ولا قوة إلا بالله، إنه يخدع الناس إذن بالواجهة الملتزمة الوقورة».

ظل عصام مطرقاً برأسه شاردا بنظراته في الأرض وهو يسند مرفقيه على فخذه فلكزه أنس قائلاً: «بالله عليك أنا لا ينقصني كأبتك لقد تصرفت كما يتصرف الرجال الشرفاء ورفضت رغم أنك كنت ستستفيد منه استفادة كبيرة وأنا أكيد بأن الله سيكافئك».

قال عصام بضيق: «أنت لم تر كيف كان ينظر إلي رفيقه باستهجان لأنني رفضت وكأنه يريد أن يقول (كيف تتجراً وترفض) ولم تنظر لزيد كيف تعامل معي كمجنون».

رد أنس مشجعاً: «فليذهبوا للجحيم هم وعالمهم الوسخ (وضرب على ظهره بخشونة يقول بمشاكسة يقاوم بها سقم قلبه) أنا فخور بك يا ولد ذكرني بأن التقط معك صورة وأجعلك توقع لي عليها».

حرك عصام رأسه وناظره بنظرة جانبية فأضاف أنس
بتهمك يحمل المرارة بين حروفه: «وبعدها سنعلق الصورة
ونبصق عليها كلما مررنا لأننا من أغبياء هذا العصر كما
ينظرون إلينا».

«ما بك يا أنس؟».

قالها عصام مدققا فيه وأضاف: «أنت تخفي شيئا عني».

رد أنس مستهبالا: «أنا؟! أنا مريض.. ألا ترى بعينيك أنني
مريض، لقد كنت أهلوس طوال الليل وطوال النهار (وأضاف
هاربا) هيا يا بني اعطني الطعام حتى أسترد صحتي بسرعة
فلا أملك وقتا للمرض».

اعتدل عصام وفتح الأكياس ثم فرد العلب أمامهما وغمغم
متهمكما: «الدكتورة سها تدلك بالطعام وأنت كلوح العلاج
مصنوع من غباء (وسأله) أي من الأصناف تريد أيها البارد
محطم قلوب النساء؟».

نظر أنس للأصناف أمامه يحاول الاختيار مما أرسلته سها
متجنباً النظر لما أرسلته مرام لكنه كان لحظتها أضعف من أن
يقاوم فقال: «هات الحساء وكل أنت الباقي».

ناوله عصام إياه وهو يقول بلهجة ساخرة: «كل هذا الطعام
وتطلب الحساء!».

غمغم أنس بلهجة متهمكة وهو يدس المعلقة فيه ويرفعها
نحو فمه: «أجل.. ألا تعرف أن حساء لسان العصفور موصي

به من منظمة الصحة العالمية لشفاء نزلات البرد».

بعد عدة أيام

زفرت نيللي بعد أن أنهت مكالمة طويلة مع العم جودت وأخرى مع رامي تبحث فيها آخر التطورات الخاصة بالشركة، وأدركت أن أقصى مدة أمامها هي شهر من الآن وبعدها عليها بالتصرف فيما يخص الديون إنها تحاول أن تجدول الديون الخاصة بالشركة دون اللجوء لبيع تلك الأدوية أو على الأقل تؤجل بيعها حتى تبت في أمرها، وقررت أن تطلب من أنس أن يقوم هو بفحص الأدوية لكنها تحتاج لأن تتأكد من أن هذه هي طبيعة عمله أو ربما طلبت منه أن يرشح لها شخصا موثوق فيه بعيدا عن سلطة عمها تماما؛ لكن العضلة هي كيف ستمهد له الموضوع؟ أم عليها أن تنتظر حتى تغادر هذا البيت؟

خرجت إلى الصالة ووقفت مستندة على عكازها عند آخر الممر تتطلع في الجلسة التي تجلسها مرام عند طاولة السفارة التي ملأتها بالبضاعة.

إنها مشغولة منذ أيام في تنفيذ فكرة تراودها منذ فترة، كما أخبرت نيللي أن يكون لها عمل خاص، ونظرا لانشغالها ولواجباتها تجاه أسرتها ولرفض عصام لأن تعمل في البيع المباشر مع الزبائن جاءتها فكرة وتحمست جدا لتنفيذها بعد إقناع أسرتها وهي أن تبيع بضاعتها على الإنترنت وقررت

أن تبّيع إكسسوارات من الفضة والنحاس وغيرها من الزينة النسائية غير الذهبية وقد وعدت نيللي بمساعدتها في إنشاء صفحة على الفيسبوك لبيع بضاعتها، وبمساعدتها أيضا في عرض منتجاتها تشجيعا منها للفكرة، لذا قضت نيللي الأيام الماضية تجمع معلومات تخص التسويق على مواقع التواصل.

صرخت مرام في مراد الذي وقف يحاول أن يدخل بعض الخواتم اللامعة في أصابعه فلم يفلح سوى في إدخالها في منتصف خنصره وحشر اثنين آخرين بجواره دون أن يستجيب لصراخها أو لنظرات زينة المستهجنة، بينما أخذت الحاجة روح تضحك.

استمر مراد في مشاكسته وقام بارتداء أسورة في نفس اليد فنفخت مرام من الغيظ لكنه تجاهلها وفتح هاتفه وبدأ يسجل مقطعا مصورا لشكل يده ذات الشعر والتفاصيل الذكورية الخشنة بالإكسسوارات وقال وهو يصطنع صوتا رقيقا: «اقتني سيدتي المصوغات الأنيقة من عند مرام كي تكوني فاتنة مثلي».

واستعرض شكل يده أمام الكاميرا وسط اشمئزاز مرام وزينة التي هتفت: «يع».

قالت مرام وهي تشاهد نيللي تقترب ضاحكة: «والله يا مراد لو هذا هو شكل الدعاية فتأكد أننا لن نبيع بقرش».

ضحك الأخير وخلع ما يلبس ثم أعاد تشغيل المقطع

المصور ضاحكا وهو يريه لنيللي ومرام اللتين أصابتهما عدوى الضحك ثم نظرت مرام لنيللي تقول بعينين تلمعان فيهما فكرة: «ما رأيك أن نصور المعروضات ونحن نرتديها؟». أشارت لها نيللي بما يعني (تمام) وقد ازداد حماسهما للمشروع.

قالت روح بعد قليل: «لكني غير موافقة أن تقفي وتبيعي هذه المصوغات للزبائن يا مرام ستأكل الناس وجنها هل خطيبك موافق على هذا؟!».

تبادلت مرام النظرات مع نيللي بينما شرست ملامح مراد يرد بتحفز: «وما شأن خطيبها بهذا الأمر إنها لا تزال في بيت والدها».

لترد مرام على جدتها: «أنا لن أبيعها في محل يا جدتي سأبيعها على الإنترنت».

عبست روح وسألتها: «كيف؟».

احتارت الأخيرة كيف تبسط لها الأمر فتدخلت نيللي تقول: «ستعرض صور الإكسسوارات على برنامج يراه الناس على هواتفهم ومن تعجبها ستتصل بمرام لترسل لها عبر مندوب توصيل».

هزت روح رأسها ثم قالت وهي تتأمل إحدى الأساور في معصمها التي أعجبتها وطلبت تجربتها: «وأنا سأخذ هذه يا مرام هدية منك لي».

رسمت مرام ابتسامة محرجة وغمغمت: «لا يغلو عليك شيء يا جدتي».

ابتسمت نيللي وهي تتأمل حماس مرام لتحقيق هذا المشروع وكيف أنها قد فضلت أن تصرف مبلغ (الجمعية) التي قبضتها كي تشتري به البضاعة التي لم تكن رخيصة وكيف أنها تعقد آمالا على نجاح تجربتها للبيع عبر الإنترنت فتطلعت في الإكسسوارات ثم مالت وسألتها: «هل أخبرت خطيبك بهذه الخطوة؟».

ردت مرام «ليس بعد».

عبست نيللي وسألتها: «لماذا؟».

تنهدت مرام وقالت: «أشعر أنه لن يفهمني كما أنني لا أريد أي جدال وأنا ما زلت في بداية الأمر سأخبره حينما أبدأ».

جادلتها نيللي موضحة: «لكنه قد يلومك لأنك لم تخبريه».

صمت الأخرى قليلا ثم قالت: «حاضر سأخبره في القريب العاجل».

«هل هناك شيء يا مرام؟».

أجابت الأخيرة: «لا صدقيني لكني أشعر بعدم الراحة، والمشكلة أنني لا أجد سببا كبيرا أخبركم به؟ كلها أمور قد تكون تافهة لكنها غير مريحة بالنسبة لي كتعليقه مثلا على تفاصيل تخص عائلتي وانتقاده لهم، صحيح أنا لا أسمح بذلك لكني أشعر أنه دائم الانتقاد لمن حوله (وزفرت بحيرة

مضيضة) لا أعراف يا نيللي كما قلت لك ليس لدي شيء
محدد».

غمغت نيللي: «أتوقع أن السبب هو السرعة في الارتباط
الرسمي، وستحتاجان للوقت لتعتادا على بعضكما».

قاطعتها زينة تسأل مرام بخفوت: «هل تعتقدين أن أبي
سيوافق على رحلة المدرسة أم سيرفض ككل مرة؟».

قالت الأخيرة مطمئنة وهي ترص البضاعة بحرص: «لا
تقلقي إن رفض سأحاول إقناعه».

رن جرس الباب ثم فُتح بالمفتاح ودخل عصام يلقي
السلام، فقابلت عيناه ابتسامة مشرقة آتية من ناحية طاولة
السفرة، وكأن عينيه الماكرتين تعلمان أين هي بالضبط أو
بالأحرى استطاعتا تمييزها أول شيء من بين الوجوه،
وسمعتها ترد السلام بخفوت مع من ردوا سلامه فزاد ذلك من
السعادة القادم بها من الخارج، بينما خرج والده من خلوته
في الشرفة وفي يده كتاب وسأله بلهفة: «طمثني».

كان عصام على موعد مع شركة جودت عابدين التي
أرسلت له قبل يومين لمقابلة شخصية وقد ذهب يوم أمس
وتم إخباره بالحضور اليوم أيضا لمقابلة أخرى فرد عصام
والسعادة تشمله من رأسه حتى أخمص قدميه: «حمدا لله
تم تصعيدي أنا وبعض المتقدمين للمرحلة الأخيرة يوم الغد،
وسنقدم لهم تصاميم طلبوها منا ليختاروا من بين المتقدمين
من سيوظفونه لديهم».

قال عارف بسعادة: «سهل لك الله العسير وفتح لك المغاليق يا بني».

هم عارف أن يعود مع كتابه للشرفة فقال عصام من وقفته بالبدلة الأنيقة التي تخطف الأنفاس من وجهة نظر نيللي: «هناك خبر مفرح آخر يا حاج».

تطلع فيه عارف ليقول عصام بابتسامة متسعة: «لقد قُبلت للعمل في الشركة التي يعمل بها علي».

اتسعت العيون وصدرت صيحات متفاجئة وضربات على الكفوف بسعادة، بينما ضرب مراد على صدره يقول بلهجة تهكمية: «لا تصدمني وتقول إنك ستعمل في شركة أخيرا».

ابتسم له عصام بينما أطلقت مرام زغرودة عالية فضحك، لتسأل روح بعدم فهم: «ماذا حدث؟».

ردت نيللي بصوت يزغرد من الفرحة: «عصام سيعمل في وظيفة جديدة يا حاجة روح».

هزت الأخيرة رأسها بينما قال عارف: «ألف مبروك يا بطل أهذا معناه أنك لن تذهب لمقابلة الغد؟».

هرش عصام خلف رأسه وقال معترفا: «بصراحة أشعر بالطمع في إنهاء مقابلة الغد في شركة جودت عابدين، إن الشركة الأخرى تمهليني وقتا كي أكمل الأوراق المطلوبة حتى أبدأ معهم العمل أول الشهر المقبل، ولهذا أقول لماذا لا أرى إلام ستؤول الأمور في شركة جودت عابدين لكني أعود

وأقول لنفسي لا تكن جشعا يا عصام، ما رأيك أنت يا أبي؟».

رد عارف بهدوء « مادام هناك وقت لماذا لا تجرب حظك في الشركة الأخرى إذا كنت ترغب في العمل فيها».

قال عصام موضحا: «وهل هناك من لا يريد يا أبي الشركة ما شاء الله كبيرة ومعاملتهم قمة في الرقي، وسأتعلم منها الكثير، لذا أريد أن أخوض التجربة حتى النهاية وسأكون سعيدا بأي نتيجة خاصة أنه لا يزال معي وقت للانضمام للشركة الأخرى».

قالت نيللي: «فليكتب لك الله ما فيه الخير».

أهداها ابتسامة سعيدة احمرت لها وجنتيها ثم دقق في الإكسسوارات على طاولة السفارة يسأل أخته: «هل قررت البدء؟».

ردت بحماس: «أجل ونيللي أنشأت لي صفحة على الفيسبوك ومتحمسة جدا لعرض المنتجات (وأضافت بتمني) أتمنى أن أجد من يشتري مني».

غمغم عصام: «موفقة بإذن الله، سأنتهي من أمر التصاميم المطلوبة والمقابلات وأرى كيف يمكنني مساعدتك في مشروعك».

تركت مرام مقعدها واقتربت منه تقول وهي تربت على صدره: «لا حرمني الله منك يا أخي (ونظرت لعارف الذي عاد للجلوس أمامهم في الشرفة) ولا من أبي».

ابتسم لها عارف من بعيد بينما قالت روح: «والله حين زغردت مرام ظننت أن عصام سيخطب».

دون أن يدري تحركت مقلتاه نحو نيللي وتلاقت عيناها في لمحة سريعة، قبل أن يسرعا بالإشاحة بنظراتهما وكلاهما يعاني سخونة مفاجئة في الوجنتين ليقول عصام بابتسامة: «يا رب يا جدتي دعواتك بتيسير الحال وفك الطلاسم وسبر الأغوار».

قالها بلهجة ذات مغزى وهو يعلم أنها ستفهم بينما اندفع مراد يقول: «أنا من سيخطب يا جدتي».

مصممت الأخيرة شفتيها هازئة بينما سحب مراد أحد الخواتم وتقدم نحو نيللي يقول بلهجة تمثيلية منغمة وملامح جادة أمام عينيها المرفوعتين إليه ووجهها الذي يكتم الضحك: «منذ أن رأيتك قررت أن أنزل وأترك مملكتي على كوكب المريخ لأبحث عنك أيتها الإنسانية وسط ملايين البشر، في رحلة استمرت ألف عام وبعد أن وجدتك أخيرا لم أجد أروع من هذا الخاتم ليعبر لك عن مشاعري تجاهك».

كتم الجميع الضحك بينما فتح عصام فمه وتلوى لسانه داخله يمنع سبة وقحة تريد أن تندفع منه ليكمل مراد مسبلا عينيه: «هذا ليس خاتما عاديا إنه خاتم يحمل شعار مملكتي، فهل تقبلين أن تكوني ملكة المريخ يا نيللي».

أشار لها بالخاتم بين أصابعه فضحكت ثم رمشت بعينيها عدة مرات كبطلات الرسوم المتحركة ومدت له كفها فمال كي

يضعه في إصبعها؛ لكنه لم يستطع الوصول إليه لأن عصام كان قد طوق رقبته من الخلف بذراعه وأخذ يضغط عليه قائلا من بين أسنانه: «ألا ترى أنك بت تستظرف كثيرا».

صاح مراد باعتراض: «وما شأنك أنت هل عينوك حارسا لمخزون الظرافة على الكوكب؟!».

لم يجد عصام ما يفسر به فقال: «أنا أرى أنه الأفضل لك أن تنتبه لدروسك، أليس عندك درس خاص مع أنس اليوم؟».

غمغم الأخير بضيق وهو يقاوم الاختناق: «لا يزال أمامي ساعتين على موعد عودة أنس من العمل».

هتف عارف فجأة وهو يتحدث في الهاتف: «لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله، متى حدث ذلك؟».

انتبه إليه الجميع فترك عصام رقبة أخيه وأسرع إلى والده يسأله: «ماذا حدث؟».

ليجيب عارف بارتجاف وهو يغلق الهاتف ويسرع نحو باب الشقة: «لقد مات عم أمين».

نظرت نيللي للجميع تطلب تفسيراً لتقول مرام بحزن: «عم أمين صاحب دكان الكتب لا حول ولا قوة إلا بالله لقد كنت أنوي أن أبدل الروايات التي معي منه وأنا عائدة من العمل غدا».

بينما تركهم عصام وأسرع بالذهاب خلف والده الذي غادر البيت وهو لا يزال يتمتم بحزن: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا

حول ولا قوة إلا بالله».

في وقت متأخر من الليل

«لكني أريد أن أذهب» قالتها زينة باعتراض وهي تقف في صالة الشقة، فناظرها أنس بعينين مرهقتين من جلسته على أحد المقاعد ثم قال بهدوء: «سوف نذهب أنا وأنت للمكان نفسه أعدك بهذا».

هتفت باعتراض: «لكني أريد أن أذهب مع زملائي في المدرسة كلهم ذاهبون لماذا لا أذهب أنا أيضا؟!».

خلع أنس نظارته الطبية وأمسك بين عينيه بسبابته وابهامه ثم عاد ينظر إليها قائلا بهدوء زائف: «يا زينة قلت سنذهب أنا وأنت أنا لا أفضل رحلات المدراس (ثم أشار بيده مضيفا بلهجة أمرة) هيا لقد تأخر الوقت اغسلي أسنانك كي تنامي».

قوست شفتيها للأسفل وضربت بقدمها في الأرض بغیظ ثم تركته وذهبت للداخل وسمع باب غرفتها يصفع بعنف، فنفخ بإرهاق يشعر باختناق بات يلزمه الأيام الماضية، مدركا لأنه يمر بحالة غير مسبوقة من الاكتئاب، إنه منذ خطبة مرام وتلك الوعة الصحية التي أصابته لا يصعد إلى الطابق السابع، خاصة وهو يعلم أن ذلك السمج خطيبها يتردد على البيت كثيرا ولا يرغب في الاحتكاك به حتى لا يفقد أعصابه، كما أنه يتحاشى الالتقاء بمرام ويتحجج بالكثير حتى لا يصعد لتناول الطعام بل إنه بات يطلب منهم إيقاظ

زينة لتنزل له مساء كل ليلة إن كانت نائمة ويقابلها على السلم؛ لكنه لا يعلم إلى متى سيستمر في تجنب بيت عمه؟ إن طبيعة حياته متداخله معهم فهم أسرته الوحيدة.

سمع صوت باب غرفة زينة يفتح ثم ظهرت أمامه؛ لكنها لم تلتفت إليه بل استمرت في طريقها نحو باب الشقة تحمل دميتها المفضلة التي تحضنها عند النوم وتحاول فتح الباب فاستفزت أعصابه بذلك العناد الذي ظهر مؤخرا في شخصيتها ليسألها باستنكار: «ماذا تفعلين؟!».

استدارت إليه تقول: «سأصعد لأنام مع مرام».

انفلتت أعصابه خاصة مع تألمه لارتباط ابنته بمرام فهدر فيها بقوة: «زينة اذهبي إلى غرفتك فورا وإياك أن تكرريها مهما حدث وتحاولي ترك البيت».

انتفضت من صوته؛ لكنها صرخت في وجهه منفجرة في البكاء: «أنا أكرهك».

قالتها واندفعت نحو الداخل فمزق بكاءها نياط قلبه وأخذ يستغفر ويحوقل ليهدئ من أعصابه معترفا أنه بات عصبيا معها في الفترة الأخيرة بل هو أضحى منفعلا طوال الوقت.. في العمل.. في الشارع.. مع الزبائن في الصيدلية ومع ابنته، فوبخ نفسه أن أسلوبه هذا معها غير تربوي وأنها تكبر في العمر واحتياجاتها لم تعد مجرد أكل وشرب وتعليم؛ لكن في الوقت نفسه التعامل معها يحتاج لصبر كبير هو لا يملكه حاليا.

بعد برهة تحرك وذهب إليها فتصنعت النوم ليقترّب منها ويستلقي بجوارها يقول بلهجة هادئة: «هل نمتي زوز؟».

لم ترد فمسح على رأسها وغمغم بخفوت: «أنا أحبك زوز وأخاف عليك ربما أبالغ في هذا الخوف؛ لكنني أفعل هذا لأنني أحبك أنا آسف لأنني كنت منفعلا وأخفتك بصوتي العالي وأنت أيضا أخطأت بالتصرف معي دون احترام يا زينة هل هناك فتاة مؤدبة تصرخ في وجه والدها ولا تطيعه بل وتقرر أن تترك البيت في هذا الوقت المتأخر ودون إذنه؟!».

شاهد مقلتيها تتحركان تحت جفونها المغمضة فاقترّب منها وقبل رأسها يقول بلهجة حانية: «أعدك أن أفكر في أمر الرحلة وأخبرك بقراري (وغطاها بالغطاء مضيئا بهمس) هيا نامي فقد سهرت الليلة تصبحين على خير».

حضنت دميّتها فاستمر في المسح على شعرها كي تنام كما تحب منذ صغرها، ترك أنس الغرفة بعد أن استسلمت للنوم وتوجه إلى غرفة نومه لا يشعر رغم إجهاده بالرغبة في النوم ولا بالرغبة في الدراسة ولا بالرغبة في عمل أي شيء، فيكفيه خيال مرام الذي يطارده في الصحو والمنام، وهو يقاومه بكل ما أوتي من قوة ويشعر وكأنه قد ألقيت عليه لعنة غير قادر على الفكّك منها، فكر في أن يتصل بعصام لينزل إليه كي يُلْتهِي معه بأي شيء؛ لكنه تذكر أنه أخبره في عزاء العم أمين قبل ساعتين أنه سيسهر على تصاميم الليلة من أجل مقابلة الغد.

بلغ غصة وهو يتذكر العم أمين لقد أحزنه الخبر بشدة وجاء ليزيد من كآبته وتذكر حالة عمه المنهارة طوال العزاء ثم قفز فكره إلى دكان العم أمين الذي سيُغلق بعد وفاته فازداد اكتئابه وغمغم: «حتى الكتب ستحرم منها يا أنس عليك أن تبحث عن مكتبة أخرى قريبة».

فتح الجارور بجوار السرير ومد يده لما يحاول أن يمنع نفسه عنه حتى إنه بعدما اشتراها خبأها لعله يتراجع؛ لكنه غير قادر على المقاومة، يدرك جيدا بما يمر به من عدم اتزان نفسي وأنه يضغط على نفسه ويكتبها في أمور كثيرة لذا قرر أن يستسلم ويخرج عن دائرة التحكم في الذات لبعض الوقت كي يُنَفِّس قليلا عن البالون المنتفخ قبل أن ينفجر ويتحول لأشلاء محدثا فوضى في كل شيء حوله فأخرس عقله الذي يوبخه وفتح العلبة وهو يتحرك ليغلق الباب عليه من الداخل، ثم أخرج سيجارة وأشعلها ونفخ دخانها في الهواء، وتحرك حافي القدمين نحو الشرفة يفتحها فاستقبله هواء الشتاء البارد وتمنى أنس في سره أن تطفئ البرودة قلبه المتجمد.

تطلع في سكون الليل وصمته وتلفت هنا وهناك ليتأكد من أنه لا يراه أحد فسيشعر بالحرَج الشديد أمام أهل الشارع إن قُبِض عليه وهو يدخن وهو الذي لا يترك مجالا لينبه الناس، خاصة المراهقين لأضرار التدخين.

نفث دخان السيجارة ونفخ معها من دخان قلبه المحترق وتذكر مراهقته حينما كان يدخن سرا كنوع من الفضول أو ربما الرغبة في كسر القواعد؛ لكنه سرعان ما ترك تلك العادة

عند إدراكه لأضرارها.

أخرج هاتفه ينوي أن يبحث عن اسم ذلك المكان الذي ستذهب إليه رحلة المدرسة ليرى أين يكون وماذا يوجد به بالضبط؛ لكن ضغط إصبعه بالصدفة على معرض الصور وتصلب جسده حينما انتبه، لأنه لا يزال يحتفظ بالصور التي التقطتها زينة لمرام في حفل الخطبة، إنه لم ير هذه الصور من قبل ونسي أمرها تماما فغلبته نفسه بعد التحالف مع قلبه وفتح إحداها يتطلع فيها بشوق مدققا (إن الشوق يزيد ولا يقل يا أنس فماذا أنت فاعل؟).

كبر الصورة ودقق في ملامحها متسائلا كيف ومتى تشكل إحساسه كي تكون هي رمزا للأثوثة والفتنة في عينيه؟! لم يكن من قبل لديه نموذج مثالي لشكل المرأة الأنتوي في نظره بل إن هذه المواضيع لم تكن تشغل حيزا كبيرا في تفكيره وسط انشغاله الدائم وحين قابلها وانجذب إليها وارتبط بها كان يظن أن ما كان يشعر به معها هو الشعور المثالي للرجل بالمرأة؛ لكن حين بدأ ينظر لمرام نظرة خاصة أدرك أن مشاعره تجاهها كانت شعورا باهتا مقارنة بما يحدث معه تجاه مرام، وربما هذا ما جعله يحاول إنكار تلك المشاعر، وقاومها ورفضها لأن الاعتراف بها مع ظروفه التي تصاحبه منذ سنوات طويلة ستكون غير محمودة العواقب وها هو يحترق ذاتيا في صمت وهو يحاول استعادة توازنه بعد أن تلقى رصاصة قاتلة في القلب.

بالأصابع التي تحمل السيجارة المحترقة كقلبه تحسس

ملاحمها ودقق فيها، ملاحمها كانت قلقة ومرتبكة وجميلة في ذلك الفستان الذي يبرز مفاتها بما أجج الغيرة في صدره وكأنه ينقصه اشتعال، فدق عقله ناقوس الخطر يوبخه لما يفعل فإن كان قد استسلم أمامه في أمر التدخين، لن يسمح له أن ينزلق أكثر من هذا، فتحالف مع ضميره الذي أنبه لما يفعل ليسرع أنس بحذف كل الصور التي يملكها لابنة عمه ثم شرد في دخان سيجارته الذي تصاعد في الهواء أمام عينيه يذكره بأمنيته الهاربة من بين يديه.

اليوم التالي

كان عصام مشدود الأعصاب وهو يسلم على رُميح بركات رئيس أحد الأقسام بشركة جودت عابدين المكلف بالقيام بالمقابلة الأخيرة له، التي سيقدم فيها عصام التصميمات التي طلبت من المتقدمين للوظيفة؛ لكنه أخفى توتره خلف ابتسامة وقورة وفتح زر سترة بدلتة الرسمية وهو يجلس أمام المكتب فسأله رُميح بلهجة ودودة: «كيف الحال يا باشمهندس؟».

رد عصام عليه بلباقة بينما نظر رُميح للتصاميم يعترف أنها أعجبتة بشدة هذا بخلاف تلك التوصية التي وصى بها حموه جودت عابدين عليه بالذات، ويعرف ماذا تعني توصية جودت فهي لا تعني التساهل معه إنما وضعه تحت المجهر أكثر من اللازم فقال لعصام الذي يناظره بتوتر: «أعجبتني

التصاميم في المجلد يا باشمهندس رغم أن هناك واحدا منهم أريد أن أناقشك فيه».

قال عصام بابتسامة: «أنا سيسعدني أن أسمع منك تعقيبك على كل تصميم يا باشمهندس زُميـح لأنني أرغب في أن أتعلم من خبرتك الحقيقة هذا الجزء من المقابلة هو الأهم بالنسبة إلي حتى لو لم أوفق في الحصول على الوظيفة يهمني أن أعرف رأي المختصين مثلك في التصاميم وأن أستفيد من خبرتك وتوجيهاتك».

هز زُميـح رأسه وقبل أن يرد فُتِح باب الغرفة ليتطلع الأخير باندعاش فيمن ألقى السلام ووقف عند الباب يدقق بنظرات متفحصة في عصام الذي استقام واقفا يبلع ريقه وهو يرى أمامه ذلك الرجل ذي الوجه الشهير في مجال الدعاية والإعلان (جودت عابدين).

الفصل الحادي عشر

بلغ عصام ريقه ووقف متقبضا وهو يتطلع في ذلك الوجه الشهير في مجال الدعاية والإعلان، وعلى الرغم من أن الصور المعروفة عنه تبدو أصغر عمرا بكثير عن هذا الرجل الذي يبدو في العقد السابع من عمره؛ لكن هيبتة كانت طاغية على المكان على الرغم من الهيئة الغربية التي بدى عليها فكل العاملون في الشركة يرتدون البدلات الرسمية أما هو فكان يرتدي بدلة شبه رسمية وحذاء رياضيا خفيفا ويمسك بيده كوبا من الشاي جعل مظهره غريبا.

قال زُميح لحميه متفاجئا: «تفضل يا عمي».

تابع عصام بنظراته دخول جودت يعرج ولم يندهش من لقب عمي الذي ناداه به رميح فقد فهم في اليومين الماضيين الذي تردد فيهما على الشركة أن جودت لديه أربع بنات وليس له أولاد ذكور وأن اثنين من أزواج بناته يعملان معه في الشركة وهما ذراعه الأيمن ورميح واحد منهما.

أما جودت فلم يقدر على الصبر الفضول كاد أن يقتله كي يعرف من عصام عارف هذا الذي أوصت به نيللي، إنها ابنة صديقه يعرفها منذ نعومة أظفارها والطريقة التي تحدثت عنه بها لإقناعه بالالتفات لهذا الشاب وحماسها بشأنه وذلك الغموض الذي يغلف حديثها فيما يخص العائلة التي تعيش معها حاليا يشعره أنها تحمل شيئا خاصا لذلك الشاب، حدسه أخبره بذلك وحدسه يصدق دوما وهذا أمر جديد على نيللي،

فعلى حد علمه لم تكن لديها أية علاقات عاطفية من قبل وكان باهي قلقا من رفضها للخاطبين وقلقا من أن تكون تحمل مشاعر خاصة لابن مهدي، الذي رفض صديقه زواجه من ابنته، كل هذا يجعل فضوله يزيد.

لقد ترك أمر اجتياز المرحلة الأولى من اختبارات التوظيف تمر دون تدخل منه واليوم المرحلة الأخيرة ولو رفض عصام هذا، سيذهب ولن يعود ويضيع على جودت فرصة رؤيته لذا استسلم لفضوله ودخل مكتب رميح يقول مستهبالا: «هل عندك مقابلة يا رميح؟».

قال الأخير وهو يتحكم في رغبة في الضحك من مكر حميه الذي سبق وأن أوصاه على هذا الشاب بالذات: «أجل يا عمي هل تأمر بشيء؟».

غمغم الأخير وهو يتفحص عصام من رأسه حتى أخمص قدميه بنظرة مقيمة: «لا.. أنا كنت أنفذ أوامر الطبيب وأتمشى من أجل ساقي».

وصمت لحوان ليسرع رميح بالقول: «الباشمهندس عصام عارف من المتقدمين للتوظيف بالشركة».

مد جودت يده للسلام قائلا: «جودت عابدين».

أجلى عصام حنجرتة وتلقى كفه في سلام رجولي وهو يقول بلهجة حارة: «طبعاً يا فندم وهل هناك من لا يعرف جودت عابدين».

رشف الأخير رشفة من كوب الشاي ثم قال لزوج ابنته: «أكمل يا رميح عملك، أنا هارب من مديرة مكتبي (ونظر لعصام مضيفا) إنها مزعجة وتحملني أعمالا كثيرة وأنا ما زلت في فترة نقاهة».

ابتسم عصام بينما تعجب رميح من أنه سيبقى ولم يعرف هل يدعو للجلوس على مقعده أم ماذا يفعل فأنقذه جودت قائلا: «اجلس على مقعدك وأكمل أنا سأظل واقفا من أجل ساقي».

عاد رميح لمكانه فجلس عصام يعدل من عقدة ربطة عنقه بارتباك وبدأ في الرد على أسئلة رميح ومناقشته، بينما تحرك جودت ليقف جوار النافذة يرشف الشاي ويتابع الحديث الدائر.

بعد قليل رن هاتف رميح فرفع عينيه بنظرة معينة لجودت الذي على ما يبدو قد فهم هوية المتصل فغمغم مشيحا بيده: «رد عليه أنت أنا ما زلت في إجازة مرضية».

اعتذر رميح لعصام بلباقة فقال جودت: «اذهب أنت سأحدث معه أنا».

تحرك رميح نحو غرفة الاجتماعات الصغيرة الملحقة بمكتبه ذات الجدار الزجاجي وأغلق بابها عليه، بينما قال جودت لعصام الذي استقام واقفا وهو ما زال لا يصدق أنه مع جودت عابدين في مكتب واحد: «اجلس يا بني هل لديك مشكلة في ساك أنت الآخر».

ابتسم عصام بحرج وجلس مجددا ليسأله جودت: «أخبرني عن آخر أخبار الناس في الشارع».

اندهش عصام من السؤال فأوضح جودت: «أنت تحتك بالناس كثيرا، التفاصيل الصغيرة التي ذكرتها في المناقشة عن التصاميم المطلوبة لحملة توعية وزارة الصحة من فيروس سي تقول كذلك».

تكلم عصام يجيب على سؤاله وامتد الحديث بينهما لموضوعات عامة ليس لها ارتباط مباشر بالوظيفة، حتى إن جودت جلس على الأريكة الجلدية بينما انتقل عصام ليجلس على أحد المقاعد بجواره وبقي رميح أمامهما خلف الجدار الزجاجي يتحدث في الهاتف ويدون شيئا في مفكرة صغيرة، تطرق الحديث بين عصام وجودت للتصاميم فطلب الأخير أن يراها ثم أخذ يوجهه لبعض الملاحظات فيها وعصام يناظره بإجلال وسعادة حتى إنه قال بعد برهة: «أنا ممتن للظروف التي جعلت سيادتك تدخل المكتب اليوم صدفة».

سأله جودت: «ما طموحك القادم يا عصام لو التحقت بوظيفة بالشركة هنا ما هو حلمك البعيد (وأضاف بلهجة تحذيرية) بعيدا عن أن تكون منافسا لي في السوق طبعا».

ابتسم عصام وأجاب: «أنا كما قلت لك ممتن لهذه الفرصة سواء كنت سأقبل بالوظيفة أم لا لكن لو حدث وقُبلت فالمرتب سيتيح لي فرصة الحصول على شهادات في البرامج التي لا أملك شهادات فيها، وبعدها سأتعلم تصميم

المواقع الإلكترونية فهو مرتبط بمجال الجرافيك».

هز جودت رأسه وغمغم: «اممم هذا المجال مطلوب الآن».

«هذا صحيح».

صمت العجوز لبرهة يفكر فنظر عصام لرميح الذي لا يزال يتحدث خلف الزجاج ليباغته الأول بالسؤال: «لكن ألا ترى أن ست سنوات فترة طويلة على ألا تجد فيها عملا».

تنحى عصام ونظر لجودت بتردد ثم أجاب: «سأخبرك بشيء جودت بك، أنا قمت بالكثير من مقابلات العمل وبالمناسبة هذه أكثر المقابلات التي خضتها مهنية واستفادة، وعندي إجابة رسمية لهذا السؤال؛ لكني لا أريد أن أجيبك بها أريد أن أتحدث مع سيادتك بصدق رغم أن ذلك قد يقلل من فرص قبولي».

رفع جودت حاجبا وسأله: «ولماذا تريد أن تفعل ذلك؟!».

رد عصام بعاطفة صادقة لاحت في عينيه: «لأنني لن أشعر بالراحة بالكذب عليك، تستطيع أن تقول إنني أتصرف معك بعاطفة التلميذ لأستاذه وليس بمهنية لكني أريد أن أتبع عاطفتي».

قال جودت باهتمام: «أنا أسمعك».

«أنا أعمل سائق ميكروباص.. هذه هي المهنة التي بها أصنع لقمة عيشي، أما التصاميم فكانت عملا جانبيا أحقق به شغفي».

صمت جودت يتطلع فيه فلام عصام نفسه على إفساد المقابلة، ربما كان عليه التصرف بطريقة أكثر عملية ليسأله جودت مقاطعا أفكاره: «وفي رأيك ماذا أضافت هذه الوظيفة لك كمصمم؟».

فكر عصام في السؤال الذي لم يفكر فيه من قبل ثم أجاب: «أضافت لي الكثير طبعت في ذهني ملايين الصور والمشاهد التي تخص الناس في الشارع، أعطتني فرصة لفهم عقلية البسطاء وسماع حكاياتهم وماذا قد يلفت انتباههم ويؤثر فيهم منحتني تغذية بصرية لعشرات الآلاف من المواقف التي ستظل مخزنة في عقلي (وأضاف بتمعن) لذا سأفيد الشركة جدا فيما يخص الإعلانات الموجهة للمواطن البسيط».

ساد الصمت من جديد فهز جودت رأسه دون تعليق ثم عاد ينظر لأحد التصاميم التي كان يتناقش فيها معه، فخرج رميح من الغرفة الأخرى يقول لعصام: «أعتذر جدا كانت مكالمة طويلة (وأشار له كي يعود للجلوس أمام مكتبه وهو يقول) أين كنا يا باشمهندس؟».

قاطعه جودت قائلا: «أنا أكملت المقابلة معه».

قال رميح: «تمام.. إذن هذا كل شيء اليوم يا عصام».

استقام الأخير واقفا ثم مد يده لجودت يقول بحرارة: «مهما قلت لن أستطيع وصف شعوري لشرف مقابلة سيادتكم اليوم».

غمغم جودت بمقلتين مقلوبتين: «اسمع.. أنا لا أحب عبارات

المجاملة والإعجاب والتفخيم احفظ هذا في ذهنك جيدا،
لأنك ستراني كثيرا من الآن فصاعدا (ونظر لرميح أمرا) هذا
الولد يداوم في العمل من الغد يا رميح».

بعد ساعة

قال عصام بصوت ضاحك سعيد: «والله أنا أيضا لا أصدق
يا أبي لدرجة أنني حينما قال لي تعال بدءا من الغد وقفت
أتطلع فيه لثوان حتى أستوعب ما قاله ولولا الملامة لأخذت
الرجل بالأحضان».

قال عارف بصوت متهدج وكأنه يوشك على البكاء: «حمدا
لله.. حمدا لله، أخيرا أكرمك الله يا بني وبارك في تعبك
وشقائك».

رفع عصام أنظاره إلى السماء يتابع طائرا محلقا يطير
بحرية وثقة وقال بعينين تلمعان بالدموع: «حمدا لله صدقني
رغم أن اسم الشركة والمرتب يسعدان أي شاب في مكاني
لكن سعادتي الأكبر هي في تقدير موهبتي يا أبي وتقدير
سنوات دراستي وتعبني لزيادة مهاراتي الوظيفية، بعد أن
كنت سأقبل وأنا مكسور خاطر بوظيفة أقل بكثير من
إمكانياتي وطموحاتي في شركة علي (وازداد لمعان الدموع
في عينيه وأضاف هامسا) أشعر أنني أحلم يا أبا عصام».

غمغم الأخير: «ربك كريم لا يعجزه شيء في الأرض ولا في
السماء».

أنهى المكالمة مع والده بعد قليل سعيدا ثم تطلع في الهاتف لبرهة وهو لا يزال واقفا في الشارع تحت البناية التي تقع بها شركة جودت عابدين، ودون تفكير كان يضغط على رقمها ويتصل بها وقلبه يتقاذف في صدره ككرة من المطاط فأتسعت عينا نيللي التي كانت في الغرفة وأنهت للتو مكالمة مع رامي فأسرعت بالرد: «نعم عصام».

ارتجف قلبه ككل مرة تنطق فيها اسمه وكأنها تلفظه بحروف مختلفة عن باقي الناس فبادرها بالقول: «يبدو أن مرام محقة في كل شيء قالتة عنك». سألته بعدم فهم: «ماذا تعني؟».

اتسعت ابتسامته وقال بصوت متهدج: «أعني أنك بالفعل وجه السعد يا نيللي».

اتسعت عيناها وسألته وقد ارتفعت دقات قلبها: «ماذا تقصد؟».

قال بهدوء يناقض ما يدور في صدره من مهرجان صاخب: «أعني أنني قد قُبلت في شركة جودت عابدين يا وجه السعد».

هتفت نيللي وهي ترفع قبضتها بانتصار: «Yes..Yes..Yes».

فأتسعت ابتسامته بينما تمتمت هي بسعادة: «كنت أعلم أنك ستقنعهم بك..كنت أعلم».

قال بانطلاق: «أنا لا أعرف ماذا حدث؟ ما الذي تغير؟».

أجابته بثقة: «الأمر كله كان بعد تعديل بعض الأمور البسيطة بك مع وجودك في مكان يقدر المواهب ويفتش عنها وقبلها توفيق من الله».

قال بسعادة: «ونعم بالله (وأضاف بتأثر) أشعر وكأنه يكافئني بعد طول صبر لدرجة أنني نادم على غضبي وحزني في كل لحظة لم أوفق فيها».

تأثرت بكلامه وغمغمت بسعادة شديدة من أجله: «كل شيء بأوانه ألف مبروك يا عصام».

«بارك الله فيك يا وجه السعد».

ضحكت واشتعل وجهها بحرج ليقول عصام بلهجة ذات مغزى: «أتمنى من الله أن يكمل فرحتي بما أتمناه سأكون لحظتها أسعد إنسان في الدنيا».

أحست أن كلامه يخصها فغمغمت وهي تحك جبينها بأناملها: «إن شاء الله».

قال بصوت رجولي أجش دغدغ أعصابها: «ألن تسأليني ما الذي سيكمل فرحتي ربما استطعت مساعدتي؟».

بحث بأنظارها حولها في الغرفة وكأنها تبحث عن الإجابة أو عن وسيلة للهرب من حصاره، فأنقذتها زينة عندما طرقت على الباب تقول: «نيللي مرام تريدك».

فقالت بسرعة: «لا بد أن أغلق الآن ألف مبروك مرة أخرى

سلام».

رد بابتسامة متسعة لو رأتها لذابت فيها: «ألف مليون سلام
يا وجه السعد».

بعد عدة ساعات

قال أسعد في الهاتف: «مبارك له.. هل هو موجود لأهنته».
أجابته مرام وهي تكاد أن تطير من السعادة بعد أن زفت
إليه الخبر: «لا لم يعد من الخارج بعد».

جاءها صوته يقول بارتياح: «بصراحة وظيفة محترمة في
شركة كبيرة، وشيء مشرف وأحمد الله أنه سيتخلص من
هذا الميكروباس».

أحست أن طريقته بها بعض التعالي فقالت بصراحة: «أسعد
أنا لا أحب تعليقاتك عن عائلتي خاصة عصام لأنه تعب جدا
في حياته».

قال أسعد مندهشا: «وماذا قلت أنا؟».

لم تعرف بم تردد، فشعورها بالضيق يزداد كلما تحدث عن
عائلتها لكنها لا تجد ما يصف ذلك الضيق فقالت: «تتحدث
كثيرا في موضوع الميكروباس.. أنا فخورة بأخي يا أسعد
لأنه لم يجلس في البيت عاطلا في انتظار الوظيفة وبحث
عن اللقمة الحلال».

قال أسعد بلهجة أحستها مستخفة: «دعك من هذه الشعارات الوظائف تملأ البلد يا مرام وتخصصه مطلوب في أكثر من مجال، ليس بالضرورة التوظيف في شركة دعاية وإعلان هو فقط الذي لا يعرف كيف يبحث بذكاء أو ربما لأنه ليس له علاقات مهمة».

ازداد شعورها بالغضب واستفز كلامه حمائيتها نحو أخيها فقالت باختناق: «عصام فعل كل ما يستطيع أن يفعله يا أسعد؛ لكنه لم يكن شابا يبحث عن وظيفة يصرف بها على متطلباته الشخصية، بل كان يبحث عن وظيفة يسهم بدخلها في الإنفاق على بيت العائلة خاصة بعد تقاعد أبي».

تكلم الأخير بلهجة مستنكرة: «ولماذا أنت عصبية معي هكذا كنا ندرش دردشة عادية».

اعترفت أنها عصبية، ليس فقط بسبب طريقته لكن بسبب الحمية القاسية التي بدأتها قبل يومين حتى أوشكت على أن تأكل نفسها، فاقتربت منها زينة تقول بهمس وهي تمسك بالتابلت الخاص بها على صفحة الدردشة بينها وبين والدها: «مرامي أبي عاد وبدل ثيابه وسيذهب للصيدلية هل ستحدثينه؟».

رفعت لها مرام سبابتها تطلب منها أن تخفض صوتها ثم قالت بسرعة لأسعد: «لا بد أن أغلق الآن فالطعام سيحترق على النار سأعاود الاتصال بك».

أسرعت بإغلاق الخط ثم خطفت إسدالها من فوق أحد

المقاعد وهي تقول بصوت عال: «أبي سألحق بأنس قبل أن يذهب للصيدلية لأحدثه في موضوع زينة».

قالتها واندفعت نحو باب الشقة ثم نزلت بضع درجات من السلم وأطلت من السور تنادي عليه: «دكتور أنس».

تجمد العمود الفقري للأخير وتلوى قلبه السقيم بين جنباته فغمغم في سره: «إنها لعنة أصابتني وستقضي علي في القريب العاجل».

سألته بقلق وهي تراه يحدث نفسه بخفوت: «أنس إلى أين أنت ذاهب؟».

«هل فرضوا حظر التجول وأنا لا أعرف».

قالها يرفع أنظاره إليها بنظرة خاطفة وهي تقف في منتصف السلم ثم عاد ينظر أمامه فردت مرام: «أقصد.. أقصد أنك لم تعد تصعد لتأكل معنا أولاً ثم تذهب للصيدلية».

تمنى لو يخبرها كم هو مشتاق لها ولطعامها الذي بات يقاطعه ولا يأكل منه بل يتركه في الثلاجة ويشترى طعاما وهو عائد آخر الليل تمنى لو يخبرها كم هو مشتاق لوجودها، لمشاكساتها له لانفعالها عليه وإصرارها على أمور صغيرة تستفزه وتجعله يرغب في تحطيم رأسها كتلك الوقفة التي تقفها على السلم هذه اللحظة وقد نبهها أكثر من مرة ألا تفعل تمنى لو أن يترك نفسه على هواها في التفنن لإخبارها بأكثر من طريقة كيف يشتاق إليها تمنى؛ لكن ليست كل الأمنيات مشروعة فسألها بلهجة حازمة: «هل تريدن شيئا مرام؟».

ردت بسرعة وقد فهمت أنه في مزاج عكر: «آه.. كنت أريد أن أتحدث معك في موضوع وأرسلت لك رسالة على الواتساب ولم ترد علي».

رفع أنظاره لها يقول بلهجة مستنكرة: «وهل ستحدثيني الآن على السلم؟!».

ردت بغيظ وقد استفزها: «أنا لست قادرة على الوصول إليك يا أنس، أريد أن أتحدث معك في أمر يخص زينة».

غمغم وهو يتحرك نازلا: «أنا ذاهب للصيدلية لشيء عاجل وبعدها سأتصل بك.. هيا اصعدي.. لا يصح وقوفك على السلم».

قالها وأسرع بالنزول دون أن يمنحها فرصة للرد فصعدت مبرطمة تضرب السلم بقدميها بغيظ شديد.

حين نزل أنس إلى الشارع كان عابسا غاضبا من نفسه ومن قلبه اللعين الذي لا يريد أن يستمع للمنطق، خاصة حينما رن هاتفه باسمها وتسارعت نبضاته بجنون فغمغم من بين أسنانه: «أعرفها لحوحة ولن ترحل عني إلا عندما تخبرني بما تريد (وفتح الخط يقول بغيظ مكبوت) نعم مرام».

جاءه صوتها أنثويا بشكل مزعج لمشاعره وهي تقول: «أنس لا تؤاخذني لكني أخشى ألا أستطيع الوصول إليك اليوم مرة أخرى فحتما ستعود آخر الليل وأريد أن أتحدث معك عن رحلة زينة لأن غدا آخر يوم لدفع قيمة الاشتراك».

لوى شفتيه بامتعاظ لتضيف مرام: «البنت متعلقة بالرحلة يا أنس».

قالتها بعد أن خلعت إسدالها وجلست على الأريكة فقربت زينة رأسها لتلصق أذنها بالهاتف في يد مرام بينما أوضح أنس: «أنا لن أكون مرتاحا وهي في مكان خارج المدرسة وحدها يا مرام، كلما فكرت في الأمر استحضر عقلي كل الحوادث التي سمعنا عنها هنا وهناك».

أبعدت مرام رأس الصغيرة عنها وناظرتها موبخة ثم قالت لأنس: «لن تستطيع حبسها في البيت للأبد يا أنس، كما أنها مع المدرسة وأنا كما تعرف موجودة بمجموعة الدردشة الخاصة بأمهات التلاميذ في فصلها وسأتابع تفاصيل الرحلة أولا بأول».

ظل واقفا في الشارع يدلك جبينه بأنامله ويحاول أن يهزم قلقه المفرط على ابنته فقالت مرام: «عليك أن تقوي قلبك وتتركها لتخوض التجربة إنها لن تسافر خارج البلاد يا أنس بل هي في نفس المدينة وستعود في موعد انتهاء اليوم الدراسي».

زفر قائلا باستسلام: «حاضر.. أخبريها لتذكرني كي أعطيها ثمن الاشتراك عندما أعود الليلة وليصبر الله قلبي خلال تلك الساعات التي ستقضيها خارج المدرسة».

نظرت مرام لزينة تشير لها بإبهامها بانتصار صامت فجاءها صوت أنس يقول: «أية أوامر أخرى ست مرام؟».

قالت بابتسامة سعيدة وهي تتابع زينة التي بدأت في الرقص أمامها: «شكرا يا أنس لا حرمنا الله منك أبدا».

قالتها بتلقائية وهي تنهي مكالمتها معه ثم ضربت كفيها بكفي زينة وصاحت بانتصار، بينما وضع أنس الهاتف في جيب سترته وتحرك مسرعا كمن يفر من عدو، رغم أن ذلك العدو كان يتلوى في الجانب الأيسر من صدره.

بعد ثلاثة أيام

الانتقال للعمل المكتبي كان تغييرا كبيرا بالنسبة إليه وهو لا يزال في مرحلة التعود على الحياة الوظيفية الجديدة ويحاول أن يتعرف على أقسام الشركة المختلفة، كما أن الأجواء الجديدة حماسية تحفز التحدي بداخله وتدفعه لإثبات ذاته، وتنسج الكثير من الأحلام المستقبلية في مخيلته أحلام تخص العمل وأخرى تخص نيلى التي باتت تحتل كل جزء من كيانه بسرعة هو غير قادر على استيعابها أو التحكم فيها. رشف عصام من كوب الشاي واعتدل على مكتبه الصغير في قاعة تضم عددا من المكاتب تشمل القسم الذي يعمل به، ثم عدل من ربطة عنقه الأنيقة فوق القميص الأبيض وعاد ليكمل ما كان يفعله على جهاز الحاسوب، بينما وقف جودت من بعيد يراقبه لعدة ثوان من خلف الواجهة الزجاجية قبل أن يستأنف طريقه إلى مكتبه وهو يفكر في نيلى التي لا يزال يقلقه موقفها المالي

كتبت مرام على المجموعة الخاصة بأمهات تلاميذ فصل زينة التي توجد فيها كل عام باعتبارها خالتها المسؤولة عن متابعتها: «يا جماعة لماذا تأخروا في العودة؟ المعلمة أخبرتنا قبل ساعتين أنهم سيتحركون للعودة ولقد تأخروا.. فلم يأخذ الطريق كل هذا الوقت في الذهاب».

كتبت أخرى: «حاولت الاتصال بإحدى المشرفات وهاتفها غير متاح».

فكتبت ثالثة: «استريا رب أنا قلقة جدا».

لتجيب رابعة: «يا جماعة وحدوا الله الطريق مزدحم ومن الطبيعي أن يكون طريق العودة أطول».

فتساءلت أخرى: «ولماذا لا ترد المشرفة على هاتفها؟!».

أغلقت مرام المجموعة تشعر بقلق شديد انتقل لنيلى الجالسة أمامها في الصالة فسألتها: «ليس هناك جديد؟».

هزت الأخيرة رأسها بالنفي وبدأت تقضم أظافرها بتوتر وكل الأفكار السوداء تلعب بها، ثم غمغمت وهي تضغط على رقم الاتصال بأنس: «كان أبوها محقا فلم يكن هناك لزوما لذهابها».

رفعت نيلى حاجبيها باندعاش وبلعت تعليقا أرادت أن تقول على شاكلة (أنتما الاثنان تتعاملان كأب وأم مريضين

بالوسواس) ولم تعقب.

في تلك الأثناء كان أنس يقف في مكان عمله يقول ببرود لزميلته في الشركة: «أشكرك دكتورة ياسمين لست جائعا».

قالت الأخيرة بإصرار: «هذا النوع من البسكويت أعجب الجميع لهذا صنعت منه كمية كبيرة لكل الزملاء (وأضافت بلهجة ذات مغزى وهي ترمش بعينيها عدة مرات فذكرته بشخصية كرتونية تتابعها ابنته) أنا ماهرة جدا في الطبخ».

رد أنس وهو يدخل للمعمل: «وأنا لا أحب البسكويت شكرا».

قالها وتركها خلفه فتطلعت ياسمين في أثره وغمغمت بغیظ: «ما هذا؟! لوح من ثلج! كان من الممكن أن يأخذه مني ولا يأكله ما هذه الفظاظة!».

أما أنس فغمغم باستنكار وهو يخرج الهاتف الذي يرن من جيبه: «لماذا يتقربن مني دوما بالطعام! هل أبدو أمامهن مسكينا إلى هذه الدرجة؟!».

وتطلع في اسم مرام فخفق قلبه كالمهبول كلما لمح شيئا يخصها وقال بعد أن فتح الخط: «نعم مرام».

جاءه صوتها الذي يدغدغ أعصابه متوترا وهي تقول: «كنت محقا يا أنس، لم يكن من المفروض أن نسمح لها بالذهاب للرحلة».

سقط قلبه بين قدميه وسألها: «ماذا حدث؟!».

أسرعت بالقول مطمئنة: «لم يحدث شيء أنا فقط القلقة

لأنهم غابوا في العودة».

زفر الأخير براحة ثم ابتسم وقلدها ساخرا: «عليك أن تقوي قلبك وتتركها لتخوض التجربة يا أنس.. إنها لن تسافر بل هي في نفس المدينة ستعود في موعد انتهاء اليوم الدراسي يا أنس».

ابتسمت وقالت بعينين دامعتين: «تسخر مني يا دكتورا من المفروض أن تكون أعصابك أقوى مني».

كان واقفا يستمع إليها رأسه مohnيا للأمام وعيناه مثبتتان على الأرض، بينما يده تضغط على الهاتف لتلصقه بأذنه وكأنه يريد العبور إليها من خلاله والالتصاق بها فبلع ريقه وظل صامتا غير قادر على إنهاء المكالمة أو مطالبتها بجرأة لمواصلة الحديث معه هكذا، هو عالقا في المنتصف في فخ شباكها الناعمة لا هو قادر على الابتعاد ولا مسموح له بالاقتراب لتنتهي مرام حيرته حينما أبعدت الهاتف عن أذنها وفتحت مجموعة الدردشة ثم هتفت براحة: «لقد اقتربوا من الوصول للمدرسة ها قد كتبت المشرفة في المجموعة (وأعادت الهاتف على أذنها مضيضة) حمدا لله على سلامتها عد إلى عملك وسأطلب من مراد أن ينزل وينتظرها أمام المدرسة».

أغلق أنس الخط بعد أن غمغم بعبارات غير مفهومة، ثم وقف وسط المعمل يفرك رأسه بأصابعه بقوة متمنيا أن يأتي عليه يوم يتخلص فيه من طيف مرام الذي يحتل كيانه.

اتسعت عينا مرام بعد قليل وهي تسمع أسعد يقول في الهاتف بغضب: «علاقتك بهذه البنت مبالغ بها يا مرام».

قالت بانفعال: «ماذا حدث لكل هذا يا أسعد؟!».

هتف قائلاً: «كل هذا وتسأليني ماذا حدث؟! لم تتصلي بي طوال اليوم ولم أتلق منك إلا عبارة صباح الخير على الواتساب صباحاً والآن حينما اتصلت بك تخبريني أنك كنت مشغولة وقلقة على ابنة ابن عمك التي ذهبت في رحلة!«.

سألته بعبوس: «أين المشكلة لا أفهم؟».

قال بحدة: «المشكلة أن هذه البنت تستحوذ على اهتمامك بشكل مبالغ فيه وأنا لا أستسيغ هذا».

عصبيتها التي تسيطر عليها في الأيام الأخيرة طغت على صوتها وهي تقول: «لقد أخبرتك أنني من ربيتها ومن الطبيعي أن أكون متعلقة بها».

استفزه الأمر برمته فقال بلهجة أمرة: «هذا الكلام لا بد أن ينتهي».

ازداد شعورها بمغص الجوع بسبب تلك الحمية اللعينة وهي تقول بانفعال: «كيف أفعل ذلك لا أفهم؟ هل سأنزعها من قلبي؟!».

تماسك أسعد ورد من بين أسنانه: «مرني نفسك على ذلك يا مرام البنت كبرت ولم تعد رضيعة تحتاج لاهتمامك، ووالدها

إن أراد فليبحث لها عن من تخدمها فلست ملزمة بذلك، كما أنني لا أحب أن تختلطي بابن عمك فهذا الإنسان لا يشعرني بالراحة».

طحنت ضروسها وازادت حيرتها لتكرار الخلاف بينهما فقالت متصنعة الهدوء: «اسمع يا أسعد.. قد أتفهم موقفك من الدكتور أنس رغم أنه إنسان في منتهى الاحترام لكني لا أستطيع أن أفهم مشكلتك مع زينة إنها تعتبر يتيمة».

استفزه تعبيرها فقال باستنكار: «ليست يتيمة يا مرام.. أنت أخبرتني أن أمها تركتها لماذا تتكفلين أنت بها لا أفهم، فليتزوج الأخ أنس ويأتي لها بمن ترعاها».

كالعادة استفز حمائيتها تجاه عائلتها بالأسلوب الذي يتحدث به فقالت والدموع تترقرق في عينيها: «أسعد من فضلك لا أحب طريقتك المستهزئة هذه».

هتف بغضب: «أنا خطيبك يا مرام وسأكون زوجك وعليك بفعل ما يريحنى أنا وليس ما يريح الآخرين».

ضاق صدرها وشعرت أنها بحاجة لبعض التنفس فقالت: «أغلق من فضلك الآن لأنني أشعر بالغضب».

صرخ فيها وقد استفزت كبرياءه: «لَمْ كل هذا؟! لأنني أقول الحقيقة! عموما أنا سأجلس مع عمي وأناقش معه هذا الأمر».

قالت بانفعال: «ما الذي ستناقشه معه ولماذا تكبر الموضوع إلى هذا الحد؟!».

رد بطريقة أحستها عنجهية: «لأن هذا الوضع لا يعجبني يا مرام وعليك بوضع حد لتعلق البنت بك، لقد كنت محرجا وهي ملتصقة بك طول حفل الخطبة حتى إن أكثر من شخص سألني فيما بعد من تكون هذه الطفلة متشككين من أن تكون ابنتك وأنا أخفي الأمر وأدعي أنك لم يسبق لك الزواج».

قالت بعدم فهم: «لماذا كل هذا؟ ألم يروا عروسا من قبل متعلقة بأبناء أخيها أو أختها؟! ولماذا تهتم دوما بما يقوله الناس!».

دافع عن نفسه قائلا: «أهتم من أجل شكلي شكلنا نحن الاثنين، فالإنسان لا يعيش في جزيرة منعزلة».

قالت له منهية للحديث: «لنتحدث فيما بعد يا أسعد أرجوك فأنا لا أحب أن أتكلم وقت الغضب».

حين أغلقت الخط بعد دقيقة ألقت بالهاتف على السرير وزفرت بعمق يخنقها البكاء وتذكرت كلام عصام لها أن زوجها قد لا يتفهم علاقتها بزيينة واحتارت ماذا تفعل، فلو جمدت قلبها وحاولت الانفصال عن زينة، البنت لن تتفهم ذلك، هي نفسها غير قادرة على فهم اعتراضاتهم فأكثر من فتاة تعرفها متعلقة بأولاد أخوتها أو أقاربها قبل وبعد زواجها؛ لكن على ما يبدو أنهم يرون الأمر من زاوية أخرى وعليها أن تفعل شيئا حيال هذا الأمر، إنه أمر صعب وكأنهم سيفصلون بينها وبين ابنتها الحقيقية.

صوت جلبة في الصالة جعلها تمسح دموعها وتخرج من غرفتها فاندفعت زينة نحوها تقول بسعادة: «كانت رحلة رائعة مرامي».

مالت الأخيرة وحضنت وجه الصغيرة بين كفيها تسألها: «هل كنت سعيدة؟».

أجابتها زينة: «جدا جدا».

غلبت الدموع مرام فسحبته لتحضنها بقوة وهي تفكر كيف ستستطيع أن تفارقها؟ كيف؟».

قبيل المغرب

وضعت القلادة فوق وشاح ناعم على السرير فقامت نيللي بتصويره ثم نظرت للصورة في الهاتف تقول: «جودة الكاميرا لو كانت أفضل لكانت الصورة أحسن».

أسرعت مرام بفتح خزانة الملابس وهي تقول: «انتظري هناك شيء يصلح لالتقاط صور أفضل للإكسسوارات (وأخرجت شالا قديما من الفرو تقول بهمس) هذا وشاح جدتي سنستخدمه ونعيده بسرعة قبل أن تلاحظ وإلا أنت تعلمين ليلتنا ستصبح كحلية اللون».

ضحكت نيللي فأسرعت مرام بوضعه على السرير ووضع القلادة فوقه والتقطت الأخرى الصور، ثم أسرعتا بالنظر في شاشة الهاتف لتقييمهما لتقول نيللي: «ليست سيئة سنبدأ بنشر

بعض الصور البسيطة وبعدها سنلتقط صوراً أكثر احترافية إن شاء الله بعد أن يكون لدينا صندوق إضاءة».

قالت مرام بحماس وهي تغادر الغرفة: «ما دام عصام قد وصل سأذهب لأسأله عن هذا الأمر بالتأكيد سيساعدنا فيه».

فقالت نيللي وهي ترتدي حجابها: «إذن نكتفي بهذا القدر من التصوير الليلة ونبدأ في نشر الصور لكن سأذهب للحمام أولاً».

سألتها مرام باهتمام: «هل أنت بخير؟ تبدين قلقة».

كانت نيللي تشعر بالقلق لقرب عودتها لحياتها الحقيقية لكنها ردت: «أنا بخير لا تقلقي».

سألتها مرام: «هل أنت قلقة لأنك ستنزعين الجبيرة بعد أيام؟ لا تقلقي من عمك أو من صاحب الشقة تكلمي مع أبي وعصام وأنس ولن يتركوك وحدك تأكدي من هذا».

قالت نيللي بعاطفة صادقة: «أعلم ذلك.. لا حرمني الله منكم».

اقتربت منها مرام تقول بتأثر: «وأنا لا أعرف كيف سأفصل عنك وستكونين في محافظة أخرى، بل لا أعرف كيف سأعود لأكون وحدي دونك؟ لقد اعتدت على وجودك يا نيللي».

قالت الأخرى بلهجة مطمئنة: «إن شاء الله سأتي لأزورك».

اقتрحت مرام بسرعة: «لماذا لا تنتقلين للسكن بجوارنا؟ فلنبحث لك عن شقة بالقرب منا ما رأيك؟».

أجابتها نيللي بهدوء: «لا تستبقي الأحداث يا مرام سأنزع الجبيرة ونرى ماذا سيحدث».

في الصالة قال عصام لأخته بعد قليل: «تريدين صندوق إضاءة؟».

ردت مرام: «أجل لتصوير المعروضات بشكل احترافي، نيللي بحثت عنه على الإنترنت فوجدت سعره غاليا بعض الشيء فقلت ربما استطعت أنت تنفيذه».

سأله نيللي الواقفة عند الممر: «هل تعرف شكله؟».

أجابها عصام: «بالطبع أعرف (ونظر لأخته مضيئا) اتركيني أفكر كيف أصنعه وإن كان لديك علبة من الكرتون هاتها».

قالت الأخيرة وهي تتجه نحو المطبخ: «سأبحث لك عن واحدة بعد الأكل سأسخن الطعام أولا».

اختفت بالداخل بينما احمر وجه نيللي وهي تهرب من عينيه قويّتي النظرات المثبتتين عليها واستدارت تهم بالفرار للداخل فسمعه يقول: «إلى أين؟ مرام ستجهز طعام العشاء».

أدارت وجهها إليه تجيب من فوق كتفها: «عندي بعض الأمور لأنجزها قبل الأكل».

تكتف وسألها وهو يقترب: «أي نوع من الأمور؟».

استدارت بكليتها وأجابت وهي تستند بمرفقها على العكاز

وتتكتف معله: «أمر شخصية هل لديك مانع؟».

أنزل أنظاره نحو ساقها ثم عاد يتطلع في وجهها قائلا بجدية: «ستنزعين الجبيرة خلال أيام إن شاء الله».

هزت رأسها بالإيجاب وقالت: «أجل أتشوق لنزع هذه الجبيرة وأتمنى أن يكون قد التأم الكسر حتى لا أعود لوضعها ثانية».

رد بصوت هادئ: «أنا أيضا أتشوق لأراك تتحركين دونها».

وحاول أن يتذكر وقفها مع أخته ذلك اليوم البعيد في الشارع وأضاف بلهجة ذات مغزى: «لكني أخشى أن يكون ثقل الجبيرة هو ما كان يربطك بهذا المكان وبعدها ستطيرين لأعلى وتختفين عن أنظارنا».

بحمت نيللي عن إجابة أمام عينيه المتسائلتين حتى أنقذها عارف حينما قال في الهاتف منفعلا: «حسنا يا أنس افعل ما تريد تأتي أو لا تأتي هذا أمر يخصك».

فانتبها لعارف المنفعل على غير عادته الذي ألقى بالهاتف على المقعد الآخر في الشرفة ليتركها عصام ويذهب ليهدئ والده.

في الطابق السادس زفر أنس ولم يعرف ماذا يفعل مع عمه الذي غضب، لأنه أضحى يعتذر يوميا عن الصعود للطابق السابع متعللا بحجج يخترعها كل يوم؛ لكن عمه اشتد عليه الاكتئاب منذ وفاة العم أمين وبات منزويا أكثر من ذي قبل

كما أخبره عصام ولم تفلح فرحة وظيفة عصام الجديدة في أن تخرجه إلا وقتا قصيرا من حزنه. هرش أنس في رأسه وغادر غرفة نومه عائدا للصالة، حيث يجلس مراد وباسم ليشرح لهما درسا من دروس الكيمياء، والحقيقة أنه لا يشرح لهما فقط لكن يدرسهما يدرس هذين المراهقين المختلفين عن بعضهما ويحاول أن يخترع لغة يفهمها ذلك الجيل الذي يعترف أنه مختلف عن جيله وجيل عصام. إنه مندهش بعد بضع جلسات معهما والبحث على الإنترنت، مندهش فهذا الجيل أشبه بمن يعيش في مركبة فضائية ويحصل على غذائه بكبسولات معدة مسبقا، منفصلين تماما عن الواقع الحقيقي إنهم يحصلون على كل شيء بطريقة الكبسولات سابقة التجهيز، مهوسون بالجديد وبتتبع كل ما هو مضيء ولامع ولا يصدقون أنه ليس كل ما يلمع ذهباً صحيح ماهرون في استخدام التكنولوجيا أكثر من الأجيال الأكبر عمرا؛ لكن أغلب جيلهم مقلدون وليسوا مبتكرين كالبالونات المنفوخة بالهواء ولا تملك ثقلا ليثبتها على الأرض فتسبح في الفضاء دون وجهة محددة.. دون بوصلة.. دون أساس متين يربطها بالواقع وبالأرض وبالجذور، وفي الوقت نفسه ينظرون إلى كل ما هو على الأرض باحتقار، جيل عنيد ومجادل وبينه وبين الجيل الذي يسبقه فراغ كبير والأجيال الأسبق فجوة زمنية ورغم هذا تسيطر عليه رغبة قوية في أن يجد لغة حوار مشتركة حتى يصل إليهما ليس من أجل تدريس المادة لكن تتملكه رغبة في اختراق عالمهما وتحركه مشاعر أبوية للاطمئنان عليهما؛ لكنه يحتاج لأن يفهمهما أولا، وأن يقترب

من عالمهما ويستطيع اختراقه. كانا يجلسان يتطلع كل واحد على حدة في ذلك الجهاز اللعين من وجهة نظره المسمى بالهاتف فسحب العصا الطويلة الرفيعة التي يستخدمها لإرهابهما أو بمعنى أدق للسيطرة على مراد، فباسم فتى هادئ ومطيع وضرب بها على المقعد بقوة فانتفضا مفزوعين حتى كاد الهاتف أن يقع من يد مراد، ليقول أنس بلهجة صارمة: «من سمح لكما بفتح الهواتف؟!».

أسرع باسم بالقول بارتباك كعاداته: «آسفان.. لقد أطلت الحديث في الهاتف فشعرنا بالملل».

مط أنس شفتيه ووقف أمام السبورة البيضاء الصغيرة التي تتوسط صالة شقته وسأل: «عم كنا نتحدث؟».

أجابه باسم: «كنا نقول...».

قاطعه أنس قائلاً وهو يشير بالعصا: «ليس أنت بل هو».

رمش مراد وقال مستهلاً: «من تقصد بـ(هو)».

ابتسم له أنس الابتسامة التي تستفزه وأجاب: «(هو) أنت يا حبيبي تعال وشرح لي النقطة السابقة (ومسح السبورة أمام ناظريه المرتعبين وقال وهو يعطيه قلم السبورة) هيا أعد لي شرح النقطة الأخيرة».

بلغ مراد ريقه يناظره بتشوش فضرب أنس على أقرب مقعد بالعصا مهددا لينتفض الأخير واقفا ويتوجه بتناقل نحو السبورة فقال أنس لباسم: «وأنت أخرج هاتفك وسجل له».

هتف مراد باستنكار: «نعم؟!».

قال أنس ببرود: «سنصور المقطع ونعرضه على أحد المواقع التي تعرض المقاطع المسجلة وأنت وشطارتك إما أن يجد المقطع قبولا واستحسانا من المشاهدين أو ضحك واستهزاء مما ستقوله».

تفاجأ مراد بجدية أنس الذي طرأت الفكرة للتو في عقله لربما حفزت مراد المتكاسل وغير المهتم بالدراسة وحمسته، فبلع ريقه وأخذ يرتب أفكاره ويستعيد ما فهمه قبل قليل في عقله ثم بدأ في الشرح أمام السبورة ووقف أنس يراقب ارتبائه في أول الأمر؛ لكن سرعان ما وجدته قد تحمس وأضحى أكثر مرونة وثقة ودقق في مصطلحاته الشبابية التي رآها من وجهة نظره (ركيكة) لكن أجبر نفسه على تقبلها، ثم راقب طريقته في تلخيص الفكرة واعترف بذكائه.

حين انتهى مراد من الشرح قال أنس: «أحسن».

«حقاً؟!» قالها مراد متفاجئاً فأكد له أنس ببعض التشجيع المتعمد: «رغم بعض الهفوات لكن أنا مبهور ومتفاجئ بك يا ولد».

اتسعت ابتسامة مراد وأسرع نحو باسم كي يشاهد المقطع فخورا بنفسه، بينما وقف أنس أمام السبورة يصحح بعض النقاط التي قالها مراد وأخذ يشاكسه ويسخر من بعض التشبيهات التي ذكرها مراد في شرحه، فجلبت طريقته الساخرة المتهكمة انفجار في الضحك من الشابين أسعد

أنس رغم احتفاظه بالوجه الجاد؛ لكنه شعر أنه على أعتاب الوصول لأرض مشتركة مع ابن عمه المراهق.

بعد قليل

«الأيام باتت ثقيلة يا شادية أثقل من أي وقت مضى ولا أعرف ما الذي يحدث معي».

قالها عارف في سره من جلسته في الشرفة يتطلع إلى قرنفة بيضاء الزهرة واللون المفضلان عند زوجته الراحلة، وأضاف في سره يبوح لها بما يشعر به: «المفروض أن أكون سعيدا لأن مرام قد حُطبت وعصام التحق بوظيفة تليق بشهادته؛ لكن لا أعرف لماذا لست كذلك ولماذا أضحت تحتلني الكآبة كنت أتحجج من قبل بالظروف لأبرر حالتي؛ لكن الآن ما حجتى؟ لن أنكر أن موت عم أمين هزني ربما لذلك الشعور الذي يسيطر علي منذ فترة أنني أشبهه بشكل أو بآخر لكنني غير قادر على الفكاك من برائن شيء أسود يجثم على صدري ويكبطني بقوة (ورفع عينيه نحو السماء المرصعة بالنجوم مستطردا بتساؤل) أعتقد أني قد احترفت الحزن حتى بات صنعتي يا شادية».

انتبه من أفكاره على صوت مراد وأنس يدخلان البيت فعبس وضاقت صدره غاضبا من الأخير الذي افتقده الأيام الماضية، الذي لا يعرف ماذا يحدث معه هو الآخر يعلم أنه مضغوط وأنه يواجه أياما صعبة يحاول فيها الاحتفاظ

بتوازنه، ورغم اعترافه أنه يبالغ في رد فعله مع ابن أخيه؛ لكنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الغضب منه غضب أب يفتقد أكبر أبنائه.

دخل أنس شقة عمه بقلب تتسارع دقاته يمنع عينيه من البحث عنها فألقى السلام ودخل خلفه مراد لتستقبل زينة والدها بترحيب وصخب وتبدأ في إخباره بحماس بما أخبرته به على الهاتف قبل ساعات عن رحلتها مع المدرسة، لتقول الحاجة روح بتذمر: «لماذا لا تريد أن تزورنا يا سالم ألن تكف تلك العقربة عن ملء رأسك بما يبعدك عنا؟».

تنهد بقوة ثم اقترب منها يقول: «أنا أنس ابنه يا جدتي وأمي لم تكن عقربة يا روح اتق الله».

قالها ومال يقبل رأسها فأشاحت بيدها تقول بإصرار: «بل هي عقربة ألم تتركك وتسافر لبلاد الأجانب».

تطلع أنس في عصام الذي ناظره باندھاش ثم قال بخفوت مسموع: «حمدا لله ظهرت براءة أمي واتضح أنها تقصد...».

ونظر لزينة التي تتابع المشهد ثم بلع باقي الجملة فقالت روح بعبوس: «بما تتهامس أنت وهو؟».

أجابها أنس بصوت عال: «كنت أخبره أن اليوم موعد الحقنة الخاصة بك يا جدتي فاستعدي».

اتسعت عيناها برعب وهتفت في عصام: «أطرده من هنا».

ضحك الأخير بينما قال أنس: «أنا جئت تلبية للأوامر

العليا».

ونظر نحو عصام يسأله إن كان عمه في مكانه المفضل في الشرفة أم لا فأوماً له الأخير بالإيجاب، ليسحب أنس نفساً عميقاً ويخرجه ثم يذهب إليه كي يراضيه فدخل الشرفة يقول: «كيف حالك يا عماه».

رد الأخير بلهجة ساخرة: «لماذا تنازلت وجئت لزيارتنا كنت انتظرت لتكمل العام».

هرش أنس في رأسه وقال لعمه: «إنها بضعة أيام فقط يا حاج عارف».

أشاح الأخير بوجهه ليقول أنس بهدوء: «لماذا أنت غاضب مني؟ أنا مشغول أقسم لك وألف حول نفسي».

عاد عارف ينظر إليه وقال بلهجة جادة: «أنا مقدر لما أنت فيه يا أنس لكن هذا لا يعني أن تنقطع عنا ما دخل هذا بذاك، ألم تشتاق إلينا؟!».

ابتسم أنس وقال: «وهل لي أهل غيركم (ثم أضاف بلهجة مشاكسة) ما رأيك أنني أشتاق للعننا للشطرنج أنا وأنت وهزيمتك أمامي؟!».

عبس عارف وقال باستنكار: «هزيمتي أنا؟!».

استمر أنس في مشاكسته فقال: «يا عمي هل أصابتك الشيخوخة وبنت تنسى كجدتي!».

نجح أنس في استفزازه فهتف عارف: «اخرس».

هز أنس رأسه وقال: «حسنًا يا أبا عصام بعد الطعام سنجلس ونستعيد أنا وأنت أمجاد الماضي، أقصد أستعيد أنا أمجاد الماضي وأذكرك بالذي نسيته».

لوى عارف شففيه وقال: «سنرى يا حبيبي علبة الشطرنج في غرفتي سأخرجها».

سحب أنس كرسيًا يجلس في الشرفة قائلا: «وها أنا ذا سأجلس معك هنا كي تمل مني يا حاج».

قالها وهو يهرب من مقابلتها متعمدا ويقلل من الوجود في محيطها بينما شعر عصام بالامتنان لأنس الذي يساعده في إخراج والده من عزلته رغم أنه يشعر أن هناك شيئا غريبا يحدث مع ابن عمه منذ فترة؛ لكنه دوما السند والأخ الذي لم تنجبه له أمه رغم كل ما يمر به.

بعد قليل انتقل أنس مرغما ليجلس على المائدة مع عمه عارف وكل خلية فيه تتابع تحركاتها حوله ومن وإلى المطبخ حتى وهو يدعي متابعة المصارعة الحرة التي تشاهدها روح في التلفاز التي شاكسها قائلا «متى سأعطيك الحقنة يا جدتي؟».

لم ترد الأخيرة بل ظلت توليه ظهرها وتتابع الشاشة فنادها مجددا: «روح الفؤاد أنا أتحدث معك».

ظلت مدعية عدم الانتباه فنادى عليها عارف الجالس على رأس المائدة وتجاهلته هو الآخر ليغمغم أنس: «ستدعي

الصمم الآن؟!».

خرجت مرام تحمل صينية وهي تقول: «اليوم من حظك الجيد صنعت صينية البطاطس بالدجاج التي تحبها يا أنس». خطف نحوها نظرة سريعة وابتسم قائلا بلهجة ساخرة: «من الجيد أن يكون لي بعضا من الحظ حتى لو في صينية بطاطس فهذا أفضل من لا شيء».

قابل عصام أخته في منتصف الطريق يقول: «اغرفي أنت الطعام وأنا سأحمله لطاولة السفرة (ثم نادى على أخيه الذي يتخذ الركن البعيد مشغولا في شيء ما في هاتفه) يا أستاذ مراد هلا شاركتنا وضع الطعام على السفرة!».

رفع الأخير أنظاره قائلا: «لماذا تشعرني بصعوبة المهمة هل طبخت أختك عجلا وتريد مني أن أحمله معك لنضعه على السفرة!».

طحن عصام ضروسه بينما ابتسمت نيللي الجالسة على الأريكة تتابع مشاكساتهما بصمت وتراقب عصام خلصة وكأنها تشبع منه لربما لن تستطيع أن تراه بعد ذلك.

سألت مرام أنس وهي تعطي طبقين من الأرز لعصام الواقف بالقرب من المطبخ: «ماذا حدث في القضية يا أنس؟ ألم يكن هناك جلسة يوم خمس وعشرون أي قبل يومين؟!».

تبادل أنس النظرات مع عصام بينما قال عارف عابسا: «أنا نسيت التاريخ (ونظر لابن أخيه يسأله) ماذا حدث؟!».

رد أنس بوجوم وهو يضع بعضا من السلطة في فمه: «لا جديد».

سأله عارف وقد شعر بالتقصير لأنه نسي موعد القضية: «ماذا تعني بلا جديد هل أجلوها مرة أخرى؟!».

رد أنس بسخرية مرة: «قل مرة عاشرة محامي الكلية يفتعل الحجج كل مرة للتأجيل».

تدخلت نيللي تسأل: «لا تؤاخذني على التدخل؛ لكن أنا لا أفهم ما المغزى من هذا التأجيل؟!».

رفع أنس أنظاره نحوها وأجاب: «هدفهم أن تؤجل القضية حتى أتم الخامسة والعلائين من عمري لأن لوائح الكلية تحدد سن تعيين المعيدين لمن هم أقل من خمس وثلاثين عاما».

عبست مرام وسألته: «وهل ستعين بعد كل هذا معيدا إن كسبت القضية؟!».

أجابها موضحا: «القضية مرفوعة للمطالبة بالدرجة الوظيفية التي لم أنالها؛ لكن لو كسبت القضية سيتم عمل تسوية داخلية في الكلية بشهادة الماجستير التي أحملها ليتم ترقيتي لمدرس مساعد بعد التعيين».

رمشت نيللي بعينيها عدة مرات وتساءلت: «هل المحاكمات تأخذ كل هذه السنين؟!».

رد عارف وقد عاودته الكآبة: «أنتِ وحظك.. وهذا

المنحوس حظه عاثر طوال عمره، خاصة أن محامي الكلية مشهور عنه أنه ذا طرق ملتوية».

انتهزت نيللي الفرصة وسألت أنس: «أخبرني يا دكتور أنت من يفحص جودة الأدوية في المصنع أليس كذلك؟!».

رد عليها وهو يتناول ملعقة أخرى من السلطة: «أجل لماذا تسألين؟».

جلس عصام على السفرة واقترب مراد بينما ردت نيللي بارتباك: «لا أبدا كان عندي فضول لأعرف طبيعة عملك (وصمتت قليلا ثم سألته) ماذا لو طلب منك فحص دواء معين؟ أقصد طلبت منك شركة ما فحص دواء معين كم من الوقت تحتاج؟».

ناظرها عابسا يحاول تحليل كلامها ثم أجاب: «هذا على حسب المواد التي سيتم تحليلها لماذا تسألين هذه الأسئلة؟». أسرعت بالقول: «مجرد فضول».

رفع أنس حاجبا بينما قال عارف لابنته: «إلى أين؟».

غمغمت الأخيرة: «لن أكل معكم لقد سبقتمكم».

قال عارف بانزعاج: «ما بك أنت الأخرى لا تجلسين معنا على السفرة منذ عدة أيام هل أنت مريضة؟!».

تبادلت مرام النظرات مع نيللي التي صمتت بغير رضا لما تفعله الأخرى بينما اندفعت زينة تقول: «لأنها تقوم بحمية».

ناظر الجميع مرام عدا أنس الذي بلغ ما في فمه بصعوبة
ودفن نظراته في طبقه ليقول عصام باستنكار: «من أين أتت
قصة الحمية الآن؟! وما الداعي لها؟!».

شعرت مرام بالحرّج ليضيف مراد بانزعاج: «أجل ما الداعي
لها أنت قوامك كله متناسق هل خطيبك من طلب منك
ذلك؟».

أسرعت بالإنكار: «لا طبعا لماذا تقول ذلك؟».

رد عصام: «لأنك لم تفكري في هذا الأمر من قبل».

رفع أنس أنظاره نحوها ومن نظرة واحدة تأكد من ارتباكها
ومن صدق تخمين مراد فلم يستطع التحمل فالدماغ كانت
تغلي في رأسه ليبعد كرسيه للخلف بحركة حادة ويستقيم
واقفا وهو يقول بصوت متحشرج: «أنا شبع».

اتسعت عينا عارف وقال: «وهل أكلت من الأساس حتى
تشبع؟!».

قال وهو يتحرك مغادرا: «معدتي تؤلمني هذه الأيام لا
أعرف ماذا حل بها لا تؤاخذوني سأذهب لأخذ دواء للمعدة».

قالها وتحرك يغادر الشقة قبل أن تنفلت أعصابه فتبادل
الموجودون النظرات المندهشة قبل أن يسأل عارف ابنته:
«أخبريني يا مرام ماذا يحدث معك كنت دوما تكرهين
الحميات الغذائية من أين جاء هذا التغيير فجأة؟».

قالت الأخيرة بمراوغة: «لقد غيرت رأيي يا أبي لم يعجبني

شكلي بفستان الخطبة وأريد أن أصبح أنحف هياكلوا بالهناء
والشفاء».

قالتها وتحركت نحو الداخل ورائحة الطعام تغازل معدتها
الفارغة؛ لكنها شجعت نفسها أنها إن خسرت بعض الوزن
ستنال إعجاب أسعد شعور تتمناه وتسعى إليه مثل أي أنثى،
أما عصام فطحن ضروسه ولم يعجبه أن تكون أخته مضغوط
عليها من خطيبها، فنظر لنيللي الواجمة يسألها بعينه أن
تؤكد له تخمينهم أو تنفيه لترد الأخيرة ببرود: «لو كنت أعرف
شيئا بالتأكيد لن أخبرك به فاسأل أختك بما تريد أن تعرفه».

انقلبت ملامحه واستقام واقفا ليسأله عارف: «إلى أين أنت
الآخر؟!».

أجابه وهو يتجه نحو باب الشقة: «فقدت شهيتي..
سأطمئن على أنس».

فوق سطح البناية أخذ يسب ويشتم بكل الألفاظ البذيئة
التي يعرفها التي سمعها يوما يسب ذلك المتعجرف وهو
يتخيله يطلب من مرام أن تخفف من وزنها وتغير من شكل
قوامها، الخاطرة وحدها كانت كفيلة بإشعال غيرته عليها من
ناحية واستدراار شفقة قلبه عليها من ناحية أخرى، فسحب
نفسا من السيجارة باضطراب ونفثه وهو يقول من بين
أسنانه غاضبا: «يعذبها سعادة الباشا من أجل مزاجه إن كان
لا يعجبه قوامها لماذا تقدم لخطبتها من الأساس؟ إكي يفرض
سيطرته على بنات الناس!».

ضرب حجرا بمقدمة حذائه بقوة وهو يقترب من الجنون فسمع صوت تكسر للحصى خلفه يخبره بقدوم أحدهم واستدار ليتفاجأ باقتراب عصام منه فامتقع وجهه وتجمد لعوان وهو يدرك أنه قد قبض عليه وهو يدخن.

في الوقت نفسه شحب وجه عصام مصدوما وهو يتطلع في أنس وذلك الدخان الذي يصعد من بين أصابعه قبل أن يستدير الأخير ويوليه ظهره ويستند على سور سطح البناية، المكان الذي خمن أنه سيجده فيه بعد أن ذهب لشقته واتصل بالصيدلية ولم يجده فصعد إلى السطح، بلع ريقه مع صدمته وتقدم فوق الحصى مخترقا الكراكيب، فأخر شيء كان يتصوره هو أن يرى أنس يدخن لكنه قال بهدوء: «كان تخميني صحيحا رغم أننا لم نصعد إلى هنا منذ وقت طويل».

وتطلع حوله في المكان الذي شهد فترة صباه ومراهقته وقد شاركه فيها أنس حينما كان يأتي لزيارتهم في الإجازة الصيفية وأضاف: «هل تذكر المشاجرة الكبيرة التي كانت هنا فوق السطح مع الولدين اللذين كانا يقطنان الدور الثاني؟ دوما ما كنت تميل للسلم بينما كنت أنا أميل للشجار واستعراض القوة، ولأنك الأكبر كنت دوما تتدخل لحل الأمور بيني وبين الآخرين دون عنف لكن تلك المرة ولأن الشابين كانا أكبر مني عمرا وقفت بجانبتي ضدتهما (وتطلع نحو السلم يقول) أذكر حينما أغلقنا عليهما فرصة الصعود إلى السطح بوضع الكراكيب فوق بعضها أمام مدخله ترى كيف حالهما الآن لقد باع والدهما الشقة منذ سنوات ورحل».

وعاد ينظر لأنس الذي لا يزال يدخن السيجارة ولم يعرف أنه كان يتمنى لحظتها أن تنشق الأرض وتبتلعه من الحرج ليستمر عصام في ثرثرته: «هل تذكر رغبة أبي في أن يحول هذا السطح لحديقة من أجل سكان البناية؟! (وتطلع حوله متحسرا) أراد أن ينظفه ويضع به مقاعد خشبية ويملا السطح بالنباتات والزهور؛ لكن السكان عارضوه ومنعوه مخافة من أن يستأثر بالسطح وحده دونهم وباءت كل محاولات إقناعهم بالفشل لو كانوا تركوه ينفذ فكرته؛ لكننا رأينا القرنفل يزين المكان بدلا من هذه الفوضى».

«لماذا لم تصدم؟».

سأله أنس مقاطعا وأضاف: «ولماذا لم تقل كلاما على شاكلة لقد صدمتني فيك يا دكتور أيها القدوة الذي يدور بين أهل الحي ينبه هذا وذاك من أضرار التدخين (ونظر إليه مضيفا) لماذا لم تتهمني أنني ذو وجهين وأني أفاق مدعي للمالية؟!».

«لأنك لست كذلك يا أنس».

نطقها عصام بهدوء ثم صمت لبرهة يبحث عن كلمات مناسبة وأضاف بصدق: «كما أخبرتني قبل سنوات طويلة حين كنت مرافقا أن السيجارة لن تزيدني رجولة سأقول لك الآن إنها لن تقلل منك حتى لو كنت تدعو الناس لتركها أنا أكيد من أن لك أسبابك الوجيهة».

ارتعشت مقلتا أنس المبتتان على وجه ابن عمه وغمغم بخفوت متأثر: «من الجيد أن هناك من لا يزال يقدرني».

أيقن عصام أنه يمر بوقت صعب فأشفق عليه وفكر كيف يشجعه ويشد من أزره فهو معتاد على تلقي ذلك منه لا أن يمنحه له؛ لكن أن الأوان ليرد له بعضا مما فعله معه.

أنس الذي لولاه لانحرف مساره في هذه الحياة وغلبته الضغوط فرضخ لها، ولولاه ما هانت الأيام الصعبة، وها قد آن الأوان ليهونها هو عليه ويمد له يد المساعدة فقال بعقة أثرت في الآخر: «أنا أحترمك في كل أحوالك يا أنس حتى في زلاتك ونقاط ضعفك أتغاضى عنها لأنك إنسان ولست مصنوعا من فلاذ ولأني مؤمن بأن من ينصحنى ويرشدني للطريق ليس بالضرورة أن يكون كاملا؛ لكن قد تأتي نصيحته هذه لتكمل ما ينقصني».

كان أنس ينتظر كلاما آخر.. كلاما موجعا صادما موبخا موجهها إليه ما دام هو غير قادر على توجيهه لنفسه؛ لكن عصام لم يمنحه ذلك فأنفجر يقول غاضبا: «لا تدع أختك تجرب وصفات الحمية من رأسها ومفرها أن تستشير طبيب تغذية فهي تصاب بالهبوط إذا تأخرت في الفطور كيف ستتبع حمية لا أفهم (وازداد انفعاله بشكل مبالغ فيه أمام عيني عصام قائلا) ثم إن كان هذا الزفت لا يعجبه مظهرها لماذا تقدم لخطبتها من الأساس هل يشتري أريكة ويعدل فيها ابن الـxxx!».

قال عصام: «أنا أرى أن الأمر عاديا لو كانت بالفعل تريد ذلك أما لو كان خطيبها من طلب منها أن تفعل فالحقيقة لا أعرف كيف من الممكن أن أتدخل في أمر شخصي كهذا بينهما حتى

لو كان يستفزني ولا يعجبني».

كان أنس كمن يتلوى على الجمر فناظره لثوان والجنون يتراقص في عينه ورفع قبضته يهم بقول شيء لكنه تراجع وتحرك قائلا: «أنا ذاهب قبل أن أرتكب جريمة».

أسرع عصام باعتراض طريقه قائلا « ألن تخبرني ما بك يا أنس».

دفعه الأخير بخشونة يقول: «دعني الآن يا عصام بالله عليك».

كان في حالة عجيبة أمام ابن عمه الذي اعترض طريقه مرة أخرى يقول بإصرار: «لا.. لن أدعك تذهب هذه المرة فهناك أمر يحدث معك وتخفيه عني غير ما تعانيه من الضغوط المعتادة».

صاح أنس بانفعال: «اعتبرني تعبت من هذه الحياة يا أخي ولم أعد أستطيع المواصلة».

قال عصام بإصرار وهو يمنعه من الهرب: «هناك أمر آخر يا أنس وأنت تخفيه عني ولا أعلم لماذا».

صرخ أنس بانفعال: «أتركني لأغادر».

كان وجهه محتقنا غاضبا فقال عصام بإصرار: «لن أتركك حتى أعرف ما الذي تخفيه عني».

حاول أنس المراوغة قائلا: «دعني يا بني آدم».

«قلت لن أدعك يا أنس حتى أعرف».

تناظرا لعوان أنس غاضب وعصام مصر على محاصرته..
ليقول الأول وهو يشعر بثقل الهم في صدره: «ماذا تريد أن
تعرف؟».

«ذلك الشيء المحشور في حنجرتك ولا تريد البوح به».
أجابه والغضب يتطاير في عينيه: «ربما لن يعجبك ما
ستسمعه».

رد عصام بهدوء: «حتى لو لم يعجبني أعدك أنني سأفهمه».
قال أنس من بين أسنانه بغيظ: «تريد أن تعرف؟ حسنا تعال
لأخبرك فلن يضير الشاة سلخها بعد ذبحها».

رمى السيجارة التي أوشكت على حرق أصابعه ثم وقفا
أمام بعضهما يتناظران في صمت لبرهة قبل أن يطحن أنس
ضروسه وينطق بحشجة: «أنا أحب أختك.. وأعيش الآن
أسوأ أيام حياتي منذ أن خطبت».

ناظره عصام بعبوس ثم قال يحاول الاستيعاب: «مرام؟
أنت تحب مرام؟!».

هز أنس رأسه بالإيجاب وعيناه مثبتتان في عيني ابن عمه
الذي احتاج لبضع دقائق للاستيعاب قبل أن يسأله بعدم فهم:
«ولماذا لم تفصح عن هذا أقصد لم تطلب يدها من أبي إن
كنت تريدها إلى حد أن تتعذب لأنها خطبت لغيرك؟».

انفجر أنس يقول باستنكار: «بأي وجه سأطلبها منكم؟! ماذا

أملك أنا لأقدمه لها؟! من أكون؟!«.

تفاجأ عصام بانفعاله ليضيف الآخر: «أنا إنسان مهزوم؟ (ونفض كفيه ببعضهما بعصبية) أنا لا شيء؟! مهما فعلت واجتهدت أنا لا شيء، أمشي بجانب الحائط كما يقولون في المثل كي أربي ابنتي التي ليس لها غيري هذا أنا..».

اتسعت عينا عصام وفقد النطق بينما استمر أنس فيما يشبه الهذيان قائلاً: «من أكون أنا يا عصام؟ ابن عمها! (وأصدر صوتاً هائلاً من بين شفتيه وأضاف) ماذا يملك ابن عمها هذا كي يتزوجها؟! شهادة ماجستير! (وأصدر الصوت نفسه من بين شفتيه وأضاف مشيحاً بيده) ماذا تعني هذه الشهادة في هذه البلد؟ ليس لها أية قيمة (واقترب من عصام يحدق في عينه قائلاً) من أنا؟ أنا رجل سبق له الزواج ولديه ابنة شرق حقه في تحقيق ما يطمح إليه ويصرف نقوده على المحامين أقصى إنجازاته في الحياة أنه استطاع أن يلحق ابنته بمدرسة للغات يدبر قسطها السنوي بصعوبة ماذا أملك أنا كي أقدمه لمرام بعد الحياة المرهقة المليئة بالمسؤوليات التي فُرضت عليها؟ ماذا سأقدم لها.. حياة على الكفاف ومزيد من المسؤوليات! سأخذ منها كل شيء أتوق إليه وارتجيه من هذه الحياة فماذا سأمنحها في المقابل؟ المزيد من الشقاء؟ الحب الحقيقي لا يعني الأناية وما دمت لست ذلك الرجل الذي سيقدم لها ما تستحقه وما سيعوضها عن سنوات عمرها التي سرقها المسؤولية فليس لي الحق في طلب يدها كي تقدم هي مزيداً من التضحيات لي ولزينة فأنا أعرفها جيداً».

صمت قليلا يحدق في ابن عمه وكأنه يترك له فرصة للاستيعاب ثم أضاف: «أنا لا أريد مرام لتكون مجرد زوجة تلبي لي احتياجاتي يا عصام الأمر أعمق من هذا بكثير وهي تستحق أكثر من هذا بكثير (وتحشرج صوته مضيئا باختناق باك) وما دمت لست قادرا على تقديم لها ما تستحقه فعلي أن أتحنى جانبا وأتركها لمن يستطيع متمنيا لها السعادة من كل قلبي».

خيم الصمت على المكان واشتد ظلام الليل إلا من بعض الإضاءة الآتية من المباني المحيطة فوقف عصام في حالة ذهول ليس فقط مما اكتشفه للتو؛ لكن لعمق المشاعر التي يكنها ابن عمه لأخته ليضيف أنس وهو يضرب بقبضته على موقع قلبه: «أنا حاليا أحاول أن أتعامل مع الموقف لكن المشكلة في هذا اللعين الذي لا يفهم بقواعد العقل والمنطق».

وجد عصام لسانه أخيرا فقال بخفوت: «أنا الحقيقة لا أعرف هل علي أن أضربك أم أتعاطف معك؟ أنعتك بالغباء أم أتحسر على الفرصة التي ضاعت من يد أختي بعدم الارتباط برجل مملوك يا دكتور».

قال العبارة الأخيرة مشددا على حروفها يختصر فيها رأيه في ابن عمه برد بليغ موجز نطقه بصدق أثر في الآخر.. فناظره أنس في صمت لثوان ثم غمغم بحروف مرتجفة: «جبر الله بخاطرك يا ابن عمي».

ساد الصمت من جديد صمت مرتبك حائر بينهما يبحث

عن كلمات مناسبة لموقف غير تقليدي ووقف عصام غير قادر على الفكاك من حزمة مشاعر متضاربة تحاصره فقال أنس بعد برهة وقد سيطر أخيرا على شتات نفسه: «ها أنت قد علمت كل شيء هلا ساعدتني في التقليل من وجودي عندكم؟».

أخذ عصام يناظره بحيرة فقال أنس يفكر بصوت عال: «المشكلة عندي في عمي.. فحين أخبرتني بحالته المكتئبة وجدت أنه من الواجب علينا أنا وأنت أن نخصص له وقتا في جدولنا المزدحم كما قررنا أن نفعل مع مراد فقد أهملناه هو الآخر وتركناه يسقط في براثن الاكتئاب بعد تقاعده سأحاول من ناحيتي أن أقنعه بأن ينزل معي إلى شقتي من وقت لآخر أو أن نجلس أنا وهو على أي مقهى رغم أن كلينا لا يحب جلسة المقاهي».

غمغم عصام مشفقا على حمل ابن عمه الثقيل: «لا تشغل بالك أنت سأحاول أنا التعامل مع أبي».

أجابه أنس بإصرار لاح في عينيه: «كلانا شريكان في المسؤولية تجاه هذه العائلة يا عصام (وأضاف بقلق) أم أن هناك ما تغير بعد الذي عرفته قبل قليل».

أسرع عصام يقول بلهجة لائمة: «ما الذي تقوله يا دكتور؟!».

أحس أنس بالراحة وهو يضيف بترج: «إذن ساعدني كي أتخطى الأمر أو أن أخفيه حتى تذهب مرام لبيتها الجديد،

ساعدني يا ابن عمي وإلا سأرتكب جريمة بهذا السمج
وأتسبب في فضيحة للعائلة كلها».

ظل عصام يحدق فيه وهو لا يزال يستوعب أن أنس
يغار على أخته غيرة رجل على امرأة ويطلب مساعدته كي
يبعد عنها لقد تمنّاها له كثيرا، تمنى أن يجد أنس من تسعده
وتعوضه عن كل ما قابله في حياته؛ لكنه لم يكن أبدا يتوقع
أن تكون مرام هي من يتمناها أنس ولا ينكر أنه تمنى لو
يجتمعان لكنها ظلت أمنية شخصية لم تغادر تفكيره مؤمنا
أن هذه الأمور قسمة ونصيب؛ لكن حين يتدخل القلب وهو
المجرب لذلك الشعور يتحول الأمر لجحيم.

سأله أنس: «لماذا أنت صامت هل أكلت القطة لسانك؟».

قال عصام بغیظ: «بصراحة أمتنع نفسي بصعوبة من أن
أحطم رأسك».

رد أنس بمرارة: «قلت لك لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها».

تألم عصام لكلماته وظل يحدق فيه بحيرة، فسأله أنس:
«ها؟ ماذا قلت؟ هل ستمد لي يدك لتساعدني يا ابن عمي؟».

قبل أن يرد عصام بالإيجاب أتاها صوت صريخ وجلبة
من عند سلم السطح جعلهما يتبادلان النظرات المفزوعة
ويهرولان نحو السلم.

الفصل الثاني عشر

كان صوت الصراخ آتيا من الدور السابع وبالتحديد يخرج من شقة أم بيسو وكان عارف يضرب على باب الشقة بيده السليمة ومعه اثنان من الجيران فهرول عصام نازلا وخلفه أنس وتطلعا في المشهد قبل أن يأمر عصام أخاه الذي يقف عند باب شقتهم مع مرام ونيللي أن يدخلوا فأدخل مراد الفتاتين وأغلق باب الشقة من الخارج بينما اخترق عصام الواقفين وبدأ في محاولة فتح الباب بالقوة.

وقف مراد مرتبكا لكن بمجرد أن شاهد ما يفعل أخوه أسرع بمشاركته مع جار آخر حتى فُتح الباب ليجدوا عددا من الرجال يرتدون الجلابيب يقفون في الصالة، واحد منهم يمسك بباسم واثنان يبعدان أمه عنه ويحاولان تكميم فمها كي تتوقف عن الصراخ فقالت أم بيسو مستغيثة: «الحقوني يا ناس يريدون أن يأخذوا مني ابني».

اندفع عصام وعارف يسحبان المرأة بعيدا عن الرجال، بينما اتجه أنس وجار آخر يخلص باسم الذي كان يتنفس بصعوبة من يدي الرجل الذي يمسك به.

ليهدر أحدهم: «لا تتدخلوا حتى لا نؤذيكم».

ثم أخرج آخر مسدسا يصوبه نحو عصام الأكثر عنفا في التعامل مع من يحاولون إبعاد المرأة عن ابنها ليصيح مراد منبها أخاه: «عصام حاذر».

التفت الأخير ثم تحرك بسرعة نحو الرجل الذي لم يكن سوى مهددا بالمسدس دون أي نية لإطلاق النار فضرب يده وأوقع المسدس ثم تشابكا بالأيدي حتى أمسك به عصام ودفعه ليخرجه من الشقة بالقوة وهو يقول من بين أسنانه: «أتظنون البناية ليس بها رجال لتتجهموا على النساء بهذه البساطة».

ساعده أنس وبعض الجيران في دفع الباقيين وإخراجهم خارج الشقة وأنس يصيح بغضب: «اتصل بالشرطة فوراً يا عمي».

صاح عارف بلهجة عصبية: «من أنتم وماذا تريدون؟». قال كبيرهم من عند باب الشقة وهو يقاوم لتخليص نفسه من أيدي الجيران: «نريد ابناً ولن نغادر إلا بعد أن يأتي معنا نحن أعمامه».

علت علامات الدهشة وعدم الفهم على آل عارف والحاضرين فصاح عصام وهو يدفع الرجل المصر على الدخول: «يبدو أننا سنعلمكم آداب الزيارة إذن».

لتصرخ أم بيسو فجأة بهلع وهي ترى ابنها يسقط أرضاً: «بيسسسووو».

بعد قليل فتح باسم عينيه وبدأ يستعيد وعيه ليجد أن الكابوس لا يزال مستمراً والرجال يجلسون مع عارف وعصام وعدد من الجيران بينما أمه تبكي بجواره فقال له أنس مشجعاً: «انهض يا ولد وتشجع».

أمسكت أم بيسو بذراع أنس تقول بترج: «لا تتركوهم يأخذونه مني».

رد عليها الأخير عابسا وهو يضع جهاز قياس الضغط في علبته: «من أوحى لك بأن هذا ممكن؟ هل نحن في غابة».

واستقام واقفا وهو يقول لباسم الذي يرقد على الأريكة يناظره بعينين قلقيتين: «لا تحاول التحرك الآن فضغطك منخفض والدواء يحتاج لبضع دقائق أخرى كي يبدأ مفعوله».

قالها وتوجه ناحية جلسة الرجال المنفعلين الذين فهم بأنهم أعمام باسم فأسرعت أم بيسو بالانضمام إليهم بعد أن قالت لمراد الواقف يراقب الجميع: «انتبه إليه يا مراد بالله عليك».

كان الأخير يراقب كل ما يحدث حوله في صمت فتطلع في باسم الذي أخذ يتابع ما يحدث هو الآخر في الجهة الأخرى من الصالة بقلق وشعر بالشفقة عليه وللمرة الأولى ينتبه لأن باسم يتيم الأب ويعيش وحده مع أمه وللمرة الأولى ينتبه لأنه يملك أشياء لا يملكها باسم فقد كان بنظرته قليلة الخبرة بالحياة يحقد عليه لأنه يرتدي أفضل الثياب ويمتلك أفضل أجهزة الهواتف ولأن طلباته مجابة فأمه كانت تمنحه كل ما يريد بسخاء ولم يعاني مثله من قلة المصروف؛ لكنها المرة الأولى التي يقارن حياته بحياة باسم ويدرك أن الآخر يفتقد لأشياء مهمة هو الآخر وللمرة الأولى يفهم لماذا هو وأمّه منطويان لا يختلطان بأحد.

اقترب منه وجلس على المقعد المجاور للأريكة التي اعتدل باسم جالسا عليها ومن خلال المناقشات الحادة فهم أن هؤلاء هم أعمام باسم وأن والده كان تاجرا ميسور الحال وأن أمه بعد وفاة أبيه قطعت أي تواصل بينها وبين أعمام ابنها لأنهم كانوا يضغطون عليها كي تذهب هي وابنها لمسقط رأس زوجها وتعيش معهم بعد الوفاة بل إن أحد الأعمام عرض عليها الزواج، رغم أنه متزوج ولديه أولاد لكنها رفضت خاصة أنها تعرف أن كل ما يهمهم هو ميراث باسم التي هي وصية عليه فباعت كل شيء وجاءت إلى هذه البناية قبل سنوات لتستقر فيها؛ لكنها كانت تعيش هي وابنها في حالة من الرعب والقلق الدائمين من أن يعثر عليهما أعمام الأولاد وها هم قد اكتشفوا مكانهما وحاولوا إقناعها مرة أخرى بالانتقال للعيش في قريتهم وحينما رفضت هددوها بختف ابنها وإجباره على الذهاب معهم بالإكراه كي تضطر للسفر معهم.

راقب مراد هدوء والده وحكمته في محاورة أعمام باسم وعصبية وجسارة أخيه عصام الذي تمنى أن يكون مثله بهذه الثقة في نفسه وهو يتحدث وراقب أيضا ابن عمه الحازم، رغم هدوءه الذي فند كل ادعاءات الأعمام ورد عليها بما لم يدع لهم أي سبيل للمجادلة، ثم عاد يتطلع في باسم بتعاطف ومد يده يربت على ركبته قائلا بتشجيع: «لا تقلق.. فأبي موجود وأخي وابن عمي ولن يسمحوا لأحد أن يمسكما».

ناظره باسم بعينين قلقتين وهز رأسه موافقا بينما جاء

صوت أحدهم منفعلا: «من حقنا أن نحمي ميراث ابن اخينا حتى يبلغ السن القانوني».

ضرب عصام قبضته في يده الأخرى يحاول السيطرة على أعصابه فربت عارف على ركة ابنه مهدئا ثم رد على الرجل: «الأخت نجلاء شرحت لكم أن كل ما يملكه باسم تحت وصاية المجلس الحسبي وأنها لا تملك أي حق بالتصرف في أمواله حتى يبلغ سن الرشد ويستلم ميراثه أي إن أموال ابن أخيكم تحت وصاية الحكومة وفي أمان».

ليضيف أنس بلهجة مهددة: «كما أنها ستقوم بعد انتهاء هذه الجلسة بتحرير محضر لكم في قسم الشرطة بعدم التعرض لها أو لابنها».

فتدخل أحد الجيران يقول مؤيدا: «ونحن شهداء على تعديكم عليهما».

تطلع مراد في باسم الذي استقام واقفا وتشجع متجها نحوهم ثم قال وهو ينهت بشكل واضح: «وأنا لن أذهب معكم إلى أي مكان، أنا هنا مع أمي وسأبقى معها مهما فعلتم».

كان صوته مهزوزا مرتجفا فقال أنس بعاطفة أبوية مطمئنا: «لن يستطيع أحد إجباركما ونحن موجودون».

تبادل الأعمام النظرات فيما بينهم وأدركوا أن قضيتهم خاسرة فانتفض كبيرهم واقفا يزم شفثيه بغیظ شديد وقال لباسم وهو يهم بالمغادرة: «عموما تذكر يا ابن الغالي أن

لك أعماما على قيد الحياة وأنهم أرادوا أن يضموك تحت جناحهم وأنت رفضتها بنا يا جماعة».

بعد ساعة كانت أم باسم تقف على باب شقتها بعد أن غادر الجميع ولم يبق إلا آل شلتوت فقالت باكية: «لن أنسى معروفكم هذا أبدا يا أستاذ عارف كنتم نعم الجيرة والسند».

رد عارف بحرج: «لا تقولي هذا الكلام يا ست نجلاء.. ولا تخافي لن يفكروا في الاقتراب منكما بعد أن علموا أن الأموال تحت تصرف الحكومة وأنا شاهدون على تعديهم عليكما.. هيا ادخلي ولا تقفي على الباب تصبحان على خير».

غمغمت باكية: «لا حرمنا الله منكم يا أستاذ عارف».

أغلقت الباب بعد أن استأذنتهم فاستدار عارف لأولاده الواقفين على باب الشقة المقابلة يقول: «عاش يا شباب.. بيضتوا وجهي اليوم».

حين دخل عارف استقبلته روح تقول بانفعال: «هل ذهبوا أولاد الكلب؟ كنت أنوي أن أسكب عليهم الماء المغلي إن لم يذهبوا بالحسنى».

قالت نيللي بلهجة مسلية وهي ترفع نظراتها المعجبة نحو عصام: «لا تقلقي يا حاجة روح.. يبدو أن حفيدك قد ضرب كل اثنين ببعضهما مثلما يكسر بيضتين (وأضافت بحماس وهي تشهر قبضتيها) كنت أريد أن أشاهد لكنك غليظ وطلبت من مراد أن يغلق علينا الباب من الخارج».

رفع حاجبا وتطلع فيها صامتا بعينين تأكلانها أكلا متحكما في مشاعره الداخلية حتى لا تظهر على وجهه فتفضحه بينما قال مراد مقلدا صوتا نسائيا: «لا حرمننا الله منكم يا أستاذ عارف».

استدار عارف بعد أن أغلق الباب وبحلق له بتوبيخ ليضيف مراد: «هل كان أحد منكم يعرف أن اسم أم بيسو هو نجلاء؟».

قالت مرام بمفاجأة: «حقا اسمها نجلاء؟ كنت سأموت لأعرف اسمها لكنني تخرجت من سؤالها».

تدخل عصام يشارك أخيه في مشاكسة والده وقال غامزا: «أنت بالفعل عارف لكل شيء يا أبا عصام من أين علمت باسمها؟».

عبس عارف قائلا: «هم تقريبا ذكروا اسمها في الجلسة».

تدخل أنس قائلا: «لا.. لم يحدث أن نطق أحد اسمها (وسأله عصام) هل سمعت اسما غير (أم باسم)؟».

هز الأخير رأسه نافيا فقال عارف بامتعاض وهو يبتعد: «اسمعوا.. أنا لست في مزاج جيد لسخافاتكم لا أذكر متى علمت باسمها».

سألتهم روح: «عم تتحدثون لا أفهم!».

فأسرع عارف بالقول: «لا شيء يا أمي إنهم فقط يحتاجون لإعادة تربية».

نادى أنس على ابنته كي تسرع فقالت مرام باعتراض: «ابق لتأكل أولا أم تريدني أن ألق لك الطعام؟».

انتبه عصام وتذكر الاعتراف المذهل الذي سمعه قبل ساعات وراقب أنس الذي يوليها ظهره وهو يرد: «لا هذا ولا ذاك لست جائعا».

فقال عارف بضيق: «لكنك لم تأكل ابق لتأكل أولا».

أنقذه عصام قائلا: «ما زالت معدته تؤلمه يا أبي».

رفع عارف حاجبيه وسأله: «وكيف عرفت؟ هل أنت معدته؟!».

ضحك مراد بينما أسرع أنس بالرد نيابة عن عصام: «أنا أخبرته قبل قليل أنني أريد للجلسة أن تنتهي حتى أذهب لأستريح هيا يا زينة تصبحون على خير».

قالها وأسرع بالخروج وتبعته ابنته فراقبته عينا عصام شاعرا بالضيق من أجله وشرد بعد أن أغلق الباب خلف ابن عمه يتذكر تفاصيل ما أخبره به قبل ثلاث ساعات في الوقت نفسه الذي بقيت فيه نيلى بالقرب من عصام تراقبه بقلق وهو يحدق في الأرض شاردا بعد أن تفرق الحاضرون فسألته: «ما بك؟ هل حدث شيء؟».

انتبه لوجودها فرفع أنظاره عن الأرض يتطلع فيها قائلا بحشرة: «لا أبدا لكن يبدو أن الحياة لن تكف عن مفاجئتنا بما لم نتوقع».

سألته بفضول: «وهل المفاجأة حلوة أم...».

ناظرها يفكر ثم أجاب متنهدا: «هي حلوة بالنسبة إلي لولا أن حدث شيء منعها من الحدوث».

عبست وسألته: «وما الذي حدث ومنعها؟».

ابتسم ابتسامة مرة قائلا: «القسمة والنصيب (ثم أضاف متنهدا) لا تشغلي بالك موضوع يخص أحد أصدقائي».

صرخت مرام فجأة وهي تتطلع في هاتفها: «نيللي هناك من تسأل عن تفاصيل أحد الإكسسوارات يا نيللي».

هدر عصام فيها عابسا: «اخفضي صوتك يا مرام الوقت قد تأخر».

كانت سعيدة فأخذت تضرب بقدميها الأرض بحماس ثم قالت: «تعالى يا نيللي تعالى بسرعة أشعر بالارتباك وأنا أرد عليها».

راقب عصام الاثنتين اللتين جلستا عند طاولة السفارة تتطلعان في الهاتف بحماس شديد ثم ضرب كفا بكف ونظر للناحية الأخرى، حيث يقف مراد ينظر في هاتفه هو الآخر فذهب إليه يباغته بلف ذراعه حوله رقبتة وخنقه.

تفاجأ مراد واتسعت عيناه ليقول عصام من بين أسنانه: «لماذا كنت تقف مرتعبا أثناء المشاجرة؟».

هتف العاني بإنكار: «أنا؟! لم يحدث».

قال عصام بخفوت بجوار أذن أخيه: «بديت لي وكأنك ستبلل سروالك من الخوف».

عبس الأخير وغمغم مجادلا: «صدقني لم يحدث».

لم يرغب عصام في إحراجه فقال له مشجعا: «لا بد أن يكون قلبك قوي اسمع.. ستأتي معي حينما أذهب لصالة الألعاب الرياضية».

قال مراد متفاجئا: «أنا؟!».

أجابه عصام: «أجل أنت علينا أن نقوي قلبك وعضلاتك هل سمعت».

هز مراد رأسه بطاعة فأطلق عصام سراحه ورفع له إبهامه علامة على الموافقة ثم ذهب ليجلس أمام اللاب توب الخاص به في الركن المفضل له من الصالة، بينما لملم مراد ابتسامة ارتسمت على شفثيه ولم يدر لماذا كان سعيدا بمبادرة أخيه أن يذهب معه، ولماذا شرد منزعجا في اللحظة التالية حينما تذكر أن باسم وحيد ولا يملك أخا مثله يذهب معه لصالة الألعاب الرياضية.

في اليوم التالي

وقف لبرهة أمام المكتب المفتوح وتأملها وهي منهمكة في ترتيب بعض الأوراق في ملف تأمل جسدها الضئيل وشعرها العسلي القصير الذي تعقسه للخلف واشتاق لرؤية

عينيها الخضراوين، إن مقاومته تضعف وعذابه يزيد والشوق لا يرحمه فاستسلم بعد وقت طويل من التحكم في نفسه ودخل المكتب يقول بخفوت: «كيف حالك يا نهلة».

ارتجفت الأوراق في يديها وسقط قلبها بين قدميها حينما ميزت صوته وكيف لا تفعل وقلبها يميزه قبل أذناها فتمتمت بارتباك دون أن تلتفت إليه: «أنا بخير مستر طارق هل تأمر بشيء؟».

قال بخفوت متألم: «انظري لي على الأقل».

صمت لبرهة ثم تماسكت وهي تدير وجهها إليه تقول بصوت خرج متحشرجا: «هل.. هل تأمر بشيء مستر طارق؟».

كان يشاق لرؤيتها عن قرب فتغضنت ملامحه وهو يغرق في خضرة عينيها ويرسم ملامحها بمقلتيه، وساد الصمت لبرهة كانت فيها القلوب صاخبة حتى دخل رامي المكتب وتسمر متفاجئا ثم قال: «صباح الخير طارق بك».

استدار إليه الأخير يقول وهو يرسم ابتسامة يتقنها جيدا: «صباح النور يا رامي كيف الحال».

أجابه الأخير وهو يضع الملف الذي بيده على مكتبه: «بخير والحمد لله».

هز طارق رأسه وتحرك وهو يقول لنهلة: «مري علي في المكتب يا أنسة نهلة لنسوي الأوراق التي حدثتك عنها».

هزت رأسها بارتباك وعادت للأوراق في يديها تتطلع فيها دون أن ترى شيئاً وأذناها تلتقطان وقع خطواته المتباعدة، فخرج طارق من المكتب متقبضا يحافظ على الابتسامة المرسومة على وجهه التي يداري بها قلبه الذي ينزف.

بعد العصر

هلت زينة حينما دخلت مرام من باب الشقة ووقفت تلتقط أنفاسها من السلم ثم راقبتها وهي تضع ما أحضرته من سوق الخضار في المطبخ وتسال جدتها: «أين أبي ونيللي؟».

غمغمت الأخيرة من جلستها بجوار زينة تشاهد شيئاً على التابلت: «أبوك بالشرفة كعادته ونيللي لا أعلم».

جاء صوت مراد من غرفته يزعق: «الإنترنت ضعيف ارحميني يا زينة واغلقي ما تشاهدينه وإلا سأكسر لك التابلت».

لوت مرام شفتيها وتوجهت نحو غرفتها ودخلت باندفاع تقول: «نيللي».

كانت الأخيرة تتحدث مع رامي عن آخر التطورات وترتب معه ماذا ستفعل حينما تفك الجبيرة بعد أقل من أسبوع فأسرعت بالقول: «سنتحدث فيما بعد».

ثم أغلقت الخط منتبهة لمرام التي كادت أن تطير من السعادة وهي تقول: «لقد جاءني طلب على الصفحة يا نيللي،

جاءني طلب جاد للشراء بعد عشرة استفسارات عن الأسعار دون بيع».

صاحت نيللي مهللة بسعادة فأضافت مرام: «واثنتان من زميلاتي في العمل طلبتا أن تشتريا مني.. وطلبت منهما أن يدعما الصفحة ويخبرا قريباتهن عنها».

قالت نيللي بفرحة: «وفقك الله يا مرام».

قالت الأخيرة بحماس: «أنا سعيدة جدا.. وأتمنى من الله أن يرزقني من هذا العمل سيكون شيئا رائعا أن أترك عملي الحالي الذي لا أحبه (وقالت بشغف كبير أطل من عينيها) أنا أحب البيع والشراء وأحب عالم الإكسسوار والملابس وعندي بعض الخبرة به من البحث الكثير والقراءة لهذا أشعر أنني أخيرا أفعل شيئا أحبه يا نيللي».

ردت الأخيرة قائلة: «أنا أفهم جيدا ما تتحدثين عنه أفهم كيف هو الشعور حين تضطرين للعمل في مجال لا تحبينه».

قالت مرام بحماس: «اسمعي يا نيللي بمجرد أن ينتهي عصام من صنع صندوق الإضاءة هذا سنلتقط صورا كثيرة للمنتجات و.. (فتحت حقيبتها تخرج منه شيئا وأكملت) لقد أحضرت أظافر صناعية».

عبست نيللي وسألتها: «لماذا؟».

أجابت الأخيرة: «ألن نصور المنتجات كما اتفقنا؟ سنلصق الأظافر ونلبس الإكسسوارات ونصورها ما رأيك؟».

هزت نيللي رأسها موافقة.. لتقول مرام وهي تخلع حجابها:
«اليوم سأقضيه في المطبخ أعد لمفاجأة عصام بمناسبة عيد ميلاده».

كانت نيللي تعلم منذ يومين أن عيد مولده اليوم فسألت مرام: «هل ستصنعين له كعكة؟».

غمزت الأخرى بعينها وقالت: «نعم.. لكن كعكة من نوع خاص سترين وقعها عليه حينما يراها».

عبست نيللي بعدم فهم لتقول مرام مسرعة: «تعالى إلى المطبخ وستعرفين».

جاءهما صراخ مراد يقول: «الإنترنت ضعيف ارحموني واتركوا الإنترنت».

فمطت مرام شفتيها وتركت الغرفة وهي تقول: «هداك الله يا أخي وأصلح الجزء التالف في عقلك».

بعد أن انتهت نيللي من مكالماتها خرجت من غرفة مرام ودخلت المطبخ فقابلتها رائحة أشعرتها بالتوتر لتسأل مرام قبل أن ترى ما تفعل: «هل هذه رائحة جمبري؟».

استدارت إليها الثانية تجيب: «أجل فالיום لدينا احتفال خاص».

«بالجمبري؟!».

هزت مرام رأسها وقالت ضاحكة: «هذه هي هدية عصام».

طالعتها نيللي بعبوس لتضيف مرام: «إنه يعشق الجمبري إلى درجة لا تتخيلينها.. لهذا أدخر لهذه الوليمة منذ مدة».

ابتسمت نيللي وتمتمت: «أحب حبكم لبعضكم (ثم خطفت نظرة نحو الجمبري الذي تنظفه مرام وقالت وتعبير غامض يحتل ملامحها) سامحيني اليوم أنا متعبة ولن أساعدك؛ لكنني أستطيع أن أقوم بتقطيع السلطة وربما أعددت صنفاً جديداً منها إن أردت التجديد اليوم».

بعد قليل دخل أنس من الباب فهلت زينة لوصوله واستقبله عارف ليقول له أنس: «ها أنا قد جئت بمجرد أن أرسلت لي رسالة تأمرني أن أكون موجوداً وأجلت مشواراً مهماً عندي من أجل خاطرك يا أبا عصام».

قال عارف ساخراً: «نتعبك معنا والله يا دكتور.. ولا نعرف كيف نرد لك أفضالك علينا بمشاركتنا الطعام».

غمغم أنس وقلبه يصارعه كي يفلت من قبضته كجرو صغير ويذهب لبحث عنها: «لكني لا أعرف ما هي بالضبط المناسبة التي لدينا اليوم؟!».

أجابته زينة: «كيف لا تعرف يا أبي؟».

أنزل أنظاره نحوها ورد مناغشاً يقلدها: «والله لا أعرف يا أبي».

قالت موضحة: «اليوم عيد ميلاد عصام».

رد عليها بلهجة متهكمة: «حقاً؟! ألف مبروك (ونظر لعمه

يقول وهو يضرب كفا فوق الآخر) وما المطلوب مني بالضبط؟ أنا فاشل في الرقص».

قال عارف موضحا: «أن نجتمع سويا على السفرة فمرام ستحضر له مفاجأة.. لذا لم أخبرك في الرسالة كي لا تخبره». زم أنس شفتيه ورد عابسا: «لكني اتصلت به وسألته».

أغمض عارف عينيه بياس بينما هتفت زينة بحنق: «أبي! أفسدت المفاجأة».

قالت نيللي ضاحكة من جلستها على الأريكة تقطع السلطة: «تعالى يا مرام.. دكتور أنس سأل عصام عن مناسبة اليوم».

تسارعت دقات قلبه وهو يتأمل وجهها وهي تخرج من المطبخ وتهتف بغیظ: «ماذا قلت له بالضبط؟».

هرش خلف رأسه وتمتم: «سألته هل هناك مناسبة اليوم عندكم؟».

اتسعت عينا مرام وسألته: «وبما أجاب؟».

هز كتفيه ورد: «أخبرني أنه لا يعرف».

قالت نيللي باندهاش: «هل نسي يوم ميلاده؟!».

رد عليها أنس متهمكا: «إن كان لا يذكر ماذا أكل الليلة الماضية هل سيذكر يوم ميلاده».

ضحك مراد وقال من الركن البعيد: «أشعر بالتشفي لأنكم منعتموني من أن أخبره بما تجهزون».

ناظرته نيللي بنظرة لائمة فقضم لسانه بينما نظر أنس لجدته التي تتحاشي النظر إليه وشاكسها قائلا: «ألم تشتاقي لي يا روح؟».

هتفت بانزعاج: «ألا يوجد لديك بيت؟ كل يوم تحضر عندنا».

رفع حاجبا ورد عليها بنظرة شريرة: «ستأخذين الحقنة اليوم بإذن الله مهما فعلت».

أشاحت بيدها بقرف بينما سأل عارف ابنته: «متى سيأتي خطيبك يا مرام؟».

تجمد أنس مكانه وطحن ضروسه متقبضا لترد الأخيرة: «لن يستطيع أن يحضر وقت الطعام؛ لكنه سيأتي بعد ذلك».

أطلق أنس سراح النفس الذي كان يكتبه وقرر أن يغادر بعد الأكل مباشرة، بينما غمغم عارف وهو يعود للشرفة: «كنت أود أن نجتمع كلنا وأن يعتاد علينا لا بأس لتنفيذ ذلك في وقت لاحق».

اقتربت مرام من أنس تسأله: «هل تعرف أنني قد أنشأت صفحة على فيسبوك لأبيع إكسسوارات حريمي؟».

هز رأسه مغمغما: «عصام أخبرني».

تخصرت أمامه بطريقة زينة وهي تقول: «ولماذا لم تقبل الدعوة التي أرسلتها لك لدعم الصفحة إذن؟!».

رمش بعينه عدة مرات ثم غمغم وعلامات الغباء تلوح على

زمت شفتيها ثم سألته: «وماذا تقرأ هذه الأيام إن شاء الله؟».

هل أضحى لون عينيها أفتح من ذي قبل؟ أم أن الرسمة الجديدة لحاجبيها هي السبب في أنها أضحت أكثر جمالا؟ انتبه لما يفكر فيه فوبخ نفسه مشيحا بأنظاره بعيدا، بينما عبست مرام قائلة: «أنس أجبني ماذا تقرأ هذه الأيام؟!».

«ميكي.. مجلدات ميكي أخرجتها من الخزانة بالصدفة فقررت أن أعيد قراءتها للمرة التي نسيت عددها».

صفقت بيديها تقول: «رائع.. هلا أعرتني مجلدا منهم؟».

تحرك مبتعدا عنها يهرب من فورة مشاعره التي تهتاج كلما كان في محيطها وقال: «أذهبي لاحتفالك يا مرام ودعيني أتصل بهذا الغبي استعجله في الحضور.. حتى ننتهي من هذا اليوم».

بعد ساعة كان عصام يدخل من الباب متأنقا في بدلته الرسمية التي تخص العمل فسحبه أنس من ذراعه قبل أن يتبادل النظرات مع نيللي قائلا: «تعال يا حبيبي وأجل التسبيل لوقت آخر».

قال عصام بانزعاج: «ماذا تريد وإلى أين تأخذني؟».

هتف أنس: «هلا أحضرت المفاجأة يا مرام كي أستطيع أن أرحل من هنا لأشغالي».

هتفت مرام باعتراض: «أنس!».

نطقتها كرصاصة ناعمة اخترقت شغاف قلبه؛ لكنه كان متماسكا كحاله طول الجلسة فغمغم بطاعة مطرقا برأسه: «حاضر ست مرام».

ضحك الباكون بينما تطلع عصام فيهم يحاول فهم ما يحدث لتنتهي نظراته عند نيللي التي ناظرته بنظرة شقية فقال مراد الجالس بعيدا كعادته يشاهد شيئا على هاتفه: «يحتفلون بعيد ميلادك يا عم عصام».

استدارت مرام إليه بغيظ بينما هتفت زينة: «فظ أنت مصنوع من فظاظة».

وبخها والدها بنظراته ثم قال ساخرا: «كان سيعرف بعد دقيقة يا ناس، هيا خلصوني من هذه الأجواء اللزجة عندي أشغال».

ابتسم عصام بعد أن تذكر تاريخ اليوم بينما قالت نيللي: «مرام ترتب منذ أن عادت من العمل لمفاجأتك اليوم».

اقترب من أخته التي قالت له بعاطفة قوية: «كل سنة وأنت طيب.. هذه السنة لا نحتفل فقط بعيد ميلادك لكن نحتفل أيضا بوظيفتك الجديدة».

ضمها عصام إليه وقبل رأسها، ليقول أنس بقلة صبر: «خلصونا».

رفعت مرام أنظارها لأخيها تقول: «اليوم طبخت لك أكلة تحبها كثيرا».

تطلع عصام نحو المائدة التي عليها أطباق من السلطة والملوخية والأرز ليقول أنس: «تعالى يا حبيبي لأمسك بك».

غمغم مراد بمشاكسة: «هل أقول ماذا طبخت؟».

صرخت مرام فيه بتحذير: «مراااااااا».

فقلد الأخير أنس قائلا بطاعة: «أمرك ست مرام».

عم الضحك واتجهت مرام إلى المطبخ فتبادل عصام النظرات مع نيللي وهو يسألها بعينيه أن تخبره؛ لكنها هزت كتفها بدلال رافضة ثم عادت مرام بصينية الجمبري ووضعتها على السفرة، فراقبت نيللي اتساع عينيه وانفجار القلوب الحمراء منهما واضعا يده فوق قلبه فضحكت، بينما أمسك عصام في أنس يقول: «جمبري.. جمبري يا أنس».

ربت الأخير على ظهره قائلا بجوار أذنه: «الله أكبر.. الله أكبر (ثم قال لعارف) هل أنت متأكد يا عمي أن الخالة شادية لم تكن من الأساس عروسة بحر».

قهقه عارف بينما اقترب عصام من أخته وضمها بقوة وكأنه سيكسر عظامها من سعادته فغمغم أنس: «ألف مبروك للجميع اسمحوا لي بالاستئذان».

قال عارف بعبوس: «ألن تأكل.. لا تقل معدتي مثل أمس».

رد الآخر: «وهل ابنك بحالته هذه سيسمح لنا بالأكل؟!».

أسرع عصام بالجلوس أمام صينية الجمبري يتطلع فيها بغرام ثم أجاب ابن عمه قائلا: «تعالى اجلس سأعطيك الرأس

والذيل».

اقترب مراد واتخذ مكانه بجوار عصام يقول: «أنا شخصيا جائع جدا».

فناظره الأخير بنظرات محذرة من الاقتراب، ثم أمسك بواحدة من الجمبري ووضعا في طبق أخيه وهو يقول: «كل واحد منكم واحدة والباقي لي أنا».

عم الضحك بينما قالت روح بدلال وهي تتخذ مكانها مثل الجميع حول المائدة: «قشر لي جمبري يا عصومي».

أجابها بلهجة مغازلة: «من عيني عصومي».

ضحكت نيللي على حالته وعلقت: «هل تحبه إلى هذا الحد؟!».

رفع إليها عيني سعيدتين وهو يقول بلهجة ذات مغزى: «أعشقه».

اشتعلت وجنتاها دون سبب وجيه وردت: «أسعدك الله دوما».

فقال عارف لابنته بلهجة متحفزة: «هل ستجلسين معنا على مائدة الطعام اليوم أم ماذا؟!».

ردت مرام وهي تتخذ مقعدها: «بالطبع سأجلس إنها مناسبة سعيدة ولا يمكن أن أفوتها».

ولم تخبرهم أنها ضعفت وفطرت في المكتب اليوم فطورها

المعتاد وليس علبة الزبادي الخالية من الدسم كما هو في البرنامج الغذائي الذي وجدته على الإنترنت فغمغم أبوها: «حمدا لله».

أطرق أنس برأسه يدفن نظراته في طبقه مركزا على قطعة الجمبري التي يقشرها لابنته التي تجاوره في الجلسة ولم يدر أن عصام الذي يجاوره من الناحية الأخرى كان يتطلع فيه بغيظ ويروض رغبة في داخله تسيطر عليه كلما تذكر اعترافه له أن يضربه بسبب غبائه.

بعد دقائق كان عصام قد سمح أخيرا للباقيين بمشاركته صينية الجمبري فقال وهو يقشر واحدة ويضعها في طبق جدته: «ما شاء الله يا مرام.. لقد كلفك هذا الجمبري مبلغا كبيرا».

ضرب مراد على المائدة يقول باحتجاج: «لهذا عذبتينا طوال الأسبوع بالبطاطس المقلية وعجة البيض».

حشر عصام واحدة جمبري في فم أخيه يخرسه قائلا: «كل».

بينما قالت مرام: «كل من السلطة يا عصام».

غمغم الأخير وهو يمصص واحدة من الجمبري: «لا أريد الآن».

فتكلمت بلهجة ذات مغزى: «إن نيللي أعدت نوعا مختلفا من السلطة اليوم».

قال مراد بسرعة وهو يخطف ملعقة من السلطة: «نيللي من أعدت هذه السلطة!».

هزت له الأخيرة رأسها بالإيجاب فسحب عصام طبقا من السلطة أمامه وتفحص مكوناته ثم سألها: «ما اسمها».

ردت نيللي بوجنتين مشتعلتين: «سلطة خضراء بالمايونيز».

أكل منها عصام وقال بإعجاب: «أحببتها جدا سلمت يدك».

وأكل واحدة من الجمبري ومعها ملعقة من السلطة لتقول روح بامتعاض: «أنت منذ أن جئت عندنا ولا تتقنين إلا عمل السلطة كيف ستفتحين بيتا وتصبحين زوجة لا أفهم!».

غمغم أنس لابن عمه بخفوت ساخر: «قصف جبهة محترم».

حركت نيللي أنظارها بين الجميع وقالت بحرج: «هذا غير صحيح ربما لست محترفة في الطبخ مثل مرام لكن لا بأس بي».

أشفق عصام عليها من الحرج فناظرها بالألا تنزعج من جدته بينما قال عارف لأمه ليسكتها: «هل أقشر لك المزيد من الجمبري يا أمي؟».

غمغمت الأخيرة بابتسامة: «بل عصومي من سيقشر لي».

كان الأخير منشغلا بتبادل النظرات الخفية بينه وبين نيللي عبر المائدة يسألها لماذا لا تأكل متمنيا لو يستطيع أن يقشر لها الجمبري بنفسه، فلكزه أنس قائلا من بين أسنانه: «أترك

التسبيل بالله عليك ورد على جدتك».

انتبه الأخير ليضيف أنس بصوت أعلى: «جدتك تطلب أن تقشر لها واحدة».

فهز عصام رأسه وشرع في التنفيذ في الوقت الذي قالت مرام لنيللي وهي تتطلع في طبقها الخالي من الجمبري: «لماذا لا تأكلين؟».

أجابت الأخيرة بارتباك: «لا أشعر برغبة في الأكل».

وضعت مرام بعضا من الجمبري في طبقها وهي تقول بعبوس: «ما هذا الكلام؟!».

صاحت نيللي فجأة برعب: «لا.. لا أريد جمبري».

ناظرها الجميع بدهشة فسيطرت على أعصابها وقالت مبتسمة: «لا أحبه».

علق أنس ساخرا: «أخ! رصاصة ضربت في قلب أحدهم».

سألها عصام: «ألا تحبين الجمبري؟!».

هزت رأسها عدة مرات رافضة وهي تبتعد برأسها للخلف مضيفة بانزعاج واضح: «كل مأكولات البحر».

ناظرتها مرام بإحباط ثم قالت بتأثر: «ولماذا لم تخبريني يا نيللي؟ ماذا ستأكلين الآن؟».

قالت الأخيرة لترفع عنها الشعور بالذنب: «سأكل باقي الأصناف».

ناظرتها مرام نظرات محبطة فأشفقت عليها نيللي وقالت
وهي تربت على ذراعها: «أنا سأكل لا تقلقي فالأكل كثير».

وترددت في أكل الأرز الذي وضع فوقه الجمبري فتركت
الملعقة وسحبت رغيفا وقطعت منه وهي تقول لمرام: «أنا
أعشق الملوخية التي تصنعونها».

وغمست اللقمة بالملوخية ووضعتها في فمها بعد أن قالت:
«لذا سأكل ملوخية اليوم».

راقب أنس الإحباط على وجه مرام وأشفق عليها فهي
تسعى دوما لإسعاد من حولها وتشعر بالذنب إن فشلت في
ذلك حتى لو كان ذلك ليس مسئوليتها.

فجأة انقلبت المائدة كلها في لمح البصر حينما احمر وجه
نيللي وضربت على المائدة بقبضتها وهي تمسك بعنقها
وعيناها تتطلعان في الملوخية بنظرات مرعوبة فقفز عصام
من مكانه يقول: «نيللي ما بك؟!».

احتقن وجهها بشدة وبدأت تشهق لطلب الهواء بينما أخذ
عقل أنس يحلل بسرعة ما يحدث، فأخذتها مرام بين ذراعيها
صائحة: «نيللي.. ماذا حدث؟!».

ليسرع أنس بإبعاد ابنة عمه وينظر لنيللي متفحفا ثم سألها
هادرا: «ألايك حساسية من الجمبري؟!».

لم تجبه ولم تقدر على أن تجيبه فالأعراض كانت تزداد
بسرعة وانتشر التنميل في فمها وأخذ نفسها يضيق أكثر،

فسب من بين أسنانه وتحرك وهو يرفع هاتفه على أذنه
مهرولا يغادر الشقة، بينما وقف الباكون لا يفهمون ما يحدث
فمال عصام عليها يعدل وجهها إليه قائلا بارتجاف: «حاولي
التنفس يا نيللي.. حاولي بالله عليك».

قبضت الأخيرة على قميصه بقوة وانسابت الدموع من
عينيها اللتان تناظرانه وهي تشهق في طلب الهواء، بينما
انهارت مرام التي كانت تولول بجوارها لتهتف روح صارخة
وهي تناظرها بذهول: «هل ستموت؟ هل (نيللي) تموت؟».

بكت زينة وانكمشت بعيدا بينما قال عارف: «أمي تعالي
معي إلى الداخل».

فناظرته روح تقول: «أين سالم أين ذهب أخوك يا عارف
هل عاد من المستشفى؟».

ضمها الأخير وأخذها نحو الشرفة مهدئا وذهنه مشغول
بنيللي في الوقت الذي استقرت رأس الأخيرة على ذراع
عصام الذي كان يشعر بالشلل لا يعرف ماذا يفعل وهو يراها
وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، وجهها محتقن وقد بدأ في
التورم بشكل عجيب فأمسك بطبق فارغ وأخذ يحركه أمام
وجهها كي يمنحها بعضا من الهواء لتقول مرام باكية وهي
تتطلع في وجه نيللي الذي انتفخ: «يا إلهي ماذا يحدث معها
يا عصام».

شهقت نيللي لكن النفس كان صعب الحصول عليه فأحست
أنها نهايتها، إنها تحمل حقنتها دوما في حقبتها أينما ذهبت

لكن تاه عنها أن تشتريها حينما جاءت إلى هذا البيت، فسيطر عليها رعب حقيقي رعب من الموت فشددت من قبضتها على قميص عصام وكأنها تحتمي به أو ربما تودعه إن كانت هذه هي اللحظة الأخيرة وكلما اشتد صراع التقاط الأنفاس كلما تمسكت به أكثر، وكأنها تتمسك بالحياة وكأنه بالنسبة لها الحياة.

وضع عصام الطبق وربت على خدها ببعض الخشونة يقول صارخا: «تماسكي يا نيللي.. تماسكي بالله عليك أنس قادم (ثم صرخ في أخيه) اذهب واستعجله يا مراد».

كان الأخير يقف مرتبكا مرتعبا يحتاج لمن يوجهه لما يفعل فأسرع نحو باب الشقة ليقول عصام بعد ثوان وهو يحمل نيللي فوق ذراعيه: «أنا لن أنتظر.. لن أنتظر ثانية واحدة إضافية».

هتف عارف: «إلى أين؟!».

صاح وهو يهرول بها نحو باب الشقة: «إلى أقرب مستشفى».

هتف عارف باعتراض: «لو كان أنس لا يستطيع التصرف لم يكن ليتركها هكذا».

دخل مراد من باب الشقة عائدا وخلفه أنس الذي كان يلهث بقوة ويبدو على وجهه أنه قد صعد السلم عدواً بعد أن طلب من فتى الصيدلية أن يقابله بالحقنة في منتصف الطريق، فصاح عصام بترج: «افعل شيئا يا أنس.. حلفتك بالله افعل

شيئا إنها تموت».

أخرج الأخير الحقنة التي مألها وهو يعدو على السلم
فضبطها ثم حقنها تحت جلد نيللي التي كانت تشهق بقوة
وتصارع الاختناق.

بعد ساعة

كانت نيللي ممددة على سرير مرام ومغطاة بغطاء خفيف..
وجهها لا يزال متورما لكنها كانت تتنفس بصورة طبيعية
ويسيطر عليها الحرج الشديد وهي تتخيل وجهها المتورم
أمامهم؛ لكن تجربة الاقتراب من الموت تجعلك تقبل بالحياة
في أي صورة كانت حتى لو كنت مشوها.

هتف أنس في نيللي بعصبية يقول موبخا: «بالله عليك ما
دمت شديدة التحسس بهذا الشكل لماذا لم تخبرينا بذلك
فورا؟ لماذا أخفيت الأمر؟».

ظل عصام صامتا في وقفته متخصرا مطأطئ الرأس
في ركن الغرفة يلتقط أنفاسه ويجمع شتات أعصابه بعد
اللحظات القاتلة التي مر بها قبل ساعة، بينما هتفت مرام
التي تجلس بجوار نيللي على السرير: «هل هذا وقت توبيخ
يا أنس؟».

صاح الأخير فيها: «إنها تعاني حساسية شديدة وكان لزاما
عليها أن نخبرنا بدلا من أن نبثلى بمصيبة موتها في بيتنا».

قالت مرام مدافعة: «لم تكن تعرف يا أخي أنني طبخت الملوخية بالجمبري أنا السبب أنا...».

قطعت كلامها وانفجرت بالبكاء تدفن وجهها في كفيها يعذبها الشعور بالذنب فلم يحتمل أنس بكاءها وصرخ فيها: «لماذا تبكين الآن؟ ها هي أمام عينيك حية وتتنفس».

لم يقو عصام حتى على الحديث كانت قواه مستنزفة كليا وكأنه خارج من معركة طاحنة رأى فيها نيللي تصارع الموت بين ذراعيه، فتحرك بصمت وطوق عنق ابن عمه المنفعل وسحبه معه بالقوة إلى خارج الغرفة بعد أن ألقى نظرة على نيللي مغمضة العينين بإعياء ثم أغلق الباب خلفه، فمدت نيللي يدها تضغط على يد مرام كي تتوقف عن البكاء وهزت لها رأسها بما يعني أنها بخير.

بعد ساعة أخرى

استقبل عصام أسعد الذي بادره بالقول: «عيد ميلاد سعيد يا عصام».

ومنحه كيسا ورقيا من بين عدد من الأكياس التي أحضرها معه للزيارة مضيفا: «هذه الهدية ليست فقط لعيد ميلادك؛ لكن أيضا بمناسبة عملك الجديد».

ابتسم له عصام شاكرا وفتح الهدية ليجد ربطات عنق فغمغم بعبارات شاكرة ليقول أسعد: «أخيرا يا رجل عملت في

وظيفة تليق بقيمتك وتركت ذلك الميكروباس».

تصنع عصام ابتسامة على وجهه ولم يعرف لماذا يزداد شعوره بالضيق من هذا الشخص مع مرور الوقت؟ له أسلوب غير مريح في الحديث أو ربما بات يشعر بذلك تضامنا مع ابن عمه فإن خُير بينهما لاختار أنس رغم ظروفه زوجا لأخته؛ لكنه لن يستطيع أن يقرر بدلا من مرام فهو مدرك أن هذه الأمور تخضع للقسمة والنصيب، لم يكلف نفسه عناء الرد على تعليق أسعد خاصة أنه في حالة لا تسمح له بالجدال، وتمنى لو اعتذر الأخير عن الحضور اليوم؛ لكنه رحب به ونادى على والده ليرحب به هو الآخر فقال عارف بلهجة لائمة وهو يتطلع في الأكياس والهدايا التي أحضرها: «ما كل هذا يا أسعد لماذا تكلف نفسك الكثير في كل مرة تزورنا فيها».

خرجت مرام من الغرفة وقد بدلت ملابسها وتأنقت لاستقباله فسلمت عليه بخجل، بينما تركه عصام مع والده وأخته ومراد الذي يتعمد الوجود كل مرة يكون فيها أسعد موجودا وخرج إلى الشرفة ليختلي بنفسه.

في غرفة مرام بعد قليل فتحت نيللي عينيها عندما فُتح الباب لتجد رأس الحاجة روح تطل عليها، فبلعت ريقها وطالعتها بصمت لتقول روح وهي تتفحصها بنظراتها بدقة «أما زلت حية؟ ألم تموتي قبل قليل؟! هل عدت إلى الحياة مرة أخرى؟!».

اعتدلت نيللي ورفعت رأسها لتسندده على ظهر السرير ثم

قالت بخفوت: «أنا أمامك لم أمت».

غمغمت روح وهي تتطلع في وجهها الذي رغم اختلافه عن ساعة مضت لكنه لا يزال متورما: «هل تحولت لوحش كما حدث في الفيلم وستقفزين علي وأنا نائمة وتأكليني؟!».

بلعت نيللي ريقها الجاف وقالت موضحة قبل أن تتشبث العجوز بالفكرة وتصدقها: «أنا عندي حساسية من الجمبري يا حاجة روح ولست وحشا».

طالعتها الأخيرة لبعض الوقت مدققة في ملامحها ثم قالت: «مسكين من سيتزوجك فبقضمة صغيرة تتحولين أمامه لعفريت».

ضغطت نيللي شفتيها ببعضهما شاعرة بالحرج ثم قالت بوهن: «جبر الله بخاطرك يا حاجة روح».

قالت الأخيرة: «أنا فكرت وتساءلت ماذا ستأكلين الليلة يا مسكينة؟».

قاطعتها نيللي قائلة: «مرام ألحت علي كي تعد لي طعاما لكني غير قادرة على الأكل».

هزت روح رأسها ثم تحركت كي تغادر؛ لكنها بدت مترددة فاستدارت إلى نيللي مرة أخرى وأخرجت يدها الأخرى من خلف ظهرها بعلبة جبن معلبات وضعتها على المنضدة بجوار السرير أمام أنظار نيللي المتفاجئة، ثم أشاحت بوجهها نحو الباب قائلة: «ما دمت لن تستطيعي أكل الجمبري سأترك لك



علبة الجبن».

أسرعت نيللي بالقول: «شكرا لك.. أنا لست قادرة على الأكل وأشعر بالغثيان».

عادت روح للعلبة وأخذت منها واحدتين وهي تقول: «سأخذ منها إفطاري غدا وخذي أنت الباقي».

هممت نيللي بعبارات معترضة؛ لكن روح تركتها وغادرت الغرفة فتطلعت بتأثر في العلبة لبرهة ثم أجهشت بالبكاء، إنها تكره المرض فهو يشعرها بالوحدة وبالاحتياج الكبير للاحتواء وللشعور بالرفقة.

صفرها تفها معلنا وصول رسالة فالتقطته لتجد مراد يقول: «كيف حالك الآن؟».

ابتسمت وكتبت من بين دموعها التي تنهمر دون سبب سوى إحساسها بالضعف: «أنا بخير لا تقلق».

أرسل لها ملصقا يعبر عن فرحته بذلك ثم كتب: «الآن أستطيع أن ألعب بمزاج جيد.. كنت ألعب بمزاج سيئ قبل قليل، رأيت قدرك وغلاك عندي» (وجه ملائكي).

ابتسمت مرة أخرى وردت عليه بملصق يضحك.

صفارة برسالة أخرى من اسم آخر اسم تمنى أن يكون معها اللحظة وسيطر عليها شعور كبير بالحاجة إلى قربه فقرأت ما كتبه عصام: «نيللي».

«نعم».

«طمئني عليك».

انهمرت دموعها بشكل ليست معتادة عليه فمسحتها
وكتبت: «أنا بخير لا تقلق لا يزال وجهي به بعض التورم لكني
بخير».

كتب بسرعة: «كدت أن أموت يا نيللي أقسم لك».

تساقطت دموعها من جديد فعادت لمسحها بإصرار وكتبت:
«عصام».

«نعم».

ترددت ماذا تقول وماذا تكتب تريد أن تخبره بكل شيء،
وأن تصف له مشاعرها ومخاوفها، تريد أن تشاركه إحساسها
وأنها بحاجة ماسة لـ (حزن) لكن ليس كل احتياج نملك
رفاهية طلبه أو الجهر به، فكتبت بعد برهة: «أسفة لأنني
أفسدت يوم ميلادك.. أشعر بالاستياء الشديد لذلك».

كتب من وقفته في الشرفة مستندا على السور: «دعي أمر
عيد ميلادي وأخبريني لماذا لم تخبرينا؟ إن أنس يقول إن
لديك حساسية شديدة».

«الحقيقة أنا لدي حساسية من القشريات؛ لكن هذه المرة
أسوأ مرة حدثت لي.. قبل ذلك كنت أصاب بكل هذه الأعراض
لكن بدرجة أقل ربما لأن آخر مرة حدثت لي نوبة كان قبل
سنتين واشتدت الحالة لسبب ما لا أعرفه ولم أخبركم لأنني لم
أرغب في إفساد المناسبة، كنت أظن أنني سأتجنب كل ما

اقترب من الجمبري وغاب عن ذهني أن تكون مرام قد أعدت
الملوخية بالجمبري.. أسفة مرة أخرى يا عصام».

مال عصام برأسه للخلف مغمضا عينيه لئوان يتنفس براحة
واستعاد على رائحة القرنفل التي تنبعث من الأزهار حوله،
اللحظات التي كانت فيها رأسها على ذراعه واللحظات التي
حمل جسدها الطري فوق ذراعيه.. فسرت موجة كهربية في
أعصابه وهو يعود ليكتب: «حمدا لله على سلامتك».

خيم الصمت وكلاهما يتطلع في الهاتف فكتب عصام
بمشاكسة: «حسنا فكري كيف ستعوضينني».

«عن ماذا؟».

لاحت ابتسامة شقية على زاوية فمه وهو يكتب: «عن عيد
ميلادي ألا يكفي أنك لم تشتري لي هدية!».

ابتسمت وكتبت بتهكم: «الحقيقة فكرت في ذلك لكنني
تذكرت كبرياءك الحساس وخفت عليه من أن يسقط من فوق
رأسك ويتحطم».

رفع حاجبا وأسرع بالكتابة: «أتسخرين مني يا نيللي».

«أنا!» (وجه يدعي البراءة).

صمت آخر حل ضيفا عليهما لئوان قبل أن يكتب عصام:
«نيللي».

«نعم».

«هل أستطيع أن أحدد هدية عيد ميلادي التي أريدها منك؟».

أحست بضيق في صدرها وهي تخمن القادم فكتبت: «ماذا لو لم أكن قادرة على منحها لك؟»

«أهو كثير علي؟! تكلمي بصراحة».

«الأمر ليس كذلك يا عصام صدقني».

أسرع بالاتصال بها فأجلت حنجرتها وفتحت الخط تقول بحشجة: «نعم».

كرر سؤاله بإصرار: «أهو كثير علي؟!».

تدخل الصمت حائلا بينهما ولم يقطعه سوى صوت أنفاسه العالية ففركت نيللي رأسها بكفها تشعر بالعذاب لتسمعه يقول بصوت خافت: «أنت تفهمين أليس كذلك؟».

سألته بمراوغة: «أفهم ماذا؟».

«ما أريد أن أخبرك به؟».

انفجرت دقات قلبها وردت بخفوت خجل: «ربما».

فأصابته العدوى قلبه وانفجرت دقاته هو الآخر وهو يسألها: «وما رأيك؟».

مارست قوة هائلة لضبط أعصابها فسحبت نفسا طويلا ثم أجابت بهدوء: «رأيت أن تتريث.. فأنت لا تعرف نيللي شرف الدين الحقيقية».

أغضبه ردها فقال من بين أسنانه: «هذا ما أريد أن أعرفه لكنك لا تريدين».

قالت بضعف: «سأخبرك بالتأكيد.. سأخبرك بكل شيء لكن ليس الآن».

سألها بضيق: «لماذا؟ هل الأمر معقد لهذه الدرجة؟!».

«أجل».

هتف بسرعة: «هل أنت متزوجة؟».

«لا».

رفع وجهه لأعلى مغمض العينين يسحب نفسا عميقا ويطلقه براحة ثم سألها دون أن يفتح عينيه: «هل سبق لك الزواج؟».

ابتسمت وردت بتسلي: «هل يفرق معك إن كان قد سبق لي الزواج أم لا؟».

فتح عينيه وعدل رأسه يقول: «نعم (ثم استدرك بتردد) لا أعرف، أريد فقط أن أعرف هل سبق لك الزواج».

ساد صمت لم يستطع عصام الصبر عليه فقال بنزق: «نييلي!».

«لست متزوجة ولا مخطوبة ولم يسبق لي الزواج يا عصام».

قالتها بلهجة جادة مباشرة فغمغم بصوت خافت: «حمدا

لله (ثم سألها) هل المشكلة تخص عمك؟ هل يريد أن يزوجك ابنه بالإكراه؟!«.

ردت موضحة: «الأمر أكبر من هذا».

«كيف؟!«.

«ليس هذا وقته».

«متى وقته إذن؟».

احتارت في الرد ثم قالت بغموض: «في موسم القرنفل».

غضب من ردها فقال منفعلا: «هل تمزحين؟ هل الأمر تافه إلى هذه الدرجة؟».

تفاجأت بانفعاله فأسرعت بالقول: «لم أقصد.. قصدت أن الموعد.. قصدت أن عمي عارف أخبرني أن زهرات القرنفل الجديدة التي زرعها ستفتح في الربيع فأردت الإشارة لهذا الموعد»

عبس وسألها باستنكار: «ماذا تعنين؟ هل سأنتظر شهرين أو ثلاثة حتى أعرف! لماذا؟».

كانت تخشى من كبريائه العالي أن يبتعد عنها إن علم بالفارق الوظيفي والاجتماعي بينهما، وأرادت أن يعبت أقدامه أولا في شركة جودت عابدين وأن تخرج هي من مأزقها إن كان مكتوبا لها الخروج فأجابته بصدق: «كما قلت لك أريد أن أعود نيللي القديمة وبعدها سنرى هل ستظل كما أنت معي أم ستتغير».

صمت عصام يستند على سور الشرفة وتطلع حوله بنظرات حائرة الورود والأزهار الناعسة تحت الأضواء الخافتة أمامه والعالم المظلم بكل ما فيه من أسرار وخبايا خلفه وهو عالق في المنتصف، فقال بصوت أبح: «ماذا لو قلت لك إن الانتظار يعذبني وإني أشعر أن الدنيا تضحك لي أخيراً؛ لكنها ضحكة منقوصة يا نيللي لن تكتمل فرحتها إلا بك ولهذا أسألك أهو كثير علي أن تضحك لي الدنيا ضحكة مضيئة كاملة؟!».

كتمت فمها بيدها بينما انهالت الدموع من عينيها فنظرت لأعلى تقول في سرها بعذاب: «لو لم تكن شخصية صعبة ذات كبرياء عال يا عصام كنت أخبرتك بكل شيء (وأضافت بمزید من الحسرة) يا رب إنها المرة الأولى التي تحرك فيها قلبي».

جاءها صوت عصام يقول ساخراً: «هل طلبت طلباً صعباً إلى هذه الدرجة؟».

أجلت حنجرتها وردت بصوت حاولت أن يكون عادياً: «دعنا نعقد اتفاقاً ونقرب المسافات الأحد المقبل سنذهب للطبيب لفك الجبيرة بعدها.. بعد فك الجبيرة سأحكي لك عن كل شيء وسأدع لك حرية الاختيار، إما أن تنتظرني حتى أنتهي من مشاكلي أو تتركني في المكان نفسه الذي قابلتني فيه».

كان لحوحا أكر مما يعرف عن نفسه فجادلها قائلاً: «ولماذا ليس الآن؟ ما الذي سيفرق خلال الأيام المقبلة؟».

«الفرق أنني وقتها سأعود نيللي الحقيقية وليس الفتاة

مكسورة الساق في بيتكم (وتطلعت حولها بالغرفة مضيفة بصوت مرتعش) وسنكون خارج جدران هذا البيت الذي احتضني في أصعب وقت مررت به في حياتي لذا لا أريد أن أخرج منه مكسورة الخاطر أريد أن أخرج منه بذكريات سعيدة».

انقبض قلبه فقال باندعاش: «ألهذه الدرجة الأمر كبير؟!».

كانت تشعر بالضغط وبالحيرة وكانت خائفة.. خائفة من فقدانه فقالت بارتباك: «لا أعرف صدقني أحاول أن أصحح خطأ ارتكبته في غفلة».

عبس متمتما: «خطأ؟!» (ثم أضاف من بين أسنانه) وطبعا لو سألتك أي نوع من الأخطاء لن أتلقي إجابة أليس كذلك؟».

«عصام».

دقت على أوتار قلبه فتنهد وزفر بقوة يقول: «نعم يا نيللي.. نعم».

قالت بترج خافت: «لماذا لا نصبر حتى يوم الأحد؟».

غمغم بخفوت: «هذا الإصرار يقلقني بشدة».

أشفقت عليه فقالت بحشركة: «سامحني».

حاول أن يهدئ نفسه فقال وهو يحك جبينه بأنامله: «أنت أيضا سامحيني لأنني لحوح وأضغط عليك.. وربما تتحرجين من صدي بلباقة».

«يوما ما ستعرف الإجابة».

علق بلهجة ساخرة: «الإجابة عن أي شيء بالضبط فأسئلتني كثيرة».

ردت موضحة بهمس أشعل أعصابه: «عن آخر سؤال.. عن إن كنت أحاول التهرب منك بلباقة أم لا أتمنى أن أجد الفرصة يوما لأجيب على سؤالك هذا بكل الدلائل والإثباتات التي لا تدع لك مجالا للشك».

شاكسها قائلا: «متى؟ في موسم القرنفل مثلا؟».

ابتسمت وهي تجيبه مؤيدة: «في موسم القرنفل مثلا وليته يأتي سريعا وتنتهي كل العوائق».

صمت قليلا واستسلم لمشاعره التي سيطرت كليا على مقاليد الأمور فقال بشقاوة ليزيح الكآبة العالقة بينهما: «لكني مصر على أن أتلقي منك هدية عيد ميلادي».

ردت بهدوء: «لقد صنعت شيئا بسيطا من أجلك سأعطيه لك في الصباح».

قال بإصرار طفولي: «ولماذا ليس الآن؟! ألم تقولي إنك تحسنت.. اخرجي لي دقيقة وأعطني إياها حتى أطمئن عليك بنفسي».

قالت برفض: «لن أستطيع فلدينا ضيوف».

رد عابسا: «كنت سأقابلك في الممر لم أكن لأطلب منك الخروج في حضور أسعد».

تكلمت بدلال: «قلت لا أستطيع».

سألها بغیظ: «لماذا؟!».

«وجهي لا يزال متورما وشكلي بشع».

اتسعت ابتسامته ثم تنحنح يقول بشقاوة وهو يدلك بيده عنقه من الخلف: «لن يكون الفارق كبيرا بينه وبين الطبيعة يا نيللي».

عبست وسألته: «ماذا تقصد؟ ها؟ (ثم صاحت بغیظ) عصام ماذا قصدت بكلامك أخبرني.. عصااام».

قهقه ضاحكا ضحكة خرجت من بين شغاف القلب ضحكة صبيانية رائقة تهزم الأحزان، بعد أن قرر قلباهما بأن يقتنصا السعادة من اللحظة، فليس هناك أصعب من الاقتراب من حافة الموت.

«أنا غير موافق على هذا السخف».

قالها أسعد بخفوت غاضب فاندھشت مرام وسألته بالخفوت نفسه في جلستهما في الركن الآخر من الصالة: «ماذا تقصد بالسخف؟».

قال باعتراض: «غير موافق على أن تبيعي منتجات على الإنترنت يا مرام».

همست موضحة: «إنها إكسسوارات راقية».

أصر على موقفه قائلا: «المبدأ نفسه مرفوض».
«لماذا؟!».

تطلع فيها بغیظ ثم أجاب: «لأنك خطیبتی وستصبحین زوجتی».
«وآین المشكلة؟».

زفر یفرغ بعضا من غضبه المكبوت وتطلع بضیق فی مراد الجالس عند طاولة السفرة یضع أمامه الكتب ویمسك بهاتفه ثم عاد لمرام یقول: «المشكلة أنني لا أقبل أن یقول الناس أن خطیبتی تبیع على الإنترنت لأن أهلها غیر قادرین على تجهیزها».

اشتعل غضبها وهي تقول باستنكار: «أسعد ما الذي تقوله؟!».

انتبه مراد ونظر ناحیتها فتحکمت مرام فی أعصابها بینما رد أسعد ببرود استفزها: «لم أقصد الإهانة لكنی أتحدث عن ما سیفكر فیة الناس یا مرام».

قالت عابسة: «مالي أنا والناس هذا المشروع هو حلمي وفرصة أن أبیع على الإنترنت بالنسبة لی جيدة جدا حتی لا أضطر للنزول من البيت كما أن الصفحة لیست باسمی».

هز الأخير ساقه بغیظ یزم شفתיه فقالت مرام بضیق: «هل سنتشاجر على هذا الأمر أيضا یا أسعد؟ لماذا لا تفهمنی».

جادلها قائلا بغیظ مماثل: «ولماذا لا تفهمینی أنت.. المرأة

لا بد أن تكون أكثر مرونة من الرجل وتحتوي شريكها لا أن تصطدم به».

أحزنها أن يصفها بعدم المرونة فقالت مدافعة عن نفسها: «أنا لست صدامية لكنك تريد أن تمحو شخصيتي تماما».

قال ببساطة: «شخصيتك من شخصيتي».

«مرامي أنا جائعة».

قاطعتها زينة بما قالته حينما اقتربت فجأة فنظر أسعد للصغيرة بغضب جعلها تنكمش وتناظره بارتباك، فشعرت مرام بالشفقة عليها وقالت بلهجة حانية: «حاضر حبيبتي (واستقامت واقفة وهي تقول) تعالي سأغرف لك الطعام (ونظرت له تسأله) هل أنت متأكد أنك لا تريد أن تأكل؟».

رد عليها بعبوس: «لا أريد».

«تعالي يا زينة».

قالتها وتحركت نحو المطبخ منتهزة الفرصة كي تهرب قليلا من الخناق.

حين عادت بعد قليل وجدته يتفحص هاتفه وهو يهز ساقه بعصبية ليقول مراد حينما مرت من أمامه: «وأنا مرامي جائع».

حدجته بنظره لائمة وذهبت لتجلس بجوار أسعد الذي قال باختناق: «لماذا لا نجلس في الشرفة مثل المرة الماضية».

أخبرته بخفوت: «لا يزال عصام بالشرفة يتحدث بالهاتف».

تمتم بضيق: «كل هذا الوقت؟! (ثم نظر حوله وقال هامسا) ألا يوجد غرفة لها باب نجلس فيها بدل من هذه الصالة التي يجلس فيها الجميع؟».

ردت بهدوء: «حتى لو كان هناك غرفة بالتأكيد سيبقى بابها مفتوح يا أسعد».

غمغم وهو يناظرها بنظرة خاصة: «لماذا؟ هل سأكلك (وأضاف ببطء وخفوت وعيناه تجريان على جسدها) رغم أنك شهية للأكل».

غمغمت بحرج: «أسعد توقف من الممكن أن يسمعك مراد». زفر وعاد لملامحه الجادة يقول من بين أسنانه: «البنت ما زالت متعلقة بك يا مرام».

ردت بعبوس: «وماذا سأفعل في هذا الأمر؟ هل ستخبرني أنها جائعة فأطلب منها أن تبحث عن أحد غيري ليطعمها؟! كما ترى أنا الأنثى الوحيدة في البيت».

طحن ضروسه وقال بغیظ: «ابن عمك هذا ليس عنده دم». اكفهر وجهها وقالت بصوت يخنقه البكاء: «أسعد لو سمحت أخبرتك من قبل أنني لا أقبل كلام على أي فرد من عائلتي».

طحن ضروسه واستقام واقفا يللم هاتفه ومفاتيحه وهو يقول: «من الأفضل أن أغادر».

رفعت إليه عينين حزينتين وهي تقول: «ألا ترى أنك
تعرض على أمور كثيرة في حياتي ولا تتنازل عن شيء».

قال بخفوت من بين أسنانه: «رغم أنني لست كما تصفين
يا مرام؛ لكن ما دمت متمسكة بمشروعك سأتركك في فترة
الخطبة فقط بشرط ألا تكون الصفحة باسمك كما قلت،
ومن فضلك لا أريد لأحد من عائلتي أن يعرف بهذا الأمر
لأنه يخرجني، وفي المقابل عليك بتدريب نفسك على فك
هذا الارتباط بينك وبين هذه البنت (وأضاف بلهجة باردة
استفزتها) أعتقد أنني بهذا أكون برهنت على أنني أتساهل
معك كثيرا أنا راحل سلام».

قالها وتحرك مغادرا فتابعت مغادرته بضيق شديد مرددة
في سرها أن هناك شيئا خاطئا يخص التفاهم بينهما.

صباح اليوم التالي

رن منبه الهاتف فأغلقه وأخذ يشجع نفسه على القيام فلم
ينم إلا بعد الفجر بعد أن ظل يتحدث مع نيللي في الهاتف،
ثم قضى باقي الوقت يتقلب في سريره وأفكاره تتأرجح
بين سعادة الحب والخوف من المجهول، تذكر أنها أخبرته أن
هديتها ستضعها له في الصباح فدب النشاط في جسده وهو
يعتدل على السرير ويفتح هاتفه ليرى إن كانت قد أرسلت له
شيئا فوجد رسالة منها تقول: «صباح الخير لقد وضعت لك
هديتك بجوار التلفاز خذها بسرعة قبل أن يلاحظها أحد».

كتب بسرعة: «صباح النور يا وجه السعد، لماذا لم تنتظري حتى تعطيني إياها بنفسك؟».

وجدها قد شاهدت الرسالة فأنزل ساقيه من فوق السرير، بينما أرسلت له نيللي: «صباح النور أردت أن أعطيها لك قبل أن تذهب للعمل لأتخلص من الإلحاح» (وجه ممتعض).

ترك السرير وتحرك يخرج من الغرفة حافي القدمين ببنتاله البيتي والفانلة ذات الحمالات وهو يكتب لها: «قصدت أن أراك قبل أن أذهب للعمل وتعطيني لي بنفسك».

تجاهلت الوجه الذي يغمز الذي أرسله لها وكتبت: «بالمناسبة إنها هدية بسيطة جدا لقد صنعتها بنفسني خوفا من أشتري شيئا فينال من كبريائك الحساس» (وجه ممتعض).

ابتسم وهو يكتب: «سأغاضى عن سخريتك هذه حتى أرى الهدية أولا».

قالها وبحث بجوار التلفاز ثم التقط ظرفا ميز أنه مصنوع من الكرتون الملون ولم يكن ظرفا تقليديا إنما مطوي وملصق بالصمغ تلتقي أطرافه لتصنع مربعا فتحتة تقع في منتصف المربع وكأنه وريقات وردة مغلقة ومثبت فوقه زر أزرق ملفوف حوله خيط صغير ليغلق الظرف، اتسعت ابتسامته واتصل بها فعبست نيللي وكتمت الصوت بسرعة وهي تتطلع في مرام وروح النائمتين ثم ردت هامسة: «لماذا تتصل يا عصام؟».

قال بابتسامة واسعة وصوت خافت: «حتى أكون معك على الهواء وأنا أفتح الهدية».

قالت بهمس: «ستستيقظ مرام قبل موعدها».

تمتت الأخيرة وهي تتقلب لتنام على بطنها: «أنا مستيقظة بالفعل».

تخرجت نيللي وارتبكت فأغلقت الخط بسرعة ليعبس عصام وهو يقول: «آلو.. نيللي!».

حين لم ترد قهقهه بخفوت وهو يعود لغرفته مارا بغرفة مرام المغلقة، أما الأخيرة فاعتدلت وتطلعت في نيللي تسألها: «ما بك؟ ماذا يريد عصام في هذا الوقت المبكر من الصباح؟».

ناظرتها نيللي بوجنتين متوردتين وهزت كتفيها بلا أعرف فابتسمت مرام وردت بلهجة ذات مغزى: «متأكدة؟».

ازداد تورده وجه نيللي وأشاحت بأنظارها، بينما تركت مرام السرير وغادرت الغرفة كي تغتسل وتستعد للذهاب للعمل.

أما عصام فوقف في غرفته وفتح الظرف ليجد ضفيرة رفيعة سوداء من خيط مصنوع من الجلد، فقلبها في يده عابس الوجه يحاول الفهم قبل أن تنفرج ملامحه ويلفها كطوق حول معصمه ثم يربطها، اتسعت ابتسامته وتراقص قلبه في صدره يتطلع في الهدية في معصمه، ثم اتصل بها لكنها رفضت، فقهقه ضاحكا ثم أرسل لها رسالة صوتية يقول: «لماذا لا تردين؟».

زفرت نيللي وألصقت الهاتف بأذنها تسمع صوته السعيد ثم كتبت: «عصام جدتك نائمة وستستيقظ مثل مرام».

عاد يرسل لها رسالة صوتية قائلا: «أردت أن أخبرك برأيي في الهدية».

سمعت الرسالة ثم تلتها رسالة صوتية أخرى يقول فيها بصوت أجش: «سأعقده حول قلبي وليس فقط حول معصمي».

ابتسمت وطففي الخوف على شعورها بالسعادة الخوف من القادم من التسرع بالبوح عن المشاعر.

أما مرام فوقفت في المطبخ مجهدة تضغط على نفسها للذهاب للعمل، إنها لم تنم طوال الليل تفكر في علاقتها مع أسعد، وفي تطور علاقة نيللي وعصام وتلك السعادة التي تبدو على وجهيهما وقارنت علاقتها بخطيبها، فأحست أن هناك شيئا ينقصها رغم أن أسعد عريس تتمناه أي فتاة لكن هناك شيء تفتقده.

خرج عصام من غرفته وهو يرتدي البدلة يستعد للذهاب للعمل واتسعت ابتسامته عند مروره من أمام باب غرفة مرام المغلق، وتمنى لو كان له الحق في الدخول ليشكرها على الهدية بطريقته الخاصة، عند هذه الخاطرة عدل من ياقة قميصه يهمس لنفسه: «احترم نفسك يا برنس».

اقترب من المطبخ وهو يغطي الطوق الجلدي تحت كم قميصه ثم دخل ولف ذراعه من الخلف حول رقبة أخته يقول

بمناغشة: «صباح الخير مرامي».

أسرعت الأخيرة بمسح دمعة من طرف عينيها فعبس عصام
وابتعد عنها ثم أدارها لتواجهه يسألها بقلق: «ماذا حدث؟».

أجابت بمراوغة: «لا شيء».

دقق في وجهها قائلاً: «مرام ماذا حدث تكلمي.. هل
تشاجرت مع خطيبك؟».

رفعت إليه عينيها بحيرة فقال: «تكلمي يا مرام».

غمغمت بحيرة: «لا أعرف».

عبس وسألها: «ماذا حدث؟ أخبريني».

قالت بعد تردد: «هل ستصفني بالمجنونة إن أخبرتك أنه
تنتابني رغبة في فسخ الخطبة».

اتسعت عيناه فأسرعت مرام بالقول: «أعرف أن ما أقوله
يعد جنونا لكني.. لكني أشعر بعدم راحة، في البداية كنت
سعيدة لكن بعد أن بدأنا في التعامل اليومي هناك شيء يقف
حائلاً بيني وبينه».

عقد حاجبيه وتخصر يسأل: «ماذا فعل لك لتشعري بهذا
الشعور؟».

هزت كتفيها وقالت: «لم يفعل شيئاً يا عصام.. صدقني كلها
أمور تافهة صغيرة، إنه شخص كريم ومستقبله جيد وعائلته
أناس محترمون؛ لكن هناك شيئاً لا أعرف كيف أصفه يشعروني

بالضيق».

أحس عصام بالسعادة ووجدها فرصة جيدة لأن يتخلص من أسعد هذا فهو شخصيا لا يشعر نحوه بعاطفة لكي يكون فردا من العائلة، ووجدها فرصة جيدة من أجل أنس ربما استطاع الفوز بقلب مرام؛ لكن خوفه على مصلحة أخته كبح جماح أفكاره السعيدة ونبهه لأنها هي المعنية وأن هذه حياتها وهي من تقرر مع من ستكون سعيدة وأنه ليس من حقه التدخل في قرارها وفقا لما يحب ويكره ما دام أسعد ليس به عيب يتوجب عليه التدخل المباشر بينهما فتحنح وقال لها بما أملاه عليه ضميره: «لكن يا مرام...».

قاطعته تقول: «أنا أعرف أن هذا صعب فماذا سيقول الناس خطبها عدة أيام وتركها».

عبس ورد بحمائية: «لا تهتمي بشأن الناس لكن كما قلت بنفسك (بضعة أيام) أي إنك لم تعتادي عليه بعد، اعطي لنفسك فرصة وحاولي البحث عن طريقة للتفاهم بينكما وأعدك أنني لن أزوجك له إلا حينما تقولين لي بنفسك إنك توافقين عليه زوجا (وربت على وجنتها بكفه يقول مطمئنا) ولا تخافي من أي شيء، إن قلت لي لا أريده يا أخي بعد أن تأخذي فرصتك الكاملة معه سأخرجه من حياتك فورا المهم امنحي نفسك فرصة قبل أن تقرري».

اقتربت منه ولفت ذراعيها حول جذعه ثم استندت بخدها على صدره تقول بامتنان: «لا حرمني الله منك يا عصام..»

خففت عني بعضا من الثقل الذي كنت أشعر به أني قد تورطت وانتهى أمري».

ربت عصام على ظهرها يقول بحنو: «أهم شيء خذي وقتك الكامل في التفكير وأنا سأدعو لك الله أن يوفقك مع من يسعدك ويصونك (وابتعد عنها مضيئا) بالمناسبة لقد تركت لك صندوق الإضاءة في غرفتي».

قالها غامزا ثم تحرك يغادر المطبخ متمتما في سره: «يا رب لو كان هذا الشخص هو الخير لها فألف بين قلوبهما».

وبلع أمنية أخرى يتمناها بشدة.

انتفض مهدي واقفا وقال لمحدثه في الهاتف: «ماذا قلت يا حبشي؟!».

جاءه صوت محدثه يخبره أنه قد وجد أن اسم نيللي قد سجل يوم اختفائها في أحد المستشفيات الحكومية نتيجة لحادث سير وأن من أدخلها المستشفى شخص يدعى عصام عارف، وأخبره أيضا أنها قد خرجت في اليوم نفسه على مسئوليتها الشخصية وأنه بسؤال الممرضات وعرض صورة نيللي عليهن علم أنها غادرت بصحبة هذا الشاب وأخته باعتبارهما أقاربها.

قال له مهدي بصدمة: «أقاربها؟! وهل استطعت أن تحدد أي معلومات عن هذا الشاب؟».

أخبره حبشي: «جاري الحصول على بيانات بطاقة المسجلة في أوراق المستشفى يا باشا».

قال مهدي: «اسمع يا حبشي أريد أن يتم هذا الأمر في سرعة وسرية.. أريد أن أعرف أين يعيش هذا الشاب ومن يكون، كل المعلومات التي تستطيع الحصول عليها ولك مكافأة كبيرة».

بعد أن أغلق الخط وقف مهدي في مكتبه متسمرًا يحدق في الفراغ مصدومًا لقد أوشك على أن يصدق في موتها أو استغلال اختفائها الغامض كي يتخذ الإجراءات القانونية التي ستمكنه من الشركة؛ لكن اختفاءها المتعمد هذا مريب ويدعو للدهشة لماذا اختفت ولم تعد؟ وإلى أي مدى أثر عليها هذا الحادث والأهم من ذلك كيف يستطيع أن يستفيد من اختفائها هذا، أسرع بطلب المحامي الخاص به المطلع على تفاصيل كل شيء وهتف به قائلاً: «قلت لك يا علوان ليس هناك داعٍ لإبلاغ الشرطة باختفائها لكنك أصريت أن أبلغ عن اختفائها».

جاءه صوت علوان يقول: «هل حدث جديد؟».

أوضح مهدي بانفعال: «لقد أبلغني أحد رجالي بدخول شابة في نفس يوم اختفائها وفي مثل مواصفاتها تحمل اسم نيللي شرف الدين لأحد المستشفيات الحكومية بعد إصابتها في حادث سير وأنها خرجت في اليوم نفسه على مسؤوليتها وجاري الحصول على عنوان الشخص الذي رافقها».

صمت علوان لبرهة مفكرا ثم قال: «إذن علينا أن نخبر ذلك العميد صديقك الذي مررت إليه من قبل معلومة اختفائها وطلب منك عمل محضر رسمي بذلك، عليك بإخباره الآن بالمعلومات الجديدة وأنت كنت تبحث عنها لأنك قلق عليها».

زفر مهدي وقال بعصبية: «كنت أفضل ألا أبلغ الشرطة من الأساس يا علوان كنا ذهبنا وأحضرناها بالقوة دون تدخل خارجي قد يلفت الانتباه لنا».

رد علوان موضحا: «يا مهدي بك قلت لك من قبل.. اختفاؤها وعدم إبلاغك عن ذلك رسميا أمر غير منطقي وسيثير الشبهات ضدك إن حدث لها شيء، وها أنت قلت بنفسك إنها تعرضت لحادث ولا تعلم مدى تأثيرها به».

سأله مهدي بضيق: «وما العمل الآن هل سأكتفي بإخبار الشرطة حينما تصلني المعلومات عن مكانها وأقف مكتوف الأيدي حتى تعود هي إلى المشهد مرة أخرى وتفسد كل شيء بغائها».

قال علوان بلهجة ذات مغزى تحمس لها مهدي: «حينما تحصل على العنوان والتفاصيل سأخبرك أنا ماذا سنفعل لنستغل الوضع لصالحنا».

عند الغروب

فردت نيللي يدها ذات الأظافر الملونة الأنيقة داخل

صندوق الإضاءة مرتدية خاتم وسوار من المصوغات المعروضة للبيع، فالتقطت مرام ليدها عدة صور من أكثر من زاوية قبل أن تسحب نيللي يدها وتسألها: «هل انتهينا؟».

تطلعت مرام في شاشة الهاتف وقالت بإعجاب وهي تجلس بجوارها على السرير: «الصور مذهلة يا نيللي رقة يدك وسمارها الجميل مع الإكسسوارات والأظافر الطويلة المطلية تبدو احترافية».

أسرعت نيللي بحشر رأسها بجوار رأس مرام وقالت بعبوس: «أتوقع أن تصوير يدك ذات البشرة البيضاء مع الإكسسوارات والأظافر ستكون أفضل من هذه».

ردت مرام مدافعة: «هذا غير صحيح.. عموماً أنا سأؤجل لصق الأظافر على يدي وتصويرها للغد».

قالت نيللي بعبوس: «ألم تقولي إنك ستصوريني أولاً ثم تلصقين الأظافر وأصورك أنا؟!».

ردت مرام بوجنتين مشتعلتين: «أجلت الموضوع للغد لأنني أريد أن أريها لأسعد.. ولو لصقتها اليوم عندي غسيل للأواني بعد عشاء الليلة وإعداد إفطار وغداء الغد لذا سأنتظر لما بعد الغداء».

ابتسمت نيللي بينما عادت مرام تتطلع في الصور قبل أن تسمع صوت عصام في الصالة فهتفت: «عصام حضر سأريه روعة الصور».

قالت نيللي بحرج: «لماذا؟!».

أسرعت مرام بمغادرة الغرفة بسرعة فنادت عليها نيللي؛ لكنها لم تتوقف لتقول وهي تسحب عكازها وتستقيم واقفة: «مرام.. بنت يا مرام».

خرجت الأخيرة إلى الصالة فبادرها عصام قائلاً: «جائع يا مرام.. جااائع».

أسرعت بإعطائه الهاتف تقول ببعض الفخر الطفولي: «انظر لهذه الصور الرائعة ولاحترافية أختك في التصوير».

نظر في الهاتف مدققاً وغمغم: «ما هذا؟».

قالت بلهجة ذات مغزى: «تتوقع يد من الرائعة هذه؟!».

عبست ملامحه وسألها بجدية مفاجئة: «هل هذه يد نيللي؟».

قالت بحماس: «أليست صورة احترافية، أنوي أن أصور يدي أنا الأخرى و..».

«هل جننت يا مرام؟».

قالها هادراً بعصبية فتفاجأت هي ونيللي التي خرجت للصالة بحالته وتفاجأتا أنه قد تحول لكتلة مشتعلة من الغضب، خاصة عندما قبض على مرفق أخته يقول صائحاً: «أجننت يا مرام واختل عقلك؟ من أين أتيت بهذه الفكرة؟! وكيف تسمحين بعرض جزء من جسدك أو جسدها على مواقع التواصل ويراهها كل من هب ودب».

ارتبكت مرام وقالت مبررة: «لم أفكر في الأمر بهذا الشكل، إنها يد فقط غير معلوم هوية صاحبها وهناك مئات الصور لمنتجات بهذا الشكل فقصدت أن أقلدها».

اشتدت ثورته أمام عينيها المصدومتين فقال وهو يضغط على ذراعها: «مالنا نحن والصور الأخرى مالنا بها يا مرام (وتساءل ساخرا) وماذا ستفعلين مع القلائد والعقود هل ستتصوران بها أيضا».

اقتربت نيللي بسرعة وقد أزعجها توبيخه لمرام بهذا الشكل وإحراجها فقالت بحمائية تدافع عنها: «ماذا حدث لكل هذا؟! هي طلبت مني وأنا وافقت أين المشكلة؟!».

ترك ذراع أخته وحول أنظاره نحو نيللي يهتف باستنكار: «تسألين أين المشكلة؟! ألا ترين في الأمر مشكلة أن تعرضي يدك ليتأملها ويتغزل بها من على مواقع التواصل لا تجدين مشكلة في ذلك يا نيللي؟!».

رفعت ذقنها وقد استفزها فقالت مجادلة: «لَمْ أنت منفعل لا أفهم؟! إنها مجرد كف في صورة غير معلوم هوية صاحبها».

ازداد الغضب في عينيه وقال باستنكار: «وهل القصة تتلخص في هوية صاحبها أم في المبدأ نفسه أيتها الأنسة المحترمة؟!».

شعرت بجرح كرامتها فرفعت سبابتها وقالت بلهجة محذرة: «أنا محترمة يا عصام ولا أسمح أبدا بالتحدث معي بهذه

الطريقة، ولا أحتاج لمن يحدد لي ما يصح وما لا يصح».

ازداد ارتباك مرام للحالة التي تطور إليها الموقف بينما ألقى عصام بالهاتف على أقرب أريكة يقول لنيلى: «أنا آسف آنسة نيلى لأنى سمحت لنفسى وتدخلت فيما لا يخصنى افعلى ما تريدن بنفسك أما هى فلن اسمح لها بتصوير يديها وعرضها فى أى مكان حتى لو كانت مجرد صورة ليد غير معروف صاحبها».

قالها وتحرك مغادرا للشقة فتابعت نيلى مغادرته وهى تقول بغير تصديق: «بالله عليك إنها مجرد يد».

صفع الباب خلفه بينما وقفت مرام بوجه أحمر تشعر بالندم ليخرج عارف من غرفته بعد أن انتهى من صلاة المغرب يقول بفزع: «ماذا حدث؟».

تدخلت روح من جلستها فى مكانها المفضل تقول بقرف: «حرقته دمه (ليلى).. حرقته دمه المسكين وصل للتو وكان جائعا لكنها أغضبتة وجعلته يترك البيت».

ازداد شعور نيلى بالغضب فوق مشاعر الاستياء التي شعرت بها عند مغادرته للبيت فلم تكن تتمنى أن يتطور الوضع بهذا الشكل، بينما قالت مرام لوالدها: «كانت مجرد فكرة يا أبى (وتطلعت فى نيلى تقول بلهجة معذرة) لا تؤاخذيه إنه لا يعي ما يخرج من فمه عند الغضب».

صاحت روح: «حسبى الله ونعم الوكيل فيك يا (ليلى) يا من جئت بيتنا لتحرقى دم حفيدي».

نظر عارف لأمه يقول: «ما الذي تقولينه يا أمي؟!».

أما نيللي فلم تستطع التحمل وتحركت بعصبية تعرج على عكاظها نحو الداخل ليقول عارف لمرام: «تعالى هنا أخبريني ماذا حدث بالضبط».

بعد ساعات

رفع أنس الأطباق من فوق الطاولة بعد أن انتهى هو وعصام من الأكل من الطعام الذي أنزلته لهما مرام مع مراد، وفي طريقه نحو المطبخ تطلع في عصام الجالس على الأريكة عابس الوجه، الذي لم يعد للبيت منذ أن خرج غاضبا وجاءه ليجلس معه في شقته بمجرد أن عاد من الصيدلية، ثم تأمل ابنته التي ترد بردود آلية على مكالمات متأخرة من أمها ورسم ابتسامة على وجهه وهي تعيد له الهاتف بعد أن أنهت المكالمات فقال لها: «هيا لننام».

عبست تقول باعتراض: «غدا الجمعة يا أبي».

قال ساخرا: «وهل يوم الجمعة يسهرون لاستقباله! (ونزل على عقبه يوليها ظهره قائلا) هيا ليوصلك القطار السريع للسريع».

زمت شفتيها تناظره لبرهة بعبوس ثم تسلمت فوق ظهره متعلقة بعنقه، فاستقام أنس واقفا وذهب بها إلى غرفتها ثم ألقي بها من فوق ظهره على السرير فقهقهت ضاحكة.

فتح لها المصباح الجانبي وقال: «تصبحين على خير».
«أبي».

توقف وأدار وجهه إليها قائلاً: «نعم».

«لماذا لم تتزوج أنت ومرام حتى أخرج من بطنها وتصبح
أمي، كل أصحابي خرجن من بطون أمهاتهن؟!».

تفاجأ بالسؤال وتألم من أجلها فأجلى صوته وقال: «لكن
مرام ليست أمك الحقيقية يا زينة وأنت تعلمين ذلك؟».
ردت بتفهم «أعرف».

فأضاف أنس: «ولا أحد يختار من يكون أباه أو من تكون
أمه».

ساد صمت مترقب وانتظر أنس تعقيبها على ما قال لتقول
زينة بعد برهة: «هل أنا فتاة سيئة يا أبي؟ هل أفعل أشياء
تجعل الناس يبتعدون عني؟».

لم يكن في حالة نفسية تسمح له بتحمل سؤال مؤلم
كهذا، يفهم المغزى منه فهو بالكاد يحاول تسكين جراحه
والاستمرار في حياته فقال بحشرة: «لا بالطبع أنت فتاة
رائعة».

تنهدت زينة وقالت وهي تتطلع في السقف: «إذن لماذا
تركنتي أمي وسكنت في بيت ببلد بعيد؟ ولماذا تريد مرام أن
تذهب هي الأخرى لبيت آخر وتركني؟».

تحرك ببطء عائدا إليها وهو يجيبها: «أنا وأمك لم نستطع العيش سويا لهذا افترقنا وأصررت أن تكوني معي، أما مرام فكل الفتيات حين يتزوجن يصبح لهن بيتا جديدا».

طالعه وهو يجلس بجوارها على السرير وسأله: «ولماذا لا تتزوج أنت ومرام ويكون لثلاثتنا بيت جديد؟».

لم يسعفه ذهنه برد مناسب لعمرها فقال هاربا من السؤال: «زينة هذا الموضوع لا يصح أن تتحدثي فيه فهو يخص الكبار ومرام الآن مخطوبة من رجل آخر».

صمتت تتطلع في وجهه ثم سأله: «أبي هل ستتركني أنت الآخر ويكون لك بيت جديد؟».

تأثر بسؤالها فمال عليها يضمها بقوة يقول: «ما هذا الكلام يا زينة؟ كيف أستطيع العيش دون زوز قلب أبيها».

جادلته الصغيرة قائلة: «لكن نها ومرام تركتاني وأنت قلت إنهما تحباني أيضا».

دلك ظهرها بحنان قائلا بلهجة متأثرة: «بابا لا يقدر أبدا.. أبدا على فراق زينة يوما واحدا».

سأله: «أهذا وعد؟».

«طبعا وعد».

أبعدت رأسها ورفعت إليه خنصرها تقول: «اعقد معي وعدا الآن».

لف خنصره على خنصرها فقالت: «هيا قل لن أترك زينة أبدا».

ابتسم ابتسامة متألّمة وردد خلفها: «لن أترك زينة أبدا أبدا.. ولا أقوى على العيش دونها لحظة واحدة».

اتسعت ابتسامتها ومالت برأسها تتمرغ في صدره مغممة في راحة: «أنا أحبك يا أبي.. ولن أفعل شيئا يجعلك تتركني». رد عليها بخفوت متهدج: «وأنا أحبك يا روح أبيك ومهما فعلت لن أتركك أبدا».

في الصالة كان عصام مترددا وهو يتطلع في اسم (وجه السعد) على هاتفه يرغب في الاتصال بها والاعتذار؛ لكن كبرياءه يمنعه ففكر في أن يرسل لها على الواتساب لكنه عاد وألقى الهاتف بجواره على الأريكة، فرك رأسه بأصابعه بقوة حائقا فخرج أنس من الممر بعد أن نامت زينة يقول: «هل أصابك الحب بالجرب؟».

ناظره عصام وقال بضيق: «أنس ارحمني من سخافتك».

غمغم الأخير مشاكسا وهو يجلس على أحد المقاعد: «هل ستنفعل علي أنا الآخر؟! أنا ليس لي يد حلوة لأصورها».

زمجر عصام فتجاهله أنس وأخرج من جيب بنطاله البيتي علبة السجائر والولاعة وأشعل واحدة وهو يقول لابن عمه: «تعرف أنني قلق من تسارع وتيرة العلاقة بينك وبين نيللي أليس كذلك؟».

رد عصام بتفهم: «أعرف».

أضاف أنس وهو يتطلع في الدخان الذي نفثه في الهواء: «وتعرف أنك بالفعل تقفز قفزات كبيرة في علاقتك بها وأن هذا غير جيد ويصيبني بالتشاؤم».

قال عصام ساخرا: «هذا على أساس أنك شخص متفائل من الأساس!».

ضحكة ساخرة أطلقها أنس ثم قال وهو يمسك بهاتفه: «هيا لنعلب تلك اللعبة التي يلعبونها».

ناظره عصام بنظرة جانبيه من جلسته مستندا بمرفقيه على فخذه ليضيف أنس: «هيا لتدرب حتى نفاجئ مراد كما اتفقنا».

بمزاج عكر التقط عصام هاتفه وفتح تلك اللعبة الشهيرة التي يلعبها أخوه التي قرر هو وأنس تجربتها حتى يستطيعا مشاركة مراد في شيء يحبه لتقريب المسافات بينهم، فبدأ باللعب سويا كل واحد على هاتفه ليهتف أنس بحماس بعد قليل: «اضرب يا برنس أرني عضلاتك في اللعبة كدت أن تتسبب لنا في هزيمة».

مط الآخر شفتيه وركز في هاتفه ليقول أنس ساخرا وهو يفرغ طلقات مدفع ضخمة في منافسه: «لا أفهم ما المتعة في إيذاء أحدهم وقتله! ما بها كرة القدم كنا نلعبها قبل سنوات على البلايستيشن وحققنا بها أمجاد لم نحققها في الحقيقة».

قال عصام وهو يلقي بقنبلة على أحد الأعداء: «ألم أقل لك إننا نسينا وسط لهائنا خلف أحلامنا أن نستمتع بالحياة».

هتف أنس فجأة: «حاذر.. حاذر يا متخلف».

خسر الاثنان الجولة فناظره أنس بغيظ ليتحكم عصام في ابتسامة شامتة فقال الآخر: «كيف تريدني أن أستمتع بالله عليك وأنت رفيقي في اللعبة ووجهك العكري يؤانسني هنا!».

مط عصام شفتيه بينما نظر أنس في الهاتف وقال من بين أسنانه وهو يبعد السيجارة عن شفتيه: «البيك أخوك يلعب الآن بعد أن رفض أن يشاركنا العشاء متحججا بالذاكرة، هيا ندخل معه لنخرجه.. أرسل له طلب انضمام للجولة».

في الوقت نفسه كان مراد في صالة بيتهم يقول لنيللي التي تجلس على سرير مرام في غرفتها وتلعب معه اللعبة: «بدلي السلاح.. بدلي السلاح واضربيه».

اعتدلت الأخيرة في جلستها ووجهت ضربة لعدوها ليأتيها صوت مراد عبر اللعبة: «أحسننت هيا تقدمي معي لنستكشف المزيد».

قالت نيللي: «أحب هذه اللعبة.. الحقيقة إنني أحببت الألعاب الإلكترونية بسببك».

جاءها صوته عبر اللعبة يقول: «بصراحة لا أصدق أنك لم تجربي أي لعبة إلكترونية من قبل.. تشعريني أنك كنت تعيشين في الأدغال، إن عصام وأنس الأكبر منك ومرام

الأصغر منك جربوا الألعاب الإلكترونية».

ردت نيللي وهي تقفز فوق أحد الأسطح في اللعبة لتلحق بالشخصية الافتراضية لمراد: «أنا كنت مشغولة بأمور كثيرة يا مراد صدقني لو قارنت حياتي بحياتك التي تعتبرها عذابا ستجدني عشت حياة أصعب منك بكثير، لا أنكر أن هذه الحياة الجادة ساعدتني في بناء شخصيتي وأكسبتني الكثير من المهارات لكنها كانت صعبة وأفقدتني كثيرا من اللحظات المهمة في حياتي».

فجأة شهق مراد وعبس وهو يتطلع في الشاشة فسألته نيللي بتوجس: «ماذا حدث؟».

رد بعبوس: «عصام وأنس يلعبان ويطلبان الانضمام لنا».

تفاجأت نيللي وغمغمت: «من؟!».

قال مراد بعد أن شتم من بين أسنانه: «منذ متى وهما يلعبان هذه اللعبة؟!».

«وهل ستدخلهما؟».

رد عليها بضيق: «ليس لدي مفر وإلا سيقتلاني في الواقع».

قالها ووافق على طلب الانضمام فجاء صوت أنس يقول بلهجة ساخرة: «مرحبا يا ابن العم الذي يكذب علينا ويدعي أنه يذاكر».

رد مراد بحرج: «أنا.. أنا في راحة قصيرة».

عبس عصام وسأل أنس: «من التي تلعب معه؟ نيلو؟! من نيلو؟!».

ثم رفع عينيه بذهول نحو ابن عمه الذي رفع له عينيه ليواجهه في اللحظة نفسها قبل أن يكتم الضحك وهو يرى تعابير وجه عصام ثم فتح الصوت يسأل بلهجة مسلية: «مع من تلعب يا مراد؟».

ضحكة خافتة جاءتهما من الأخير بينما ارتسمت ابتسامة مسلية على وجه نيللي وتطلعت في شخصية عصام الافتراضية بغيظ في الوقت الذي زفر الأخير وهو يدقق في الشخصية التي اختارتها في اللعبة لتلعب بها ولتلك التنورة القصيرة التي ترتديها الشخصية.

أغلق أنس ميكروفون اللعبة وقال له متهمًا: «أتعرف أن لديها بالفعل كفين مغريين يستحقان أن تغار عليها بسببهما».

ناظره عصام بغضب ثم ألقاه بوسادة الأريكة فأخذ أنس يضحك ليأتيهما صوت مراد يقول بلهجة جادة: «انتبهي خلفك يا نيللي استخدمى السلاح الثاني».

ألقى عصام سبة وقحة شاعرا بالغيظ فانفجر أنس ضاحكا وقال له منبها: «حاذر من أن يكون الميكروفون عندي مفتوحا يا غبي وتصدم ذات اليد المغرية بألفاظك الوقحة».

تعرضوا لهجوم مفاجئ فألقى أنس بالسيجارة في المطفأة وأسرع بالدفاع بينما صرخ مراد: «اذهب أنت للناحية الأخرى يا أنس.. وعصام لماذا يقف بهذا الشكل؟».

غمغم أنس بلهجة متهكمة: «غالبا أصيب بالشلل أو لديه تسلخات وغير قادر على التحرك معنا».

ناظره الأخير بنظرات تطلق الشرر ليقول مراد: «وأنت يا نيللي تعالي خلفي».

هاجمتها إحدى الشخصيات من الفريق المعادي فقفزت في الهواء وضربته بسيف كبير وأجهزت عليه، ليكتم أنس الضحك ويقول بلهجة متهكمة: «أووو! لدينا مهارات قتالية عالية».

بينما قال لها مراد مشجعا: «عاش يا وحش».

أما عصام فرفع زاوية شفته العليا بامتعاظ وظل يراقبها وهي تقاتل بضراوة ليضيف أنس مستمرا في استفزازه: «يذاها مميزاتان في استعمال السلاح فعلا يا أخي».

زمجر عصام وهم بترك مكانه والقفز عليه لكن صوت مراد العالي جاءهما يقول بعصبية: «نتعرض لهجوم أين عصام أين عصام لماذا يقف مكانه.. إن كنت لا تريد اللعب لماذا دخلت من الأساس».

فعاد الأخير مكانه وأسرع بتلبية أوامر أخيه الأصغر الأمر منه في قيادة الفريق في اللعبة.

الثانية والنصف بعد منتصف الليل

تقلب فوق الأريكة في صالة شقة الطابق السابع وحقق في السقف يفكر فيها وقد جافاه النوم، لقد عاد إلى البيت قبل ساعتين فلم يجد سوى مرام التي كانت تنزوي في الركن الهادئ من الصالة تتحدث مع أسعد في الهاتف، وحين خرج من غرفته بعد أن بدل ثيابه لملابس البيت وجد أنها قد دخلت غرفتها، حاول النوم ولم يستطع خاصة حينما أرسل لنيللي على الواتساب كلمة (آسف) وتأكد من أنها قد شاهدتها لكنها لم ترد، أمسك بالهاتف يتطلع فيه لربما أرسلت له شيئاً؛ لكنها لم تفعل لقد مرت ثلاث ساعات تقريبا على رسالته ولم ترد عليه هل نامت؟ كيف تنام قبل أن ترد عليه! ألا يكفي أنه قد تنازل واعتذر لها، لن ينكر أنه قد تجاوز في انفعاله لكن عليها أن تتفهم ضغط مشاعره وبأنه يغار عليها، فليصفه أنس بالجنون كما يحلو له لكنه غير قادر على كبج جماح تدفق مشاعره نحوها.

ألقى بالهاتف وعاد برأسه على الوسادة يحدق بالسقف من جديد ويحاول أن يتخيل سيناريو لعلاقته معها بعد أن تترك البيت، كما حاول تخمين حقيقة ما تحاول إخفاءه وتؤجل البوح به، سمع صوت باب إحدى الغرف يفتح فعبس ورفع رأسه يديرها نحو الممر ليرى من خرج ليستعمل الحمام، ثم اتسعت عيناه حينما لمحها تدخل المطبخ فانتفض واقفاً، تسالت نيللي بعكازها بهدوء حتى لا توقظ أحداً ودخلت المطبخ لتعد شراباً ساخناً ليهدئ من تقلصات بطنها التي اشتدت ومنعتها من النوم، وعبست حينما سمعت صوت

أقدام تقترب فاستدارت لتفاجأ بعصام يقف على باب المطبخ
وتسارعت ضربات قلبها فأسرعت توليه ظهرها.

تطلع في ظهرها بارتباك ودقات قلبه تدق كالأجراس في
صدره فسألها بخفوت: «نيللي هل أنت بخير؟».

هزت رأسها دون أن تجيبه فقال بالهمس نفسه: «ماذا
تفعلين؟».

تخرجت من القول إنها تحتاج لشراب ساخن في هذا
الوقت المتأخر حتى لا يسألها عن السبب الذي ستخجل من
ذكره فأجابت بخفوت: «كنت أشرب».

حينما أحست أنه لا يزال واقفا قررت العودة لغرفتها
فاستدارت تواجهه ليسألها بهمس: «لماذا لم تردي علي؟».

رفعت إليه مقلتين غاضبتين لأن لهما قلبه فتخلى عن
كبريائه وقال بخفوت متحشرج وهو يطالعها بنظراته القوية:
«أنا أرسلت لك اعتذاري».

استفزها فقالت بلهجة لائمة: «إن الأنسة (غير المحترمة) لا
تستحق منك الاعتذار بالتأكيد».

عبس وقال بخفوت مستنكر: «نيللي لا تفسري الكلام
لمعاني غير مقصودة».

قررت إنهاء النقاش فاقتربت لتخرج من الباب لكنه سد
الطريق بجسده، فرفعت مقلتيها الغاضبتين إليه ليقول
بمناغشة: «لن تمرى إلا بعد أن تسامحيني».

أسبلت أهدابها فتأمل جفنيها الواسعين وراودته مشاعر ملحة ليقبلهما؛ لكنه تحكم في ذلك الشعور وقال بهمس: «حديثي كان حديثا منفعلا ولم أقصد به المعنى الذي وصلك أبدا، لم أقصد بعبارة (الآنسة المحترمة) نعتك لا سمح الله بعكس ذلك، كان مجرد تعبير متهمك لا يقصد به أي إهانة، فإن كان هذا ما أغضبك مني فأنا أعتذر مرة أخرى».

رفعت جفنيها فكشفت عن حجرين لامعين من العقيق الأسود أمام ناظريه وهي تقول بانفعال هامس: «وانفعالك المبالغ فيه يا عصام».

صمت وتطلع فيها بوجه مائل ونظرات ذات مغزى فزاد من ارتباكها وهي تستشعر حضوره الرجولي العطر الذي يحاصرها، فزمت شفتيها في جلد تقاوم سطوة ذلك عليها ليقول عصام بخفوت حار: «ألم تفهمي سبب انفعالي؟!».

اشتعل وجهها وباتت أكيدة أنه قد أضحى كحبة طماطم ناضجة أمامه فتحكمت في مشاعرها وقالت بانفعال خافت: «لا لم أفهم ولن أفهم يا عصام وبعيدا عن أي مسؤولية عن نفسي وأعرف جيدا ماذا أفعل (ورفعت يدها) فلا أرى في هذا الكف ما يلفت النظر...».

شهقت بصدمة حينما التقط كفها ورفعته إلى شفتيه يطبع عليه قبلة، فتواجهت نظراتها المتسعة مع عينيه الدافئتين في صمت مرتبك وكفها لا يزال معتقلا في كفه لتقول بخفوت مصدوم وهي تحاول تخليص يدها: «عصام هل جننت؟!».

وضع كفها على قلبه الذي ينافس قلبها في الرقص المجنون
داخل صدره وقال بهمس حار: «ومن أفقدني عقلي غيرك؟».

على وقع ضربات قلبه الصاخبة تحت كفها وقعت عيناها
على الطوق الأسود حول معصمه فزاد ارتجاف قلبها كرفرفة
يمامة تطلب التحرر من قفص وازداد زخم المشاعر بينهما
بشكل متسارع ومجنون، فحررت نيللي يدها من كفه الدافئ
وهي تقول: «أنت تتعجل الأمور يا عصام».

أبقى كفه الخالي من يدها على قلبه وهو يجيبها بحرارة:
«مشاعري هي التي تتعجلني وأنت تعذبيني وأنا عالق
بينكما».

كانت تشعر بالضعف فقررت الهرب بمحاولة تجاوزه
للخروج؛ لكنه حاصرها بجسده دون أن يلمسها بوقوفه
عند الباب يسد عليها الطريق فهمست بارتجاف وهي ترفع
أنظارها الغاضبة إليه: «عصام دعني أمر من فضلك».

رد بصوت أكثر خفوتا وخلايا جسده تجن لاستشعار دفء
جسدها القريب: «ليس قبل أن تسامحيني».

تعانقت العيون وارتجت القلوب بعنف فخيم صمت ساخن
عالي الأنفاس استسلمت فيه نيللي لجاذبيته ووقعت أسيرة
لنظراته القوية، تقاوم فكرة مجنونة تدفعها لأن تتوسل
لحزن حزن تشتاق إليه طوال عمرها حزن كانت في أمس
الحاجة إليه لحظتها.

أما عصام فوقف على شفا الاستسلام.. الاستسلام لهوى

النفس وفورة المشاعر وإلحاح الرغبة الحارقة في.. افتراسها.
اقترب أكثر وتسارعت أنفاسه أكثر فمال عليها يدقق في
وجهها عن قرب يقبله بنظراته ويصارع سطوة المجهول في
مقلتيها، قبضته مضمومتان بقوة بجانب جسده وشفته
تتوقان لتذوق شفتيها المكتنزتين وتلحان لتحرير الرغبة
المسجونة بداخله، فكانت أنفاسه تلفح وجهها وحرارة جسده
الذي لا يلمسها يغويها بلذة الاستسلام، فأدركت نيللي أنها
أضحت مشلولة الأطراف وأن حضوره يزداد قوة وسطوة
عليها، خاصة حينما راقبت يده التي رفعها ببطء وأدخل
بطرف إصبعه خصلة فوق جبينها تحت حجابها.

«عصام».

خرج اسمه همسا من شفتيها خرج من بين صخب القلوب
العالي وخدر الأنفاس المتبادلة ولم يفهم عصام إن كان
اعتراضا أم دعوة لتحرير المشاعر زجرا أم توسلا.. رفضا
أم موافقة؛ لكن كلا الأمرين حفزا عقله ليستفيق ويحتكم
لضميره فيبذل جهدا ليعتدل من وقفته المائلة عليها قبل أن
تخرج الأمور بينهما عن السيطرة.

عيناه وأنفاسه العالية فضحتا الحرب الضروس التي كان
يخوضها لحظتها وهو يناولها العكان، فأيقنت نيللي خطورة
اللحظة وأجبرت جسدها المخدر على التحرك بسرعة عائدة
نحو الغرفة وهي توبخ نفسها على استسلامها وتسمرها
أمامه، فراقب عصام ابتعادها ومنع نفسه بقوة من اللحاق

بها حتى دخلت وأغلقت الباب خلفها، فأصبحت خارج نطاق سيطرته ليسرع هو نحو الحمام ليطفئ لهيب مشاعره التي خرجت عن السيطرة.

في اليوم التالي

دخل عصام مع والده وأخيه عائدين من صلاة الجمعة وتفحصت عيناه الصالة يبحث عنها؛ لكنه لم يجدها فازداد قلقه الذي يضايقه طوال الليل من ردة فعلها على ما حدث بينهما ولا يعلم حتى الآن كيف ضعف وغلبته مشاعره بهذا الشكل المنفلت ولا كيف استطاع السيطرة على نفسه بعد ذلك، بحث عن مرام ليسألها عنها للمرة العاشرة لأنها لم تخرج ولم تشاركهم طعام الإفطار، وقد أرسل إليها أكثر من مرة خلال الليل وفي الصباح لكنها لم تر رسائله.

أسرع للمطبخ يبحث عن أخته فتفاجأ بخروج نيللي منه فارتد عدة خطوات للخلف وكأنه يعلن عن حسن نيته، فاحتقن وجه نيللي وأطرقت برأسها بحرج شديد

لقد قضيت ليلتها توبخ نفسها على حالتها المستسلمة أمامه ليلة أمس، فلم تشهد في نفسها ضعفا كهذا من قبل واعترفت بضرورة مغادرتها لهذا البيت في أسرع وقت فوجودهما معا في المكان نفسه سيجلب عليهما الكثير من لحظات الضعف.

همت بالعودة للغرفة التي تخرجت من الخروج منها صباحا، فقال عصام من عند الممر: «نيللي أرجوك لتتحدث لدقائق».

تطلعت فيه ثم شجعت نفسها على المواجهة فرفعت ذقنها وتحركت نحوه لبيتعد هو أكره وكأنه يحافظ على مسافة آمنة بينهما حتى جلست على أول مقعد قابلها في الصالة تركز العكاز بجانبها، بينما وقف عصام عند طاولة السفارة، بادرتها روح بالقول: «لماذا لم تتناولي الفطور معنا؟».

ابتسمت لها وردت بدبلوماسية: «كنت مريضة وتأخرت في الاستيقاظ».

فدقت روح في ملامحها وقالت: «هل سيتورم وجهك مجددا وتتحولين لوحش؟!».

لم ترد نيللي في الوقت نفسه الذي ابتعد عصام للركن البعيد شاعرا بالخرج من التحدث معها في وجود الجميع، وأشار لها أن تنظر في هاتفها فأخرجته من جيب بنطال البيت الرياضي الواسع الذي ترتديه تحت سترة طويلة بعض الشيء تغطي رديفها وتطلعت في الهاتف وقرأت ما أرسله لها طوال الليل وقد تعمدت ألا تقرأه في حينه عقابا لنفسها على ضعفها، كان قد كتب لها يناديها تارة ويسألها سؤالا متكررا تارة أخرى: «هل أنت غاضبة مني؟».

وها هو يكرر السؤال عندما أرسل لها: «نيللي هل أنت غاضبة مني؟».

كتبت بضيق: «ماذا تعتقد أنت؟ هل فعلت ما يستحق غضبي؟».

نظر في الهاتف ثم رفع أنظاره إليها يناظرها عبر الصالة وتلاقت الأعين فاشتعلت الوجوه على ذكرى الليلة الماضية ليكتب عصام مجادلا: «نعم ولا».

«لا!».

ابتسم لها بحرج ثم كتب مراوفا: «أخبريني ماذا فعلت؟».

كانت معترفة أنها تشاركه في ضعف تلك اللحظات وأنه لولا بقايا تعقل، والتزام ديني وأخلاقي منه ومنها لتطور الأمر لما أبعد من ذلك فكتبت نيللي: «أرى أننا لا يجب أن نبقى في مكان واحد بعد الآن، فهلا أخذتني اليوم بدلا من الأحد لأي طبيب عظام لا كسر الجبيرة ثم أرحل».

وكان المتبقي كان وقتا طويلا تريد أن تحرمه منه فكتب بسرعة: «نيللي أرجوك أنا أعذر لو تجاوزت في حقك.. وأؤكد لك أنك عندي أغلى من حياتي أنا لست مستهترا يا نيللي ولا ألعب ببنات الناس، والحمد لله أخاف الله وأخاف على أختي من أن يرد لي فيها ما قد أفعله بنية سيئة في الأخريات».

كانت عباراته تتدفق بتسارع أمامها على شاشة الهاتف فقرأت ما كتبه ولم تجد ما تقوله، فهي الأخرى يؤلمها الفراق، فرفعت أنظارها إليه تتأمله وهو لا يزال يكتب وعادت تنظر في الشاشة لتجده يقول: «ليلة أمس كانت لحظة ضعف قبلت فيها يدك لا أكثر وأعدك لن تتكرر لحظة ضعف تجاوزت فيها حدودي تحت ضغط مشاعري لكني لن أكررها هذا وعد».

ظلت صامته نظراتها تتأرجح بين الشاشة وبين صورته البعيدة، وتلاقت عيناها في صمت عبر الصالة ليعود عصام ليكتب: «سامحتيني؟».

كانت أضعف من ألا تسامحه؛ لكنها وضعت الهاتف في جيبها بحركة عصبية وأشاحت بوجهها بتدل تزم شفيتها فعبس عصام، بينما خرجت مرام من الشرفة بعد أن انتهت من نشر الغسيل تقول لنيللي بعد أن مررت نظراتها بينها وبين عصام: «من الجيد أنك نهضت من الفراش ساعد لك الفطور».

فقالت نيللي بسرعة: «سلمت يدك أنا سأعده لنفسي». خرج مراد من الحمام يجفف شعره المبلل بالمنشفة فعبست مرام وسألته باندعاش: «لماذا غسلت شعرك ألم تستحم قبل ذهابك لصلاة الجمعة؟!».

قال لها بمراوغة: «ها.. لا شيء زيادة في النظافة».

عوجت شفيتها وناظرته وهو يتوجه نحو عصام ويميل عليه هامسا وراقبت التعبير المرتسم على الوجه الثاني ولمعان عينيه وتبادلها الهمس، فأشاحت بيدها ودخلت المطبخ وتبعتها نيللي التي وقفت تصنع لنفسها فطورا خفيفا فسألته مرام: «هل تشعرين بالتحسن؟».

هزت نيللي رأسها وقالت بإرهاق: «يوم أمس رأيت حلما مفزعا ما زال يضايقني كلما تذكرته».

تمت مرام: «خيرا إن شاء الله».

هزت نيللي رأسها تقول: «لا أريد أن أتحدث عنه».

طمأنتها مرام: «لا تشغلي بالك به».

صفر هاتف نيللي فأخرجته من جيبها وتطلعت في المقطع الصوتي الذي أرسله لها عصام ثم زفرت تدعي التأفف، بينما قلبها يمارس هوايته في الرقص كلما تعلق الأمر به، فراقبتها مرام التي لا تعرف ما الذي يحدث بينهما وهل تصالحا بعد شجار الأمس أم لا، فقد طَيب أخوها خاطرها على الإفطار بعد أن وبخها على فكرتها هي ونيللي ووعدها أنه سيساعدها في تصوير بضاعتها بشكل احترافي.

وضعت نيللي السماعات الخارجية في أذنها وأعادت الهاتف لجيبها تستمع للأغنية التي أرسلها عصام وهي تحافظ على جدية ملامحها، بينما غناء عبد الحليم يتسلل إلى شغاف القلب ويتحول لمعان غير مسبوق من الإبداع والروعة في أذنيها.

قولي حاجة

أي حاجة

قول بحبك

قول كرهتك

قول وما يهمكش حاجة

قولي عايزك

قولي بعثك

بس قولي أي حاجة

يا حبيبي

أحست مرام من مراقبة تعبيرات وجهها أن عصام قد أرسل لها شيئاً مسموعاً على الهاتف فابتسمت ولم تعقب؛ لكن أصابتها هذه الحالة من الهيام بين هذين الاثنين بالسعادة ومجدداً أشعرها ذلك بافتقادها لشيء ما في علاقتها مع أسعد.

بعد قليل خرج عصام من الحمام يجفف شعره فاتسعت عينا مرام وقالت باندعاش: «أنت أيضاً غسلت شعرك وقد اغتسلت قبل صلاة الجمعة؟!».

هز عصام رأسه وهو يعدل من شعره المبلل بأصابعه للخلف فهتفت مرام: «مرة أخرى!».

هز رأسه وعيناه تخطفان نظرة نحو نيللي الجالسة ترشف من كوب الشاي تتابع الحديث الدائر وطرف السماعه في أذنها تعيد الأغنية، ثم ارتسمت ابتسامة شقية على شفثيه وقال لأخته: «النظافة من الإيمان يا أختاه».

وقفت مرام متحصرة في وسط الصالة تطالع أخويها بعينين ضيقتين تحاول فهم ما يحدث بينهما وقد استرعى المشهد انتباه الجميع بما فيهم عارف، الذي ترك ما يقوم

به في الشرفة من العناية بنباتاته ووقف يتطلع في ولديه الذين قابلا بعضهما يضربان كفيهما ببعض ليقول مراد غامزا: «رائحتي رائحة شمني».

قرب عصام أنفه من أخيه يقول مؤيدا: «يستحق ثمنه فعلا».

قال مراد: «رائحتك أنت أيضا مذهلة (ولمس شعره مضييفا) وشعرك ناعم».

غمغم عصام بلهجة ذات مغزى: «المرء منا يحتاج لنوع غال الثمن كهذا ليبدو شعره رائعا أمام الزميلات في الشركة».

زمت نيللي شفتيها، بينما اتسعت عينا مرام وشهقت ثم استدارت تسأل نيللي: «هل أخفيت الشامبو مكانه بعد استعماله؟».

اتسعت عينا الأخيرة وقالت بارتباك: «لا أذكر».

أسرعت مرام نحو الحمام بينما علت ضحكات عصام ومراد لسمع الجميع صرخة مرام من الحمام فانفجرا الأخوين بالضحك.

تطلعت نيللي فيما يحدث ولم تعرف هل تشاركهما أم تشفق على صاحبتهما التي خرجت بالعبوة فارغة تقول صارخة: «لقد كانت نصفها هل شربتماه؟!».

رد عصام ببراءة مزيفة: «لا غسلت به جسدي وشعري لأن رائحته مذهلة».

ظهرت أعراض الذبحة الصدرية على وجه مرام وطالعه
والجنون يشتعل في مقلتيها، بينما أسرع نيللي تقول بحرج
شديد: «أسفة مرام أسفة جدا سأشتري لك عبوة جديدة».

نظرت إليها الأخيرة تقول بغیظ: «وهل المشكلة في
العوض أم في خسارة ثمن العبوة الغالي في الهواء بسبب
استهتارهما».

غلظت قهقهات أخويها بضحكات شريرة متشفية ليقول
مراد: «هذا انتقامنا لأنك تخفينه عنا».

صرخت فيهما: «أنتما مستهتران سأقتلكما اليوم إن لم
تأتيا بي بعبوتين تعويضا وليس عبوة واحدة».

ضحك عارف بينما تابعت نيللي الموقف وهي تمنع نفسها
من الضحك تضامنا مع مرام وشعورا بالذنب، لتتدخل روح
هادرة: «عصام يفعل ما يحلو له يا مرام».

استدارت إليها الأخيرة تناظرها باستنكار والجنون يتراقص
في عينيها في الوقت نفسه الذي اهتز البيت بصوت طرق
قوي متتابع على الباب أفزعهم جميعا فأسرع عصام عابسا
نحو الباب يقول بعصبية وهو يفتحه: «ما هذا؟!».

ثم تسمر متفاجئا حينما وجد أمامه ضابط شرطة ومعه
عدد من العساكر يقول له: «هل أنت عصام عارف؟!».

الفصل الثالث عشر

«يقول المتشائمون إن زارهم الفرح (اللهم اجعله خيرا) ويقول المتفائلون إنه للطف من الله أن نفرح قبل أن نحزن، وفي كل الحالات لا مفر من القدر فصبر جميل».

«هل أنت عصام عارف؟» قالها الضابط فعقد الأخير حاجبيه وأجاب: «أجل أنا هو».

نظر الباكون لبعضهم فأسرعت مرام بسحب إسدالها وارتدائه وقد سقط قلبها بين قدميها كالآخرين، بينما قال الضابط بلهجة مهنية: «نبحث عن نيللي شرف الدين وأنت آخر من شوهدت معها».

تفاجأ عصام واتسعت عيناه مرددا: «تبحثون عن نيللي؟!».

قفز قلب نيللي ليضرب في سقف حلقها والتقطت عكازها وهي تقول بسرعة ودون تفكير: «أنا نيللي شرف الدين».

استدار عصام بعينين مندهشتين يتطلع فيها وهي تقترب بعكازها وتقف إلى جواره قائلة: «تفضل يا حضرة الضابط أنا نيللي ماذا حدث؟».

ألف فكرة وتخمين عصفوا بذهنها في العواني التالية والضابط يسألها: «أنت نيللي باهي شرف الدين؟».

ردت الأخيرة بلهجة واضحة: «نعم أنا».

«هل معك ما يعجب هويتك؟».

ردت بسرعة: «لا للأسف فقدت كل شيء في حادث سير كما ترى (قالتها وهي تشير على ساقها وأضافت وهي تخشى من الإجابة) لماذا تسأل الشرطة عني؟».

«عمك مهدي شرف الدين قدم بلاغا باختفائك».

قبل أن تفتح فمها جاء صوت مألوف لها من خلف الواقفين عند الباب يقول لاهما: «نيللي حبيبة عمك».

صدمة وجود عمها هنا في بيت عارف كانت عليها أشد من سؤال الشرطة عنها، فقالت لمهدي الذي ظهر يلهث من صعود السلم واخترق الواقفين: «ما الذي تفعله هنا؟ ولماذا الشرطة؟!».

شعر مهدي بالانتصار لعتوره عليها وبالنشوة وهو يرى وجهها الهاربة منه الدماء وبالغیظ لرؤيتها حية؛ لكنه لم يكن يرغب في تفويت هذه اللحظة عليه حتى إنه استطاع بعلاقته بذلك العميد أن يعرف موعد خروج قوة الشرطة للبحث عنها في العنوان الذي أخبرهم به وقابلهم بالقرب من المكان مدعيا قلقه الشديد على ابنة أخيه فرد عليها وهو يلتقط أنفاسه: «أ كنت تريدین أن تختفي فجأة ولا أبلغ الشرطة يا ابنة أخي؟!».

سأله الضابط: «هل هذه نيللي يا سيد مهدي؟».

رد الأخير: «أجل يا حضرة الضابط».

كان آل عارف متسمرين يشاهدون ما يحدث بذهول في الوقت الذي صعد فيه أنس من شقته مفزوعا وهو يقول للواقفين عند الباب: «ماذا يحدث هنا؟!».

لم يجبه أحد إنما وجه الضابط لنيللي سؤالا وهو يتفحص الوجوه أمامه بعد أن خطا خطوتين ليصبح داخل الشقة: «وماذا تفعلين هنا يا آنسة نيللي؟».

كانت الأخيرة تبذل مجهودا للتماسك ليس فقط بسبب ظهور عمها غير المتوقع؛ لكن للصدمة الظاهرة على وجوه آل عارف فأجابت بصلافة تحسد عليها: «أنا هنا عند عائلة صاحبتني بعد أن تعرضت لحادث».

قالتها وهي تشير لساقها المجبرة مرة أخرى ، بينما أدخل أنس ابنته التي تراقب ما يحدث بفضول مخترقا العساكر الواقفين وأشار لها هامسا أن تبتعد إلى حيث تقف روح تتابع من بعيد ما يحدث بعينين قلقتين ليسأل الضابط نيللي: «إذن أنت هنا بإرادتك الكاملة؟».

هزت رأسها مؤكدة: «أجل بإرادتي الكاملة».

استدار الضابط يقول لمهدي: «تمام مهمتنا انتهت يا مهدي بك ولا يوجد أي شبهة خطف كما كنت تظن، أرجو أن تمر علينا أنت والأستاذة لاستكمال باقي الإجراءات التي تخص البلاغ المقدم منك (ونظر لآل عارف) نعتذر عن الإزعاج».

غمغم مهدي وذهنه مشغول بالخطوة المقبلة: «شكرا جزيلا وتحياتي للعميد بكر (وراقب مغادرة الضابط مع مرافقيه

ثم استدار لنيللي التي لا تزال تلجمها الصدمة يقول بلهجة تمثيلية واضحة) ما هذا يا نيللي وما الذي تفعلينه هنا في هذا المكان؟».

راقب الواقفون ما يحدث بينها وبين عمها وتحفز عصام حين شاهد وجهها الغاضب وهي تجيبه: «ما الذي تفعله أنت هنا؟ ولماذا الشرطة؟!».

بلهجة غامضة لم يفهمها سواها قال مهدي: «خفت من الشرطة يا بنت أخي؟!».

تنحج عارف وتدخل يقول بدبلوماسية وهو يمد يده للسلام: «أهلا وسهلا سيد مهدي تفضل أنا عارف شلتوت».

تطلع مهدي في يد عارف بنظرة متعالية وتجاهلها ينظر لنيللي قائلا: «هيا نرحل من هنا فوراً ولنا معا كلام مهم».

لاح الخطر على وجه عصام حينما تجاهل مهدي يد والده الذي أنزلها بهدوء، بينما وقف أنس كعادته يلتقط الإشارات ويحلل كل التفاصيل وردود الأفعال أمامه لتقول نيللي بضيق وبذقن مرفوع: «أجل كلامك فأنا لن أذهب إلى أي مكان الآن».

لشعوره بضيق نيللي تحامل عارف على إحساسه بالإهانة وغلبت عليه حكمته فقال لمهدي: «أنا أرى أن نتفاهم يا...».

قاطعه مهدي يقول باستنكار متعال: «أتفاهم مع من؟! (ونظر لابنة أخيه) من هؤلاء يا نيللي؟!».

تقدم عصام ليقف بجوارها يقول بلهجة عدائية: «أنا أحاول أن أتحكم في أعصابي لكن يبدو أنني سأفقدتها».

ناظره مهدي باستنكار بينما أسرع نيللي بالقول: «عصام لو سمحت (ونظرت لعمها آملة في احتواء الموقف وهي تقول) عمي أرجوك ليس هذا الوقت أو المكان المناسب للحديث بيننا».

قال مهدي بعصبية: «إذن هيا بنا إلى البيت».

لم تكن على استعداد بعد للمغادرة فعليها أن توضح لآل عارف ما حدث فتقبضت إلى جانبيها تقول بلهجة صارمة: «ليس الآن».

هتف مهدي منفعلا: «والشركة التي تتركينها تغرق وتختبئين هنا كالفأر؟!».

ضيق أنس عينيه بينما لاحت التساؤلات على الوجوه الباقية لتسرع نيللي بالقول والضغط يزداد على أعصابها: «عمي من فضلك قلت سنتحدث فيما بعد..تفضل أنت الآن وأنا سألحق بك خلال ساعات».

كان مهدي قد نفذ رصيده من الصبر وخشي من أن تهرب منه مجددا فهدر مهددا: «نيللي.. لا تضطرينني لأخذك بالقوة».

نفذ رصيد عصام هو الآخر من التحكم في أعصابه فتقدم يقف أمامها فأصبح بينها وبين عمها وهو يقول بنظرات

خطرة: «أرني كيف ستأخذها بالقوة؟».

صاح مهدي منفعلا: «ابتعد عن وجهي ما دخلك أنت؟!».

رد عصام بتحد شرس الملامح: «دخلي أنها في بيتنا وفي حمايتنا.. تريد أن تجلس وتتكلم أهلا وسهلا بك غير ذلك...».

أسرعت نيللي بالقول وهي تخرج من خلفه وتقف بجواره: «عصام من فضلك هلا أعطيتني فرصة معه لو سمحت؟ (واستدارت لتقول) عمي..».

قطعت عبارتها حينما وجدت مهدي يقول في الهاتف: «اصعد فورا».

اقترب عصام منه قائلا بتهديد: «من الذي سيصعد؟!».

أسرع أنس بالإمساك بعصام بعد الإشارة لمراد الواقف يراقب الجميع بأن يدخل جدته وزينة ومرام للداخل، حين شعر أن الموقف على وشك التأزم، بينما قال مهدي لابنة أخيه: «إن كنت لا تريدين أية فضائح تعالي معي بالحسنى».

من فوق كتف أنس الذي يمنعه من التقدم هدر عصام بشراسة: «نيللي لن تتحرك من هنا وأرني ماذا ستفعل».

حاول أنس الهمس لعصام بأن يتماسك أمام استفزاز الرجل لكن مهدي لم يعطه الفرصة حينما صاح بانفعال: «من أنت لتتدخل بيني وبين ابنة أخي؟!».

هتف عصام بحمائية وأنس يجبره على التقهقر للخلف: «هي في حمايتنا ولن نسمح بأن تجبرها على أي شيء ضد

رغبتها».

تدخلت نيللي التي لم تعد تعرف كيف تهدئ الوضع الذي اشتعل: «عصام من فضلك أعطني فرصة لأتحدث معه».

تاه صوتها وسط دخان الغضب الذي عم المكان خاصة حينما صاح مهدي مهددا: «اسمع.. من أجل مصلحتك ومصلحة عائلتك لا تتدخل.. هذا آخر تحذير لك».

قال عارف لمهدي: «لا يصح ما تقوله يا سيد مهدي؟!».

مجددا تاهت الأصوات المهدئة بين الأصوات المنفصلة فدفع عصام ابن عمه عنه وهو يقول غاضبا: «هل تحذرنا في بيتنا؟!».

«أوامرك مهدي بك».

قالها أحدهم من عند باب الشقة وظهر رجل ضخم فهدر عصام وقد جن جنونه: «ما هذا!! هل وصل الأمر لأن تحضر لنا بلطجية؟!».

هدر أنس في مراد الذي فشل في إدخال جدته وأخته وزينة: «قلت يذهبن للداخل فورا يا مراد».

بينما أسرع نيللي تقف أمام عصام قائلة وقد خرج الوضع عن السيطرة: «عصام من فضلك اهدأ وأنا سأتصرف».

في الوقت الذي استدار أنس يقول بصرامة: «دعنا نتفاهم يا سيد مهدي».

قال مهدي بغضب: «أتفاهم مع من؟ من أنتم وما دخلكم؟!». تجاهل عصام نيلى وتحرك يحاول إغلاق باب الشقة؛ لكن الرجل التابع لمهدي منعه وهو يقول لعصام بهدوء: «لا تجعلنا نستخدم العنف معكم».

هتف عصام وهو يحاول دفع الباب بكل قوته ليغلقه: «أريني كيف ستستخدمه».

جاء صوت روح التي يحاول مراد ومرام إقناعها بالدخول لغرفة مرام: «اتركوني لأرى ماذا يريد منا أولاد الكلب».

هدر أنس في مهدي: «من الواضح أننا سننادي على الشرطة التي غادرت للتو».

أسرعت نيلى تقول: «عمي من فضلك تحدث معي أنا».

لم يكن مهدي يتوقع أن يدافع أحد عن نيلى بهذا الشكل فهدر غاضبا: «كيف أتحدث معك وهم يتدخلون.. بل كيف أتحدث معك وأنت مختبئة هنا والشركة تغرق ماذا أقول لبقية الشركاء؟ وماذا أقول لمن سيسألنا لماذا أفلستم؟.. أقول إن مديرة الشركة تختبئ هنا وتتسامر مع أصحابها بكل استهتار».

«شركة؟ أية شركة؟!» قالها أنس بعدم فهم بينما اخترق ما قاله مهدي أذن عصام وأخرجه من هياجه فتجمد واستدار يتطلع فيها تاركا الباب مفتوحا لتسرع نيلى بالقول بسرعة: «أنا آتية معك يا عمي أرجوك لا أريد أن...».

ضاع حديثها حينما قال أنس لنيللي بلهجة ساخرة تحمل في طياتها الخطر بعد أن تبادل النظرات مع عصام الواقف متسمرا عند الباب: «هل لدينا مديرة شركة في بيتنا؟!».

التقط مهدي نظرات أنس المتفاجئة ورغم عدم فهمه وجدها فرصة لزعزعة دفاعهم عنها فقال موضحا: «ما هذا؟ ألا يعرف أصدقاؤك أنك مديرة شركة (YZ) للأدوية؟!». غمغم أنس بصدمة: «شركة ماذا؟».

دارت نيللي ارتباكها وقالت بصرامة: «عمي يكفي هذا أنا آتية معك».

لمعت عينا مهدي بانتصار ليس فقط لأنها ستغادر معه؛ لكن لتلك النظرات المذهولة التي يتبادلها الواقفون خاصة حينما خرج صوت مرام مصدوما والتي كانت تتابع ما يحدث بخوف شديد على أسرتها وعلى نيللي: «أنت مديرة شركة؟!».

استدار أنس يتطلع في صدمتها بتدقيق بينما نظرت نيللي لعصام وهالها ما رآته على وجهه وهو يقف كتمثال من الشمع ينظر إليها بصدمة.

(كذبتِ عليّ؟!)

(لم أكذب.. أنا أخفيت عنك فقط).

(كذبتِ عليّ يا نيللي؟!)

كان هذا فحوى حديث العيون غير المنطوق بينهما.. فتمنت نيللي لو يمنحوها بضع دقائق لتخبره بما أخفته عنه.. لتخبره

أن الصدمة في عينيه تؤلمها.. لترتجيه ألا يسرع بوضع كبريائه حائلا بينهما.

أتى صوت أحد الجيران الذين سعدوا لمعرفة ماذا يحدث يقول وهو ويتخطى الرجل الضخم الواقف ويدخل تاركا الباقين أمام الباب: «ماذا يحدث يا حاج عارف؟ يقولون إن الشرطة سألت عنكم ومن هؤلاء؟».

شعرت نيللي أن الوضع سيتحول لفضيحة لآل عارف فقالت بلهجة حاسمة: «هيا بنا يا عمي أرجوك.. أنا آتية معك فوراً».

تحرك الأخير شاعرا بالانتصار وتحركت هي بضع خطوات حتى وصلت للباب الذي ابتعد عنه الجميع عدا ذلك التمثال المتقبض الذي يتابعها بمقلتيه والصدمة تشل أطرافه، فمرت من أمامه وتشبث به قلبها فتلاقت النظرات لعوان جاهدت هي فيها كي تتركه وتجبر نفسها على الاستدارة لتقول لعارف الذي يتابع في صمت: «كنت أظن أن الوداع سيكون بشكل مختلف؛ لكن حان وقت الرحيل فجأة.. سأفسر لكم كل شيء فيما بعد (ومررت أنظارها بين مراد وأنس مضيئة) وأرجو أن تعطوني الفرصة حينها لقول ما أريد».

انتهت نظراتها عند مراد وتغضنت ملامحها لعانية حينما رأت الدموع في عيني الأخرى ولم تجد ما تقوله لها فاستدارت تقول لعمها: «هيا بنا».

«هل أنت متأكدة من رغبتك في الذهاب معه؟».

قالها أنس متخليا عن صدمته بعد أن تطلع في عصام

بشفقة فاستدارت إليه نيللي تجيب بصلافة: «أجل لا تقلقوا علي».

وارتعشت عضلة في خدها رغم قوة تماسكها وهي تقول بصوت متهدج: «شكرا لكم على الأيام الماضية... و.. سامحوني».

استدارت بسرعة تعرج بعكازها مخترقة الجيران الذين تبدو عليهم علامات عدم الفهم ولحق بها عمها وحارسه لتكتشف بعد أن نزلت بضع درجات بصعوبة رافضة لأن يساعدها أحد أن هناك المزيد من الرجال التابعين لعملها يقفون على السلم في انتظار إشارة من مهدي، ففتحت هاتفها وأرسلت رسالة لجودت عابدين.

ظل مراد واقفا عند الممر يمنع بذراعه مرام وزينة من الخروج، بينما وقف عارف مع الجيران يحاول أن يخلق قصة لتجيب على تساؤلاتهم الفضولية؛ لكن روح لم تترك له الفرصة حينما انتابتها موجة هستيريا جعلتها تلقي بالسباب الغاضب بشكل متواصل موجه لمهدي ورجاله الذين رحلوا، فقال عارف للواقفين معه بحرج: «لا تؤاخذونا أنتم لستم أغرابا تعالوا لنقف بالخارج حتى تهدأ الحاجة».

قال أحدهم: «تعالوا لنجلس عندي في الدور الثامن كي تهدأ أعصابك يا أبا عصام».

كان الأخير يعلم أن الفضول سيأكل الجيران وأن عليه أن يخلق لهم قصة فورية حتى لا يثير ما حدث اللغط، لهذا

أطاع الرجل وتحرك معه وهو يفكر فيما سيخبرهم به ، بينما أخذ أنس يهدئ من حالة جدته الهستيرية، التي لا تزال تلقي بالسباب الغاضب بينما عيناه تراقبان ما يحدث بذهن يقظ فتلاقت عيناه بعيني مرام ثم تطلع بقلق في عصام الذي يقف متخشبا لا يسمع لا يرى لا يتكلم؛ لكن رأسه وصدره سينفجران من تدافع الأفكار والمشاعر.

نيلى مديرة شركة؟! مديرة؟! ليست موظفة إنما مديرة شركة؟! وكذبت عليه..

الآن فهم لماذا كانت ترفض إخباره عن تكون، إنها كاذبة.. كاذبة.. وعمها هذا رجل متعالٍ وعديم الأدب أخذها بالقوة ورحل.

تطلع حوله في المكان بنظرات ذاهلة يصعب عليه التصديق، لقد أخذ نيلى..وهي رحلت معه.. استسلمت له بكل سهولة ورحلت..كيف تفعل ذلك بعد أن كانت تهرب منه؟! وما حجم المشكلة التي تحدث عنها عمها التي لا يذكرها؟ إنه لا يذكر شيئا مما قاله هذا الرجل إلا عبارة (مديرة الشركة) وإصراره على أن تغادر معه. انتفض قلبه رغم صدمته الشديدة وألمه، انتفض قلبه في صدره وغلبه شعوره بالخوف عليها وعلى مصيرها ورغم نزع كبريائه انتصر ذلك القلب اللعين وسيطر عليه القلق.

إلى أين سيأخذها؟ ومما هي تهرب بالضبط؟! ولماذا وافقت الآن ورحلت؟! هل سيؤذيها؟! هل تحتاج للحماية من هذا

الرجل؟! إنه يبدو عديم الأخلاق.. أيمكن أن يؤذيها؟! أمن الممكن أن يطلب من رجاله أن يؤذوها؟!

دفعه القلق للتحرك أخيرا فاندفع يترك المكان مهرولا على السلم ولم ينتبه لأم بيسو التي نادته وهي تطل من باب شقتها الموارب تقول بخوف: «ماذا يحدث يا عصام؟».

لكنه لم يرد كان يركض فوق السلم يطير.. يطير مع عقله وقلبه ليلحق بها.

تحت البناية خرج عصام مسرعا يبحث حوله يمينا ويسارا وقلبه يكاد يكسر عظام صدره من الصخب، فلمح من بعيد سيارتين من ماركة غالية الثمن تبتعدان فأسرع يهرول خلفهما لكنهما كانتا سريعتين في الابتعاد ولم يعلم أن نيلى قد أدارت رأسها وراقبته من جلستها بجوار عمها في المقعد الخلفي ، وأنها لم تدر وجهها إلا بعد أن اختفى عن أنظارها فعادت تنظر أمامها قبضتها فوق ركبتيها تضمهما بقوة وهي تخبر نفسها بصلابة: «تماسكي.. ليس هذا وقت الانهيار».

ظل عصام واقفا لوقت لا يعلمه يتطلع في أثرها وفي الشارع من حوله تائها، إنه يكاد أن يصاب بذبحة صدرية وهو يشحذ تفكيره أين من الممكن أن يبحث عنها فتطلع للسماء يهمس برجاء وتذلل: «ألف بي يا رب واحفظها».

وعلى ما يبدو أنها كانت ساعة استجابة لأن هاتفه اهتز في جيب بنطاله البيتي فأخرجه يتطلع في الرسالة التي أرسلتها تقول: «لم تتح لي الفرصة لإخبارك بما كنت أخفيه

عنك..أريد فقط أن أقول لا تقلق بشأنى أنا قوية وسأكون بخير..سنتحدث فيما بعد وأرجو أن تسمعني وقتها».

فجز على أسنانه وقد عاد إليه غضبه منها فقبض على الهاتف بقوة حتى كاد أن يكسره في يده.

«لا أفهم» قالها أنس لمرام باستجواب فأجابت بعصبية: «ما الذي لا تفهمه يا أنس؟!».

تطلع مراد فيهما، بينما رد الأخير وهو يقف أمامها في الصالة متخصرا: «لا أفهم كيف أنها صاحبتك ولا تعرفين أنها مديرة شركة أدوية كما أنك قلت إنها كانت أيام الجامعة مغتربة في العاصمة وهي أخبرتنا أنها تعيش في مدينة أخرى ثم تفاجأنا أن مقر شركتها هنا في العاصمة؟!».

بلعت ريقها وارتبكت متفاجئة بالسؤال بينما أكمل أنس: «نيلى كذبت ولها أسبابها التي لا نعرفها؛ لكن أنت لماذا تكذبين؟».

هتفت بعصبية تقول بمراوغة: «لا أفهم ماذا تريد؟!».

أشار لزينة أن تذهب للداخل فأطاعت على الفور من الحالة الجادة التي بدا عليها والدها، بينما عاد أنس يقول لابنة عمه بهدوء خطر: «أريد أن أعرف قصتك مع نيلى، هناك أمر غير مريح في ظهورها فجأة في حياتك وتلك الكذبات المتتالية التي أخبرتنا بها (وقال بلهجة خطيرة) لماذا تضطرين للكذب؟

هناك حلقة مفقودة ولن أتزحزح حتى أفهمها يا مرام».

ظلت تتطلع في وجهه بصمت لبرهة ثم تغضنت ملامحها فجأة وأجهشت بالبكاء دون إرادة منها فعقلها لحظتها كان متوقفا عن العمل وصدمتها في نيللي أضعفت من مقاومتها، بينما ازداد قلق أنس وضايقه بكاؤها فهتف بعصبية: «أنا لا أريد أن أسمع منك بكاء.. أريد تفسيراً يا مرام تكلمي ما قصة تعارفك مع نيللي بدون كذب أو مراوغة؟!».

كانت روح في الناحية الأخرى من الصالة تصلي كما أقنعها أنس أنها إن صلت ودعت بعد صلاتها على من أخذوا نيللي سينتقم الله منهم، بينما وقف مراد يتابع ما يحدث باهتمام وقد شعر هو الآخر أن هناك شيئاً غير مفهوم.. ليهدر أنس بلهجة صارمة أرعبت مرام: «انطقي يا مرام».

غمغمت بارتباك وعقلها متوقف عن التفكير: «أنا مدينة لنيللي بحياتي».

عبس أنس وقال بعدم فهم: «ما معنى هذا الكلام؟!».

بالخارج وبخطوات بطيئة ثقيلة بعقل روحه كان عصام قد أدار المفتاح في باب الشقة؛ لكنه وقف متسمرا بعد أن دخل يتابع المشهد وما تقوله مرام بصدمة أخرى منصتا لكل حرف حتى هدر أنس في وجهها قائلاً وهو يمسك بذراعها: «وماذا فعل هذا الحقير بالضبط انطقي دون أي خجل».

اقترب عصام بوجهه شاحب يتطلع في وجه أخته التي نظرت إليه وعادت تنظر لأنس وتقول بلجلجة: «لم يحدث

شيء والله العظيم».

قال عصام بفحيح مرعب وهو يحاول الاستيعاب: «مرام!».

هتفت مدافعة: «لم يحدث شيء يا عصام صدقني».

وقف أنس يمسك برأسه بكلتا يديه وكأنه يمنع فوران الدم من الانفجار منها، وحاول أن يبقى هادئاً حتى لا تخفي شيئاً عنهم فقال بحشجة خطيرة: «قولي بالضبط.. بالتفصيل.. ولا تخجلي».

أحست أن الأمر سيتطور للأسوأ فتطلعت حولها ثم هرولت تلتقط المصحف وتقف لتواجههم قائلاً: «الأمر حدث كما حكيت بالضبط وأقسم بالله لم يحدث شيء بفضل الله وبفضل شجاعة نيللي.. التي لولاها..».

سكتت وتطلعت في وجوههم ثم انفجرت بالبكاء فاشتعل الغضب في صدر أخويها وجن جنون أنس الذي ضرب المنضدة بقدمه صارخاً: «قلت لا تبكي يا مرام لا تبكي وارحميني».

انتفضت روح من صلاتها وتطلعت فيهم بارتباك، بينما انقض عصام يقبض على ذراعي أخته قائلاً ودخان الغضب يخرج من منخريه: «أين هذه الشركة بالضبط.. انطقي».

قالت بلجلجة وهي تبكي: «عند المكان الذي تقابلت فيه معي أنا ونيللي ميدان (xxx)».

هتف من بين أسنانه: «في أي بناية يا مرام كفي عن البكاء

وتكلمي».

«البناية التي كنا نقف عندها بجوار السفارة في الطابق الثالث عشر (وأسرعت بالقول) لكني كما قلت اتصلت بذلك الخط الخاص وأبلغت عنهم».

كانت مشاعر مراد متضاربة يشعر بفورة الغضب والغيرة على أخته وفي الوقت نفسه يشفق عليها من التعنيف فلم يستطع التحمل واندفع يغادر الشقة، بينما ظل عصام يناظرها وهو يطحن ضروسه فعادت للبكاء.

سألت روح: «ماذا يحدث يا أولاد؟».

لم يرد أحد.. كان أنس يلف في المكان كأسد هائج يصارع أفكارا إجرامية تتقاذف كحبات ذرة فوق النار بينما هز عصام أخته بقوة قائلا من بين أسنانه: «قلت (لا) يا مرام قلت لا تجري خلف إعلان مجهول الهوية».

قالت من بين دموعها: «والله العظيم من ردت علي كانت امرأة وبدت لطيفة وكل الأمور كانت عادية و..».

كان بداخله قوة عظيمة ترغب في إيذاؤها فحاول السيطرة عليها وهو يلوي ذراعها هادرا: «لماذا لم تطيعي ما قلته؟ لماذا؟!».

صرخت مرام فأسرع أنس بالتدخل يهتف غاضبا: «كفى يا عصام (وهدر بلهجة أمرة) قلت كفى ستكسر ذراعها».

كان الأخير بحاجة لمن يساعده على التحكم في أعصابه

فتركها قائلاً: «إنها تستحق أن تكسر عظامها كلها».

قال أنس وهو ينظر إليها: «أتفق معك أنها تحتاج لعلقة ساخنة لكن ليس الآن».

دفت مرام وجهها في كفيها تبكي شاعرة بالخزي فاندفعت روح نحو مرام تأخذها في حضنها قائلة بغضب: «كسرت يديكما أنتما الاثنين ماذا فعلت الفتاة؟».

كانا يتألمان لبكائها رغم فوران الغضب في رأسيهما فقال أنس وهو يسحب ابن عمه بقوة: «هيا يا عصام لو بقينا دقيقة واحدة أخرى سنرتكب أنا وأنت جريمة لذا تعال لنرتكبها فمن يستحقها أكثر».

قالها وسحبه بالقوة ليغادرا الشقة، بينما انفجرت مرام بالمزيد من البكاء في حضن جدتها التي لم تكن تفهم شيئاً فأخذت تلاحق حفيديها بالشتائم.

«أنا أتحدث إليك لماذا لا تردين علي يا نيللي؟».

استمرت في تحديقها في نقطة ما أمامها وهي لا تزال تجلس بجواره في السيارة حتى كاد مهدي أن يخنقها ويتخلص منها لتدير نيللي وجهها إليه بعد برهة قائلة بجمود: «سأتحدث وقتما أكون مستعدة لذلك (وناظرته بتحدٍ مضيئة) ولا تتصور أنك بما فعلت اليوم وبإجباري على الذهاب معك بهذه الطريقة أنك تستطيع لي ذراعي، أنا

أطعتك فقط كي لا أسبب المزيد من الفضائح لأناس ليس لهم
ذنوب (وازداد بريق التحدي في عينيها مضيئة) أما أنا وأنت يا
عماه فالفضائح بيننا قادمة.. وعلنية».

قال بغیظ من بین أسنانه: «أ لازلت بهذا العناد يا بنت
باهي؟».

ردت ونظراتها لا تحيد عن نظراته: «باهي الذي تسعى
لتلویت سمعته!».

صاح في وجهها: «لماذا لا تصدقين ما قلته؟».

أجابته بثقة: «لأنه باهي وليس مهدي».

هم بأن يصفعها على وجهها قبل أن تعترض طريق
السيارتين ثلاث سيارات في ذلك الطريق الفرعي المؤدي
لفيلا مهدي، لتحاوط السيارتين التابعتين لمهدي فانتبه
الجميع ليقول مهدي وهو يتطلع حوله: «ماذا يحدث؟».

من إحدى السيارات نزل أحد الرجال وساعد جودت في
الترجل منها أمام صدمة مهدي الذي استدار لنيللي قائلاً:
«متى أخبرته؟!».

لم ترد، بل فتحت عتلة الباب تهم بالخروج فغرس أصابعه
في ذراعها يقول بغضب: «إلى أين؟!».

استدارت إليه قائلة: «سأذهب مع عمي جودت».

صاح بجنون: «ومن سيسمح لك؟!».

وقف جودت خارج السيارة بينما نزل المرافقون لمهدي من السيارة الأخرى وكذلك فعل مرافقو جودت فأصبح الفريقان على أهبة الاستعداد لتلقي الأوامر، غير أن فريق جودت كان الأكثر عددا فتطلع مهدي حوله بارتباك لتنتهز نيللي الفرصة وتخلص ذراعها من يده وتفتح الباب وتغادر السيارة، مما اضطر عمها لأن يترجل هو الآخر صائحا في جودت: «ما هذا يا جودت هل سنحول الأمر لحرب عصابات؟!».

قال الأخير بهدوء: «قل هذا لنفسك قبل أن تذهب لبيوت الناس بالبلطجية وتجبر نيللي على المغادرة معك (وأضاف بلهجة مهددة) إن كنت قادرا على إحضار بلطجية فأنا قادر على إحضار ألف منهم يا مهدي».

شعر الأخير أنه محاصر وأن اللعبة التي أدخل نفسه فيها أضحت أكبر منه ومن إمكانياته فقال مجادلا: «ظننتك ستطلب من ابنة صديقك أن تتعقل وتعود لتتابع شئون شركتها التي توشك على الإفلاس».

رد جودت بثقة وهو يتابعها تتحرك أمامه مستندة على عكازها متجهة نحو سيارته أمام أنظار مهدي الغاضبة: «لا تقلق فنيللي تعرف ماذا تفعل بالضبط».

هدر مهدي قائلا بوعيد: «حسنا يا نيللي أنت من اخترت سأطلب اجتماعا عاجلا للشركاء وسأعرض عليهم الوضع تفصيلا، وكما قلت من قبل سأقولها الآن أمام جودت الذي تحتمي به.. لن أسمح بأن تتعرض الشركة للإفلاس يا بنت

أخي لذا توقعي مني أي شيء لأمنع ذلك».

لم ترد.. كانت جامدة الملامح تنظر أمامها دون موارد حتى بعد أن جلست في المقعد الخلفي من سيارة جودت فقال الأخير لمهدي بهدوء «أنا أيضا سأبذل قصارى جهدي حتى لا تسقط شركة باهي؛ لكن ليس بالطرق الملتوية التي تسلكها يا مهدي».

فهم الأخير أنها قد أطلعت على كل شيء وشعر أن الأمر يكبر ويزداد خطورة وتعقيدا وخروجا من سيطرته فناظره بغیظ بينما أضاف جودت: «نيللي سترتاح الآن..وأنا أكيد أنها ستتواصل معك في القريب العاجل».

سيطر اليأس والغضب على مهدي فهتف بتهديد: «ستندم.. أخبرها أنها ستندم كثيرا».

قالها وتحرك يعود لسيارته مشيرا لمرافقيه بركوب السيارة الأخرى وأمر السائق بالتحرك وهو يتفتت من الغضب ويسرع بالاتصال بمحاميه ليطلعه على آخر التطورات.

أما جودت فجلس بجوار نيللي في المقعد الخلفي من السيارة وقال مبتسما وهو يربت على ظهرها بحنان: «حمدا لله على سلامتك يا بنيّتي».

أدارت إليه عينين تتجمد فيهما الدموع وقالت بحشجة: «هلا ذهبنا للطبيب لأرى وضع ساقي والجبيرة من فضلك يا عمي؟».

إن كان لا يفضل العنف فهناك أمور لا يمكن الرد عليها إلا به.. مواقف تخلع عنه ثوب التحضر وتعيده رجلاً همجياً من رجال الكهوف يصر على أن يرد الصفحة بالصفحة.. خاصة أن ما يمس الشرف لا يرد عليه إلا بالدم فما بال لو كانت الضحية لا تحمل فقط اسم عائلته إنما تملك قلبه وعقله، تـرجـل أنس مع عصام من إحدى سيارات الأجرة ينظر بملامح صارمة للمبنى المقصود الذي وصفته مرام رغم أن اليوم هو الجمعة ولم يكونا متأكدين إن كانت الشركة في عطلة أم أنها تعمل في هذا اليوم مثل شركات التسويق السياحي التي تدعي الانتماء إليها.

قال عصام يثنيه عن الصعود معه: «أنا أرى أن تبقى أنت هنا بالأسفل لأن الوضع لو تطور....».

قاطعـه أنس يقول بإصرار والشرر يتطاير من عينيه: «أنا ذاهب معك ولن يشفي غليلي إلا قتل ابن الـxxxx هذا».

اتسعت عينا عصام وهو يتطلع في مراد وغمغم بمفاجأة: «من أتى به إلى هنا؟!».

كان مراد يقف تحت المبنى حائراً.. الدماء تفور في رأسه والشياطين توسوس له قتل ذلك الرجل شرقتلة؛ لكن الرهبة من المواجهة كانت تضرب رجولته التي لا تزال خضراء هشة قبل أن يندفع بعنفوان المراهقة نحو البناية التي خمن أنها هي المقصودة حتى سمع من ينادي باسمه وتفاجأ بأخيه

وابن عمه أمامه.

حين تقدم نحوهما هتف عصام منزعجا: «ماذا تفعل هنا؟
هيا عد إلى البيت».

قال مراد بإصرار وقد تشجع عند رؤية أخيه: «لن أتحرك
قبل أن أنتقم من هذا الـ(xxxx)».

تركهما أنس يتشاجران وتحرك نحو البناية وهو يتفتت
من الغضب فتوقفا عما يفعلان وأسرع باللاحاق به لكن بعد
دقائق نزل ثلاثتهم محبطين بعد أن وجدوا باب تلك الشركة
المزعومة مغلقا بالشمع بما يوحي أن الشرطة قد داهمت
المكان فكاد عصام أن ينفجر من الغيظ، بينما سأل أنس
حارس العقار مستفهما وعلم أن الشرطة قد قبضت على من
فيها قبل أسبوعين.

بعد دقائق وقف ثلاثتهم على الرصيف يحاولون السيطرة
على طاقة الغضب التي تحرق صدورهم ليقول مراد من بين
أسنانه: «ليتني أمسكت به والله كنت أكلته بأسناني».

صمت أنس ولم يعرف كيف يصنف شعوره هل يشعر
بالراحة لأن ذلك الكلب قد قبض عليه أم يشعر بالغضب لأنه
لم يأخذ بحق مرام منه بنفسه وللمرة الأولى ينتابه شعور أن
الطرق السلمية غير كافية كي تبرد ناره.

بعد دقيقة قطع أفكاره ووقف يراقب عصام الصامت
المكفهر الوجه الذي يتأمل المكان حوله ولم يحتاج لذكاء
ليخمن أنه يسترجع لقاءه بنيلى.

أما الأخير فالألم والقلق أخذا يأكلان قلبه وهو يستعيد لقائه بها ويستعيد الحادث أمام عينيه.. كان يقف في النقطة نفسها التي قابلها فيها يتطلع حوله في حيرة، ما المطلوب منه أن يفعل الآن؟ هل ينساها؟!.. هكذا ببساطة! يعتبرها عابرة سبيل مرت بحياته ويكمل طريقه، وهل يقدر على ذلك؟! هل يقدر؟!.

حين صعبت عليه الإجابة على أسئلته المعقدة وأنهكته مشاعره.. وسقط سقف أحلامه الذي ارتفع وعلا معها فوق رأسه، خر جالسا على الرصيف وأخذ ينظر حوله بتيه، فأتسعت عينا مراد بينما أشفق عليه أنس فهو الأكثر دراية بما يمر به ابن عمه، استقرت أنظار عصام على تلك النقطة التي صدمتها فيها الدراجة البخارية وهو لا يزال يشعر بالصدمة ورغم كل التخمينات التي وضعها لم يقترب من الحقيقة الصادمة.. صحيح خمن أنها من طبقة أعلى اجتماعيا؛ لكن لم يتوقع أن تكون سيدة أعمال ومديرة شركة لم يتوقع أبدا هذا الفارق الكبير بينهما.

أكانت تتسلى؟ أم أنه هو الذي كان لحوحا بمشاعره فخجلت من أن تصده وهي في بيته أم أن لديها عذرا أقوى من ذلك؟! ولماذا يتعامل عمها معها بهذه الطريقة؟ ولماذا اختبأت من الأساس؟ أيمن أن يؤذيها؟ لو كانت تشعر بالأمان معه لما هربت منه لكن رسالتها له تشعره أنها قوية.

رفع أنظاره نحو أنس الذي يقف يديه في جيبي سترته

يتطلع فيه صامتا وسأله: «قال الرجل (شركة أدوية) أليس كذلك؟».

هز الثاني رأسه بإيماءة خفيفة فسأله: «هل تعرف هذه الشركة؟».

أجابه أنس بهدوء: «أجل أعرفها بما أنني متخصص في هذا المجال إنها شركة صغيرة ذات سمعة جيدة».

«هل تعرف مكانها؟».

«مكان من؟».

سألها أنس باستنكار فأجاب عصام: «تلك الشركة».

عبس أنس يسأله بغیظ: «لماذا يا عصام؟ لماذا؟».

قال عصام بهدوء وكأنه مخدر: «ربما.. ربما كانت في ورطة وتحتاج لمساعدة».

اشفاقه على حالة ابن عمه خاصة تلك النظرة التي تحتل عينيه المرفوعتين إليه جعلت أنس يقول بعصبية: «الحقيقة أنا لم أرها فتاة ضعيفة.. رأيتها قوية الشخصية وهي تتحدث مع عمها كما أن اليوم هو الجمعة.. وحتى لو لم يكن.. فلن تذهب للشركة تبحث عنها».

استمر عصام يناظره بتيه فهتف أنس بغضب: «عصام إنها مديرة الشركة وليست موظفة كيف ستذهب لتسأل عنها».

مجددا عصرت النظرة المتألمة في عيني ابن عمه قلب

أنس، خاصة حينما قال عصام بحشجة متألمة: «لديك حق إنها صاحبة شركة ولن تكون بحاجة لي».

قالها وعاد ينظر أمامه فعقد مراد حاجبيه وقال بعبوس: «وأين المشكلة من أنها مديرة لشركة ما؟؟.. لماذا تبالغون هكذا في صدمتكم لا أفهم!!».

ناظره أنس لبرهة ثم قال بهدوء: «ليس هذا وقت آراءك الألمعية يا حبيبي».

بلغ مراد لسانه وتطلع بنظرات مندهشة في أنس الذي مد يده يربت بخشونة على ظهر عصام قائلا بتوبيخ: «هيا يا بني.. هيا قم ولملم أجزاءك فلا يصح جلوسك هكذا».

بعد برهة استقام عصام واقفا ينفذ بنطاله بينما اتسعت عيناه مراد وقد استطاع أخيرا فهم ما يحدث فتطلع في أخيه الذي تحرك مع أنس في حالة مزرية رغم صمته ولحق بهما مصدوما من ذلك الاكتشاف الرهيب الذي اكتشفه.. أن أخاه يحب نيللي!

«هل أنت متأكدة أنك لا تريدين المبيت عندي؟».

سألها جودت فقالت نيللي بحشجة وهي تتطلع في فني الصيانة التابع لشركة الأبواب المصفحة، الذي تم استدعاؤه كي يكسر قفل المفتاح بعدما تم تبديله في غيابها: «لا يا عمي سأكون أفضل وحدي».

تطلع في ساقها التي تم نزع الجبيرة عنها وقال: «حمدا لله على سلامتك».

نظرت لساقها وغمغمت بالشكر تبلع غصة مرة فقد أعدت نفسها للاحتفال مع آل عارف بمناسبة نزع الجبيرة، ولم تكن تعرف أن هذه الكارثة ستحدث معها في هذا التوقيت الدقيق، تجاهلت عمدا التفكير فيما تشعر به حتى لا تنهار في وقت غير مناسب وردت على سؤال جودت لها عن المرأة التي ترافقها قائلة: «الخالة راجية لا تزال في بلدتها فقد أخبرها رامي أنني قد سافرت في رحلة عمل وبعدها أنا اتصلت بها وأخبرتها دون تفاصيل أنني لست في الشقة ولا داعي لأن تعود سأتصل بها الليلة لأخبرها أنني عدت».

قال الفني بعد أن فتح الباب: «تفضلي يا هانم وأنا سأقوم بتغيير القفل حالا».

دخلت نيللي شقتها تعرج عرجا خفيفا ودخل معها جودت فتأملت كل شيء حولها وهي تشعر أنها لم تتركها إلا قبل ساعة، وكأن كل شيء عاد كما هو بعد أن فكت الجبيرة وأن ما عاشته مع آل عارف كان حلما وأفاقت منه، هكذا حاولت أن تقنع نفسها لكن قلبها كان لها بالمرصاد يجادلها.. يكذبها.. يقاومها بل ويعاديها مصرا على أن نيللي القديمة قد تغيرت للأبد.

دعت جودت للجلوس وجلست معه في صمت والصدمة لا تزال تسيطر عليها فدوما المصائب المفاجئة قاتلة

للروح..لتسمعه يقول بعد قليل: «لماذا لا تريدين المبيت معي؟ (وأضاف بمناغشة ليخفف عنها) أم أنك تخجلين من المبيت مع أرملة عجوز وسيم مثلي؟ أستطيع أن أطلب من إحدى بناتي الحضور للمبيت معنا هي وأولادها».

ابتسمت وأجابت وهي تحضن نفسها: «أريد أن أستعيد حياتي السابقة بسرعة كي أرتب أفكاري بشأن القادم».

قال جودت مطمئنا: «اسمعي لن يكون طبيعيا أن أترك حارسا على باب شقتك لأن ذلك سيلفت نظر الجيران وسيثير تساؤلاتهم؛ لكنني سأترك لك الحرس تحت البناية أي شيء يحدث اعط لهم إشارة وسيصعدون فورا وإن كنت لا أتوقع أن مهدي قد يتجراً لفعل شيء آخر خارج نطاق الشركة، خاصة بعد ما علم أنني بجانبك.. لكنني سأتركهم لبعض الوقت لتأكد من ذلك.».

أجابته بلهجة ممتنة: «لا حرمني الله منك يا عمي ولا أجد كلمات تصف لك مدى امتناني لما تفعل معي».

قال جودت بعتاب: «لا تقولي هذا الكلام أنت ابنتي وابنة أغلى أصدقائي».

ساد الصمت من جديد وتطلعت بشرود في العامل الذي يضبط قفل الباب وهاجمتها ذكرى مؤلمة أثارت استياءها تخص الليلة السابقة للحادث.

عدلت نيللي من حجابها في عجلة وتطلعت مجددا في ساعة الحائط التي تشير للواحدة بعد منتصف الليل، ثم أسرع تفتح الباب بانزعاج قائلة باستنكار: «طارق هل جئت؟! كيف تجرؤ على القدوم إلى هنا في هذا الوقت؟ وما هذه الجلبة التي تحدثها أمام الباب ستوقظ الجيران؟!«.

لم يعطها طارق الفرصة لقول المزيد بل دفعها ودخل يغلق الباب بقدمه فاتسعت عيناها باندهاش ليقبض على ذراعها قائلا بانفعال غريب عليه: «لماذا ترفضين؟ لماذا ترفضين الزواج مني؟ لأنني فاشل؟! (وهدر في وجهها) هل ترينني أنت الأخرى فاشلا ولا أنفع في شيء؟«.

قالت بصدمة ونفور: «طارق أنت سكران!«.

ناظرها والجنون يتراقص في عينيه قائلا: «أجل أنا سكران هل لديك مانع نيللي هانم؟!«.

خلصت ذراعها من يده وقالت بصرامة: «اخرج فورا قبل أن أتصل بالشرطة».

هدر فيها رافضا: «لا لن أخرج ولن ألتقى أوامر من أحد من الآن فصاعدا بل سأفعل ما أريد هل سمعت؟! (قالها وهو يعود ليمسك بذراعيها مضيفا) سأفعل ما أريد.. وأول شيء هو إجبارك على الزواج مني فأنت لا تعرفين حجم التضحية التي ضحيت بها من أجل هذا الزواج لا تعرفين حجم الخسارة التي خسرتها (ولاح الألم في عينيه وهو يقول) لقد ضحيت

بأغلى ما لدي هل تفهمين؟ بأغلى ما لدي من أجل هذا الزواج ورغم هذا ما زلت لا أحظى بالقبول السامي.. ما زلت فاشلا لا أصلح لشيء».

قالت بصرامة وهي تحاول تخليص نفسها منه: «لا تضطرنني لأن أتفوه بكلام جارح لن يعجبك أنا لا أوافق على الزواج بك يا طارق».

دفعها بحركة مفاجئة للخلف وهو يلقي بجسده عليها قائلا: «بل ستتذللين لي كي أتزوجك».

سقط فوقها على الأريكة فقاومته بكل قوتها مستغلة عدم اتزانها ومهاراتها في حركات الدفاع عن النفس، حتى إنها عضته في ذراعه بشراسة كي تتخلص من ثقل جسده ثم استقامت واقفة فاعتدل طارق في جلسته يمسك بذراعه متألما ، بينما لملت عنق رداؤها البيتي الذي تمزق أثناء مقاومتها له وقالت صارخة: «اخرج فورا يا طارق لأنني لو صرخت ستكون فضيحة للعائلة كلها».

بدا لها أنه قد استعاد بعضا من إدراكه وراقبت عينيه الزائغتين وغمغمته الهادئة التي تعيده أمامها إلى طارق الذي تعرفه وهو يقول: «أنا آسف لم.. أنا..».

اندفعت نيللي نحو أحد الأدراج وأخرجت منه مقصا كبيرا أمسكت به كالخنجر وأسرعت للباب تفتحه هادرة بصرامة: «اخرج من هنا فورا واحمد ربك أن الخالة راجية ليست موجودة وإلا لكانت صرخت دون تفكير وجمعت الجيران».

حاول الوقوف بصعوبة وهو يقول: «أنا...».

صرخت فيه: «قلت اخرج يا طارق أم تريدني أن أخرج أنا؟!».

قالتها وهي تهم بالخروج فتحرك الأخير نحوها ببطء وقال بهدوء: «أنا».

رفعت المقص مهددة وهي تناظره بغضب فخرج من الباب وهم بقول شيء لكنها أغلقته في وجهه وتممت على أقفاله وهي تلهث بقوة.. ثم استدارت تهبط على قدميها خلف الباب وتحضن نفسها منفجرة بالبكاء.

عادت نيللي من ذكرياتها على صوت الفني يقول: «الباب جاهز يا هانم».

فاستقام جودت واقفا بصعوبة وهو يقول: «وأنا سأتركك لكي ترتاحي.. ولا تنسي أن الحرس تحت في السيارة سيحرسونك أربع وعشرون ساعة، سأرسل لك رقم قائدهم (وربت على ذراعها مضيفا) تماسكي وركزي في الخطوات المقبلة وتأكدي من أنني موجود بجوارك».

في المساء

قال عارف بهدوء: «حسنا يا ابنتي المهم أنك بخير».

كان صوته مختنقا لكنه كان مقدرا لما قالت إنه لم تقصد الإساءة لهم بالكذب عليهم فجاءه صوت نيللي يقول: «عمي

أنا سأتي بنفسى وأوضح لكم كل شيء.. امنحني فقط بضعة أيام».

هز رأسه مغمغما: «البيت بيتك».

أرادت أن تتحدث مع عصام لكنها لم تكن تملك الشجاعة بعد فقالت: «هل مرام نائمة؟ لقد اتصلت بها عدة مرات ولم ترد».

نظر لابنته يقول: «مرام!».

فأشارت له الأخيرة بالرفض ثم أسرعت بالهرب إلى غرفتها ليقول عارف: «إنها في غرفتها الآن».

جاءه صوت نيللي متحشرجا بالبكاء وهي تقول: «لا بأس اتركها على راحتها».

في غرفتها جلست مرام على سريرها وأجهشت بالمزيد من البكاء، إنها على هذا الحال منذ ما حدث ظهر اليوم وبعد أن عرف أخويها وابن عمها بما حدث يوم الحادث ولا تعرف بالضبط لماذا تبكي؟ هل لصدمتها في نيللي؟ أم لانكشاف أمرها وشعورها بالخزي؟ أم للتوبيخ والتعنيف الذي تلقته على الهاتف من أخيها وابن عمها كل واحد منهما على حدة دون أن يعرف الآخر بعد أن أخبراها أن الرجل قد قبض عليه وحذراها من أن يعرف والدها بما حدث معها، أم لأنها تشعر بأن نيللي خانتها حينما أخفت أمرا كبيرا كهويتها الحقيقية.. كانت تعتبرها أختا وصديقة حتى لو خمنت أنها من طبقة اجتماعية أعلى لم تكن تتصور أن يكون الفرق بينهما

كبير إلى هذا الحد، إن نيللي مديرة شركة أي إنها من الطبقة
الغنية وليس فتاة عادية مثلها تستطيع أن تكون صاحبها
للأبد.. لقد استخفت بها حينما لم تخبرها بحقيقتها.

في الوقت نفسه جلس مراد في الصالة ينظر في اسم
نيللي على هاتفه ويشعر بالإحباط لأنها لم تطلب من والده أن
تحدثه وتملكته الحيرة.. هل يرسل لها على الواتساب ليطمئن
عليها أم أنها لم تعد نيللي القديمة ولن ترد عليه؟! أما نيللي
فجلست بعد أن أغلقت الخط مع عارف على سريرها تتطلع
حولها في الغرفة الصامتة الباردة، وسمحت لنفسها أخيراً أن
تبكي فحضنت نفسها وتقوقعت لتنام على جنبها في وضع
الجنين وصورة عصام بنظراته الغاضبة أمامها.

دخل عصام من الباب بوجه جامد الملامح، دخل صامتا
مرهقا لا يرغب في قول أي شيء وتحركت مقلته دون إرادة
منه في المكان وكأنه يشك في أنه يعيش كابوسا حقيقيا
وسيجدها تنتظره في الصالة ككل يوم فبادره عارف بالقول:
«نيللي اتصلت».

حافظ عصام على ملامحه الجامدة وتمنى لو أن يلکم قلبه
فيصيبه بالسكتة حتى يتوقف عن الصخب في صدره والقلق
عليها، ليضيف عارف وهو يستشعر حالة ابنه التي لم تكن
تخفى عليه: «كانت تطمئنا عليها لقد نزعّت الجبيرة وعادت
لشقتها هنا في العاصمة، وأخبرتني أنها ستزورنا فيما بعد

لتخبرنا عن تفاصيل ما حدث، وأخذت تعتذر كثيرا وطلبت مني إبلاغ اعتذارها للجميع».

اتصالها طمئنه عليها بعض الشيء لكنه هز رأسه عدة مرات ثم قال بحشرجة: «لست مهتما بأخبارها وهي ليست بحاجة لتوضيح أي شيء (وأضاف يارهاق) أريد أن أنام».

قالها واتجه نحو غرفته فأطرق عارف برأسه بضيق ثم زفر بكأبة وهو يعود لمقعده في الشرفة بينما قالت روح لمراد عابسة: «أنت يا مراد تعالى وأخبرني بأي تهمة سجنك الشرطة (ليلي)؟!».

في غرفته وقف عصام أمام المرآة المعلقة على الحائط وقد سقطت كل أقنعتة ودروعه التي يخفي بها حالته، ففارت دماؤه من جديد وغلى الغضب في رأسه وهو يستعيد كل ما حدث فما كان منه إلا أن ضرب بقبضته في المرآة بقوة كمن يعاقب نفسه على الوقوع في شباكها فكسرها ثم أمسك بمعصمه متألما وراقب الدماء التي سالت ولطخت ذلك السوار الأسود الرفيع في يسراه فنزعه بغضب وألقى به في سلة القمامة وتحرك يغادر الغرفة بل والشقة كلها مقررا المبيت عند أنس.

اليوم التالي

سحبت نفسا عميقا وأطلقت سراحه تحاول التركيز فيما ينتظرها من تحديات ثم ترجلت من السيارة الأجرة ببدلة

رمادية أنيقة وحجاب أبيض ترتدي في قدميها حذاء دون كعب فأنقذت السائق ووقفت تتطلع في البناية التي تقع فيها شركتها وتوكلت على من خلقها.

حين تحركت كانت تعرج عرجا خفيفا حاولت تقويمه حتى لا يبدو عليها أي نوع من أنواع الضعف، فاليوم يوم مهم جدا ليس فقط لأنه يوم عودتها بعد غياب لكن أيضا لما أخبرها به رامي أن عمها طلب اجتماعا عاجلا للشركاء ورغم أنها لا تعرف بما ينوي أن يخبرهم؛ لكنها لا تريد أن تترك انطبعا بعدم كفاءتها أمام أي مخلوق.

قابلها حارس البناية التي تقع فيها شركتها مرحبا فابتسمت له ابتسامة مغتصبة وأكملت طريقها نحو المصعد وهي تحاول بإرادة فولاذية أن تنحي ما يلح عليها من هموم شخصية جانبا وتخبر نفسها: «لا وقت الآن لشئون القلب يا نيللي».

حين فُتح المصعد في الطابق الخاص بشركتها وجدت رامي ونهلة في استقبالها فقالت بلهجة ساخرة: «ما هذا الاستقبال الرسمي يا شباب».

قال رامي بسعادة حقيقية: «حمدا لله على سلامتك يا هانم».

ابتسمت له وتحركت معه ومع نهلة التي استقبلتها مرحبة فسألته نيللي: «كيف حالك يا نهلة؟».

هزت الأخيرة رأسها بصمت كعادتها وتحركت خلف نيللي

ينازعها شعوران شعور بالسعادة الحقيقية لعودتها سالمة بعد اختفائها في ظروف غامضة تكاثرت بسببها الشائعات بالشركة، وشعور آخر شعور حارق لا تريد أن تفكر فيه أو أن تفصح عنه بينما أخذ رامي يحرث بجوار نيللي في طريقهم إلى داخل الشركة ويشرح لها كيف أن مهدي مجتمع الآن بالشركاء.

لتفتح نيللي بعد دقائق باب غرفة الاجتماعات وتدخل بابتسامة مرسومة تقول بثقة: «مساء الخير هل اشتقتم لي؟».

عند الغروب

ابتسم الدكتور فياض وهو يتابع من فوق نظارته أنس الذي يحاول إقناع رجل عجوز فقير من أهل الحي أن يشتري دواء محلي الصنع بدلا من المستورد الذي كتبه له الطبيب تخفيفا عليه من ثمن الدواء المستورد؛ لكن العجوز بدا غير مقتنع بما يقوله فما كان من أنس إلا أن قال له مستسلما: «تمام كما تريد يا حاج نعيم.. ثمن الأدوية (...)».. قالها ووقف يراقب الرجل العجوز وهو يحاول تجميع المبلغ بالبحث في حافظة نقوده وجيوبه وحقيبة زوجته الواقفة بجواره فقال فياض من فوق نظارته بمشاكسة بعد أن غادر العجوز وزوجته: «أنت توفر على الزبائن على مرأى ومسمع من صاحب الصيدلية يا دكتورا».

رد أنس بابتسامة: «ماذا أفعل إن كنت قد تعلمت ذلك منك شخصا قبل ستة عشر سنة تقريبا، حين كنت شابا يافعا أدرس هنا في العاصمة وأعمل معك في هذه الصيدلية».

ابتسم فياض وناظره بمحبة وهو يقول بمزاح: «لا تفتري علي أنت لديك هذه الميول للمثالية منذ صغرك».

خيم الصمت قليلا ثم سأله فياض: «هل رسالة الدكتوراه جاهزة للمناقشة؟».

هز أنس رأسه وقال: «جاهزة المهم أن ينعموا علي بتحديد الموعد.. أنت تعرف أن تحديده يرجع للمزاج العام للمشرف».

قال فياض وهو يغلق درج المكتب الذي يجلس خلفه: «لا تنكر أن الدكتور عوني الذي يشرف على رسالتك يدعمك ويخوض حربا مع الباقيين كي تنال الدرجة العلمية رغم سنوات عمرك الصغيرة».

زفر أنس وقال: «أعلم جيدا أن البعض لا يعجبه أن أنال هذه الشهادة في هذه السن لكن البركة كلها فيك فأنت من أوصيت علي الدكتور عوني صديقك».

قال فياض مؤكدا: «لا تقل هذا فأنت تستحقها دون مجاملة لا مني ولا من الدكتور عوني.. وإن شاء الله ستكون من أصغر الحاصلين على الدكتوراة في هذا البلد».

هز أنس رأسه عدة مرات وقال واليأس يجثم على صدره ثقيلًا مؤلما: «إن شاء الله».

سأله فياض «هل من جديد بالنسبة للقضية؟».

أجابه أنس موضحاً: «ربما تكون الجلسة القادمة هي آخر جلسة، والحقيقة لولا المشوار الطويل الذي خضته خلال السنين الماضية والمبالغ التي صرفتها على هذه القضية لكنت توقفت عن المضي قدماً فيها».

«هل استسلمت؟».

سأله فياض فأجابه أنس: «لا بل يئست وتعبت وأشعر أنني أقف أمام حائط سد منذ سنوات وأحفر للنفاذ منه بملعقة صغيرة».

ابتسم فياض ابتسامة متعاطفة ولم يعرف كيف يواسيه لقد كان يتنبأ له بمستقبل مميز منذ أن التقاه مراهقاً في الثامنة عشر، ولم يكن يعلم أنه قد كتب له أن يدور في مسارات معقدة في حياته بهذا الشكل، قطع أفكاره دخول ابنته سها من باب الصيدلية تقول بابتسامة مشرقة: «السلام عليكم» بينما عيناها تتابعان أنس، فتنهد بغير رضا عن حال ابنته التي تحاول بعد طلاقها أن تتودد لأنس بشكل واضح في حين أنه لا يرى منه أي اهتمام، قال لابنته: «ما هذه الخطوة العزيزة دكتورة سها».

ردت الأخيرة: «قلت ما دمت ستسهر الليلة في الصيدلية مع الدكتور أنس أحضر لكما طعام الغداء».

قال والدها: «ولماذا لم ترسله مع أحد بدلاً من أن تأتي بنفسك؟».

امتقع وجهها وردت وهي تقترب لتفرد علب الطعام على المكتب: «أردت أن أحرك قدمي قليلا (واستدارت نحو أنس تقول) أتمنى أن يعجبكما الطعام».

كان الأخير يدعي الانشغال هاربا منها فابتسم لها وتفوه ببعض عبارات المجاملة المؤدبة وهو يحاول أن يتجاوب معها، ربما استطاع أن ينشغل عن الأخرى التي لا يعرف متى وكيف مدت جذورها الناعمة في قلبه وتوسعت حتى لم تدع مكانا لغيرها

.. إنه يحاول اقتلاعها منه.. يبذل قصارى جهده لكنها تحاصره حتى وهو يقلل مرات رؤيتها والاحتكاك بها.. تحاصره.. وتفرض هيمنتها على أفكاره في صحوه ومنامه يكفي أن الكوابيس لم تتركه الليلة الماضية وهو يتصور ذلك الحقير الذي حاول الاعتداء عليها، كلما فكر في الأمر سيطرت عليه مشاعر انتقامية وتمنى لو لم يقبض عليه حتى يمزقه بيده وتمنى أيضا لو يملك الحق في تلقينها علة ساخنة كي تكف عن اندفاعها دون تفكير.. لكنه يعلم جيدا أنه حتى لو يملك هذا الحق لن يطاوعه قلبه على رفع إصبع عليها.

في غرفة المخزن بعد قليل تقدم أنس ببعض الحرج ليشارك الدكتور فياض وابنته الطعام وانضم لهم المساعد ليكتشف أنس بعد برهة أن عقله ظل شاردا في ابنة عمه طوال الجلسة وهو يستعيد لحظات بكاء مرام يوم أمس وهي تعترف أمامه بحقيقة علاقتها بنيلى وبتلك الحادثة السوداء يوم تعارفهما،

فضاق صدره ولم يعرف إن كانت قد تخطت هذه التجربة أم لا.. هكذا أصبح حالة ميؤوس من شفائها فيما يخص مرام.

انتبه لدخول أحد الزبائن فتحرك المساعد ليلبي طلبه بينما نظر فياض في هاتفه الذي يرن بعبوس وتبادل النظرات بينه وبين ابنته التي أشاحت بوجهها بعيدا فتحرك فياض بامتنعاض يترك غرفة المخزن المفتوحة على الصيدلية بالخارج ليجلس على مكتبه ويرد على الهاتف تاركا سها وأنس وحدهما، ولم يكن الأخير يحتاج لذكاء كي يخمن هوية المتصل فقد أخبره الدكتور فياض من قبل أن زوج سها السابق يبذل محاولات منذ مدة لإعادتها لعصمته لكنها ترفض.

قالت سها: «لماذا لا تأكل يا دكتور.. ألا يعجبك الطعام؟».

ابتسم لها وقال «أنا أكل.. سلمت يدك».

ثرثرت قائلة: «حمدا لله أنه قد أعجبك فأنا احتار حينما أرسل طعاما لكم في الصيدلية حينما يكون أبي ساهرا هنا.. لأنني لا أعرف أي نوع من الطعام تفضل يا دكتور»

تطلع أنس فيها بصمت وشعر بأنه يظلمها معه.. رغم أنه لم يعدها بأي شيء ولم يتجاوب معها في شيء.. لكن ترقبها وذلك الأمل الذي يطل من عينيها أحس أنه مسئول عنه.. فحتى لو يملك الإمكانيات المادية للزواج فورا سيكون مجرما لو قرر نسيان حبه لمرام بالارتباط بسها، خاصة مع إدراكه المتأخر لمدى عمق مشاعره تجاه ابنة عمه لذا عليه

أن يحسم هذا الأمر فورا فربما كان نصيبها ينتظرها وهو يعطلها عنه بمنحها الأمل فتنحنح قائلا: «بالمناسبة أنا فكرت في كلامك السابق لي أن زينة تكبر وتحتاج لوجود أم في حياتها».

لمع الأمل في عيني سها وتوردت وجنتاها فتألم من أجلها وأسرع بإلقاء ما يريد أن يخبرها به في وجهها مضيفا: «أنا أفكر فعلا بالتقدم للزواج من (وفكره بسرعة وأكمل) من أخت صديق لي وأتمنى أن توافق العروس على ظروف المعقدة».

امتقع وجه سها وناظرته بصدمة فشعر أنس بالشفقة عليها؛ لكنه تماسك وتحرك ينفذ يديه من الطعام قائلا: «أنا شبعت سلمت يدك.. الطعام رائع».

طالعت سها بعينين لامعتين بالدموع وقالت بحشجة: «هذا خبر جميل تتم الله لك على خير».

بلع غصة مرة في حلقه ورد: «شكرا لك دكتورة سها العقبى لك إن شاء الله».

قالها وتحرك مغادرا غرفة المخزن بسرعة مستاء من فظاظته معها؛ لكنها لم تترك له مجالا إلا أن يغلق في وجهها باب الأمل بهذه القسوة.

دخلت نيللي مكتبها تكاد تسقط من الإرهاق خاصة وأنه أول يوم بعد إجازة طويلة بالإضافة لعدد من الاجتماعات

المتتالية العاجلة كان أهمها وأصعبها الاجتماع الذي كان مع الشركاء والذي طلبت فيه مهلة لتنفيذ خطتها لتحسين وضع الشركة بعد أن أخبرتهم بتفاصيل المشكلة بما فيها مسؤولية عمها عما حدث في الطلبية الأخيرة من الأدوية.. لكن الأخير استطاع بطريقته المراوغة مستغلا عدم إلمام الشركاء الآخرين بالتفاصيل الفنية والدوائية أن يقلل من خطورة الوضع الخاص بطلبية الأدوية متهما إياها بالتسبب في تعقيد وضع الشركة المادي لكنها أنهت الخلاف بتحملها لكامل المسؤولية في إخراج الشركة من عنق الزجاجة.

خلعت سترة البدلة ووقفت تدلك رقبتها لعلها تشعر ببعض الراحة في ظهرها المتشنج ثم هتفت بعصبية حينما سمعت طرق على الباب وقالت لرامي الذي دخل: «أتركوني حتى لأصلي».

ابتسم الأخير مشفقا وقال وهو يضع ملفا على مكتبها: «سأضع هذا فقط لأنه يحتاج لتوقيعك (ثم قال بلهجة متعاطفة) أعلم أنك قد بذلت مجهودا كبيرا اليوم سأطلب من نهلة أن تطلب لك الغداء».

قالت وهي تتحرك لتقف خلف مكتبها وتتحقق الملف ثم توقع على أوراقه: «لا.. أنا سأغادر بعد قليل.. فدادة راجية عادت من بلدتها وتأخر الوقت فأجل أي شيء غير عاجل للغد».

قال رامي: «عندي ملف آخر سأحتاج لنصف ساعة أخرى..

هل أطلب من نهلة أن توصي لك بفنجان قهوة؟».

قالت وهي توقع الأوراق: «بل شاي.. أريد شاي».

رن هاتفه ففتح الخط مجيباً ثم عبست ملامحه واصفر وجهه قائلاً لمحدثه: «ماذا قلت؟؟؟؟».

رفعت نيللي أنظارها عن الأوراق باستفهام ليقول لها رامي بحشركة: «طلبية الأدوية الأخيرة ليست موجودة في المخزن!!!».

ألقي مهدي بالمنفضة بعصبية نحو ابنه الذي تحاشاها فضربت في الأرض ووقف يتطلع باستنكار في والده المنفعل، الذي وصلت حالته من الجنون لأن يوبخه ويصب جام غضبه عليه هنا في الشركة فناظره بغضب شديد، بينما مهدي يقول من بين أسنانه: «لو كنت مثل بقية الآباء أشعر بالفخر بابني البكري الذي سيخلفني والذي يحمل اسم عائلة شرف الدين.. ولو كنت أنت استطعت أن تملك قلب ابنة عمك لما وصل بي الحال لأن تقف أمامي ابنة أخي وتتحدايني أمام الجميع؛ لكنني ابتليت بك وبها مثلما ابتليت بباهي الذي لم يأتني من خلفه سوى المصائب».

قال طارق وهو يطحن ضروسه ويحاول التحكم في أعصابه: «أنا سأغادر يا أبي حتى تهدأ فلا يصح ما تفعله هذا في الشركة».

تحرك مغادرا المكتب قبل أن ينفذ في الشركة كلها بأنه وفي هذا العمر يتلقى تقريرا بهذا الشكل المهين من والده فيكفيه أنه يتحمل ثورات غضبه في البيت ويكفيه الذكريات السيئة التي لا يستطيع نسيانها عن الضرب المبرح الذي كان يتلقاه منه وهو صغير.

بمجرد أن فتح الباب وجد نيللي أمامه فهتف قائلا «نيللي.. حمدا لله على سلامتك أنا انتظرك منذ أن حضرت ظهر الي...».

قطع حديثه حينما اندفعت الأخيرة مكفهرة الوجه تدخل المكتب وتقول لمهدي بغضب: «لماذا أمرت بخروج طلبية الأدوية من المخزن وأين خزنتها؟».

رد مهدي ببرود متعمد: «ستبقى في عهدي حتى أعرف ماذا تنوين أن تفعلي بها».

صاحت بانفعال: «هذه الطلبية مسئوليتي وعلي أن أحدد مصيرها».

تصنع البرود ورد: «نتفق أولا ماذا ستفعلين بها».

تملك الغضب من نيللي ووقفت تفكر في صمت ثم سحبت نفسا عميقا وقالت لعمها بلهجة مهددة: «عموما لن تستطيع توزيعها دون تصريح مني بصفتي مديرة الشركة وإن حدث ذلك فأنا شخصا من سيتقدم ببلاغ ضدك للشرطة (وتحركات مغادرة وهي تضيف ببرود زائف) تريد أن تحتفظ بها؟ كما تريد يا عمي».

قالتها وغادرت المكتب فتطلع طارق فيها وفي والده ثم أسرع باللاحاق بها بينما اكفهر وجه مهدي وأخذ يفكر: هل تسعى بالفعل للاستغناء عن هذه الطلبية أم أنها تدعي؟ لقد رغب في الضغط عليها كي تتفاوض معه لكن رد الفعل هذا لا يشعره بالراحة.

عادت نيللي لمكتبها غاضبة تعرج بشكل واضح.. ودخل خلفها طارق يقول غاضبا وهو يغلق الباب خلفه: «نيللي أنا أتحدث معك!».

استدارت إليه تقول غاضبة: «ماذا تريد يا طارق.. ماذا تريد مني؟».

أجابها بوجه واجم: «أردت الاطمئنان عليك.. كنت قلقا جدا منذ اختفائك وبحثت عنك وكلفت من يبحث عنك.. وحين علمت ليلة أمس أنك قد عدت حاولت الاتصال بك؛ لكن هاتفك كان مغلقا وطوال اليوم وأنا انتظر أن تنتهي من اجتماعاتك كي أراك وأطمئن عليك ألف سلامة عليك».

تكتفت تقول بلهجة ساخرة: «شكرا لك يا ابن عمي».

اقترب منها قائلا: «علمت من أبي أنك كنت عند إحدى معارفك وأنهم قد أدخلوك مستشفى مجانيًا للعلاج بعد حادث تعرضت له.. لماذا لم تتصلي بي يومها؟ بالتأكيد أنت تحفظين رقمي».

«أتصل بك؟! تريدني أن ألجأ لك أنت يا طارق؟!».

قالتا بلهجة ساخرة فرد الأخير: «هل ستخلطين بيني وبين أبي؟ تعلمين أنني لست مثله وأناي لا أعلم تفاصيل ما يحدث بينكما غير أن وضع الشركة المادي سيئ».

قالت نيللي بلهجة مباشرة: «كنت يا طارق.. كنت أظنك مختلفا حتى الليلة السابقة لاختفائي».

أطرق برأسه شاعرا بالخزي وغمغم بلهجة نادمة: «لك كل الحق.. أنا أرسلت لك اعتذارا صباح اليوم التالي وحاولت الاتصال بك طوال ذلك يوم؛ لكن هاتفك كان مغلقا (واقترب يقول بلهجة نادمة) أنا آسف يا نيللي عما بدر مني في لحظة كنت فيها خارجا عن السيطرة وأتمنى أن أستعيد ثقتك في مرة أخرى».

قالت الأخيرة بحشجة باكية: «وأنا لن أستطيع أن أسامحك يا طارق لأنك كنت الشخص الوحيد الذي أثق فيه من عائلتي بعد وفاة أبي؛ لكنك مت في ذلك اليوم».

قال بلهجة متألمة: «نيللي أرجوك دعيني أشرح لك ما حدث معي ربما فهمت موقفي».

اقتربت نهلة من الباب وهي تحمل كوب الشاي وترددت في الدخول على نيللي في حضور طارق؛ لكنها شجعت نفسها وطرقت على الباب ثم دخلت بعد ثوان واقتربت تطحن ضروسها وهي تشاهدهما يقفان متواجهان في منتصف الغرفة فقالت بارتباك: «الشاي يا نيللي هانم».

تحركت مقلتا طارق نحوها وتسارعت دقات قلبه، بينما

قالت نيللي وهي تتحرك لتلتقط سترتها المعلقة على ظهر الكرسي وترتديها: «شكرا نهلة لكني سأغادر المكتب لأنني تعبت اليوم».

والتقطت هاتفها وحقيبتها وتحركت مغادرة بعصبية فارتبكت نهلة لعوان ثم عادت وحملت كوب الشاي وهمت بالمغادرة فمرت من أمام طارق الذي يقف متخصرا يتابع مغادرة نيللي باستياء ثم نظر إليها يناديها بحشجة: «نهلة».

تصلب ظهرها عند الباب وهي تقول: «أوامرك طارق بك».

ابتسم بمرارة مرددا بسخرية: «طارق بك! (ثم سألها) لماذا لم تردي على اتصالي ليلة أمس؟».

بلعت ريقها وأجابت دون أن تلتفت إليه: «لأنه بعد مواعيد العمل الرسمية ولا أكون بجوار الهاتف».

قالتها وأسرعت بالمغادرة فتركته وحيدا يقف وسط المكتب متخصرا مطرقا برأسه لا يعرف كيف يتصرف في حياته التي ضاقت به من كل جانب، بعدما ضاع منه الطريق ولا يعرف ماذا يفعل مع الأفكار التي تلح عليه لأن يأخذ نهلة ويهرب بعيدا.

«لماذا أنت غاضب يا أسعد؟!» قالتها مرام في الهاتف بصوت مخنوق فأجاب بانفعال: «بسبب الحالة التي لا أعرف سببها يا مرام، منذ أمس وأنت في مزاج سيئ واليوم طوال

النهار لم أتلّق منك رسالة واحدة أو اتصالاً ولم تخبريني ماذا فعلت في يومك».

لم تدر بما تخبره لن تشعر بالراحة إن أخبرته بما حدث مع نيللي ولا تظن أنه سيفهمها حين تخبره أنها محبطة مما حدث، وأنها تشعر بالضيق من نفسها فعلى ما يبدو أنها ساذجة إلى حد كبير مما سهل على نيللي الكذب عليها، صحيح أخبرتها أنها ستحكي لها فيما بعد لكن إخفاء مثل هذه المعلومات عنها وهي التي لم تخف عنها شيئاً جرحها بشدة لأنها اعتبرت أنها أختا وصديقة وأحست في لحظة ما أن الله قد عوضها بها.

إنها غير قادرة على تخطي ما حدث، وهذه هي المرة الأولى التي تستغرق كل هذا الوقت في تخطي صدمة في حياتها، هذا بالإضافة لأنها تشعر بالذنب تجاه عصام الذي رغم صمته وانزوائه تشعر به يعاني، كيف تصف لأسعد كل هذا؟ وكيف تخبره أنها افتقدت نيللي اليوم وتمنت أن تشتكي لها من كل ما ألم بها خلال الساعات الماضية فأجلت صوتها وقالت مفسرة: «قلت لك إنني أشعر ببعض الضيق مزاجي عكر دون بسبب واضح لماذا لا تتفهم ذلك».

هتف بغیظ منفعلاً: «أخبريني بسبب أستطيع أن أفهمه، أما مزاج سيئ دون سبب وجيه فأنا أراه تدللاً سخيلاً».

هتفت وقد استفزها بما قال: «أنا أتدل يا أسعد؟ أنا؟!».

رد بإصرار: «أجل وتضيعين الوقت الباقي من إجازتي في

النكد.. وأنا لا أطيقه، هذا بدلا من نقضي الوقت في فرح وسعادة.. لقد اتصلت لأبشرك أنني اتفقت مع عمي على تحديد موعد لنزور شقتنا لتري آخر التشطيبات فيها؛ لكنك في مزاج سيئ منذ البارحة».

قالت بغضب: «أنا لست تافهة يا أسعد ولا أتدل؛ لكنك أنت من لا يرى ولا يفكر إلا في نفسه ما ذنبي أنا أن إجازتك على وشك الانتهاء؟! وما الجرم الذي اقترفته حينما لم أتصل بك اليوم وانشغلت بنفسي؟ وأين المشكلة في أن أكون في مزاج سيئ دون سبب؟! أنت لم تحاول حتى أن تخرجني من هذا المزاج».

علق على كلامها يقول ببرود: «أنا سألتك أكثر من مرة ما بك..ماذا أفعل أكثر من ذلك؟!».

قالت بغیظ: «أنا أتحدث عن التخفيف عني.. عن مواساتي حتى لو لم تعرف السبب».

جادلها قائلا باستنكار: «وهل كوني أخبرك أنني أكره النكد وأن الإجازة ستضيع لا يعني أنني أشجعك على أن تتخلي عنه وأن تفرحي!».

بادلته الاستنكار باستنكار أكبر قائلة: «بهذه البساطة؟! سأضغط على زر ويعتدل مزاجي (وأضافت بلهجة حادة تعيد كلامها) لماذا لا ترى إلا ما تريده وتحتاجه أنت فقط؟! ولماذا تشعر أن الكون لا يدور إلا حولك؟! ماذا فعلت حينما وجدتني في مزاج سيئ سوى تقريعي وإشعاري بالذنب والتذمر من

أجل الإجازة التي ستضيع عليك».

قال صارخا: «والشقة التي أبشرك بها الآن».

ردت تقارعه: «الشقة خطوة أساسية كنا سنخطوها؛ لكن أنا أتحدث عن شيء فعلته لي..لي أنا مرام كي تخرجني من حالتي».

بدى وكأنها قد أهانتة حين هتف قائلا: «الشقة خطوة أساسية! هل هذا رد مناسب على كلامي؟! وأنا الذي آخذ من وقت وراحتي في العطلة مضحيا بأيام إجازتي الغالية التي لا أحصل عليها إلا كل سنة كي أسرع بإنهاء الشقة لربما استطعت أن أعود بعد بضعه أشهر لنتزوج!!».

أحست بالذنب فدلكت جبينها بأناملها وغمغمت بصوت أهدأ محاولة السيطرة على احتقان مزاجها: «أنا لا أقلل من مجهودك أبدا وأقدر رغبتك بالتسريع بالزواج وأنتك تضحي بإجازتك لكن..».

لم يشعره كلامها بالتحسن فقاطعها غاضبا: «لا.. أنت لا تقدرين تعب الغربة وتضحياتها ولا تعرفين كيف يضحي المغترب بالكثير ويفتقد للكثير لعدم وجوده في وطنه ووسط أهله، كل هذا من أجل بناء مستقبله، في الوقت الذي لا يقدر كثير من الشباب على الاغتراب ويفضلون البقاء وسط أهلهم حتى لو أخر ذلك من بدايتهم الحقيقية في العمل، وأخوك عصام المقارب لي في العمر خير مثال على ذلك لذا قارني بين حالتي وحالة مزاجك البائس دون سبب وجيه

وأخبريني من منا من المفروض أن يكون بائسا».

كان قد ضغط على الزناد فانطلقت مرام صارخة بانفلات أعصاب غريب عليها وهي تترك سريرها وتستقيم واقفة: «ما به عصام.. ها ؟! ما به عصام يا أسعد؟! ما مشكلتك معه أنا لا أفهم؟؟!!».

هتف باستنكار: «أنا عندي مشكلة معه؟؟!!».

صاحت بغضب وهي تنهت بقوة: «أجل.. تنتقده كثيرا ودون سبب مفهوم، وأنا أخبرتك أكثر من مرة أنني لا أحب أن ينتقد أحد عائلتي، وأنتك ستتزوجني أنا فقط.. مرام».

«لماذا تصرخين؟؟!!».

جن جنونها فاستمرت في صياحها حتى بح صوتها: «لأنك لا تطاق.. لأنني أشعر بالاختناق كلما تحدثت معك لأنك.. لأنك.. لأنك تنظر بنظرة فوقية لكل من حولك وتريد مني ومن الجميع أن يصنعوا لك تمثالا في كل حركة وإيماءة منك لكونك تحملت الغربة وأنجزت ما أنجزت في حياتك، وفي الوقت نفسه تقلل من جهود كل من حولك بما فيهم أنا (وأضافت وهي تنهت بصوت عال) عموما أنا لن أتحدث عن نفسي لكني سأقول لك إن عصام الذي تشعر أنك أحسن وأفضل منه.. الذي ترى أنك قد سلكت أصعب الطرق بينما هو اختار أسهلها..عصام أخي أنا فخورة به وسأظل فخورة به وبما فعله من أجلنا، شاب آخر لم يكن ليتحمل العمل في مجال بعيد تماما عن مجاله وعن بيئته ولكان اختار منذ

سنوات وظيفة عادية في أي شركة حتى يلتحق بالتدرج الوظيفي الذي يليق به، ووقتها ربما كان مساو لك في التدرج الوظيفي الذي تفتخر به الآن؛ لكنه كان يحتاج لدخل أكبر لأنه لم يكن يصرف على نفسه فقط ولم يكن يضع المرتب في تكوين مستقبله لتكون له حياته الخاصة، بل يسهم في الصرف على عائلة كبيرة بعد أن تقاعد أبي، عصام الذي تشعر أنك أفضل منه لو جاءته وظيفة خارج البلاد لم يكن ليتردد لحظة رغم ارتباطه الشديد بنا وكان سيضحي أكثر منك بوجوده وسطنا من أجل مساعدة عائلته؛ لكنه للأسف لم يكن محظوظا مثلك ولم يجد الفرصة التي وجدتها أنت ولم تكن لديه (علاقات عمل) كما تحب أن تسميها ليجد الفرصة مثلك، أما أنا بتدلي الذي لا يعجبك ونكدي أقول لك وفر جهودك الخارقة عن الطبيعة في الشقة وانهل بالأيام المتبقية من الإجازة لأننا لن نكمل الطريق معا».

هتف أسعد بلهجة خطيرة: «ماذا تعنين بهذا الكلام؟».

قالت بوجه مكفهر من الغضب: «أعني ما فهمته.. سلام».

بارتجاف شديد من الغضب أغلقت مرام الهاتف وارتمت على سريرها منفجرة بالبكاء تسكب دموعا لم تذرفها منذ وقت طويل.

بعد عدة أيام

وقف أنس أمام مدير الشركة يقول بانفعال: «أقول

لسيادتك كتبت تقريراً عن هذا الدواء وقلت فيه إنه غير مطابق لمواصفات الجودة».

نظر المدير لرئيسة قسم الجودة التي تجلس أمام مكتبه مكفهرة الوجه من الغضب بعد أن حدث خلاف حاد بينها وبين أنس حينما علم أن التقرير الذي قدمه من قبل بعدم صلاحية أحد الأدوية قد تم تغييره بل وتم تسليم الشركة المالكة للعقار الطلبية مما صعد الأمر بينهما ووصل له فعاد ينظر لأنس الواقف أمامه ويرد ببرود: «هل معنى كلامك أنك تتهم مديرة القسم بالتزوير؟».

رد أنس بلهجة حادة: «أنا لا أتهم أحداً كل ما قلته إني قد سبق وفحصت هذا الدواء وقدمت تقريراً بمخالفته للمواصفات وتفاجأت اليوم أنه قد تم تصنيعه وتسليمه للشركة».

عاد المدير بظهره يستند على ظهر المقعد مشبكاً أصابعاً وأجاب بهدوء: «لكن هذا العقار لم تفحصه أنت بل فحصه زميلك وقدم تقريراً أنه مطابق للمواصفات».

قال أنس بإصرار: «يا رئيس أنا من قمت بفحصه أولاً لأن زميلي هذا كان مريضاً وتم توزيع عمله على الموجودين وقد قدمت تقريرى للرئيسة».

هتفت رئيسته مدافعة: «لا يوجد أي شيء يعبت أنه قد فحص الدواء وتستطيع سعادتك أن تطلع على الدفاتر والسجلات (ونظرت لأنس بتحد شرس) الأمر ببساطة أن

الدكتور أنس يحاول إثارة البلبلة في الشركة ونشر الشائعات بعدم كفاءتي لرئاسة القسم».

هتف أنس باستنكار: «أنا يا ريسة؟! أنا تقولين لي هذا الكلام؟! (ونظر للمدير مضيفا) الفيصل بيننا إعادة فحص العينات من جهة محايدة».

قال المدير مستنكرا: «الشركة قد تسلمت الطلبية يا دكتور، وأنت لا تملك دليلا واحدا على كلامك».

رد أنس: «لأنه قد تم تزوير كل شيء».

صاحت رئيسته بغضب: «ماذا تقصد؟! (ونظرت لمديرها) أنا لا أسمح بهذه الإهانة يا ريس».

تكلم المدير بلهجة قاطعة: «عموما لقد انتهى الأمر وتم تسليم الطلبية للشركة كما قلت، فأرجو أن تكف عن الحديث فيه، وإن سمعت بأي شائعة تخص هذا الموضوع تأكد أنني سأأخذ كل الإجراءات الصارمة معك حفاظا على سمعة الشركة».

جز أنس على أسنانه وناظرهما بغضب ثم تحرك يغادر المكتب.

بعد دقائق قابله زميله أشرف في أحد ممرات الشركة يسأله بقلق وهو يرى وجهه المكفهر: «طمئنني ماذا حدث؟».

«كذبوني بعد أن تم تزوير كل شيء».

قال أشرف ناصحا: «اسمع يا أنس.. لقد فعلت ما عليك فعله

فاسكت عن هذا الموضوع من أجل مصلحتك».

هتف الأخير بعصبية: «كيف أسكت كيف؟! ما وظيفتي إذن إن كنا سنمرر أدوية غير مطابقة للمواصفات قد تضر بالمرضى».

قال أشرف: «يا أنس الكل يعلم أن مدير الشركة له علاقة قوية بأصحاب شركة الأدوية تلك وأن رئيسة القسم لا تتصرف إلا تنفيذا لتوجيهاته».

تكلم أنس منفعلا: «لكن ضميري لن يسمح لي بالسكوت على هذا».

«ماذا ستفعل بالله عليك؟! أنت بنفسك رأيت كيف أنهم قد زوروا السجلات وأثبتوا أنك لم تفحص هذا الدواء مطلقا وأي لغط سيحدث في هذا الشأن ستكون أنت المتهم الأول في إحداثه، كما أنك تعلم جيدا أن المدير لديه علاقات قوية بشخصيات كبيرة بالبلد».

لمح أنس رئيسة القسم آتية من بعيد ووقف يتابعها بنظراته حتى مرت من أمامه بذقن مرفوع فاستشاط غضبا وقال لزميله: «لكني لن أسكت.. لن أستطيع السكوت.. سأبلغ الشرطة أو الصحافة لا بد أن أفعل شيئا».

قالها وتحرك غاضبا فأسرع أشرف باللاحاق به ثم وقف أمامه يقول مهدئا: «أنس اهدأ وفكر في أن لك ابنة ليس لها غيرك هؤلاء الناس لن يسكتوا المدير وعلاقاته وصاحب تلك الشركة لن يسكتوا إن فعلت وما داموا قد زوروا السجلات

من السهل عليهم اتهامك بأي تهمة وإثباتها عليك»

هتف أنس غاضبا: «هل نحن في غابة؟! قل لي يا أشرف هل نحن في غابة؟! هل وصل بنا الحال إلى هذه الدرجة».

نظر أشرف حوله بقلق خاصة مع عيون الزملاء الفضولية وقال: «اهداً يا أنس اهداً من فضلك لا تثير فضيحة كي لا يؤذوك».

صمت الآخر فسحبه للاتجاه الآخر قائلا: «تعال معي لنشرب شيئا من الكافيتريا كي تهدأ تعال وفكر في مستقبلك وفي ابنتك».

طالعه أنس صامتا ليضيف أشرف: «إننا لن نصلح الكون وأنا وأنت نعلم ذلك ما يمليه عليك ضميرك قد فعلته وقدمت تقريرك وحين اكتشفت الموضوع تحدثت مع مدير الشركة ليس بيدك شيء آخر تستطيع أن تفعله وإلا فتحت على نفسك النار».

«بل هناك شيء أستطيع فعله» قالها وتحرك بعصبية فشيعة أشرف بنظراته القلقة وزفر مستسلما.

بعد دقائق اقتحم أنس باب مكتب رئيسة القسم فتجمدت ابتسامة على وجهها وهي تتحدث في الهاتف، وقبل أن تصيح في وجهه كان أنس قد وضع ورقة على مكتبها قائلا بعصبية: «هذه استقالتي فأنا لن أبقى في هذا المكان لحظة واحدة بعد الآن».

ولم يترك لها مجالا للرد بل غادر أمام عينيها الذاهلتين يترك المكتب والطابق والمبنى بالكامل ثم وقف في الشارع تحت البناية مرتبكا تائها يعرف أنه يعقد حياته أكثر مما هي معقدة بما فعل؛ لكنه بات يشك في حلية مرتبه.. إنه غير قادر على تمرير الأمر وادعاء أن شيئا لم يحدث.. ضميره لن يتحمل ذلك، وفي المقابل يشعر بالعجز أكثر من أي وقت مضى فما قاله أشرف حقيقيا إن الأمر أكبر منه وهو لن يقضي حياته كلها في المحاكم والتحقيقات ولا يعرف إلى أي مدى من الممكن أن يؤذوه.

(عدني بأنك لن تترك زينة أبدا).. كلمات ابنته اخترقت عقله لتؤكد له أنه قد فعل الصواب، فرفع رأسه للسماء يقول في سره: «ليس بيدي شيء أفعله سوى ذلك، فلا تحملني ما لا طاقة لي به فلن أقضي حياتي أحاول أن أثبت الحقيقة، تعبت..أنا تعبت يا رب وفعلت ما استطعت أن أفعله فلا تحملني ذنب أحد».

أنزل أنظاره ببطء فلمحت عيناه إعلانا يتوسط الشارع أمامه عن أحد الأدوية التي تسكن الآلام فتأمل صورة الإعلان التي تصور رجلا يحمل فوق ظهره أحمالا ثقيلة ولا يشعر بعقلها بسبب ذلك الدواء السحري..أخذ يتأمل الإعلان لبرهة ثم أخرج هاتفه وطلب أحد أصدقائه الذي يعمل في شركة أخرى للأدوية يقول: «جبالي كيف حالك؟».

جاءه صوت صاحبه مرحبا: «كيف حالك أنت اشتقت إليك يا رجل».

رد الأخير باقتضاب: «وأنت أيضا».

سأله جبالي بفضول: «ما الذي ذكرك بي الآن يا دكتور أفصح بسرعة».

أجابه أنس: «أريد أن أسألك هل رصدت خلال سنوات عملك أي مخالفات بشأن الأدوية المصنعة محليا».

«ماذا تعني بالمخالفات؟».

«أقصد أدوية غير مطابقة للمواصفات وتوزع بالسوق أي مخالفات من هذا النوع».

«لا لم يحدث».

سأله أنس باهتمام: «أتقول الصدق أم تحاول تجميل الوضع؟».

أجابه صاحبه: «أقسم لك لم يحدث شيء كهذا أمامي فيما يخص الشركة التي أعمل بها لماذا تسأل؟».

زفر أنس وقال: «لا أبدا أنا فقط رصدت بعض المخالفات في الشركة التي أعمل بها وقدمت استقالتي حينما شككت في حلية مرتبي».

تمتم جبالي بأسف «لا إله إلا الله!.. عوضك الله بالخير يا أخي بالنسبة للشركة التي أعمل بها يشددون جدا على الجودة ولا تهاون أبدا في هذا الأمر.. ولي أصدقاء في شركات أخرى أنا متأكد أنه لا يحدث ذلك في الشركات التي

يعملون بها أيضا..»

زفر أنس براحة فأضاف جبالي: «عموما إن فتحوا باب التوظيف في شركتنا سأبلغك».

غمغم أنس: «سأكون شاكرا جدا لو فعلت».

«أنا آسف يا أنس لا أعرف ماذا أقول لك».

«لا تقول شيئا أنا الذي علي أن أشكرك لأنك أعدت لي الثقة في أغلب الأدوية الموجودة بالسوق».

«أنت تعرف يا أنس أن كل مجال وارد فيه الغش».

قال بانفعال: «لكن هذا المجال شديد الخطورة».

رد جبالي: «أعلم ذلك وأعلم الشائعات التي نسمعها من وقت لآخر حول المواد الخام المسرطنة وغير المطابقة للمواصفات نسأل الله السلامة».

غمغم أنس بغل: «ونسأل الله أيضا أن يخسف بمن يفعل ذلك الأرض».

قال جبالي بحرج: «أنا آسف يا أنس لأنني لم أستطع تقديم أي مساعدة لك لكنني أعدك أن أسأل لك إن كان هناك فرصة للتوظيف عندنا أم لا وسأخبرك».

رد أنس بامتنان: «قلت لك أنا الذي أشكرك لأنك أعدت لي الثقة في مهنتي التي كرست لها حياتي».

قال عارف بعصبية: «اعطه فرصة أنتما لم تكملا سوى شهر مخطوبين ومن الطبيعي أن يحدث خلافا في بداية علاقتكما».

وقفت مرام تهز ساقها وهي تشعر بالحيرة، لقد مرت عدة أيام على آخر مكالمة لها مع أسعد وكلاهما يرفض أن يتنازل ويبادر بالاتصال فتدخلت والدة أسعد واتصلت بمرام في محاولة لتقريب وجهات النظر، وحاولت المرأة من جهتها أن تعتذر لها وتسترضيها مما ضغط على أعصاب مرام ووضعها في حيرة بعد أن كانت متأكدة من قرارها، ولم تكتف سهير بذلك إنما اتصلت بعارف وطلبت تدخله وقد أخبرها الأخير أنه سيبذل قصارى جهده؛ لكنه لن يضغط عليها إن كانت لا تريده وها هو والدها يحاول إقناعها بمنح نفسها فرصة للتفكير وكذلك فعل عصام قبله.

قالت مرام موضحة: «يا أبي الأمر ليس مجرد خلاف الوضع يصل إلى حد عدم التفاهم وعدم الراحة».

قال عارف بإصرار: «أخبريني بأشياء أقولها له ولأهله عن سبب رفضك».

قالت بحيرة: «صدقني هذه هي المشكلة.. إن كل الأمور التي تضايقني صغيرة وتافهة لكنها لا تشعرني بالراحة أعلم أن الكل سيصفني بالجنون لأنه شاب جاد وميسور الحال ووسيم وتتمناه كثير من الفتيات؛ لكن القبول الذي شعرت به حين رأته أول مرة كان مؤقتا سرعان ما تلاشى كفقاعة

صابون هشة انفجرت من أشفه شيء».

طالها عارف بحيرة فأضافت: «لن أستطيع القول إن به عيبا كبيرا لكني لا أشعر بالراحة.. أشعر أنني مشدودة الأعصاب ولست على طبيعتي كلما تحدثت معه، لا أشعر معه بالمودة والسكن، لست طامعة في قصة حب كبيرة أريد فقط أن أشعر بالراحة بالأمان ولا أشعر بذلك معه.»

تطلع مراد فيها وقد شعر بالغضب من أجلها، بينما رد عارف: «وهل مر الوقت الكافي بينكما كي تطلقي الأحكام وتتخذي القرار يا مرام؟».

قالت الأخيرة موضحة: «المثل يقول الخطاب يبدو من عنوانه، كما أنه سيسافر وستتباع المسافات بيننا وسيكون تواصلنا فقط عبر الإنترنت فكيف لي وأنا لا أشعر بالراحة معه من الأساس أن أتوقع أن تتحسن علاقتنا عبر الإنترنت؟، وأخشى أن أجد نفسي بعد عدة شهور متورطة في الزواج من شخص لا أعرفه جيدا».

تدخل مراد يقول: «أنا أؤيدها.. إنه سمج وسخيف ولا يطاق».

صاح عارف بانفعال: «أسكت أنت ولا تتدخل».

بلغ مراد لسانه بينما قال عارف: «اسمعي يا مرام أنا لن أجبرك على الزواج من شخص لا تريدينه؛ لكن الوقت قصير جدا يا ابنتي للحكم، لذا سأمنحك بضعة أيام أخرى لإعادة التفكير وأسمع بعدها قرارك الأخير وأخبر به أهله».

أطرقت مرام برأسها تشعر بالتمزق من ناحية يخبرها عقلها
بقصر المدة ولا تريد أن تضع أهلها في موقف انتقاد، ولا أن
تُحزن مدام سهير التي تقدرها كثيرا وقد كانت ترسم أحلاما
لعلاقة مميزة مع حماتها ستعوض فيها مشاعر افتقادها للأم،
ومن ناحية أخرى كلما فكرت في أسعد انتابها الضيق وعدم
الراحة فقالت بحشجة: «حاضر يا أبي سأعيد التفكير مرة
أخرى».

عوج مراد شفّتيه بامتعاض، بينما قال عارف وهو يربت
على ظهرها: «صلي صلاة استخارة وأنا أيضا سأدعو لك أن
يهديك لما فيه الخير».

رن جرس الباب فتحركت مرام لتختفي بالداخل، وتوجه
مراد ليفتح الباب قبل أن تتسع عيناه ويهتف متفاجئا:
«نيلى!».

الفصل الرابع عشر

انتهت نيللي من قص الخطوط العريضة من حكايتها على آل عارف محتفظة لنفسها ببعض التفاصيل الحساسة التي لن تقدر على ذكرها، وتابعت الوجوه التي تتابعها باهتمام وهي تضيف: «أنا لم أكذب لكني أخفيت الأمر خوفا من أن أشعركم بعدم الراحة، خاصة أنه لم يكن لدي أجوبة على سؤالكم (لماذا بقيت عندكم؟)».

سألها مراد بفضول: «لماذا بقيت عندنا؟».

أجابت نيللي وهي تجلس وسطهم في الركن الخاص بالضيوف: «لأنني بالفعل لم يكن عندي مكان للذهاب إليه.. فكما قلت لكم علاقتي بعمي وأسرته متوترة بسبب مشاكل بالشركة ومربيتي كانت في بلدتها تعد لزفاف ابنتها وخفت من وجودي وحدي بالشقة بصراحة أنا أكره المرض ويوم الحادث كنت خائفة من الوحدة».

أطرق عارف برأسه فتطلعت نيللي فيه وفي مرام الواقفة متكئة بوجوم وأضافت: «لكني أحببتكم وكنتم لي عائلة حقيقية وصدقوني هذه الفترة معكم جعلتني أغير نظرتي لكثير من الأمور في حياتي وكأن الله قد أراد أن يخفف عني ويمنحني هدنة».

تكلم عارف بلهجة متفهمة: «لا بأس بنيتي نحن نقدر ظروفك ونتمنى لك كل الخير في حياتك وسيظل هذا البيت بيتك».

نظرت نيللي لمرام وهي تقول: «المهم ألا يكون هناك من هو غاضب مني».

أشاحت الأخرى بوجهها فتركت نيللي مقعدها وجلست بجوارها تحيط كتفيها بذراعها قائلة: «مرام لماذا أنت غاضبة؟».

قالت الأخيرة بحشجة باكية مستمرة في الإشاحة بوجهها: «لأنك عاملتني كغريبة رغم أنني كنت أعاملك كأخت».

انهمرت الدموع من عيني مرام فمسحتها بينما قالت نيللي بتأثر: «الله وحده يعلم محبتك في قلبي وكم أنت غالية عندي يا مرام».

أدارت إليها مرام وجهها تقول بغضب: «غالية أم لأنه يسهل الضحك علي!».

قالت نيللي والدموع تترقرق في عينيها: «غالية لأنني أحبك، وما أخفيته لم يكن عدم ثقة بك.. كما قلت لكم كنت خائفة من أن تشعروا بعدم الراحة».

أشاحت مرام بوجهها مجددا كطفل صغير غاضب وهي تقول: «عموما أكره الله من خيرك أستاذة نيللي».

ابتسمت الأخيرة وتمتعت مازحة: «ما هذه الدراما وهذه الطريقة الرسمية في المعاملة (ونظرت لمرام تقول) ماذا حدث لها يا مراد؟ ماذا فعلتم بها في غيابي؟!».

رفع الأخير كفيه يقول: «أنا بريء منها».

عادت تقول لمرام بمشاكسة: «لماذا تشيحين بوجهك عني؟
آه تريدان أن أصالحك بقبلة على هذا الخد».

ومالت وطبعت قبلة على وجنتها فضحك مراد، بينما
أدارت مرام لها وجهها تقول بتأثر شديد: «لأنني اشتقت إليك
وأفتقدك بشدة».

ازدادت الدموع في عيني نيللي ثم حضنتا بعضهما بتأثر
بينما سألت روح بعبوس بعد أن فكرت قليلا: «هل هذا يعني
أنك قد هربت من الشرطة؟».

رد عارف بهدوء: «أية شرطة يا أمي؟ الشرطة ليس لها دخل
بها»

ابعدت نيللي مرام ونظرت إليها تقول «نحن كما كنا وسنظل
صديقتين يا مرامي.. فأنت بالفعل صديقتي الوحيدة»

انسابت الدموع المتأثرة من الفتاتين فمسحت نيللي
دموعها والتقطت واحدة من الحقائق الورقية اللامعة التي
أحضرتها معها وفتحتها تخرج منها لعبة للبنات وهي تقول
لزينة التي تجلس بجوار جدها: «هذه لعبة تشبه الأخرى
ذات الحلقات المطاطية؛ لكن هذه المرة من الخرز أرجو أن
تعجبك».

أخذت زينة اللعبة تتطلع فيها بانبهار فأشارت لها مرام
بعينيها لتسرع زينة بشكرها بينما التقطت نيللي حقيبة هدايا
أخرى وأخرجت منها شالا صوفيا وناولته للحاجة روح تقول:

«وهذه هدية بسيطة يا حاجة روح».

لاحت السعادة على وجه الأخيرة وهي تفحصه بين يديها ثم لفته حول كتفيها وهي تقول: «أسعدك الله يا (ليلي) أنا بالفعل كنت أريد واحدا (وأكملت بلهجة درامية متمسكة) كنت أعاني كل يوم من البرد الشديد وأتمنى واحدا مثله».

طالعها الباكون باتساع أعينهم وضرب عارف كفا بكف بينما قالت نيللي ضاحكة: «مبارك عليك (ونظرت للباقيين مضيفة وهي تشير على بقية الأكياس) وأرجو أن يعجبكم اختياري للهدايا».

قالت مرام بحرج: «لم يكن هناك داعٍ لتكلفي نفسك أنت قلت نحن أهل».

ابتسمت نيللي ونظرت لمراد تسأله: «لماذا لم تعد تراسلني على الواتساب كالسابق؟!».

ابتسم مراد بحرج وقبل أن يرد فُتح باب الشقة ودخل عصام فسقط قلب نيللي بين قدميها وهي تدير وجهها لتتطلع في وجهه الذي ازداد عبوسا برؤيتها، بينما توقف قلب عصام عن النبض متفاجئا بوجودها.

أيمكن للمرء أن يسيطر عليه أكثر من شعور متناقض في لحظة واحدة؟.. أيمكن أن يذبحه شعوران في وقت واحد.. حب وكره.. شوق وغضب.. لهفة ونفور؟!

تركت نيللي مكانها ووقفت تتطلع فيه، بينما خيم الصمت

على المشهد.. كانت ترتدي بنطالا من الجينز الأزرق يشبه ذلك الذي رآها به للمرة الأولى وفوقه بلوزة طويلة رمادية وحجابا أبيضاً فاندفعت زينة تقول بحماس: «عصام لقد جاءت نيللي وجلبت لنا الهدايا».

أسبل الأخير أهدابه وأغلق الباب في صمت ثم تحرك للناحية الأخرى مقررا الدخول إلى غرفته فأسرعت نيللي بالقول: «عصام هل من الممكن أن نتحدث قليلا من فضلك؟».

تقبض إلى جانبيه بقوة وأجبر نفسه على المواجهة وعدم الفرار فاستدار إليها يقول ببرود زائف: «طبعاً تفضلي».

استقام عارف يقول: «أنا لا بد أن ألحق بصلاة المغرب».

وقالت مرام بسرعة: «تعالى يا جدي لأريك شيئاً في الغرفة».

طالعتها روح بعبوس فأضافت: «أعتقد أنني لا أجد العبادة السوداء ذات الأكام النبتي الخاصة بك وأخشى أن تكون قد سقطت من فوق الحبل».

لاح الفرع على وجه روح وأنزلت ساقها من فوق الأريكة لترتدي خف البيت فساعدتها مرام على القيام وهي تقول: «هيا يا زينة تعال معنا».

تحرك عارف وهو يقول: «تعالى يا مراد لنصلي».

فناظره الأخير بارتباك ليجز الأول على أسنانه ويقبض على ذراعه ويسحبه معه إلى الداخل.

خلا المكان حولهما فتقدم عصام الذي يتعمد ألا ينظر ناحيتها ووقف في الصالة يواجه نيللي موليا ظهره للشرفة وراقبها وهي تمشى دون عرج، حتى وقفت في مواجهته يفصل بينهما عدة أمتار ثم خيم الصمت إلا من صوت دقائق صاخبة متبادلة بين قلوبهما، تأملته مرهقا غاضبا يتحاشى النظر إليها وتأملها بطرف عينيه مجهدة متماسكة رقيقة وتحفز شهيته.. للقتل.

قاومت رغبة ملحة للاندفاع والاختباء في حضنه خوفا من غضبه وطمعا في حنانه دون لوم أو عتاب، وقاوم رغبة لسحقها بين ذراعيه كي يطمئن قلبه أنها أمامه وفي أمان.. ورغبة أخرى في حبسها في هذا البيت.

وكلاهما تمنى لو يخبر الآخر كيف كانت الأيام الماضية دونه.. كلاهما كان يتمنى أن يرجع الزمن بضعة أيام للوراء ربما حظيا بفرصة أكبر للحديث.. للبوح.. للاعتراف بالمشاعر.. ربما حظيا بوداع لائق.

تنحنح قائلا بنفاد صبر ليفض الصمت المربك: «تفضلي آنسة نيللي».

همست: «كيف حالك يا عصام؟».

سألها بلهجة ساخرة: «هل تركت أشغالك المهمة وحضرت شخصا تسأليني عن حالي؟!».

كانت تعلم أن كبرياءه سيصعب عليها مهمتها فقالت: «عصام هلا سمحت لي بالتحدث؟».

كاد صوتها المستعطف أن يضعفه فعاد ينظر إليها متقبضا إلى جانبيه بقوة يقول بكبرياء: «لا أعتقد أن ذلك سيفيد في شيء».

هممت بلهجة متألمة: «لا تكن قاسيا».

رد بلهجة أكثر ألما: «الخداع أشد أنواع القسوة».

أسرعت بالقول مدافعة: «أنا لم أخدعك أنا فقط أخفيت عنك الحقيقة.. في البداية كنت لا أرغب في التحدث لصدمتي من أمور شخصية لم أكن أتوقعها ولم أكن قادرة على التحدث عنها، وكنت أنتظر عمي جودت صديق والدي حتى يعود لأنني كنت احتاجه لدعمي (وبلعت لسانها توبخ نفسها عن التلفظ باسم جودت وأسرعت بالقول) بعدها وبعد تقاربنا خشيت من كبرياءك الذي تضعه دوما حائلا بينك وبين من حولك أن يكون عائقا بيننا».

قال باستنكار وهو يبذل مجهودا كي لا تظهر عليه آثار النار التي تحرقه لحظتها.. نار الغضب ونار.. الشوق واللهفة: «فقررت أن تعلقيني بك أولا.. أن تملكي قلبي حتى تتلذذي بعذابي حين أعرف بالحقيقة».

ردت بهدوء أمام حالته الغاضبة: هذا الكلام أنا أكيدة أنه ليس نابعا من قلبك».

لمست وترا حساسا بكلامها أصابه برجفة فأسرع بمقاومة مشاعره قائلا ببرود متعمد: «عموما خطتك فشلت.. فسرعان

ما اكتشفت أن ما كنت أشعر به نحوك كان وهماً.

ضاق صدرها بالألم لكنها ردت بثبات وثقة استفزته: «وهذا أيضاً ليس نابعا من قلبك (واقتربت خطوة مضيفة بترج رقيق عذبه وهي ترفع إليه مقلتيها السوداوين اللامعتين بالألم) عصام أرجوك دعني أوضح لك».

أشاح بوجهه بسرعة وقال بكبرياء مجروح: «أنا أرى أنه لا داعي لإضاعة وقتك الثمين معي».

صمتت تبلع الإهانة ينازعها شعوران متناقضان وتناطحها شخصيتان بداخلها نيللي شرف الدين سيدة الأعمال ونيللي الفتاة البسيطة العاشقة لهذا الشاب الأسمر صاحب الكبرياء العالي فقالت بلهجة عاتبة متألمة: «هل تطردني من بيتك؟!».

لماذا لا يخترعون مخدرا لألم القلوب؟ إنه أشد أنواع العذاب، هذا ما فكر فيه عصام وهو يتماسك ويرد عليها ساخرا ليداري تأثيره بعبارتها: «معاذ الله آنسة نيللي لكن بالتأكيد سيدة أعمال مثلك ليس لديها وقت تقضيه هنا في مكان بسيط كبيتنا».

سحبت نفسا عميقا وقالت بصبر: «أنا متفهمة لما تشعر به يا عصام وهذا ما كان يخيفني من إخبارك بالحقيقة».

رد بابتسامة متألمة أوجعتها: «ومع هذا لن أسامحك أبدا على إخفاء الحقيقة عني».

تغضنت ملامحها وهي تدقق في معصمه الذي يخلو من

الطوق الجلدي وقالت بخفوت متألم: «لم أكن أعلم أنك قاس القلب».

أجابها بالخفوت المتألم نفسه: «قاسى القلب هو من يلعب بمشاعر الناس».

همست: «لم أكذب عليك في هذا الجانب».

لم يستطع التحمل أكثر فما يحدث هذا عذاب.. وأحس أنه يكره نفسه لأن مشاعره تحته على أن يغفر لها بينما كبريائه اللعين يقاوم ذلك فاستدار بسرعة يوليها ظهره واضعا يديه في جيبه بنطاله متعمدا أن يظهر أمامها غير متأثر بشيء، فلمست أصابعه الطوق الجلدي في جيبه الذي لم يطق أن يبعده عنه أكثر من بضع ساعات عاد بعدها يبحث عنه في سلة المهملات في غرفته وحمد ربه أن مرام لم تنظفها وتلقي به في كيس القمامة.

رغم توقع نيللي لردة فعله لكنها تألمت بشدة ومع هذا قالت بعبات: «حسنا.. كما تريد يا عصام.. أنا سأرحل لكن تذكر وقفتي هذه.. وتذكر أنني حتى لو كنت سيدة أعمال كما تقول (واختنق صوتها برعشة البكاء) فأنا في النهاية فتاة وقفت أمامك لتخبرك أنك أهم إنسان عندها لكنك أدت لها ظهرك.. وتذكر أيضا أن قلبي أنا هو ما ينبض في صدرك».

ارتجف قلبه بشدة ونظر للسماء عبر النافذة أمامه بعذاب ولم تعطه نيللي الفرصة ليراجع نفسه بل أسرعت بالمغادرة فالتفت حينما سمع صوت الباب وشعر بأن روحه تسحب منه

فهم بالإسراع خلفها؛ لكنه توقف عند الباب وتحكم في نفسه
ينادي أخاه صائحا: «أنت يا مراد».

«نعم».

قالها الثاني مفزوعا فقال عصام بسرعة: «اذهب معها».

«إلى أين؟!».

رد عصام من بين أسنانه وهو يدفعه نحو الخارج: «وصلها
لسيارتها فبالتأكيد هي التي ترابط أسفل البناية ونبهها لأن
مدخل الشارع به بالوعة كبيرة كانوا يحفرون بجوارها صباح
اليوم».

جادله مراد قائلا: «بالتأكيد هي رأتها وهي قادمة».

قال بعصبية وهو يدفعه خارجا: «اسمع الكلام يا مراد
ويفضل أن تركب معها وترشدها إلى الطريق الخلفي».

«حاضر».

قالها مراد وطار على السلم فوقف عصام مطأطئ الرأس
متقبضا إلى جانبيه يشعر بارتباك شديد.. بينما لحق مراد
بنيللي قبل أن تشغل سيارتها ومال يشاكسها عبر النافذة: «ما
هذه الروعة!».

مسحت دموع فرت على خديها وابتسمت له فأضاف
متجاهلا حالتها حتى لا يحرجه: «أنا طبعا أتحدث عن
السيارة هلا أخذتني معك للشارع الرئيسي؟».

أشارت له قائلة: «تعال ادخل».

ركب مراد بجوارها مطلقا صافرة إعجاب بالسيارة، بينما انشغلت نيللي لعوان عنه بإرسال رسالة قبل أن تضع الهاتف أمامها وتقول وهي تلف عجلة القيادة: «اشتقت إليك وللعب يا مراد».

في غرفته فتح عصام الرسالة ليجدها قد كتبت له: «يبدو أنني كنت أتوقع ألا تمنحني الفرصة لأن أشرح لك ولهذا جهزت لك قصتي كلها بالتفصيل أنا أخبرتك عائلتك بعناوين رئيسية منها، أما أنت فساكشف لك أسراراً لن يعرفها خارج إطار الشركة غيرك، حتى أثبت لك كم أنا أثق فيك وأشرح لك موقفي بالتفصيل وأنا لم أكن أتسلى في بيتكم».

فجلس عصام على سريريه يقرأ ما كتبت وهو يخوض حرباً طاحنة من مشاعر متناقضة على وشك أن تقضي عليه.

التاسعة مساء

تطلعت نيللي في هاتفها لربما أرسل لها عصام ردا بعدما تأكدت من أنه قد شاهد رسالتها الطويلة الشارحة لكل شيء ورغم أنها كانت متوقعة عدم رده، فهي رغم الوقت القصير بينهما باتت تتوقع ردود أفعاله وكأنها تعرفه طوال عمرها إلا أنها شعرت بالإحباط.

دخلت مربيتها تسألها: «ألن تأكلي؟».

تطلعت الأخرى في اللاب توب الخاص بها وهي تقول: «لا يا دادة ليس لدي شهية.. سأنتهي من بعض الأمور التي تخص العمل وأنام فالغد يوم طويل واجتماعات كثيرة».

رن جرس الباب فعبست نيللي تسألها: «هل طلبت شيئاً من الخارج؟».

هزت الأخرى رأسها نافية وغادرت الغرفة بينما زار الأمل نيللي لثانية قبل أن تسخر من سذاجتها في الثانية التي تليها فمن أين سيعرف عصام بعنوان بيتها؟!

عادت راجية تقول: «ست نيللي الأستاذ طارق بالخارج».

«طارق!».

زفرت وتحركت تبدل ملابسها وهي تشعر بالضيق لاستقبال الخالة راجية له؛ لكن المرأة لا تعرف بما حدث تلك الليلة، بعد دقائق خرجت إلى صالة شقتها الفخمة يديها في جيبي سترة قماشية طويلة ترتديها فوق ملابس البيت فاستقام طارق واقفا وبادرها بالقول: «كيف حالك يا بنت عمي؟ أنا جئت اليوم ومُصر على أن تسمعيني».

دقت فيه بعينين ضيقتين متفحصتين واقتربت خطوة تشتم رائحته من بعيد فعقد طارق حاجبيه لتقول بلهجة ساخرة: «كنت أتأكد من أنك لست سكرانا حتى أحدد إن كنت سأحضر المقص أم لا».

هرش طارق خلف رأسه بحرج وقال بلهجة معذرة: «لن

أسامح نفسي أبدا على ما قمت به تلك الليلة».

خرجت الخالة راجية من المطبخ تحمل فنجانا من القهوة وهي تقول: «القهوة يا أستاذ طارق».

فرفعت نيللي حاجبا وقالت لمربيبتها: «من قال إننا سنضيفه!».

تجمدت يد طارق قبل أن تصل إلى الفنجان وناظرها محرجا، بينما قالت راجية بعبوس: «وهل يصح يا ست نيللي (ونظرت لطارق تقول) تفضل يا بك».

تطلع طارق في نيللي وهو يأخذ الفنجان من فوق الصينية فطالعه الأخيرة بوجه ممتعض ثم راقبت الخالة راجية وهي تذهب إلى الداخل وبعدها قالت لطارق: «لو كنت أخبرتها بما فعلته معي تلك الليلة لكانت هذه القهوة مسكوبة الآن فوق رأسك».

ازداد حرجه وشعوره بالخزي وقال: «هل ستسمعينني؟».

قالت بحدة: «وهل هناك مبرر لما فعلت؟!».

أعترف بخزي: «لا».

«إن ما الداعي لأن أسمعك؟ أنت اعتذرت وأنا لم أقبل الاعتذار».

قال بلهجة مترجية: «لأنني أحتاج لأن أتحدث مع نيللي صديقتي».

قالت بانفعال: «أنت فقدت كل صلاحياتك عندي يا طارق.. لم تعد صديق ولا حتى قريب.. معك مثل أبيك».

أسرع طارق يقول بترج: «لا يا نيللي أرجوك أنا لست مثله، هذا التشبيه يقتلني (وأضاف بلهجة متألمة) أنا لست قاسيا أو انتهازيا ربما أكون ضعيفا أو عاطفيا لا أدري من أكون؛ لكن ما أدركه جيدا أنني لست مثله».

كانت تعرفه جيدا فهو قريبها ورفيق الطفولة وتعرف مشاكله وعلمته، وأدركت لحظتها أنه في حالة نفسية سيئة؛ لكن لا يزال في قلبها غصة بسببه فلمعت الدموع في عينيها وأشاحت بأنظارها بعيدا حتى لا تضعف وهي تقول: «أنت كنت الوحيد الذي أثق به من عائلتي المتبقية لي بعد وفاة أبي، وتوقعت أنك ستحترم عدم رغبتني في الزواج منك.. توقعت أنك ستفهم ذلك وستحترمه».

سألها سؤالا صريحا: «أنت لا توافقين علي شخصيا كزوج؟ أم بسبب أبي أخبريني الحقيقة أرجوك».

أجابت وهي لا تزال تشيح بوجهها عنه: «الاثنان».

زفر في راحة مغمغما: «حمدا لله».

عقدت حاجبيها وعادت تنظر إليه قائلة: «لا أفهم».

رد بصراحة: «خشيت أن يكون السبب هو أبي فقط لكنك موافقة علي كزوج».

«لا أفهمك!».

قال وهو يشير لها كي تجلس: «لأن ما أريد أن أحكيه لك حساس جدا ولو كنت تحملين لي مشاعر خاصة لن أستطيع أن أخبرك به».

جلست أخيرا على الأريكة وهي تقول بفضول: «أنا لا أفهم يا طارق؛ لكن أنا أكيدة جدا أنني لا أراك سوى أخ أو صديق (وأسرعت بالقول مصححة) أقصد كنت..».

جلس طارق على الأريكة المقابلة ووضع الفئفان على الطاولة أمامه وهو يقول: «سأخبرك بكل شيء.. طبعا أنت لست غبية حتى لا تفهمي أن عمك يرغب في أن نتزوج لأسباب تخصه».

ردت بلهجة ساخرة: «هذا أمر أصبح واضحا وضوح الشمس رغم أنني كنت أجادل أبي رحمه الله من قبل؛ لكني مؤخرا تأكدت».

هز طارق رأسه وقال: «لهذا كان دوما يضغط علي لأكون معك وأربطك بي.. ولا أنكر أنني كنت معجبا بك مثل أي ابن عم تجاه بنت عمه، خاصة أنك كنت دوما تفهميني وتستمعين لشكواي وتحفزيني للمضي قدما في حياتي كما أن أمي نورية تحبك».

قاطعته نيللي تسأله: «كيف حالها أشتاق إليها؟».

ابتسم يقول: «تسأل عنك كثيرا وكانت قلقة حينما كنا نبحث عنك أدعي لها بالشفاء فحالتها الصحية تزداد ضعفا وسوءا».

غمغمت بتعاطف: «شفأها الله وعافأها أخبرني حينما لا يكون أبوك في البيت حتى أزورها».

رد بلهجة ساخرة: «هو لا يتواجد إلا نادرا (وأكمل حديثه) المهم أني كنت مدفوعا من قبل أبي دفعا بشكل لا يطاق كي أقنعك بالارتباط بي».

عبست تقول: «أفهم من ذلك أن كل محاولتك معي من قبل والورود والشكولاتة وما إلى ذلك كانت زائفة!». «لا بالطبع كانت صادقة».

ناظرته بغباء وقالت: «طارق أنا لا أفهم».

ابتسم ابتسامة محرجة وهو يقول: «أقصد أني كنت صادقا معك وأنظر إليك نظرة رجل لفتاة جميلة».

قلبت مقلتيها تقول بتهديد: «يبدو أني سأقوم لأحضر المقص».

رفع يديه أمامه يقول ببراءة: «أنا أشرح لك الموضوع.. المهم أنك غالية عندي وأنا أقدرك وكنت جادا معك في رغبتني في الزواج منك لأنك صديقتي وتفهميني».

(لأنك صديقتي وتفهميني) عبارة اختصرت على نيللي كل شيء لتفهم حقيقة مشاعر ابن عمها نحوها التي كانت في حيرة دوما من تصنيفها ليقول طارق بما جعل كل حواسها تنتبه: «حتى وقعت في الحب».

فتحت نيللي فمها متفاجئة من ملامحه المحرجة وهو يهز لها رأسه مؤكدا ثم أضاف: «كنت قبل ذلك أعتبر إعجابي بك وتفاهمنا نوعا من الحب وضغط أبي علي جعلني جادا في رغبتي في الزواج منك؛ لكني لم أحسب حسابا لأن أقع بهذا الشكل في هوى فتاة أخرى».

اتسعت عيناها وتملك منها الفضول فتحولت الجلسة لجلسة صديقين يتبادلان الأسرار فاعتدلت على الأريكة ورفعت ساقها لتجلس متربعة وهي تقول: «من ومتى وكيف ؟ تكلم بسرعة».

ازداد احمرار وجه طارق وأجاب: «بدأ قبل عامين».

هتفت بغير تصديق: «عامان! عامان يا طارق ولم تخبرني!».

رد بحرج: «الأمر كان دقيقا وحساسا ولم تكوني وقتها نيللي صديقتي وقريبتي.. كنت نيللي التي أسعى للزواج منها تحت ضغط وإلحاح من أبي».

قالت بقلة صبر: «كيف حدث؟ ومن هي؟».

أجابها بصوت متهدج ينم على ما يكنه من مشاعر: «حدث حينما قابلتها للمرة الأولى عندما قمت بعمل مقابلة شخصية لها.. لم تكن أقوى المرشحين للوظيفة؛ لكن هناك شيئا ما جعلني أقرر توظيفها ووقتها أرجعت الأمر لإعجابي بكفاحها كفتاة يتيمة تعيل أمها وأختيها.. ولأني وجدتها طموحة وسريعة التعلم ومتفانية في عملها؛ لكن بعد ذلك اختلف الأمر».

اتسعت عيناها وسألته: «هل تقول إنها موظفة عندنا؟!».

هز رأسه بابتسامة محرجة فسألته: «من؟ قل بسرعة».

«نهلة».

عبست تقول: «نهلة؟! لا أذكر أن في شركتنا غير نهلة

واحدة».

هز رأسه مرة أخرى بالإيجاب فصاحت بعينين متسعيتين:

«نهلة مساعدتي! أقصد التي كانت مساعدتك! نهلة!».

قال ببحة: «أجل هي».

سألته وهي لا تزال متفاجئة مما سمعت: «وهل هذا سبب

تعسف أبوك معها في تلك المشكلة التي أثirt قبل شهور؟!».

هز رأسه بالإيجاب وأعتدل مجيبا: «مع الوقت وفي فترة

قصيرة جدا تدفقت مشاعري نحوها بشكل لم يحدث لي

من قبل مع أي فتاة.. ولم أستطع منع نفسي رغم أنني كنت

أعلم أن طريقنا أنا وهي ليس واحدا.. لكنني كنت ضعيفا

أمام مشاعر أشعر بها للمرة الأولى في حياتي وتسيطر علي

فصارحتها بمشاعري، وبالطبع كان ردها هو الرد المنطقي

في مثل وضعنا خاصة أن الموظفين في الشركة يتحدثون

عن كوني أنا وأنت مرشحين للارتباط؛ لكنني لم أستطع أبدا

التحكم في نفسي وظللت ألح عليها وحاصرتها حتى وجدت

منها ميلا نحوي، خاصة حينما وعدتها أنني سأحدث معك

وأخبرك بحقيقة مشاعري تجاهها».

«ولماذا لم تخبرني؟».

«لأن عمي تدهورت حالته الصحية وكنت مشغولة به ولم أكن أعلم هل لديك مشاعر خاصة لي لكنك ترفضين لرفض عمي لزواجنا أم ماذا، فكان الوقت غير مناسب لإخبارك، ثم سافرت مع عمي في رحلة علاج طويلة بالخارج، وفي تلك الأثناء اكتشف أبي اهتمامي بنهلة وتواجهنا وأنا بكل غباء وفي غمرة انفعالي أخبرته أنني أحبها وأني لم أعد أفكر فيك كزوجة، وطبعاً كانت ثورته عارمة خاصة مع خوفه من موت والدك دون ارتباط رسمي بيننا، فتدخل وقتها وقرر فصل نهلة وهددني أنه سيؤذيها هي وعائلتها إن حاولت التواصل معها، والحقيقة أنني أشفت عليها من الدخول في دوامة الصراع العائلي وأن تكون ضحية أبي فأنا أكثر من يعرفه ويعرف كيف أن قلبه قاسي».

فكرت نيللي لبرهة ثم غمغمت: «إذن هذا هو السبب لما فعل معها! ولهذا طلبت أنت مني التدخل في الأمر».

«لم يكن أمامي غيرك، كان عمي قد توفاه الله وأصبحت مديرة الشركة رسمياً فاضطرت لإخبارك بقصة فصلها التعسفي بأمر مباشر من أبي؛ لكن صدقيني كان همي الأول هو ألا تفقد نهلة الراتب الجيد الذي تحصل عليه من شركتنا لأنني أعرف ظروفها جيداً ولن أنكر أنني في الوقت نفسه لم أستطع أن أبتعد عنها ولم أتحمّل ألا أراها حولي حتى لو كانت علاقتنا مجرد علاقة عمل، لهذا كنت ممتمناً لتدخلك لرفع الظلم عنها، ورضيت بالاتفاق الذي تم بينك وبين أبي بأن

تنقل لقسم آخر غير القسم الذي أديره وسعدت أنك وظفتها في مكتبك فذلك منحها حماية بعيدا عن يد أبي.»

«لهذا كان أبوك متشبعا بإقالتها من الشركة وقتها لم أفهم أو بمعنى أصح لم أكن في حالة نفسية تسمح لي بالتدقيق لأنني كنت ما زلت في حالة حداد على أبي لكنني تعجبت من أنك لجأت لي للتدخل وتعجبت أكثر من تصرف والدك معها لأن الأسباب التي أخبرني بها وقتها لم تكن مقنعة وأعترف أنني تعاطفت مع ظروفها التي رويتها لي ووجدت أنه من الظلم فصل موظف دون سبب، كما أنني حين قابلتها وتحدثت معها وسألت عنها رامي شكر لي فيها وفي مهارتها وتفانيها، لهذا قررت أن أوظفها في مكتبي حالا لذلك النزاع بينكما ثم نسيت الموضوع بعدها.»

قال طارق بانزعاج: «كيف شكر فيها رامي؟.. أي نوع من الشكر بالضبط؟!»

طالعه نيللي مدققة لعوان ثم غمغمت ضاحكة وهي تدلك جبينها بأناملها: «يا إلهي لا أصدق! أنت عاشق وتغار على الفتاة!..»

مط طارق شفثيه فسأله بغیظ: «ولماذا لم تخبرني قبل اليوم؟».

رد بلهجة بائسة: «كان اتفاقي مع والدي أن يترك نهلة في حالها دون أن يؤذيها مع وعد مني ألا أقرب منها وأن أقطع علاقتي بها، ولهذا أردت أن أدفن أمر نهلة في قلبي وأن أجدد

نيتي في الزواج منك».

شعرت بالغضب فقالت بلهجة لائمة: «وهل كنت ترضى بهذا لي يا طارق؟ أن تتزوج مني وفي قلبك فتاة أخرى!».

رد بصدق: «صدقيني كنت ضائعا لا أعرف ماذا أفعل بحياتي، وأبي كان ولا يزال يضغط علي بشدة وكنت أفقد نهلة وأعاني من فراقنا.. لقد قطعت وعدا لها ولأبي بالابتعاد عنها لكن الأمر معذب.. لهذا حدث ما حدث ليلة اختفائك تشاجرنا أنا وأبي وصب جام غضبه علي على مرأى ومسمع من أمي التي انهارت فكما تعلمين هي ممزقة بيننا بين حبها الفطري لي لكوني ابنها وتعلقها الشديد بأبي الذي لا تراه مخطئا أبدا وتلتمس له كل الاعذار والمبررات بشكل عجيب، وكأنه يمارس عليها تعويذة سحرية مستغلا قدراتها العقلية التي تعرفينها، يومها وبعد أن اطمأنتت على أمي ذهبت مع أصدقائي لنسهر كي أخفف من حالتي النفسية وسكرت وحدث ما حدث».

ناظرته باستياء فأضاف: «هذا ليس تبريرا لما فعلت، فأنا مستاء جدا أن تصرفت بهذه الطريقة المخزية معك وحمدا لله أنك كنت قوية وحازمة ولم تمنحيني فرصة للتمادي».

خيم الصمت لبرهة وفكرت نيللي بحيرة ثم سألته: «وما الوضع الآن؟».

سحب نفسا عميقا ثم أخرجته في زفرة متألمة يقول: «الوضع أنني ضائع متعب.. مخنوق.. وأشتاق لنهلة أشتاق

إليها وأفتقدها وأموت ببطء وهي بعيدة عني».

قالت بابتسامة وهي تهز رأسها: «ما زلت لا أصدق أنك واقع في الحب وماذا تنوي أن تفعل؟!».

«لا شيء».

«لا شيء؟!».

«نعم لا شيء.. فأبي كما تربيته وبسبب الخلاف معك لديه ميول إجرامية، وأنا لن أمنحه سببا لأن يؤدي نهلة وعائلتها، كما أن نورية تحزن حينما أغضبه وبصراحة أخشى من أن تمتد قسوته إليها يكفي أنه قد أقنعها أن سبب خروجه من البيت لبيت آخر هو أنني أغضبه ولا يتحملني، وبالطبع هي صدقته خاصة أنه لم يعد يزور البيت إلا كي يعنفني فاقتنعت بالفكرة؛ لكنني أخشى من أن يفعل أي شيء لإيذائها فكل شيء معه وارد الحدوث».

صمت نيللي قليلا ثم قالت: «لا أعرف ماذا أقول لك».

رد طارق بلهجة يائسة: «لا تقولي شيئا، أنا فقط أردت أن أخبرك بما يحدث معي ربما فسر لك ما حدث تلك الليلة خاصة أنني تألمت بشدة حينما تعرضت لحادث ولم تتصلي بي.. لن أنسى ذلك أبدا ولن أنسى أنني كنت السبب لأن تضطري لأن تبיתי عند أغراب لا تعرفينهم بدلا من اللجوء لي.. ما حدث هزني ووضعتني في حجمي الحقيقي أمام نفسي وأشعرتني أنني لست رجلا يعتمد عليه».

صمتت نيللي تناظره ولم تجد كلمات مناسبة ترد بها عليه
ثم قالت بعد برهة: «هونها على نفسك وادع لي أن أستطيع
أن أنتصر عليه وبعدها سأضع لكل شيء في الشركة قواعد
صارمة».

قال طارق بجدية: «هلا أخبرتني الآن بحقيقة ما يحدث
بينك وبين أبي ولا أعرفه؟».

تنهدت تقول: «والدك يلوي ذراعي إما أن أنفذ له ما يريد أو
أن يدخلني السجن يا طارق».

بعد عدة أيام عصرا

تطلعت سهير في مرام التي تجلس أمامها في صالة بيت
عارف تشعر بالسوء لما آلت إليه الأمور بينها وبين ابنها،
وتشعر بالإحباط لأنها فشلت في مهمتها التي جاءت من
أجلها وهي إقناع مرام بالعدول عن رغبتها في فسخ الخطبة،
وفي الوقت نفسه تملكها الغيظ من ابنها الذي رفض الحضور
معهما وترك لها المهمة إما إقناعها أو العودة بالشبكة، قالت
مرام وهي تشعر باستياء شديد بسبب نظرات المرأة الحزينة
وبضغط كبير على أعصابها لأنها خذلتها: «أريد أن أخبرك أنني
أحبك جدا، وأنت كنت من أهم مميزات هذه الزيجة، كنت
أشعر أنني محظوظة لكوني سأحظى بأم ثانية وليس حماة
لكن كما تعلمين كل شيء قسمة ونصيب».

قالت سهير: «لو أعرف أصل المشكلة بينكما يا مرام».

ردت الأخيرة موضحة: «لا توجد مشاكل صدقيني، أسعد شاب ممتاز وتتمناه أية فتاة».

«إلا أنت!».

قالت سهير بآلم فردت مرام: «إن الأرواح لم تتلاقى هذا هو الأمر ببساطة».

أسرعت الأخرى بالقول وهي لا تزال متشبعة بالأمل: «لو السبب لأنه لم يتصل منذ ذلك اليوم ولم يأت معي أعطني إشارة أنك ستعدلين عن قرارك وسأجعله يأتي إلى هنا ليصالحك».

ازداد الضغط على مرام لكنها كانت مصرة على قرارها فقالت: «كما قلت لك لسنا مُقدرتين لبعضنا لكني سأظل أحبك وأقدرك (وأمسكت بكيس بلاستيكي من بين عدة أكياس به علبة مخملية وناولته لسهير قائلة) هذه هي الشبكة وهذه كل الهدايا التي أحضرها أسعد لي».

أمسكت سهير الكيس بحزن ثم قالت: «احتفظي بالهدايا».

أسرعت مرام بالقول: «لا ليس هناك داع».

قالت الأخرى بعينين تترقرق فيهما الدموع: «لا احتفظي بها مني لك».

تأثرت مرام ووخزها الشعور بالذنب فحضنت سهير مغمفة: «والله أنت غالية عندي أقسم لك».

بعد قليل وبعد مغادرة سهير وقفت مرام تبكي ووقف عارف يتطلع فيها صامتا بينما قالت روح بتوبيخ: «لماذا تبكين الآن؟ ألم تضيعي الشاب الميسور الحال من يدك بنفسك؟!».

ظل عارف على صمته وقد عاد إليه اكتئابه فتركهم وخرج إلى الشرفة، فتابعته مرام شاعرة بالذنب بينما اقترب منها عصام يحضنها وشعوران متناقضان يشغلان صدره واحدا بالراحة لشجاعتها في اتخاذ القرار والثاني بالضيق لخوضها علاقة فاشلة، فقال بحنو: «لم البكاء الآن؟ ألسنت متأكدة من قرارك؟».

ردت وهي تنام بخدها على صدره: «طبعاً متأكدة؛ لكنني أشعر بالذنب لأنني أحزنت أبي ومدام سهير».

أخذ يدلك ظهرها بكفه وهو يقول مشجعا: «سيتخطيان الأمر بسرعة لا تشغلي بالك».

مسحت دموعها ورفعت رأسها تقول: «الكلام نفسه قالت له لي نيللي».

طحن ضروسه عند ذكر اسمها وتسارعت نبضاته.. في الوقت نفسه دخل مراد من الباب بعد أن قام بتوصيل سهير إلى السيارة حيث كان ينتظرها السائق ليعيدها للبيت فخلص أخته من حضن عصام قائلا: «اتركها لي أنا سأخرجها من حالتها هذه».

تركها عصام فحضنها مراد بسعادة مغمغما: «أنا أحبك

مرامي أحبك جدا جدا.. ما رأيك بهذه المناسبة السعيدة
أن تصنعي لنا صينية معكرونة بالبشاميل على سبيل
الاحتفال؟».

في المساء

«وكيف تشعرين؟» سألتها نيللي في الهاتف فطوت مرام
ساقها تحتها في جلستها على السرير وردت: «أشعر بمشاعر
مختلطة ومتناقضة لكن أهمها أشعر بالراحة».

أعطت نيللي لنهلة الملف بعد أن راجعته وأشارت لها بما
يعني (تمام) ثم قالت لمرام: «ألهذه الدرجة كان يشكل عبئا
نفسيا عليك؟!».

اعترفت مرام قائلة: «هذا حقيقي ولم أكن أعي بذلك وقتها،
فكما تعرفين أنا أحاول أن أتعامل مع كل المواقف وأدرب
نفسي حتى أكون مرنة وحاملة؛ لكن تلك الفترة التي توقفت
عن التواصل معه بعد المشكلة الأخيرة شعرت براحة كبيرة
أنني حين أستيقظ ليس علي أن أرسل له رسالة لألقي عليه
تحية الصباح، ولن أظل طوال اليوم أذكر نفسي أنني لا بد أن
أصل به آخر اليوم حتى لا يغضب مني لكن رغم كل هذا لا
أشعر نحوه بأي ضغينة أو جرح فهو لم يؤذني بالشكل الذي
قد يجعلني أحمل ذكرى سيئة ضده وهذا ما حرصت أن أبلغ
به أمه».

تركت نيللي المكتب وتحركت نحو النافذة تدلك رقبتها

وظهرها بإرهاق وهي تقول: «اسمعي يا مرام أنا مؤمنة أن التوافق الفكري والروحي بين الزوجين يأتي في المقام الأول حتى قبل الحب وبعدها تأتي بقية الأشياء التي تكمل الصورة وتزيدها جمالا أو تشجعهما على المضي في العلاقة، وما أراه منذ اللحظة الأولى أن التوافق الفكري والروحي بينكما لم يكن موجودا».

ردت مرام مؤيدة: «صدقت لهذا ورغم علمي أن الكثيرين قد يروني مجنونة لم أرغب في أن أغامر واستمر في العلاقة دون الشعور بالراحة».

غمغمت نيللي: «أنا أراك شجاعة يا مرام فأنا أسمع دوما أن بعض الفتيات تعتقدن أنهن سيغيرن الشريك بعد الزواج أو يصبرن على ما يضايقهن إن كان العريس وسيما وميسور الحال لكنك كنت شجاعة ولم تغريك الماديات ولم تشعري بالخوف من أن تقولي لا أريده ليس لسبب سوى أنني لا أشعر بالتوافق الروحي بيننا».

خيم الصمت فسألته مرام بعد برهة: «وأنتِ هل من جديد؟».

تنهدت نيللي وعادت لمكتبها تقول: «لا جديد سوى المزيد من الأعمال هذه الفترة ضاغطة جدا أنا ما زلت في المكتب».

قالت مرام وهي تتطلع في الساعة: «حتى هذه الساعة؟!».

«أجل سأغادر بعد قليل».

سألها مرام بإشفاق: «هل المشاكل التي تخص الشركة لا تزال موجودة؟».

ردت نيللي بصوت مرهق: «أتمنى أن أستطيع العبور بالشركة إلى بر الأمان».

«إن شاء الله ستقدرين أنا واثقة فيك».

غمغمت بعاطفة قوية: «لا حرمني الله منك».

سألها مرام بشفقة: «ألا تشعرين بالوحدة حينما تعودين لشقتك؟».

جلست نيللي على كرسيها وهي تقول: «بالطبع أشعر بالوحدة رغم وجود الخالة راجية معي؛ لكنني أفتقدكم جدا.. هل عصام بخير؟».

تنهدت مرام وردت: «لا جديد لا يزال يبيت عند أنس يعود من العمل فيبدل ملابسه ويأخذ طعام العشاء معه وينزل وحين يعود أنس من عمله تنزل لهما زينة».

«وفقه الله».

قالتها بحزن لتقول مرام: «نيللي».

«نعم».

احمرت وجنتاها وهي تقول: «فضولي يكاد أن يقتلني وأريد أن أسألك عن شيء».

ضحكت نيللي وقالت: «تفضلي قبل أن يلتهمك فضولك».

«هناك مشاعر خاصة بينك وبين عصام أليس كذلك؟!».

تجمدت الابتسامة على وجه الأخرى ثم أجابت: «بالنسبة لي (نعم) بالنسبة له وبعد ما حدث (لست متأكدة)».

اعتدلت مرام تقول بحماس: «صدقيني أنا أشعر أنه متأثر جدا بما حدث وهذا يدل على وجود مشاعر خاصة لك».

أسندت نيللي رأسها على ظهر الكرسي ورفعت أنظارها لأعلى مغمغمة: «كما قلنا الحب وحده لا يكفي، وأعتقد أنه هو الآخر مؤمن بذلك؛ لكننا مختلفان في تفسير هذه المقولة».

قالت مرام بسرعة: «الحقيقة أنا لن أستطيع التدخل بشكل مباشر في الموضوع خاصة في حالته المزاجية الحالية لكن حين تأتي الفرصة سا...».

«لا يا مرام هذه الأمور لا تأتي بتدخل أطراف خارجية، فإن لم تكن المشاعر بداخله هي ما تحركه فليس هناك داع للاستمرار في هذه العلاقة، خاصة أن العقبات بيننا كبيرة فإن لم يكن في مواجهتها حب أكبر منها يتغلب عليها لن تستمر».

قالت مرام باستهجان: «أفهم من ذلك أنك ستتركينه كي يتحرك هو أولاً!».

«لا بالطبع.. إنه لا يعرف نيللي شرف الدين أنا صبورة وحمولة إلى حد سيذهله سأستمر في إقناعه بمشاعري وبإمكانية تلاقينا، سأستمر في ذلك حتى أصل للحظة أدرك فيها أنني أعطيت لهذه المشاعر التي تملكني كل شيء وبذلت

من أجله ما أستطيع فعله حتى آخر نقطة، والباقي قسمة ونصيب».

قالت مرام: «أدعو الله أن تيسر أمورك ويجمع بينك وبين عصام قادر كريم».

«يا رب يا مرام.. يا رب».

ما تكلمنيش ع الحب

ما تفكرنيش بالحب

لا حياتي هي حياتي

ولا قلبي أصبح قلب

دخل أنس شقته فاستقبله صوت عبد الحليم يخرج من
اللاب توب الخاص بعصام ويملاً المكان بينما الأخير يجلس
أمامه يقوم بإحدى تصاميمه.

حببت الحب عشانك

وكرهت الحب عشانك

قال بلهجته الساخرة منادياً إياه باسم بطل فيلم معبودة
ال جماهير: «أقبل يدك يا أستاذ (إبراهيم) وترحمني من هذا
البؤس، أقسمت عليك بغلاة (الست سهير)..هل تعتقد أن
شخصاً في مثل ظروفه سيتحمل هذا القدر من البؤس حتى
تقلب له البيت بأغاني كئيبة؟، يا حبيبي أنا ينقصني

خمسمائة جرام من النحاس وأدخل موسوعة جينيس كإله
لللبؤس، ألا تشفق علي؟! ألا تشفق على ابن عمك؟!«.

دون أن يدير عصام وجهه إليه أخفض صوت الأغنية
دون تعليق، بينما تحرك أنس نحو طاولة السفرة يضع عليها
مفاتيحه وهاتفه بغيظ وصوت عبد الحليم يضرب على
جدران قلبه.

أبدا مش هقدر أسامحك

أبعد خليك في مكانك

أنا بترجاك استنى هناك

استنى بعيد علشان أنساك

استدار إليه أنس يسأله: «هل ستؤانسني كثيرا؟».

حرك عصام مقلتيه نحوه يسأله ببرود: «هل تقول شيئا؟!«.

رد أنس بابتسامة ممتعة: «لا يا حبيبي.. أقول حلت أهلا
ونزلت سهلا».

غمغم عصام بوجهه العابس: «عشت».

جلس أنس أمام طاولة السفرة يتطلع في الطعام قائلا
بسخرية مرة: «من عجائب الأقدار واستمرارا لمسلسل
النحاس الذي أتعرض له أن اليوم الذي أحظى فيه بمن
يستقبلني عند عودتي من العمل يكون هذا المستقبل رجلا».

ناظره عصام ببرود مرة أخرى يسأل مجددا: «هل تقول

شيئا؟!».

ابتسم له أنس ابتسامة صفراء ثم كست الجدية وجهه
وسأله: «هل هي بخير؟».

«من؟».

رد بغیظ: «من تعتقد؟ بنت عمي!».

هز عصام رأسه وقال مطمئنا وهو يعود لينظر للشاشة:
«بخير لا تقلق لقد فكرت جيدا قبل أن تتخذ قرارها».

غمغم أنس بلهجة مشفقة: «الشعور بالفشل مؤلم حتى لو
كان الطرف الآخر لا يستحق أن نحزن عليه الأمر أشبه بزلزال
يصيب حياتك وينتابك الخوف لحظتها فتتساءل هل ستعود
حياتك كما كانت؟».

قالها وصمت شاردا في حيرة، فلا تزال العقبات بينه وبين
مرام كحيرة، وقد زادت حينما قدم استقالته، لا ينكر أنه سعيد
ويكاد يتقافز كالأطفال من الفرح منذ أن علم أنها قد أخبرت
أهلها بعدم رغبتها في الاستمرار في الخطبة؛ لكن الشعور
بالخوف أصبح ينافس ذلك الشعور بالفرحة بداخله ويفسده،
شعور بالخوف والحيرة.. لقد عاد للمربع رقم صفر عاد الوضع
كما كان قبل خطبتها.. وزاد عليه أنه قد ترك عمله ولا تزال
تسيطر عليه المشاعر المعقدة نفسها التي تشعره بالعجز وقلة
الحيلة وأن مرام تستحق أن ترتبط بمن يدللها ويخفف عليها
حملها.

المشكلة الأصعب أن تجربة ارتباطها بآخر كانت مؤلمة له حد العذاب ولا يريد أن يمر بها مرة أخرى لهذا كان هو بين إقبال وإدبار وكانت تأكله الحيرة.

قطع عصام أفكاره حينما سأله ببعض الحدة: «وهل ستبقى دون عمل؟!».

رفع أنس حاجبه ورد: «ألست قادما من العمل قبل قليل!«.

قال عصام مقارعا: «أقصد أنك ستتركه خلال أيام».

كان أنس يعلم أن عصام يقصد أمرا آخر وأنه يدفعه بشكل غير مباشر لاتخاذ خطوة جدية تجاه مرام؛ لكنه لا يزال يرى أن العوائق بينهما كبيرة فأجابه: «ماذا أفعل والنحس يلازمي يا صديقي».

زفر عصام وعاد ينظر للشاشة قائلا بشروء: «النحس يلازمنا جميعا».

تأمله أنس دون تعقيب فهو أكثر من يعلم كيف يتألم، بينما غرق عصام في أفكاره شاردا في التصاميم التي يعمل عليها ليقول الآخر بعد برهة وهو يغرف لنفسه الطعام في الطبق: «عموما أنا بالفعل بدأت البحث عن وظيفة وأخبرت كل من أعرفهم في شركات الأدوية بذلك».

قال عصام ساخرا: «لا تنسى أن تتدرب على المقابلات الشخصية، ذكرني أن أعطيك درسا فيها فأنا صرت خبيرا بها».

ابتسم أنس ساخرا ليضيف عصام: «ولا تنسى الأسئلة التعجيزية.. عليك بالبحث في الإنترنت من الآن عن أهم الأسئلة ربما جاء سؤالاً منها وكان حظك جيداً وأهم شيء توقع كل ما هو غير مألوف يا صديقي مثلاً: ما لون براز النملة؟».

غمغم أنس بفم ممتلئ بالطعام: «ارحمني أنا أكل».

قال الثاني ببرود وهو يعود لينظر أمامه: «أنا أخبرك بمثال».

«تمام شكراً لتعاونك معنا».

«ألم يطلبوا منك في الشركة البقاء؟».

بلع ما في فمه وتخلّى عن قناعه الساخر ليقول بجدية: «الزملاء حاولوا إثنائي لكنني أصريت.. ومضطر كما تعلم أن أكمل الشهر لآخره حتى أحصل على مستحقاتي كاملة».

زفر عصام بكآبة وغمغم: «لعله خير».

«وأنت هل من جديد؟».

«لا جديد كما ترى أعمل طوال الوقت؟ أريد أن أثبت وجودي بالشركة، كما أنني سأبدأ في تعلم تصميم مواقع الإنترنت.. هذا من الممكن أن يكون نشاطاً يدر لي دخلاً إضافياً إن شاء الله».

أشار له أنس بالملعقة يقول: «رائع يا فتى أحب حماسك ويعجبني أن مجال عملك يتيح لك فرص كثيرة لإثبات الذات».

«الله المستعان».

سأله أنس: «ألن تأكل؟».

«لا ليس لي شهية للطعام».

قال أنس بلهجته الساخرة: «لا يا حبيبي.. عليك أن تعتاد على البؤس لو كل مرة كنت فيها بائسا امتنعت عن الطعام ستتلاشى سريعا».

«هل تعتقد أنني كنت قاسيا معها؟!».

باغته عصام بالسؤال فعاد أنس لجديته وسأله: «ماذا تعتقد أنت؟».

مرر عصام أصابعه في شعره بارتباك وتكلم بحيرة: «لا أعرف أحيانا يملكني الغضب ويلح علي كبريائي فأقول (هذا أقل شيء كان يجب أن أفعله) وأحيانا أخرى أشعر برغبة في قتل نفسي على تصرفي غير الرجولي معها..على الأقل كنت تصرفت معها بلطف لقد جرحت كبرياءها».

غمغم أنس وهو يدس الملعقة المملوءة بالأرز في فمه: «ماذا نقول غير تيس!».

قال عصام متألما: «إذن أنت أيضا ترى أنني قد تصرفت بفضاظة؟».

«ألم تفكر في أن تسامحها؟».

مال عصام بجذعه للأمام مستندا بمرفقيه على فخذه

وشرد في الفراغ لبرهة ثم قال: «وماذا بعد ذلك؟ أين أنا وأين هي! هل سأكون (زوج الهانم)؟.. أنا لا أملك أن أقدم لها ما يليق بها».

ضرب أنس كفيه ببعضهما يقول ساخرا: «أين سمعت هذه العبارة من قبل يا ربي؟! يبدو أنها جينات تسري في هذه العائلة، ترى ماذا فعلت يا حاج شلتوت فيتعذب نسلك به! (وتنهد مضييفا) ألف رحمة ونور عليه».

أطرق عصام برأسه والألم الذي بات يلازم صدره يزداد، بينما أضاف أنس وهو يحشر الطعام في فمه ليخرس نكز قلبه: «العجيب يا أخي أننا ندور في خطوط دائرية كالمتاهات ونصيب بعضنا البعض بعدوى النحس.. مثلا أنت تلتحق أخيرا بوظيفة فتصدم في حقيقة ذات اليدين المغربيتين، وأنا أترك العمل في الوقت نفسه الذي تفسخ فيه مرام خطبتها».

سمع عصام صوت رسالة على هاتفه فعبس وهو يتطلع فيه ثم بلع ريقه وانتفض قلبه بجنون حينما وجد منها رسالة فهي لم تراسله منذ ذلك اليوم الذي قصت له حكايتها فقرأها وتأثر؛ لكنه لم يرد عليها فأمسك بالهاتف وقرأ رسالتها: «كيف حالك؟ هل أخبرتك أنني أعشق المطربة أنغام بجانب فريق مسار إجباري؟».

ووجد رابطا لأغنية فارتعشت يداه على إيقاع ارتجاف قلبه وألقى بالهاتف على الطاولة أمامه يحاول التظاهر بالتركيز

فيما يفعل؛ لكنه لم يستطع الصمود..دقيقة.. دقيقة.. ثلاث
ثم التقطه مرة أخرى واستقام واقفا ليسرع نحو الشرفة
ويضع سماعة الأذن الإضافية في أذنه ووقف يتطلع في
السماء المظلمة يبحث فيها عن نقطة ضوء وصوت أنغام
يتسلل إلى قلبه المشتاق.

وقدرت خلاص تبعد عني!

طب بكرة تشوف

أنت اللي هتيجي وهتقولي اعملي معروف

وساعتها هسامحك يا حبيبي

منا لازم أسامحك يا حبيبي

انا هيخلصني أنك تيجي وترجع مكسوف

تغضنت ملامح عصام بالألم وضرب بقبضته على قلبه
ليخرس ضجيجيه، بينما تسربت أغنية أخرى لعبد الحليم من
اللاب توب إلى مسامع أنس:

مشيت مشيت على الأشواك

وجيت لأحبابك

لا عرفوا إيه وداك

ولا عرفوا إيه جابك

فصاح من مكانه: «أنت أيها الزفت أين ذهبت وتركتني مع
هذا البؤس؟ تعال لتخرسه وأخبرني ما لون براز النملة؟!».

ترك مراد الجلسة التي تضم أصحابه في بيت أحدهم
وابتعد نحو النافذة يرد على الهاتف ويقول مهلاً: «لا أصدق
نفسي يا عالم، المدير هانم تتصل بالعبد الفقير مراد».

ابتسمت بسعادة وقالت في سماعة الهاتف الإضافية من
خلف عجلة القيادة: «كيف حالك؟».

غمغم: «نحمد الله».

تطلعت في الطريق المظلم أمامها وهي تسأله «لماذا لا
تتصل بي؟ ولا ترسل لي على الواتساب؟».

هرش في رأسه وتحركت مقلته يبحث عن حجة لكن
عقله لم يسعفه فاعترف قائلاً: «الحقيقة.. آآآآآ.. اممم أشعر
بالخجل».

قهقهت ضاحكة فانفجر مراد ضاحكا هو الآخر وقد احمر
وجهه ثم قال بعد ثوان: «بصراحة بت أشعر أنك شخص مهم
وأنا كائن تافه، كما أنني لا أعرف متى بالضبط علي أن أتصل
بك.. ففي الصباح أنت بالتأكيد تمارسين مهام (المديرة هانم)
وفي المساء لا أعرف إن كان من المناسب أن أتصل أم لا».

قالت بابتسامة حانية معترفة لنفسها أنها تحبه بشكل
خاص وأنها تمارس معه مشاعر الأخت تجاه أخاها الصغير:
«حسنًا سأتصل بك أنا حينما أجد فرصة، فبكل صدق أنا
مضغوطة جدا لكنني أشتاق إليك».

غمغم بخفة ظله المعهودة: «قلبي الصغير لا يحتمل.. أشعر الآن بشعور الحمار حينما يرفس من السعادة».

قهقهت نيللي ثم قالت وهي تتطلع عبر النافذة: «اعطني دقيقة حتى أرى ذلك (الحمار) المتعجل الذي يسير خلفي».

قالتها ونظرت في مرآة السيارة الأمامية ثم أفسحت الطريق لسيارة خلفها وأعطتها فرصة لتمر وهي تقول بغیظ: «تفضل سيادة الدوق طير فوق الطريق».

ضحك مراد وسألها: «هل تقودين السيارة؟».

«أجل عائدة إلى البيت».

قال بتلقائية: «لماذا لا تأخذيني كي أكون سائقك الخاص؟ أوصلك وأعيدك (وأضاف ضاحكا) وألهو بالسيارة في وقت الفراغ».

ضحكت وقالت: «لكنك لم تصل للثامنة عشر من عمرك بعد يا فالج».

تصنع الصدمة قائلا: «أخ! رصاصة في قلبي الصغير».

قهقهت نيللي فقال مراد: «عموما كلها بضعة أشهر وأتم الثامنة عشر وأحصل على رخصة قيادة، هل ساعته ستوظفينني عندك كسائق؟».

ردت بابتسامة: «أنا بالفعل أريد أن أوظفك في الإجازة الصيفية».

هتف بانبهار: «حقا!».

ردت مؤكدة: «أجل.. أريدك أن تتدرب عندي بالشركة لا أعرف بالضبط ماذا ستفعل لكنك من أوحيت لي بالفكرة».

غمغم بخفة ظله: «شكرا لك.. أنا دوما ملهم للجميع».

أكملت نيللي بجدية: «أنت وأخوك ألهمتماني بضرورة أن يقوم رجال الأعمال بفتح شركاتهم للشباب للتدرب على سوق العمل».

استمر في مزاحه فعلق بلهجة مسرحية متنهدا: «دوما عائلة شلتوت ملهمة للعالم، هذا ليس جديدا علينا».

ضحكت وقالت: «حسنا يا صاحب اللسان الطويل انتهى من الدراسة ولنا حديث آخر».

علت أصوات أصحابه الضاحكة من خلفه فالتفت لهم نصف التفاتة وهو يقول لها: «كما تسمعين أنا في وسط ضغط المذاكرة».

قالت ساخرة: «هذا واضح (ثم أنهت المكالمة تقول) عموما سأتركك الآن كي تكمل ما تفعل».

قال مراد: «أرسلني لي في أي وقت لنلعب».

غمغمت شاردة: «أنا بالفعل أشواق للعب».

«سأنتظرك إذن».

«مراد».

«نعم».

«نحن نثق بك فلا نخذلنا».

احمر وجهه وغمغم بحرج: «إن شاء الله».

أغلق مراد الاتصال ثم نظر في الهاتف وعبارتها تتكرر في رأسه فتطلع في أصحابه الذين يقهقهون بهستيريا على شيء ما ولم يعرف هل ورط نفسه بما يفعل أم ماذا؟!

أما نيللي فدلكت رقبتها من الخلف بيدها الحرة تشعر بالتعب الشديد وأن ساقها وظهرها يؤلمانها وتلح عليها فكرة أن تذهب إلى بيت عارف بعد هذا اليوم الطويل وتنام في سرير مرام بجوار غرفة عصام، فلا يفصل بينهما سوى حائط ربما قلل ذلك من شوقها إليه، ثم شردت في همها الآخر حال الشركة فلا يزال عمها يعاندها ويرفض أن يخبرها أين أخفى الأدوية وتخشى من أن يقوم ببيعها في السوق السوداء.

زفرت وتساءلت هل ستقدر على الخروج من عنق الزجاجة والعبور بالشركة إلى بر الأمان؟ إنها تبذل جهودا كبيرة كي تقنع الدائنين أن يجدولوا ديون الشركة ولا تزال تبحث عن مصادر للحصول على سيولة مالية، حتى إنها اضطرت لبيع قطعة الأرض التي ورثتها عن والدها وباعت كل مصوغاتها واقترضت مبلغا من جودت عابدين كي تسدد الديون العاجلة التي لا تحتل التأجيل، ودفعت جزءا من مستحقات الموظفين المالية كما أن جودت وضع لها خطة إعلانية تسويقية سيقوم بتنفيذها خلال الفترة المقبلة من أجل زيادة

التسويق لمنتجات الشركة، المهم الآن أن ينجح طارق في أن يجد ثروت مدير قسم المشتريات، إن اختفاء الرجل مريب وتؤجل إبلاغ الشرطة بأن عقود الشركة قد اختفت حتى تجد طلبية الأدوية المسروقة أولا وتبت في أمرها، أراد اليأس أن يسيطر عليها لكنها شجعت نفسها أنها ليست وحدها وأن جودت وطارق بجانبها، طارق الذي ضدم حينما علم بما فعله والده وقرر أن يساعدها في السر في معركتها ضده..تعلم أنه لن يستطيع محاربته في العلن، فنقطة ضعف طارق هي أمه والأخيرة نقطة ضعفها مهدي.

ازدادت برودة الجو فدلكت ذراعها ثم علت صوت الموسيقى لتسمع الأغنية التي أرسلتها لعصام قبل قليل وقد تأكدت من أنه قد شاهد رسالتها فتسللت كلمات الأغنية إلى قلبها وشردت في الطريق المظلم أمامها تبحث عن نقطة ضوء.

قال طارق في الهاتف منفعلا: «يا أبي لقد طلبت أن تراك وحزنت لأنك لم تأت الليلة كما وعدتها ووجدنا صعوبة في إقناعها بالخلود للنوم بعد أن اخترعنا لها الحجج لعدم حضورك».

جاءه صوت مهدي مغمغما: «نسيت كنت في اجتماع بالخارج ونسيت الموضوع تماما».

قال طارق بلهجة مستهجنة: «نسيت يا أبي! نسيت! أنا

أخبرتكَ في الصباح وأكدت عليك والممرضة الخاصة بها
أبلغتك.. وأنا اتصل بك منذ أربع ساعات ولا ترد».

قال مهدي بعصبية: «نسيت قلت.. نسيت.. لم أكن منتبها
للهاتف».

قال طارق بغضب: «هذه هي الليلة الثانية على التوالي التي
تطلبك ولا تحضر.. وتعلم وضعها الصحي جيدا».

هدر مهدي باستنكار: «هل تصيح في وجهي يا ولدا».

صاح طارق بانفلات أعصاب غريب عليه: «أنا لست ولدا يا
أبي.. ولا أطلب منك أي شيء سوى أن تهتم بها وتزورها كلما
طلبت أن تراك ألا يكفي أنك بعيد عنها وأنها تعاني ذلك».

هتف مهدي بصوت عال كعادته: «اسمع لا تتدخل بيني
وبين نورية أنا أعرف كيف أتعامل معها».

قال طارق بلهجة ساخرة: «تقصد تعرف كيف تضحك
عليها».

صاح الثاني باستنكار: «ماذا حدث لك يا طارق؟!».

قال طارق بانفعال وهو يركن السيارة في جانب الطريق:
«الذي حدث أنني صابر على أمور كثيرة بسببها حتى لا تدخل
في رأسها أنني سبب ابتعادك عن البيت.. وكنت أخبر نفسي
أنك على الأقل تلي نداءها حينما تطلب رؤيتك لكن بت
مؤخرا تتجاهل حتى طلبها لرؤيتك وأنت تعلم أن ظروفها
الصحية حرجة».

صاح الآخر بانفعال: «قلت مشغول.. مشغول عندي عمل وخلف ظهري كوارث ألملمها خلف بنت عمك التي ابتلينا بها، هل أترك عملي لأجلس بجوار الست والدتك التي باتت تطلبني كثيرا».

ضرب طارق على المقود يقول بعورة: «إن هذا أبسط حقوقها أبسط حقوقها التي سلبتها منها أن تراك كلما أرادت فأنت تعرف كيف هي متعلقة بك».

«هل تصيح في وجهي يا ابن نورية؟! هل تصيح في وجهي! أية حقوق لا أفهم! إنها غير مدركة لأي شيء حولها ولا تفهم شيئا».

جن جنون طارق بشكل غير مسبوق.. ربما شجعه أن الحديث عبر الهاتف وليس وجهها لوجه أو فاض به الكيل فصاح قائلا: «إنها تفهم كل شيء.. وتتألم وتفتقدك لكنك أنت من تنظر لها دوما بهذه النظرة الدونية.. لماذا تزوجتها إذن إن كنت تراها بهذا الشكل أتريد أن أقول لك لماذا تزوجتها؟».

أسرع مهدي بالقول بغضب: «اذهب.. اذهب الآن فلست متفرغا لتفاهاتك وأعلم أنني لن أكرر لك صياحك في وجهي أيها الكلب».

قالها وأغلق الاتصال فضرب طارق على المقود عدة مرات بغضب شديد ثم شغل السيارة واستأنف طريقه بغير هدى.

بعد قليل

عبست نهلة وهي ترى اتصالا من طارق للمرة الرابعة؛ لكنها كانت تضع الهاتف على الوضع الصامت ولا ترد فظلت تتابع الضوء الصادر من الشاشة وكأن طارق يحدثها ببعض العبارات.

إنها تنتظر اتصالاته اليومية كل مساء رغم أنها لا ترد عليها وأحيانا يرسل لها رسائل على الهاتف ولا ترد عليها أيضا، لا تعرف ماذا حدث له كان قد انقطعت اتصالاته بها بعد تلك المشكلة التي اكتشف والده فيها علاقتهما وطردها من العمل ورغم أنها كانت تعلم منذ بداية علاقتها بطارق أن طريقهما مسدود؛ لكنها لم تستطع أن تقاوم سحره.. إن حبه قد تملك من قلبها ومنذ ذلك الوقت وهي تعيش في عذاب خاصة وهي تعرف أن نيللي شرف الدين مرشحة لأن تكون زوجته، كل هذا كانت تعرفه لكنها لم تستطع أبدا السيطرة على نفسها وكانت قانعة فقط برؤيته كل يوم في المكتب وترفض إلحاحه لأن يتقابلا خارجه فيستسلم لرفضها تارة ويعود ويلح عليها تارة أخرى حتى انتهى كل شيء فجأة واستيقظ كلاهما من الحلم على كابوس، حين اكتشف والده الأمر وفقدت وظيفتها.

لحظتها أدركت كم كانت متهورة بالاستسلام لنداء القلب والمراهنة على وظيفتها التي تعيل بها أمها وأختيها الأصغر منها لهذا ورغم شعورها بجرح الكرامة وافقت على العودة للشركة نفسها حينما تدخلت نيللي ووافقت أيضا على أن

تعمل في مكتبها حتى تحتفظ بالراتب الجيد متحملة بذلك إمكانية أن تراه هو ونيلى متزوجين، إنها لا تحمل لنيلى ضغينة فهي تعرفها منذ عامين كمديرة للعلاقات العامة في الشركة ثم في منصب المدير العام.. إنسانة حلوة المعشر ومتواضعة رغم حزمها وجديتها؛ لكنها الغيرة هي ما تعذبها كلما تخيلتها مع طارق.

قاطعت أختها شرودها حينما سألتها: «ألن تردي على الهاتف يا نهلة؟!».

قالت الأخيرة: «ركزي في دروسك».

سألتها أختها بفضول وهي تراها تلتقط الهاتف الذي توقف عن إصدار الضوء: «من الذي يلح هكذا؟!».

أبعدت رأس أختها التي حشرته بينها وبين الهاتف وقالت بعبوس: «خلصيني وحددي هل عندك أسئلة أخرى تريدين شرحها في الواجب المنزلي أم أذهب لأنام؟».

سألتها أختها باندعاش: «هل ستنامين الآن الوقت لا يزال مبكرا!».

قالت نهلة وهي تتجه نحو غرفتها لتفتح رسالة أرسلها لها طارق: «أريد أن أنام مبكرا اليوم فخلصيني».

في طريقها للغرفة وجدت أنه قد كتب: «أي بيت هو بيتك؟ لا أرى أرقاما على البيوت».

اتسعت عيناها ولم تفهم ماذا يقصد فأسرعت بالاتصال به

وهي تدخل غرفتها ليبادرها طارق قائلا من خلال سماعة الهاتف الإضافية المعلقة في أذنه: «لا أعرف أي بيت في الشارع هو بيتك».

امتقع وجهها وسألته: «عن أي بيت وشارع تسأل؟!».

رد ببساطة: «الشارع الذي يقع فيه بيتك».

سألته بصدمة: «ماذا تقصد؟!».

على الرغم من وقوفه على أول الشارع لكنه كذب عليها قائلا: «أنا دخلت شارعكم لكني لا أعرف أين بيتك».

قالت صارخة: «لماذا؟! ما الذي أتى بك؟!».

قال بجدية وبعض الجنون: «اشتقت إليك ولا بد أن أراك فوراً».

هتفت هامسة بصدمة: «طارق هل جئت؟!».

ابتسم وهو يسمع اسمه من فمها دون ألقاب وقال مؤكداً: «أجل أنا جئت وأريد أن أراك الآن وفوراً».

قالت بصوت مخنوق ولهجة عاتبة: «هل تريد أن تفضحني في الشارع؟!».

«انزلي قابليني إذن».

«أقابلك؟!».

قالتها باستنكار فأجاب مؤكداً: «أجل إن كنت لا تريدين الفضائح تعالي وقابليني.. أريد أن أراك لخمس دقائق فقط».

هتفت باعتراض «طارق!».

قال معترفا بالحقيقة: «أنا واقف خارج الشارع تماما عند محل الألبان تعالي إلي خمس دقائق إن كنت لا تريد أن أقوم بشيء قد يسبب لك مشكلة فالجنون يلعب برأسي حاليا».

«طا...».

قاطعها قائلا بلهجة حازمة: «أمامك عشر دقائق.. وحتى تطمئني سأخرج من الحي تماما وأقابلك عند محطة البنزين التي تقع عند مدخله لو لم تأت إلي خلال عشر دقائق يا نهلة توقعي أي جنون مني.. سلام».

تطلعت نهلة في الهاتف بعينين متسعيتين ثم أسرعَت تتحرك بارتباك يمينا ويسارا في غرفتها تبحث عن ملابس للخروج وهي تغغم: «سيفضحني المجنون في الشارع».

بعد ربع ساعة كان طارق قد بدأ يفقد الأمل في قدومها فهو يعلم كم هي عنيدة فأعطى نفسه عشر دقائق أخرى وبعدها سيستسلم ويغادر، فذلك رقبتَه بضيق شديد يجثم على صدره وظل يعد العواني الكسيحة، لقد وجد نفسه دون أن يدري بالقرب من المنطقة التي تسكن بها والتي يحفظها عن ظهر قلب رغم أنه لم يزرها من قبل.

طريقة كنقر فراشة على زجاج النافذة أيقظت قلبه من طول رقاد كي يتنفس وهو يسرع بفتح الباب لها فمالت تقول

بغضب: «ماذا تريد يا طارق؟!».

كانت ترتدي بنطالا من الجينز وبلوزة باللون الفستقي وتعقص شعرها للخلف فاتسعت ابتسامته رغم حزن عينيه وهو يراها للمرة الأولى في هيئة تختلف عن ملابس العمل الرسمية فربت على المقعد المجاور له يدعوها للركوب لتقول نهلة باعتراض: «ماذا تريد مني طارق بك في هذه الساعة؟!».

غمغم ساخرا: «كانت (طارق فقط) قبل قليل».

احمر وجهها بحرج ونظرت حولها تقول بارتباك: «أرجوك لا أريد لأحد أن يراني».

هتف بعصبية: «إذن اركبي بسرعة (ثم أضاف بترج) أرجوك يا نهلة أنا بحاجة إليك».

استجاب قلبها لنظراته المستعطفة الحزينة وأجبرها على الاستسلام ففتحت الباب وجلست بجواره تتطلع فيه ليميل طارق عليها فيلفحها بعطره الرجولي الفواح وهو يمد يده ليغلق الباب بجوارها، ويخطف بعينه قبلة على وجهها قبل أن يعود لمكانه وابتسامة سعيدة على وجهه ثم يشغل السيارة وينطلق فقالت نهلة بغيظ: «هل أنت مدرك لخطورة ما فعلت بتهورك بالحضور اليوم؟!».

تحركت مقلتاه ليناظرها بنظرة جانبية ثم يعود يتطلع في الطريق أمامه معترفا: «أعلم ذلك سامحيني كنت بحاجة شديدة لرؤيتك».

احمرت وجنتاها وازدادت ضربات قلبها وحضوره يملأ المكان خاصة مع جسده الضخم نسبيا، فهو طويل وجسده يميل إلى الامتلاء وجاذبيته الرجولية قوية، كما أنه وسيم فسألته بعبوس: «إلى أين سنذهب؟».

رد تلقائيا: «سنلف بالسيارة قليلا، أنا أعلم أنك لن توافقني على أن نجلس في مكان عام معا».

اعتدلت في المقعد بحركة حادة وتكتفت تزفر بغیظ أو هكذا بدت فناظرها بجانب عينيه بنظرة سريعة ثم قال بصوت متهدج وضربات قلبه تتسارع احتفالا بركوبها للمرة الأولى في سيارته: «اشتقت إليك نهلة صدقيني أكاد ألفظ أنفاسي الأخيرة».

«بعيد الشر عليك».. عبارة قالتها في سرها ثم بلعت ريقها ولم ترد لكن قلبها رد ردا صاخبا، أما طارق فعبارة (ألفظ أنفاسي الأخيرة) ذكرته بشيء فقرر تنفيذه على الفور.

بعد نصف ساعة قطعت نهلة ثرثرتها مع طارق وتطلعت بعبوس في بوابة الفيلا التي توقفت عندها السيارة تطلق بوقها عدة مرات ففتح أحد الحراس البوابة وهي تقول لطارق باندعاش: «لماذا جئنا إلى هنا؟!».

رد بهدوء: «جئنا لزيارة أُمي».

«طارق!.. قالتها باعتراض لكنه لم يرد ولم يلتفت إليها بل انشغل في صف السيارة داخل حديقة فيلا كبيرة فقالت باعتراض: «طارق.. ماذا تفعل؟! هل تتصور أنني سأدخل

معك؟!».

أطفأ محرك السيارة وفك حزام المقعد ثم استدار بكليته إليها قائلاً: «نهلة.. أرجوك ثقي بي».

قالت بلهجة قاطعة: «طارق أنا لن أدخل».

تكلم عابسا: «نهلة.. أريد أن أعرفك على أمي، ربما لن أستطيع أن أفعلها في وقت لاحق».

قالت بحشجة متألّمة: «تعرفني عليها قبل أن تتزوج من نيللي؟!».

مال بجذعه ليقرب وجهه من وجهها وقال وهو يتأمل عينيها الخضراوين: «أنا لن أتزوج من نيللي هذا قرار نهائي».

اتسعت عيناها فأضاف بلهجة متألّمة: «ربما مشكلتنا أنا وأنت لم تحل بعد، وهي رفض والدي لعلاقتنا؛ لكني أؤكد لك أنني لن أتزوج من نيللي ولن أتزوج من أية فتاة أخرى ما دمت غير قادر على الزواج منك».

تطلعت فيه بحيرة وارتباك وهي تتساءل في سرها (هل يخشى من والده إلى هذه الدرجة؟!) ليجيبها طارق على سؤالها الذي لم تتفوه به قائلاً: «هناك ما يمنعني من عصيانه فأنا أخشى أن ينتقم مني في أمي».

عقدت حاجبها فقال: «لو تأتين معي الآن لنزورها ستفهمين دون أن أشرح».

طالعه بتردد وخوف.. فابتسم مضيّفاً بمشاكسة: «طبعاً

كان يسعدني جدا أن أنفذ تلك المخاوف التي تلوح في عينيك؛ لكن بكل أسف الفيلا مأهولة بالسكان».

خرج من السيارة ووقف يتطلع فيها مبتسما وهو يراها مترددة وخائفة فمال يقول عبر النافذة: «هل أخرج لك إحدى الخادومات لتتأكدي؟».

بلعت ريقها فقال لها بملامح جادة: «هيا.. إن وقفت على باب الفيلا ولم تشعرني بالأمان لن أجبرك على الدخول».

قالت والارتباك يبدو واضحا عليها: «الأمر ليس كذلك لست خائفة من شيء».

راقبها بابتسامة متسعة وهي تترجل من السيارة وتلف حول مقدمتها ومرت عيناه على قوامها بنظرة ذكورية سريعة ثم أشار لها أن ترافقه إلى باب الفيلا التي فتح بابها وقال مناديا: «دادة أم سحر».

عبست تقول باستنكار: «دادة! رجل طويل وعريض يقول دادة؟!».

اتسعت ابتسامته ورد وهو يهز كتفيه: «وبما أناديهما إن شاء الله؟!».

كان الحديث بينهما منذ أن ركبت معه السيارة ينساب بخفة تخالف أي حديث سابق لهما وكأن جدران المكاتب كانت تفرض عليهما حصارا حتى لو كانت القلوب لها رأي آخر.

اقتربت امرأة خمسينية فقال طارق: «أين مدام فيفيان

المرضة؟».

قالت له: «موجودة (وقالت لفتاة شابة أطلت من أحد الأبواب الداخلية) سحر نادي على مدام فيفيان».

اختفت الفتاة بالداخل فقال طارق لنهلة: «أرأيت كيف أن الفيلا تعج بالناس أي إن فرص التهامك ضعيفة».

طالعه بعبوس فأفلتت ضحكة منه جعلت مربيته تتطلع إليه وإلى نهلة بعينين لامعتين مدققتين، بينما خرجت سيدة أخرى من الداخل ليقول لها طارق: «أنا سأوقظ أُمي هل هناك مشكلة؟».

قالت عابسة: «تعرف أنها نامت بصعوبة».

قال وهو يشير لنهلة لأن ترافقه ويتحرك نحو السلم: «لا بأس لكني أريدها في شيء مهم».

راقبته الممرضة وهو يصعد مع نهلة وزفرت بحنق ثم أشارت لأم سحر بما يعني (من هذه؟!).

في الطابق العلوي مال طارق نحو نهلة بطريقة مفاجئة أثناء سيرهما في أحد الممرات وقال بجوار أذنها قاصدا أن يفزعهما: «هَهممم».

قفزت نهلة مفزوعة فضحك عاليا وضرب كفا بكف مغمغما: «أنت لا تحملين لي بقرش واحد ثقة».

ابتسمت واحمرت وجنتاها وهي تتأمله سعيدا وأخف روحا للمرة الأولى ليقول لها طارق عند باحة متسعة أمام عدد من

الغرف: «أبقي هنا قليلا حتى أخبرها».

هزت رأسها وتحركت بارتباك لتجلس على أحد المقاعد الجانبية ففتح باب إحدى الغرف واستدار يقول لها محذرا: «إياك أن تهربي».

قالها ودخل الغرفة يغلق الباب خلفه فوبخت نهلة نفسها على تهورها بالموافقة على حضورها لبيته وتطلعت حولها بانبهار.. إنها فيلا ضخمة ومخيفة وليست مجرد بيت عادي.

بعد قليل فتح طارق الباب وأشار لها لتقترب فأسرعت بتعديل هندامها ووضعت يدها على شعرها فأشار لها أن تفكه من ربطته فسحبت الطوق المطاط لينساب قصيرا حتى كفيها ليبتسم طارق ويشير لها حتى تقترب أكثر.

عند باب الغرفة مدت برأسها بوجل فوجدت امرأة ممتلئة الجسم تجلس على طرف السرير فابتسمت واقتربت بوجه أحمر من الباب قبل أن تتجمد الابتسامة على وجهها وتطل المفاجأة من عينيها، وهي ترى أمامها امرأة تحمل ملامح متلازمة داون، المفاجأة عقدت لسانها لثوان وتطلعت في طارق بارتباك فوقف يراقب رد فعلها صامتا.. كان يريد أن تتعرف على والدته ومترقبا لردة فعلها.

قالت نورية: «هذه هي من تريد أن تعرفني عليها يا طارق؟».

نفضت نهلة عنها المفاجأة ودخلت الغرفة بوجل فقالت نورية وهي تبتسم ابتسامة ملائكية: «تعال يا.. (ونظرت

لابنها تسأله) قلت ما اسمها؟».

اقترب طارق ليجلس بجوار أمه ومال عليها قائلاً بهمس مسموع: «نهلة».

«تعالى نهلة.. اقتربنى».

قالتها وهي تعبت نظارة طبية على عينيها وتتطلع فيها مدققة حينما اقتربت نهلة بوجه أحمر، فربت نورية على الناحية الأخرى لتجلس بجوارها فجلست نهلة على طرف السرير وهي تتطلع فيها بارتباك لتقول نورية بعد برهة: «أحب لون عينيها يا طارق إنه أخضر».

طبع الأخير قبله على جانب رأس أمه وقال: «ما رأيك؟».

ردت نورية بحماس: «جميلة جداً هذه البنت».

تخضبت وجنتا نهلة ليفرد طارق ذراعه على كتفي أمه ويدلك إحدى ذراعيها بحنان وهو يهمس لها بالصوت المسموع نفسه: «اسألها ما رأيك في طارق».

رددت نورية خلفه: «ما رأيك في طارق؟».

احمر وجه نهلة وناظرته بنظرة عاتبة وخجلت من الرد فعبست نورية وسألت ابنها: «هل هي خرساء؟!».

قهقه طارق وضم أمه إليه يطبع قبله أخرى على جانب رأسها ثم قال لنهلة: «تكلمي أيتها الخرساء».

ناظرته بغيظ ثم قالت لنورية: «أنا سعيدة لأنني قابلتك

(وأضافت بارتباك) آسفة لم أتمكن من إحضار هدية لك.

قالت نورية بعينين ضيقتين: «هدية! (وتطلعت حولها في الغرفة وهي تسأل) أين أم سحر أريدها».

سألها طارق: «لماذا يا أمي؟».

قالت: «أريد أن أعطي لرفيقتك هدية».

أسرعت نهلة تقول: «شكرا لا تتعبي نفسك».

استدارت إليها نورية تقول: «أنا أحببتك ومن أحبه أهديه هدية».

همت بالقيام.. فأسرع طارق يمنعها قائلا: «لا تجهدي نفسك يا أمي».

لاح على المرأة التعب.. فاستقام طارق قائلا: «أخبريني ماذا تريد من سحر وأنا أفعله».

أشارت نحو إحدى الخزائن وقالت: «هات الصندوق الخشبي».

لبى طارق طلب أمه بينما استدارت نورية تتطلع في نهلة بتدقيق وأضاف: «عيناك جميلتان، أحب اللون الأخضر يذكرني بالزرع وأنا أحب الزرع».

أحضر طارق صندوقا كبيرا لأمه ووضعه فوق طاولة صغيرة وقربه لها.. ففتحته نورية وظلت تحقق فيه لبرهة بينما نظر طارق لنهلة ثم قال: «أمي متخصصة في تجفيف

الورد».

نظرت نهلة في الصندوق الكبير لتجده مقسما من الداخل لأصناف مختلفة من الورد المجففة فقالت بانبهار: «ما شاء الله هي من قامت بهذا؟!».

رد طارق بابتسامة حانية: «إن لديها مشتلا بالحديقة الخلفية.. وهناك محلات تطلب منها خصيصة الورد المجفف».

تدخلت نورية تقول بمسكنة: «لكني لا أستطيع أن أذهب للمشتل الآن لأنني مريضة، الطبيب يرفض وكلهم يرفضون».

كانت تبدو كالملاك البريء أمام عيني نهلة التي نظرت إليها ثم رفعت أنظارها لطارق الذي أنبأها ملامحه المتفضضة أن حالتها الصحية ليست جيدة وراقبته وهو يميل ويطلع قبلة أخرى على كتف أمه، بينما الأخيرة تتطلع في صندوقها بتركيز.

من هاتف نهلة فتطلعت فيه بارتباك وهي ترى اسم أمها ثم نظرت لطارق بهلع فأسرع الأخير بالقول: «أمي.. نورية».

انتبهت الأخيرة ورفعت أنظارها إليه فقال: «نهلة لن تستطيع التأخر.. علي أن أعيدها حالا إلى البيت».

عبست نورية وقالت: «لكني لم أجهز لها الهدية بعد!».

قال طارق مقترحا: «ما رأيك أن تمنحها هدية صغيرة الآن حتى تجهزي لها هدية كبيرة؟».

هتفت نورية بفرح: «أحببت هذا الاقتراح سأعد لها هدية

جميلة جدا لأنها تجعلك تضحك».

عبس طارق مستفهما فعادت نورية تنظر في صندوقها، بينما تبادل طارق النظرات مع نهلة ثم سحبت نورية وردة مجففة ولفتها بشريط من السلوفان ببطء ومهارة ثم أعطتها لها.. فقالت نهلة بتأثر: «شكرا لك».

قالت نورية: «أتمنى أن تجعله يضحك دوما لأنه حزين ولا أعرف السبب».

دمعت عينا نهلة، بينما تنحنح طارق يغالب تأثيره بكلمات والدته وأشار لها برأسه يقول: «هيا يا نهلة لأعيدك؛ لكن.. (مال يحمل الصندوق مضيفا) لنعيد هذا الصندوق مكانه أولا».

قالت نورية لنهلة: «ساعدك الهدية (ثم سألت طارق باهتمام) هل ستأتي بها مرة أخرى؟ أنا أحبها».

لثم طارق يد أمه يقول: «إن شاء الله يا نورية، هيا لتعودي للنوم.. سأخبر الممرضة ودادة أم سحر أن تصعدا إليك حالا.. تصبحين على خير».

في الطريق إلى البيت قال طارق: «تفاجأت أليس كذلك؟!».

هزت نهلة رأسها وقالت: «أجل لكن ليس لشيء سوى أنني لم أتعامل مع من هم مثلها من قبل فلم أكن أعلم ماذا أفعل».

ابتسم طارق.. فأضافت نهلة: «والحقيقة لم أكن أعرف أنهم يتزوجون».

غمغم بهدوء: «بعضهم يتزوج وينجب.. ونورية أُمي كانت الابنة الوحيدة لوالديها وقد كرسا لها كل السبل كي تتعلم الكثير من المهارات وتعلمت تعليما مميّزا بما يتناسب مع ظروفها الذهنية لهذا هي مميزة (وغمغم بلهجة حانية خرجت من بين شغاف قلبه) إنها ملائكية».

قالت نهلة مشفقة: «كانت حياتك صعبة بالتأكيد».

سحب نفسا عميقا ثم هز رأسه مجيبا: «ليس بسببها لكن بسبب أبي وبسبب المجتمع الذي لا يقبل بالمختلفين عنه».

نظرت نهلة للوردة في يدها بإعجاب فقال طارق: «شكرا يا نهلة شكرا جدا لأنك حققت لي أمنيتي».

غمغمت: «أمنيتك!».

هز رأسه وترك الطريق أمامه لينأظرها قائلا: «أجل كانت أمنيتي أن تراك أُمي قبل أن...».

صمت وبلع غصة فسألته: «أهي مريضة إلى هذه الدرجة؟».

غمغم وهو يعود ليركز في الطريق: «مريضة جدا وحالتها متأخرة».

أطرقت برأسها بحزن وهي تتطلع في الوردة ولم تعقب.

حين اقتربت من المنطقة التي تسكن بها قالت بسرعة: «يكفي هنا أرجوك لا أريد لأحد أن يراني».

صف طارق السيارة جانبا فقالت نهلة: «عدني ألا تتكرر

أرجوك يا طارق ما دمنا لن نستطيع أن نكون سويا لا ترضى لي أن أبقى على علاقة بك».

أطرق برأسه بحزن فأضافت وهي تفتح عتلة الباب: «كما أنني لا أريد أن أخسر وظيفة كوظيفتي عندكم فأنت تعرف ظروفى جيدا».

لم يجد طارق ما يقوله لها، إن لديها كل الحق فيما تطلب منه لتسرع نهلة بالترجل من السيارة دون أي كلمة أخرى.

«نهلة» ناداها فاستدارت تنظر إليه عبر النافذة ليقول: «سبب عدم وقوفى في وجه أبي هو أمي.. فلا أريده أن ينتقم مني فيها.. لهذا أخذتك اليوم لتري بنفسك.. لكنه هو شخصا لم يعد يهمني في شيء ولا أريد منه شيئا».

هزت رأسها وقالت والألم يعتصر قلبها: «اهتم بنفسك يا طارق».

قالتها وأرغمت نفسها على الابتعاد لمسح الدموع التي تفر من عينيها دون إرادة منها فراقبتها عيناه حتى اختفت من أمامه داخل أحد الشوارع؛ لكنها أبدا لم ولن تخفى عن عيني قلبه.

الفصل الخامس عشر

بعد عدة أسابيع

جاء الربيع.. وصل أخيرا ليكسي كل شيء مقفر بالخضار..
وينبت ثُوار الأمل في الصدور بأن الشمس مهما غابت
تعود.. وأنه قد حان للزهر أن يتفتح.. وها هو القرنفل قد
أوفى بوعده وتفتح بألوانٍ كثر فازدانت شرفة عارف بالألوان
المبهجة، فهل تتحقق الأمنيات التي علقتها القلوب اليائسة
على موعد موسم القرنفل؟!

خطت بحذائها الأسود ذي الكعب الرفيع خارجا، فكانت كمن
تغرز في قلبه وهي تترجل من سيارتها فتأملها وهي ترتدي
بدلة نسائية سوداء تبرز قوامها الرشيق وحجابها ذا اللون
الرملي الذي يطابق لون القميص وأبدى استهجانه سرا لضيق
بنطال البدلة.. وأخذ يراقبها وهي تخرج حقيبة يدها وحقيبة
اللاب توب وبعض الملفات من السيارة رافضة أن يساعدها
حارس الأمن الخاص بالمبنى واكتفت أن أعطته المفاتيح
ليركن سيارتها وتوجهت بخطوات أنيقة واثقة لتدخل تلك
البناية التي تقع فيها شركتها.

إنه على هذا الحال منذ فترة بعد أن استبد به الشوق
واستسلم كبريائه فقرر البحث عن عنوان شركتها وأصبح
يحضر أكثر من مرة أسبوعيا لرؤيتها من بعيد، ممتنا لأن
موعد وصولها لمقر عملها أبكر نصف ساعة عن مواعده

في الشركة التي يعمل بها فيراها، يملأ عينيه وقلبه منها.. ويحاول أن يقنع بتلك النظرات البعيدة عبر الشارع متجاهلا اعتراضات متناقضة من كبريائه المستهجن لما يفعله ومن قلبه يضمنه الشوق ولما يشعر به من عجز أمامها وحيرة، خاصة أنها لا تزال تراسله من وقت لآخر إما ترسل له تحية الصباح أو المساء أو ترسل له أغنية لكنه لا يزال صامتا.

ماذا في يده ليفعله؟ ربما تفهم وضعها ودوافعها بعد تلك الرسالة الشارحة..ربما التأم جرح كبريائه الذي يخفي خلفه شعوره بالعجز وقلة الحيلة؛ لكن ماذا في يده ليفعله؟ لو اقترب.. لو فتح لها باب الأمل سيؤذي نفسه ويؤذيها معه فالفارق ليس عاديا سيقبله بوظيفة يحصل عليها.

انتهت جرعة اليوم من المسكن لآلامه القلبية فترك مخبأه وأشار لإحدى سيارات الأجرة كي تقف ثم ركبها ليلحق بعمله، ولا تزال تلك الأسئلة الحائرة تطارده كأسراب النحل : ما الحل؟ ما مستقبلهما معا؟.. وكيف من الممكن أن يلتقيا في أرض مشتركة؟.

قبيل العصر

(لم أعد أعلم إن كنت أتحسن أم أنني تعودت على هذا الألم) عبارة كتبها دوستويفسكي وتذكرها أنس وهو يحدق أمامه في الطريق شاردا..

إلى متى سيظل عالقا في هذا النحس؟ هل فعل شيئا

ما في حياته ويعاقب عليه؟ هل يسلك مسارا خاطئا عليه تصحيحه أو يمارس سلوكا يجلب عليه النحس؟ هل هو مقصر في شيء من فروضه الدينية؟ كلها أسئلة باتت تۇرقه خاصة بعدما ترك العمل رسميا.

إنه لا يزال يبحث عن عمل جديد وزاد من عدد الساعات التي يوجد فيها في صيدلية الدكتور فياض؛ لكن راتب الصيدلية ضعيف وليس كافيا لمواجهة التزاماته ولا يزال موقفه من مرام يۇرقه ويصب عذابا فوق ابتلاءاته، لقد تعقد حاله أكثر مما كان قبل خطبتها فما الذي تغير الآن كي يتخذ تجاهها خطوة جدية؟ الشيء الوحيد الذي تغير عن ذي قبل أنه اعترف لنفسه أنه يحبها ذلك الحب الذي يخرج عن إطار الحسابات التي يحسبها عقله؛ لكن ماذا سيفيد الاعتراف بهذه الحقيقة سوى المزيد من الألم له كما يحدث معه الآن؟.. ليته يعود لما كان عليه من حالة الإنكار ربما خفف ذلك من عذابه.

يتمناها حد الموت.. يتمنى حتى الاقتراب والبقاء في محيطها الدافئ المشع بالطاقة.. لكن ليس بيده شيء ولهذا يتحاشى الوجود معها يهرب منها.. حين ترغب في إخباره عن شيء يخص زينة يتحجج بأي شيء حتى تضطر هي لمراسلته على الواتساب.. يفعل كل ما يقدر عليه حتى لا يقترب.. يخاف من نفسه.. ومن انفلات أعصابه ومن ذلك الشوق الذي يكتوي بناره ليل نهار.

«هنا يا سالم هنا» قالتها روح التي تجلس بجواره فانتبه أنس ونظر حوله ثم قال لسائق التوكتوك: «هنا يا عمنا.. ألم

أقل لك عند محل العصيرا».

غمغم السائق باعتذار: «لا تؤاخذني شردت».

قالت روح موبخة: «تشرد وأنت تقود! هيا توقف وأنزلنا».

قال السائق وهو يعود للخلف بالتوكتوك حتى ينزلهما أمامه: «سأنزلك أمام المحل يا حاجة حتى لا تتعبي في المشي».

قالت غاضبة: «هل تحسبني كسيحة قلت توقف!».

ربت أنس على كتف الرجل ليقف، فتوقف الأخير في نصف المسافة وترجل أنس من التوكتوك ثم ساعد جدته على النزول وجعلها تتأبط ذراعه عائدا لمحل العصير الذي وعدا أن يأخذها إليه بعد الانتهاء من زيارة الطبيب.

صعد على الرصيف الخاص بالمحل الشهير بالشارع الذي يسكنا فيه وساعدها كي تصعد ثم سحب لها كرسي بلاستيكي وأجلسها أمامه وسألها: «ماذا تشربين يا روح الفؤاد؟».

قالت بدلال: «أريد فخفخينا».

ابتسم وطلب لها ما تريد قائلا: «هنا واحد فخفخينا لبرنسيستنا يا معلم حجازي».

قال الأخير وهو يرفض أخذ المبلغ: «هذه المرة علينا يا دكتور من أجل الحاجة البرنسيسة».

ابتسم أنس وأصر على إعطائه المبلغ وهو يقول: «عشت يا

معلم».

أخذ الرجل المبلغ وهو يقول لروح: «كيف حالك يا حاجة روح لماذا لم نعد نراك كثيرا؟».

غمغمت بقرف: «لم أعد أريد أن أرى وجوهكم».

ضحك أنس وشاركه الرجل في الضحك وهو يقول: «لماذا يا حاجة روح؟!».

هتفت بضيق: «هل ستصاحبني! انتبه لعملك».

رن هاتف أنس فناظر الرجل باعتذار لفظاظتها وأخذ من العامل كوب (الفخفخينا) الذي هو عصير مع قطع من الفاكهة وأعطاه لجده وهو يجيب: «نعم عمي».

سأله عارف: «هل انتهيتما؟».

أجاب أنس: «أجل نحن على وشك الوصول للبيت».

قال عارف: «أنا لست بالبيت لقد اضطررت للخروج».

سأله أنس بعبوس: «وزينة! زينة مع من؟ هل عادت مرام من العمل؟».

«زينة معي فلم تعد مرام بعد.. ومراد أفندي خرج لا أعرف أين فأخذتها معي لأنكم تأخرتم علي وكنت مرتبطا بموعد».

غمغم أنس: «كان المستشفى مزدحما».

«عموما لن أتأخر.. سأسلم على صديق لي مسافر للعمرة وأعود (وسأله) ماذا قال الطبيب عن الفحص الدوري

لجدتك؟».

أجابه الأخير وهو يترك المحل ويبتعد قليلا: «كل شيء جيد بالمقارنة بعمرها حمدا لله».

«وذلك النسيان والخلط بين الأحداث الذي ازداد مؤخرا؟».

«كما أخبرتك من قبل، كلها أعرض الشيخوخة وحالتها تحت السيطرة حتى إنه لم يبدل شيئا من أدويتها».

«الحمد لله».

قالها عارف براحة فأضاف أنس: «لكنها بالطبع عذبتني وعذبت الطبيب».

«لماذا؟».

أجاب أنس بامتنعاض: «رفضت أن يفحصها».

«لماذا؟!».

لوى أنس شفثيه ورد: «لأن هذا عيب ولا يصح أن يلمسها رجل غريب، رغم أن الطبيب أخبرها أنه سيضع السماعة من فوق ملابسها؛ لكنها كانت رافضة وحين تدخلت أنا وحاولت إقناعها شتمتنا نحن الاثنين ووصفتنا بقلة الأدب».

قهقه عارف مغمغما: «يا إلهي!».

قال أنس يشاركه الضحك: «كنت في قمة الحرج أمام الطبيب».

سأله عارف: «وماذا فعلتم معها؟».

«أقنعتها أن الممرضة هي من ستمسك بالسماعة وتضعها فوق قلبها بينما طرفها في أذن الطبيب».

ضحك عارف مجددا وقال: «لن تكف روح عن إبهارنا.. المهم أنا لن تأخر وأتوقع أن مرام على وشك الوصول».

هز أنس رأسه وقال: «لا بأس سأبقى مع روح حتى يصل أحد منكم (وأضاف بمناغشة) المهم أعد نفسك يا عارف كي تشرفني في شقتي حينما تعود لأنني أشواق لأن أغلبك في دور شطرنج».

سأله عارف بجدية: «هل هناك جديد بشأن عملك ألم تجد فرصة عمل جديدة؟».

تنهد أنس وأجاب: «لا جديد دعواتك يا حاج عارف».

غمغم عارف وقد عاد للهجته المكتئبة: «سيفرجها الله عليك يا بني سيفرجها إن شاء الله».

أغلق أنس الهاتف بعد ثوان وهو يحمل هم عمه الذي حزن لأنه اضطر للاستقالة رغم تأييده لهذه الخطوة ما دام يشك بحلية مرتبه، وعاد إلى روح ليتفاجأ أنها قد لطخت فمها وهي تأكل وراقب بتعاطف يدها المرتعشة التي تحمل الشوكة فمال عليها يمسح لها فمها بمنديله وهو يقول: «انتظري يا روح لطخت نفسك».

استسلمت له في لحظة نادرة فهي دوما مجادلة عنيدة ومعتزة بنفسها وتركته ينظف لها فمها ثم أخذ يطعمها

بالشوكة قطع الفاكهة.

غمغمت بابتسامة وهي تلوك الطعام: «جدك كان يطعمني في فمي يا سالم».

غمغم لنفسه ساخرا: «أنت مصرة أن اسمي سالم رغم أنك تقولين (جدي) ومدركة أنني حفيدك».

سألته بعبوس: «هل تحدث نفسك؟».

قال بصوت واضح: «كنت أقول إن شلتوت كان يدلك كثيرا يا روح».

غامت عيناها واتسعت ابتسامتها تقول: «شلتوت كان يقدر دائما أنني تزوجته رغم إمكانياته البسيطة وتركت خطابا أكثر منه ثراء.. كان يحبني بشدة».

غمغم ساخرا: «علمت الآن من أين جاء العرق الرومانسي اللعين (ثم سألها وهو يطعمها قطعة من الموز في فمها) ألم تندمي أبدا لأنك تزوجته وهو فقير بينما كان لديك فرصة لتعيشي حياة أفضل».

أجابت بحنين للماضي: «عودته مساء كل يوم كانت عندي بالدنيا كلها حتى لو أكلنا الفول في الثلاث وجبات».

شرد أنس ثم غمغم بعد برهة: «لكن أنت كنت تحبينه لهذا تحملت من أين يأتي المرء بمن تحبه فتتحمل الحياة معه».

لم ينتبه لما قالته روح بعد ذلك فقد اتسعت عيناها فجأة وهو يتطلع في نقطة ما خلفها ثم أعطاها الكوب يقول

بسرعة: «أكملي أنت لا بد أن أقوم بمكالمة عاجلة».

وتحرك بعد أن أشار لعامل المحل أن يعتني بها ثم هرول
مفزوعا نحو نقطة ما خلفها.

قبل دقائق

أنقذت مرام بائع الفاكهة المتجول النقود ووضعت أكياس
الفاكهة التي اشترتها منه أرضا بجوار عربته الخشبية لتعدل
من حجابها، ثم مالت تلتقطها فلفت انتباهها أن كيس الخوخ
به ثمرة فاسدة، تفحصت الكيس الذي اختارت حباته بعناية
لتكتشف أن جزءا كبيرا من العمرات الموجودة به فاسد
فرفعت أنظارها للرجل الضخم تقول باستنكار: «ما هذا هل
تغشني هل قمت بتبديل الفاكهة؟!».

غمغم الرجل مراوغا: «ما الذي تقولينه يا آنسة؟!».

صاحت مرام بغضب وهي تفتح له الكيس: «أنت غشاش..
انظر للفاكهة الفاسدة».

بدأ الناس ينتبهون لما يحدث فأسرع البائع بإنهاء الأمر
حتى لا ينفضح أمره فألقى لها الورقة النقدية التي دفعتها
ثم سحب الكيس من يدها يفرغ محتوياته في جيب معلق
في العربة من أسفل حتى يخفي دليل جريمته وهو يقول
بانزعاج: «أنا رأسي يؤلمني ولست في مزاج لمجادلات النساء
اذهبي لن أبيع لك».

أغضبها ما فعل الرجل واستفزتها لهجته فصاحتك «هكذا ببساطة.. تريدني أن أذهب كي تداري جريمتك لتغش أناس آخرين».

صاح الرجل بلهجة خطيرة: «خذي مالك وازهبي من هنا قلت».

رفعت أنظارها تصرخ في وجهه: «وهل لك عين ترفع صوتك وأنت المخطئ.. لا بد أن يعرف الجميع أنك غشاش».

كان صوتها العالي ينبه الناس لما يحدث فمد الرجل يده بحركة عصبية وأمسك بعقل الميزان الحديدي ورفعوه وهو يميل عليها صائحا بصوت مخيف: «اغربي عن وجهي وإلا سأحطم رأسك».

سقط قلبها من الرعب وناظرته بعينين متسعيتين في الوقت نفسه الذي وجدت من سحبها من ذراعها للخلف بسرعة، وقبل أن تستوعب كان أنس يقف في مواجهة الرجل قائلاً وهو يدفعه في صدره: «احترم نفسك.. من التي ستحطم رأسها».

دفعه الرجل الضخم بدوره وقد وجد من ينفس فيه عن غضبه وهو يقول: «ابتعد عن طريقي ما دخلك أنت».

قالت مرام من خلفه موضحة: «إنه يغش الفاكهة».

هتف أنس دون أن يلتفت إليها: «عودي للبيت فوراً».

تحركت خطوتين تلقائياً لكنها تسمرت وتملكها الخوف عليه،

فالرجل ضخم ويبدو شرسا بينما دفع أنس البائع من كتفه قائلا: «احترم نفسك وأنت تتحدث معي».

مد الرجل يد في جيب جلبابه وأخرج مطواة ولوح بها في وجه أنس قائلا: «يبدو أنك تحتاج لتربية».

بدى الرجل أمام عيني أنس غير متزن؛ لكن لم يكن أمامه فرصة لترك المعركة فقال بلهجة صارمة وهو يتقدم منه: «أنزل هذه المطواة وهيا اذهب لحال سبيلك».

«أنت لن تأمرني ماذا أفعل يا حضرة».

قالها وهو يلوح بمطواته فأسرع بعض المارة وأصحاب المحال القريبة بالتدخل وإجبار الرجل على إبعاد المطواة وحاصروه حتى اضطر للانصياع ومغادرة الحي.

بعد دقائق وبعد أن تأكد من رحيل البائع استدار أنس يبحث عن مرام فوجدها لا تزال تقف مع بعض النسوة يتابعن ما يحدث فأشار لها بإشارة صامتة صارمة أن تتحرك إلى البيت، كان مكفهر الوجه تبدو على ملامحه الصرامة والانفعال فأسرعت بالتنفيذ بطاعة لتسرع الخطى نحو البيت، بينما عاد أنس بعد أن شكر أهل الحي إلى جدته التي يحمد الله أنها جالسة بعيدا تولي ظهرها لما يحدث وإلا لأصابتها حالة الهستيريا التي باتت تنتابها مؤخرا ولفقد السيطرة على الوضع بين جدته ومرام، مرام التي أحس لحظتها بالرغبة في قتلها ودفنها حتى يتخلص من تهورها، فكان يتفتت من الغضب وهو يساعد روح بعد قليل على

صعود سلم البناية.

كان يلف ذراعه حول ظهرها ويده الأخرى تمسك بيدها فكانت ترتكن بكامل جسدها عليه وهو يصعد معها درجة درجة ثم يقفا كي تلتقط أنفاسها بين الطابق والآخر، ورغم صبره الذي يتحلى به عادة كان متعجلا لحظتها على الصعود وهو يكبت الغضب الذي يتأجج في صدره ولولا جدته لطار على السلم وسحب مرام من شعرها وربما ألقى بها من الشرفة، هكذا كان يفكر وهو يتحمل خطوات جدته البطيئة لكن هذا الصبر لم يدم قليلا فبعد أول طابقين رفع جسدها الضئيل وحملها فوق ذراعيه فشهقت روح وضربته على كتفه تقول بانزعاج: «ما هذا؟! أنزلني ماذا يقول عني الجيران؟! عروس جديدة!».

لم يكن في مزاج يسمح له بالحديث وإلا لأمطرها بتعليقاته الساخرة ردا على عبارتها لكنه لم يعلق واستمر في الصعود، بينما واصلت روح إبداء اعتراضها محرجة حتى فتح أحدهم شقته فاضطر أنس لإنزالها ووقف لالتقاط الأنفاس وهو يرد التحية لجارهم الذي ألقاها ومر من جوارهما ينزل، فقالت روح بعبوس محذرة: «إياك أن تحملني بهذه الطريقة مرة أخرى هل تحسبني سعاد حسني!».

كاد الغضب الذي يكبته أن يفجر رأسه إلى شظايا، بينما فكره مشغول بالكيفية التي سيخنق بها مرام حتى يرتاح.. فمال بجسده ولف ذراعيه حول فخذي جدته ورفعها لأعلى كما يحمل الطفل الصغير ثم صعد بها من جديد فازداد غيظ

روح واعتراضها وبدأت تضرب على ظهره قائلة: «أنزلني يا سالم.. هل أنا شوال بطاطس يا ولد».

تجاهل اعتراضاتها مجددا وصعد حتى وضعها عند باب الشقة ووقف يلهث وهو يضغط على زر الجرس دون توقف حتى قالت روح: «أجل تعجلهم في فتح الباب فأنا أرغب في دخول الحمام».

فتحت مرام فأدخل جدته التي أسرعَت إلى الحمام بينما دخل أنس وصفع الباب ثم وقف أمامها متخصرا.. طالعته بارتباك وهو يناظرها لاهئا ثم سمعته يقول: «ماذا أفعل معك؟ أخبريني ماذا أفعل معك؟».

قالت مدافعة عن نفسها: «الرجل غشني وكان يريد أن...».

صاح بغضب أفزعها: «الرجل غشاش.. الرجل لص لا يهمني ما يهمني هو أنت ما يهمني هي سلامتك ما يهمني ألا يتعرض لك أحد ولو بكلمة، اكتشفت فعلته استعيدي نقودك وارحلي بهدوء».

قال ذلك وضرب أحد كراسي السفارة الأقرب إليه بقدمه يفرغ قليلا من شحنة غضبه حتى لا يقتلها فانتفضت مرام مفزوعة من حالته، بينما استمر أنس في توبيخه الغاضب: «بالله عليك ماذا كنت تتوقعين أن يفعل بك الرجل وأنت مصرة على فضحه؟ سيصفق لك! وماذا تتوقعين مني أو من أخويك إن رأينا ما حدث أو علمنا أنه قد خدشك ولو بكلمة؟! (وصاح بصوت مرعب) أتريدين بلطجيا يا مرام؟! أتريدين

أن أتحول لبلطجي يسير خلفك لأضرب هذا وذلك بسبب حماقتك».

كانت مصدومة من انفعاله المبالغ فيه ولم تكن تعرف أن شرارات الغضب اشتعلت في حقل من ألغام بدأت في الانفجار الواحد تلو الآخر دون سيطرة منه؛ لكن ما قاله ألمها فصاحت باستنكار: «أنا حمقاء يا أنس!».

اقترب منها فابتعدت للخلف حتى التصقت بالحائط يقول بتحد غاضب: «أجل تتصرفين بحمق واندفاعية».

صاحت باعتراض: «أنا لست حمقاء».

مد سبابته ودفعها في جبهتها بخشونة قائلا والشياطين تتراقص أمامه: «بل أنت حمقاءاااا ومتهورة يا مرام».

آلمها موضع إصبعه لكن كلماته ورأيه فيها كان أكثر إيلاما وجرحا ورغم ذلك لم تجد ما ترد به، ربما السبب هو الألم أو الرهبة منه أو ذلك الاحترام والتقدير الذي تكنه له فوقفت أمامه تناظره بمقلتين مرتعشتين ووجه أحمر وهي تهز ساقها من الغضب الذي لم تجد له مجالا للتنفيس سوى أن تميل وتدفن وجهها في كفيها تجهش بالبكاء.

استاء أنس من بكائها وزاد من الضغط على أعصابه، خاصة وهو يصارع مشاعر خاصة تستيقظ كلما وجدت في محيطه فضرب بكفه على الحائط بجوارها صارخا: «كفي عن البكاء وارحميني.. إياك أن تبكي أمامي أبدا لا أتحمل ذلك».

كشفت عن وجهها وصاحت فيه بغضب من بين دموعها:
«لا تتحمل بكائي ولا حماقاتي.. عموما يا دكتور أنس لست
مطالباً بتحمل ما يصدر مني حين أفعل شيئا لا يعجبك
تجاهله وأمض في طريقك وكأنك لم ترني».

بكائها ودموعها وذلك الألم المطل عليه من عينيها نسفوا
الجزء العاقل الباقي في عقله فصاح فيها: «وهل أنا متعمد
إيذاء نفسي! هل تظنين أن الأمر بيدي؟! (وأضاف بتقطع
وهو ينازع مشاعره المجنونة) كيف تطلبين مني ألا أراك
وأنت تحاصريني حتى بمنامي؟! وكيف أتجاهلك وكل حركة
وإيماء منك.. كل حركة وإيماءة منك يا مرام.. إما تحييني..
أو تقتلني».

لاحظت علامات الغباء على وجهها وقالت: «أنا لا أفهم».

قال بتأكيد استفزها: «ولن تفهمي.. لن تفهمي أبدا».

جاءهما من الحمام صوت روح البعيد تقول: «لماذا تصرخ
في وجه الفتاة يا سالم؟!».

خيم الصمت لغوان حلت مرام خلالها كلماته في رأسها
ورغم عدم فهمها آلمها أن تكون سببا في إيلامه في الوقت
نفسه بدأ أنس يعي لما تفوه به فحاول السيطرة عن شياطينه
وتحرك نحو الباب ينوي أن يهرب من هذا الجحيم، لكنها لم
تكن على استعداد لتركه يغادر دون توضيح فاندفعت تقف
عند باب الشقة لتمنعه من فتحه وهي تقول بتأثر باك: «لم
أتصور أبدا أنني أؤذيك يا أنس الخاطرة نفسها....».

لم تستطع أن تكمل حديثها وأجهشت بالبكاء فقال بغیظ:
«لماذا تبكين؟ ارحميني.. هل أنت مصرة على تعذيبی؟
ابتعدي دعيني أغادر».

رفعت وجهها وقالت بإصرار: «لن تخرج قبل أن تخبرني
الآن وفورا كيف أؤذيك ومما تريدني أن أرحمك؟».

قال بإنهاك: «ابتعدي يا مرام بالله عليك».

ازداد شعورها بالألم فقالت بإصرار: «لن تغادر قبل أن
تخبرني».

صاح منفعلا: «أخبرك بماذا».

تماسكت وقالت: «بما أفعله ويعذبك إلى هذا الحد والسبب
الذي يجعلك تعاملني بشكل مختلف منذ فترة.. تتحاشاني
وتتجنبني بشكل بات واضحاً، ولولا أنك تفعلها من قبل رحيل
نيلى لقلت إنه بسبب الموقف الذي تعرضت له في تلك
المقابلة الوهمية، رغم أنك تزداد غرابة وتباعداً منذ ذلك اليوم
(وأضافت بلهجة متألمة) أنا الوحيدة في هذا البيت التي بت
تعاملها بتجاهل وتحفظ.. أخبرني كيف آذيتك فأنا لا أطيق
الشعور أنني قد أفعل ما يؤذيك (وأضافت بغير تصديق) أنا
أقوم بما أقدر عليه للتخفيف عنك».

كانت عيناها الممتلئتان بالدموع تعذبانه وضغط المشاعر
التي يقاومها يجهد فأمسك بمعصمها يبعدها قائلاً بخفوت:
«ابتعدي يا مرام».

خلصت معصمها وصاحت بعصبية: «أريد أن أعرف يا أنس».

علا صوته فجأة وفقد السيطرة على حقل الغامه مرة أخرى فانفجر في وجهها قائلاً: «قلت ابتعدي يا مرام».

فقدت هي الأخرى تحكمها في أعصابها وصاحت بعناد: «لن أبتعد يا أنس وليس من حقك أن تنفجر في وجهي بكل هذه الكلمات القاسية ثم تغادر أريد تفسيراً واضحاً».

ضرب على الحائط بجوارها صارخاً في وجهها: «ماذا تريدان ها؟ ماذا تريدان مني أن أقول؟».

ارتعدت تلقائياً من صوته المخيف لكنها ولسبب ما لم تكن خائفة من أن يؤذيها حتى بتصرفاته العصبية تلك.. ولو كان لديها الفرصة لتحليل ذلك الشعور لوصفت ردة فعلها هذه أنها في (عهد أمان) معه يمنعها من الخوف منه.. شعور بالأمان نابع من ثقة مطلقة في شخصه وفي ردود أفعاله فصاحت تقول: «أريد أن أعرف كيف أؤذيك وكيف أقتلك وأحييك وهذا الكلام الغريب».

كان قريباً منها.. وكانت أنفاسه تتلاحق وهو يستشعر دفء جسدها فضرب على الحائط بكفه مجدداً يقول باندفاع وعيناه تتطلعان في عينيها من مسافة قريبة: «لأنني أحبك.. أنا أحبك يا مرام».

فجأة صمت العالم من حولهما..هدوء تام عم المكان بعد انفجار طاقة من النور.. وأحست مرام وكأن دلواً من

الماء البارد قد ألقى فوق رأسها ليطفئ غضبها وعصبيتها
ويصيبها بالتجمد، فاتسعت عيناها ووقفت تتطلع فيه
كتمثال من الشمع تعيد العبارة في رأسها حرفاً.. حرفاً وهي
تشك في قدرتها على استيعاب ما قاله.. في الوقت الذي
أحس أنس وكأنه مدفع قد انطلقت منه قذيفة مدوية دون
قصد، فوقف لاهثاً يتأملها من هذا القرب ويدقق في ملامح
وجهها المصدوم وعينيها الذاهلتين المرفوعتين إليه بعينين
جاحظتين من قوة اللحظة ثم تقبضت يده التي يسندها
على الباب خلفها وقال بلهجة جافة ساخرة يداري شعوراً
بالألم خرج من قلب ينزف كان يخفي عن صاحبه بقايا أمل:
«لَمْ هذه الصدمة على وجهك؟ لماذا صدمتِ لأنني أحبك؟!»
أنا مثل أي أنسان عندي مشاعر.. ورغم كل ابتلاءاتي لا يزال
عندي آمنيات ورغبات وأحلام حتى لو كانت صعبة المنال
(وغرق في عينيها الحماوين المصدومتين أمامه وأضاف
غاضباً وكأنه سيصفعها) طلبتِ الحقيقة؟ هذه هي الحقيقة..
لم أعد أراك مرام الصغيرة ولهذا بت أتجاهلك، بالضبط كما
يدير الظمان ظهره للماء الذي لا يملك ثمن الحصول عليه،
أحبك يا بنت عمي لكني لا أملك مهرِك.. هل ارتحت الآن؟!..

ظلت تتطلع فيه باتساع عينيها تحاول تفسير ما قاله بشكل
صحيح بعيداً عن الطريقة الغاضبة التي يتحدث بها وظل هو
يستقبل ردة فعلها بشكل خاطئ فقال بسخرية مرة: «رائعة
هذه الصدمة على وجهك.. ربما نفعتني كي أكره نفسي أكثر
وأواصل إبعادك عن طريقي عموماً لا تقلقي هذا الأمر لا

يخصك إنه مشكلتي وحدي ليس عليك فعل شيء حيالها». «مرآااام أريد منشفة».

قالتها روح من الداخل فقال أنس وهو يمسك بمقبض الباب: «أفسحي الطريق واشربي أو كلي أي شيء به سكر فوجهك شاحب حد الموت، وكأنك قد تلقيت اعترافا من عزرائيل نفسه».

فتح الباب وسحبه بالقوة فأجبرها على التحرك وأجبر جسده المعترض الذي فارت رغباته في قربها أن يتحرك وخرج يشتم نفسه وتهوره وما تفوه به لسانه، بينما ظلت مرام مكانها متسمة كتمثال من الشمع، وقد توقف قلبها عن النبض وتوقفت أنفاسها عن الحركة وتوقف الزمن حتى جاءها صوت جدتها يخترق صمت الكون حولها تقول بانزعاج: «مرآااااااام.. أريد منشفة وأريد الشبشب لأنني أخاف من أن أنزلق».

دخل عصام مكتبه ينفخ بضيق فسأله زميلته صافي وهي تتفحص ظفرها المطلي الذي انكسر: «ما بك؟».

رد وهو يعود ليجلس خلف المكتب: «للمرة الثانية لم أجد رميح بك.. يقولون في الاستوديو وأريد أن يعتمد التصاميم الجديدة كي أبدأ في التنفيذ».

ردت ببساطة: «اذهب له في قسم الاستوديوهات إذن».

عبس وسألها: «أهو مسموح؟».

هزت كتفيها وردت: «طبعاً ممكن، كثير منا حين يكون متعجلاً يصعد للطابق الخاص بالاستوديوهات لينجز ما يريد (وأسرعت بالإمساك بذراعه قائلة) يبدو أنك لم تصعد لذلك الطابق من قبل ويسعدني أن أكون مرشدتك».

قال عصام بحرج وهو يراها تتعلق بذراعه بمنتهى الأريحية: «لا داعي أنا سأذهب بنفسى».

قالت وهي تسحبه للخارج بعد أن التقط ملفا وجهازا لوحيا من فوق المكتب: «بصراحة أنا سأتحجج بك كي أجد سببا للصعود إلى هناك (وهمست إليه بشقاوة) أريد أن أرى الفنان أحمد عز، إنه يصور إعلانا وأنا سأموت لأراه على الطبيعة وأسلم عليه».

دخل عصام بعد دقائق للطابق الأخير من البناية الذي يضم الاستوديوهات الخاصة بالشركة وتطلع حوله يدقق في أدوات التصوير والإضاءة التي يحملها بعض العمال قبل أن تقول صافى بلهجة متعجلة: «أعتقد أن رميح بك في ذلك الاستوديو، اذهب إليه (ورقست حاجبها مضيفة) أما أنا فسأذهب للاستوديو الآخر لأرى أحمد عز».

راقبها وهي تبتعد وابتسم من جنونها المعروف عنها ثم تحرك ليدخل ذلك الاستوديو الذي أشارت عليه ووقف يتأمل الكاميرات والإضاءة ثم تطلع في الموجودين خلف الكاميرا يبحث عن رميح حتى وجده بجوار شخص، يوجه بعضهم

بلهجة أمرة فخمن أنه المخرج، فاقترب منه يشير إليه بالملف بيده فhez رميح رأسه وأشار له أن ينتظر.

انتحى عصام جانبا ووقف يدقق في كل شيء حوله من جديد ففهم أنهم يصورون إعلانا عن أحد أدوية الحمية الغذائية فراقب ما يحدث ودقق في التفاصيل كي يخزنها في عقله قبل أن يلفت انتباهه حديث جانبي يدور بين اثنين من الواقفين حيث قال أحدهم: «أليس هذا الدواء تابع لشركة (yz) للأدوية؟».

تجمد عصام وبلغ ريقه بصعوبة ليرد الآخر: «أجل».

قال الأول: «ما سمعته أن الشركة تعاني صعوبات مالية كبيرة، هل يقومون بالتسويق لمنتجات الشركة لرفع نسبة مبيعاتهم؟».

رد عليه الثاني: «طبعا بالتأكيد.. فإن لم يلجأ ورثة الشركة لجودت عابدين ليضع لهم خطة إعلانية ضخمة لمن سيلجؤون إذن؟ خاصة أن صاحب الشركة الذي توفي قبل شهر يكون صديق جودت عابدين».

كنت أنتظر عودة عمي جودت صديق والدي) تجمد عصام وهو يستعيد جملتها في رأسه ويربط الخيوط ببعضها فكانت تلك المعلومة هي القطعة الأخيرة في لوحة بازل.. القطعة الأكر أهمية.. مفتاح اللغز.. فاكتملت اللوحة في رأسه لتكشف له الحقيقة كاملة، وقف متسمرا يتطلع في الفراغ قبل أن ينتبه لنداء رميح فانتفض وأجبر ساقيه على التحرك ليريه

بارتجاف بعض التصميمات على جهاز تابلت، ثم أعطاه الملف ووقف يتأمله مفكرا هل من الممكن أن يكون توظيفه في الشركة التي يملكها صديق والد نيللي صدفة؟ أم أنه قد تم على سبيل المجاملة؟!

أعطاه رميح بعض الملاحظات قبل أن ينتبه لنظراته التائهة وهو يتطلع فيه فسأله عابسا: «هل أنت بخير؟ تبدو شاحب الوجه».

استجمع عصام قواه وسيطر على صدمته ثم سأله بحشجة: «هل أعجبتك التصاميم حقا؟».

عبس رميح مجددا ثم أجاب: «كما قلت لك أحببت الأفكار والألوان جرب فقط ما أخبرتك به».

هز عصام رأسه ولم يجد ما يعقب به إنما تطلع في المكان حوله ليقول رميح: «بالمناسبة أريدك أن تأخذ مكان عامر في حملة شركة (YZ) لأنني كلفته بمهمة أخرى ستحتاج منه لتفرغ، اذهب للأستاذ عشري وأخبره بما قلته».

لم يكن عصام قد استعاد توازنه بعد فقال لرميح بعينين متسعيتين: «أنا؟!».

أجابه الثاني بتأكيد: «أجل أنت اذهب إليه دون تأجيل لأن العمل في هذه الحملة عاجل».

بعدها استدار رميح لسمع ما يقوله له المخرج، فظل عصام يتطلع فيه ذاهلا ثم تحرك بعد برهة يجر ساقيه الثقيلين

بصعوبة مغادرا المكان.

في الحمام وقف بعد دقائق أمام المراة.. وجهه مبلى بالماء بعد أن غسله لربما أفاق مما شك أنه هذيان رغم أن الحقيقة كانت ساطعة سطوع الشمس ولم تستغرق منه سوى دقائق ليضع قطعة البازل الأخيرة في مكانها ويتضح كل شيء، ولهذا لم يعط لنفسه فرصة للترو أو التفكير إنما كان مدفوعا من كبريائه المتألم فأسرع يخرج من الحمام متخذا قرارا صنع على عجل.

خرجت مديرة مكتب جودت عابدين وسمحت لعصام الواقف متجههم الوجه بالدخول فطالعه جودت باهتمام قائلا: «أهلا عصام.. تفضل».

اقترب وهو يحاول أن يتحكم في أعصابه مدركا لأنه وكما يصفه أنس دوما (سريع الاشتعال) وشخص بمقام وهيبة جودت عابدين لا يصح معه أي سلوك عصبي منه في الوقت الذي لاحظ جودت تشنجه وهو يضع أمامه ورقة مطوية فسأله دون أن يمد يده إليها: «ما هذا؟».

ابتعد عصام عدة خطوات للخلف ووقف أمام الرجل العجوز متقبضا يقول بصوت مبحوح: «هذه استقالتني».

عبس جودت ثم سأله بالهدوء نفسه: «والسبب؟».

رد عصام بحشجة: «السبب أنني اكتشفت للتو أنك تعرف

نيلى شرف الدين وأن والدها كان صديقك وفهمت أنها
توسطت لي كي أعمل عندكم والحقيقة ورغم كرمكما الكبير
صدمت لأنى كنت أظن أن مهاراتي هي السبب في منحي
فرصة ذهبية كالعمل في شركة من أكبر الشركات في البلد،
وكنت بعد سنين من التشرد الوظيفي أفخر أنى وصلت
أخيرا لما أستحقه لكن كل هذا كان وهما».

خيم الصمت لبرهة ثم قال جودت بالنبرة الهادئة نفسها:
«هل انتهيت من حديثك؟ (وأشار على الورقة) ارفع هذه
وخذها معك، فالشركة التي تعين موظفا بالتوصية لا تستحق
منك تقديم استقالة، عليك فقط بالخروج من هذا الباب وعدم
العودة دون أن تبذل جهدا في الإبلاغ عن ذلك».

امتقع وجه عصام ورد بسرعة: «أنا لم أقصد أي إهانة
للشركة فأنا..».

هدر جودت غاضبا: «ماذا قصدت إذن؟! ألم نوظفك
بتوصية؟ إذن نحن لا نستحق منك استقالة كالشركات
المحترمة».

شعر عصام أنه قد أخطأ التصرف تحت ضغط عصبية
فقال موضحا: «أنا لم أقصد هذا».

رفع جودت سبابته يقول بلهجة غاضبة: «شركة جودت
عابدين لا يدخلها إلا من يستحق ذلك، لا نيلى ولا أعلى رأس
في هذا البلد له الحق في تغيير فكر ورؤية وقوانين جودت
عابدين، لن أنكر أن نيلى حدثني عنك وأخبرتني باسمك

وهي تعرف بالضبط أنني لست هذا الشخص الذي قد يسمح بأي توصية؛ لكنها قالت بالحرف (أنا فقط أخبرك باسمه كي تنتبه له من وسط عشرات المتقدمين للوظيفة) ولست مطالبا بأن أخبرك بالإجراءات التي تتخذها شركتي في اختيار موظفيها وما نوع الاختبارات التي خضتها أنت بالذات دوناً عن بقية المتقدمين (وربت على مكتبه مضيفاً بالنبرة الغاضبة نفسها) إن هذه الشركة لا توزع صدقات يا باشمهندس وأنا لا أدير جمعية خيرية لمجاملة معارفي».

أطرق عصام برأسه محرجاً فأضاف جودت: «هذا ما يخص شركتي.. أما يخص سعادة الباشمهندس المائل أمامي الآن فدعني أخبرك أنك غبي».

اتسعت عينا عصام وطالعه بصدمة فقال جودت بلهجة مؤكدة: «أجل أنت غبي وأقولها في وجهك كي تتذكرها حين تخرج من هنا ولا تعود، أنت غبي يا عصام وخذلتني فالرجل الحق إن لم يجد الفرصة يصنعها وأنت مُنحت (صدقة أو مجاملة) على حد تعبيرك لكنك قررت بكل تهور ورعونة أن تضيعها من يدك بدلاً من أن تتشبث بها بكل ما تملك من قوة، وأن تعبث لنا أنك تستحقها عن جدارة وتعبت لنفسك وللناس أنك استعمرت الفرصة الذهبية التي جاءتك كمُنحة خيرية كما اعتقدت لكنك للأسف وقعت في فخ كبريائك التافه».

كانت كلماته كالصفعات على وجه عصام الذي شعر أمامه وأمام نفسه أنه صغير، بينما استمر جودت في لهجته الغاضبة مضيفاً: «خذلتني يا عصام وقد كنت أنتظر منك الكثير؛ لكن

يبدو أنني كبرت في العمر ولم تعد نظرتي في الناس ثابتة
كالسابق».

العبارة كانت حارقة كطعنة خنجر وهي تخترق قلب عصام
قبل مسامعه فأضاف جودت بصرامة: «اذهب من أمامي
فأنت مفصول فلا مكان للأغبياء في شركتي ولا مكان لهم
في أي مكان آخر ذي قيمة هيا اذهب وابك أنت وكبريائك
على خيبتك وعش دور الشهيد الذي عذبتة الحياة هيا يا
باشمهندس تحرك».

لم يجد عصام ما يقوله فاندفع خارجا يغادر مكتب وشركة
جودت عابدين.

عند الغروب

«الرجل أصاب كبد الحقيقة وأصابك في مقتل قبل أن
أصيبك أنا بتشوهات في وجهك تغير من ملامحك» قالها
أنس بانفعال لعصام الجالس أمامه في شقته مائلا بجذعه
للأمام مستندا بمرفقيه على فخذه في حالة صدمة وغضب
بعد ما سمعه من جودت ليضيف أنس بغيظ: «ما تستحقه
مني على فعلتك هذه أن أخنقك وأدفنك حتى ارتاح منك».

ظل عصام صامتا فما قاله له جودت، زلزل كيانه.. بعمر كل
أفكاره ومعتقداته حتى أوهامه.. ثم أعاد ترتيب كل شيء من
جديد وضعه في مواجهة مع نفسه وضعه على درجة أعلى
من درجات النضج والخبرة فشعر أنه يحتاج لبعض الوقت

لغربة أفكاره ومبادئه.. يحتاج لبعض الوقت للنظر للأمور
نظرة مغايرة.. ويحتاج لصديق مثل أنس يسمعه ويوبخه قبل
أن يطيب خاطره.

تكلم بحشجة معترفا: «ربما كنت مبالغا في رد فعلي أو
كنت (غبيا) كما وصفني جودت لكن.. لكن يا أنس نيللي
ضربت كبريائي في مقتل للمرة الثانية».

تكلم أنس الذي لم يكن ينقصه مصائب عصام فمصائبه
تكفيه؛ لكنه نحى مشاكله جانبا وأخذ يساعده في فك شبك
أفكاره: «أنا أرى أن نيللي فعلت شيئا رائعا يا عصام وخدمتك
خدمة العمر، المشكلة عندك أنت».

طالعه الآخر بارتباك وقال بلهجة متألمة: «كنت أريد أن
أكون أنا الداعم لها.. أنا من يقدم لها المساعدة.. كنت أتمنى
أن أملك ما يجعلني أتقدم نحوها بكل ثقة وأعرض عليها
مشاعري».

«هل تعتقد ذلك؟ (قالها أنس وأضاف مجادلا) هل تعتقد
أنك لو كنت تملك ما تتصوره أصبح طريقك إليها سهلا
مفروشا بأزهار القرنفل التي يزرعها أبوك في شرفته نائيا
بنفسه عن العالم، كل هذه خرافات صورها لك كبرياؤك
المجروح يا عصام فكل منا يعاني كل منا له متاعبه وأوجاعه
والعقبات التي تعوقه عن الوصول لما يصبو إليه، كل منا له
ابتلاءاته التي سيؤجر عليها من رب العالمين حتى من تظنهم
يملكون كل شيء حرمت أنت منه يعانون أشياء أخرى حتى

لو كان في هيئة (مَلَل) مما يملكونه ولا تقول (لو كنت مكانهم لفعلت كذا) لأنك لو كنت مكانهم لكنت مثلهم هم بشخصياتهم وأفكارهم نتاج لظروفهم كما أنك نتاج لشخصيتك وظروفك وأفكارك».

أطرق عصام برأسه يفكر يفك تشابك أفكار قديمة ويصنف أخرى جديدة وشعر بأنه بحاجة لجلسة مع نفسه فاعتدل وأسند رأسه للخلف على ظهر المقعد مغمضا عينيه فتأمله أنس وطلب من نفسه الصبر مراعيًا حالة ابن عمه وهو الذي كان ينتظر عودته بفارغ الصبر كي يطمئن على مرام ويرى تابعات الاعتراف الكارثي الذي قام به قبل ساعات.. لكنه لم يستطع التحمل كثيرا فقال بعد قليل ببعض الحرج: «عصام.. هلا صعدت للاطمئنان عليهم في الطابق السابع؟».

وارب الأخير جفنيه وسأله: «ماذا تعني هل حدث شيء؟».

التعبير الذي رآه على وجه أنس جعل عصام يوجه له كل انتباهه وهو يقول بحرج: «لا.. أقصد نعم.. أقصد لا أعرف».

اعتدل عصام وسأله بتوجس: «ماذا حدث تكلم (وأضاف ببعض العصبية حينما ظل الأخير يطالعه لا يعرف كيف يشرح له ما حدث) تكلم يا أنس».

أجلى الأخير حنجرته وقال: «اليوم أختك تشاجرت مع بائع متجول ورأيتها صدمة وأنا عائد مع جدتك.. المهم أنني تدخلت وتصرفت مع الرجل لكني كنت مغتاظا منها وغاضب..».

صمت فأتسعت عينا عصام واستقام واقفا يقول بقلق: «هل حدث لها شيء؟ أو تطاول عليها الرجل؟».

رفع أنس الجالس على كرسي السفرة أنظاره نحو عصام وأسرع بطمأنته قائلا: «اهدأ لم يحدث شيء أنا تدخلت قبل أن يتطور الأمر وهي بخير المهم أنني كنت في حالة غير مسبوقة من الغضب (وأضاف شارحا لحالته التي حلها فيما بعد) بصراحة تملكني الخوف عليها فالرجل كان غير متزن ورفع في وجهها حجر الميزان.. لهذا حينما صعدت بجذتك للبيت انفجرت فيها ووبختها.. ويبدو أنني قد تفوهت أثناء حالتي الغاضبة بكلمات آلمتها المهم أنها جادلتنى وضغطت على أعصابي حتى اعترفت لها بمشاعري».

تغيرت ملامح عصام ولبسته حمائية الأخ فقال له باستنكار: «نعم! ماذا فعلت بالضبط».

فهم أنس ما يفكر فيه فقال: «اهدأ يا عمنا فالأمر لم يحدث كالروايات والأفلام بالشكل الذي قد يثير حفيظتك فكائن منحوس مثلي لن يكون اعترافه كالبشر العاديين كانت زلة لسان أشبه بصفعة.. بكلمات توبيخ.. بقذائف هاون يلقيها شخص مجنون في وجه من يعترف لها (وأضاف بحشجة حزينة كسبت تعاطف ابن عمه الذي كان متحفزا) كان اعترافا بشعا حتى يكتمل المسلسل الأسود معي».

ناظره عصام وقد انعقد لسانه ليضيف أنس بترج «أنا فقط أريد أن أطمئن أنها بخير.. لا أطمع في أكثر من ذلك فهل

رحمتني يا ابن عمي؟».

«أين مرام؟» قالها عصام وهو يدخل شقة الدور السابع فقال عارف الجالس في الصالة «إن كنت تريدها من أجل ما حدث اليوم في الشارع فلقد وبختها وأنس أيضا فعل ذلك فيكفي هذا».

غمغم قائلا وهو يتجه نحو غرفتها: «إنها تحتاج لقطع رقبتها وليس مجرد توبيخ يا حاج».

لحقه عارف بصوته يقول بلهجة أمرة: «قلت يكفي يا عصام واغلق الموضوع».

في نفس الوقت اتسعت عينا زينة واقتربت من جدها تسأله بقلق وهي تضع يدها على رقبتها: «هل سيقطع عصام رقبة مرامي؟».

ابتسم عارف وأجابها وهو يضمها إليه: «إنه لا يعني ما يقوله».

ف قالت مؤكدة: «كان وجهه جادا».

أما مرام فكانت جالسة على سريرها تحضن ركبتيها وتحقق في الفراغ..إنها على هذا الوضع منذ أن غادر أنس حتى حينما ناداها والدها بعدما علم من أهل الشارع ما حدث خرجت إليه وتلقت توبيخه بصمت تام ثم عادت من جديد إلى غرفتها.

حين طرق عصام الباب لم تنتبه للوهلة الأولى حتى قال: «مرام.. هل أدخل؟». فانتبهت أخيرا وقالت بارتباك وهي تقفز من فوق السرير: «نن.. نعم تفضل».

فتح الباب فطالعه باستفهام وقد نسيت ما حدث في الشارع قبل ساعات ليسألها عصام: «متفحضا هل أنت بخير؟».

رمشت بعينيها عدة مرات بتيه ثم أجابت بهدوء: «أجل بخير.. ما بي؟ الحمد لله بخير».

دقق فيها يسألها: «هل حدث شيء اليوم؟».

تذكرت أخيرا فأسرعت بالقول: «اسمع إن كنت علمت بما حدث في الشارع فالرجل استفزني لكني معترفة أنني قد تصرفت معه بتهور».

(أنت حمقاء) كلمات أنس لا تزال تطن في أذنيها فشردت لعانية قبل أن يقول عصام متجاهلا أمر المشاجرة: «وهل حدث شيء غير ذلك؟».

انتابها الارتباك وردت دون تفكير: «لا لم يحدث شيء هل أخبرك أحد أنه قد حدث شيء؟!».

«أنا أسألك؟».

ردت مؤكدة: «لم يحدث شيء».

رفع حاجبا مستنكرا ولم يدر لماذا شعر بالغيب فhez رأسه وقال وهو يغادر الغرفة: «تمام أنا جائع».

غمغمت بشروء: «اطلبوا أي شيء من الخارج».

عبس وسألها: «نعم! ألم تطبخي!».

قالت وهي تعود للجلوس على السرير: «لم أستطع فعل شيء اليوم، أشعر بالإجهاد الشديد وبالرغبة في النوم».

عوج عصام شفتيه وتطلع في حالتها الشاردة لبرهة ثم خرج يغلق الباب خلفه بينما عادت مرام لشروءها تحقق في الفراغ، إن رأسها خاوٍ من أي أفكار لا يوجد فيه سوى كلمات أنس التي قالها قبل ساعات وذلك الاعتراف بالحب الذي رآته فريداً من نوعه.

فقط كلمات أنس هي ما تدور في رأسها.. تتكرر.. وتتكرر دون توقف، إنها في حالة من التبدل أو الصدمة ولا تشعر بأي شيء.

أما عصام فخرج إلى الشرفة يهمس لأنس في الهاتف: «أقول لك إنها بخير ولم يبد عليها أي شيء غريب حتى إنها لم تخبرني بأي شيء يخصك».

هز الآخر رأسه براحة، ولم يعرف أعليه أن يشعر بالراحة لرد فعلها هذا أم يحزن فقال بحشجة: «المهم أنها بخير حمداً لله».

«نيللي!» قالها جودت عابدين في الهاتف بلهجة حازمة فقالت نيللي على الطرف الآخر: «أنا فقط كنت أوضح لك

لماذا تصرف عصام بهذا الشكل».

استمر جودت في حديثه الأبوي الحازم يقول: «اسمعي يا نيللي أنا مقدر لمشاعرك نحوه لكن أنت بهذا الشكل لا تساعدينه على النضج».

رغم شعورها بالحرَج لأن مشاعرها واضحة ومكشوفة أمام جودت بهذه السهولة إلا أنها أسرعَت تقول مدافعة: «إنه ناضج ومسؤول جدا».

قارعها جودت قائلا: «وهل ما فعله اليوم يسمى نضجا ومسؤولية؟».

ارتبكت مغمغمة: «لهذا كنت أشرح لك».

«لا تشرحي شيئا، المواقف وردود الأفعال لا تحتاج لمن يشرحها بل هي ما تتحدث عن نفسها (وأضاف بلهجة موبخة) كما أنني مصدوم من طريقتك في التعامل مع الأمر فلست معتادا على تصرفك بطريقة غير احترافية».

وقفت صامتة خلف مكتبها تدلك جبينها بأناملها في حرج كطفلة صغيرة ولم تجد ما تعقب به على كلام الرجل العجوز، فهي تعترف بحقيقة ما قاله ثم قالت بعد ثوان موضحة: «أنا فقط أشعر بالخسارة من أن يفقد وظيفة كهذه».

رد الآخر بصرامة: «هذا قراره هو.. وعليه أن يتحمل تبعاته، كما أنك من تعينني أكثر منه، لهذا أقول لك تماسكي يا نيللي وتحكمي في مشاعرك واستحضري روح سيدة الأعمال لا

الفتاة المراهقة وركزي فيما خلفك من مصائب».

كبتت رغبة في البكاء وردت بحشجة: «حاضر».

خيم الصمت لثوان ثم سألها جودت بهدوء: «هل هناك جديد؟».

«لا شيء أكثر مما أخبرتك به هذا الصباح».

قال متنهدا: «ليفعل الله ما فيه الخير».

صمتت مجددا فقال: «نييلي».

«نعم».

لانت لهجته موضحا: «أنا أفعل هذا من أجل مصلحتك.. وأتعامل معك مثلما أتعامل مع بناتي».

ردت معترفة: «أعرف ذلك ومقدرة له جدا لا حرمني الله منك يا عمي».

بعد دقيقة أنهت الاتصال مع جودت ووقفت تشعر بالحزن لاكتشاف عصام أنها تدخلت في تعيينه، صحيح تشعر بالغضب من تصرفه المتهور بتقديم استقالته لجودت؛ لكن الحزن سيطر عليها لفقدانه لوظيفة كانت ستضعه على أول الطريق الصحيح كي يحقق ذاته، لربما قلل هذا من الفارق الذي يثير حفيظته بينهما وحرره من قيود كثيرة تتفهمها رغم أنها لا تهتم بها.

تحركت نحو باب المكتب وأغلقت من الداخل ثم عادت

لتجلس على أحد المقاعد الجانبية ومالت للأمام تسند رأسها بكفيها في محاولة لاستعادة توازنها، فعلى ما يبدو قد تعلقت بحبال الأمل البالية التي لم تتحمل أحلامها الكبيرة مع عصام وأوقعتها بسرعة.

سمعت طرقا على الباب ثم محاولة لفتحه وبعدها سمعت رامى يقول لنهلة: «يبدو أن نيللي تصلي المغرب.. أبلغها أن الاجتماع سيبدأ خلال دقائق وأناي ذهبت لاستقبال الضيوف».

فتماسكت حتى لا تستسلم لموجة بكاء ملحة وأخذت تحرك كفيها أمام وجهها لتخفف من احتقانه وتمارس تمارين التنفس للسيطرة على جانبها الضعيف حتى تستعيد شخصية نيللي سيدة الأعمال، ثم استقامت واقفة وتوجهت نحو مكتبها تسحب سترة البدلة المعلقة على ظهر المقعد وترتديها ثم تناولت بعض الملفات واللاب توب الخاص بها، وتوجهت بوجه واجم إلى غرفة الاجتماعات لتحضر ذلك الاجتماع المسائي من سلسلة مقابلات واجتماعات لا تنتهي لإنقاذ شركتها من الغرق.

في وقت متأخر من الليل

هتفت نيللي في الهاتف دون تصديق: «ماذا قلت؟ أعيدي ما قلتيه مرة أخرى!».

قالت مرام: «أنت لا تصدقين أليس كذلك؟ أنا أيضا ما زلت

تحت وقع الصدمة قالها لي صراحة يا نيللي.. قالها أكرر من مرة (لأنني أحبك يا مرام) (أحبك يا بنت عمي ولا أملك مهرک)».

اعتدلت نيللي في سريرها وقد دب فيها النشاط بعد أن كانت مجعدة ناعسة وسألتها باهتمام: «وما رأيك أنت؟».

غمغمت مرام: «رأيت في ماذا؟».

«فيما قلتيه قبل ثوان في اعترافه.. ما رأيك بعيدا عن الصدمة؟».

أجابتها مرام ببساطة: «إنه أنس يا نيللي».

«والمعنى؟».

تطلعت مرام في جدتها النائمة على السرير الآخر شاردة وردت: «المعنى أنه أنس ألا تعرفين من يكون أنس؟».

مالت نيللي على جانبها واستندت بمرفقها على الوسادة وقالت بلهجة مسلية: «أريد أن أعرف أخبريني».

حدقت مرام في الفراغ وقالت بابتسامة بلهاء ارتسمت على وجهها: «إنه.. إنه شخص استثنائي رجل.. رجل نادر في هذا الزمن إنه (بدأت أنفاسها تتسارع وشعرت بالارتباك فقالت) أنا عاجزة عن التعبير الآن فرأسي في حالة شلل».

حاولت نيللي مساعدتها فقالت: «أنا متفهمة لحالتك يا مرام ولوقع المفاجأة عليك.. لكني أريد أن أخبرك بشيء مهم عليك بالنظر لأنس بعيدا عن زينة».

عبست مرام وقالت: «ماذا تقصدين؟!».

أجابتها نيللي بوضوح: «أقصد أنك تحبين (زينة) حب الأم لابنتها.. وهذا رائع جدا وعلاقتك بها علاقة استثنائية؛ لكن.. هذا لا يعني أنك بالضرورة ستكونين سعيدة مع (والد زينة) أو أنك مطالبة أن تضحي من أجل زينة أو أنس».

نجحت كلمات نيللي من إخراجها من حالة التبلد التي تلازمها منذ ساعات فاعتدلت مرام على سريرها بحركة حادة وهي تقول باستنكار: «أضحى؟! تقولين أضحى؟! يا نيللي أقول لك إنه أنس هل تدركين روعة الأمر!».

اتسعت ابتسامة الأخيرة وشعرت بالراحة فقالت: «أنا فقط خائفة من أن تخطي بين مشاعرك تجاه زينة ومشاعرك تجاه أنس».

قالت مرام مؤكدة: «لا لا طبعاً.. أنا مدركة لهذا الأمر لا تقلقي (وهتفت بحماس) يا نيللي إنه أنس».

ضحكت الأخرى وقالت ساخرة: «هل سترددين عبارة (إنه أنس) طوال الليل!».

هتفت الأخيرة بانبهار: «أنس يحبني يا نيللي.. يحبني أنا.. هل تصدقين؟ من بين كل النساء اللاتي حاولن لفت انتباهه يحبني أنا ويشعر أنني غالية لدرجة تجعله يتعذب».

غمغمت نيللي بلهجة صريحة: «الحقيقة أنا كنت أشك فيه من البداية».

اتسعت عينا مرام وقفزت لتقف على ركبتها قائلة: «حقا! أتقولين الصدق؟!».

هزت الأخرى رأسها معترفة: «قد راودني شعور أنه يتعامل معك بشكل مختلف.. كنت أرجعه لأنك ابنة عمه ولأنه يعترف بفضلك في مساعدته في تربية زينة لكن يوم خطبتك..».

صمتت تحاول إيجاد صيغة مناسبة فسألتها مرام بسرعة: «ما به يوم خطبتي؟! ماذا حدث؟».

أجابتها نيللي موضحة: «لم يحدث شيء لكنه كان غريبا تلك الليلة ولمحت تعبيراً متألماً على وجهه لحظة ارتدائك للشبكة وبعدها اختفى ولم يكمل الحفل».

تسارعت أنفاس مرام وقالت: «يا إلهي؟! لقد كان بالفعل على غير طبيعته، وقلبي كان يشعر أن به شيئاً يضايقه، يا إلهي! هل تألم حقاً؟! (ووضعت قبضتها على قلبها مضيفة بلهجة متسارعة) قلبي يؤلمني من مجرد الفكرة لا أصدق أنني آلمته دون أن أشعر فهو يكفي ما فيه».

قالت نيللي مهدئة: «مرام اهدئي وتنفسي».

«حاضر».

قالتها الأخير وهي تعود لتجلس على السرير وتحاول تنظيم نفسها؛ لكنها سرعان ما قالت: «تخيلي يا نيللي.. أنس يحبني إلى هذه الدرجة أم.. أم أنا أتوهم أو ربما فهمت كلامه بشكل خاطئ ما رأيك أنت؟ هل ما فهمته صحيحاً؟».

أصابها الارتباك فقالت نيللي: «مرام اهدئي واعطي لنفسك فرصة للتفكير».

سألته الأخرى: «التفكير أم.. تحليل ما قاله لربما كنت مخطئة؟».

ردت نيللي بإجهااد: «التفكير يا مرام».

«إذن أنا لست مخطئة أليس كذلك؟».

أجابته نيللي بصدق: «ما وصفته لا يحمل أكثر من معنى رغم أنه أغرب اعتراف بالحب سمعت عنه كان ينقصه صفة على وجهك».

ردت مرام بحمائية: «إنه.. إنه أروع اعتراف بالحب سمعت به في حياتي».

غمغمت نيللي مبتسمة: «ورغم هذا أدعوك للتفكير بهدوء شديد أتعرفين لماذا؟».

«لماذا».

«كي لا تظلميه معك».

سألته بحيرة: «كيف؟ أنا أنت لا تعرفين من هو أنس بالنسبة إلي».

ردت نيللي وقد نفذ صبرها: «يا مرام ما أطلبه منك أن تتأكدي من أنك تريه زوجا.. شريك حياة سترافقيه للأبد، أنس الآن ليس ابن عمك ولا والد زينة التي هي بمثابة ابنة

لك أنس (رجل) ستنظرين له كـ(رجل) وبالتالي عليك بعدم التسرع لأنه لو كان بهذه الحالة اليائسة التي وصفتها فلن يتحمل قبول متعجل ثم تغييرين رأيك بعدها.. هل تفهمين؟!». ردت مرام بلهجة جادة: «أفهم طبعاً أفهم.. أنا لست هباءً ولست بحاجة لتغيير رأيي.. أقول لك (إنه أنس) يا نيللي». غمغمت الأخيرة بلهجة مشفقة على حالتها: «لا حول ولا قوة إلا بالله!».

ساد الصمت لتسألها نيللي بتردد: «وهل عصام بخير؟». هزت مرام رأسها بالإيجاب وذهنها مشغول باحتفالات العيد التي تدور في رأسها ثم انتبهت لسؤالها وقالت عابسة: «عصام! ما به عصام؟».

أسرعت نيللي بالقول حتى لا تفسد عليها فرحتها: «لا شيء.. أطمئن عليه فقط اهدئي وفكري ولا تتسرع في تحديد موقفك، لأن الوضع حساس كونه من عائلتك».

قالت الثانية: «آه طبعاً لا تقلقي سأصل بك في الصباح». بعد أن أغلقت الخط عادت مرام لتحديقها في الفراغ مجدداً، قبل أن تعود برأسها للخلف بحركة مفاجئة تستلقي على السرير وتحقق في سقف الغرفة بعينين متسعيتين ثم غطت وجهها بكفيها تشعر بحرج شديد.

بعد قليل تقلبت نيللي في السرير يجافئها النوم رغم

جسدها المرهق، فاعتدلت بغیظ وتطلعت في هاتفها ترغب في الاتصال به؛ لكن كلام جودت منعها فهي بالفعل ضعيفة تجاهه كما تضعف تجاه كل من تحبهم وتتصرف بعاطفية فيما يخصهم،

زفرت وقررت أن تذهب للمطبخ لتشرب كوبا من اللبن الدافئ لربما ساعدها على النوم؛ لكنها بمجرد أن خرجت من غرفتها سمعت صوت هاتفها فأسرعت بالهرولة عائدة حتى كادت أن ترتطم بمنضدة جانبية ثم التقطت الهاتف من فوق السرير واتسعت عيناها حينما وجدت اسم عصام، لوهلة لم تصدق وظنت أنها تهلوس لكن لم يكن هناك فرصة للتفكير فأجلت حنجرتها ونظمت أنفاسها لترد بهدوء زائف: «آلو».

يا رب العالمين! لقد مر وقت طويل لم يسمع فيه صوتها والشوق ذباح.. يذبحه بلا رحمه الآن.

انفجرت دقات قلب عصام وقال بحشجة: «آسف لأنني أتصل في وقت متأخر هل أيقظتك من النوم؟».

كاد قلبها أن يخرج من صدرها بعد أن أصابه الجنون وهو يستقبل ذبذبات صوته الرجولي بلهفة وحاولت التحدث فهرب الصوت منها لتقول بحشجة: «لا أبدا لم أنم بعد كنت.. كنت أنتهي من بعض الأعمال».

شتمت نفسها في سرها حينما جاءت بسيرة العمل في هذه اللحظة، بينما قال عصام بهدوء: «كان الله في عونك».

خيم الصمت فتطلع عصام حوله يتأمل شرفة بيته وسكون

المكان حوله في هذه الساعة المتأخرة من الليل ورائحة القرنفل الناعس أمامه تتسلل إلى رئتيه وتذكره بتلك الليلة التي أخبرها فيها بمشاعره.

على رائحة الذكرى أسرع بالقول ليفض الصمت الغريب: «أنا علمت اليوم أنك كان لك يد في توظيفي في شركة جودت عابدين».

كان صوته مرهقا أثر فيها فأسرعت بالقول مدافعة: «اسمع يا عصام أنا لم أفعل أي شيء أنا..».

قاطعها يقول بالهدوء المنهك نفسه: «هل ستخفين عني الحقيقة مرة أخرى؟».

أسرعت بالقول معترفة: «حسنا كي أكون صريحة كل ما فعلته هو أنني أخبرت عمي جودت أنك من المتقدمين وطلبت منه أن يلتفت إليك وأنت لا تعلم جودت كما أعلمه أنا إنه لا يجامل في العمل حتى بناته».

كان صوتها يتسلل إليه فيؤنس وحشة احتلته برحيلها فرد بالهدوء نفسه: «حسنا فهمت ومع هذا يتوجب علي أن أشكرك لأنك حاولت مساعدتي وأعترف بأنه لولا أنني قابلت جودت بك شخصيا ربما لم أكن أحصل على الوظيفة».

«الأمر ليس كذلك يا عصام صدقني فأنت..».

قاطعها يقول: «نيللي.. أنا متفهم لما تريدين قوله».

سألته بقلق: «لكنك لن تستقيل أليس كذلك؟».

فهم عصام أن جودت قد أخبرها بتفاصيل ما حدث وشعر بالخزي أمامها، فقال يغلق النقاش: «دعك من هذا الأمر فالقرار فيه يخصني.. أريد أيضا أن أعتذر لك».

جلست على السرير تسأله: «عن ماذا؟».

«عن عدم ردي على رسالتك الطويلة التي شرحت فيها حكايتك كنت ما زلت تحت تأثير سحابة الغضب وكان كبريائي اللعين يمنعني من التنازل والرد أو ربما لم أجد ما أقوله وقتها».

قالت بحشجة: «المهم أنك اقتنعت أنني لم أتعمد الكذب عليك».

صمت قليلا ثم قال: «ورغم هذا كنت أتمنى أن تثقي في وقتها وتخبريني الحقيقة لكنني متفهم للموقف».

«عصام أنا خفت من ابتعادك.. من تحفظك».

صمت يشعر بضيق في صدره، قلبه يحتج بشدة على ما يفكر فيه عقله والأمنيات التي يخنقها بكل قسوة بيديه تستغيث وتطالب بالسماح لها بمجرد الحلم؛ لكن عليه أن يقص أجنحة الأحلام فهو الرجل وعليه أن يكون الأقوى والأشجع.. عليه أن يتخذ خطوه حاسمة لوضع النقاط فوق الحروف فقال بصوت رجولي داعب أوتار قلبها المتألم : «نيللي أنت لست شخصا عاديا بالنسبة لي (وأكمل بخفوت) أنت أغلى عندي مما تتصورين، لهذا علي أن أكون صادقا معك وألا أبيع لك الأوهام باسم الحب، لذا أتمنى لك التوفيق

في حياتك وأتمنى أن تنتصري في معركتك، وإن احتجت لي في أي وقت أنا موجود أي شيء أستطيع أن أساعدك فيه، حتى لو ثمنه حياتي ما عليك إلا أن تشيرني بإصبعك وستجدينني حاضرا (وتهدج صوته مضيفا) وشكرا على كل شيء.. تصبحين على ألف خير».

قالها وأغلق الخط بسرعة قبل أن يجبن ويتراجع عن قراره فظلت نيللي متجمدة على وضعها لبرهة معقودة اللسان.. تتساءل بصدمة : أهذا وداع؟ بهذه البساطة!

همت بإعادة الاتصال به؛ لكنها منعت نفسها وأخذت تحرك نظراتها هنا وهناك مع انهيار الدموع من عينيها وهي لا تزال تسأل نفسها السؤال نفسه (أهذا وداع؟!) بينما وقف عصام يضرب سياج الشرفة الحديدي بباطن يده عدة مرات ويقاوم رغبة قوية للبكاء.

وهكذا ضم الليل أربعتهم تحت جناحه يجافيهم النوم.. مرام لا تزال تحقق في سقف غرفتها تربط الأحداث تسترجع من الذاكرة التفاصيل.. وتعيد رؤيتها من زاوية أخرى تعيد تفسيرها على ضوء الحقيقة التي رأتها مبهرة.. بينما كان أنس ممددا في سريره يحرق السجائر مع أفكاره ولا يصدق أنه فعلها واعترف لها ولا يعرف إن كان عليه أن يشعر بالراحة أم بمزيد من الألم والعذاب.. أما نيللي فكانت تحضن وسادتها وتبكي في صمت والألم يعتصر قلبها، في الوقت الذي كان عصام لا يزال محتجزا في شرفة القرنفل غير قادر على مغادرتها يلوم نفسه على قسوته معها وقلبه

يلومه على قسوته معه، الآن فقط فهم موقف أنس من مرام أكثر من أي وقت مضى.. الآن فقط فهم ما الشعور بالعجز وكيف قد يقسو المرء على نفسه ويذبح قلبه ويئد أمنياته من أجل ما يعتقد في مصلحة من يحب؛ لكنه حاول أن يشحذ الأفكار الإيجابية واستعاد كلمات جودت (إن لم تأتيك الفرصة اصنعها) فقرر أن يجتهد في عمله.. وأن يوسع من دائرة خبراته وعلاقاته في أسرع وقت، وعليه أن يكمل دراسة تصميم المواقع الإلكترونية حتى لو وصل به الأمر لأن يواصل الليل بالنهار عليه أن يفعل كل ما يستطيع أن يفعله كي يقلل الهوة بينه وبين نيللي أن يبذل جهدا خارقا كما تستحق نيللي أن يبذل من أجلها لربما كانت هي الجائزة التي سيحصل عليها في النهاية، هذا ما وعد به نفسه.. ودون أن يعي كان الأمل الذي حاول قتله قبل قليل يتنفس بداخله من جديد ينمو في صدره ويثبت ريشا جديدا لأجنحة الأحلام أحلام في موسم الربيع موسم القرنفل الذي يعد أن كل شيء جازز وممكن مهما كان وأن ما تسعى إليه هو بالتأكيد ساع إليك.

صباح اليوم التالي

بكل نشاط وتفاؤل استقبلت مرام يوما جديدا، غادرت الحمام بعد أن قامت بغسل وجهها ووضع كريم مرطب كانت قد اشترته في بداية علاقتها بأسعد ثم انشغلت ولم تستعمله.. وتوجهت للمطبخ لتعد لنفسها شيئا لتشربه، فلم

يكن لها شهية للفطور مثلما لم يكن لها رغبة في الذهاب للعمل اليوم تنتابها حالة غريبة من الطفو، ولم ترغب في أن تفسدها بذهابها للعمل ومقابلة مديرها الفظ.

ماذا حدث لها؟ سؤال تسأله لنفسها طوال الليل الذي لم تنم فيه إلا وقتا قصيرا متقطعا وحتى الآن لم تجد إجابة تستطيع أن تصيغها بالكلمات؛ لكن تحذير نيلى لها ألا تتسرع في إبداء أي رد فعل وأن تعطي لنفسها فرصة كافية لتتأكد مما تشعر به هو ما جعلها تحاول التماسك حتى لا تتصل بآنس وتتحدث معه بشأن اعترافه ليلة أمس، خرجت من المطبخ مع كوب من القهوة سريعة التحضير وجلست متربعة على أحد المقاعد ترد على الاستفسارات على صفحتها التي ازداد عدد متابعيها وترد على الرسائل الخاصة بالطلبات، سعيدة برواج المصوغات التي تبيعها خاصة بعد أن صمم لها عصام بعض الصور الدعائية للبضاعة المعروضة.

سألتها روح التي تجلس على إحدى الأرائك تتناول فطورها: «ألن تفطري؟».

غمغمت مرام: «لست جائعة سأنتظر أبي حتى يستيقظ».

قالت روح: «ألم يستيقظ بعد؟».

ردت مرام: «الساعة لا تزال السابعة يا جدتي أنت من استيقظت مبكرا».

قالتها وتمنت ألا تسألها عن مراد الذي لم يعد من الخارج بعد، تعكر مزاجها وهي تفكر في أخيها الصغير وحاله الغريب

الأيام الماضية يسهر كل ليلة ويحضر بعد الفجر فيتسلل دون أن يشعر به أحد، وقد سأله قبل يومين وتحجج بالذاكرة مع أصحابه.

تطلعت في جدتها التي بدأت في طقوسها اليومية مبكرا اليوم بفتح التلفاز والبحث عن شيء لتشاهده، وشعرت بالقلق من أن ترى روح مراد وهو عائد من الخارج وتخبر عارف.

في الوقت نفسه فُتح باب الشقة بهدوء ودخل مراد مرهقا بعد ليلة طويلة لم يتوقع فيها أن يتأخر بهذا الشكل عن البيت.. وتمنى أن يكون عصام ومرام قد ذهبا للعمل والبقية نيام؛ لكنه تفاجأ بصوت التلفاز ثم بمرام تترك مقعدها وتقرب منه، بلع ريقه وأغلق الباب بينما وقفت أخته أمامه تتطلع فيه قائلة بخفوت: «أين كنت؟».

غمغم بمراوغة: «كنت مع أصحابي نذاكر وتأخر الوقت».

حاول تجاوزها لكنها وقفت أمامه تقول بخفوت غاضب: «ماذا يحدث معك؟ ولم أنت مرهق بهذه الطريقة؟».

قال بانفعال: «قلت لك كنت أذاكر».

قالها وأسرع نحو غرفته فذهبت خلفه تقول باستهجان: «أية مذاكرة هذه التي تتم طوال الليل؟ ولماذا لم تقم بها إلا عندما بدأ عصام ينام في شقة الدور السادس؟ ولماذا تتخفى كاللصوص وأنت عائد؟».

توقف عن خلع ملابسه وقال بانزعاج: «اتركيني يا مرام أنا مرهق ولست في مزاج للحديث الآن».

قالت بهمس منفعل: «اخفض صوتك لأن أبوك نائم ولو علم أنك بت الأيام الماضية خارج البيت لن يمر الأمر بسلام».

«لهذا اتركيني ولتحدث فيما بعد».

قالت بإصرار وقد شعرت أن هناك شيئاً يربكه: «لا سنتحدث الآن لأنك وعدتني من قبل بأننا سنتحدث ولم نفعل».

رد عابساً: «أنت من كنت تحبسين نفسك في غرفتك طوال يوم أمس».

شعورها القلق وهي تراقب تعابير وجهه جعلها تسأله: «هل تفعل شيئاً من خلف ظهورنا يا مراد؟».

شعر بالغيظ فقال بانفعال: «اتركيني يا مرام قلت».

طريقته أغضبته فليست معتادة منه على هذا الأسلوب المتبجح فهتفت هامسة: «أتصرخ في وجهي!».

صاح في وجهها بغيظ: «ماذا تريدان في هذه الساعة؟».

كانت ترفع له وجهها تناظره بنظرات غير مصدقة وقد أغضبها سوء أدبه معها فقالت بهمس صارم: «قلت اخفض صوتك».

قال بتحد: «لن أخفض صوتي ولست خائفاً من أحد فلا تهدديني واغربي عن وجهي».

« أجننت يا مراد؟! ماذا حدث لك؟! ».

أشاح بيده وتركها قاصدا الحمام فجن جنونها من تغييره الغريب عليها فأمسكت بطرف قميصه تقول: «إلى أين أنت ذاهب أنا أتحدث معك».

دفعها بعصبية هادرا: «قلت اتركيني لماذا لا تسمعين الكلام».

دفعته كانت قوية فانزلقت السجادة من تحت قدمها وسقطت للخلف، فأسرع مراد بمحاولة مساعدتها لكنها سقطت وارتطم رأسها بطرف السرير.

ناظرته بذهول ثم تدفقت الدموع في عينيها متممة: «مرادا».

ظل مائلا يتطلع فيها بارتباك وقبل أن يستوعب ما فعل كان عارف يدفعه قائلا: «هل وصلت بك الوقاحة إلى هذا الحد؟!».

عاد مراد لحالته الغاضبة فناظر أبوه بوجه مكفهر، بينما دفعه عارف خارج الغرفة يقول: «لا تنظر إلي هكذا أخرج.. هيا أخرج من هنا وعد للمكان الذي كنت فيه».

حاولت مرام نفض الصدمة عنها والقيام قبل أن يتطور الأمر؛ لكن مرفقها كان يؤلمها فغمغمت وهي تمسك به: «أبي انتظر يا أبي».

كان عارف قد انفلتت أعصابه فأخذ يدفع مراد الذي يناظره

بتحد غاضب حتى وصل إلى باب الشقة ففتحه عارف وأخرجه ثم أغلق الباب خلفه ووقف لاهنا يشتم.

خرجت مرام من الغرفة تمسك بمرفقها وتقول بهلع: «أبي ماذا فعلت؟! أين ذهب؟».

قال عارف بعورة: «اتركيه لقد فاض بي الكيل ولم أعد أتحمل قلة أدبه ولا سلوكه المعوج».

حين استطاعت مرام أن تبعد والدها عن الباب لم تجد مراد خارجه.. فسقط قلبها بين قدميها وأسرعت بمحاولة الاتصال به، بينما قالت روح: «قلت لكم هذا الولد يحتاج للتأديب اليوم ضرب مرام غدا سيضربنا جميعا».

وقف أمام باب مكتب جودت عابدين ينتظر الإذن بالدخول، كان متوترا محرجا ويضغط على كبريائه المعترض حتى أذنت له السكرتيرة أن يدخل فاقترب من الباب يطرق عليه مشجعا نفسه أن هذه أهم مواجهة له في حياته وأنه حتى لو تلقى رفضا أو طردا من جودت يكفيه شرف المحاولة وشرف الاعتذار، دخل المكتب فتطلع فيه جودت بملامح متحفزة وهو يقف بعيدا متقبضا وقال له بلهجة غير ودودة: «ما الذي أعادك يا باشمهندس».

قال عصام شاعرا بالخزي: «جئت لأعذر عما بدر مني يوم أمس وكل ما قلته لي سأضعه نصب عيني دوما».

سأله بامتعاض: «وما المطلوب الآن؟».

ازداد شعوره بالحرَج لكنه قال: «كنت أسأل إن كان لا يزال لي مكان في هذه الشركة أم..».

لم يستطع إكمال جملته فلم يعتد على إذلال نفسه بهذه الطريقة فصمت يتطلع في جودت الذي هدر فيه باستهجان: «هل ستقف لتحكي لي قصة حياتك؟! عد لعملك يا باشمهندس لسنا متفرغين للعرثرة».

دب الحماس واختلط بالفرح في قلب عصام فقال بسرعة وهو يتحسس مقبض الباب خلفه: «حاضر حالا أنا ذاهب لمكتبي حالا (وفتح الباب ثم قال بامتنان شديد) شكرا جودت بك لن أخذك مرة أخرى أبدا».

قالها وأغلق الباب خلفه ووقف يجفف قطرات العرق على جبينه ويمنع نفسه من أن يقفز من الفرحة حتى يلمس السقف، بينما سقط قناع الجدية عن وجه جودت وارتسمت ابتسامة مأكرة على شفثيه وهو يلتقط الهاتف ويعلق النضارة الطبية على أنفه ثم يسجل لنيلي رسالة صوتية قائلا: «أبشري فارسك الهمام تعقل وعاد لمكتبه».

بعد قليل فتحت نيلي الرسالة في مصعد البناية التي تقع فيها شركتها ثم هتفت بصوت مسموع وهي ترفع قبضتها بانتصار: «yes yes yes» (وقرصت الدموع عينيها متممة) حمدا لله حمدا لله ارزقنا بالمزيد من الأخبار الحلوة يا رب».

في المساء

دخلت نيللي شقتها تقول في الهاتف: «أسفة مرام اليوم كان مزدحما بالعمل بشكل لا يوصف و...».

قاطعتها مرام تسألها بتوتر: «نيللي هل تحدثت مع مراد اليوم في الهاتف؟».

عبست وغمغمت: «لا لم نتحدث اليوم ماذا حدث؟».

نظرت مرام لعصام وأنس تقول بولولة: «لم تتواصل معه اليوم».

شتم عصام من بين أسنانه وتحرك مغادرا فتبعه أنس فسألت نيللي بقلق: «ماذا حدث يا مرام؟».

قالت الأخيرة باكية: «مراد مختف منذ الصباح وهاتفه مغلق والوقت قد تأخر ولا نعرف أين هو».

الفصل السادس عشر

صباح اليوم التالي

يقولون إن أشد اللحظات تعقيدا هي أقربها من الفرج، وقد نعيش عمرا قبل أن تأتينا (لحظة) تغيرنا للأبد توجهنا لمسار جديد.. تفتح أعيننا على طرق أخرى لم تكن في الحساب.. لحظة ربما سعيدة وربما.. مؤلمة؛ لكنها بالتأكيد تحمل رسالة من القدر.

سقى عارف أصص الزرع وفكره مشغول بمراد الذي لم يظهر حتى الآن إنه صامت منذ اختفائه؛ لكن داخله نار تأكل قلبه، يعترف أنه قد تصرف بعصبية وأن طرده له كان تصرفا خاطئا منه.. وها هي الأفكار السوداء لم تتركه طوال الليل الذي لم ينم فيه أحد من أهل البيت ووساوسه تصور له ما يشيب له بدنه، تطلع في الزهور حوله وشتم نفسه: «تهتم بنباتك يا عارف.. تعاملها برفق واهتمام تزرع وتراعي وتحارب الآفات في الوقت الذي طردت فيه صغيرك من البيت محل أي أب جاهل عديم الرحمة».

فُتح الباب فانتبهت كل حواسه بينما دخل عصام يقول: «معي أنس».

استقبلتهما مرام بوجه منتفخ من البكاء تبحث في وجهيهما عن أخبار جديدة؛ لكن الوجوم الذي وجدته جعلها تقول

باكية: «لم تجدوه حتى الآن؟! لم تجدوه! (وعدلت حجابها
تضيف وهي تحاول تجاوزهما) أنا سأبحث عنه».

«مرااااا».

قالها عصام بانفعال فقالت صارخة: «اتركني أبحث عنه يا
عصام».

قال الأخير مرهقا: «نحن بحثنا عنه طوال الليل.. سألنا
أصدقاءه كلهم».

جاء صوت باسم من الباب المفتوح يقول من الخارج:
«إنهم يكذبون أو بمعنى أدق ماجد وأمير يكذبان شعرت
بمراوغتهما».

استدار إليه أنس قائلا: «لقد تعبت معنا يا باسم طوال الليل
اذهب لتستريح الآن».

قال باسم بتأكيد: «أنا موجود ومستعد لأن أواصل البحث
معكما.. فأنا قلق جدا عليه».

ربت أنس على كتفه وقال مشجعا: «عشت يا وحش اذهب
واسترح الآن وسأتصل بك حينما نستأنف البحث من جديد».

غمغم عصام وهو يتوجه للداخل: «أنا سأغتسل وأغير
ملابسي لأذهب للعمل».

صاحت مرام باعتراض: «ستذهب للعمل وتترك مراد
مختفي؟!».

استدار إليها يقول بانفعال: «أخوك متعمد الاختفاء ليعذبنا».

قالت له بلهجة باكية: «ما أدراك ربما خُطف أو أذى نفسه».

غمغم عصام وقد وخزه قلبه من مجرد التخمين: «أرحمينا من أفكارك الألمعية بالله عليك الأعصاب لن تتحمل».

تدخل أنس بعد أن أغلق الباب ليقف بينهما قائلاً: «نهداً من فضلكما (واستدار لمرام يقول) أنا سأواصل البحث؛ لكن عصام لا بد أن يذهب نظراً لظرف ما يخص العمل لن يستطيع أن يتغيب هذه الأيام ولا بد أن يموت وجوده».

تحرك عصام نحو الداخل بينما غمغت مرام بلهجة باكية أثرت في قلبه: «لكن يا أنس مراد..».

أجهشت بالبكاء فقال عابساً: «ألا أملاً عينيك! قلت سأواصل أنا البحث».

قالت بحشجة: «لم أقصد.. أنا فقط..».

قاطعها قائلاً: «لا تبك فهذا فال نحس».

انطلت عليها الخدعة فأسرعت بمسح دموعها بسرعة بينما ولولت روح من جلستها على الأريكة تقول: «ترى أين أنت يا مراد يا حبيبي».

قالت لها زينة متحصرة: «ألم تكوني تدعين عليه قبل ساعات!».

نظر أنس لابنته ناهراً فبلعت لسانها ليقول لمرام: «أعدي لي

أي شيء لأفطر وبعدها سأعود للبحث من جديد».

قالها وتوجه هو نحو الشرفة إلى حيث يكون عمه الذي يتصنع الانشغال وعدم الاهتمام.

بعد الظهر

وقف عصام يتطلع في التصاميم مرتبكا بعد أن علم بالاجتماع الذي سيحضره هو وصافي زميلته الذي يخص شركة نيللي شرف الدين لعرض ما تم تحضيره من أجل الخطة الإعلانية، وذلك بعد أن تفاجأ أن رميح قد وجه بالفعل لأن يحل هو محل زميله الذي كلف بمهمة أخرى، وما فاجأه أكثر هو توقع حضور نيللي شخصيا للاجتماع، سألتها صافي: «عصام هل أنت بخير تبدو شاحبا؟».

أسرع بالقول: «أجل بخير أعاني فقط بعض الصداع».

قالت وهي تحضر نفسها للاجتماع: «تناول قرصا مسكنا وهيا بنا سنتأخر وأنصحك أن تركز في كل التفاصيل حتى التي تخص الأقسام الأخرى لأنها في النهاية شبكة واحدة تخدم فكرة الإعلان».

هز رأسه ثم زفر باختناق بمجرد أن غادرت المكتب والتقط سترة البدلة ليرتديها حتى يلحق بزميلته.

بعد قليل كانت نيللي تسير بثقة ورشاقة في شركة جودت عابدين يصاحبها رامي وإحدى موظفات الاستقبال بالشركة

تقودهما لقاعة الاجتماعات، فحاولت نيللي أن تتماسك وألا تتلفت حولها أو تسأل الموظفة عن مكتب عصام عارف خاصة أنها رجحت عدم وجوده اليوم بسبب اختفاء مراد الذي يقلقها منذ أن علمت ليلة أمس. إن معرفة عصام لعلاقتها بجودت سهل عليها حضور الاجتماع الخاص بالخطة الإعلانية لشركتها بعد أن كانت تفكر في إرسال من ينوب عنها؛ لكنها الآن تستطيع الحضور ومباشرة العمل بنفسها وفي الوقت نفسه رؤية السيد صاحب الكبرياء الذي قرر قبل يومين توديعها، في الوقت نفسه كان فريق العمل في قاعة الاجتماعات يستعدون لوصول ممثلي شركة واي زد وكان عصام متوترا دون سبب ويتعرق لا يعرف هل من المفروض أن يدعي عدم معرفته بنيللي أم العكس، كما أنه غير معتاد على الوجود معها في محيط العمل.

وقف رميح على باب الغرفة يستقبل نيللي بحرارة، فتطلع فيها عصام وهي تسلم على الرجل الذي بدا ودودا معها أكثر من العادي مما أوحى لعصام أن هناك سابق معرفة قوية بينهما، وب نظرة سريعة تفحصتها مقلتاه من رأسها حتى أخمص قدميها وهي تعثر بعبارات مجاملة مع رميح، كانت ترتدي بدلة رسمية رمادية وحجابا قصيرا يبرز سمرتها اللامعة فاستاء عصام من بنطال البدلة واستاء أكثر من همسات معجبة بها تصدر من زميليه الواقفين على يمينه، وتساءل في سره هل تتلقى نظرات الإعجاب أينما حلت؟ فهي سيدة أعمال وتلتقي بالعديد من العملاء كما أنها تملك

جاذبية خاصة بها، تجعلها أسرة للقلوب فغذت تلك الأفكار مشاعر الغيرة بداخله وزادت من شعوره بالضغط.

«ليست مرتبطة.. لا يوجد أي محابس في يدها» قالتها صافي بصوت خافت لزميلها ردا على تساؤل أحدهما، فمط عصام شففيه وعاد ليوجه لنيللي نظرات خاطفة وسمعها تقدم شابا ثلاثينيا بشعر وشارب أشقر قائلة: «رامي مدير مكتبي».

طالعه عصام بنظرة متفحصة هو الآخر في الوقت الذي دخلت نيللي للقاعة وتفاجأت بوجوده، فتلاقت النظرات التي أصابت القلوب برجفة؛ لكنها حافظت على ملامحها وبدأت في الترحيب بالموجودين تسلم عليهم فردا فردا فازداد توتر عصام وهو يرى تحرك الجميع لمصافحتها.

كان هو آخر شخص فاقترب بوجه عابس ومد يده إليها ليتصافحا بسلام سريع دافئ ومشتاق لا يمت للاحترافية بصلة، هكذا شعر كل منهما وهو يسحب يده وعينه بعيدا عن الآخر.. ليعود عصام لجلسته البعيدة عنها في نهاية الطاولة، بينما قلبه يتقاذز ككرة التنس على الطاولة البيضاء أمامهم ولم يعرف أن قلب نيللي كان يشاركه القفز رغم جدية ملامحها، وأنها كانت تردد في سرها: «كالعادة البدل الرسمية تزيدك فتنة يا صاحب الكبرياء».

من هاتف رميح فاعتذر لنيللي قائلا: «دقيقة واحدة هذا جودت بك».

قالها وانتحى خطوتين جانبا، بينما جلس الباكون حول الطاولة إلا نيللي التي وقفت تعدل من حجابها ثم تحركت عبر القاعة متجهة بكل ثقة نحو عصام الذي كان يراقبها بطرف عينيه وأخذ يحدث نفسه في توتر: «بالتأكيد لا تقصدني.. بالتأكيد ليست آتية نحوي».

ومع كل خطوة ناحيته كانت تتسارع نبضات قلبه أكثر ويحمر وجهه أكثر وأكثر حتى استقام واقفا بمجرد أن اقتربت منه وطالعتها بنظرة حادة خاطفة قبل أن يسبل أهدابه وقلبه يقف في حنجرته.. ثم مال إليها بجانب رأسه كي يسمعها وهي تسأله بخفوت: «هل هناك جديد؟ هل وصلتكم لأي شيء يخص مراد؟».

تنحى ورد بنفس الخفوت وعيناه اللتان تتحاشى النظر إليها تخطفان نظرة سريعة نحو العيون المتسمرة عليهما: «ليس بعد.. أنس يكف البحث وأنا اضطررت للحضور لكني سأواصل بعد مواعيد العمل».

قالت بقلق حقيقي استشعره في صوتها: «أنا قلقة جدا يا عصام».

كالعادة اسمه من بين شفيتها يرن بين جنبات قلبه فرفع أنظاره نحوها يقول مطمئنا أمام عينيها السوداوين المكحلتين بشكل ساحر وعطرها الرقيق يعذبه: «لا تقلقي أتوقع أنه يختبئ عند أحد أصدقائه».

قالت بلهجة مترجية قبل أن تعود لمكانها: «طمئني أرجوك

حينما تجدوه .»

هز عصام رأسه ثم عدل من ربطة عنقه بحرج وهو يعود ليجلس مكانه بعد ابتعادها في الوقت نفسه عاد رميح لمقعده يقول لنيللي: «جودت بك يقرؤك السلام».

غمغمت وهي تجلس بجواره: «أخبرني أن لديه اجتماعا بالخارج».

سألها رميح السؤال الذي دار في خلد الجالسين وهو يمرر أنظاره بينها وبين عصام: «هل بينكما سابق معرفة؟».

ردت نيللي بوضوح وجدية: «أجل بيننا معرفة شخصية.. فأنا صديقة عائلته وأخته صديقة شخصية لي».

سعل عصام بحرج وابتسم ابتسامة ضعيفة مجاملة وهو يشعر أن النظرات المتفاجئة من حوله تكاد ترشقه كطلقات الرصاص وتملكه الغيظ من نيللي ومن فعلتها بينما ابتسم رميح مغمغما: «جميل».

أما نيللي.. ورغم جدية ملامحها وأنظارها المثبتة على الشاشة أمامها التي يتم عليها تشغيل العرض التقديمي فإن دواخلها كانت ترقص من الفرح، لقد تعمدت أن تفعلها أمام الجميع بدلا من أن تسأله برسالة على الواتساب ويرد عليها، أرادت أن تعلي من شأنه بين زملائه وأن يعرفوا أن له علاقات في عالم الأعمال.. وأرادت أن تمهد لأي شيء من الممكن أن يحدث بينهما فيما بعد، فهي لم تستسلم بعد بشأن علاقتهما لهذا قررت أن تثبت له أنها متمسكة به وأنها لا تهتم

بأحد سواه.

مالت صافي على عصام تقول بخفوت: «لم تخبرني أنك تعرف نيللي شرف الدين».

رد بابتسامة ممتعة وهو يقلب القلم بين يديه بتوتر: «لم تأت فرصة فأنا منضم حديثا للفريق كما تعلمين».

قالها وتجاهل نظرات متبادلة بين زميليه فهمها جيدا فهما يشكان أن سبب انضمامه هو بالذات للحملة بعد استبعاد الزميل الآخر هو معرفته بنيللي. استمرت الجلسة ما يقرب من ساعتين راقب فيها عصام نيللي عن كثب واعترف لنفسه أنه لو كان يتعرف عليها اليوم للمرة الأولى لوقع في هواها أيضا.. وقع في هوى شخصيتها الأخرى شخصية سيدة الأعمال الشابة المثقفة واللبقة في إدارة الحديث، إنها جادة ومتواضعة لكنها في الوقت نفسه حازمة وصريحة وعملية راقبها وهي تناقش وتبدي إعجابها بالمقترح عليها أو تبدي ملاحظاتها وأعجب بمعلوماتها في مجال الأعمال.. كما استفزه مساعدتها هذا الذي يدعى رامي الذي تميل عليه كل فترة لتسمع منه شيئا، فتأمل من وصفه في سره بـ(اللزج) ولم يعجبه لباقة المبالغ فيها ولهجته المائعة على حسب رأيه المليئة بالمصطلحات الأجنبية.. هو كله كان في نظره (لزج).

لكنه استفاد كثيرا من المناقشات الدائرة خلال الاجتماع، ووضع بعض التصورات للتصاميم التي من المفترض أن يقوم

بها هو وزميلته صافي من قسم الجرافيك هذا بالإضافة للعرض التصوري الذي قامت به صافي على الشاشة.

في الوقت نفسه كانت نيللي تبذل مجهودا كي تنحي شعورها بالغيرة جانبا من ميوعة هذه الموظفة ذات الألوان البراقة التي كانت تجلس ملتصقة بعصام، كي تركز على الأفكار المعروضة وتناقشها لكن عينيها كانتا رغما عنها تختلسان النظرات نحوه من حين لآخر فاكشفت ما كاد أن يفقدها هدوءها وتركيزها بل ووقارها ويخرج تلك المراهقة التي تسجنها بالداخل إلى النور، حينما لمحت في معصمه الأيسر بجوار الساعة ما لم تخطئه عينها رغم المسافة.. رأت الطوق الأسود الذي أهدته له واضحا، فتطلعت بتأثر في جانب وجهه الأسمر وذقنه الحليق وهو يتابع بتركيز ما يعرض على الشاشة ثم أسرعت بللمة أشلائها التي تبعمرت من المفاجأة وعادت للتركيز في عملها.

في نهاية الاجتماع ودعت الموجودين بعبارات شكر وتشجيع، ثم خرجت مع رميح ولحق بهما رامي بينما اقترب زميل من عصام يقول بلهجة ساخرة: «لم نكن نعلم بقوة علاقاتك يا عم عصام».

هل يلكمه في وجهه فيكسر له أنفه الطويل المغري للتحطيم! إن هذا ما كان يخشاه أن يعتبر البعض أي نجاح يحصل عليه بفضل علاقاته.. رغم أنهم يعرفون نظام العمل في الشركة لكنها المنافسة العادية بين الزملاء، ومع هذا عاد وشجع نفسه مستعيدا كلمات جودت وقرر ألا يلتفت لنظراتهم

المتهمكة ورد بسخرية مقتضبة: «هذا من بعض ما عندكم فبالأكيد أنت أيضا لك علاقاتك يا باشمهندس جميل أليس كذلك».

قالها ولملم أوراقه ثم ربت على كتف جميل يمنحه ابتسامة مزيفة وتحرك يغادر غرفة الاجتماعات.

عصر اليوم التالي

ملل.. ملل إنه يعاني الملل ولم يكن هذا في حسبانته حينما قرر الاختباء هنا في بيت صاحبه ماجد، لقد لجأ إليه فورا بعدما طرده أبوه من البيت، عاد إلى هنا حيث المكان الذي يجتمع فيه أصحابه في شقة ماجد الشاغرة في الطابق الأول، التي يقضي فيها ماجد مع أصدقائه جلساتهم بينما أهله يسكنون أحد الطوابق العليا.

في البداية ورغم شعوره بالحزن والغضب لطرد أبوه له كان يشعر أنها فرصة جيدة كي يقضي وقتا طويلا مع أصحابه خاصة مع ما يفعلونه مؤخرا ويجعلهم يسهرون طوال الليل، ولأنه غاضب من الجميع طلب من أصحابه ألا يبلغوا أحدا مهما كان عن مكانه.. فهو يكرههم جميعا أو هذا ما كان يفكر فيه حينما جاء إلى هنا قبل يومين.. وها هو قد بات ليلتين في هذه الشقة لكنه يشعر بالملل.

كان يعتقد أنه سيقضي الوقت كله مع أصدقائه بعد أن كان يضطر للمغادرة ويتركهم حتى لا يتأخر في العودة

للبيت تجنباً للمشاكل مع والده؛ لكنه قضى اليوم الأول معهم حينما تجمعوا وسهروا حتى الصباح ورغم شعوره بالمتعة؛ لكن القلق ظل يحاصره.. قلق من الأيام المقبلة.. وقلق على أسرته خاصة مرام إلا أنه كان يطرد ذلك الشعور بعناد، في اليوم التالي لمجيئه وعند الساعات الأولى من الصباح وبعد أن انتهوا مما يفعلونه تفرق كل صاحب عائداً إلى بيته حتى صاحبه ماجد تركه في الشقة وصعد لينام في غرفته كي لا تغضب منه والدته وبقي مراد وحده حتى المساء حينما جاء أصحابه مرة أخرى.

الحقيقة مغايرة للتصور الذي كان في ذهنه كان معتقداً أن أصحابه يبقون مجتمعين طوال الوقت وأنه إن تخلص من سيطرة أهله سينطلق وها هو محبوس يعد الدقائق والثواني في انتظار أن يأتي المساء حتى ماجد لا يراه إلا سريعا أثناء النهار، فأهله يجبرونه على المذاكرة من أجل نيل شهادة الثانوية العامة ولا يسمحون له إلا بوقت مخصص أثناء اليوم لمقابلة أصحابه، إلى متى سيظل يكتشف أمورا غائبة عنه تصدمه في هذا العالم المعقد الذي كلما اعتقد أنه بات يفهمه يحدث ما يجعله يدرك أنه ساذج.

تطلع في صينية الطعام التي أحضرها له ماجد قبل ذهابه للدرس ولم يشعر برغبة في الأكل ولكي يكون صريحا مع نفسه فهو يشترق لطعام مرام.. ولكي يكون صريحا أكثر فهو يشترق لها شخصيا ويساوره القلق عما إذا كانت الدفعة التي دفعها لها قد أذتها وحتى يكون صادقا مع نفسه أكثر وأكثر

إنه يشترق لغرفته وللبيت كله؛ لكنه غاضب وحزين ولا يريد العودة، بعد قليل دخل ماجد فعبس مراد وسأله: «ما الذي أعادك ألم يكن لديك أكثر من درس اليوم؟!».

قال ماجد لاهما: «جئت لأخبرك بشيء لأنك تغلق هاتفك». «ماذا حدث؟».

قال صاحبه بعد أن تجرع بعض الماء من الزجاجاة فوق الطاولة: «تعلم أن أخاك وابن عمك يبحثون عنك كما سبق وقلت لك، المهم أن هذا الذي يدعى الدكتور أنس كان ينتظرك أمام مركز الدروس كما توقعنا وطبعاً لم يجدك ويبدو أنه يشك أنني أعرف مكانك لأنه أخبرني بشيء لأوصله لك وبصراحة يا صاحبي وجدت أنه من الأمانة أن أفعل ذلك».

قال مراد بامتعاض: «ماذا يريد؟».

«قال لي أخبر مراد أن أخته مريضة».

اتسعت عينا الأخير وأمسك بتلابيبه يقول: «ما بها مرام؟».

أجاب ماجد بارتباك: «لا أعرف بالضبط لم يقل غير ذلك، ولقد تركت الدرس الثاني الذي كنت سأذهب إليه كي أخبرك يا صاحبي».

أسرع مراد بالبحث عن هاتفه وقد انطلت عليه خدعة أنس واتصل بمرام التي تطلعت في هاتفها وصرخت قبل أن تجيب فأفزعت الموجودين: «مراد.. مراد.. يتصل».

خرج عارف من غرفته مسرعاً بينما تطلع أنس مجهداً في

عصام الذي وصل من العمل قبل قليل وكان يخبره عن نتائج البحث.

قالت مرام بقلق: «مراد أين أنت يا مراد هكذا تفعل بنا؟».

غمغم الأخير بارتباك: «هل أصابتك السقطة بشيء؟».

أجابته بسرعة: «ذراعي يؤلمني مع الحركة لكنني لست متفرغة لفحصه وذهني مشغول عليك سأموت من القلق».

أمسك أنس بعصام الذي أراد أن يخطف الهاتف وهو يفور من الغضب، بينما قال مراد لأخته بتأثر: «آسف مرام لم أقصد.. أنت كنت مستفزة ولم أقصد ما فعلت».

قالت الأخيرة باكية: «يا مراد نحن لم ننم منذ اختفائك كلنا قلقون ومتعبون و...».

لم يستطع عصام التحمل فخطف منها الهاتف يقول بلهجة خطيرة: «أين أنت؟؟».

أمسك أنس ما بين عينيه بإرهاق ويأس بينما قال مراد لعصام: «هذا لا يخصك».

قال عصام بعصبية: «كلنا قلقون عليك يا زفت».

قال الثاني بعناد: «ألم يطردني أبوك من البيت؟!».

أشار له أنس أن يعطيه الهاتف وحينما لم يفعل أخذه بالقوة ثم قال لمراد بهدوء: «كيف حالك يا مراد طمئنني عليك».

ارتبك الأخير وغمغم: «أنا بخير في أحسن حال دونكم».

قال أنس بلهجة قاطعة: «أنا عرفت أين أنت يا مراد.. فهو صاحب واحد من أخبرته بأمر أختك لذا سهل علي أن أعرف مكانه وأجدك».

بلغ مراد ريقه ليواصل أنس قوله: «لكني أريدك أنت أن تأتينا أريد أن أتحدث معك رجل لرجل».

«لا أريد».

قالها بعناد فقال أنس بلهجة حاسمة: «سأكون في انتظارك أنا وعصام في المقهى الموجود عند أول الحي وأنا واثق من أنك ستكون رجلا وتأتي لتتحدث، واطمئن لن يجبرك أحد على شيء (وغمز لعصام مضييفا) سأخرج الآن ولنتقابل خلال نصف ساعة».

قالها وأغلق الخط فسأله عارف: «هل تعرف مكانه فعلا؟».

زفر أنس ورد: «لا فقد أخبرت أكثر من صاحب له أن أخته مريضة لربما وصلته المعلومة ولم أعرف من منهم بالضبط الذي أوصلها له».

قال عصام بغیظ: «حسابه معي حينما أراه».

ليقول أنس بإجهااد وهو يكاد يتساقط من التعب: «هيا يا بني تعال وأمسك أعصابك بالله عليك.. هيا حتى ينتهي هذا الكابوس وأناام».

بعد ثلاثة ساعات فتح عصام الباب فاستقبلت مرام مراد

بالأحضان.. فمال عليها يحضنها وهو يشعر بالخزي، ثم اتسعت ابتسامته حينما انفجرت في البكاء فأخذ يواسيها يربت على ظهرها ويقبل رأسها متأثرا بحالتها وهو يغمغم: «آسف مرامي آسف».

بينما وقف عارف يتطلع من عند باب الشرفة يشعر بالراحة لعودته فمصمت روح شفتيها وقالت: «جئت يا فالح».

قال عصام الذي رغم غضبه رق قلبه لأخيه حينما رآه عند المقهى: «هيا يا مراد اعتذر للحاج».

ظل عارف واقفا مكانه محتفظا بماء وجهه رغم اعترافه أمام نفسه أنه قد أخطأ بطرده من الأساس، بينما قاد عصام أخاه الصغير الذي ظل هو وأنس لمدة ثلاث ساعات معه على المقهى يحدثوه ويقنعوه أن عليه احترام سن ومقام والده وأن يعتذر ويعود للبيت، اقترب مراد وقبل كتف والده ثم قال بوجوم: «آسف يا أبي كنت مرهقا وهي استفزتني ولم أشعر بنفسي وأنا أدفعها وأنا من الأساس كنت ساهرا مع أصحابي لنذاكر».

شعر عارف برغبة في البكاء لذا حافظ على جموده وغمغم بحشجة: «حصل خير اذهب لغرفتك واغتسل وبدل ملابسك».

اقتربت مرام وهي تقول بغیظ: «ليس قبل أن أربيه حتى لا يترك البيت مرة أخرى».

قالتها وهي تضرب فيه بكفيها فرفع مراد حاجبا وقال

باستنكار: «كنت تبكين في حضني يا جاحدة قبل ثوان». تألمت من ذراعها وأمسكت به فعبس أنس بينما سأل عارف: «ألا يزال يؤلمك؟».

غمغمت: «يؤلمني مع الحركة».

قال والدها: «دعي أنس يفحصه كي يحضر لك أي مرهم مسكن».

سعل الأخير بحرج بينما تدخل عصام يقول بحمائية واستنكار: «أنس ليس طبيباً يا أبي إنه صيدلي.. أنا سأفحص ذراعها وإن احتاجت لطبيب سأخذها إليه».

احمر وجه مرام وخطفت نظرة سريعة نحو أنس الذي قال هارباً: «وأنا سأنزل لشقتي ولا أريد أن أعرف أي شخص من هذه العائلة بعد الآن حتى زينة خذوها أنا ذاهب لأنام».

عبست زينة وهتفت باعتراض: «أبي!».

بينما أسرع مرام بالقول: «ألن تأكل (ثم غمغمت بارتباك وهي تتطلع في وجوه الجميع) لا يجب أن تنام ومعدتك فارغة».

زاد ارتباك أنس فقال هارباً: «لا أنا ذاهب لأنام».

قالها وتحرك مغادراً بينما قال مراد لأخته بمنغشة: «أنا هو الجائع (وقوس شفتيه مضيئاً بمسكنة) لم أكل مرامي.. لم أكل».

ربتت على صدره بحنان وتوجهت نحو المطبخ وذهنها مشغول بذلك الذي سينام دون طعام، بينما رن هاتف مراد فأسرع بالرد سعيداً: «المديرة هانم شخصياً؟ كيف حالك؟».

مط عصام شفّتيه وحقد على أخيه أنه يستطيع التحدث معها دون تعقيدات، بينما هو المشتاق حد العذاب غير قادر على ذلك ولو على سبيل الصداقة، في الوقت نفسه جاء صوت نيللي غاضباً: «سأقتلك يا مراد لو رأيتك سأقتلك على ما فعلته بنا.. والله أنا غير قادرة على التركيز في العمل بسبب القلق عليك».

احمر وجه الأخير وقال بابتسامة محرجة وهو يتوجه نحو غرفته: «لم أكن أعرف أن المعجبين بي كثر ومن بينهم مديرة شركة».

أما عارف فقرر أن يتوضأ ويصلي ركعتين شكر لله وبعدها عليه أن يطلب المساعدة بشأن التعامل مع هذا الولد الذي يراه صعب المراس.

بعد يومين

ألصقت أذنّها بباب الشقة فقالت روح: «عيب يا بنت لا تتلصصي على الجيران».

اعتدلت مرام وردت بتلعثم: «لا كنت أظن أن هناك من يطرق الباب».

ثم أسرع بفتح باب الشقة ووقفت ترهف السمع تنتظر
خروجه من شقته،

لقد علمت من زينة أنه قد انتهى من درس الكيمياء لمراد
وباسم وأنه سيعود للصيدلية وهذه هي فرصتها كي تقبض
عليه، فهو لم يصعد للطابق السابع منذ يومين ويطلب
من زينة أن تنزل له عند النوم وحاولت أن ترسل له على
الواتساب بأي حجة فكان يرد عليها باقتضاب، حتى حينما
أخبرته أنها تريد أن تتحدث معه رد عليها أنه مشغول حالياً
وسيحدثها فيما بعد.

سمعت باب الشقة يفتح ثم يغلق فأسرعت برفع طرف
إسدالها عن الأرض ونزلت عدة درجات وهي تقول هامة:
«أنس».

تجمد العمود الفقري للأخير وهو في طريقه للنزول وغمغم
بصوت خافت: «يا منجي من المهالك يا رب!».

ضحكة خافته مكتومة وصلته دغدغت أعصابه ثم قالت:
«كيف حالك يا دكتور؟».

رفع أنظاره نحوها وهي تقف في منتصف السلم وقال
بصوت خافت عصبى: «ما هو الشيء العاجل يا مرام الذي
يجعلك تنادينى من فوق السلم قد يرانا الجيران».

قالت مؤكدة: «لا تقلق فأم بيسو خرجت هي وابنها والشقة
المقابلة لشتك صاحبها ليس موجودا».

«أنت تراقبين كل شيء إذن (ووضع يدا فوق الأخرى يقول)
تفضلي ما الذي تريدينه مني والعاجل بهذا الشكل؟».

ضغطت شفتيها ببعضهما واحمر وجهها فعاد أنس يرفع إليها
أنظاره يقول بعصبية: «هل ناديتني لتسمعي صمتك!».

عصبيته دغدغت أعصابها فضحكت وردت بهمس: «كنت
أريد أن أرد على حديثك معي ذلك اليوم».

احمر وجهه ودارى ارتباكاً داخلها خلف ملامح جادة ثم قال
وهو يستعد للنزول: «ليس هناك داعٍ قلت لك هذه مشكلتي
وحدي (ثم توقف وقال بلهجة هجومية يشهر سبابه في
وجهها) رغم أنك تتحملين كامل المسؤولية لما حدث لي..
لأنك عطوفة.. كريمة.. متفانية ولولاك لكفرت بكل النساء».

طالعه بتأثر فانتبه لما تفوه به وقضم لسانه مغمماً بضيق:
«ومع هذا هذه مشكلتي وحدي».

تحرك لينزل فهتفت بهمس ناعم: «أنس».

ارتج قلبه فعاد يرفع أنظاره إليها قائلاً بعصبية: «نعم وكفي
عن (أنس) هذه أرجوك».

تطلعت لأعلى ثم لأسفل لتتأكد من أنه ليس هناك أحد ثم
قالت بخفوت: «أليس من حقي أن أقول رأيي فيما قلته؟!».

وضع يده فوق الأخرى وأخفض نظراته يقول: «تفضلي ست
مرام الميكروفون معك خلصيني».

قالت بطريقة نفسه: «تفضل دكتور أنس».

رفع أنظاره وقال عابسا وهو يراها تمد له يدها عبر سور السلم بورقة مطوية: «ما هذا؟».

هزت كتفها بدلال لم تقصده وردت بمراوغة: «افتحها وستعرف».

مد يده يأخذ الورقة وهو يقول: «ألم يكن من الأفضل إرسالها لي على الهاتف».

فتح الورقة ووقف يتطلع فيها عابسا لعوان يحاول استيعاب المكتوب فيها، الذي هو عبارة عن عنوانها واسم والدها ورقم هاتفه واسم أخيها عصام ورقم هاتفه واسمه هو ابن عمها ورقم هاتفه، فأحس بالارتباك وظل يحدق في الورقة لبرهة ثم قفز قلبه من فرحة مفاجئة لم يستوعبها عقله، بالسرعة نفسها فظل يقاومه ويطلب منه التعقل ويذكره بكل العقبات كي لا يتسرع ويفرح ليغمغم أنس وهو يرفع أنظاره نحوها: «ما معنى هذا؟!!!».

لم يجدها.. كانت قد اختفت حتى خيل إليه لثانية أنه يهذي، ليسمع بعدها صوت باب شقة عمه يُغلق فهم بالصعود خلفها وهو يناديها: «مرام!».

ثم لجم نفسه بعد درجتين وعاد لينزل وهو يتطلع في الورقة يحاول إيجاد تفسير آخر غير التفسير الذي فهمه.. وظل يحدق في الورقة وهو ينزل يجرجر قلبه خلفه حتى كاد أن يتعرقل على السلم وهو يسأل نفسه (هل قصدت ما فهمته؟!).

في الشارع وقف تحت البناية تائها مشغول البال يبحث حوله يمينا ويسارا وكأنه قد نسي وجهته ثم انتهى به الحال واقفا في منتصف الطريق يخرج هاتفه من جيبه بيد مرتعشة ويتصل بها فالأمر لا يحتمل التأجيل لدقيقة واحدة.

كانت مرام قد خلعت إسدالها ووقفت في الصالة برداء بيتي من بنطال قصير حتى الركبة وبلوزة.. شعرها البني مرفوع لأعلى بدبوس وبمجرد أن وجدت اسمه على الهاتف أسرع بالرد وهي تتوجه نحو المطبخ وتغلق الباب خلفها فجدتها قد دخلت الغرفة وزينة تلعب بالصالة.

بادرها أنس قائلا بحشجة: «ما معنى هذا؟».

ردت بدلال تلقائي لم تقصده: «عنوان بيتنا ربما نسيته هكذا علموني أهلي أن أفعل عندما يخبرني أحدهم بمشاعره تجاهي».

كان كمن يصارع أمواجاً عاتية كي يحافظ على توازنه فالمفاجأة كانت قوية.. كزلزال ضرب قلبه ولم يرغب في التسرع في إبداء الفرحة.. أو ربما الحزن واليأس اللذان يحتلان له لم يسمحا له بالتصديق فقال بهدوء: «يا مرام أنا أعلم مدى حبك لزينة لكن...».

ردت بهدوء وقد توقعت ذلك الرد بعد أن خمنت هي ونيللي أسباب إحجامه عن المبادرة: «لن أنكر أن زينة من أحد مميزاتك؛ لكن الأمر ليس كما تظن».

سألها بحشجة: «ما هو إذن؟».

لم تستطع الرد وإنما ضحكت بخفوت فأرغمته على الابتسام وهو يسألها باستنكار: «أتضحكين؟!».

كانت تنصهر كلياً وصوته الرجولي يدغدغ أعصابها بشكل لم يحدث لها من قبل فردت بدلال: «أجل».

تسللت السعادة إليه كنثرات لامعة فوق جدار من حزن عتيق داكن فقال بخفوت: «سعيد أننا أضحكناك يا ست مرام».

خيم الصمت وكلاهما يستمع لأنفاس الآخر حتى إن أنس نسي أنه وسط الشارع ولم ينتبه إلا عندما اصطدم به طفل يجري فتحرك تلقائياً ليقف إلى جانب الطريق وكل حواسه تستقبل منها أي شيء ستجود به اللحظة؛ لكنه تنحى بعد ثوان وقال لها بجدية حتى لا يعطي لنفسه فرصة للتمادي: «يا بنت الحلال اسمعيني كي نحسم هذا الأمر قبل أن يتعقد بيننا.. أنت تعرفين ظروفى».

أسرعت بالقول: «ما بها؟».

تجاهل قلبه الذي يقوم بقفزات جنونية في صدره وأجاب باستنكار: «ما بها؟! أتسأليننى؟! أحدثها أنى استقلت من عملى.. وراتب الصيدلية حتى فى مناوبتين فى اليوم لا يكفى التزاماتى الحالية».

أجابته بلهجة عاتبة: «ما أعرفه أن من يحب إنساناً لا يتركه

يضيع من يده ولا يسمح لآخر أن يخطفه منه».

عتابها طعنه في صميم قلبه فقال بصوت خافت: «لو يحبه سيتمنى له حياة أفضل وأنت يا مرام تستحقين الكثير، وأمنيتي أن يأتي ذلك اليوم الذي أراك فيه تعيشين ما فاتك من أيام الصبا والمراهقة ولا تحملين هما ولا تبذلين مجهودا (وأضاف بحشجة متألمة) حتى لو كان مع رجل غيري».

كان صادقا لدرجة جعلت الدموع تقفز إلى عينيها ولم تصدق تلك العاطفة التي يتحدث بها، الأمر ليس فقط لأنه يحبها ولا لأنه أنس ذلك الرجل الذي تراه استثنائيا الأمر أعمق من هذا؛ لكنها غير قادرة على وصفه أو وصف الشعور المجنون الذي تشعر به فضحكت بخجل.

دغدغت أعصابه بضحكتها الخافتة فقال مشاكسا: «أضحكين مجددا؟! ماذا حدث لك يا بنت؟!».

جلست على أرض المطبخ متربعة وهي تجيب: «الحقيقة أنا أضحك وأبكي مثل المجنونة الآن».

كان صوتها مختلطا بالبكاء فارتجف قلبه وهو يسألها: «لم الضحك والبكاء؟!».

مسحت دمعة سقطت فوق خدها وردت بحشجة: «لا أعرف ربما كما قلت لك لأنني سعيدة بقدر لا يتحمله قلبي».

تغضنت ملامحه وتطلع حوله لا يرى أحدا وكأنه داخل كبسولة فوق كوكب غير مأهول بالسكان فهمس بعاطفة قوية

ممزوجة بالحزن: «ليتني أستطيع أن أمنحك سعادة أكثر؛ لكن ما باليد حيلة».

«أرى أنك تبالغ في حمايتي».

أخفض رأسه يتطلع في الأرض قائلا: «لأنني أريد لك الأفضل».

«بل لأنك خائف يا أنس».

هز رأسه عدة مرات موافقا: «ربما.. لن أنكر هذا».

ابتسمت تقول: «لكني لست خائفة أتعرف لماذا؟».

«لماذا؟».

همست بصدق: «لأنني أعرف قدرك، وهو كبير إلى حد ثرى فيه بقية التفاصيل الأخرى بجانبك صغيرة أو غير مرئية».

ارتج قلبه في صدره فتشقت جدران الحزن وغمرتها أنهار من سعادة لم يشعر بها من قبل وتغضنت ملامحه فقال ساخرا كعادته كي ينفذ الحالة العاطفية التي تسيطر عليه: «هذا الكلام يزيد من الأمل بداخلي يا بنت.. والأمل مثل الكوليسترول هناك النافع منه والضار».

ضحكت تلك الضحكة الخافتة الخجولة فدغدغت أعصابه ليقول مبتسما: «لماذا تضحكين؟».

«على ما تقوله».

قال ساخرا: «هذا مستوأي في الرومانسية مثله مثل

الاعتراف التاريخي الذي ليس له شبيهه».

كان ينتظرها أن تضحك مرة أخرى لكنها فاجأته بقولها بتأثر: «كان اعترافا تاريخيا بالفعل لأنه عنى الكثير لمرام».

لهجتها الصادقة والعفوية هزته مجددا فأسرع بالقول محذرا: «الكوليسترول يا بنت عمي!».

قهقهت ضاحكة ورغم مشاركتها الضحك كان عقله العاشق لها أكثر من قلبه يرفض أن يورطها معه فقال بهدوء: «اسمعي لا أريدك أن تضحى من أجلي أو من أجل زينة».

ردت بصدق لم يستطع عقله تكذيبه: «لم أكن أعرف أن التضحيات تجلب هذا القدر من السعادة.. أنا سعيدة.. سعيدة جدا حتى لو لم تأخذ خطوة رسمية تجاهي يا أنس».

أمسك برأسه يقول غير مصدق: «يا رب العالمين! يا بنت الحلال أنا مطلق وأعول وظروفي المادية متعسرة وفاشل في الرومانسية».

همست: «أنت أنس وكفى».

تغضنت ملامحه وهو يغمغم بتأثر: «جبر الله بخاطرك».

قالت بلهجة عاتبة: «ولو كنت تعرفني حق المعرفة كنت أدركت أنني لا أقيم الناس بهذه الطريقة».

أجابها بلهجة عاشقة لم يستطع التحكم بها: «ولأنني أعرفك حق المعرفة.. أراك تستحقين كل شيء حلو».

همست بتأثر والدموع تتدفق من عينيها: «جبر الله بخاطرك».

قال ساخرا حتى يخرج نفسه من طوفان يريد أن يسحبه: «يبدو أننا سنقضي اليوم كله في جبر الخواطر».

ضحكت وضحك مغمما وهو يتطلع حوله غير واع لتفاصيل الزمان والمكان: «لا أصدق أنني أتحدث معك هذا النوع من الحديث».

غمغمت وهي تمسح دموعها: «وأنا أيضا لا أصدق».

قال مازحا: «لنبحث إذن عن شخص ثالث يقنعنا أن ما يحدث حقيقة».

قهقهت فشاركها الضحك ثم قال بتهديد لطيف: «إن حدث لي شيء سيكون بسببك فارتفاع مستوى الأمل مع حالة قلبي البائسة قد تسبب الوفاة».

أسرعت بالقول: «بعيد الشر عنك وعن قلبك».

ارتجف لعبارتها ارتجاف الأرض العطشى التي تزورها الماء بعد سنين عجاف فقال بترج: «مرام ترفقي بي ودعيني أستوعب هذا القدر من الأمل».

غمغمت بتلعثم: «أنا أيضا أريد فرصة لاستيعاب كل هذا القدر من السعادة».

قال بسرعة: «إذن يكفي هذا القدر وللحديث بقية يا بنت عمي».

«للحديث بقية يا ابن عمي».

أغلقت الخط واستندت برأسها للخلف على باب المطبخ تتطلع لأعلى وصدرها يعلو يهبط، فوضعت يدها على قلبها الذي جن في صدرها ثم غطت وجهها بحرج وعدم تصديق، أما أنس فظل واقفا مكانه يحدق في الأرض حتى إن منظره لفت انتباه بعض المارة قبل أن يرفع أنظاره ويتطلع حوله بتيه يحاول أن يستوعب أين هو وأين كانت وجهته قبل أن يسحبه ذلك الطوفان المفاجئ من السعادة والأمل.

دخل عارف غرفة عصام ومراد ثم تطلع في أصغر أبنائه النائم في سريره واقترب ليجلس على طرف السرير يتأمله في صمت وهو يستعيد كلام الأخصائية النفسية التي زارها اليوم، لقد قرر اللجوء لمن يرشده كيف يتعامل مع مراد الذي يعترف أنه معقد أكثر من أنس وعصام ومرام عندما كانوا في نفس عمره أو ربما هو الذي كبر بالعمر وأصبح قليل الصبر.. لهذا قرر أن يبحث في الكتب فلم يجد ضالته.. كلها مصطلحات أكاديمية لم يستوعب منها شيئا.. ففضفض مع أحد أصدقائه الذي رشح له زوجة ابنه الأخصائية النفسية التي تعمل في مركز لتعديل السلوك.

في البداية كان غير واثق من أنها ستستطيع مساعدته فلم يعتد على أن يستشير أحدا في أمور يراها بديهية طبيعية في تربية الأبناء، خاصة أنه لا يشعر أن مراد به انحراف

نفسى يتوجب استشارة أحد المتخصصين؛ لكنه معقد بشكل يشعره بالعجز في التعامل معه ورغم هذا قابلها وشرح لها كل شيء وأسعده اهتمامها بالتفاصيل، وأنها ناقشته في كثير من الأفكار التي كان متمسكا بها في جلسة امتدت طويلا حتى شعر في النهاية بالراحة واطمأن لأن ابنه طبيعي وليس به ما قد يقلقه.

«مراد يا أستاذ عارف مراهق يمر بمرحلة دقيقة ومربكة في حياته (هكذا أخبرته وأضافت) يحاول فيها استكشاف نفسه والعالم من حوله يكون انطباعات عن مئات الأمور حوله». «لكنني لم أشعر بهذه الصعوبة في التعامل مع أخويه».

«الزمن اختلف وسيختلف مع الجيل القادم وربما زادت صعوباته.. كما أن المراهقين يختلف كل منهم عن الآخر فما مررت به أنت أو ابنك وبنتك الأكبر منه ليس بالضرورة أن يمر به مراد، ولا تنسى كما أخبرتني أنه قد فقد أمه في سن مبكرة جدا صحيح، كما فهمت منك أن أخته قد قامت برعايته وأنه مرتبط بها لكن لا شيء يعوض الأم لقد فقد أمه قبل أن يكمل الرابعة».

انهمرت دموع عارف التي كان يحبسها أمام الأخصائية وطوال الطريق إلى البيت.. انهمرت وهو يتطلع في ابنه النائم عاريا لا يرتدي سوى سرواله الداخلي وتأمل معالم الرجولة فيه وكيف كبر حجمه وتشكلت عضلاته، فلم يعد مراد ذو الأربع سنوات الذي تركته أمه وماتت، واستعاد مجددا ما

قالتة الأخصائية.

«صحيح قد تراه طويلا وعريضا وغليظ الصوت ذا شارب وربما لحية ويحاول أن يفرض نفسه وآراءه عليكم؛ لكنه لا يزال في داخله طفلاً، طفل كبر حجمه فجأة فأصبح مرتبكا يسأل نفسه (هل أنا طفل أم رجل؟!) هذا هو تحدي أي مراهق فما بال لو كانت له ظروف معيشية خاصة كمراد».

وتذكر أسئلتها التي فاجأته: «متى آخر مرة حضنته؟ متى آخر مرة قلت له كلاما مشجعاً دون أمر أو انتقاد؟ متى كانت آخر مرة جلست معه وسمعت ما يدور في رأسه حتى لو كان تافهاً وسطحياً؟ هل تعلم شيئاً عن أحلامه؟ هل حاولت مناقشته بهدوء وتفنيده أفكاره ومعتقداته؟».

رد وقتها وقد خنقه الشعور بالذنب: «أنا لا أفهم منه شيئاً يتحدث عن أمور غريبة ويسفه كل ما هو قديم يسخر من كل البديهيات فيغضبني».

قالت الأخصائية: «الجيل الحالي مختلف كثيراً عما قبله وبينه وبين جيلك أنت سنوات ضوئية وعلى كل منكما أن يحاول تضيق الهوة بينكما حتى تلتقيا في أرض مشتركة، مراد يفتقدك يا أستاذ عارف يفتقد اهتمامك به بعد أن كان مراد الصغير مدلل العائلة أصبح المراهق المزعج الذي ينتقده الجميع، فمن الطبيعي أن يستمر في عناده خاصة أنك أخبرتني أن جدته بحكم عمرها دائمة الانتقاد له ووجود طفلة صغيرة في البيت تأخذ منه الدلال الذي كان يحصل عليه».

رد عليها باستنكار: «هل سيغار من طفلة؟! لقد أصبح بطول الباب!».

أجابته الأخصائية بابتسامة: «هذا واضح من صورته التي رأيتها على هاتفك فهو ما شاء الله شاب وسيم له حضور؛ لكنه كما قلت لك لا يزال يحمل قلب طفل إنه في مرحلة ارتباك بين الطفولة والرجولة».

قال لها يدافع عن نفسه: «هل تعتقدين أنني إن ناقشته سيقتنع؟! إنه مثلاً يريد أن يعمل مثل هؤلاء الذين يصورن حياتهم ويعرضونها على مواقع التواصل لكسب المال».

أجابته بهدوء: «دعني أخبرك بشيء عند سن الواحد والعشرين يقوم الشاب أو الفتاة بغربة وتفنييد ومراجعة كل أفكاره ومعتقداته.. ويستبعد منها الغريب الذي كان متمسكا به من قبل.. ويتمسك بما زرع فيه من قيم وأفكار غرست فيه في طفولته ومراهقته.. ما أريد أن أقوله إنه قد يبدو أمامك أنه لا يسمعك ولا يهتم بما تقول من أفكار يسخر منها ويصفها بالبالية؛ لكنه ومع تكرارها وإثبات حقيقتها أمامه بالمنطق والدلائل المادية وبملاحظته لمن حوله ستترسخ في ذهنه حتى دون أن يشعر وسيستعيد ما حينما يتخطى مرحلة المراهقة المربكة، أما بالنسبة لأحلامه بشأن ما يريد أن يكون حينما يكبر أتركه يعيش حلمه.. أتركه يخوض التجربة ويقىمها ويقىم نفسه ما دمت قد زرعت فيه القيم والعقيدة والأفكار الجادة وحاورته وجادلته وناقشته بالعقل والمنطق.. أتركه يعيش الحلم من حقه أن يحلم من حقه أن يخطئ

ويصح ذلك الخطأ، ألم تكن لديك أفكارا ساذجة وقت
مراهقتك؟! الفارق أن الأفكار القديمة كانت سطحية؛ لكن
الحديعة أكثر تعقيدا رغم تفاهة مضمونها لكنها تظل حلمه
حتى لو لم تكن ذات قيمة بالنسبة إليك».

عاد عارف من شروده يتطلع في ولده بشفقة وشعور
بالذنب، إن بداية ارتباك العلاقة بينهما تتزامن مع دخول
مراد في مرحلة المراهقة وتقاعده هو من عمله لقد صدقت
الأخصائية فيما أخبرته، فكلاهما كان على موعد مع تغير
قوي في حياته اهتزت له الأرض من تحت قدميهما، فوجدا
نفسهما بعيدين على رقعة الشطرنج كل منهما يتحدث بلغة
لا يفهمها الآخر وكلما اصطدما بعد ذلك كانت المسافة تبعد
بينهما على رقعة الشطرنج حتى أضحى كل منهما لا يرى
الآخر بوضوح.

لقد أهمل صغيره تقوقع على نفسه وعلى همومه وغلبته
كآبته فترك لعصام ومرام وأنس مهمته وكأنه قد يتمه وهو
لا يزال حيا، فإن كان مراد قد فقد أمه وهو صغير فقد والده
وهو مراهق.. فماذا ينتظر منه سوى التمرد بعيدا عن اختلاف
العصر والظروف.

فتح مراد عينيه وكان عقله قد أخبره أن هناك من يراقبه ثم
اتسعت عيناه بمفاجأة ورفع جذعه يقول بارتباك: «أبي هل
حدث شيء؟!».

أسرع عارف بالقول وهو يداري وجهه ويمسح دموعه «لا

شيء أنا... (ونظر حوله وأكمل بتلعثم) كنت أبحث عن.. عن شاحن للهاتف لأن هاتفي لا يشحن».

التقط مراد منامته ولبسها محرجا فتغضنت ملامح عارف وهو يرى صغيره لا يشعر بالراحة أمامه، بينما غمغم مراد وهو يحاول أن يستفيق: «حاضر سأبحث لك عن شاحن مناسب لهاتفك».

أسرع عارف بالقول: «لا لست متعجلا أكمل نومك وبعدها حل لي مشكلة الهاتف، وأريدك أيضا أن تعلمني كيف أدخل على الإنترنت».

عبس مراد وطالعه بعدم استيعاب ليقول عارف موضحا الفكرة التي قفزت إلى رأسه: «ريد أن تخصص ساعة لي في اليوم كي تعلمني كيف أدخل على الإنترنت فمرام تستطيع أن تقرأ كتباً على الهاتف وأنا بعد موت عم أمين هناك كتباً لا أجدها».

قالها واستقام واقفا ليغادر الغرفة فقال مراد باندهاش: «تمام.. لكنك كنت لا تعترف إلا بالكتب الورقية».

غمغم عارف من عند الباب: «كنت.. كنت كذلك لكن يبدو أن علي أن أكون أكثر مرونة في هذا الأمر».

في المساء

فتحت مرام الباب فتطلع فيها وقلبه يقفز بجنون ثم أسبل

أهدابه يدخل حينما أفسحت له الطريق ووقفت تتطلع فيه بوجنتين حمراوين، وقد لاحظ أنها ترتدي رداء أنعويا محتشما وتلف حجابا يبرز جمال وجهها الأبيض ذا الخدين المكتنزين فسألها بارتباك: «كيف الحال؟».

ردت بابتسامة حلوة أذابت أعصابه: «بخير.. عصام على وشك الوصول ثم سنغرف الطعام».

أشاح بأنظاره بعيدا عنها يقول: «لا داعي سآكل أي شيء فيما بعد».

قالت بلهجة مغرية: «إنها صينية البطاطس بالدجاج التي تحبها».

طالعتها بجانب عينيه وقلبه يقفز بجنون في صدره ثم أشاح بأنظاره مجددا وهو يغمغم: «مادامت صينية البطاطس من يدي القرنفلة فأهلا بالكوليسترول».

سمعتها تضحك فعاد ليتأملها قائلا: «سنعود للضحك».

وضعت يدها على فمها وقالت بدلال كاد أن يفقده عقله: «أنت السبب.. أسلوبك يضحكني».

ظلا واقفان بارتباك.. قلباهما يتغازلان وعيناها تقولان ما يخجل أن يبوح به اللسان، هم بسؤالها وعيناها ترفضان طاعته والكف عن التدقيق فيها وهمت هي أيضا بسؤاله ليبدأ الكلام في اللحظة نفسها ثم سكتا يضحكان ليقول أنس: «قولي أنت أولا».

قالت: «بل أنت قل».

«كنت سأسألك عن زينة».

«إنها في الحمام.. كنت سأسألك لماذا تناديني بالقرنفلة؟».

رد بمراوغة: «قلنا للحديث بقية».

احمرت وجنتاها وهزت رأسها موافقة.. فتأملها متقبضا وهو لا يزال يعاني صدمة حديثهما قبل ساعات.. وتأملته هي بطرف عينيها بخفر للمرة الأولى، تدقق في تفاصيله كرجل.. كانت تحفظ كل شيء فيه جسده الرجولي وبشرته الفاتحة ونظارته الطبية الأنيقة وشعره البني ولحيته الخفيفة، ورغم هذا كانت المرة الأولى التي تسمح لنفسها باستنشاق عبق رجولته وترجمة كل هذه التفاصيل لمشاعر فدغدغتها أعصابها وازداد احمرار وجنتيها.

أتاهما صوت روح تقول باندهاش: «عجبت لأمركما تارة تتشاجران وتارة تتهامسان هل أنتما ملبوسان!».

تنحنح أنس وترك مرام مرغما ثم دخل يقول لجدته: «كيف حالك يا روح؟».

غمغمت: «بخير يا سالم» وتطلعت بلهفة في يده التي وضعها في جيبه ثم اتسعت ابتسامتها وهي تراه يخرج منه قطعة شيكولاتة أخذتها بسعادة، فاستدار أنس لمرام نصف استدارة ودون أن ينظر نحوها أعطاها قطعتين من الشيكولاتة واحدة صغيرة كالتي أعطاها لروح ، التي

يحضرها لابنته يوميا وأخرى كبيرة فناظرته بتساؤل ليجيب:
«الصغيرة لزينة».

عضت على شفتها وسألته: «والكبيرة؟».

أشاح بأنظاره وقلبه يوشك على الانفجار مغمغما: «تصرفي فيها لأي شخص يحتاجها، لقد ابتعتها لأن الرجل لم يكن معه فكة».

نظرت للوح الشيكولاتة الكبير وانفجرت ضاحكة فتعرق قفاه الذي يوليه لها وتحرك نحو الشرفة يقول: «أنا ذاهب لعمي فيكفي هذا القدر من الكوليسترول اليوم».

في الشرفة بعد قليل تشجع ونطق بما لم يتصور يوما أنه سيقوله؛ لكن تطور الأحداث السريع بينه وبين مرام جعله يقرر أن يفعلها، صحيح عقله الذي اكتشف أنه يعشقها أكثر من قلبه يعترض ويحاول عرقلته من أجل ما يراه في مصلحتها؛ لكنه كان لديه من الحماس والأمل ما شجعه على المضي قدما وبذل مجهود أكبر من أجل إسعادها.

تنحى وقال لعمه: «كنت أريد أن أفاتحك في أمر وأرجو ألا تردني خائبا يا عمي».

عبس عارف وسأله بقلق: «ما الأمر؟».

أغلق باب الشرفة عليهما وقد زاد توتره وهو يقول: «أنا أطلب منك يد مرام».

لاحت المفاجأة على وجه عارف ليسرع أنس بالقول

بارتباك: «أعرف أن ظروفى معقدة وأناى حاليا دون وظيفة ثابتة؛ لكنى لا أريد أن أرتكب حماقة أخرى حتى ينتهى بى الأمر أن أراها على ذمة رجل غيرى، صدقنى حاولت أن أبعدى عن طريقى ولم أتحمّل ذلك».

ساد الصمت فأضاف أنس: «وأعدك إن وافقت على طلبى أنى سأواصل الليل بالنهار كى تعيش مرام الحياة التى تستحقها».

ابتسم عارف ورد: «يبدو أن أمنية شادية رحمها الله ستتحقق».

«أمنيتها؟!».

رد عارف بحنين للماضى: «تذكرت الآن أنها كانت تخطط لتزويجها لك، حين ولدت مرام قالت (سأزوجها لأنس ابن عمها) كانت معتقدة فى هذا الاعتقاد بشكل كان يثير ضحكى كلما ذكرته».

غمغم أنس بتأثر: «رحمها الله».

لم يخبره عارف أنه هو أيضا تمنى أن يطلب منه يد مرام كلما رأى تعلقها بالصغيرة كان يرى أنه من الطبيعى تتزوج من ابن عمها وتساعدى فى تربية ابنته؛ لكنه رفض الأمر عن رأسه حينما لم يبدى أنس أى رغبة فى ذلك.

قال عارف: «أنت ابنى الذى أفخر به يا أنس وسأكون سعيدا ومطمئنا عليها إن تزوجت منك».

اتسعت ابتسامة أنس واقترب يقبل كتف عمه الذي لاحت السعادة على وجهه ثم قال بتردد: «كان عندي طلب آخر». «خيرا».

«أنت تعرف كيف أن مرام تحاول دوما أن تفعل ما في وسعها لإسعاد من حولها وتعلم مدى ارتباطها بزيئة، لذا أخشى أن نتسرع في إعلان ارتباط رسمي دون أن نعطيها الفرصة الكاملة للنظر لي كزوج بعيدا عن كوني والد زيئة، فكنت أقترح أن تسمح لي بالتواصل معها عبر الهاتف لنعطيها الفرصة كي تحدد مشاعرها وأفكارها تجاهي دون أن تعلم أنني قد أخبرتك برغبتني في الارتباط بها، بالمناسبة عصام أيضا يعلم برغبتني في الارتباط بها أنا فقط أريد من بعد إذنك أن نمنحها فرصة دون أن نحاصرها بفكرة الارتباط الرسمي حتى يكون رفضها إن أرادت ذلك أسهل».

هز عارف رأسه متفهما وقال موافقا: «لا بأس نعطيها الفرصة فالتجربة السابقة كانت سريعة وشغرت أنها قد ظلمت فيها».

اتسعت ابتسامة أنس وانشرح صدره فقال بسعادة: «لا حرمنا الله منك يا عمي وأعدك أنني سأبذل قصارى جهدي كي أوفر لها عيشة كريمة».

قال عارف مطمئنا: «لا تحمل هم شيء.. الموجود يكفي ولكل واحد ظروفه عموما ثق بالله وأن لكل جديد رزقه».

غمغم أنس: «ونعم بالله (ثم ردد العبارة يفكر فيها) لكل

جديد رزقه».

ولم يكن يعلم أن ما قاله عمه سيتحقق بهذه السرعة.

بعد عدة أيام

سأل أنس باسم بعصبية: «أين هو يا بني؟».

فأجابه الثاني بارتباك: «لا أعرف اتصلت به ولا يرد».

ضرب أنس بالعصا في الهواء قائلاً: «يبدو أنني سأستخدمها أخيراً».

تأمل به باسم الجالس في صالة بيت أنس ينتظر حضور مراد لبدء الحصة، وتأمل جديته بإعجاب أنه سعيد لأنه اقترب منه ليس فقط كمعلم إنما كممثل أعلى، كان دوماً وبحكم وفاة والده وهو صغير يفتقد لوجود الأب أو المرشد الذكر الذي يفهمه، ومع الدكتور أنس يشعر بمشاعر لم يشعر بها تجاه شخص آخر، فهو يجمع في نظره كل الصفات التي تجعله قدوة له.. ثقافة وعلم ورأي سديد ومثال للحزم والهيبة ورغم ذلك يخفي تحت هذا الحزم حناناً أبوياً، تطلع في العصا الذي أسرع أنس بالإمساك بها وهو يفتح الباب عند سماعه للجرس، وابتسم لمعرفته أنه لن يستخدمها إلا للتهديد فقط بينما وقف أنس يتطلع في مراد واستند بالعصا على الأرض في وضع متحفز وهو يقول: «هل تعلم سيادتكم كم الساعة الآن؟».

غمغم مراد وهو يهرش في رأسه: «نعم.. لكنهم هم من أخروني».

عبس أنس حينما خرج رأسين من خلف مراد لمراهقين آخرين فرفع حاجبيه ليقول مراد مفسرا: «حينما كنت أبيت مع أصدقائي اشتكوا من عدم فهمهم لمادة الكيمياء من المدرس الذي يشرحها لهم (وأضاف بارتباك) وقد قمت بشرح درس لهم فأعجبهم ما قلته.. ف امم.. أخبرتهم أنك... أني أدرس معك ف... طلبوا الانضمام إن سمحت طبعاً وسيدفعون ما كانوا يدفعونه للمدرس الآخر، هذا بالنسبة لماجد وأمير».

لوح ماجد وأمير لأنس من خلف مراد فصمت لبرهة ثم أشار لهما بالعصا كي يدخلوا لكنه تفاجأ بالمزيد من أصحاب مراد يقفون بالخارج فرفع حاجبه لابن عمه الذي أسرع بالقول: «وهؤلاء جاءوا للحضور من باب الفضول بصراحة».

تطلع أنس في الوجوه التي تبتسم له ببلاهة وبحرج ثم أشار بالعصا ليدخلوا فدخل ستة مراهقين.. بعدها تطلع في الممر ليتأكد أنه ليس هناك المزيد ثم أغلق الباب وقال لمراد الذي تحرك مع الشباب ليجلسوا: «تعال إلى هنا».

ارتبك أصحابه وتجمدوا مكانهم، بينما اقترب مراد من أنس الذي أولاه أذنه يقول: «ماذا فعلت معهم؟ قلها مرة أخرى».

هرش الثاني في رأسه وتمتم بحرج: «شرحت لهم درسا».

«وفهموا؟».

«أمم.. أعتقد فهموا».

نظر أنس لأصحابه الذين يراقبون ما يحدث بأعين متوجسة وسألهم: «هل فهتم منه؟».

هزوا رؤوسهم بالإيجاب فأمسك أنس بقلبه وعاد لابن عمه يقول بتأثر مسرحي: «لا أصدق نفسي.. هل أثمر فيك تعبى يا ولدا!».

هرش مراد في رأسه وابتسم بحرج، بينما ضحك أصحابه ليقول أنس وهو يفتح ذراعيه: «تعال في حضنى يا حبيبى».

اتسعت عينا مراد محرجا أمام أصحابه ليقول أنس مشاكسا وهو ينقض عليه ويلف ذراعه حول رقبته ويميل بها للأمام: «شرفتني يا وحش.. العقبى حينما ترفع رأسى في نهاية العام».

ضحك مراد وقال: «إن شاء الله».

فترك رقبته ثم ضرب بالعصا الرفيعة في الهواء فأصدرت صوتا مربعا انتفض له الموجودون وقال بلهجة خطيرة: «أهلا أنرتموني يا شباب.. سنقضى وقتا لطيفا جدا معا».

في المساء

خرج أنس إلى الصالة وسأل عصام الذي لا يزال مرابطا عنده: «هل ستؤانسني وقتا طويلا؟».

رفع عصام إليه أنظاره وتطلع فيه وهو يقف أمامه بفانلته الداخلية وبنطال البيت يمسك السيجارة بين أصابعه ثم قال له ببرود: «هل لديك مانع؟».

رد أنس: «أجل لا أشعر بالراحة في بيتي بصراحة».

عاد عصام يتطلع في شاشة اللاب توب يرد ساخرا: «ألف لا بأس عليك».

مط الآخر شفتيه ثم قال مشفقا على حالته: «نم يا بني.. أترك العمل وأرح جسدك عيناك توشكان على السقوط من وجهك».

غمغم عصام وهو يعود لعمله: «هناك طلبات تصاميم جاءتني عبر الإنترنت علي أن أنهيها وبعدها عندي محاضرة أونلاين».

زفر أنس وقال بيأس: «بهذا الشكل ذات اليدين المغريتين ستصبح أرملة من قبل أن تتزوجها».

ازداد وجه عصام وجوما ولم يرد، فتركه أنس بعد أن فشل في إيجاد طريقة للتخفيف عنه وعاد إلى غرفته متلهفا للاتصال بمرام.

أما عصام فأمسك بالهاتف مترددا نفسه تراوده وقلبه يلح والشوق يذبحه ليسمع صوتها فقط؛ لكنه عاد وألقى بالهاتف من جديد وطلب من نفسه التركيز فيما يفعل.

قالت نيللي في الهاتف بتوتر: «لكني قلقة من أن يتسرب الدواء للسوق السوداء.. أبوك قد يفعلها.. وأنا غير قادرة على إبلاغ الشرطة.. أنت تعلم إن دخلت الشرطة بيننا أمور كثيرة قد تضر بنا، خاصة أننا لم نعثر على ثروت والعقود التي بحوزته ولا أعرف ما بها حتى الآن».

قال طارق مهدئا: «اهدئي يا نيللي أرجوك».

تحركت في غرفتها تقول بلهجة يائسة: «كيف أهدأ! لقد فاض بي يا طارق فاض بي أنا أشعر أنني أحرث البحر، لم أغط حتى الآن إلا جزءا من الديون وهناك دائنون لا يريدون الصبر».

غمغم طارق بلهجة صادقة: «أشعر أنني مكبل ولا أعرف ماذا أفعل كي أساعدك أنت تعرفين أنني لا أملك إلا مرتبي.. حتى أملاك أمي.. أبي هو الوصي عليها».

ساد الصمت ليقطعه طارق: «وماذا عن جودت عابدين؟».

ردت نيللي: «عمي جودت أقرضني مبلغا كبيرا والآن ينظم الحملة الدعائية «بمستحقات مؤجلة الدفع إلى حين ميسرة».

زفر يقول: «اهدئي وتماسكي فأبي يريد تضيق الخناق عليك حتى تستسلمين».

تحركت في غرفتها بعصبية وأجابت: «هذا صحيح.. وأشك في أنه هو من طلب من الدائنين الضغط علي، لأن منهم من كان مستعدا لجدولة الديون ثم غير رأيه فجأة».

قال طارق يشعر بالعجز: «أنا أقسم لك أبحث بكل جهدي عن ثروت وعائلته وعلمت مؤخرا أنه عند أحد أقاربه في الجنوب لكني لم أحدد بعد في أي مدينة هو».

غمغمت بخفوت يائس: «أتمنى أن نجده سريعا وألا يكون والدك هو من يخفيه كما يخفي تلك الأدوية».

بعد قليل جلست على سريرها تدفن وجهها بين كفيها تشعر باليأس والإحباط والوحدة.. إلى متى ستظل عالقة في هذه المشكلة؟ وما نهايتها؟ رفعت شعرها الأسود متوسط الطول عن وجهها والتقطت الهاتف من جوارها وترددت قليلا ثم اتصلت به.

فعبس عصام وهو يتطلع في الهاتف وأسرع بالتقاطه والرد فهي عادة لا تتصل إنما تراسله على الواتساب ليقول بحشجة: «نعم نيللي».

جاءه صوتها مجهدا منهاكا تقول بخفوت: «كيف حالك؟».

كم هذا السؤال في حد ذاته لا إنساني وكم يعذب نفسه بهذا الجفاء وهذا البعد هكذا فكر وهو يعود بظهره للخلف ويرد عليها: «كيف حالك أنت؟».

قالت بانفعال: «لو كنت تريد أن تعرف.. لو كنت مهتما.. لو كنت تفكر في ولو للحظة لكنت اتصلت على الأقل مجرد اتصال لم يكن يكلفك شيئا».

اعتدل عصام متفاجئا بحالتها، بينما استمرت نيللي في

القول بالانفعال نفسه: «لا تخف أنا لست مراهرة إلى هذه الدرجة حتى أرسم أحلاما لنا من مجرد تواصل عبر الهاتف أو حتى بعض المقابلات.. ولن ألزمك بالارتباط بي ما لم ترغب في ذلك وترتجيني وتبذل من أجلي الغالي والنفيس لهذا وما دمت غير مهتم فلا تسأل عن أحوالي قل (ماذا تريدان؟ لماذا اتصلت؟) وتوقف عن المجاملات».

سألها بقلق يجاريها في حديثها: «لماذا اتصلت؟».

صاحت بعصبية: «اتصلت كي أخبرك بما قلته».

قالت وأغلقت الخط وانفجرت في البكاء تشعر بالخزي مما فعلت؛ لكنها في أسوأ حالاتها النفسية تشعر بالضعف واليأس والوحدة.

رن هاتفها بعد دقائق فمسحت دموعها والتقطته تقول بنبرة متماسكة: «آسفة يا عصام أنا محرجة مما فعلته قبل دقائق أنا...».

قاطعها قائلا وهو يشير لأحد التكاتك كي يوصله لآخر الشارع: «أخبريني أين أنت؟ أين عنوان بيتك؟».

سألته بتأثر: «هل ستأتي من أجلي حقا؟».

رد عصام: «أرسلني لي العنوان.. واستعدي كي تنزلي لي أريد أن أراك».

قالت شاعرة بالحرص: «ليس هناك داع لأن تتعب نفسك أنا..».

قاطعها قائلا: «أرسلني العنوان يا نيللي».

أغلق الخط ووضع نفسه في التوكتوك يجلد نفسه أن
أوصلها للمرحلة التي تعاتبه فيها هذا العتاب، وأن تستجدي
منه تواصلًا، وانخلع قلبه لحالتها فلم يتوقع أن تخفي خلف
شخصيتها القوية هذا الضعف والإحباط.. إنه نذل وجبان
تركها وحدها ولم يرهاها.

أما نيللي فشعرت بالخزي مما فعلته في لحظة ضعف
فأجهشت بالبكاء.

«أنت لن تتوقف عن إضحائي» قالتها مرام في الهاتف فرد
عليها أنس بعد أن سحب نفسًا من سيجارة بين أصابعه:
«أنت من تجبرين بخاطري وتضحكين على ما أقول».

«أنس».

ارتجف قلبه لندائها وغمغم: «نعم».

ترددت قليلا ثم قالت: «سأقول لك شيئًا لكن لا تفهمه أنني
أضغط عليك بشيء.. أنا فقط أريد أن أشاركك شعوري».

لاح الاهتمام على وجهه وقال: «تكلمي».

اعتدلت على السرير وهي تقول: «أنا أشعر بالاستياء لأنني
أتحدث معك دون علم أبي وأخي».

سحب نفسًا من السيجارة وأطلق دخانها مبتسما فأضافت

شارحة: «أقسم لك لا أقصد أي شيء؛ لكن أقول لو نخبرهم أننا نتعرف على بعضنا (وأضافت بسرعة) هذا لا يعني إلزامك بأي شيء أنا فقط لا أشعر بالراحة بل أشعر بذنب كبير».

قال بهدوء «كيف لا يلزمني بشيء؟! ما دمت أتواصل معك إذن أنا جاد فيما أفعل».

احمرت وجنتاها وعادت بظهرها للسري، بينما أضاف أنس وهو يطفئ السيجارة ويمنع نفسه من إشعال واحدة أخرى في محاولة منه للإقلاع عن هذه العادة بالتدريج: «عموما ربحي ضميرك ولا تشعري بالذنب أبوك وأخوك يعرفان أننا نتواصل».

شهقت ولطمت على وجهها تقول: «يا للمصيبة! يعرفان كيف حدث ذلك؟؟!!».

ضحك لولولتها تلك الضحكة التي باتت تزوره كل يوم بعد انقطاع سنوات طويلة وأجاب: «بالطبع أخبرتهما بنيتي في الارتباط بك، وطلبت منهما ألا يخبراك كي تكونين على راحتك ولا تشعرين بالالتزام تجاهي».

سألته: «بقا أخبرتهما بالضبط؟».

رد ببساطة: «أني أرغب في الارتباط بك».

غطت عينيها بكفها بحرج، بينما أسند أنس رأسه على ظهر السرير وأضاف بجدية: «ما رأيك؟ هل توافقين على الزواج من رجل مبتلى.. احترف الصبر ستكونين أنت جائزته؟ رجل

ليس بشاعر ولا بطل رواية من الروايات العاطفية التي تقرئونها، يصارع في الحياة كي يجد لنفسه طريقا ممهدا، وكل ما يملكه قلب عصي عليه ومتيم بحبك؟».

ترقرقت الدموع في عينيها وكشفت عن وجهها ترد بابتسامة سعيدة: «أوافق جدا».

ارتج قلبه من الفرح وغمغم: «جبر الله بخاطرك.. عموما من هنا حتى نعلن الخبر وحتى بعد إعلانه إن أردت التراجع في أي وقت أو شعرت أنك قد تسرعت في قرارك أخبريني دون أي تردد».

همت بقول شيء لكنه قال ليقطع عليها الطريق للمجادلة: «الأمر ببساطة أنني لو شعرت أنك غير سعيدة هذا سيقتلني، لذا تغيير رأيك أهون علي من بقائك معي على سبيل الواجب فترفقي بي واختاري الأهون علي».

أرادت طمأنته فقالت: «تمام أعدك».

سحب نفسا عميقا يستمتع بتلك اللحظات معها يستمع لصوتها ولثرثرتها ويبوح لها بمكنونات قلبه، والأمل ذلك الضيف الذي حل عليه مؤخرا يفتح شهيته للحياة ويزيد من ترقبه للقادم.

سألته: «فيم تفكر؟».

«أفكر في أمنيات لم أجرو يوما على تمنيتها».

«أنس».

«نعم يا قرنفة».

«قبل أن أسألك عن شيء أريد أن أعرف لماذا تدعوني بالقرنفة؟».

تنهد ثم أجاب « لأنك قرنفة زُرعتي في حديقة عمي ورويناك بمحبتنا وأوليناك رعايتنا وكبرت تحت أعيننا.. وأصبحت وردة العائلة.. ولأنك متميزة كتميز القرنفل بين الأزهار أنيق.. بسيط.. متواضع، ولأنك قرنفة اللون ولست وردية كبقية الفتيات فأنت أكثر أنوثة ورقة وتمتازين بدفء الأمومة».

سأله بتأثر: «أنا كل هذا؟!».

«أنت أكثر منه بكثير».

همست: «جبر الله بخاطرك».

فرد هامسا: «لقد جبر بخاطري والحمد لله».

خيم الصمت بينهما ومرام تحاول استيعاب هذا الكم من المشاعر فسألها أنس بعد برهة: «ماذا كنت ستسألين؟».

قالت بجدية: «سؤال صريح».

«تفضلي».

«هل بعد تجربتك المرهقة مع زينة سترفض إنجاب المزيد من الأولاد؟».

صمت قليلا ثم سألتها: «هل الإجابة ستفرق في قرارك

نحوي؟ فكري قبل أن تجيبي».

ردت بمقّة: «لا.. لكني أريد أن أعرف».

سألها: «وماذا لو قلت لك إنني لا أرغب في المزيد من الأولاد؟».

سقط قلبها في حجرها وشعرت بالإحباط الشديد لكنها أسرعّت بالقول تخفي ما تشعر به: «الحقيقة كنت أتمنى أن أحظى بأولاد لكن لو خيرت..».

«ماذا ستختارين؟».

كان يترقب إجابتها بلهفة فلم تبخل عليه وأجابت: «سأختارك أنت».

دغدغت إجابتها قلبه فقال: «صدقا تقولين؟ لكنك تريدين أولادا».

قالت بصدق تقاوم إحباطها: «سأكتفي بزيئة وربما استطعت إقناعك في المستقبل؛ لكني لا أستطيع أن أفرط فيك أبدا».

اتسعت ابتسامته سعيدا وقال: «عموما حتى لو كنت لا أرغب في المزيد من الأولاد فمن حَقك أن يكون لك طفل، لهذا لن أستطيع أن أمنعك مما تتمنيه».

اعتدلت على السرير تقول بلهفة: «هل هذا معناه أنك سترغب في إنجاب المزيد؟».

«الحقيقة رغم تجربتي الصعبة مع زينة؛ لكني أتمنى أن أنجب الكثير من الأولاد، فما بالك لو كنت أنت أهمهم».

هتفت بسعادة: «حقا! دعني أخبرك أنني أخطط لإنجاب أربعة».

«أربعة؟!».

«أجل أربعة.. بنتين وولدين وزينة ستكون خامستهم».

ابتسم لحماسها ثم قال بلهجة ذات مغزى: «أمم إن شاء الله؛ لكن كلهم ستربيهم أنت أنا فقط سأقوم بدوري في إنجابهم».

لم تنتبه لما يقصده بل أكملت بحماس: «اسمع أنا عندي تصور مبدئي لما سنغيره في شقتك فلن نتخلص من كل شيء مرة واحدة، سنشتري المهم أولا ثم نقوم بالإحلال والتبديل تباعا، ولا تقلق أنا سأتولى إدارة الأمور المالية معلما أفعل هنا في البيت».

اتسعت ابتسامته وسألها بلؤم ليستدرجها: «وما أول شيء علينا بشرائه في رأيك؟».

«أمم.. أعتقد غرفة النوم لا أذكر تفاصيل غرفة نومك؛ لكن أظن أن الخزانة صغيرة لن تساع لملابسي وملابسك».

سقطت في فخه بسهولة فقال بلهجة متسلية: «والسرير أيضا فهو صغير ولن يكون مريحا في تنفيذ ما نطمح إليه من خطط للمستقبل».

قالها وقضم لسانه يمنع نفسه من رغبة تلح عليه للتمادي

في الوقاحة، بينما اندفعت مرام تقول بالحماس نفسه: «لا بأس حتى لو لم نستطع شراء غرفة نوم جديدة نستطيع أن نبدل غرفة نومك بغرفة نومي إن خزانها أكبر وسريرها أكبر (وسكنت فجأة ثم سألته ببطء) أنس هل كنت تلمح لشيء قليل الأدب؟».

قهقه ضاحكا.. فأطربها صوت ضحكته التي لم تسمعها منذ زمن بعيد، ذكرتها به وقت أن كان يدرس بالجامعة؛ لكنها ورغم سعادتها منعت نفسها عن مشاركته الضحك تصنعت العبوس تقول: «أنس!».

استمر في الضحك فقالت بحنق: «وأنا التي كنت أطرح عليك أفكارى الألمعية لاكتشف أنك.. أنك.. أنس!».

غمغم وهو ينفذ فتحة رقبة المنامة عن جسده المتعطش الذي اشتعلت فيه النار: «يا إلهي الجو أصبح حارا».

احمر وجهها وقالت تتصنع العبوس: «غالبا هذا الكلام أيضا يحمل تلميحا غير مؤدب».

رد عليها من وسط ضحكاته: «غالبا نعم».

«أنس!».

قالتها باعتراض ناعم مدغدغ للأعصاب فقال: «بـ(أنس) هذه أنت تزيدين الأمر سوءا اذهبي يا مرام اذهبي الآن يكفي هذا القدر من الكوليسترول فمع الحرارة العالية قد يؤدي لكوارث تصبحين على خير».

«أنس».

رد مستغيثا: «نعام».

«أنا سعيدة لأنك تضحك وكأنني أنا من يضحك».

صمت لبرهة ثم رد بتأثر: «أنت الضحكة نفسها.. أنت بهجة القلب التي ستعينني على تحمل مصاعب الحياة أنت.. الفنّى والمرام يا مرامي».

قالها بصوت متهدج جعلها تترك الهاتف وتدفن وجهها بين كفيها لا تصدق هذا الكم من المشاعر.

راقبها وهي تخرج من بوابة بناية أنيقة في منطقة سكنية للطبقة العرية، كانت ترتدي بنطالا رياضيا تحت بلوزة طويلة وحجاب قصير وفي قدميها حذاء رياضي خفيف باللون الأبيض، فكانت أشبه بنيللي التي قضى معها أيام وليال لا تنسى في بيتهم، اقترب كي يقابلها وقلبه وعيناه تقبلان كل إنش فيها باعتذار غير منطوق، ولم يخف عليه عينيها المتورمتين من البكاء ووجها الخالي من مساحيق الزينة.. فقال بخفوت: «كيف حالك؟».

تمنت نيللي بشدة لو يقابلها بحضن، رغم صعوبة الأمنية واستحالتها في تلك اللحظة كانت نفسها الضعيفة تتوق بشدة لحضن تفرغ فيه على صدره أنهارا من الدموع هكذا كانت حالتها العاطفية والنفسية؛ لكنها اكتفت بهز رأسها

فسألها: «هل تريد أن نتمشى أم نجلس في مكان؟».

غمغمت وهي تحضن نفسها: «كما تريد».

مد ذراعه ليشير لتاكسي لكنها قالت: «لماذا لا نذهب بسيارتني؟».

توجست من كبريائه اللعين الذي يقف دائما حائلا بينهما؛ لكنه فاجأها حينما فتح لها كفه كي تعطيه مفاتيح السيارة، فوضعتها في يده ليتوجه عصام لسيارتها المرابطة على بعد أمتار ويفتح لها الباب كي تركب.

بعد دقائق كانت نيللي تغوص في المقعد تسند برأسها للخلف وتراقبه من تحت جفنيها المسبلين وهو يقود سيارتها صامتا، وتمنت لو يظل حتى الصباح يقود بها في الشوارع الهادئة.. فقط هو وهي.

قطع الصمت يسألها: «ماذا حدث لم أنت بهذه الحالة؟».

«ألا تعرف؟!».

قالتا بلهجة عاتبة خافتة فرد بسخرية دون أن ينظر إليها: «يا نيللي لو كل فتاة أحببت وغدا مثلي اكتأبت لن تبقى فتاة سعيدة على هذه الأرض».

قالت بلهجة متألمة: «ولديك شهية للمزاح!!».

صمت عصام وطحن ضروسه من الألم ولم يرد، فهمست بخفوت متألم طعنه في صميم قلبه المتورم من العذاب: «أكثر علي؟!».

أوقف السيارة فجأة في ذلك الطريق الهادئ واستدار إليها قائلاً بانفعال: «بل كثير علي أنا..فوق قدرتي..أتحسبيني لا أتعذب؟ لا أشتاق؟ لا أغار؟ أتحسبين أن حياتي عادت كما كانت أو شبه ما كانت؟ أعتقدين أنني أنام قرير العين وأنت بعيدة ووحيدة.. خاصة بعدما علمت ظروف الشركة التي تديرينها ومشاكلك الشخصية؟ أعتقدين أنني لا أشعر بالعجز وقلة الحيلة وأنا غير قادر على مساعدتك؟».

هتفت نيللي بانفعال: «أنا لم أطلب منك أن تجد حلولاً لمشاكلي أنا..».

قاطعها بالانفعال نفسه ومقلتاه تتجولان فوق صفحة وجهها: «وماذا بعد يا نيللي؟ ماذا بعد أن أخبرك بمشاعري؟ ماذا بعد كلمة (أحبك) و (يقتلني شوقي إليك) و(أدفع عمري كله مقابل دقيقة أضمك فيها) ماذا بعدها؟ ماذا بعد كلمات الحب؟ أنا وأنت لسنا بطلي قصة سندريلا، فحتى أكثر الروايات عاطفية وخيال لم يكن فيها الرجل بسيط الحال والفتاة ميسورة الحال، أتعرفين ماذا سيقولون عنا؟ أو عني أنا بالتحديد؟ طامع في مالها».

صاحت باستنكار: «أين هذا المال؟؟!!».

ضرب على المقود بيده اليسرى بينما ذراعه الأيمن لا يزال خلف ظهر مقعدها وهو يقول بانفعال « الناس لا تلتفت للتفاصيل.. سيقولون طامع فيها وفي مالها لن يهتم مشاعري وحبّي لك فقط، سيحكمون عليّ من بعيد الشاب

الذي استطاع أن يوقع سيدة الأعمال في شباكه وكل نجاح
سأحققه سينسبون الفضل فيه لأموالك وعلاقاتك».

ترقرقت الدموع في عينيها وقالت باتهام: «كبرياؤك أهم
مني».

رد عليها بثبات: «بل أنت ومصلحتك أهم من كبريائي
(وأضاف بلهجة متألمة نضحت بها ملامحه) ماذا بيدي كي
أقدمه لك؟ هل لو أخبرتك بمشاعري وبما يجيش في صدري
ويعذبني وطلبت منك الزواج في شقة إيجار في حي بسيط
وأثاث أبسط ستقبلين؟».

أجابت بثقة: «سأقبل».

قال بلهجة قاطعة: «وأنا لن أقبل هذا لك».

أحست بالإهانة فقالت باقتضاب وهي تشيح بوجهها نحو
النافذة: «تمام.. أعدني للبيت».

لم يستطع تحمل عذابه ولا غضبها منه ولا أن يكون سببا
في جرحها، ولم يستطع أيضا تحمل تلك المشاعر التي تزين
له أن حضنا واحدا يسحقها فيه بين ذراعيه فيروي شوقه
إليها ويواسيها لن يضير، لم يتحمل فصاح منفجرا بغضب:
«لماذا لا تفهميني؟!».

ردت عليه بكبرياء زائف وهي مستمرة في الإشاحة بوجهها
عنه: «لا أريد أن أفهمك أريد أن أعود إلى بيتي.. أعدني
للبيت».

ظل يناظرها والشرر يتطاير من عينيه ثم استدار يشغل السيارة وهو يطحن ضروسه ويقود في صمت يحاول أن يهدئ من انفعاله، وأن يستمتع برفقتها الصامتة وعطرها الأنثوي الذي يحاصر حواسه يدغدغها ويداعبها ويستفزها ويصعب عليه مهمته.

بعد قليل قطع الصمت يقول وهو يتطلع في الطريق أمامه: «ومن هذا اللزج الذي يدعى رامي؟!».

عبست وأدارت وجهها إليه تسأله باندعاش: «ما به؟ إنه مدير مكتي».

رد بقرف دون أن ينظر إليها: «مائع.. ولزج إلى حد مستفز لماذا تتركينه يهمس لك في أذنك؟ وتميلين عليه ويميل عليك، نظما عملكما قبل حضور الاجتماع حتى لا تضطرا لهذا الهمس المتبادل».

اتسعت عيناها واستفزها ما قاله فصاحت فيه باستنكار: «مالك أنت بهذا الأمر؟! بأي صفة تملي علي ما أفعل؟! خطيبي؟! زوجي؟! (وأضافت بكبرياء) هذا إن كان لك الحق من الأساس في فعل ذلك حتى لو كان لك صفة».

ناظرها بغيظ فوجدها تناظره بغيظ مماثل ليعود وينظر إلى الطريق وهو يطحن ضروسه قائلا بلهجة متوعدة: «تمام أتمنى من الله أن يحقق أمنيته ويكون لي صفة يا نيللي، وقتها سنرى إن كان لي الحق أم لا.. ووقتها سأمنعك أيضا من تلك البناتيل الضيقة التي ترتدينها».

ظلت تناظره بعينين تطلقان الشرر رغم أن قلبها المراهق
كان سعيدا بغيرته، فواجهها بنظراته الغاضبة بتحد مماثل
جعلها تشيح بوجهها نحو النافذة بكبرياء.

خيم الصمت من جديد فضغط على مشغل الموسيقى على
آخر أغنية كانت تسمعها، ليغرد صوت المطربة أنغام بأغنية لم
يسمعها من قبل ثم خمن أنها أغنية قديمة من التراث.

قد ما أحبك زعلان منك

وليه ترضى بُعدي أنا عنك

اتسعت عينا نيللي وأسرعت بمد يدها لإغلاق الأغنية؛ لكنه
أبعد يدها بسرعة.. عادت لإغلاقها فمنعها بتحدٍ وابتسامة
مسلية تشق وجهه الحزين.

اسمح بقى.. وتعا أما أقول لك

إن ما كان دة يكون..

خلينا منك.

أصرت نيللي على إغلاق الأغنية فقبض على كفها بكفه يريد
أن يشبك أصابعه في أصابعها، لكنها أبعدت يدها برفض ليضع
هو يده على مشغل الموسيقى يمنعها من إغلاقه ثم تغضنت
ملامحه وهو يسمع كلماتها وقد طار التسلي ليحل محله
الآلم.

جرحني لخطك وهجرني قلبك

ماكانش أمني الله يسامحك

إن ما كان دة يكون

خلينا منك.

أحست نيللي بالضعف وجرح الكرامة فالأغنية تفضح كل مشاعرها.. ولم تستطع تحمل اللحظة المشحونة بكل المشاعر المتناقضة ومالت تدفن وجهها في كفيها تبكي..فانزعج عصام وأسرع بإغلاق الأغنية ثم ركن السيارة إلى جانب الطريق وفك حزام المقعد ومال نحوها يفرد ذراعه خلف مقعدها هامسا بترج والألم يعتصر قلبه: «نيللي أرجوك لا تفعلي هذا بي».

استنكرت الحالة المزرية التي وصلت إليها فمسحت دموعها وأشاحت بوجهها في خزي متممة: «لا تؤاخذني أنا مضغوطة جدا وغالبا أصب عليك مشاكلي الأخرى».

لم يتحرك من جلسته المائلة عليها التي لا تفصل بينه وبينها إلا بضع إنشات يسألها: «هل من جديد بشأن الشركة؟».

ردت دون أن تنظر إليه: «لا جديد أحاول جدولة الديون؛ لكنها كبيرة وقد أدخل السجن قريبا».

ارتج قلبه في صدره واتسعت عيناه بصدمة وهو يتخيلها خلف القضبان وزاد شعوره بالعجز، بينما أدارت وجهها تنظر إليه وتقول مؤكدة: «لماذا تنظر إلي هكذا؟ هذا الأمر وارد».

سألها وقد ازداد خوفه عليها: «لماذا لا تبيعين الشركة

وتتخلصين من هذه المسؤولية الكبيرة؟».

ردت باختناق: «بعيدا عن أن البيع لن يفيد بشيء أمام الديون الكبيرة لن أستطيع أن أفعلها فهذا حلم والدي».

حاول تهدئة نفسه مستبعدا أن يتطور الأمر لدخولها السجن، حاول تهدئة نفسه فلو ترك للفكرة الفرصة للتصديق لجن وطار عقله ولم يكن في يديه سوى دعمها وتشجيعها، فقال بلهجة صادقة وعيناه ترسمان ملامحها من هذا القرب: «أتعلمين ما أكثر شيء يعجبني فيك؟ أنك شجاعة.. لم أر فتاة في مثل شجاعتك ما مررت به يا نيللي لا تتحملة كثير من البنات، وما تعرضت له يهز رجالا لكنك كنت صامدة حتى حينما اضطررت الظروف للبقاء في بيت غريب كنت قوية ومتماسكة».

كلامه رفع قليلا من روحها المعنوية فأضاف عصام بلهجة عاشقة: «أنا فخور بك.. وفخور بقلبي أنه لم يقع إلا لفتاة ليس لها شبيهة بين البنات».

غمغمت تشكو إليه مخاوفها بشكل غير مباشر: «عموما أبشر.. ستتخلص مني إن دخلت السجن».

سألها بحشجة: «موضوع السجن هذا حقيقي؟».

طالعت بجانب عينيها وجهه القريب ثم ردت بجدية: «هذا وارد.. فأنا لا أعرف ما ستؤول إليه الأمور في الشركة أو مع عمي».

طحن ضروسه وقال بلهجة متوعدة: «اتركي هذا الرجل علي سأضربه علة ساخنة ولن يهمني كبر سنه حتى يحترم نفسه ويكف عن أذيتك».

أسرعت بالقول: «عصام لا تتدخل أرجوك ولا تزج بنفسك في المشاكل.. أنت بدأت حياتك العملية للتو».

قال بإصرار وهو يعتدل في مقعده وينظر أمامه شاردا: «صدقيني هذا هو الحل.. أضربه هو وابنه وأزيحهم عن طريقك وأدخل أنا السجن بدلا منك».

قالت بترج: «لا تتدخل.. أقسمت عليك ألا تتدخل وتزج بنفسك في المشاكل، خاصة أن تدخلك لن يحل شيئا كما أن طارق ابن عمي في صفي الآن ويساعدني».

عبس وناظرها يقول باستنكار: «الذي كان يرغب في الزواج منك؟!».

ردت موضحة: «لقد انتهى هذا الأمر.. فقد كانت رغبة عمي وليست رغبته».

قال بالاستنكار نفسه وقد نهشت الغيرة قلبه: «ربما يفعل ذلك كي يكسب ثقتك.. لا تأمني له».

ردت بحقة: «لا تقلق فأنا متأكدة من هذا الأمر».

لوى شفتيه وعاد ينظر أمامه باستياء فسألته: «هل لو سجنتم ستتزوج؟».

صمت قليلا ثم عاد ينظر إليها ورد ببساطة: «بالطبع

سأفعل».

إجابته سددت طعنات لقلبها وكبريائها وكرامتها فناظرته
بصدمة ليقول عصام بهدوء: «لا تنظري إلي هكذا».

قالت بلهجة تقطر ألما: «أنت غير قادر حتى على الكذب
علي.. على سبيل المجاملة!».

هز كتفيه ورد بهدوء: «ولماذا أكذب؟! (ومال عليها يقرب
وجهه من وجهها قائلاً بنظرات تشتعل كأنفاسه العطرة
بالعشق) لو كان هذا قدرنا سأعقد عليك وأنت بالداخل
وأنتظرك مهما طال الوقت؛ لكنني من الآن فصاعدا سأدعو الله
كل لحظة ألا يأتي يوم كهذا، سأدعوه أن يرأف بك وبي.. ولو
خُيرت بين فراقنا وأن تكوني خارج أسوار السجن سأختار
حريتك، ولو خُيرت أن أدخل أنا السجن بدلا منك لفعلتها من
أجلك بشرط أن تعيشي سعيدة.. قوية.. متماسكة».

كانت كلماته تحلق بها فوق السحاب وكانت حاجتها لذلك
الحضن من ذراعيه القويين تزداد، وكان ضغط مشاعرها أكبر
فمالت برأسها تدفن وجهها بين كفيها وتقول باعتراف: «أنا
تعبت يا عصام».

ازدادت سرعة أنفاسه وهو يصارع مشاعره تجاهها ورغبته
في أن يحميها في أن يخفيها بين ذراعيه عن العالم، وذلك
الشعور الذكوري بداخله بفرض الحماية عليها يصارعه بقوة،
فراودته نفسه لطبع قبلة فوق رأسها المائل الذي يكاد يلمس
صدره؛ لكنه تقبض بقوة وقال لها مشجعا: «أتعلمين.. كان

أبي يخبرني دوماً حينما أشعر باليأس أن المؤمن يُبتلى بقدر إيمانه وبقدر قدرته على التحمل وأنتِ ولدت كي تكوني مميزة وعظيمة (وصمت لعوان ثم أضاف) أنا ليس عندي شك في حسن إدارتك للأزمة رغم شعوي الطبيعي بالقلق عليك.

رفعت وجهها إليه تناظره بامتنان فأضاف باستدراك: «بل أنا قلق عليك أكثر من الطبيعي حقيقة؛ لكن بداخلي ثقة كبيرة بالله وثقة بك أنك لن تستسلمي أو تخذليني أو تخذلي والدك».

قالت بسرعة: «والدي ليس كما حاول عمي أن يوهمني صحيح ليس عندي حتى الآن ما يثبت براءته لكني أؤكد لك..».

قاطعها قائلاً بلهجة مطمئنة: «حتى لو كان كذلك لا يحاكم المرء بجرم أبيه، ولا يهمني إن كان بريئاً أو جانياً».

قالت بإصرار: «لكن أنا يهمني صورته أمامك وكنت أتمنى أن يكون أبي لا يزال حياً كي أقدمك له».

سألها: «ماذا تتوقعين أن يكون رد فعله إن ذهبت بظروفي الحالية له كي أخطبك منه؟».

أجابته بعقّة: «بالتأكيد أبي يريد مصلحتي؛ لكني كنت سأقنعه كنت سأفعل كل شيء كي أقنعه بك».

صمت عصام ولم يعقب بل ظل ينهل من لحظات القرب، يتأملها يقبل وجهها بعينيه يرسم ملامحها بمقلتيه يغرق في

عطرها، ويتمتع بأسر حضورها الأنثوي المهيمن عليه، بينما أضافت نيللي: «أبي كان رجلا عصاميا بدأ من الصفر ويقدر جدا الكفاح في الحياة وأنا أكيدة أنه كان سيقدرك».

قال بلهجة صادقة: «من يربي فتاة (بنت رجال) مثلك بالتأكد رجل صالح».

احمرت وجنتاها وأخفضت نظراتها تهرب من نظراته القوية التي تحطم دفاعاتها فلاحظت الطوق الجلدي الذي يلبسه بجوار الساعة في يده التي يقبضها فوق ركبته بقوة يمنعها من التصرف بحرية كما يتمنى، فمدت يدها تلمس بأصابعها الطوق وقالت بخفوت: «لا تتصور قدر فرحتي حينما لمحته في معصمك في الاجتماع».

ارتجف جسده للمستها لكنه لم يسحب أنظاره عن وجهها وهو يقول بحشجة: «أنا وعدتك أن ألفه حول قلبي ورغم غضبي لم أستطع أن أخلف الوعد».

قالت بلهجة عاتبة: «حينما جئتك ذلك اليوم بالبيت لم تكن ترتديه وكم أحزنني وجرحني ذلك».

احمر وجهه من الحرج ورد: «كنت أخفيه في جيبى فقلبك هذا الذي ينبض في صدري.. لم يسمح لي بالتخلص منه».

تعانقت نظراتهما وأنفاسهما فأحس عصام بالشفقة عليها وهو يرى الأمل يلمع في عينيها بسبب اعترافه بمشاعره، واتهم نفسه بالندالة وأنه يبيعها الوهم وهو قليل الحيلة خالي اليدين، ومزقته الحيرة فأخفض أنظاره نحو يدها التي لا

تزال تلمس الطوق وسحب ذراعه من خلف المقعد ثم التقط كفها وحضنه بين يديه، ورفع له ليقبله قبلة بطيئة جعلت قلب نيللي يجن في صدرها ثم رفع أنظاره إليها وتأمل وجهها لعوان يقبله بنظراته قبل أن يقول: «يا نيللي شرف الدين.. أنا أحبك بكل نبضة تصدر من ذلك القلب الذي في صدري وتملكينه أحبك؛ لكن الطريق إليك صعب وطويل ولا يعني هذا أنني سأستسلم، سأفعل كل شيء كي أقلل الفارق بيننا؛ لكنني لن أستطيع أن أتصرف معك بأريحية، ولا أن أظهر معك في الأماكن العامة أنت غالية بالنسبة لي وما لا أرضاه على مرام لا أرضاه لك».

لاحت الصدمة على وجهها وطردت ذلك القدر من السعادة التي أحست بها الدقائق الماضية ليضيف عصام بلهجة متألمة: «أنا أحاول.. أقسم لك أحاول وأجتهد حتى أنني لا أنام بما يكفي منذ فترة، ما بين العمل في الشركة والعمل الحر في تصاميم مطلوبة مني ودراسة بدأت فيها لتزيد من مهاراتي، كلها أفعلها في وقت واحد كي أحقق ما يليق بك».

تغضنت ملامحها بالألم فأضاف بلهجة معذبة: «والله أنا لست جاحدا ولا جافا ولا نذلا ولا أتلذذ بإيذائك ولا أقوى على هجرك، حاولت لن أنكر حاولت أن أمضي في طريقي بعيدا عنك؛ لكنني اكتشفت أن قلبي في يدك وأنت لن تسمح لي بالرحيل، فرضخت لسلطانكما رغم ذلك اليأس الذي يتملكني وذلك العذاب الذي أعيشه وحدي».

حاولت سحب يدها فتمسك بها يقول باللهجة المعذبة

نفسها: «أخاف من وعود لا أستطيع الوفاء بها وأخاف من أن أظلمك معي، وفي الوقت نفسه لا أقوى على فراقك ولا أتحمل أن أراك مع رجل غيري.. وأموت كل ليلة ألف مرة من شوقي ولهفتي وغيرتي عليك.. هذا هو حالي اليائس معك فهل تملكين حلا لهذه العلاقة المعقدة؟!».

أحبطها كلامه وآلمها يأسه وعجزه وغلبها الحزن فسحبت يدها من يده ولم تعقب بل أشاحت بوجهها نحو النافذة تكتم البكاء والحيرة تمزقها، أعليها أن تتخلى عن حبها له وتبتعد عن طريقه كي تخلصه من عذابه والضغط عليه أم تتمسك به وتصبر؟!

غمغم عصام بلهجة مشفقة معترفا أنه كان قاسيا بالتفوه بالحقيقة في وجهها: «آسف.. كنت أتمنى أن أخبرك بعبارات رومانسية أنت تستحقينها دون شرح الوضع المعقد بيننا؛ لكنني لست قادرا على أن أبيع لك الوهم».

استمرت في الإشاحة بوجهها دون أن تنطق بشيء فنكس رأسه واعتدل في مقعده وربط الحزام.. ثم قاد السيارة بصمت كئيب على قلبيهما.

بعد قليل توقف أمام البناية التي تسكن فيها واستدار نحوها يتأمل بشفقة جسدها المتكور على المقعد، تتطلع في النافذة بصمت قبل أن تستوعب أنهما قد وصلا فاعتدلت وخرجت من السيارة دون أن تنطق بشيء، ترجل عصام من السيارة وأغلقها ثم اقترب من ظهرها الذي توليه إليه فمد

يده لها بالمفاتيح التي أخذتها منه وهمست بحشرجة دون أن تنظر إليه: «تصبح على خير».

وقف يتأمل ابتعادها حتى دخلت المصعد وأغلقت بابه، فتغضنت ملامحه وأطرق برأسه والألم يعتصر قلبه ثم رفع عينين تلمعان بالدموع للسماء يغمغم: «إن كان وجودي في حياتها خيرا لها فيسر لنا الطريق، وإن كنت شرا وعذابا لها فانزعني من قلبها وارحمني وارحمها من هذا الشقاء».

حين عاد لشقة أنس دخل بهدوء وألقى بجسده يأنهاك فوق أريكة الصالة التي ينام عليها وهو يشعر وكأنه عائد من معركة مشاعر، كان لحظتها يكره نفسه ويعذبه القلق والشفقة عليها فحاول الاتصال بها ليطمئن أنها بخير في الوقت نفسه الذي كانت فيه نيللي متفوقة على جنبها فوق سريرها لم تبدل حتى ملابسها، فسمعت النغمة الخاصة به لكنها لم ترد، كانت مكتئبة.. محبطة يائسة.. غارقة في قاع محيط من المشاعر السوداء.

جاءها صوت رسالة فرفعت يدها ببطء والتقطت الهاتف لتجده قد كتب لها: «أنا أعرف أنني أحزنك بكلامي بدل من أن أسعدك؛ لكن أقسم لك ليس بيدي شيء.. وأقسم لك ألف مرة أنني أحبك وأني أفديك بروحي يا نيللي».

تركت الهاتف وأغمضت عينيها فجاءتها رسالة أخرى وعادت لتلتقط الهاتف : «لك الآن مطلق الحرية فيما تقررين بشأن علاقتنا، فأنا معذب في الحالتين في قربك وفي بعدك، لذا

قرري ما سيكون في مصلحتك وأنا أعدك باحترام قرارك».

حين تأكد عصام من أنها قد قرأت رسائله دون أن يأتيه رد ضرب قبضته في الوسادة ثم مال يسند رأسه بين يديه بينما أغلقت نيللي الهاتف وأدارت ظهرها وعادت للتقوقع من جديد في قاع المحيط المظلم.

صباح اليوم التالي

تممت على حجابها وعلى ملابسها باهتمام أكبر مما تفعل عادة.. وراودها ذلك السؤال الذي ينتابها كلما تعلق الأمر بشاب.. هل تحتاج لأن تنقص من وزنها؟ وهل ستخوض من أجل أنس حربا أخرى مع الحميات الغذائية التي تكرهها؟ تطلعت إلى جسدها في تلك التنورة الطويلة السوداء والسترة الرملية وتذكرت كلمات نيللي أن لديها تقاسيم أنثوية مغرية وأن شكل جسدها ليس بدينا أو منفرا؛ لكن طبيعة بنيتها الجسدية خلقت بهذه المواصفات فجسدها كجسد والدتها الراحلة، ومع هذا مزقتها الحيرة تارة تحب نفسها وتتقبل شكلها وتارة أخرى تشعر بالإحباط، ومع أنس بالذات تريد أن تكون له (العوض) لما حرم منه، وأن تمنحه الكثير.. الكثير جدا دون مقابل سألتها نيللي من قبل كيف تصنف مشاعرها نحوه، فكانت إجابتها أنها لا تعرف سوى أنها سعيدة وتتلهف وتترقب كل حركة وايماءة وهمسة منه ليأتيها رد نيللي بعبارة لن تنسها أبدا: «الحب كامن ومحفوظ هو من أيقظه».

خرجت من شرودها تتطلع في بطنها المنتفخ بشكل غريب، هل برز لها كرش خلال هذه الفترة القصيرة! فقد كانت نيللي تخبرها أن من مميزات جمال جسدها أن لديها خصرًا جميلًا رغم امتلاء ذراعيها وصدرها؛ لكن شكل بطنها أضحى غريبًا جدًا وفي وقت قصير، حاولت تجاهل الأمر رغم شعورها بالضيق، وقررت أن تمارس أي نوع من الرياضة لتعيد بطنها المنتفخ هذا كما كان، حين خرجت من غرفتها وقفت في الصالة شاردة تنتظر عصام الذي صعد منذ قليل ليبدل ملابسه استعدادًا للذهاب للعمل، وقفت شاردة تسترجع تفاصيل مكالمة أمس وشعور بالطفو بدأ يتسلل إليها مع إحساس عالٍ بأنوثتها لم تشعر به من قبل، رغم أن حديث أمس كان أغلبه ضحك على أسلوب أنس الساخر؛ لكنها سعيدة أن استطاعت أن تخترق ذلك الحاجز الساخر لديه، لترى كل شيء على حقيقته وتسمع منه أجمل عبارات الحب.

الأمر أشبه بقوة خارقة أو ميزة تمتلكها لم تكن تعلم بوجودها من قبل.. فأن تكون مميزًا عند أحدهم لهو أمر رائع، خاصة حينما يكون هذا الشخص استثنائيًا وسيما رجوليًا، وذا جاذبية قوية هكذا اعترفت، ربما لم تسمح لنفسها بهذا الاعتراف من قبل؛ لكن بمجرد أن شمع لها بالنظر إليه كرجل وكأن حجابًا قد تمزق لتكتشف خلفه عالما ساحرا.. غريبة هي النفس البشرية أحيانا تقيم عوائق غير مرئية لتحميننا من وجع وألم محقق هذا ما يمكن أن تفسر به حكايتها مع أنس.

«الحب كامن ومحفوظ هو من أيقظه».

ارتسمت ابتسامة بلهاء على وجهها عند ذكر اسمه في سرها
وعادت لشرودها تستعيد تفاصيل حديث الأمس.

في الطابق السادس قال أنس لابنته: «هيا زوز تأخرنا».
قالت الأخيرة وهي ترتدي حذاءها: «حالا اضرر».
شاكسها بمزاج رائع: «لم تتذمري من تصفيقي لشعرك اليوم
يبدو أنه قد أعجبك».

تنهدت زينة وردت: «يئست منك».
عبس وقال بغیظ: «ما بك تقولينها وكأنني أعذبك».
غمغمت ساخرة: «استغفر الله لا تقول هذا على نفسك».
مط شففيه يناظرها بامتعاض ثم قال وهو يميل عليها:
«لنكمل مسلسل تعذيبك إذن».

وعضاها في خدها فصاحت باعتراض: «أبيييي!».
تركها ووقف يتطلع اليها بتسلٍ فمسحت خدها وقالت
مدققة فيه: «تبدو سعيداً اليوم هل حدث شيء؟».
غمغم ساخراً: «أ لهذه الدرجة أنا بائس وسعادتي تحتاج
لتوضيح سببها وليس العكس».

بعد دقائق كان عصام يخرج من شقته واجماً بائساً لا يطيق
حتى نفسه، إنه لم ينم دقيقة واحدة طوال الليل، يتملكه
الخوف من أن تقرر نيللي إنهاء علاقتهما نعم كان يحاول

الابتعاد عنها كان يحاول تجاهلها أو نسيانها.. ونعم الطريق إليها صعب وطويل ووعر ويعرف إن قدر لهما بالارتباط سيقولون عنه ما لن يعجبه وسينسبون لها الفضل في كل شيء سيحققه؛ لكنه غير قادر على فراقها، لقد وصل للحد الذي لم يعد هناك فرصة للتراجع، إنه عالق في المنتصف لا هو قادر على الاقتراب أو البعاد.

أغلق أنس باب شقته يستعد لإيصال ابنته لمدرستها ورفع أنظاره يتطلع في ابن عمه الذي نزل واجما وراقبه يمر من أمامهما في صمت فبادره بالقول: «صباح الوجوه العكرة».

لم يرد عليه عصام إنما استمر في طريقه نزولا ثم ظهرت مرام فرفع أنس أنظاره نحوها وتقافز قلبه في صدره مهللا وهو يقول: «صباح القرنفل».

احمرت وجنتاها وهي تنزل متبخرة دون تعمد، وعيناها على زينة التي هتفت بسعادة: «مرآااامي».

اقتربت مرام ومالت تقبل زينة وهي تقول بمناغشة: «عيني مرام وقلب مرام».

تفحصتها عينا أنس لثوان وحاول أن يمنع نظراته من الخروج عن الإطار اللائق ثم قال متنحنحا وهو يتقدمهما على السلم: «هيا سنتأخر».

أمسكت مرام بيد زينة ونزلت وعيناها مثبتتان على الرجل الذي يتقدمهما وهي تتأكد من زينة أنها قد وضعت السندوتشات التي أرسلتها لها مساء أمس في حقيبتها.

رفعت زينة إليها أنظارها تقول: «أنت أيضا سعيدة اليوم مرامي ماذا حدث لك أنت وأبي؟».

أدار أنس وجهه يخطف النظرات نحو مرام التي ازداد احمرار وجهها وزينت شفتيها ابتسامة خجلة وهي تسبل أهدابها حتى لا تواجه عينيه ثم عاد ينظر أمامه قائلا: «ادع لنا يا زينة أن نبقى مبتسمين وألا يعود إلينا الحزن مرة أخرى».

قالت الصغيرة وهي تخرج خلف والدها من بوابة البناية: «أنا سعيدة لأنكما سعداء.. ليت عصام هو الآخر يكون كذلك لكنه يبدو بائسا».

نظر أنس لابن عمه الذي يتفحص هاتفه واجما في انتظار نزول مرام وقال بلهجة ساخرة: «إنه حاليا في مرحلة (مشيت على الأشواك) يا ابنتي والمحظوظ فقط هو من ينجو من هذه المرحلة ويقابل القرنفل».

قال عبارته الأخيرة وهو يتطلع في مرام فهب عصام يقول بمزاج عكر: «هيا يا مرام سأتأخر عن عملي».

قال أنس يشاكسه: «ما رأيك يا (أبيه) أن تتركني أنا أوصل زينة للمدرسة ثم أوصل مرام لعملها حتى لا تتأخر أنت عن عملك؟».

ازداد اشتعال وجه مرام ليأتي رد عصام كدلو بارد فوق رأسها حينما تطلع في ابن عمه بنظرات شرسة وقال لأخته

بأنفعال: «هيا يا مرااa

بعد العصر

للسعادة تأثير خارق على النفس وكأنها لا ترفع فقط المناعة ضد الأمراض وبل ترفع المناعة أيضا ضد تأثير تعقيدات الحياة وأهم مميزاتا أنها تمنح الأمل مهما كانت التحديات صعبة.. السعادة تربت على النفس والأمل يشجعها للمواصلة.

هكذا كان يفكر أنس وهو عائد من الصيدلية ليستعد للدرس الخاص لقد تفاجأ بمراد يزوره ظهر اليوم في الصيدلية ومعه عشرة طلبة اثنان منهم هما أمير وماجد اللذين كانا يرغبان في الانضمام إليه، بالإضافة للستة الذين حضروا الحصة الماضية كنوع من الفضول ومعهم اثنان آخران وكلهم يرغبون في أن يدرس لهم ومستعدين لدفع المبالغ نفسها التي يدفعونها للمدرس السابق وطالبوه أن يدرس لهم باقي المواد العلمية إن كان هذا مناسبا له، والحقيقة أن الأمر فاجأه ووجدها فكرة لم يفكر فيها من قبل لماذا لا يقدم دروسا خاصة لطلبة الثانوية العامة؟ إنه يعشق التدريس وحلمه من الأساس أن يكون أستاذا بالجامعة فلماذا لا يقوم بالتدريس لطلبة الثانوية العامة بجانب عمله في الصيدلية؟ خاصة أنه ليس مغرما بالعمل في شركات الأدوية إنما هي وظيفة يعتبرها مؤقتة حتى يكسب القضية التي يرفعها ضد الجامعة، بالإضافة لأمر مهم جدا بالنسبة إليه أمر كان يشغله

منذ أن تقرب من مراد وباسم وعالم المراهقين أن أخذ عهدا على نفسه بأن يخترق عالمهما ويقوم بدور المرشد لهما فلماذا لا يوسع الدائرة؟ لماذا لا يحتك بعدد أكبر منهم ويحاول النفاذ لعالمهم ربما وجد طريقة لتوجيه ذلك الجيل التائه من وجهة نظره، لماذا لا يفعلها من أجل ضميره الإنساني الذي يشعره بمسئولية كل شاب من جيله والأجيال الأقدم منه لرعاية النشء الذي سيقود الحياة فيما بعد.

لكنه ولأنه أنس الذي كان دوما يرفض استغلال المدرسين ويشفق كأب على أولياء الأمور من أسعار الدروس الخصوصية قرر أن يفعلها بطريقة الخاصة فيستفيد ماديا دون أن يخالف ذلك بمبادئه، وفي الوقت نفسه يحقق حلمه مع المراهقين فطلب منهم مبلغا يعد نصف ما يأخذه أقل مدرس خاص للمادة.

ابتسم شاردا وهو يدخل الشارع الذي يسكن فيه وقد تذكر علامات البلاهة التي علت وجوه أصدقاء مراد حينما ذكر لهم المبلغ، حتى إن مراد حاول أن يهمس له كي يراجع نفسه لكنه أصر على المبلغ الذي طلبه أمام عيني الشباب الذاهلة.

حسبها في رأسه لو زاد عدد الطلبة قليلا ربما استطاع أن يضمن دخلا لا بأس به، وأن يكون هذا ترويجا له كمعلم لمادة الكيمياء للعام المقبل وربما ساعده هذا على أن يسرع في ارتباطه بمرام.

(لكل جديد رزقه) تذكر عبارة عمه وغمغم بسعادة: «يبدو أن

رزقك واسع يا قرنفة».

تجمدت الابتسامة فجأة على وجهه ووقف يتطلع في
المشهد أمامه بعينين مصدومتين وقد سقط قلبه بين قدميه
فتفتت إلى أشلاء.

أهو منحوس؟! هل قررت الفرحة التخلي عنه بهذه السرعة؟
وهل هو قادر على تحمل صدمة كهذه بعد كل ما حدث؟!

الفصل السابع عشر

قبل دقائق

تسمرت مرام لثانية وهي ترى بدر الشاب الذي ربطتها به علاقة في الماضي يقف أمام البناية التي تقع فيها شقة أخته ويتطلع فيها بملء عينيه؛ لكنها واصلت السير دون أن تنظر إليه ثم ارتبكت حينما نادى عليها بصوت خافت، استمرت في طريقها رغم اندهاشها من فعلته الجريئة، وتفاجأت به يقف أمامها معترضا طريقها فرفعت إليه أنظارها تقول باستنكار: «هل جنت؟!».

«كيف حالك يا مرام؟».

قالها بخفوت وهو يتطلع فيها بملء عينيه فقالت بعبوس وهي تحاول تجاوزه لتكمل طريقها: «لا يصح ما تفعله!».

تطلع حوله ليتأكد أنه لا يوجد من يتطلع فيهما وأسرع بالوقوف أمامها مرة أخرى يقول بترج: «أريد أن أتحدث معك في موضوع مهم أرجوك.. ويبدو أنك قد غيرت رقم هاتفك». هتفت بغیظ: «ماذا تريد يا بدر (ونظرت حولها مضيضة) ما تفعله لا يصح».

قال بترج: «دقيقة واحدة.. أو اعطني رقم هاتفك».

قالت بامتعاض: «تفضل قل ما تريد خلصني».

قال بصوت خافت: «اشتقت إليك وأتمنى لو تمنحيني

فرصة أخرى».

شعورها بالمفاجأة طغى على غضبها مما يقوله لها في الشارع فهتفت باستنكار: «ألست متزوجا؟!».

رد بلهجة حزينة: «أنا أرمل منذ عامين».

عبست تقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

أضاف بدر: «توفيت زوجتي وهي تنجب حمزة».

قالها وهو يفتح هاتفه ويريها صورة مضييفا: «هذا حمزة».

تغضنت ملامحها وتفجر الحنان في قلبها وهي تتطلع في الصورة مغممة: «يا رب العالمين.. ما شاء الله.. ما أجمله».

أسرع بالقول: «أهلي يضغطون علي للزواج وحاولت أن أفكر في فتاة غيرك ولم أستطع».

ناظرته بعبوس: «لا أفهم!».

قال بلهجة صريحة: «أنا أتمنى أن تمنحيني فرصة أخرى يا مرام.. لقد أخبرت أهلي أنني أريد أن أتزوجك أنت.. وهنا في شقة العائلة المجاورة لشقة أختي.. لقد انتهى عقد إيجارها ورفضت إعادة تأجيرها على أمل أن توافقي على طلبي».

قالت بلهجة متهكمة: «ما شاء الله أنت قررت كل شيء».

رد بدر موضحا: «لا أنا فقط حليت العقدة التي كانت أمامنا وهي أن تكوني بجوار أهلك».

قالت باللهجة المتهكمة نفسها: «وقررت عني أيضا أنني

سأوافق».

تكلم محرجا: «لا بالطبع.. أنا جئت كي أقنعك وكلّي عشم أنك لن ترفضني طلبتي، خاصة أنني أعلم مدى حبك للأطفال شعرت أن ابني لن يكون يتيما معك يا مرام».

ردت بلهجة واضحة: «وأنا أعتذر لن أستطيع تلبية طلبك فأنا مخطوبة».

قال مجادلا: «أنا سألت وعلمت أنك قد فسخت خطبتك منذ فترة».

همت بالتحرك وهي تقول: «أتمنى لك التوفيق».

منعها من المغادرة حينما وقف أمامها يقول: «مرام أنا أعلم أنني خذلتك المرة الماضية لكنني طامع في كرمك و..».

قاطعته تقول بلهجة غاضبة: «من فضلك ما تفعله لا يصح.. قلت لك أنا مخطوبة لماذا لا تفهـ..».

اتسعت عيناها وشحب وجهها حينما لمحت أنس من بعيد فتوترت وأسرعت نحو البيت دون أي كلمة أخرى وهي تتسائل في سرها عما إذا كان أنس يعرفه.

أما أنس فظل متسمرا مكانه يلجم غضبه ويتحكم في انفعالاته وهو يبحث عن التصرف الصحيح، إنه يحفظ شكل ذلك الشاب جيدا، بعد أن تصادف مروره على الصيدلية ذات يوم في حضور عصام، الذي أخبره بعد أن رحل أنه من كان ينوي خطبة مرام بعدها رآه بضع مرات حينما كان يأتي

من بلدتهم ليزور أخته، إنه يحفظ شكله وكيف لا يفعل مع شخص استطاع أن يملك قلب مرام على حسب اعتقاده.

اندفع نحوه وعقله ينبهه لمغبة الغضب فشاهد ذلك الشاب يدخل البناية التي يسكن فيها فأسرع بالدخول خلفه يناديه: «أنت يا هذا انتظر».

استدار بدر وتطلع فيه عابسا فباغته أنس باندفاعه نحوه ثم دفعه ليلتصق بالحائط ويضغط على رقبتة بساعده، اتسعت عينا بدر وسأله باندهاش: «ماذا تفعل؟ من أنت؟!». قال الأخير بلهجة حادة: «أنا الدكتور أنس سالم ابن عم مرام».

أسرع بدر بالقول: «آه تذكرتك».

قال أنس وهو يضغط أكثر: «جميل.. تذكر إذن اسم من سيعلمك الأدب».

«لَمْ هذا الكلام يا أستاذ؟ أقصد يا دكتور».

هدر أنس بصوت مرعب: «أتسألني هذا السؤال؟! إياك أن تعترض طريق مرام مرة أخرى واحمد ربك أني أنا من رآك وليس عصام وإلا لكنت في عنبر الكسور الآن في أحد المستشفيات».

قال بدر بارتباك: «أنا نيتي جادة والله وكنت أريد أن أخبرها بذلك».

«نيتك؟!».

نطقها أنس باستهجان فأجاب بدر: «أجل فأنا أريد أن أتقدم لخطبتها».

«ألست متزوجا؟!».

«أنا أرمل الآن وكنت أنوي التقدم لخطبتها».

أي منحوس هو! بعد كل هذه السنوات لا يظهر هذا اللزج إلا الآن.. وهي ما رد فعلها هي؟ ترك رقبته وهو يقول: «الذي يرغب في التقدم لفتاة لا يعترض طريقها في الشارع».

دلك بدر رقبته وهو يوضح: «كنت فقط أريد أن أعرف ردها.. هلا ساعدتني؟».

«أنا؟؟!».

قالها أنس والغضب يشتعل في عينيه ممزوجا بالألم ليحيب بدر: «أرجوك.. أنا جاد ومستعد لكل طلباتها شقتنا هنا سأجهزها كما تريد والشبكة والمهر الذي تطلبونه، كل طلباتها مجابة ولن أفرض عليها العيش في بلدتنا».

هم أن يخبره أنه خطيبها؛ لكنه بلغ العبارة وتطلع فيه مفكرا ماذا عن رأي مرام؟ ربما لا تزال لديها الرغبة في الارتباط به.. ألم يكن هذا الكائن السمج المائل أمامه هو حبها الأول؟!

نهشت الغيرة صدره حتى أدمته ولسبب ما في رأسه الكثير التعقيد لم يخبره بشيء ولم يرد عليه.. إنما قال بتحذير خطر: «لو اعترضت طريقها مرة أخرى تأكد أنك لن تعود لبلدتكم سليما».

قالها واستدار مغادرا فلحقه بدر بصوته يسأله: «ألن تساعدني في تحديد موعد مع عمك؟».

وحين لم يجد من أنس ردا أضاف: «يا أستاذ! أقصد يا دكتور».

وقفت مرام في صالة البيت مرتبكة تأكل أظافرها وتسال نفسها هل رآها؟ بالتأكيد رآها كان ينظر نحوهما، هل من المعقول ألا يراها بسبب المسافة؟ وإن كان قد رآها فلماذا لم يعقب ولم يتصل بها ولم يسألها من هذا؟ أيعرف من هو؟ معقول يعرف؟!

كانت الحيرة تأكلها وهي تفكر هل تبادره وتعرف إن كان رآها أم لا؟ أم تتجنب المشاكل فربما لم يرها وفضحت الأمر بنفسها، وما الذي أتى ببدر الآن؟! صحيح أشفقت عليه وعلى ابنه الذي تيتيم لكن كيف يعتقد أنه يستطيع وصل الود الذي انقطع بعد كل هذه السنين، فكرت في انطباعها عن بدر بعد هذه الفترة الطويلة تغير.. رغم أنه لم يتغير.. هذا هو انطباعها، أو ربما هي التي تغيرت لا تملك له أي مشاعر تذكر بل إنه بالمقارنة بأنس يبدو بجواره غير مرئي.

ارتسمت ابتسامة على وجهها وكل لحظة تمر بها تشعرها أنها محظوظة بارتباطها بأنس، ثم نفضت عنها ابتسامتها البلهاء وعادت لحيرتها من جديد تتساءل.. هل رآها أنس؟!

في المساء

سألت مرام زينة: «هل قال شيئاً غير ذلك؟!».

ردت الأخيرة وهي تحمل كيس الطعام من يد مرام: «لا طلب مني فقط أن أنزل الآن وسينتظرنني أمام باب الشقة».

بدأت تشعر بالقلق، إنه لم يتصل بها طوال اليوم هل هذا معناه أنه رآها وغاضب منها؟ وإن كان غاضباً لماذا لم يسألها ويواجهها؟! ما معنى ما يفعل؟!

استعدت زينة للمغادرة وهي تقول لجدتها: «غدا سأصنع لك سواراً بالخرز يا جدتي».

قالت الثانية بلهجة لثيمة: «ولماذا لا تعطيني السوار الذي صنعتيه وتقومي بصنع آخر لنفسك».

زفرت زينة وردت: «يا جدتي مقاس معصمي غير مقاس معصمك».

كانت مرام قد ارتدت الإسدال فخرجت معها وراقبتها وهي تنزل ثم أطلت من سور السلم تقول لأنس الواقف عند باب شقته: «أرسلت لك ولعصام الطعام مع زينة ما دمت لم تصعد».

رفع أنظاره نحوها وقال بلهجة أمرة وهو يشير بسبابته: «لا تقفي مرة أخرى على السلم أبداً».

امتقع وجهها واضطرت أمام نظراته الصارمة أن تتحرك عائدة نحو شقتها وقد تأكدت أنه قد رآها وعلم هوية الذي كانت تقف معه، فوقفت حائرة تفكر ثم تملكها الغضب والضيق والإحباط، كيف يراها معه دون أن يحاسبها أو يعاتبها أو يبدي أي نوع من أنواع الغيرة عليها! ولماذا هو صامت؟! ولماذا يتصرف معها بجفاء؟!

فكرت في أن تتصل به لكنها تراجعت بغيظ وعدلت عن الفكرة فإن كان هو لا يهتم فهي لن تهتم، هكذا أخبرت نفسها فسألتها روح: «هل جننت وتكلمين نفسك يا مرام؟!».

قالت مرام بغيظ وهي تمسك بأسفل بطنها الذي يؤلمها منذ الصباح: «أجل أكلم نفسي.. حفيدك جعلني أكلم نفسي».

قالتها وتحركت نحو الداخل مضيئة: «أنا سأتناول قرص مسكن وأنام».

غمغمت روح بعبوس: «حفيدي؟! من فيهم؟! (ثم صاحت خلفها) هل ستنامين وتتركيني وحدي؟ ألن تشاهدي المسلسل معي كما وعدتني؟».

أنا هويت وانتهيت
وليه بقى لوم العزول
ليه يحب أني أقول
ياريت الحب ده

عني يزول

تسربت كلمات أغنية سيد درويش بصوت فرقة مسار إجباري من اللاب توب في الوقت الذي تفقد فيه عصام هاتفه للمرة التي فقد عدها، فلم يجد أي رد منها إن كل ما أخبرها به ليلة أمس تبخر كل المنطق الذي حدثها به طار ولم يبق إلا حقيقة واحدة تشكلت خلال ساعات النهار وهو ينتظر منها أي رسالة إنه غير قادر على الحياة دونها، التقط هاتفه وأرسل لها رسالة يقول: «أنا علمت قرارك الآن.. كل ما أطلبه منك أن تطمئني عنك بكلمة واحدة أنك بخير كلمة واحدة يا نيللي اعتبريها صدقة لشخص مسكين لن ينام الليلة إلا عندما يطمئن أنك بخير».

ترك الهاتف وأسند رأسه للخلف على ظهر المقعد بإنهاك كلي وفقدان شهية للمواصلة.. فإن لم يكن هناك الحافز فلا داعي لبذل مجهود غير آدمي يعذب به نفسه فكل شيء يتساوى في غيابها، إنه لم يتلق منها إلا الصمت منذ أن أوصلها ليلة أمس وربّه وحده الذي يعلم كيف مرت عليه الساعات الماضية، هل سيأتي عليه يوم سيعتاد فيه على الألم ويتعايش معه؟! كيف سيعيش دونها وهو لم يكن حيا قبل أن يقابلها؟! هكذا كان يشعر وهكذا حدثته نفسه.

على كلمات الأغنية نفسها خرج أنس بعد أن نامت زينة.. خرج وكلماتها تدق المسامير في قلبه.. فوقف يتطلع في عصام ولم يكن لديه رغبة للتفوه بشيء، ليقول عصام دون

أن يفتح عينيه: «سأخفض الصوت».

تطلع أنس في اللاب توب الذي تتسرب منه الأغنية وغمغم بخفوت: «لا بأس اتركها».

ما دمت أنا بهجره ارتضيت

خلي بقى الي يقول يقول

استدار ليعود للداخل فتكلم عصام: «أتعلم.. لقد طلب أحدهم يد مرام مني اليوم».

تجمد أنس لعوان ثم قال بتهكم: «خبر رائع ألف مبروك».

اعتدل عصام ونظر إليه يقول: «لن تصدق من يكون إنه الشاب الذي كان يريد أن يتزوجها قبل سنوات.. أصبح أرمل ولديه طفل ويريد أن يتزوجها بشروطها.. بصراحة استفزني ومنعت نفسي من أن أضربه.. هل يفكر فيها الآن بعد أن ترملي؟!».

نظر إليه أنس من فوق كتفه يسأله: «وما رأيها هي؟».

عبس عصام وقال: «ماذا تعني برأيها؟ (وأضاف متهمًا بقم ملوي) ألم يسمح لكما أبي بأن تتواصلا لأنكما لا تعرفان بعضكما يا مساكين».

قال أنس بجدية: «عليك بسؤالها عن رأيها في ذلك العريس».

«ماذا تعني؟؟!!».

رد بالهدوء نفسه: «أعني أنك لا تعلم ربما لا تزال تحمل له مشاعر اسألها يا عصام».

اتسعت عينا الأخير وقال باستنكار: «كيف تقول ما تقوله بهذا البرود؟!»:

هدر أنس بصوت عال فجأة: «وهل أحتاج لأن أحرق أمامك هذه الشقة وأحرق نفسي بعدها لأعبر عما بداخلي».

عبس الآخر فتماسك أنس لقد وعد نفسه أنه سيتقبل قدره مهما كان مثلما تقبل أقداره الأخرى فلا حرب ولا مقاومة مع الأقدار فقال بلهجة أهدأ: «أريدها سعيدة يا عصام، هذا الأمر أولوية عندي أي شيء فداء لها ولسعادتها.. أي شيء (وأضاف بعد فترة صمت) اسألها وخلص ضميرك ولا تشغل بالك بي».

تطلع فيه عصام حائرا وهو يراه شخصا آخر غير الشخص الذي كانه صباح اليوم.. شتان بين الشاب الذي بدا أصغر من عمره تضيء الفرحة وجهه وذلك الكهل المائل أمامه وتساءل هل علم بأمر بدر هذا قبل أن يخبره؟

أشاح أنس بيده مغمغما بإنهاك: «تصبح على خير».

ناداه: «أنس أنتظر».

أدار له الأخير وجهه في الوقت نفسه الذي اهتز هاتف عصام بصوت رسالة فأسرع بالتقاط الهاتف تلقائيا ثم قفز واقفا أمام أنظار أنس المندهشة وقال مشيحا بيده «اذهب الآن.. اذهب لست متفرغا لك».

رفع أنس حاجبا ثم نظر حوله وقال: «بالمناسبة أنت في بيتي».

لم يرد عليه الأخير بل لبس سماعة الهاتف الخارجية في أذنه وهو يفكر في فحوى الملف الصوتي الذي أرسلته له نيللي وأسرع بالضغط عليه لتبدأ الموسيقى ثم صوت المطربة أنغام.

سبني أحبك يا حبيبي
حب أكبر من خيالك
حب غير اللي أنت شفته
واللي كان يخطر في بالك

ارتجف قلبه كمن تلقى صعقة كهربية من جهاز إنعاش القلب وأمسك برأسه وكأن المفاجأة ستطير عقله، ثم تحرك نحو الشرفة يخرج إليها ويغلق الباب خلفه فغمغم أنس وهو يتحرك نحو غرفة نومه يجرجر قلبه وقدميه: «الكلب يتجاهلني في بيتي ويغلق الباب في وجهي (ثم تنهد متألما) فليسعه الله فليسعد أحدا في هذه العائلة قبل أن تنفجر من البؤس».

سبني أحبك قد ما أقدر
سيبني أحبك تاني أكثر
إنت مالك! إنت مالك!

إنت كان حد اشتكالك!

لمعت عينا عصام بالدموع وهو ينظر للسماء المرصعة
بالنجوم بامتنان ثم ابتسم على كلمات الأغنية.

نفسي تسأل مرة قلبك

نفسي أنا مرة أسألك

لو هعيش العمر أحبك

بذمتك دة يزعلك!

حاول الاتصال بها لكنها لم ترد فكتب لها يعلق على ما
يسمعه: «كرمك كبير يا نيللي.. ترفقت بحال مسكين في
الحب مثلي ووثقت فيه ثقة كبيرة.. والله لو عشت عمري كله
أهيم بك حبا لن أوفيك حقك».

سيبني أسهر.. سيبني أفكر

ياللي عمري وهبته ليك

قلبي يسهر.. عقلي يسهر

مش خسارة يا عمري فيك

كانت نيللي الجالسة متربعة على سريرها تسند وجهها
براحتها، بينما الأخرى تمسك بالهاتف وتتطلع فيما يكتبه
عصام ردا على رسالتها والخجل والدموع يغرقان وجهها

لقد قررت أن تصبر عليه فلا يزال لديها طاقة للاستمرار
والمنح في هذه العلاقة وتتفهم الضغوط والصعاب التي

يواجهها وأنها في مركز أقوى منه، فرأت أن الطرف الأقوى عليه أن يقدم بعض التنازلات للطرف الأضعف حتى يشحذه ببعض القوة.

نفسي كل الدنيا تعرف
حبي ليك بيساوي إيه
حبي ليك بيساوي عمري
قلبي بقى وأنا حرة فيه!
سيبني أحبك تاني أكثر
إنت مالك

إنت كان حد اشتكالك

كانت كلمات الأغنية كنيشان يعلق على صدره فأرسل لها معلقا على كلماتها: «وأنا أيضا أنتظر بفارغ الصبر اليوم الذي سأعلن فيه عن حبي لك سأخبر كل الدنيا أن هذه أعظم وأكرم وأشجع فتاة رأيتها أنتظر اليوم الذي سيعرف الجميع أنك لي ملكي وأنا ملكك اليوم الذي سيُسمح لي أن أراك وأحبك كما تستحقين يا نيللي لأنك تستحقين كل شيء جميل في هذه الحياة».

لم يستطع الصمود وراودته نفسه لأن يذهب إليها؛ لكنه كبج جماح الفكرة واتصل بها فاحمر وجهها وهي تتطلع في اسمه على الشاشة ثم أجلت حنجرتها وردت بحشجة بعد إلحاح منه في الاتصال: «آلو».

قال ليرد على كلمات الأغنية: «بالمناسبة هذا الذي ينبض في صدرك ليس قلبك ولست حرة فيه يا نيللي هانم.. إنه قلبي أنا.. أنا مالكة».

غمغمت بصوت مصطنع: «من معي يا فندم؟ (ثم أضافت بلهجة مسرحية) أووووه! آسفة أرسلت إليك الملف الصوتي بالخطأ».

قهقه ضاحكا ثم قال بلهجة متيمة: «أنا؟ أنا شحاذ الغرام يا فندم.. الطامع في كرمك وقلبك الكبير بحجم الكون».

قالت بنعومة وقلبها يتراقص من السعادة بعد أن كان في وضع السكون منذ ليلة أمس: «وماذا تريد يا شحاذ الغرام في هذه الساعة المتأخرة؟».

همس وهو يتطلع في النجوم التي خيل إليه أنها تتشكل وترسم له طريقا مضيئا: «أريدك أنت وأموت في انتظار لحظة تجمعنا في الحلال أنا يا نيللي لو عشت العمر كله أشكرك على كرمك معي لن أوفيك حقا وأعدك أن ثقتك في عصام ستكون دافعا قويا لي كي لا أخذك أبدا وكي لا يراودك الندم لحظة واحدة لأنك أحببتني ووثقت في سأفعل المستحيل كي تكوني فخورة بي وسأضع كرمك معي نصب عيني أنت عالية مقاما وقدرا وأخلاقا ومع هذا آمنت بي ومددت يدك لي، وأنا سأبذل قصارى جهدي كي أصل إلى يدك الممدودة هذه وأمسك بها سأفعل كل ما أقدر عليه لأرتفع عن الأرض كي أقلل من تلك المسافة التي تفصل بيننا كي أمسك

بيدك وبعدها لن أتركها أبدا».

انهمر المزيد من الدموع من عينيها وهمست بخفوت مرتجف: «عصام».

كان الأخير غير قادر على التوقف لقد أطلقت رصاصة على قلبه ففجرت منه ينابيع من العشق والعاطفة فقال لها: «أحبك يا نيللي.. أحبك.. وسأظل أحبك حتى آخر العمر حتى آخر نفس أحبك».

صباح اليوم التالي

«أنا لا أفهم».

قالتها مرام الواقفة في الصالة بعبوس فقال عصام: «ما الذي لا تفهمينه يا مرام؟ بدر حدثني بشأنك ويريد أن يتقدم لك فقلت أخبرك».

احمرت وجنتاها وقالت بحرج: «ألم ألا تعرف بأمر أنس؟».
رد عصام: «أعرف طبعاً هو أخبرني رغم أنني كنت أنتظر أن تخبريني أنت».

قالها بلهجة لائمة فازداد احمرار وجهها الذي أشاحته تقول: «ما دمت تعرف لماذا تسألني بشأن بدر».

رد أخوها موضحاً: «قلت ربما كانت لك رغبة وتتحرجين من الإفصاح عنها».

عادت تنظر إليه وهي تقول بجدية: «بدر انتهى بالنسبة إلي يا عصام ربما لو جاء لي قبل أن يتقدم لي أنس كنت أعدت التفكير بعقلانية؛ لكن بعد أنس ليس هناك رجل يملأ عيني».

رفع حاجبا ثم سألها متخصرا: «منذ متى هذا الكلام؟».

ردت بدلال أنعوي غير مقصود: «منذ اللحظة التي رأي أنس فيها أننى فسمح لي أن أراه كرجل».

على الرغم من السعادة الكبيرة التي شعر بها من أجلها ومن أجل أنس وأمنيته التي تحققت.. إلا أنه لوى فمه وقال متصنعا الجدية: «هذا الأمر لم يعد يمكن السكوت عليه، على الدكتور المبجل أن يتخذ خطوة رسمية أما بدر فسأخبره برأيك وسأخبر أنس أيضا».

اتسعت عيناها وسألته: «أنس يعرف بطلب بدر؟!».

هز رأسه وقال: «يعرف.. وبصراحة أخبرني أن أسألك عن رأيك لربما كانت لك رغبة ومحرجة منه».

شرست ملامحها وقالت باستهجان: «نعم؟! طلب منك أن تسألني عن رأيي؟!».

عبس يسألها: «لماذا غضبت؟».

قالت بغیظ: «لأنه طلب منك ذلك».

تكلم عصام مدافعا عن ابن عمه: «لماذا؟ الرجل يتصرف معك بمنتهى الرقي والتضحية، أنا شخصا لا أملك الشجاعة لأفعلها.. فالأمر يتطلب قدرا كبيرا من القوة النفسية والإيعاز».

ناظرته بغيظ وقالت من بين أسنانها: «هذا رأيك؟!».

«وهل لك رأي آخر؟!».

«ألم تر هذا تخليا عني؟».

قال عصام باستنكار: «تخليا عنك؟!».

«أجل».

ضرب عصام كفا بكف يقول بتهكم: «يا الله على النساء وعقول النساء».

عاد يتطلع في وقفها المتكتفة الغاضبة ثم ضربها على رأسها فأبعدت رأسها بغيظ ليقول: «هيا ستتأخر عن العمل».

ظلت تناظره بغضب وهي تزم شفيتها فلوح أمامها بقبضته: «هيا قبل أن أشوه لك وجهك».

بعد قليل وقف عصام أمام البناية ينتظر نزول مرام وهو يقول لأنس في الهاتف: «لقد طلبت مني أن أخبر بدر برفضها واستهجنت من سؤالها باعتبار أنها مرتبطة بك».

تنفس أنس الواقف أمام مدرسة زينة الصعداء وكأن الروح قد ردت إليه وقال: «اذهب يا بني قلبي راض عنك فليسعدك الله مع ذات اليدين المغريتين».

قال عصام وهو يلمحها تقترب من الخروج من بوابة البناية: «وبالمناسبة علمت أيضا أنك قد طلبت مني أن أسألها في طلب بدر ويبدو أنها قد غضبت منك أنت تعرف النساء لا

نفهم ردود أفعالهن أحياناً».

اتسعت عينا أنس وهتف: «أخبرتها! حسبي الله ونعم الوكيل
فيك يا عصام قلبي غاضب عليك!».

بعد ثلاثة أيام

الشوق ذباح وخصام الحبيب عقاب لا إنساني لقلب المحب،
لماذا لا يسمح في الخصام بعناق أو قبلة كهدة يطفئ المحب
ناره ويستمر بعدها الخلاف إلى أن تنقشع الغيوم؟!

رن أنس جرس باب شقة عمه وقلبه يملؤه الشوق واللهفة
والتوتر فقرنفلته تخاصمه ولا ترد على اتصالاته ورسائله،
وهو قضي الثلاثة أيام الماضية في انشغال تام بالدروس
التي بدأها مكثفة ليغطي ما فات الطلبة من دروس في ثلاث
مواد وما حمسه أكثر وجعله يشعر بالامتنان لخالقه أن عدد
الطلبة في احتمال للزيادة ربما بسبب المبلغ التنافسي الذي
وضعه للحصة، الذي شجع بعض أولياء الأمور الذين أنهكتهم
أسعار الدروس بإرسال أولادهم (للتجربة) بعد أن أعلن أن
أول حصتين لأي طالب بالمجان كما أن لقبه كدكتور صيدلي
أعطاه بعض الوجاهة في عيونهم فتفاجأ بعدد كبير من من
حضروا الحصتين المجانيتين، وعلم أن مراد وأصحابه قد
قاموا بنشر الخبر في المجموعات الخاصة التي يوجدون
فيها على مواقع التواصل، صحيح لا يعرف كم من الطلبة
سيسجل معه بعد هاتين المحاضرتين؛ لكن حتى لو اقتصر

الأمر على مراد وأصحابه فلا بأس، فضل ونعمة من الله.

عدلت مرام من هيئتها وفركت شفتيها اللتين طلتهما بلون وردي خفيف ثم زمتهما وفتحت له الباب وابتعدت فدخل أنس يسألها: «لماذا لا تردين على هاتفك؟».

«لا أريد».

قالتها بوجوم ليأتيه صوت الحاجة روح تقول من جلستها على الأريكة: «كل عام وزينة بخير يا سالم».

«عشت يا جدتي بارك الله لنا في عمرك».

قالها وزهده مشغول بتلك الحسنة التي تخصمه فسألها: «أين عمي؟».

ردت وهي توليه ظهرها: «يصلي المغرب وزينة تصلي معه».

قال: «أنا أتصل بك منذ ثلاثة أيام ولا تردي وحين أتيت مرتين مساء لآخذ زينة التزمت غرفتك ولو لم يكن عيد ميلاد زينة لم أكن لأراك؟».

«لا».

قالتها مبتعدة فنادها بغضب: «مرااااا».

تجمدت في مكانها دون أن تستدير إليه فأضاف: «أنا أتحدث معك».

أدارت وجهها وناظرته من فوق كتفها تقول: «ماذا تريد مني؟».

قال بصرامة: «تعالى هنا».

أدركت أنه غاضب فاضطرت للتحرك عائدة إليه؛ لكنها توقفت على بعد خطوتين منه فقبض على ذراعها وسحبها لتقف أمامه وأسند كفيه إلى جانبي رأسها على الحائط ثم قال وهو يتطلع في عينيها: «ماذا حدث لكل هذا الخصام».

عناق العيون وحضوره الطاغي حاصرها وشل دفاعاتها؛ لكنها ناظرته بغضب تقول: «لأنك تدعي أنك تحبني بينما الحقيقة أنني لا أفرق معك رأيتني معه ولم تفعل شيئا».

أغضبته الاتهامات التي وجهتها له وجرححت كرامته فضرب بكفه على الحائط بجوارها يقول بصوت غاضب حاول ألا يكون عاليا: «من قال لك إنني لم أفعل شيئا، هل رأيتني؟ انطقي هل رأيتني؟!».

ارتجفت وردت: «لا».

قال وهو يناظرها بحدة: «إذن من أين عرفت أنني لم أفعل شيئا؟!».

احمرت وجنتاها وقالت: «خمنت ذلك حينما لم تتحدث معي بشأنه».

قال عابسا: «أنا لست في حاجة لاستعراض القوة وتضخيم الموضوع فأسبب لنا فضيحة في الشارع كي تشعرني أنني ذلك الغيور عموما ما خمنت، ليس صحيحا يا بنت عمي لقد تشاجرت معه وحذرت من التعرض لك مرة أخرى وهو الذي

أخبرني أنه يرغب في التقدم لخطبتك».

على الرغم من اتفاقها معه فيما يقول إلا أن مشاعر الأنثى بداخلها كانت تجنح للجنون فسألته: «وبما أخبرته؟».

«لم أخبره بشيء».

عبست وأبعدت ذراعه قائلة: «تمام.. دعني أذهب».

أعادها لتقف أمامه مرة أخرى يقول: «انتظري قلت».

قالت بغضب: «ماذا تريد؟ ألم تشجعه على أن يتحدث مع عصام؟».

قبض على مرفقها يقول غاضبا وهو يبذل مجهودا حتى لا يعلو صوته: «أنا لم أشجع أحدا.. أنا منحتك الفرصة كاملة كي تقرري خفت أن تكوني لا يزال بداخلك..».

قاطعته بغضب: «حتى لو كنت كذلك كنت ستتركني أذهب بهذه السهولة؟!».

شعر أن الأمر بينهما يتعقد فسحب نفسا ليهدئ نفسه ثم قال: «يا بنت الحلال افهميني ما دمت لا تلبسين محبسي حتى الآن أو توقعي على قسيمة زواجنا فليس لي الحق في أن أحاسبك».

لمعت عيناها بدموع أوجعته وهي تقول عاتبة: «والوعد الذي وعدته لك ألا يكفي».

لان قلبه لها وكأنه قد بقي به مجالا للين أكثر تجاهها فقال

معتزفا بلهجة حارة: «صدقيني الساعات التي قضيتها حتى علمت برأيك في طلب هذا السمج كنت أموت يا مرام وكأنني أنتظر حكما بالإعدام كدت أجن بعد أن سمحت للأمل أن يدخل قلبي ووجدتني أسقط في هوة عميقة من الألم الأمر لم يكن سهلا علي».

قالت بعتاب المحبين: «لو كنت تتق في بما يكفي».

همس بلهجة عاشقة: «أنا أحبك.. بما يكفي».

تجاهلت ارتجاف قلبها كعصفور أغرقه المطر فنفض ريشه بانتعاش وقالت بجدية: «لا يكفي يجب أن تتق بي، وتكف عن الحماية الزائدة أنا لست مصنوعة من زجاج».

هز رأسه يقول وعيناه ترسمان تفاصيل وجهها من خلف نظارته الطبية: «حسنا منذ هذه اللحظة أنت أعطيتني وعدا أبديا لا تراجع فيه (وأضاف بلهجة أكثر حرارة) ومنذ هذه اللحظة تحملي جنون عاشق سيحاسبك في الصغيرة قبل الكبيرة أنت من فتحت النار على نفسك فتحملي لهب الغيرة».

نار مشاعره الحارقة زادت من اشتعال جذوة النار والنور التي تحملها له في قلبها فلم تتحمل هذا الكم من المشاعر، التي تطل من عينيه وتبوح بها أنفاسه وكلماته فأشاحت بوجهها تقول: «الوعد قد أعطيته لك منذ أن منحتك تلك الورقة بعنوان أبي».

أمسك بفكها يعيدها لتنظر إليه قائلا وهو يضغط على

أسنانه بقوة: «لو الأمر كذلك فلماذا وقفت مع الشاب في الشارع يا ست الهانم.. أنا أحاول أن أمسك أعصابي فلا تذكريني حتى لا أقلب الليلة سوداء فوق رأسك».

امتقع وجهها ولم تجد ما ترد به أمام نظراته الغاضبة فأنقذتها روح بل أنقذت كليهما من هذه الوقفة الغريبة بجوار الباب حينما هتفت: «ماذا تفعلان عند الباب؟ تارة تتشاجران وتارة تتهامسان وضعكما غريب منذ فترة».

ابتعد للخلف خطوتين وعيناه لا تزال تناظرانها بغضب فتحركت مرام تقول هاربة: «أرجوك لا تتحدث معي لسانك لا يخاطب لساني».

طالعتها باندعاش وهي تختفي بالداخل ومسحت عيناه على قوامها بذلك الفستان القصير الذي ترتدي تحته بنطالا من الجينز، ثم اقترب يجلس بجوار جدته التي سألته: «متى سيأتي عيد ميلادي يا سالم (وعبست تحاول التذكر مضيئة) عيد ميلادي في شهر يوليو بالصيف كم بقي عليه؟».

أجابها أنس وذهنه مشغول في أثر قرنفلته: «حوالي أربع أشهر يا جدتي».

خرجت زينة من الممر وهتفت بسعادة: «أبيييي كلهم يرون فستاني جميلا».

قالتها وهي تدور حول نفسها فقال أنس وهو يسحبها إلى حضنه: «كل عام وأنت بخير يا حبيبة أبيك».

خرج عارف مبتسما وزينة تقول: «أنا صليت مع جدي».

ربت أنس على ظهر ابنته بينما قالت روح لابنها بتوبيخ:
«لماذا لا تحتفل بعيد ميلادي يا عارف!».

قال الأخير وهو يجلس بجوارها: «ألا نحضر لك الهدايا في عيد ميلادك وعيد الأم يا حاجة».

قالت عابسة: «أنا أريد احتفالا كهذا (وأشارت على الزينة على الحائط وأضافت) وكعكة كالتي جلبتموها قبل قليل كل الناس تفعل ذلك إلا أنا».

كتم أنس الضحك بينما رفع عارف حاجبيه مندهشا ثم قال مهادنا: «حاضر.. رغم أنني لا أعرف من بالضبط غير زينة نقيم له عيد ميلاد حتى مراد لم نعد نفعل ذلك؛ لكن حاضر يا أمي إن شاء الله عيد ميلادك المقبل سنقيم لك حفلا وكعكة».

فتح عصام الباب بالمفتاح ودخل فتركت زينة حجر والدها وأسرعت إليه تقول: «ما رأيك في فستاني يا عصام».

مال عليها يقول بانبهار: «وااااا رائع».

ثم طبع قبلة على رأسها لتقول روح بدلال: «عصومي حبيبي.. أنا أيضا سأقيم حفلا لعيد ميلادي جهز الزينة من الآن (وعلت صوتها) مرارا ماذا سألبس في حفل عيد ميلاد زينة؟».

بعد قليل

اتسعت ابتسامة مراد وهو ينتظر نيللي أن تترك سيارتها بالقرب من البناية ثم راقبها وهي تخرج منها وتحمل علبة هدايا كبيرة فأسرع بحملها بدلا منها وسألها بمشاكسة: «هل أحضرت لي هدية؟».

ضحكت وقالت: «المرّة المقبلة أعدك أن أحضر لك هدية».

غمغم بمسكنة طفولية: «حسنا سأنتظر».

قالت وهي تدخل معه البناية: «أحصل على مجموع كبير في الثانوية العامة وسأهديك هدية كبيرة».

غمغم بالمسكنة الطفولية نفسها: «سأنتظر هذه أيضا (ثم أضاف بإعجاب) ما هذه الأناقة؟».

احمرت وجنتاها وصعدت على السلم بحماس إلى ذلك البيت الذي أصبح يمثل عندها دفء العائلة.. في الوقت نفسه كان عصام يتطلع في صورته في زجاج النيش ويسوي من شعره فعلق أنس هازئا: «ستعجبها إن شاء الله.. ليس لو سامتك لكن لأن المسكينة لديها ذوق متدني في الرجال».

حدجه عصام شذرا فأسبل أنس أهدابه ببرود ليسرع الأول نحو الباب، حينما سمع بصوت في الخارج بعد أن طلب من مراد أن يكون في استقبالها أسفل البناية بدلا منه حتى لا يثير الأقاويل حولهما.

فتح مراد الباب يقهقه على شيء ما فأثار غيظ عصام الذي وقف بعدها يتطلع فيها بملء عينيه وبملء قلبه من الحب

وهي تدخل في هيئة لم يرها عليها من قبل. كانت ترتدي فستانا أسودا به وردات صغيرة بيضاء طويل ينزل باتساع بسيط ومكشكش من عند الخصر يبرز رشاقتها وحول وجهها حجاب أبيض يبرز سمرتها اللامعة، وفي قدميها ترتدي حذاء رياضيا خفيفا فبدت أمام عينيها كفتاة صغيرة مراهقة وليست نيللي سيدة الأعمال، احمرت وجنتاها وهي تتطلع فيه بارتباك فانسحب مراد يكتم الضحك على الاثنين اللذين تسمرا عند الباب، أما عصام فكانت دقائق قلبه أشجع منه في التعبير عن الحفاوة بقدميها فأجمل اللحظات عنده حينما تكون معه في البيت يشعر أن الحواجز بينهما غير موجودة تكون هي نيللي فقط ويكون هو عصام.

قال بابتسامة محرجة وهو يمد يده ليسلم عليها: «كيف حالك؟».

أطبق على يدها الرقيقة التي لم تعد تعرف السلام العملي فرقدت كيمامة ناعمة في كفه الغليظ وهي ترد: «بخير».

قال أنس من جلسته على الناحية الأخرى من الصالة: «هل نحضر لكما كرسيين بجوار الباب؟!».

ترك عصام يدها وقال بارتباك وقلبه لا يقل عن قلبها جنونا: «تفضلي».

دخلت نيللي تقول لزينة وهي تميل عليها: «كل سنة وأنت طيبة يا زوز».

قبلت وجنتها فغمغمت زينة بالشكر ونيللي تمنحها الهدية

التي وضعها مراد على طاولة السفرة قائلة: «أتمنى أن تعجبك».

تدخلت روح قائلة بلهجة ذات مغزى واضح: «أنا أيضا عيد ميلادي بعد أربعة أشهر».

ابتسمت نيللي وقالت وهي تخرج من حقيبتها كيسا: «وأنا من الآن أحضرت لك الهدية يا حاجة روح».

اتسعت ابتسامة الأخيرة وتلقت منها كيس الهدايا بفرحة طفولية، بينما سلمت نيللي على الباقيين وسألت: «أين مرام؟».

فقال مراد: «إنها في المطبخ».

قالت وهي تتحرك بأريحية في الشقة: «سأذهب إليها».

راقبتها عينا عصام اللتان لم تتركها لحظة واحدة منذ أن دخلت وهم بالذهاب خلفها ليقول أنس وهو يشده من ملابسه: «اجلس هنا إلى أين أنت ذاهب؟».

غمغم بارتباك وهو يخطف نظرة سريعة نحو والده الجالس بجوار روح: «ها؟ لا شيء كنت سأحضر زجاجة مياه من العالجة».

قال أنس باستخفاف: «الماء أمامك اشرب واحترم نفسك».

أحس عصام بالخرج فجلس بجواره بغيظ وقلبه وكل حواسه مع تلك الساحرة التي تقف في مطبخ بيتهم.

بعد ساعة كان الجميع يلتفون حول السفرة لتناول الطعام، فتطلع أنس في مرام يشير لها كي تجلس على الكرسي الذي يليه فاحتفظت بفمها الملوي وجلست بجواره ليهمس لها مغازلا: «أنرت المكان ست مرام لولا الموجودين لكنت زينته بزهر القرنفل».

تطلعت فيه بجانب عينيها واستمرت في تصنع العبوس فقال هامسا: «إلى متى ستخاصميني؟». «إلى ما لا نهاية».

تمنى أن يخطف قبلة من شفتيها المزمومتين فقال: «أفهم من ذلك أنك قد عدلت عن فكرة الزواج مني؟».

حافظت بصعوبة على زم شفتيها تقاوم ابتسامة خجلة تريد الظهور؛ لكن احمرار وجهها فضحها أمامه قبل أن تقول: «هذا أمر آخر».

حرك مقلتيه يمينا ويسارا يفكر ثم سألها: «أتعنين أنك موافقة على الزواج مني لكنك ستستمرين في خصامي؟».

وضعت المعلقة في الشوربة ورفعتها إلى فمها تهز رأسها بالإيجاب فقال: «أحببت الفكرة فأنا عموما لا أحب ثرثرة النساء».

تطلعت فيه بعينين جاحظتين فناظرها بتسل كولد مشاكس لتقول بتسلط ناعم: «كل يا أنس».

أسرع بالإمساك بالمعلقة يقول بطاعة: «حاضر ست مرام».

على مقعدين متقابلين على السفرة كانت النظرات تتحرك
ذهابا وإيابا بين عصام ونيللي وكلاهما مشغول بالآخر أكثر
من التركيز في الطعام، رغم أنهما يحاولان ألا يظهر عليهما
ذلك الاهتمام.. فراقب عصام من تحت جفونه المسبلة
يديها وهي تضع لزيئة الجالسة بينها وبين أنس بعضا من
السلطة في الطبق وتقول: «كلي السلطة مفيدة» (وأضافت
بعض المفاخرة الطفولية) كما أني من صنعتها لذا ستجدينها
لذيذة».

قالتا ضاحكة فمد لها مراد طبقه يقول: «ما دمت أنت من
صنعت هذه السلطة الغريبة سأكل منها».

غرفت له في الطبق لتمصص روح شفتيها وتقول:
«أمنيتي أن أراك تصنعين شيئا غير السلطة».

احمرت وجنتا نيللي وقالت: «سأعزمكم في بيتي في أي
وقت يناسبكم وسأريك أنني أطبخ طعام لا بأس به».

قالت روح لابنها: «أريد أن أذهب لبيتها يا عارف».

رد الأخير بحرج: «حاضر إن شاء الله».

قالت مرام: «هل ستطبخين لنا بنفسك أليس عندك من
تساعدك».

اختلفت نظرة سريعة إلى عصام وردت: «لكني في هذا
اليوم سأطبخ بنفسي حتى تصدق الحاجة روح أنني لست
فاشلة، صحيح لست في براعتك في الطبخ لكني لست سيئة

أيضا».

غمغم أنس بلهجة ذات مغزى: «إذن علينا أن نرسل لك أحدا منا ليتذوق أولا ثم يخبرنا بالنتيجة فلست مستعدا لأن أعد نفسي للطعام ثم اتفاجأ أنه غير صالح للأكل».

امتقع وجه نيللي وردت مدافعة: «لست سيئة والله».

تطلع أنس في مرام التي حدجته بغیظ ثم قال مفسرا: «أنا قصدت أنه لا يوجد أحلى من أكلك ست مرام».

أدارت وجهها بعيدا عنه بينما ناظرهما مراد بعبوس ولم يفهم سببا لهذه الأريحية الزائدة عن الحد بينهما، هناك شيء لا يشعره بالراحة في الوقت نفسه مد عصام طبقه لنيللي دون أن يتفوه بشيء فوضعت له بعضا من السلطة الغريبة بالنسبة إليه ليعيد الطبق أمامه ويذوقها أمام أنظارها المتابعة، ثم رفع أنظاره لها بابتسامة مليحة كانت كسهم حارق أصاب هدفه في قلبها فدعت في سرها أن تمر الأيام بسرعة حتى يأتي اليوم الذي تستطيع أن تعبر له فيه عن مشاعرها بأريحية ودون حواجز أو خجل

وهذا ما تمناه عصام أيضا فهي أمامه كالفاكهة الشهية التي لا يملك مهرها، هل سيأتي يوم يجمعهما مكان واحد.. مكان خالي من البشر، وهل ستتحقق أحلامه معها التي تكبر وتتوحش مع كل دقيقة تمر؟

تكلم أنس بحرج: «ما رأيك أن نقرأ الفاتحة اليوم يا عمي ونحدد موعدا للخطبة».

احمرت وجنتا مرام بينما عبس مراد بعدم فهم ليقول عارف: «نقرأ الفاتحة ليس هناك مشكلة؛ لكن أفضل أن نعقد القران مرة واحدة فأنتما لا تحتاجان وقتا للتعارف حينما تكون مستعدا أخبرني ونعقد القران».

غمغم أنس بسعادة: «الله عليك يا عمي أحببت الفكرة جدا». رفع عصام حاجبه يتطلع في أنس بينما تبادلت مرام ونيللي النظرات السعيدة في الوقت نفسه الذي قال مراد بصدمة: «ماذا يحدث؟ عم تتحدثون؟».

تكلم عارف مفسرا بسعادة: «أنس طلب يد مرام وهي وافقت».

استقام واقفا يقول باستنكار: «أنس ومرام سيتزوجان؟!». طالعه العيون باندهاش فرد أنس قائلا: «أجل أريد الزواج من مرام (ونظر لابنته يقول) ما رأيك يا زينة؟».

لم تكن زينة أقل صدمة من مراد فناظرتهما بذهول، بينما صفقت روح وهتفت بسعادة: «حقا مرام وأنس!».

هتف مراد غاضبا: «وأنا آخر من يعلم في هذا البيت؟!».

رد عصام: «لقد طلب يدها من أبيك والآن يتحدثون عن قراءة الفاتحة.. لم نفعل شيئا من خلف ظهرك يا بني».

تطلعت زينة في والدها ثم في مرام بغير تصديق ثم انفجرت فجأة بالبكاء فتكهربت الأجواء.. ليسرع أنس بسحبها

إلى صدره مفزوعا وهو يقول: «زينة ماذا حدث؟!».

في الوقت نفسه قفزت مرام من مقعدها وتحركت من خلف أنس لتصل إليها ثم سحبتها من بين ذراعيه ومالت تفحصها وتقول بلهجة ملتاعة: «ما بك لماذا تبكين؟».

ضرب مراد على الطاولة بكفه يقول بغضب: «وأنا غير موافق على هذا».

قالها وتحرك يدخل غرفته غاضبا فتطلعت مرام في أثره مصدومة وشعرت بالتمزق بينه وبين زينة المنهارة بالبكاء في حضنها فتدخل عارف قائلا وهو يطحن ضروسه: «أنا سأذهب خلفه».

تبادل عصام ونيللي النظرات القلقة وعادا ليتطلعا في زينة، بينما طبعت مرام المنحنية قبلات على رأس الصغيرة، بينما قبل أنس يد ابنته يقول بقلق: «ما بك يا زوز.. لماذا تبكين يا بابا؟ هل أنت حزينة لسماعك هذا الخبر؟».

هزت الصغيرة رأسها بالنفي ثم غابت دموعها تقول: «أنا سعيدة جدا جدا أخيرا مرام ستعيش معنا في شقتنا».

وانفجرت بالمزيد من البكاء فتغضنت ملامح أنس وأشفق على ابنته، بينما شددت مرام من احتضان رأسها وهي تقول: «حبيبتي والله.. حبيبتي يا زينة».

في الغرفة صاح مراد بغضب: «لا أريد أن أتحدث مع أحد أتركوني وأكملوا حياتكم دوني».

فتح عارف الباب وأطل منه فبلغ مراد لسانه ووقف متشنجا
ليدخل أبوه ويغلق الباب خلفه ثم يسأله بهدوء: «لماذا ترفض
أن يتزوج أنس من مرام؟».

قال بانزعاج: «لا أريد».

«لماذا؟».

حاول البحث عن السبب بين أكوام من الأفكار المتناقضة
في رأسه ثم قال: «لأنني لن أستطيع أن أكرهه».

كاد عارف أن يضحك لكنه تحكم في نفسه وسأله: «وهل لا
بد أن تكره من يرتبط بمرام».

«أجل لأنه سيبعدها عنا».

اقترب عارف ولم يخف عليه انكماش الثاني وربت على
ظهره يقول: «يا غبي زواجها من أنس هو أنسب شيء كي لا
تفارقنا ستكون في البناية نفسها في الطابق السادس ويوميا
سنراها».

هتف باستنكار: «ولماذا تتزوج من الأساس؟!».

«لأنها سنة الحياة.. لا بد أن يكون لها زوج ورفيق لها في
حياتها».

«وهل نحن سنقصر معها في شيء؟!».

ضحك عارف وقال: «الأمر ليس كذلك، من حقها أن تشعر
مثلها مثل بقية البنات أنها عروس ومرغوب بها ومن حقها أن

تنجب أولادا وأن تتلقى حبا من رجل.. حب يختلف عن حب الأخ وحب الأب.. وأنس شرف لأي عائلة أن تناسبه وابن عمها سيحفظها ويصونها كما أن أختك متعلقة بابنته».

قال باستهجان: «هل سيتزوجها لتربي له ابنته!».

«لو كان هذا غرضه كان فعلها منذ سنوات ما فهمته أنه يحبها».

ازداد شعوره بالغيرة فقال باستنكار: «يحبها كيف إن شاء الله؟!».

رد عارف ببساطة: «كما يحب الرجل المرأة».

لوى مراد شفطيه بامتعاظ غير راض عن هذه المعلومة ليضيف عارف: «ألن تحب وتتزوج أنت أيضا يوما ما؟».

أشاح مراد بوجهه فابتسم عارف حينما أحس بحرجه وربت على كتفه قائلا: «أنت أحزنتها بتصرفك اللفظ هذا وكسرت فرحتها».

ظل مراد لدقائق ينفث الدخان من منخريه وهو يعيد التفكير فيما قاله والده قبل أن يقول بامتعاظ: «وما المطلوب مني الآن؟».

«المطلوب أن تخرج وتبارك لهما وتتمنى لها السعادة».

بعد قليل كان عارف يخرج إلى الصالة وخلفه مراد الذي وقف يقول لمرام بوجه مقلوب: «ألف مبروك يا مرام».

قالت الأخيرة بسعادة: «بارك الله فيك يا حبيبي العقبى لك».

تحرك مراد يعود لمكانه على السفرة فقال له أنس باستنكار: «هل ستتزوج مرام من الهواء؟».

رفع مراد رأسه يناظر أنس فابتسم له الأخير ابتسامة شريرة يعرف أنها تستفزها لينفث مراد دخان الغضب من منخريه ثم يحشر الطعام من فمه بغيظ، ليقول أنس لعارف بابتسامة سعيدة ومتشفية أيضا: «لنقرأ الفاتحة إذن يا عمي».

بعد عدة ساعات

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل ولم تغادر نيللي بعد، فقد أقنعتها مرام بتحريض من عصام أن تبيت معهم الليلة احتفالا بقراءة الفاتحة التي قرأوها بعد الاحتفال بعيد ميلاد زينة مباشرة، كان احتفالا عائليا بسيطا لا يضم غريبا فقط العائلة وكفى وهل هناك أهم من العائلة، صاحت نيللي بحماس: «أعتقد أن هناك أحدا خلفي يا مراد».

قال الأخير وهو ينظر في هاتفه: «اذهبي ناحية اليمين وأنا سأتعامل».

ليقول عصام وهو يطحن ضروسه متطلعا في هاتفه: «يمينا أو يسارا سنقضي عليكما بالتأكيد».

قالت نيللي بإغظة وهي تتحكم في هاتفها: «سترى أننا سنسحقكما يا باشمهندس».

ناظرها بغيظ وعاد ينظر في هاتفه ممتعضا وهو يتحسر على السهرة التي انقلبت منافسة في أحد ألعاب الهاتف بدلا من أن يستغلا فرصة وجودهما معا للجلوس في جلسة رومانسية، خاصة أنه لم يبق إلا زينة وروح من لم يلاحظ العلاقة بينهما؛ لكن نيللي أصرت بطفولية أن تلعب مع مراد تلك اللعبة التي اشتاقت إليها على حد زعمها.

رفع أنظاره يتطلع فيها وهي تجلس على الأريكة المقابلة ودقق في تعابير وجهها ذات الحماس الطفولي وتملكته الشفقة عليها، فمن يراها وهي متفوقة على الأريكة تلم ساقها تحتها في ذلك الفستان الأنثوي المهلك وحماسها وهي تطلب من مراد أن يلعب معها لا يصدق بأنها مديرة لشركة، تحرك أنس رابعهم في اللعبة وترك الأريكة التي يجلس عليها واقترب من عصام يهمس مغيظا وهو يريه صورة الشخصية الافتراضية التي تلعب بها نيللي: «صدقت يا ابن عمي يداها مغریتان فعلا».

دفع عصام رأس أنس بعيدا عنه بعنف وهو يطحن ضروسه قائلا: «ركز سیهزماننا».

فعاد الأخير لمكانه مبتسما ثم سأل مراد: «لماذا أشعر أن هذا الحساب الذي تلعب به أقل في الإمكانيات والأسلحة مما كنت تلعب معنا به سابقا يا مراد؟».

رد الأخير متلعثما: «هذا حساب جديد ألعب به مع المبتدئين
مثلكم هل رأيتم أكثر من هذا تواضعا».

غمغم أنس هازئا: «حبيبي يا متواضع».

قالها وتعلقت عيناه بمرام التي وضعت على الطاولة أمامه
قطعة من كعكة عيد ميلاد زينة وكوب من الشاي فقال وهو
يراها تنوي أن تجلس بعيدا: «سلمت يديك».

وأشار لها بمقلتيه كي تجلس بجواره على الأريكة فاحمرت
وجنتاها وتحركت لتجلس بجواره ليميل عليها ويشاكسها
قائلا: «لم تباركي لي حتى الآن».

رمقته بنظرة جانبية وسألته: «علام أبارك لك؟».

«خطبت ابنة عمي».

لملمت ابتسامة خجلة وقالت: «ألف مبروك».

فأضاف بالهمس نفسه: «وحققت حلما صعب المنال
بالارتباط بها».

أشاحت بوجهها بخجل ليستمر في همسه: «وأقسم بالله
خصامها يقتلني، وأقسم بالله أيضا أنني لو أطلقت العنان
لغيرتي عليها لتحولت لكائن متوحش وأذيتها».

أدارت وجهها إليه تتطلع في عينيه في الوقت الذي
صاح عصام منفعلا فانتفضا من فوق الأريكة: «يا عم أنس
سيهزماننا».

قال مراد ضاحكا: «أحسنت يا نيللي.. أحسنت استمري».

قالها وهو يحارب عصام، بينما أسرع نيللي بمحاربة أنس قبل أن يطلق مراد ونيللي صيحة انتصار وهما يضربان كفيهما ببعض معلنان نهاية اللعبة، بينما تطلع عصام في أنس الذي يكتم الضحك وتمنى أن يقتله، بعد قليل كان عصام ينفخ من الغيظ بعد أن عادت نيللي للعب مع مراد مرة أخرى بمفردهما فأرسل لها على الواتساب: «ألا يكفي هذا القدر من اللعب؟».

نظرت في رسالته وردت: «اشتقت للعب يا عصام (وجه بائس)».

كتب: «ولم تشتاقي لعصام؟».

تلاقت أنظارهما من فوق الهواتف قبل أن تكتب بمراوغة: «ماذا تقصد؟».

«أقصد أن تتركي ما تفعلين وتأتي هنا لتتحدث».

«أمام الجميع؟!» (وجه مصدوم).

كتب يقنعها: «سنتحدث بشكل عام، لن نكون كالعصفورين المغردين اللذين يجلسان بجوارك».

تطلعت مبتسمة في مرام التي تثرثر مع أنس الذي يلتهم قطعة من كعكة عيد الميلاد وهو يستمع إليها، بينما زينة تسند رأسها على فخذاها وتغط في نوم عميق فكتبت نيللي: «سأشعر بالحر ج يا عصام.. لا يصح».

لوى شفتيه وكتب بإحباط: «طيب».

تطلعت فيه نيللي حائرة فالوضع محرج بالنسبة إليها، خاصة وهي تشعر أن العيون عليهما صحيح عارف دخل لينام، بينما روح تشخر من جلستها على الأريكة رافضة كل المحاولات لأن تذهب لتنام لكنها تشعر بالارتباك

الحلو حياتي وروحي وأقوله إيه

إن قلت بحبه الحب شوية عليه

دا حياتي وروحي وأقوله إيه

تسربت كلمات أغنية عبد الحليم من اللاب توب الخاص بعصام الذي قرر أن يعود لعمله ما دامت نيللي مصرة على أن تلعب مع مراد فتطلعت الأخيرة فيه وتخضبت وجنتاها بالحمرة، ناظرها عبر الصالة بنظراته القوية التي تدك حصونها وتحتاج كل جزء فيها، بينما توقف أنس عن الحديث الذي كان يشرح فيه لمرام كيف يرتب للفترة المقبلة ويضع معها احتمالات أنه لو زاد عدد الطلبة قليلا مع عدد الحصص المكثفة التي ينوي أن يعطيها لهم، نظرا لضيق الوقت مع قيامه بتدريس الثلاث مواد الخاصة بالعلوم لهم كما طلبوا؛ لكنه من العام المقبل سيتخصص في مادة الكيمياء فقط لو حدث هذا قد يستطيع في الإجازة الصيفية أن يعقدا القران.

صمت أنس وتوقف وتاهت الكلمات من رأسه على صوت عبد الحليم فحان الوقت لحديث القلوب وحين تتحدث القلوب يصمت العالم.

تطلع فيها فأسبلت مرام أهدابها بخجل وقبض يده هو
حتى لا يلمس يدها التي تمسد بها على رأس زينة في
حجرها.

هتف مراد وقد لاحظ الصمت المريب المعبأ بالعاطفة: «من
هذا الذي يغني؟ مغني من المتحف؟».

رد أنس دون أن ينظر إليه: «إنه عبد الحليم حافظ يا
جاهل».

هز مراد رأسه وعاد يتطلع في اللعبة وهو يقول: «لا بأس
به».

الحلو الغالي

شغل بالي

ولا عارف إيه اللي جralي

ولا قادر أقوله على حالي

من غير ما يقولي ولا أقوله

في عنيا وقلبي الشوق كله

سحبت نيللي عينيها بصعوبة عن سحر عينيها وعادت للعب
دون تركيز فأرسل لها على الواتساب: «أنا لا أعرف ماذا تخبي
لنا الأيام؛ لكن ما أعرفه وأكيد منه أنني أحبك.. أحبك
وسأظل طول العمر متيما بمخلوقة استثنائية اسمها نيللي
شرف الدين».

في الصباح

وقفت نيللي بسيارتها خارج الحي بعد أن أوصلت أنس وزينة لمدرسة الأخيرة ثم ترجلت من السيارة في الوقت نفسه الذي ترجل عصام أيضا منها لتسرع مرام بترك مقعدها الأمامي وتعود للمقعد الخلفي مدعية أن ذلك سيريحها أكثر، فأنتهى الأمر بعصام أمام المقود ونيللي تجلس بجواره ومرام بالمقعد الخلفي، لقد نزلوا جميعا في الموعد نفسه كل منهم إلى عمله فعرضت نيللي أن توصلهم بسيارتها، ولم يستطع عصام قيادة السيارة حتى لا يلفت انتباه أهل الحي فاكتفى بالجلوس بالمقعد الخلفي مع أنس وزينة، بينما جلست مرام بجوارها لكنه أصر بمجرد أن غادرا الحي أن تتوقف ويقود هو شاعرا بالحرص.

حين شغل عصام السيارة غاصت نيللي في المقعد براحة إنها لم تنم تقريبا طوال الليل فقد سهروا حتى الساعات الأولى من الصباح؛ لكنها تشعر بالسعادة كلما حمل عنها عصام هم القيادة، فأسبلت جفניה لبضع دقائق تستمتع باللحظات الأخيرة قبل أن تذهب لبيتها وتغير ملابسها استعدادا ليوم طويل شاق في العمل.

فتحت عينيها فجأة تقول وهي تشير على إحدى عربات الفول: «عصام أريد أن أكل فول».

هتف الأخير باستنكار وهو يحرك أنظاره بينها وبين الطريق

أمامه: «نعم! الآن؟!».

قالت وهي تنظر لعربة الفول التي تجاوزوها: «أريد أن أكل فول في الشارع.. طوال عمري أتمنى أن أقف على عربة الفول لكنني أشعر بالحرج من أن أفعلها وحدي».

كتمت مرام ضحكتها فنظرت نيللي خلفها وقالت بعبوس طفولي: «علام تضحكين؟!».

ارتفعت ضحكة مرام وهي تقول: «أتخيل منظرك وأنت تقفين على عربة الفول بهذا الفستان».

ناظرتها نيللي بغيظ ثم عادت إلى عصام وأمسكت بطرف كم قميصه بالسبابة والإبهام تقول بمسكنة طفولية: «عصام.. ما فعلته استفز مشاعر خاصة لديه وفقد لثوان التركيز فهتف بلهجة قاطعة يستعيد بها تركيزه: «لا طبعا لن يحدث أن أقف بك عند عربة الفول وتكونين تحت أنظار الجميع».

قالت بغيظ: «أنا أرى فتيات أنيقات يقفن على عربات الفول دوما المشكلة أنني أكون وحدي كل مرة أراها وأشعر بالحرج».

رد مفسرا: «هذا لأن العربة غالبا بجوار شركة كبيرة، لهذا الموظفين يجتمعون حولها ويعرفون بعضهم وأنسي لن تقفي على عربة فول يا نيللي خاصة.. خاصة بهذا الفستان السما علينا».

ضحكة مكتومة جاءت من المقعد الخلفي فتطلع في المرأة يقول بلهجة خطيرة: «وأنت توقفي عن الضحك».

لم تستطع مرام تنفيذ ما يطلب فناظرها بغيظ ثم عاد ينظر لنيللي التي تكتفت تتطلع في النافذة بإحباط.

وخزه قلبه وتطلع فيها عابسا مشفقا عليها وأنب نفسه لانفعاله فإن لم يدلها هو من سيفعل، لقد أشفق عليها ليلة أمس وهي تلعب وتهل كطفلة صغيرة ورغم ضيقه من انشغالها باللعب كان سعيدا من أجلها؛ لكن لا يصل التدليل لأن يقف معها عند عربة الفول.. هكذا قال لنفسه ثم سألها بهدوء: «هل رغبتك تخص أكل الفول نفسه أم الوقوف عند العربة؟». تأخرت قليلا في الرد ثم حركت مقلتيها نحوه تجيب: «أكل الفول».

قالت مرام: «ألم تأكلي الفول عندنا أكثر من مرة؟».

أدارت نيللي وجهها إليها ترد: «وأكله دوما من يد دادة راجية؛ لكن أنا أريد أن أكل الفول الذي يباع في المحلات لم أفعلها أبدا، زملائي في الكلية كانوا يتجمعون ويذهبون معا للمطاعم القريبة لكني كنت مرتبطة بالسائق الذي يرسله أبي في مواعيد محددة لا يخلفها أبدا».

زفر عصام وقال: «حسنا سنوصل مرام لمقر عملها ونذهب لأحد المطاعم».

قالت مرام باعتراض: «ولماذا لا آتي لأفطر معكما؟!».

ناظرها في المرأة الأمامية شذرا ثم قال بلهجة خطيرة: «سنذهب أنا وهي فقط حتى لا تتأخري على عملك».

بلعت مرام لسانها وتطلعت في النافذة تكتم الضحك
وشردت في ليلة أمس مع أنس تتذكر كل نظرة من عينيه
وكل كلمة قالها وكل لمسة عفوية كانت أم متعمدة بينهما، أما
نيلى فغمغمت بمسكنة وهي تداري فرحة طفولية: «أكثر الله
من خيرك يا باشمهندس».

بعد نصف ساعة كانت تترجل بذلك الفستان الذي يجعلها
مشرقة ورقيقة وأنثوية أكثر من اللازم من وجهة نظر
عصام ووقفت تتطلع في اسم محل شهير من محلات الفول
والطعمية، ثم ناظرته بحماس فأشار لها أن تتحرك أمامه
وسار بجانبها بالبدلة دون سترتها التي تركها في السيارة،
فتح لها الباب الزجاجي للمحل الذي رغم أنه يقدم أكلة شعبية
إلا أنه كان مصمما على الطراز العصري فوقفت تتطلع حولها
ليقودها إلى طاولة عند الركن بعيدا عن الممر والزحام الذي
كان يملأ القاعة في هذا الوقت المبكر من الصباح، ثم أجلسها
وطلب لهما الفطور الذي جاءهم بعد قليل طبقين من الفول
ووحدات من الطعمية وبانجان مقلي، وراقبها وهي تقبل
على الطعام بشهية كبيرة،

تطلعت في وجهه بعد قليل وسألته: «لماذا تتطلع في هكذا
ألم تر فتاة تأكل فول وطعمية من قبل؟!».

ابتسم ورد: «بهذا الجمال لم أر بصراحة؟».

تخضبت وجنتاها وهربت بأنظارها نحو الأكل فسألها وهو
يلف قطعة الطعمية في لقمة: «ماذا كنت تريدين أن تكوني إن

لم تضطري لإدارة شركة والدك؟».

أجابته دون تردد: «بلا عمل».

تفاجأ بردها فأضافت: «كنت أريد أن أعيش بلا وظيفة أمارس حياتي دون ضغوط وربما تعلمت مهارة يدوية أمارسها وقرأت الكثير من الكتب، وأنا صغيرة كنت أتمنى أن أعيش في بيت صغير بجوار البحر بعيدا عن صخب المدينة».

قال يشاركها حلمها: «أتمنى أن أستطيع يوما ما تحقيق ذلك الحلم لك ببيت بحوار البحر».

ابتسمت فأضاف: «أحلامك إذن أن تكوني زوجة وأما».

هزت رأسها وأوضحت: «كنت أتمنى أن أتفرغ لتربية أولادي، أشعر أن هذه مهمة كبيرة جدا تحتاج لتفرغ خاصة وأنا أرى الأجيال الصغيرة من حولي تحتاج لجهد أكبر».

ارتسمت ابتسامة متألمة على وجهه وقال: «كلما نظرت إليك تملكني شعور بالعجز».

تغضنت ملامحها وسألته: «لماذا؟!».

أعاد اللقمة في الطبق وقال: «لأنني أريد أن يتغير عالمي بسرعة كي أصل إليك، أنا أتعذب يا نيللي أنت لا تعلمين ما أبذله للتوازن أمامك، لعدم تجاوز الحدود للبقاء بعيدا هذا البعد يعذبني وإجهاذك وشقائك يؤلمني ليتني كنت ثريا فأحل لك كل مشاكلك».

رغم تأثرها بكلماته ردت عليه بلهجة جادة: «حتى لو كنت

ثريا قدرنا أن نلقى بعضنا وأن تحول بعض الصعوبات دون أن نجتمع بسرعة، فإن لم تكن العقبات الحالية ستكون عقبات من نوع آخر هذا قدرنا يا عصام وعلينا أن نتقبله وقت أن نتقبله كله حتى آلامه برضا ستفتح لنا أبوابا من الفرج، هذا ما أنا مؤمنة به وما أخبر به نفسي كلما اشتدت علي الأحمال».

ناظرها بإعجاب يتخطى كل مرة حاجزا يظن أنه الأعلى مدى وهو يقول: «ونعم بالله أنا متقبل لكل شيء، وأرى أن أي عذاب يهون ما دمت في حياتي وأتمنى أن يأتي اليوم الذي أستطيع أن أعبر لك عن مدى حبي وتقديري وهيامي بك، كما أشعر وكما يليق بك».

قالت له بمقة كان بحاجة إليها: «وأنا واثقة أن هذا اليوم سيأتي وأنتظره على أحر من الجمر».

بعد شهر عصرا

دخل أنس مفزوعا وخلفه مراد ليجدا مرام جالسة على كرسي السفارة في وضع غير مريح، تمسك بجانبها واستقبله عارف قائلا: «إنها تتألم يا أنس ولم تأكل شيئا منذ الصباح».

اقترب منها ومال يسألها: «هل أنت مواظبة على أدوية المعدة والقولون التي وصفها لك الطبيب قبل أيام؟».

هزت رأسها بوجه مكفهر من الألم ثم قالت له بعينين دامعتين: «أنا متعبة جدا يا أنس لا أتحمل الألم».

قال أنس لمراد: «اعتذر للشباب بالأسفل وأخبرهم أنني سأحدد لهم وقتاً آخر لحصص اليوم وأسرع في طلب سيارة أجرة».

ناظر مراد أخته وتحرك بسرعة لينفذ ما طلب منه، بينما أطلقت مرام تأوها وهي تمسك ببطنها فابتعد عارف إلى شرفته غير قادر على تحمل منظرها المتألم، بينما ظلت روح وزينة يراقبان الوضع بقلق، جلس أنس على عقبه أمامها يحضن يدها بين كفيه وهو يسألها والألم يمزقه مثلما يمزقها: «هل تناولت مسكناً للألم؟».

قالت بمعاناة: «أخذت كل شيء يا أنس.. كل شيء».

سألها بعدما سمع من عصام الذي أخذها لطبيب باطني قبل أيام أنها كانت تمارس تماريننا للبطن في الفترة الأخيرة: «هل مارست تمارين البطن بعد زيارة الطبيب؟».

هزت رأسها بالرفض ثم شددت على يده متألمة فذلك كفها وهو يتحكم في نفسه كي لا يسحبها إلى حضنه، واستقام واقفا يرفع الهاتف يقول بتوتر: «أين مراد؟».

هتفت نيللي بفرحة: «أتقول الصدق يا طارق؟».

قال هامسا وهو يتأكد من أن باب المكتب مغلق: «اششش.. لا نريد أن نثير ريبة والدي ولا أن يصل إليه الأمر».

خرجت من خلف مكتبها ووقفت أمامه تقول: «اعطني رقمه

بسرعة كي أتصل به».

قال طارق: «أنا حاولت التحدث معه عبر الهاتف؛ لكن يبدو أنه خائف على نفسه وعائلته ويشك بي لأنني ابن مهدي، ولهذا سافر ليختبئ عند أهله في الجنوب عموما توقعي أنه قد يشعر بعدم الأمان حتى مع اتصالك».

قالت نيللي وهي تفتح هاتفها استعدادا للاتصال بعروت الذي عمر طارق على مكانه أخيرا: «أنا على استعداد للسفر إليه فوراً إن كان هذا ما سيحل الموقف المهم أن يكون معه الأوراق».

أملاها طارق رقم الرجل وأغلق عليهما باب المكتب من الداخل لتقول نيللي بإحباط: «الهاتف مغلق».

فقال طارق: «يبدو أنه خاف مني كما قلت لك، لأنني تحدثت معه قبل ساعة عندما كنت مشغولة».

رفعت إليه أنظارها وقالت بتصميم: «سأسافر له فوراً».

أسرع عصام في رواق المستشفى ليقابل أنس ويسأله ملهوفاً: «كيف حالها؟».

هز الأخير رأسه من وقفته المتشنجة وقال: «علقوا لها محاليل حينما علموا أن لديها تاريخ من نوبات المغص الكلوي».

سأله عصام: «وهل تحسنت؟».

هز أنس رأسه بالنفي وقال بحيرة: «لا تشعر بالتحسن بعد.. وأنا لا أشعر بالاطمئنان هناك شيء غير مفهوم».

قال عصام مستفهما: «ماذا تعني؟ طبيب الأمراض الباطنية الذي ذهبت بها إليه منذ أيام شخّص مشكلتها مخص قولوني والآن يشكون أنه مخص كلوي ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟».

فرك أنس رأسه وقال بضيق شديد: «لا أعرف.. ما أعرفه أنها تتألم وأنا عاجز عن مساعدتها وأكاد أن أجن».

تطلع عصام في مراد الواقف على مقربة يقضم ظفر إبهامه بقلق ثم قال بتفاؤل: «إن شاء الله ستتحسن لقد زارها المخص الكلوي أكثر من مرة من قبل هل نسيت؟».

خرجت مرام ممسكة بيد الممرضة فأسرع إليها ثلاثتهم ليشكر عصام الممرضة ويتطلع في وجه أخته الشاحب ثم سألها بحنو: «كيف الحال؟».

ناظرته لبضع ثوان ثم بدأت في البكاء وهي تتمتم: «لا أعرف يا عصام.. لا أعرف».

رغم قلقه وشعوره بالألم لحالتها؛ لكنه قال مطمئنا وهو يميل ليطلع قبلة على رأسها: «ستحسنين بعد قليل إن شاء الله».

قالها ولف ذراعه حول جذعها ليسندها كي تتحرك، بينما وقف أنس ينظر إليها بعينين ينضح منهما القلق فهو لا يشعر

بالراحة هناك شيء غريب يحدث معها.

في العاشرة مساء

تطلعت نيللي في ثروت عبد الرحيم مدير المشتريات في الشركة وهي تجلس أمامه في غرفة الضيوف الخاصة بمنزل قريبه والتوتر يشملها من رأسها حتى أخمص قدميها، وكأنها على بعد دقائق من حدث فاصل في حياتها بينما قال ثروت بابتسامة مرحبة وهو يتطلع فيها وفي طارق الجالس بجوارها: «أنرتنا يا هانم أنت والأستاذ طارق».

قالت نيللي بلهفة: «أستاذ ثروت أرجوك أخبرني أين أوراق الشركة المختفية؟».

لاحت منه نظرة سريعة على طارق وقال بارتباك: «أية أوراق؟ الأوراق كلها بالشركة».

نظرت نيللي لابن عمها وقد استشعرت ارتباك الرجل فقالت له مطمئنة: «لا تقلق من طارق إن كنت تريد أن تخبرني بشيء يخص عمي مهدي فلا تقلق منه أنا أثق به».

غمغم الرجل بحرج ومراوغة: «لا سمح الله السيد طارق والسيد مهدي فوق رؤوسنا».

عبست نيللي وشعرت بالإحباط فقد جاءت خصيصا على متن أول طائرة إلى هنا على أمل أن تجد عنده ضالتها، بينما استقام طارق واقفا وقال: «سأنتظرك بالخارج يا نيللي».

قال ثروت بحرج شديد: «لماذا يا أستاذ طارق البيت بيتك لا يصح».

قال الأخير: «أنا بالخارج تحدثا بحرية».

وتحرك مغادرا وهو يشعر بالضيق والخزي ألا يكون محلا للثقة بسبب والده، أما نيللي فقالت لثروت بترج: «أرجوك يا أستاذ ثروت إن كنت تعلم شيئا..».

أسرع الرجل بترك مكانه والتوجه نحو الباب لإغلاقه ثم عاد يقول لنيللي بصوت خافت: «لا تأمني له إنه ابن السيد مهدي».

قالت نيللي تجاربه: «حسنا لا تقلق بهذا الشأن».

قال ثروت: «أنا حذرتك يا هانم».

قالت بلهفة: «أخبرني بسرعة».

جلس ثروت أمامها وقال: «أنا أعمل في شركة والدك منذ أن أنشأها ولن أكون مبالغا لو قلت إنني من أوائل الموظفين فيها أدخلت بيدي المكاتب الجديدة مع العمال وتابعت التجهيزات قبل استقبال وتوظيف باقي الموظفين، ولحم أكتافي من خير دكتور باهي هذا الرجل له أفضل علي كبيرة.. ولن أنسى حينما تكفل بعلاج ابنتي الصغيرة حينما احتاجت لعملية بالقلب لهذا أنا مدين له بحق العشرة والعيش والملح الذي بيننا وبحق أفضاله علي وهذا ما جعلني حين أثير أمر طلبية الأدوية الأخيرة وتفحصنا أنا وأنت العقود

ووجدناها لشركة أخرى جديدة أشعر بالقلق».

قالت بلهفة: «هل هذا يعني أن هذه الشركة لم يسبق لنا التعامل معها؟».

قال بتأكيد: «بالطبع لم يسبق لنا التعامل معها، أنا فحصت العقود السابقة وطاقبت اسمي الشركتين هناك تشابه في الأسماء مقصود غالبا».

زفرت نيللي وتنفست براحة بينما واصل ثروت حديثه: «بعدما خرجت من مكثبي طلب مني مهدي أن أحضر له التعاقد الخاص بالشركة والملف الخاص بالصفقة كلها، الذي يشمل تقارير اللجنة الفنية التي هو رئيسها فتلكأت وراوغته وقررت أن أخذ معي الملف كله إلى البيت لخوفي من تلاعب مهدي بك به، ثم ألهمني الله أن آخذ معي أيضا العقود الخاصة بالشركة كلها شعرت أنه قد يفعل بها شيئا لا أعرف شعرت بعدم الأمان وأن الشيء الذي بحوزتي ويخص الشركة من الممكن أن يتم الاضرار به فأخذتها وأنا أنوي أن أسلمها لك في يدك؛ لكن إلحاح مهدي بك يومها للاتصال بي وزيارته لبيتي مساء اليوم نفسه يبحث عني أقلقني أكثر».

أنصت نيللي لحديثه بينما أكمل ثروت: «كنت يومها بالصدفة في زيارة لمريض وأخبرتني زوجتي أنه جاء بنفسه للبيت وحين لم يجدني ترك لي معها رسالة تهديد فعلمت أنه قد يحاول اللعب في العقود، في اليوم التالي لم أذهب للعمل لكن توجهت لبيتك ولم أجذك وعدت ثلاث مرات بعدها آخرها

وجدت عمك ومعه بعض الرجال يخرجون من البناية التي تسكنين فيها، فازداد خوفي ولم أعرف ماذا أفعل بالأوراق التي بحوزتي وعلمت بعد اتصالي بمساعدي في المكتب أنك اختفيت ولا أحد يعرف أين ذهبت».

غمغمت نيللي وهي تفكر وتربط الأحداث ببعضها: «غالباً أنت جئتني في اليوم الذي أصبت في حادث لهذا لم أعد إلى شقتي».

غمغم ثروت: «ألف لا بأس عليك.. المهم أنني لم أعرف ماذا علي أن أفعل ولم أرغب في أن أسلم الأوراق للسيد مهدي لأنني لا أفهم ماذا يخطط له بالضبط، فذهبت أنا وأسرتي لأخت زوجتي وبقينا عدة أيام وحين لم تظهرني واستمر مهدي بإرسال من يبحث عني في المكان الذي أسكن فيه، جئت إلى هنا مختفياً أشعر بالشلل التام حتى الاتصال بالشركة لم أفعل لم أكن واثقاً في أحد وخفت أن يعرف عمك بمكاني وكنت أنوي أن أسافر للعاصمة لأتقصى أخبارك لولا وعكة صحية أخرتني».

سأله نيللي بسرعة: «أفهم من ذلك أن الأوراق كلها بحوزتك؟».

قال بتأكيد: «طبعاً يا هانم دقيقة واحدة».

قالها وتحرك يغادر الغرفة فدمعت عينا نيللي وحاولت السيطرة على ارتجاف جسدها من وقع الأخبار الحلوة عليها، ليعود إليها ثروت ويغلق الباب بحرص وهو يناولها حقيبة

جلدية قائلاً: «هذه أمانتك وأنا بهذا ذمتي خالصة».

أسرعت نيللي بفتح الحقيقة وتفقد أوراقها بعينين متسعيتين ملهوفتين، بينما قال ثروت: «ستجدين كل العقود الماضية للشركة وستجدين موافقة اللجنة الفنية التي يرأسها مهدي وتوقيعه الشخصي على التوصية بشراء المادة الفعالة من هذه الشركة بالذات، مهمتي انتهت واسمحي لي أن أقدم استقالتي من الشركة فبال تأكيد لن أشعر بالأمان في وجود مهدي بك في الشركة».

ناظرته نيللي وقالت: «اعطني بعض الوقت وسنرى ما ستؤول إليه الأمور أنت في إجازة مدفوعة الأجر يا أستاذ ثروت منذ اليوم الذي انقطعت فيه عن العمل».

وتطلعت في الأوراق بارتجاف وهتفت في سرها: «كنت أكيدة أنك شريف يا أبي الحمد لك والشكر لك يا رب الحمد لك والشكر لك يا رب».

الثانية عشر منتصف الليل

قال عصام بعصبية لأخيه: «لا أفهم سبب رغبتك في الذهاب في هذا الوقت المتأخر لأصدقائك رغم الحالة التي نحن عليها كلنا».

غمغم مراد: «قلت لك كي أذاكر».

هتف عصام بغیظ: «ألا تحلو المذاكرة إلا معهم كما أنك لا

تذاكر في الأيام العادية ستذاكر الآن في هذا الظرف؟!».

هتف مراد مدافعا عن نفسه: «أنا أذاكر اسأل أنس.. أنا أذاكر».

تطلع أنس الجالس واجما في الأخوين ولم يقو حتى على التدخل لحل المشكلة، كان قلقه على مرام يزيد ولهذا ورغم الوقت المتأخر لا يزال موجودا في بيت عمه وهي ما تزال لا تشعر بالراحة.

استيقظت زينة النائمة على الأريكة مفزوعة من شجار الأخوين بينما خرج عارف الذي لم ينم هو الآخر من غرفته وأسرع بالتدخل قائلا بعد أن بذل مجهودا حتى لا يصب جام غضبه وقلقه على مراد المستفز: «اتركه يا عصام».

امتقع وجه مراد حينما تدخل والده وحاول أن يسيطر على نوبة غضب تسيطر عليه بسبب قلقه على مرام وبسبب رغبته في اللحاق بأصحابه، فقد مر على موعد اجتماعهما اليومي وقتا وسيفوته ما يحدث وهو بحاجة ماسة للذهاب حتى يتخلص من توتره، فرارا من هذا الجو المشحون الذي يشعره بالعجز فقال لوالده بلهجة أهدأ: «أنا بحاجة للذهاب إليهم لساعتين فقط، ما أشعر به من توتر يدفعني للذهاب إلى هناك أرجوك».

مجهود كبير بذله عارف للتحكم في أعصابه كي لا ينفجر فيه وقال له: «اذهب ولا تتأخر».

أسرع مراد بالخروج بينما ظل أنس يتطلع في ابن عمه

الصغير بتدقيق.

غمغمت روح من جلستها أمام التلفاز: «قلت لكم هذا ولد فلتان لم يصدقني أحد».

قال عارف لأمه بضيق: «بالله عليك يا حاجة خففي من أسلوبك الحاد معه».

قالت روح مدافعة عن نفسها: «أنا؟ أنا لا أفعل له شيئاً بل هو من يصيح في وجهي وأوشك على أن يضربني أكثر من مرة».

اتسعت عينا عارف وقال لها بذهول: «أمي أنا موجود معكما طوال الوقت وهذا لم يحدث أبدا».

صاحت في وجهه غاضبة: «هل تعني أنني كاذبة يا قليل الأدب!».

أمسك أنس بين عينيه بإرهاق بينما تدخل عصام بينهما يقول لوالده: «أبي لا داعي لهذا أرجوك».

غمغم عارف بضيق وهو يشعر بالتمزق بين أمه وابنه الصغير: «وماذا فعلت لها.. أنا مشفق على الولد الذي تنتقده طوال الوقت».

أشفق عصام على والده فربت عليه وقبل كتفه فتحرك عارف عائدا لغرفته، بينما استمرت روح تلحق به بصوتها قائلة بغضب: «قليل الأدب والتربية أنت وابنك».

طحن أنس ضروسه بينما جلس عصام يدلك ظهر روح

قائلا: «يكفي هذا القدر يا جدتي اهدئي».

قالت له بمسكنة والدموع تترقرق في عينيها: «ابني لا يريدني في بيته يا عصام».

قبل رأسها يقول بهدوء: «من قال هذا أنت فوق رؤوسنا جميعا».

تكلمت روح بنفس التأثر: «أدعو الله أن يكون لك بيتا حتى تأخذني معك وأترك هذا البيت لهم».

ابتسم يجاريها في حديثها قائلا: «إن شاء الله يا جدتي دعينا الآن نفكر في مرام التي لا تزال متعبة حتى الآن».

غمغمت روح: «حبيبتي مرام لا أعلم ماذا ألم بها كانت كالوردة الجميلة».

ابتأست ملامح أنس وتمنى لو يملك الحق في أن يدخل إليها ويتمدد بجوارها يخفف عنها، بينما اقتربت زينة من والدها بعد أن طار النوم من عينيها وسألته: «ألا تزال مرامي مريضة؟».

قال أنس بحشجة: «ادخلي إليها بهدوء وأخبرينا إن كانت قد نامت أم لا تزال مستيقظة».

أسرعت زينة بالتنفيذ بينما ترك عصام جدته بعد أن نجح في إلهائها وجلس بجوار أنس يقول بقلق: «هل سنتركها هكذا يا أنس؟ إنها لا تزال لا تشعر بالراحة».

رد الأخير بحشجة وهو ينظر في ساعته: «في الصباح

سنعيدها للمستشفى».

«هل تعتقد أنه التهاب الزائدة الدودية مثلا؟».

أجابه أنس بذهن مشغول: «لا أعرف في الصباح سنذهب بها مرة أخرى للمستشفى».

خيم الصمت لبرهة ثم قال عصام: «أنا أشعر أن مراد يخفي عنا شيئا».

رد أنس ييوح بما يفكر فيه: «أنا أيضا أشعر أنه منذ فترة به شيء مريب لا ينام بما يكفي ويسهر مع أصحابه بشكل متكرر، عيناه مرهقتان من عدم النوم، ولا أعلم لماذا لا يدخر الوقت الذي يذهب فيه مع أصحابه للنوم ما دام يذاكر ويذهب لباقي الدروس أثناء اليوم».

سأله عصام مفكرا: «ماذا عن مستواه الدراسي؟».

«مستواه في تحسن كبير لا أنكر هذا، إنه يبذل مجهودا في الفترة الأخيرة».

قال عصام: «ماذا تتوقع إذن.. ولماذا يحرص دوما على التجمع مع أصحابه وماذا يفعلون؟».

تطلع فيه أنس فقرأ عصام ما في عينيه أو ربما أكدت النظرة المرتابة التي رآها في عيني ابن عمه ما كان يفكر فيه فقال له: «لا أتوقع أبدا أنه يتعاطى شيئا».

تكلم أنس بحيرة: «لا أعرف؛ لكنه يفعل شيئا من خلف ظهورنا هذا ما أشعر به في كل مرة يتشاجر للذهاب

لأصحابه، واليوم كانت جملة غريبة حينما قال (أنا أحتاج لأن أذهب إليهم الآن)».

اتسعت عينا عصام وغمغم بغير تصديق: «كان معنا في الثانوية العامة طالب يبذل مجهودا كبيرا في المذاكرة ولا ينام إلا وقتا قليلا واكتشفنا بعد فترة أنه مدمن لأقراص (....) ويلجأ إليها كي لا ينام معتقدا أنها تزيد من تركيزه هل تتوقع أنه من الممكن أن...».

قطع حديثه والفكرة تتوحش في رأسه فقال له أنس: «سنتبه له بعد أن ننتهي من أمر مرام.. لا بد أن نعرف ماذا يفعل بالضبط».

فجأة صرخت مرام صرخة خلعت قلبيهما فانتفضا يسرعان نحو غرفتها فوجداها في الأرض في وضع السجود تمسك بجانبها وتصرخ متألمة، بينما قالت زينة برعب: «لم أفعل شيئا هي قالت ساعديني كي أدخل الحمام فأمسكت بيدها كي تقف فسقطت تصرخ».

اقترب عصام وأنس وانضم إليهما عارف لتقول مرام وهي تتلوى من الألم: «أنا أموت لا أستطيع التحمل.. أموت يا عصام أموت.. يا أنس أموت يا ناس».

هتف أنس بسرعة: «ألبسها شيئا يا عصام وأنا ذاهب لأحضر سيارة أجرة لا بد أن نعيدها للمستشفى فورا».

الرابعة فجرا

«ماذا تعني أنكم ما زلتم تفحصونها؟ إنها تتلوى من الألم منذ ساعتين؟».

قالها عصام وهو يهم بالانقضاء على الطبيب الذي امتقع وجهه، فتدخل أنس يبعد ابن عمه قائلا بغضب: «عصام أرجوك لا وقت للشجار لدينا موضوع أهم».

قال الأخير أمام عيني عارف الذي يتابع بقلق: «ألا ترى الحالة التي هي عليها؟!».

قال أنس للطبيب ببعض الحدة: «أرجوك إنها هنا منذ ساعتين ولم تتوصلوا لحالتها وما زالت تتألم».

تكلم الطبيب شارحا: «أخبرتكم أنها لا تزال تحت الفحص ولا نعلم سبب الآلام حتى الآن».

هذه المرة احتد أنس قائلا: «كل هذا الوقت تفحصونها!».

قال الطبيب بلهجة حاسمة: «من فضلكم دعونا نركز في عملنا».

قالها وتحرك مبتعدا بعد أن أعطى للممرضة تعليماته، فقبض عصام على شعره يشعر بالعجز بينما قال أنس للممرضة: «أريد أن أراها من فضلك».

دخل أنس بعد دقائق فوجدها متكومة على جانبها تقبض على الوسادة بآلم فنزل على ركبته يقول: «هانت يا مرام هانت الأطباء أوشكوا أن يجدوا لك حلا».

أمسكت بملابسه تقول باكية: «أنا أموت يا أنس والله أموت».

دمعت عيناه فوضع كفه على جانب وجهها يقول بحشجة: «بعيد الشر عنك يا حبيبتي حالا سأستعجلهم».

قالها وتحرك غير قادر على تحمل حالتها التي تمزق نياط قلبه، بينما استقبل عصام المنفعل أخاه الذي وصل للتو ومعه باسم بعد أن أخبره الأخير حينما عاد فوجده وأمه مع زينة وروح في البيت بما حدث لمرام.

قال عصام بعاصفة هوجاء: «أين كنت وهاتفك مغلق؟».

كان مراد يلهث من الفرع والهرولة في طرقات المستشفى ولم يرد على عصام بل اندفع نحو الغرفة التي خرج منها أنس للتو، بينما قال الأخير لعصام وهو يمنعه من مواصلة الشجار مع أخوه: «اهداً ودعنا نفكر أين من الممكن أن ننقل مرام».

سأله عصام بعبوس: «ماذا تعني؟».

«أعني أنني أجد تلكوا هنا وقد يضطر أحدنا لارتكاب جريمة فيهم».

قالها وسأل الممرضة التي اقتربت من الغرفة: «من فضلك قلتم ستقومون بعمل أشعة موجات صوتية لها ولم يحدث حتى الآن».

قالت الممرضة: «سنجهزها يا أستاذ الصبر طيب».

هتف عصام: «نصبر أكثر من هذا؟!».

أبعده أنس بعيدا عن الممرضة وهو يطحن دروسه ثم قال لابن عمه: «علينا بالبحث عن طبيب باطني جيد».

قال عارف بتوتر: «من أين سنأتي بالطبيب الآن إنها الرابعة والنصف فجرا؟!».

تكلم أنس: «سأتصل بالدكتور فياض لأسأله».

انتحى عصام جانبا هو الآخر وفكر في نيللي ربما تعرف بعلاقاتها طبيب كبير في هذا التخصص فأسرع بالاتصال بها.

كانت نيللي في إحدى كافيتريات المطار تجلس مع طارق تدرس الأوراق التي بحوزتها وتنتظر موعد الطائرة العائدة للعاصمة، لقد تركا بيت ثروت في وقت متأخر رغم إلحاح الأخير وأسرته عليهما بالمبيت؛ لكنهما أصرا على المغادرة ولم يجدا حاجة لأن يذهبا لأي فندق لأن الطائرة الخاصة بإعادتهما للعاصمة ستقلع في السابعة صباحا فقررا البقاء في المطار هذه الساعات.

تطلعت في الهاتف واندهشت حينما وجدت اسم عصام في هذا الوقت المبكر؛ لكنها خمنت أنه قد قلق عليها بسبب هاتفها المغلق لأنها نسيت أن تحضر شاحن الهاتف معها في عجلتها للحاق هي وطارق بالطائرة، فاحمرت وجنتاها وتركت مقعدها ووقفت بجوار نافذة الكافيتريا الخالية تقريبا من المسافرين وردت: «عصام كيف حالك؟».

قال لها بحشجة: «أين أنت؟ حاولت الاتصال بك من بعد المغرب وهاتفك مغلق».

قالت مفسرة: «اضطرت للسفر خارج العاصمة لسبب مفاجئ ونسيت شاحن الهاتف، فلم يجد لي طارق واحدا إلا هنا في المطار قبل ساعتين».

هتف باستنكار: «طارق؟! طارق ابن عمك سافرت معه؟!».

«أجل».

فارت دماؤه وهتف منفعلا: «وحدكما ودون أن تخبريني؟!».

لم يكن وحده المرهق الذي يتحدث باندفاع هي أيضا كانت كذلك فقالت بانفعال: «وهل أحتاج للاستئذان منك قبل أن أتحرك فيما يخص عملي!».

طحن ضروسه ورد متhekما: «لا طبعا لا تحتاجين للاستئذان، من أكون أنا لك كي تستأذني مني؟!».

أسلوبه زاد من عصبيتها وكلاهما لا يعلم ما يرزح تحته الآخر من ضغوط فقالت: «عصام.. لماذا تتحدث بهذه الطريقة؟ أنت حتى لم تسألني عن الأمر المهم الذي جعلني أسافر فجأة».

رد عليها بالانفعال نفسه: «أنت قلت يخص العمل وبالتالي ليس من حقي أن أعرف التفاصيل؛ لكن بالطبع ابن عمك من حقه ولهذا سافر معك».

أدركت أن الأمر يتطور بينهما فقالت له محذرة: «أنت

تحدث دون تفكير مرة أخرى وأسلوبك هذا لا أقبله».

بدأ يستعيد تحكمه في أعصابه فقال لها بخفوت لاهت: «اذهبي إذن لأنني في حالة من الغضب والإرهاق والتعب وسأتفوه بما قد أندم عليه فيما بعد اذهبي وطمئنيني حينما تعودين أنت والبيك ابن عمك».

قالها وأغلق الخط فتطلعت نيللي في الهاتف بغيظ وتملكها الغضب، فطحنت ضروسها وعادت للطاولة وهي تتوعد عصام في سرها ليقول لها طارق بتدقيق: «من عصام هذا يا نيللي الذي كنت تتشاجرين معه الذي يتصل بك في وقت كهذا؟!».

احمر وجهها وناظرته وهي تطبق شفيتها بحرج ثم غمغمت بعد ثوان: «سأخبرك».

أما عصام فوقف يضغط قبضتيه بقوة حتى كاد أن يكسر الهاتف يحاول أن يلجم غضبه عقله ينبهه أنه في تلك الحالة التي يتصرف فيها باندفاع ويحتمه على التحكم في نفسه.

أغلق أنس الخط وقال: «دكتور فياض وعدني أنه سيسأل طبيباً يعرفه عن التخصص الذي نريده».

تجمد عصام فجأة وقد طرأت في رأسه فكرة أو بمعنى أدق تذكر شيئاً وأسرع بالبحث في الأسماء في هاتفه حتى وجد من يبحث عنه، ورغم شعوره بالحرج لكن لم يكن هناك مفر من الاتصال متخلياً عن كبريائه المعهود فليذهب كبريائه للجحيم إن كان هذا ما سينقذ أخته.

جاءه الصوت الناعس فانتبه لأنها الرابعة والنصف فجرا
وتعرق جسده وهو يقول: «دكتور أكرم صالحة؟».

رد الثاني: «نعم».

لم يصدق أن الرجل يرد على هاتفه في هذا الوقت المبكر،
خاصة أنه طبيب ذو شأن كبير كما علم في السابق فقال
باعتذار وحرص شديد: «أنا عصام هل تذكرني عصام
البرنس سائق الميكروباس الذي أوصل ولدي أختك؟».

قال له أكرم: «أجل تذكرتك الرقم مسجل عندي بالفعل
(عصام البرنس) لكنني كنت أحاول جمع شتات الذاكرة من
تكون كيف حالك يا بطل؟».

قال عصام: «أنا آسف جدا لاتصالي في هذا الوقت لكنني
طامع في كرمك يا دكتور».

«تكلم يا باشمهندس ماذا حدث؟».

قال عصام بلهجة متأثرة: «أريد أن أسألك عن طبيب باطني
ذي ثقة نستطيع أن نذهب إليه حالا وفورا دون تأجيل».
«ما الأمر أخبرني؟».

سرد له عصام تفاصيل حالة مرام وانضم إليه أنس، حينما
شعر أنه يحدث طبيبا ليقول له أكرم بعد دقائق: «انقلها
لمستشفى (xxxxxx) وأنا سأتواصل معهم هناك ليتخذوا
اللازم».

قال عصام بامتنان: «لا أعرف كيف أشكرك يا دكتور أكرم».

قال الأخير: «لا شكر على واجب يا باشمهندس اذهب بها فوراً وأنا سأقوم باتصالاتي حالا».

«لماذا تنظر إلي هكذا؟!».

قالتها نيللي لابن عمها بوجنتين مشتعلتين فسألها طارق بامتعاض: «ما شكله؟».

حركت مقلتيها يمينا ويسارا تقول: «شكله رجل».

غمغم طارق بعبوس: «أعلم أنه رجل وليس قردا ما شكله، ما مواصفاته الخارقة للطبيعة التي جعلت نيللي شرف الدين التي حاولت أن أقنعها بي لسنوات وحاول غيري كذلك ليستطيع هو خلال شهر واحد سرقة قلبها».

قهقهت ضاحكة وتملكها الحرج ليقول طارق بغیظ طفولي: «أنا أتحدث بجدية ما شكله هذا؟!».

رفرفت برموشها عدة مرات ثم قالت بلهجة عاطفية مراهقة: «أسمر، عريض المنكبين، وسيم وشهم».

رفع طارق شفته العليا مغتاظا فضحكت نيللي واشتعل وجهها وهي تقول: «ألا تحب نهلة؟ ما مشكلتك إذن؟!».

قال بغیظ شديد: «إنها مسألة كرامة».

غمغمت نيللي بحماس: «يوما ما سأعرفك عليه بالتأكيد».

تطلع فيها طارق مندهشا وازداد فضوله ليرى ذلك الشاب

الذي استطاع أن يوقع نيللي شرف الدين في شباكه ثم سألها بقلق: «هل أنت متأكدة أنه ليس وصوليا.. لقد أخبرتني أن ظروفه المادية متوسطة».

أسرعت بالقول بعد أن رشفت من العصير بالماصة: «إن كبرياءه العالي عائق بيننا فلديه عزة نفس مقيتة ستجلبني يوما ما».

سألها بذهول وغيظ: «هل تحببته إلى هذه الدرجة؟!».

أطبقت شفتيها ببعضهما بحرج فقال طارق: «لكن يا نيللي هل ستستطيعين العيش معه بظروفه هذه إن كان كما تقولين عزيز النفس سيرفض أن تساعد به في الإنفاق؟».

هزت رأسها بالإيجاب وردت بملامح مراهقة أذهلت طارق وزادت من شعوره بالغيظ: «اذهب معه إلى أي مكان».

قال بنظرات غاضبة: «هذا الشاب وضع في قائمتي السوداء من هذه اللحظة».

قالت باندهاش: «لماذا؟!».

هتف مغتاظا: «قلت لك المسألة مسألة كرامة ومنافسة بين رجلين، خاصة حينما تقبلين بظروفه البسيطة من هذا لتفعل نيللي شرف الدين ذلك من أجله».

تطلعت فيه وهو يشيح بوجهه للناحية الأخرى وبدأ جادا فيما يقول لدرجة جعلتها تنفجر ضاحكة بغير تصديق.

الحادية عشرة صباحا

بملايس اليوم السابق دخلت نيللي الشركة تسرع الخطى آتية مباشرة من المطار ولم يقدر الإجهاد وعدم النوم على أن يمنعها من الذهاب للشركة لتقابل عمها فورا ودون تأجيل، بينما أسرع طارق ليطمئن على والدته فهو لا يبيت خارج البيت عادة ويتركها،

فتحت الباب ودخلت دون استئذان فاكفهر وجه مهدي وطالعه بعينين متسعيتين وهي تقترب وتضع أمامه نسخة مصورة من الأوراق التي حصلت عليها من ثروت تقول بحدة: «باهي شرف الدين رجل عاش ومات وهو يحترم شرف مهنته ويحكم ضميره في عمله».

بلع مهدي ريقه وأنزل أنظاره للأوراق على المكتب لتقول نيللي: «هذا هو تقرير اللجنة الفنية الذي كنت أنت رئيسها، التي قررت أن يتم شراء المادة الخام من هذه الشركة وتوقيعك أنت وأعضاء اللجنة الموقرين عليه وهذا معناه أنك مشارك لي في الجريمة يا عماه وأي شيء سيترتب على بيع هذه الأدوية سئسأل عنه أيضا».

فهم مهدي أنها قد وصلت لعروت قبله رغم أنه لم يترك مكانا لم يبحث عنه فيه؛ لكنه تماسك وقال لها بهدوء مستفز: «قلت لك الأدوية ليس بها شيء وستمر في السوق بشكل عادي.. أنت من تكبرين الأمور كمن أنجبك».

ضربت على المكتب تقول بصرامة: «أمر الأدوية أنا من

سيقرر مصيره أمامك أربع وعشرون ساعة وتكون الأدوية في مكانها في المخزن وإلا أنا من سيفضح الأمر ويتصل بالشرطة، صدقني أنا وصلت لنقطة من الإحباط غير مسبقة وأنا أصارع الديون هنا وهناك، الديون التي قمت أنت بحث بعض الديانة على عدم الصبر علينا في سدادها وهذا الإحباط يجعلني أفكر في هدم المعبد فوق رؤوس الجميع، لأنني ببساطة أشرف لي أن أخلي مسئوليتي من هذا الأمر وليحدث ما يحدث بشأن الشركة على أن تتسرب هذه الأدوية للسوق السوداء ويتم ضبطها ووقتها تاريخ والذي كله سيتلخ ولن يصدق الرأي العام مهما شقنا من دلائل أن تاريخ شركتنا نظيف، وعليه أنا مضطرة لفصح الأمر وتحديد المسؤول عما حدث بالاسم وهو أنت يا عمي العزيز، أمامك أربع وعشرون ساعة (وأضافت بتحذير) وأعلم أنه لو حدث لي شيء هناك من سيوصل الأوراق الأصلية للشرطة ويتهمك بشكل شخصي».

هدر فيها غاضبا: «أنت بهذا الشكل ستغرقين الشركة بدلا من إنقاذها إن قررت إعدام الأدوية ووقتها لن أرحمك».

ناظرته بقرف تقول: «لا تقلق.. لن يخرج من جيبك قرش واحد وسأتحمل أنا دفع الديون في حالة أن قررت إعدام الأدوية فاطمئن على أموالك يا عماه (وأضافت بتأكيد) أربع وعشرون ساعة وبعدها توقع أي شيء من شخص يائس مثلي».

قالتها وخرجت تصفع الباب خلفها فاشتعل غضب مهدي

الذي كان يحاول تصنع البرود أمامها، والتقط الأوراق ليتأكد من حقيقتها ثم مزقها وألقاها مطلقا صيحة غاضبة وهو يمسك برأسه بانهيار.

في المساء

قال عصام بامتنان كبير وهو يسلم على الدكتور أكرم صوالحة الذي مر بنفسه ليطمئن على مرام: «معروفك هذا يا دكتور أكرم لن ننساه أبدا».

قال أكرم بابتسامة: «عيب هذا الكلام يا باشمهندس كما أن صاحب المعروف الحقيقي هو أنت من أرسلك الله في لحظة مهمة في حياتنا لتنقذنا من كارثة عائلية».

ابتسم عصام رغم إرهاقه ليقول عارف بامتنان وهو يسلم عليه بحرارة: «جزاك الله خيرا يا دكتور وزادك من فضله».

قال أكرم: «ألف لا بأس على ابنتكم (ثم نظر لأنس الشارد خلفهما وأضاف) سأطمئن من عصام على الحالة إن شاء الله».

لكز عصام أنس الذي انتبه وغمغم بعبارات مجاملة للدكتور أكرم الذي تحرك بعدها مغادرا ثم عاد لشروده ينتظر السماح لهم بالدخول على مرام، بينما جلس عصام بإرهاق شديد يسترجع ذكريات معرفته بأكرم صوالحة، فالقصة تعود للعام الماضي حينما وجد صبيين في عمر الثانية عشر والثالثة

عشر في موقف السيارات الذي يقف فيه الميكروباس وقد بدأ أمامه من عائلة ميسورة الحال وكانا يرغبان في الذهاب لإحدى المدن الجديدة المشهورة بساكنيها من الطبقة الثرية، وخمن عصام من هيئتهما أنهما إما تائهان أو هاربان من المنزل رغم أنهما حاولا تصنع معرفتهما بالطريق، فأوصلهما خصيصا لتلك المدينة بعد أن أوصل جميع الركاب للموقف الذي يصل إليه عادة، فلم يستطع أن يتركهما في النقطة التي ينزل فيها الركاب الذاهبين لتلك المدينة عادة التي هي أقرب مكان تمر عليه خطوط سير سيارات الأجرة للمدينة المقصودة، خشي عصام وقتها أن أنزلهما وحدهما في هذه النقطة على الطريق السريع أن يضل الطريق أو يستغلها أحد أو يؤذيها، فأصر على توصيلهما بنفسه ولم يكتف بذلك بل انتظر حتى تأكد أنه قد أوصلهما لخالهما أكرم صوالحة، ولا ينسى أبدا مشهد أمهما الملتاع التي يبدو أنها قد علمت باختفائهما قبل وصولهما لن ينسى منظرها وهي تستقبلهما بين أحضانها في مشهد كان مؤثرا بشدة، فكان هذا سبب تعرفه على أكرم صوالحة الذي شكره على معرفته، فكما فهم منه أن الولدين قد أتيا بالقطار من محافظة أخرى دون معرفة أحد، يبحث عن أمهما ومن يومها وهو يحتفظ برقم الدكتور أكرم ولم يتوقع أن تأتي اللحظة التي يحتاجه فيها.

لقد وصلوا إلى هذا المستشفى العام في السادسة صباحا فوجدوا أن الدكتور أكرم قد كلف من يستقبلهم، وفهم أنه يأتي إلى هذه المستشفى يومين أسبوعيا كاستشاري في

تخصصه، ومن الاهتمام الذي شمله هو وعائلته طوال اليوم فهم أنه ذو مكانة كبيرة في المستشفى، أما مرام فقام الأطباء بعمل فحوصات وأشعة لها وأخبرهم الطبيب بعد الفحص أن هناك كيسا كبيرا على المبيض ولا بد من استئصاله بالمنظار فورا، وخلال ساعات كانت مرام تدخل العمليات لاستئصال هذا الكيس وها هم ينتظرون أن يسمحوا لهم بزيارتها، تطلع في الوجوه من حوله، والده المرهق الجالس بجواره يسند برأسه على الحائط، ومراد الواقف بعيدا يكتب شيئا على الهاتف كعادته، وأنس الصامت منذ دخول مرام لغرفة العمليات لم ينطق إلا بكلمات قليلة وقضى الوقت هو وعارف في قراءة القرآن، زفر في إرهاب وأسند رأسه للخلف يحمد ربه أن انتهى اليوم على خير فلا يعرف إن لم يكن هناك من يساعدهم ماذا كانوا سيفعلون وحالتها كانت تمزق نياط القلوب.. حمدا لله اللطيف بعباده.

بعد قليل نظر في الهاتف وطحن ضروسه حين لم يجد أي اتصال من نيللي طوال اليوم وبعد تردد طلبها، يأتيه صوتها بعد قليل يحمل حشرة النوم وهي تقول: «نعم عصام».

استقام واقفا وابتعد عن الجالسين وهو ينظر في ساعته ويقول باندعاش: «هل أنت نائمة؟ الساعة لا تزال السابعة».

تقلبت في الفراش بتأوه حرك مشاعره بشكل خاص وهي تغغم بلهجة ناعسة: «نمت قبل ساعتين فقط بعد خمس وثلاثين ساعة مستيقظة».

طحن ضروسه وغمغم: «أسفين لإيقاظ الهانم.. لماذا لم تضبطي الهاتف على الوضع الصامت حتى لا نزعجك؟».

غمغمت بخفوت ناعس مصر أن يلهب أعصابه: «إنه بالفعل على الوضع الصامت عدا شخص واحد.. فظ.. وقليل الذوق.. وعديم المفهومية.. أحاول أن أتعلم الصبر معه».

رغم كل شيء كان قلبه الأبله يتراقص في صدره فقال عاتبا: «كنت أتمنى أن تبلغيني ولو برسالة قصيرة أنك ستسافرين هذا ليس تحكما ولا رغبة مني في فرض سلطة عليك إنما خوف عليك».

«مما ستخاف.. أنا أسافر وحدي طوال الوقت».

رد يشرح وجهة نظره: «وأنا لا أقلل من قدرك بخوفي عليك وأعلم أنك قادرة على الحفاظ على نفسك؛ لكنه شعور فطري ذكوري لأي رجل تجاه الإناث اللاتي يعنين له».

هتفت باستهجان: «الإنااث!! الإنااث!! وليست أنثى واحدة!».

ضحك ثم قال يارهاق: «أقصد أخت.. أم.. ابنة.. زوجة.. حبيبة.. قريبة».

قالت بلهجة عابسة: «احذف (قريبة)».

قال بطاعة: «حاضريا فندم حذفناها».

ساد الصمت وتسارعت أنفاسه وهو يسمعها تتنأب وتتمطى قبل أن يسألها: «ما الذي جعلك تسافرين هكذا

فجأة؟ ولماذا مع ابن عمك هذا الذي وضعته في القائمة السوداء عندي من قبل أن أراه؟».

كادت أن تخبره أن رأييه مثل رأي طارق لكنها أحجمت عن ذلك منعا للشجار وقالت: «وجدنا مدير قسم المشتريات».

قال باهتمام: «حقا؟ وكيف سار الأمر؟».

غمغمت بتأثر: «أبي رجل شريف يا عصام».

رد مبتسما: «لم يكن لدي شك واحد بالمئة».

ابتسمت وأغمضت عينيها تستمع لصوت أنفاسه وذبذبات صوته التي تداعب جزيئاتها فسألها: «وماذا بعد؟ ما الخطوة التالية؟».

قالت بخفوت: «سأخبرك؛ لكن قل لي أولا لماذا صوتك بهذا الإرهاق هل تعذب نفسك في العمل؟».

رد عليها بلهجة بائسة: «نحن لم ننم منذ يومين يا نيللي مرام بالمستشفى».

فتحت عينيها باتساعها ثم انتفضت جالسة تقول مفزوعة: «مرام.. ما بها مرام!!».

تجمعوا بجوار مرام.. تجمعوا وقلوبهم مليئة بالحب والقلق عليها.. تجمعوا يحمدون الله كل دقيقة أن آلامها قد انتهت، صحيح لا تزال تحتاج لوقت للتحسن لكن ما مروا به خلال

الساعات الماضية يجعلهم يسجدون شكرا أن انتهى ذلك الكابوس.

تطلعت فيهم وهي لا تزال مشوشة الرؤية فقبل مراد الذي يجلس ملتصقا بها على السرير رأسها، بينما قال عارف الجالس على السرير الآخر الشاغر في تلك الغرفة في القسم الاقتصادي من المستشفى التي قد نقلت إليها بناء على توصيات الدكتور أكرم بدلا من الغرفة العادية التي تحتوي على أكثر من مريضة: «ألف حمدا لله على سلامتك يا حبيبة أبيك».

تمتمت بوهن: «حمدا لله على كل حال (ثم سألت) أين أنس؟».

كان الأخير يقف في زاوية الغرفة صامتا يتطلع فيها من بعيد بشفقة وإجهد، الساعات الماضية لم يترك فيه شيئا من الطاقة فابتسم ولم يرد، بينما قال عصام بامتعاض: «موجود يا ست مرام.. موجود لم تسألني عن أحد غيره».

قال مراد بغيرة وهو يطبع قبلة على خدها: «وأنا موجود مرامي هنا بجوارك».

أدارت رأسها نحوه وابتسمت بحنو وهي تربت على يده التي تدلك ذراعها مغممة: «لا حرمني الله منك ولا منهم جميعا».

خيم الصمت لعوان ثم سألت: «وزينة مع من بالمنزل؟».

رد عارف: «الست أم باسم موجودة معها ومع جدتك منذ أمس جزاها الله خيرا».

غمغمت: «الحمد لله (ثم قالت بعد قليل) وأين أنس؟».

ضرب عصام كفيه ببعضهما يقول مغتاظا: «لا حول ولا قوة إلا بالله!».

بينما قال عارف ضاحكا: «رد يا دكتور عليها».

قال الأخير مبتسما: «أنا موجود معك يا مرام هل تحتاجين شيئا؟».

غمغمت وهي تغمض عينيها: «تمام».

رن هاتف عصام فتطلع فيه ثم رد: «نعم نيللي (وبعدها تحرك وهو يقول بعصبية) لا تسمعين الكلام... لا تسمعين الكلام أبدا».

قالها وهو يندفع للخارج أمام أعين الناظرين المندهشة.

بعد دقائق كان يقترب معها من غرفة مرام مكفهر الوجه يبرطم بغضب: «لا تسمعي الكلام وتفعلين ما برأسك.. قلت لا داعي لأن تحضري الآن وحدك في الليل».

قالت بتأثر: «كيف أنتظر للصباح! كان من المفترض أن أكون بجوارها لحظة بلحظة خاصة أنه لا توجد أنعى معها؛ لكني للأسف كان لدي ما منعني عنها لو كنت أخبرتني في الصباح كنت أتيت من المطار إليها وتركت كل شيء خلفي».

ناظرها بنظرات غاضبة فتجاهلت حالته ودخلت للغرفة التي فتح لها بابها تقول بلهفة: «مرام حبيبتي ألف لا بأس عليك».

غمغمت مرام بضعف: «نيللي».

أبعدت الأخيرة مراد من مكانه وجلست بجوارها، فناظرتها مرام ولا تدري لماذا أجهشت بالبكاء الذي أوجع قلب الجميع فمالت عليها نيللي تحضن رأسها وشاركتها البكاء متأثرة.

بعد ساعة وبعد أن نجح عصام ومراد ونيللي في إضحاك مرام اقتربت نيللي من أنس الذي لا يزال يقف صامتا في ركن الغرفة وقالت له: «دكتور أنس كنت أريد أن أتحدث معك في موضوع مهم».

طالعها الأخير متفاجئا فقالت: «هلا تحدثنا بالخارج من فضلك؟».

قال بهدوء: «طبعاً تفضلي».

قالها وتحرك معها لخارج الغرفة أمام أنظار عصام المندهشة والمغتظة وهو يتساءل عما تريده من أنس.

الثانية بعد منتصف الليل

ليس هناك حل وسط فيما يخص المشاعر، إما حب أو كره.. خوف أو راحة.. حزن أو سعادة.. قلق أو اطمئنان، وحينما يدخل أحدهم في دائرة القلب أي شيء يصيبه يحدث فوضى

في المشاعر.

رفع أنس الغطاء يغطي مرام وشعر بالراحة لأنها تنام أخيرا
قريرة العين، منهك هو ويكاد يسقط من التعب؛ لكنه أصر
على المبيت معها بعد أن اختلفوا وتشاجروا كل فرد منهم
كان يرغب في المبيت معها حتى نيللي؛ لكنه أصر فلن يتركها
ليذهب وينام في سريرته، فأنتهى الأمر ببقائه هو ومراد معها
وانتهز فرصة ذهاب ابن عمه للحمام ودخل ليطمئن عليها.

أدخل خصل فرت من المنديل الذي تربط به رأسها ثم مال
يلتقط يدها بين كفيه ويطبع قبلة طويلة وهمس: «لا تمرضي
مرة أخرى.. هذا الأمر صعب عليّ تحمله».

بعد دقائق قال لزينة في الهاتف من جلسته على المقعد
خارج غرفة مرام: «أنا فخور بك لأنك راعيت جدتك في
غيابنا».

قالت زينة: «والخالة أم بيسو فعلت أيضا وبصراحة جدتي
عذبتها.. وأكثر من مرة تطلب منها المغادرة وترك الشقة
بطريقة فظة جدا، كنت أشعر بالحرَج».

قال أنس بإجهاذ: «لا بأس.. الست أم بيسو عاقلة وتعرف أن
جدتك كبيرة في العمر وعليها أن تتحملها».

أضافت زينة: «وبيسو أيضا جلس معي وشاهدنا أفلام
الرسوم المتحركة، إنه يعرف الكثير منها ورشح لي أكثر من
فيلم أحببته».

تمتم أنس: «هذا جميل.. هيا لقد تأخرت في النوم جدا».
قالت شاكية: «أجد صعوبة في النوم واشتقت إليك أنت ومرام يا أبي».

«سأكون عندك في الصباح.. هيا تصبحين على خير».
«وأنت من أهل الخير».

أغلقت زينة المكالمة على التابلت الخاص بها وتحركت في البيت الهادئ نحو غرفة مرام، فجدها وعصام عادا قبل ساعات ودخلا فورا ليناما.

فتحت باب غرفة مرام فسمعت صوت شخير الجدة روح وانتابها شعور بالوحشة، فمرام ليست بالغرفة ووالدها ليس بالبيت، فوقفت تفكر قليلا ثم أعادت إغلاق الباب وتوجهت نحو غرفة جدها، دقت دقة رقيقة انتبه لها عارف الذي كان لا يزال بين النوم واليقظة يناجي صورة زوجته على جانب السرير، وقبل أن يتفوه بشيء فتحت زينة الباب بهدوء ودخلت الغرفة الخافتة الضوء وأغلقت الباب خلفها فقال عارف: «زينة».

غمغمت بخفوت: «هل أستطيع أن أنام بجوارك يا جدي؟ فأنا أخاف النوم وحدي».

ابتسم الأخير وربت على السرير بجواره فأسرعت إليه ودفنت نفسها في حضن جدها ثم استسلمت للنوم بعد قليل.

أما أنس فتطلع في مراد الذي عاد وفي يديه كوبان من

الكرتون يحتويان على القهوة مد بأحدهما لأنس ثم جلس بجواره، تأمله الأخير ثم شرد على رائحة القهوة في الطلب الذي طلبته منه نيللي، إن لديها طلبية من الأدوية عليها جدل بشأن صلاحيتها وتطلب مساعدته بعد أن قصت عليه القصة كاملة، وبالطبع لم يستطع الرفض لكنه طلب بعض الأدوات والمواد الخاصة بالفحص فطمأنته نيللي أن كل ما يريد سيتم تجهيزه، وأنها ستخبره حينما تعود الأدوية للمخازن حتى يستعد، ووعداها هو أن يتفرغ لهذه المهمة بعد أن يطمئن على مرام.

عاد يتأمل مراد المنشغل بهاتفه ثم سأله: «هل أنت معتاد على شرب القهوة في هذا الوقت المتأخر من الليل؟».

رد مراد: «أحيانا».

ظل أنس يتأمل ثم سأله ببعض المكر: «ما هذه الرائحة هل تدخن السجائر؟».

عبس مراد واشتم نفسه يقول: «لا».

اقترب أنس منه قائلا: «لماذا إذن أشم رائحة غريبة؟!».

وبدا يشتمه بتدقيق لكنه لم يكن يبحث عن رائحة السجائر إنما أشياء أكثر خطورة كان يتحایل ليتفحصها، حين لم يجد شيئا قال وهو يعود لمكانه: «لا أعرف لوهلة شممت رائحة سجائر».

عبس مراد وعاد ليتفحص هاتفه فسأله أنس: «هل هناك من

يدخن من أصحابك؟».

رد عليه مراد بضيق: «هل هذا تحقيق؟!».

استمر على هدوئه مجيباً: «لا أبدا نحن ندردش لنضيع الوقت ما دمت قد ابتعت لنا القهوة».

غمغم مراد: «هناك صاحبان لي يدخان».

تنهد قائلاً وهو يستدرجه: «حين كنت في مثل عمرك كان الأمر لا يتوقف على السجائر فقط أنت تفهم ماذا أقصد».

هز مراد رأسه بالإيجاب وهو يتطلع في هاتفه فأكمل أنس: «تعرف هذه الأشياء تؤدي للإدمان حتى المتفوقين من الممكن أن يقعوا في فخ الإدمان وليس فقط المستهترين، أذكر زميلاً كان مدمناً لنوع من العقاقير تساعده على المذاكرة».

تكلم مراد موافقاً وهو لا يزال منشغلاً: «أجل سمعت عن هذا الموضوع».

خيم الصمت لبرهة ثم قال أنس بعد أن رشف من القهوة: «أراك مرهقاً هذه الأيام وتحت عينيك مجهد بشدة وهذا بسبب السهر وعدم النوم بشكل كاف لماذا لا توجل السهر مع أصحابك».

قاطعة مراد منفعلاً: «قلت لكم أذهب لأذاكر معهم».

رد أنس محتفظاً بهدوئه: «لكنك تذاكر أثناء النهار وتذهب لحصص الدروس ألا يكفي هذا أنت لا تنام بشكل جيد».

قفز مراد من مكانه يقول بانفعال: «أنا لا أستطيع الابتعاد عن أصحابي».

تكلم يقنعه: «أصحابك موجودون وتقابلهم في حصص الدروس الخاصة».

«ماذا تريد يا أنس؟».

«أريدك أن ترتاح وتنام كي تركز في دروسك».

قال مراد بإصرار: «أنا أركز هل تنكر أن مستواي قد تحسن؟».

رد معترفا: «لن أنكر لكن..».

قاطعه مراد: «ليس هناك لكن، من فضلك يا أنس لو كانوا قد فوضوك للتحدث معي بشأن التجمع مع أصحابي فمهمتك فاشلة».

قالها وتحرك يفتح باب غرفة مرام ويدخل تاركا أنس غارقا في أفكاره يحلل ردود أفعاله.. تارة يشعر أنه لا يفعل شيئا يستوجب القلق.. وتارة أخرى يعذبه الشك

ورغم أن الوقت كان متأخرا إلا أنه فتح هاتفه وأرسل رسالة لباسم يقول فيها: «اتصل بي في الصباح أريد أن أطلب منك شيئا».

صباح اليوم التالي

قال الطبيب لعارف الذي يجلس أمام مكتبه: «اذهبوا بعينة من الكيس المستأصل لفصحه في أحد المعامل للاطمئنان على ما يحتويه».

قال أنس الواقف في غرفة مكتب الطبيب: «إن شاء الله سنفعل؛ لكن نريد أن نطمئن مبدئيا منك».

رد الطبيب بمهنية: «أتوقع أنها بطانة الرحم المهاجرة».

سقط قلب أنس بين قدميه وناظره واجما بينما قال عارف بارتباك: «أنا لا أفهم هل هذا سيؤثر على الإنجاب؟».

رد الطبيب موضحا: «أعتقد أنها قد تواجه مشاكل في الإنجاب عموما عليها المتابعة مع طبيب أمراض نسائية».

خيم الحزن على قلب عارف وأطرق برأسه يغمغم مصدوما: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله».

تقبض أنس بقوة يتحمل الألم المفاجئ في صدره، بينما قال الطبيب لعارف: «تفاعل أغلب الحالات تستجيب للعلاج وكل شيء بيد الله، المهم أن نطمئن على التحليل وبعدها تتابع مع الطبيب، حمدا لله على سلامتها».

حين خرج عارف وأنس من عند الطبيب قابلهما عصام وسأل بقلق وهو يتطلع في وجهيهما: «ماذا قال الطبيب؟».

غمغم عارف بحزن شديد وهو يجلس على أقرب مقعد قابله في الممر: «لله الأمر من قبل ومن بعد».

اتسعت عينا عصام ونظر إليه والى أنس يقول: «ماذا حدث!

ماذا قال الطبيب؟!

ربت أنس على كتفه وقال بصوت خرج بصعوبة: «لا تقلق إنها بخير وبصحة جيدة والحمد لله (وأضاف) سأعود بعد قليل».

قالها وتحرك مبتعدا يجر جر قدميه وقلبه خلفه، بينما أسرع عصام يجلس بجوار والده قائلا: «أخبرني يا أبي أرجوك ما بكما؟».

تستمر الأقدار في إخفاء المفاجآت ولا تتوقف الاختبارات الإلهية لبني البشر، وعلى الرغم من إدراك أنس لتلك الحقيقة فإنه لم يكن قادرا على السيطرة على حزنه وصدمة بهذا الخبر ليس من أجله إنما من أجلها هي.

اقترب عصام من السور القصير الذي يجلس عليه أنس خارج المستشفى يميل بجذعه للأمام مستندا بمرفقيه على ركبتيه وسيجارة بين أصابعه، ولم يعرف كيف يواسيه وكيف يواسي نفسه على هذه الأخبار المحبطة، جلس إلى جواره صامتا ولم يجد ما يقوله، فالخبر يشل السنة الجميع ليقول أنس دون أن ينظر إليه: «كانت تخطط لإنجاب أربعة وكانت متحمسة للغاية».

نكس عصام رأسه دون رد والحزن يخيم على قلبه فغمغم أنس يحاول تخطي الصدمة: «قدر الله وما شاء فعل.. المهم أنها بخير».

سأله عصام: «ألا يوجد علاج لهذا الأمر؟».

سحب أنس من السيجارة وأطلق الدخان يقول: «طبقا لما قاله الطبيب وعلى حسب معلوماتي البسيطة هنا الحالات نجحت بعد خطة علاجية أو حقن مجهري وكله أولا وأخيرا بيد الله».

ربت عصام على ظهره يقول: «أتمنى أن تتلقى الخبر بتماسك هي الأخرى».

تنهد أنس قائلا: «لا أعرف.. عموما لنؤجل إخبارها مؤقتا حتى نمهد لها الأمر (واستقام واقفا يقول) أنت في إجازة من العمل؟».

قال عصام: «اليوم هو الجمعة».

غمغم أنس بإجهاد: «آه نسيت والله عموما ما دمت ستبقى معها أنا سأذهب للبيت لأنام ونتحدث حينما أصبحو».

هز عصام رأسه ليقول أنس قبل أن يتحرك: «بالمناسبة أنا كلفت باسم بمراقبة مراد والبحث خلفه، هناك شيء يفعله لا نعرفه».

قال عصام: «لا أصدق أنه قد يفعل شيئا مما نفكر فيه.. كما أنه لا تبدو عليه أية أعراض واضحة».

رد أنس: «أتفق معك لكن علينا التأكد من أنه لا يفعلها».

قال عصام يفكر بصوت عال: «من أين سيأتي بالمال كي

يشترى أي نوع من المخدرات أو العقاقير؟».

كاد أنس أن يقتنع ويبعد الشك عنه؛ لكن وجوم عصام المفاجئ جعله يتطلع فيه ينتظر التفسير ليقول عصام: «هناك شخص علي التأكد من أن مراد لا يقترض منه المال».

أخرج هاتفه من جيبه بينما قال أنس وهو يكاد يسقط من التعب: «أنا ذاهب الآن وأخبرني فيما بعد بما وجدته.. سلام».

أما عصام فقال في الهاتف بعد دقيقة: «نيللي كيف حالك؟».

ردت الأخيرة: «أنا بخير أستعد لزيارة مرام بعد قليل».

«نيللي أريد أن أسألك عن شيء وأرجو أن تجيبيني بصراحة».

«ما الأمر؟».

«هل يقترض مراد منك المال؟».

قالت نيللي من أمام المرأة وهي تتمم على ملابسها: «لا.. لم يحدث سوى المرة التي تعرفها».

«تقولين الصدق أليس كذلك؟».

«أقسم لك.. لماذا تسأل؟».

تنهد براحة وأجاب: «لا شيء.. جاءت الخاطرة إلى رأسي وأردت أن أتأكد، أنا أعرف أن مراد مراهق وقد يفعل بعض الأمور المتهورة، لذا يجب علي متابعته عن كثب».

قالت بلهجة ساخرة: «اممم.. طبعاً.. خاصة حينما يقترض المال من أنثى مهیضة الجناح، أنا مهیضة یا عصام؟! من أين أتيت بهذه العبارة؟ لم أسمعها منذ أفلام الأبيض والأسود!«.

لم يكن في مزاج للمزاح ولا المشاكسات فقال بصوت خافت يشكو إليها حزنه: «اليوم حدث شيء أحزننا جميعاً وأنا مطلوب مني أن أواسي الجميع؛ لكن قلبي يتألم یا نیلی».

عبست وسألته بقلق: «ماذا حدث أقلقتنی؟».

قبيل الغروب

خرج أنس من غرفته يشتم في سره من الباب الذي أيقظه وهو لا يزال مرهق الجسد ومنهك القوى.. فتحرك يفتح وعلى وجهه كل علامات التحفز ليجد باسم أمامه فقال بعبوس: «ماذا هناك یا باسم؟».

قال الأخير بتأناة: «آسف لم أعرف أنك نائم في هذا الوقت لقد أخبرني العم عارف أنك في شقتك».

غمغم الأخير وهو يترك الباب: «ادخل یا بني ماذا تريد؟».

دخل باسم يقول بحماس: «أنا نفذت ما طلبته مني صباحاً وبحثت خلف مراد وحاولت جمع المعلومات من هنا وهناك».

أمسك أنس بزجاجة المياه من فوق طاولة السفرة وقال قبل أن يرفعها إلى فمه: «وماذا وجدت؟».

«علمت معلومة يتداولها الشباب فيما بينهم، لا أعرف إن

كانت مهمة أم لا، إنه قد باع حسابه في لعبة (xxx) نظير مبلغ (xxxx)».

سعل أنس وأنزل الزجاجاة يمسح فمه وعلامات الاستهجان على وجهه ثم قال: «هذه تخاريف مراهقين يا باسم.. كيف تصدق بعقلك الراجح أن حسابا في لعبة يمكن أن يباع بهذا المبلغ؟!»

رد باسم مؤكدا: «بل إن هذه المبالغ حقيقية، أنا أيضا ألعب اللعبة ومشترك في مجموعات على الفيسبوك تخصها وأرى الأسعار التي تُعلن».

عبس أنس يقول بغير تصديق: «بهذا المبلغ؟!».

أجاب باسم: «بل إنه مبلغ صغير بالنسبة للأسعار التي أراها.. سأريك أحد الإعلانات».

بعد نصف ساعة فتح باسم الباب ليدخل عصام ويتطلع فيه وفي أنس الذي لا يزال يقرب في إحدى مجموعات اللعبة المقصودة على فيسبوك وسأل: «ماذا حدث يا أنس؟ لماذا طلبت مني القدوم بسرعة؟».

رفع رأسه إليه يقول: «أخوك باع حساب له على لعبة (xxx) بمبلغ (xxxx)».

ضحك عصام يقول هازئا: «يا سلام!».

عدل أنس نظارته الطبية وقال بلهجة جادة: «كنت حمارا مثلك لكن ما رأيته من العجب في بعض المجموعات الخاصة

باللغة صدمني.. انظر بنفسك».

أعطاه الهاتف فتطلع عصام في إعلانات بيع الحسابات واتسعت عيناه مغمفا: «هل هذا حقيقي؟! هل يدفعون هذه المبالغ من أجل حساب في لعبة؟!».

قال أنس: «المهم هذا ليس موضوعنا.. باسم علم من أصدقائه أنه قد باع حسابه بهذا المبلغ، ماذا فعل به يا عصام؟! هل تفكر فيما أفكر فيه؟».

سقط قلب الأخير بين قدميه وتطلع في ابن عمه بذهول ليقول أنس: «لا بد أن نقطع الشك باليقين دون تأجيل، أين أخوك؟».

تدخل باسم يقول: «خرج قبل ساعتين وتتبعته حتى عرفت مكانه.. إنه يجتمع مع الشلة في بيت ماجد كل يوم».

قال أنس: «حسنا.. إنها فرصة مناسبة لنعرف بالضبط ماذا يفعلون وفيهم صرف المبلغ.. إنه حتى لم يبتاع هاتفا جديدا مثلما كان يصدع رؤوسنا قبل مدة بحاجته لواحد جديد».

بعد قليل خرج أنس من غرفته بعد أن بدل ملابس البيت ونظر لعصام الذي لا يزال مصدوما يحلل المعلومات التي عرفها فسحبه من ملابسه قائلا: «هيا معي لا وقت للصدمة الآن».

بعد نصف ساعة

نزل ثلاثتهم من التوكتوك في أحد الشوارع وباسم يشير على بناية بعينها، ثم تحركوا نحوها لكن عصام خذله قدماه وتوقف فجأة غير قادر على المواصلة، يشعر بألم في صدره والأفكار السوداء تزيد من حالته سوءا خاصة وهو يتصور أخاه الصغير الذي كان يتعلم المشي قبل سنوات.. أخوه الذي كان قبل سنوات قليلة يعلمه فوق سطح البناية كيف يصنع طائرة ورقية يتصوره مدمنا أو في هيئة من الخدر والهذيان لن يستطيع تحمل منظره، انتبه أنس مشغول الذهن وتطلع فيه يسأله وهو يراه يضع يده على صدره متألما: «ما بك؟».

مال عصام بجذعه للأمام يستند بيديه على ركبتيه وكأنه غير قادر على فرد ظهره وأجاب بحشجة خافتة: «اصعد أنت يا أنس أنا غير قادر على فعلها لن أتحمل أن أراه في هيئة تفجعني فيه».

ربت أنس على كتفه وعلى الرغم من أنه لا يقل عنه خوفا فمراد بالنسبة إليه بمثابة ابن وليس فقط أخ أو ابن عم صغير؛ لكنه تحرك يقول بصلابة: «ابق هنا أنت وباسم».

قالها وتحرك يدخل البناية إلى حيث الطابق الأول منها كما أخبره باسم دخل البناية، ودخل خلفه فتى توصيل محل البيتزا وصعدا معا ثم توقفا معا عند الطابق الأول، فألقى عليه العامل التحية واقترب ليضغط على الجرس ليسرع أنس بالقول: «أنا من طلبت الطلب هاته».

سلمه العامل البيتزا فنظر أنس في الفاتورة وأسرع بإعطاء

الفتى ثمنها ثم اقترب من الباب يضغط على الجرس بكل ثقة.
جاءه صوت من خلف الباب يسأل: «من؟».

فأجاب: «محل البيتزا».

فُتح الباب ثم اتسعت عينا ماجد بمفاجأة يقول: «دكتور
أنس!».

لم يعطه الثاني الفرصة بل ناوله البيتزا وأبعده عن طريقه
ودخل يتطلع في الجميع قبل أن تتسع عيناه بذهول وينعقد
لسانه وهو ينظر للمشهد الذي أمامه.

الفصل الثامن عشر

ما أصعب الشعور بالعجز أمام من نحبهم، لو بيدنا أن
نمنحهم ما ينقصهم.. لو في إمكاننا أن نحقق لهم ما يسعدهم..
لو نملك عصا سحرية لمحو آلامهم؛ لكننا بدلنا حزنهم سعادة
ومحينا الألم.

تطلعت نيللي في مرام التي تبكي بحرقة وتملكها العجز،
لقد حزنت من أجلها وشعرت بالأسف حينما أخبرها عصام بما
يشك به الطبيب؛ لكنها ظنت أن مرام لم تعرف بعد لذا جاءت
إليها بالزهور والحلوى والهدايا لتتفاجأ أنها قد علمت، ما
فهمته أن مرام أصرت على معرفة تفاصيل حالتها وأن والدها
أخبرها ومن بعده الطبيب ومن ساعتها ونيللي تشعر بالشلل
أمام حالتها المنهارة، تدعمها تشد من أزرها تشجعها وتدعوها
للتفاؤل، فعلت كل شيء لكنها لا تزال تشعر بالعجز ويعتصر
الألم قلبها على الحالة التي عليها مرام من الانهيار، وتساءلت
أين أنس كان من المفترض أن يكون متواجدا كي يدعمها.

دلكت ظهرها بحنان تقول: «أنا تركتك قليلا لتفرغي طاقة
البكاء؛ لكن يكفي هذا يا مرام أنا لا أفهم تفاصيل الحالة طبيا؛
لكن هل تعترضين على قضاء الله؟».

غمغمت الأخرى من وسط دموعها: «لا والله؛ لكن.. لكن كنت
أتمنى..».

جلست نيللي على السرير أمامها وتربعت تقول بعقلانية: «وأنا كنت أتمنى أمورا كثيرة أن تحدث كنت أتمنى أن يكون لي إخوة وألا أكون وحيدة، وأن تسير حياتي خلافا لما هي عليه الآن (وحركت مقلتيها مفكرة) ماذا أيضا؟ كنت أتمنى ألا أكون مديرة شركة وأكون مدلة عائلتي وألا أفعل شيئا يوترني ويشد أعصابي، باختصار كنت أتمنى أن أعيش حياة بسيطة هادئة، وكنت أتمنى أن يملك عصام القدرة المادية كي نتزوج بسرعة (وأضافت بما تخفيه خلف مظهرها المتناسك) أنا أعاني الوحدة يا مرام وأشتاق إلى عصام وأشتاق لليوم الذي سيجمعني أنا وهو في مكان واحد فنتحدث ونتشاجر ونضحك ونعيش تفاصيل الحياة اليومية معا، أنا أحاول ألا أفكر في الأمر حتى لا أكتب لكني أراه أمرا بعيدا وأنا صدقا غير قادرة على الصبر (واختلط صوتها بالبحه مضيضة) أريد أن أكون معه أن التصق به.. أن أذهب معه إلى كل مكان دون عقبات أو حواجز (وتنحنحت تغالب رغبة في البكاء وأضافت) ماذا أيضا؟ انتظري».

قالتها وهي تترك السرير وتذهب نحو أكياس الهدايا التي جلبتها معها فتخرج باقة من الحلوى والساكر الملونة بمختلف الأنواع والأشكال مشكلة على هيئة باقة وقالت لها وهي تعود لتتربع على السرير: «دعينا نكمل ونحن نأكل الحلوى فليس هناك شيء يستحق مهما كان أن نبكي عليه».

مسحت مرام دموعها وحاولت الابتسام وهي تمد يدها لتسحب واحدة؛ لكنها أبقتها في يدها ولم ترفعها إلى فمها،

بينما قضمت نيللي واحدة وهي تضيف: «بصراحة لو تركت العنان للتفكير في الغد سأكتب لأنني أرى المستقبل بيني وبين عصام بعيدا ماذا أيضا من أحزاني؟ أهل أعرف كيف سأجمع النقود لدفع مبالغ ليست بالهينة مطلوبة مني.. والموظفون عندي لم يأخذوا مستحققاتهم كاملة خلال هذا العام ومنهم من بدأ يفكر في الاستقالة وأعاني الأرق من كثرة التفكير كيف سأديرها وإلام ستؤول الأمور في الشركة؟».

مدت مرام يدها تدلك كف نيللي بمواساة قائلة بتعاطف: «يسر الله أمرك يا نيللي أنت تحملين مسؤولية كبيرة على أكتافك».

نفضت الأخيرة عنها البؤس وقالت: «أنا لم أقل هذا لأخبرك أنني أكثرهما منك، أردت فقط أن نتشارك في هذه اللحظة الحزينة على أقدار ليس لنا دخل فيها، وسأقول لك ما قلته لعصام من قبل علينا أن نتقبل أقدارنا فلا أحد منا يعرف ماذا يخفي له الغد من مفاجآت».

قالت مرام بحشركة: «الحمد لله على كل شيء.. أنا والله لا أعترض على قضاء الله لكن أنس ما ذنبه كان يريد أن ينجب الكثير من الأطفال».

«قدر الله وما شاء فعل».

جادلتها مرام قائلة: «ولماذا علي أن أربطه معي ما دام مشكوك في قدرتي على الإنجاب؟ من حقه أن يتزوج ممن ستنجب له».

أبعدت نيللي قطعة من الحلوى عن فمها تقول باستنكار:
«ماذا تقصدين؟!».

مسحت مرام دموعها تقول بعزم: «أقصد ما فهمتيه أنس
يستحق أن يحقق الباقي من أحلامه ألا يكفي ما سرق منها!». فتحت الأخرى فمها تحاول الاستيعاب ثم قالت باستنكار:
«أنتِ جننتِ وتهذين أليس كذلك؟ (ومدت يدها لجبهتها
مضيفة) هل أصبت بالحمى؟».

أصرت مرام على ما قررته في فورة مشاعر مختلطة
بالصدمة: «بل أنا في كامل قواي العقلية ولا أريد أن أظلمه
معي ولا أريد أن أحمل ذنبه».

قالت نيللي بعدم تصديق: «لا من الواضح أن الخبر قد
أثر على قواك العقلية (وتطلعت فيها مدققة تحاول التحقق
من صدق نيتها وهتفت باستنكار) مرام ردي علي هل جن
عقلك؟!».

في تلك الأثناء كان أنس يقف متجمدا على باب شقة ماجد
يتطلع في مشهد عجيب ويحاول أن يجد تفسيراً منطقياً
لما يراه غير الظاهر أمامه، لأنه لو أخذ بالظاهر قد يموت
بالسكتة.

«ماذا يحدث هنا بالضبط؟!».

قالها وهو يقف متخصراً ويتطلع في مراد الذي يرتدي

منامة على طراز تقليدي قديم وبجواره يقف صاحبه فتحي شاب ضخم البنية، وعلى ما يذكر أنه أكبر منهم بعامين له شارب ولحية ويرتدي إسدال صلاة نسائي، المشهد كان مثيرا للغرابة والذهول خاصة مع الوجوه المتسمرة من باقي تلامذته الذين على ما يبدو قد صدموا بوجوده.

«أنس ماذا تفعل هنا؟!».

قالها مراد نافضا عنه الصدمة ليقول أنس بلهجة صارمة أربعتهم: «أنا أسأل ماذا يحدث هنا بالضبط أريد تفسيراً لما أراه أمامي الآن فوراً.»

قال ماجد بارتباك: «نحن نصور حلقة يا مستر.»

عبس وجه أنس وقال بعدم فهم: «ما معنى تصورون؟!».

«نصور» قالها أحدهم وهو يشير على الكاميرا على يسار أنس فتطلع فيها يرفع حاجبيه باندهاش.

كانت كاميرا تصوير مقاطع فيديو فأدار وجهه ينظر لمراد مكفهر الوجه الذي أضاف مفسراً: «نحن نقدم حلقات كوميدية مصورة على اليوتيوب اسمها (مغامرات مودي وفيجو).»

«مودي وفيجو.. ما هذا الاسم؟!».

قالها باستنكار وهو لا يزال يحاول التوازن من الهجمة المرتدة التي اصطدمت به، بينما انتابت مراد فورة غضب وهتف قائلاً: «من أخبرك بمكاني ها؟ علاء أم محمد؟ إنهما

حاقدان علينا لأننا رفضنا انضمامهما معنا».

قال ماجد لمراد: «قلت لك سيوشيان بنا وقللت وقتها من أهميتهما».

هتف مراد في وجهه غاضبا: «اسكت الآن».

قال ماجد بلهجة متحدية أمام أنظار أنس المتسعة: «لن أسكت يا مراد.. أنت السبب لو لم تتشاجر معهما».

تكلم الأخير بغیظ: «وهل مراد تشاجر معهما دون سبب؟!».

«سكوووووت لا أريد أن أسمع حرفا» قالها أنس بلهجة صارمة ليمنع شجارا وشيكا بين الموجودين.

على السلم بعد دقائق كان عصام يقدم الخطوة ويؤخر الأخرى.. يعد نفسه بالتماسك ومواجهة أي ما كان وتخله قدماه صدمتان في يوم واحد عن أخويه، هذا كثير عليه وعلى الرغم من هذا ظل عقله يطلب منه ألا يتسرع بالحكم فيشحن همته ويصعد السلم ويصعد خلفه باسم الذي يراقب خطواته المترددة بترقب.

اقترب من الباب المفتوح.. اقترب وقلبه يخفق بقوة وأطل برأسه متقبضا ليتطلع في داخل الشقة فأطل باسم معه لتجحظ عيناهما حتى كادت أن تخرج من محاجرهما وهما يشاهدان المنظر الذي كان شاخصا أمامهما، أنس يجلس على أريكة في مواجهة للباب وأمامه طاولة صغيرة عليها علب البيتزا يأكل منها وهو يقول لواحد من خمسة شباب

يصطفون على يساره: «أكمل يا بني وماذا بعد».

«أنس» قالها عصام بارتباك وقد وقف هو وباسم على الباب يتطلع فيهم ليقول مراد وهو يغطي عينيه بكفه محرجا: «أهلا! اكتملت الفضيحة».

أجابه أنس هو يلتهم شطيرة البيتزا: «تعال يا عصام ادخل يا حبيبي البيتزا ساخنة».

اتسعت عينا عصام قائلا بحشركة: «ماذا يحدث بالضبط؟».

أشار أنس على الصف قائلا: «أقدم لك أخوك مودي أقصد مراد وشركاه يصورون حلقات مصورة على اليوتيوب، هذا هو السر الذي كان يخفيه أخوك الذي جعلنا نوشك على أن نصاب بالسكتة ونحن نفكر فيما يخفيه».

تطلع عصام في مراد ثم دخل وألقى بنفسه على أقرب مقعد وهو يشعر بهبوط في الدورة الدموية ليقول أنس متهمكا: «تماسك يا أخي تماسك أنا دخلت على مشهد لو كنت رأيته وفكرت فيما فكرت فيه أنا للوهلة الأولى لكنك مت بالسكتة القلبية.. لقد كان هذا الغوريلا كثيف الشعر الذي أمامك (قالها وهو يشير على فتحي المبتسم ببلاهة) يرتدي إسدال صلاة.. إسدال صلاة يا مؤمن بهذا الشارب واللحية! بينما أخوك الذي يرتدي أمامك هذه المنامة عتيقة الطراز يستقبلاني بربك فيما كنت ستظن لو كنت مكاني».

عبس ماجد وسأله: «ماذا تقصد؟!».

قال أنس بلهجة حازمة تناقض حالة التهكم التي كان يتحدث بها قبل ثوان: «أخرس لم أسمح لأحد بالكلام».

تدخل مراد يقول بغیظ: «يكفي هذا يا أنس ودعنا نتحدث في بيتنا لا داعي لإحراجي أمام أصدقائي».

رد عليه الأخير: «أنا أتحدث مع الجميع والأمر لا يخصك أنت وحدك».

سأله عصام شاعرا بالتشويش: «قلت ماذا يفعلون بالضبط؟».

«يقدمون حلقات مصورة على اليوتيوب.. قلنا ركز معي يا عصام مغامرات (مودي وفيجو)».

قالها أنس وهو يشير على مراد وصاحبه، فبلغ عصام ريقه ليقول باسم وهو يتفحص كاميرا موضوعة على حامل صنع يدويا: «مودي وفيجو.. سمعت الشباب يتحدثون عنهما».

هتف مراد: «الكاميرا.. إياك أن تلمس الكاميرا».

قال أنس متهكما: «لا تلمسها يا بني إنها بمبلغ كبير، شقاء أيام الكفاح أونلاين في محاربة أعداء الأمة».

ناظره مراد بغضب بينما سأله فتحي بابتسامة مسلية: «هل سنقف هكذا كثيرا يا مستر؟».

أشار له أنس قائلا: «يكفي هذا تعالوا لنأكل وأرونا ماذا تقدمون هيا».

قالها براحة كبيرة بعد تلك الدقائق التي عاشها في رعب،
قالها وهو يتطلع في الشباب الصغير الذين تجمعوا حول
الطاولة أمامه يلتهمون البيتزا معه، فمنهم من جلس أرضا
ومنهم من أخذ قطعة وتحرك، بينما عصام ومراد تتواجه
أنظارهما، مراد غاضب ومحرج أمام أصدقائه وعصام لا
يعرف هل يحضن أخاه الصغير أم يكسر رأسه؟!

شغل ماجد شاشة موصلة بالإنترنت وفتح الحلقات، فتبادل
أنس وعصام النظرات المتحفظة على المحتوى المعروض
الذي كان من الركافة والسطحية والتفاهة ما أثار استنكارهما،
وما فهموه من الشباب أنهم يقلدون حلقات مشابهة يقدمها
الكثيرون، ففكرة مغامرات مودي وفيجو تعتمد على مقالب
وحلقات كوميدية يمثل فيها مراد دور أب تقليدي بينما فيجو
يقوم بدور الأم، ساخرين من الكثير من سلوك وأفكار الجيل
الأكبر سنا؛ لكن المحتوى ونوع الفكاهة المعروض كان تافها
إلى حد مزعج هذا كان رأي عصام وأنس غير المعلن، أما مراد
فوقف متوترا ومتحفزا للنقد ومنتظرا التسفيه ممن يعتقد
أنهما لن يفهما ما يفعله؛ لكنهما لم يعلقا بشيء كانا حائرين في
التصرف الصحيح ثم قررا ألا يعلقا.

تدخل باسم قائلا: «إنها حلقات تافهة وسطحية جدا وغير
مضحكة بالمرة».

هتف أحدهم بلهجة حادة: «ماذا تقول يا عم بيسو؟!».

على الرغم من شعوره الشديد بالارتباك فإن الأخير رد عليه

قائلا: «أقول الصراحة ألم تعرضوها على الناس.. من الطبيعي أن تتقبلوا النقد، هذا الـ فيجو مثلا ما المضحك في أنه بذقن ولحية وهو يلبس الإسدال باعتباره نموذج الأم ما المضحك في ذلك؟! أرى الأمر مسفا إن هذا النوع من الكوميديا تافه والفكرة من الأساس...».

اندفع ماجد نحوه هاتفا: «مالك أنت أيها الحقود البدين؟!». أسرع أنس بالإمساك بذراع عصام يمنعه من التدخل، بينما وقف مراد حائلا بينهما يقول بحمائية في وجه صاحبه: «ما هذا الكلام يا ماجد؟!».

قال الأخير بغضب: «ألا ترى ما يقوله لا ينقصنا إلا مدلل والدته هذا الذي سيتظاهر بالعقلانية».

احمر وجه باسم وقال وهو يرتجف من الغضب والخوف في آن واحد: «ماذا تعني بمدلل أُمي؟!».

دفع مراد ماجد وهو يقول بلهجة غاضبة: «احترم نفسك يا ماجد ما الذي أتى بسيرة والدته الآن؟!».

هتف آخر مؤيدا لماجد: «ألا يقول الصدق؟!».

رد عليه مراد بصرامة: «اخرس أنت الآخر واحترم نفسك».

بدا الوضع وكأنه سيتعقد فهتف عصام بلهجة أمرة: «اخرسوا جميعا وتوقفوا عن الشجار».

بلع باسم ريقه وأعاد صياغة ما قاله: «أنا لم أقصد الإهانة.. قصدت أن أقول رأيي هناك أفكار أفضل وأكثر إضحاكا من

الممكن مثلا أن تكون مواقف حياتية نتعرض لها فنعرض
التصرف الخاطئ بشكل كوميدي ساخر».

سأله مراد باهتمام: «هل هذا اقتراح أم لديك فكرة
محددة؟!».

تلجلج باسم ورد بتردد: «الحقيقة الآن جاءتني فكرة لكن
لا أعرف إن كانت مناسبة أم لا، أنا أحيانا أكتب مشاهد
كوميديّة قصيرة (وأضاف بحرج ومقلته تخطفان نظرة
سريعة نحو أنس وعصام) لكنها تبقى حبيسة الدرج».

قال ماجد لمراد بغیظ: «أرأيت إنه يفعل كل هذا الاستعراض
كي ينضم إلينا».

رد مراد مدافعا وقد شعر بالشفقة والحمائية باسم: «وما
المشكلة ما دامت لديه فكرة جيدة».

تدخل أنس لينهي الحديث الدائر وهو يستقيم واقفا:
«عموما يا شباب شكرا على البيتزا، ونحن آسفون إن اقتحمنا
خلوتكم (ونظر لعصام بنظرة ذات مغزى مضيّفا) الأمر
ببساطة كان مقلبا كان لدينا فضول لمعرفة ماذا تفعلون
ولماذا باع مراد حسابه في اللعبة (ونظر لمراد موضحا) مجرد
اطمئنان على أنكم بخير».

تدخل فيجو الذي لم يكن مهتما بما يحدث سوى بالطعام:
«ما رأيك يا مستر في الحلقات؟ إن هذه القناة لو زاد
متابعوها سنكسب مبالغ كبيرة».

«حلم الجيل بالمكسب السريع (قالها أنس لعصام بنظرة سريعة ثم تكلم قائلاً بلهجة دبلوماسية شاعراً أن أي رد فظ منه لن يكون محققاً لشيء سوى إحباطهم) الفكرة في حد ذاتها وسعيكم لتنفيذ حلمكم يستحقان التقدير (وتحولت أنظاره لباسم يقول) ولد يا بيسو أتعرف أنك قد أوحيت لي بفكرة عمل حلقات على اليوتيوب تتحدث عن العلوم بطريقة فكاهية ظريفة، وفي الوقت نفسه توصل المعلومة العلمية».

تطلع فيه الأخير متفاجئاً بينما أضاف أنس: «لكني أحتاج لمن يساعدني في صياغتها في إطار كوميدي».

هز عصام رأسه وقال مؤكداً وقد بدأ يستوعب ما يفعله أنس الأكثر منه خبرة في التعامل مع السن الأصغر: «فكرة جيدة فعلاً».

تشجع باسم وسأله: «هل أستطيع أن أجرب وأكتب لك تصوراً مبدئياً؟».

هز أنس رأسه بالإيجاب قائلاً: «لا بأس (وأضاف بمكر) ولو استقرينا على الفكرة نبحث من يقوم بتمثيلها».

هتف فيجو: «أنا مستعد».

وأضاف آخر: «وأنا أيضاً معك يا مستر».

ابتسم أنس وقال: «حسناً يا شباب سيكون هذا مشروعنا سننتهي كل يوم من الحصص المقررة ثم نخصص وقتاً للتحضير للفكرة؛ لكن لن نبدأ في التنفيذ إلا بعد الامتحانات».

قال عصام مؤيدا: «فكرة جيدة أنكم ستحضرون لها ثم تنفذوها في الإجازة بتفرغ».

رقص أنس حاجبيه مضيئا بلهجة مغيظه للشباب: «وننافس حلقات مودي وفيجو كانت زيارة ملهمة يا شباب شكرا لكم». قالها وهو يهم بالمغادرة فقال أحدهم: «سنشارك معك في فكرتك يا مستر إن شاء الله».

رد وهو يغادر: «نتفق في الحصّة المقبلة.. أراكم على خير». اقترب عصام من أخيه الواقف يتابع ما يحدث بشرود، فربت على صدغه بعاطفة وراحة ولولا الحرج من الواقفين لأخذه إلى أحضانه ممتنا لخالقه أنه بخير ثم لحق بأنس وباسم.

بعد دقائق كان عصام يقف أمام البناية يتنفس الصعداء، بينما أنس يتمتم بالحمد أن الله قد خيب ظنيهما فلحق بهما مراد قائلا بعبوس وقد استفزه عدم تعليق أنس وعصام عن المحتوى الذي يقدمه، بينما شكرا في فكرة باسم: «لم كان كل هذا؟ وما الذي أتى بكم من الأساس؟!».

طوق عصام رقبة أخيه بذراعه وضغط عليها للأمام قائلا بمشاكسة: «كنا نبحث ماذا تخبئ عنا يا فصيح وماذا فعلت بمن الحساب الذي بعته كنا نطمئن عليك كما قال أنس».

سأله الأخير بامتعاض وهو يقاوم الضغط على رقبتة: «وهل اطمأننتما؟».

«حمدا لله» قالها أنس، بينما أبعد مراد ذراع عصام عنه وقال شاعرا بالغيرة: «لكنكما لم تخبراني برأيكم في المحتوى».

رد أنس بدبلوماسية ليست من شيمته: «كنت أنتظر منك عملا أقوى من هذا».

قال مراد بامتعاض: «لكن أعجبتك فكرة باسم!».

تناظر أنس وعصام ليتدخل الأخير قائلا: «لكنك لديك موهبة التمثيل يا ولد».

قالها وهو يضربه في بطنه مناكفا فتوجع مراد؛ لكن ابتسامة محرجة زينت شفثيه شاعرا بالإطراء ليضيف أنس بلهجة صادقة: «بصراحة لديك جاذبية أمام الكاميرا من الممكن أن تكون مذيعا».

كان مراد في حاجة لهذا النوع من التشجيع فقال يتقصى الصدق في حديثهما: «أتقولون الصدق؟!».

رد عصام: «أجل أنت تملك الجاذبية استغلها فيما يبرزها».

«كيف؟».

أجابه أنس: «هذه مهمتك يا وحش».

سأل مراد ببعض الحرج: «هل أستطيع أن أنضم لما تنوون أن تقوموا به إن كنتم جادين طبعاً ولا تدعون أمام الشباب ما لن يحدث».

أجابه أنس مؤكدا: «أنا بالفعل تحمست للفكرة وبالطبع تستطيع أن تنضم إلينا بل ستكون النجم الرئيسي إن أردت».

اتسعت عينا مراد ثم عاد يقول عابسا: «لكني أخشى ألا نتفق (وأضاف بامتعاض) أنتم بصراحة تفكرون بطريقة معقدة وتقليدية وقديمة تشعرني بالاختناق وكأنني في فيلم من الأبيض والأسود».

أطرق أنس برأسه يقول بلهجة مسرحية بائسة: «جبر الله بخاطرك يا بني».

تدخل عصام قائلا لأخيه: «لماذا لا تقول إنها فرصة لالتقاء جيلين أنتم بالجديد والمبهر الذي يتحدث بلغة العصر، ونحن بالخبرة في الحياة والثقافة».

هز أنس رأسه موافقا وقال: «ما رأيك يا باسم؟ (وبحث حوله يسأل) أين هو؟».

كان باسم يقف على مقربة يرسم على الأرض بطرف حذائه فناده: «تعال يا باسم شاركنا يا بني».

فرح الأخير الذي لم يرغب في أن يكون متطفلا بالدعوة، واقترب ليسأله أنس: «ما رأيك أن يكون عملا مشتركا بيننا وبينكم؟».

تأثر باسم بفكرة الرفقة أكثر من المشروع ذاته فhez رأسه مغمغما بسعادة جمّة: أنا معكم في أي شيء».

قال عصام: «ما رأيكم أن نبتكر شخصية كرتونية في هذه

الحلقات.. أنا أستطيع ببعض برامج الجرافيك أن أنفذ ذلك إن أردتم».

هتف مراد بحماس: «أحببت الفكرة وستزيد من نسبة المشاهدة».

تبادل أنس النظرات السعيدة مع عصام ثم قال مؤكداً على كلامه: «كما قلت الفكرة سنضعها سوياً؛ لكن التنفيذ سيكون بعد امتحانات الثانوية العامة فلا أنا ولا أنتم متفرغون».

فكر مراد لخوان ثم هز رأسه موافقاً ليقول أنس: «على بركة الله».

اتسعت ابتسامة مراد وهو يتطلع في عصام وأنس ولم يصدق أنه سيشاركهما حلمه بأن يقدم محتوى مرئياً على يوتيوب يحقق نسبة مشاهدة واسعة، فقطع عليه عصام أفكاره حينما طوق رقبته بذراعه يقول بمناكفة: «أصبحت من أصحاب الأملاك يا فصيح هل اشتريت الكاميرا من بيع حسابك؟».

قال مراد وهو يقاوم الألم في رقبته: «أجل اشتريتها هي وبعض الأدوات اللازمة للمشاهد».

غمغم أنس مذهولاً: «أنا لا أصدق حتى الآن أن حساباً في لعبة يمكن أن يباع (وأضاف متهمكاً) الواحد منا بدلاً من أن يربي بعض الكتاكيت لتصبح دجاجاً يُباع يربي حساباً في لعبة على الإنترنت».

قال مراد وهو يصارع للخلاص من ذراع أخيه: «أنا بعته بمبلغ بسيط غيري يصرف على الحساب الكثير لشراء أسلحة وخلافه ولهذا يبيعه بمبلغ أعلى».

قال عصام من بين أسنانه وهو يضغط بذراعه: «رأيت يا حبيبي وصدمت».

أضاف أنس معلقا: «المبالغ التي رأيتها من الممكن أن أضعها مقدما لشراء شقة تمليك أو سيارة، والله أو أن أقيم بها مشروعا حقيقيا يدر علي دخلا.. لا أصدق أن هناك من يدفع هذه المبالغ للحصول على حساب في لعبة، سفه أقسم بالله نحن في زمن عجيب».

قال عصام متهمكا وهو لا يزال يشاكس أخاه: «لكن هل رأيت روعة مودي وهو يدافع عن باسم».

قال أنس بلهجة تمثيلية يجاربه في المزاح المتهمك: «الولد خطف قلبي يا عصام نجم سنيماي شهم كان يستحق التصوير».

ابتسامة محرجة زينت شفتي باسم ومراد الذي قال: «اتركني يا عصام ستخنقني».

قال أنس من بين أسنانه: «وهل رأيت شيئا بعد؟ أنت كدت أن تقتلنا يا رجل، أمسكه جيدا يا عصام أمسكه كي أشفي غليلي».

ضربه أنس بقبضته في بطنه ضربات مشاكسة فتأوه مراد

مستغيثا بينما ظل باسم يتابعهم ضاحكا.

رن هاتف أنس فأخرجه من جيبه يقول لمراد متوعدا: «أنت لم تر تعذيبا بعد يا.. مودي أفندي (ثم عبس حينما وجد اسم مرام فأسرع بالرد) نعم مرام؟».

أتاه صوتها مختلطا ببحة باكية وهي تقول: «لماذا لم تأت اليوم هل قررت أن تتركني؟».

عبس بشدة ونظر لعصام الذي كف عن مشاكسة أخيه ووقف يتطلع فيه وأنس يقول: «ماذا حدث يا مرام ما به صوتك هل أنت متعبة؟».

قالت بلهجة أقلقته: «أريد أن أراك هناك قرار عليك أن تعرفه بناء على الأخبار الجديدة».

سقط قلبه بين قدميه وهو يسأل: «ماذا تقصدين؟! أية أخبار؟!».

أجابت بحشجة: «أنا علمت كل شيء.. أبي أخبرني لذا أريد أن أتحدث معك بشكل عاجل».

هز رأسه وقال بسرعة: «أنا آت حالا».

أغلق الخط وقال لعصام من بين أسنانه: «أبوك أخبر مرام».

اتسعت عينا عصام بينما تحرك أنس يتركهم وأشار لأول توكتوك قابله ثم وضع نفسه فيه يطلب منه أن يوصله لأول الشارع الرئيسي، حيث سيارات الأجرة بينما قال مراد لأخيه بقلق: «ماذا يحدث؟ ماذا قال أبي لمرام وأفزعكما بهذا

الشكل؟».

في بهو المستشفى تقابل أنس مع عمه الذي كان خارجا فناظره بنظرة لائمة ليقول الأخير مدافعا: «هي أصرت أن تعرف وكانت ستسأل الطبيب على أية حال وبالفعل أخبرها بما أخبرتها كما أن هذا أمر لا يمكن إخفاؤه».

قال أنس: «لم يكن هناك داع خاصة أن نتيجة تحليل العينة لم تظهر بعد (ثم سأله) وكيف حالها؟ لقد اتصلت بي منذ قليل وطلبت أن تراني».

رد عارف بلهجة متألمة: «إنها منهارة منذ أن علمت (وأضاف وهو يتحرك مغادرا) سأصلي العشاء في المسجد المجاور، وأريد أن أختلي بنفسي قليلا.. ألم يأت عصام معك؟ لقد أخبرني أنه من سيبيت معها الليلة».

«سيأتي بعد قليل أنا جئت بناء على طلب مرام من معها الآن؟».

«نيللي بارك الله فيها لم تتركها منذ أن حضرت».

«حسنا سأرى ماذا تريد مني».

بعد دقائق فتح أنس باب الغرفة بعد أن سمح له بالدخول، فناظرته نيللي بنظرة حائرة أقلقته ثم قالت لمرام وهي تلتقط حقيبتها: «أنا تأخرت سأذهب الآن».

تبادل مرام وأنس النظرات بينما أضافت نيللي: «وسأتي

لزيارتك غدا إن شاء الله، سواء كنت بالمستشفى أم خرجت للبيت».

قالتها وهي تعلق حقيبتها على كتفها ثم تميل لتقبل وجنتي مرام وتهمس لها: «تعقلي حلفتك بالله ما تنوين عليه هذا هو الجنون ذاته (وابتعدت مضيقة) سأتصل بك حينما أصل للبيت.. سلام».

تحركت بعد أن نظرت لأنس نظرة مشجعة زادت من قلقه، ثم خرجت فدخل الأخير وأغلق الباب خلفه وساد الصمت وكلاهما ينظر للآخر، اعتصر الألم قلبه وهو يرى وجهها الأحمر المنتفخ من أثر البكاء وهمس بخفوت: «كيف حالك الآن؟».

قوست شفتيها للأسفل تغمغم: «أنت تعرف».

تقدم في الغرفة يقول: «أريد أن أسمع منك».

حاولت التماسك بداخلها رغبة قوية للبكاء؛ لكنها حاولت التماسك، لم ترغب في أن تكون مثيرة للشفقة وما كانت تفكر فيه لا بد أن تنفذه دون إثارة شفقتة.

اقترب بهدوء ومع كل خطوة كانت تتراجع هي عن قرار متهور عاطفي قررته قبل ساعات مع كل إنش يتقلص بينهما يزيد حضوره في المكان وتتعطل دفاعاتها ويهبط عزمها، هل يمكن أن تفعلها؟ هل ستستطيع أن تنفذ ذلك القرار الآن فقط فهمته حينما أخبرها أن ما كان يمنعه عنها هو شعوره بالعجز أمام إسعادها، الآن فقط فهمت لماذا أعطها الفرصة حينما ظهر بدر كي تختار بملء إرادتها مع من تكون الآن تفهم تلك

الرغبة في اسعاد الآخر، وأن يترك ليخير في الاستمرار في العلاقة بإرادته الحرة وليس على سبيل الواجب أو الشفقة، الآن استوعبت ما كان يرزح تحته من ضغوط وفهمت حاجته لحظتها لأن يشعر أنها قد اختارته رغم كل شيء؛ لكن هل ستكون في مثل شجاعته وقوته النفسية؟

«أنس».

«نعم».

قالتها بما يشبه الاستغاثة ونطقها هو بلهفة فسقطت المزيد من الدموع من عينيها التي رفعتهما إليه وهو يقف بجوار سريرها يناظرها من علي، وتقوست شفتاها للأسفل تقول: «من المفترض الآن أن أقول لك إنني لا أريد أن أظلمك معي وإنك من حقدك أن يكون لك المزيد من الأولاد ولست مضطرا لأن تتحمل معي قدرتي لأنك وعدتني بالزواج أو على سبيل الواجب لأنك ابن عمي».

ما خمنه كان صحيحا وعلى الرغم من الرغبة التي سيطرت عليه لخنقها أو تحطيم رأسها الجميل في الحائط أيهما سيتيسر له؛ لكنه احتفظ بهدوئه وسألها: «من فرضه؟».

عبست: «لا أفهم!».

أوضح: «أنت بدأت حديحك بـ(من المفترض) فأريد أن أعرف من فرضه؟».

«المنطق يقول هكذا».

جادلها بالهدوء نفسه: «منطق من؟ منطقك؟ أم منطقي؟ أم منطق شخص يمر الآن من أمام الغرفة؟!».

كان يحاول تشتيت انتباهها عن أي إحساس مؤلم تشعر به، فاندفعت تقول ببعض العصبية: «هكذا يكون المشهد في الروايات».

منع نفسه من الضحك وغمغم متهمكا: «ما دام في الروايات لن أستطيع الاعتراض تفضلي أكملني هذا من المفترض أن تقولي.. وماذا يكون رد الطرف الآخر على حسب المنطق الخاص بالروايات؟».

ضيق عينيهما تقول بغیظ: «أنت تهزأ من كلامي؟!».

تحكم في ابتسامة وهو يرد: «لا على العكس أنا متشوق لمعرفة رد فعل الطرف الآخر».

احمرت وجنتاها حرجا وهي تقول: «يرفض الطلب ويتمسك بالبطل».

صمتت وتطلعت فيه ببؤس تنتظر رأيه فرفع لها حاجبا وقال: «فقط؟! هذا ما يفعله البطل؟! هي تقول له (نفترق لا أريد أن أظلمك معي) وهذا الأكلاشيه وهو يقول (أنا متمسك بك) فقط! ولا يفعل شيئا إضافيا ليؤكد تمسكه بها».

النظرة الشقية التي أطلت عليها من عينيه جعلت وجهها يحمر خجلا لكنها قالت بحرج: «هذا فقط».

أضاف بغير رضا: «تؤتؤتؤ ما هذه الروايات غير المنطقية

التي تقرأينها يا قرنفة؟ مستواها العاطفي بارد من المفروض أن يكون التعبير عن المشاعر بشكل أكثر حرارة أكثر بكثير ليؤكد على تمسكه بها».

لملت ابتسامة على شفتيها وقالت بحرج: «أنس لا تغير الموضوع».

عدل نظارته الطبية وقال يؤكد ما يقوله: «أنا أتحدث الصدق ترتيب المشهد غير عاطفي».

عبست تقول بطفولية: «أنت تشتتني عن عمد أليس كذلك؟!».

مط شفتيه وقال: «لا طبعاً تفضلي».

حاولت التركيز تسأل نفسها: «ماذا كنت أقول؟».

شبك أصابعه ورد عليها: «كنت تتحدثين عن أن المفروض أن تفعلي كما يحدث في الروايات».

«أجل».

بلعت ريقها وعادت للتطلع في عينيه بنظرة متألمة، خائفة، مرتبكة ومليئة بالإحباط، فشدد أنس من ضم أصابعه كي يمنع نفسه من سحبها إلى حضنه هذا هو المنطق والمفروض إن كانت تريد هذه الغيبة أن تتحدث عنهما، لتقول مرام والدموع تسيل على جانبي وجهها المرفوع إليه: «لكني غير قادرة على فعل ذلك (وقبضت على سترته تضيف) غير قادرة على أن أطلب منك أن تتركني.. غير قادرة على تحمل ابتعادك

ولا أملك الشجاعة للتفوه بهذا، حتى لو كنت أصدق في حديث الروايات أو كنت متأكدة أنك ستتمسك بي».

رد عليها بصوت متهدج: «إذن لا تقولي ما تعجزين عن التفوه به بل قولي ما تتمنيه فقط».

أكملت ما تقول باللهجة نفسها ذات المسكنة التي تعذبه: «لن أقدر على قول (اذهب يا أنس) أريد أن أتشبث بك وأقول (لا تتركني) أريد أن أعترف قائلة (لن أستطيع الحياة دونك) أنت قلت لي ذات يوم (أحملك مسؤولية أنني أحببتك) وأنا أقول لك (أحملك مسؤولية أنني تعلقت بك) أنت السبب.. أنت من مزق حجابا بيننا فرأيتك بعين الأنثى رجلا كاملا تتجسد فيه أحلامي.. أنت المسؤول عن تعلقي بك، لأنك أنس فلم يعد يملأ عيني أي رجل آخر لذا أريد أن أقول (لا تتركني)».

ما قالتها كان يصعب عليه احتمالها أو البقاء أمامه جامدا فمال عليها قائلا بعاطفة قوية: «قولها إذن (لا تتركني يا أنس)».

«لكني لا أريد أن أكون طماعا».

حضر وجهها الذي يشرف عليه من علي بكفيه وهمس: «من طمع في حقه فما ظلم».

«أنت حقي؟».

قال بلهجة أكثر خفوتا وحبا وهو يتطلع في عينيها الحمراوين سكنه ومنطقة أمانه: «أنا حقك وملكك يا مرام..

منذ أن فرضت سلطانك علي وعلى قلبي منذ زمن».

لم تستطع التحمل فأحنت رأسها المحاصرة بين كفيه وبكت
فمال أنس وقبّل رأسها ثم أبعد كفيه عنها يمنع رغبة شرسة
بداخله للتمادي.

رفعت إليه وجهها بعد برهة تقول: «لماذا حدث ذلك لي؟ أنا
كنت أتمنى بشدة أن أكون أما».

رد بحشجة: «لأنه اختبارك.. الابتلاءات تأتي فيما نرغب
فيه بشدة وعلى هذا نؤجر».

غمغمت تحاول البحث عن توازنها النفسي: «أنا لا أعترض
لكن كنت أتمنى أن..».

لم تستطع أن تكمل العبارة هاجمتها نوبة بكاء فدفنت
وجهها في كفيها تبكي.

اعتصر الألم قلبه فجلس على عقبه أمامها ورفع رأسها
بين يديه قائلا: «مرام اسمعيني لا داع لكل هذا نحن لا
نعرف تفاصيل حالتك بعد، وأغلب الحالات تستجيب للعلاج
أو الحقن المجهرى أنا قرأت قليلا في هذا الموضوع على
الإنترنت لكني سأذهب معك لأسوأ افتراض أنها أمنية صعبة
التحقيق، هذا لا يعني أنك لا تستطيعين أن تكوني أما بل أنت
بالفعل أم، الأمومة لا تكتسبونها بنمو جنين في رحمك يا مرام
وأنا وأنت نعرف أن هناك الكميرات يقمن بهذه الوظيفة بشكل
بيولوجي بحث كوعاء للإنجاب؛ لكن في الحقيقة هن ليس
لهن علاقة بالأمومة الحقيقية وأقربهم أم زينة».

تطلعت في وجهه القريب منها ودفء يديه حول وجهها
يمنحها شعورا بالطمأنينة ليضيف أنس: «ما هي الأمومة يا
مرام أخبريني الأمومة عطاء، حنان، تضحية، إيتار الأمومة
قدرة كبيرة على الصبر كل هذا أنت خلقت لتفعليه عن طيب
خاطر بل إن قدرك هو أن تكوني أما منذ نعومة أظفارك
أنت كنت أما لمراد في سن الثالثة عشر يا فتاة، تحملت
مسئوليته ورعايته، ربطته بك فكنت له نقطة الاتزان، يا بنت
أنت نقطة ضعف مراد التي رغم تمرده على الجميع ورغم
المرحلة الصعبة التي يمر بها لم تهتز لحظة واحدة عنده،
وكنت أما للمرة الثانية مع زينة أتذكرين اليوم الذي أصيبت
زينة بالحصبة وحذرناك من الاقتراب منها لأنك على حسب
ذاكرة عمي لم تصابي بالحصبة من قبل ومع هذا أصررت
على رعايتها بنفسك ما هذا أخبريني؟ أليست هذه أمومة
فطرية؟».

غمغمت بما يدور بخلدها: «لكنك أردت المزيد من الأولاد
ويؤلمني أنني لن أستطيع أن أحقق لك هذا خاصة أن العلاج
مكلف، تذكرت سيدة أعرفها دفعت مبلغا كبيرا من أجل الحقن
المجهري هذا».

رفع عينيه إلى السماء بيأس ثم عاد إليها يقول: «لا حول
ولا قوة إلا بالله أنت مصرة على استباق الأحداث، عموما إن
كان هذا قدرنا فلن نستطيع الاعتراض على قضائه وحمدا لله
أن عندنا زينة غيرنا في وضع أصعب».

شعر أنها توشك على التسليم فأضاف بهمس حار: «كما أنني قد غيرت رأيي لا أريد أن تنشغلي عني.. أنا أعاني حرمانا شديدا يا بنت عمي لذا لن أقول لك (لن أستطيع الحياة دونك) لأنني أعرف أنك بت واثقة من ذلك؛ لكني سأقول أطلبني حقا في أنس بكل شجاعة..كوني طماعة..كوني جشعة في احتياجك لي، فهذا يرضي كبرياء المحب المحروم بداخلي وهذا لا يعني أننا سنفقد الأمل بل سنتبع كل السبل لتحقيق ما نحلم به، وإن لم يأذن لنا الله عليك ساعتها إثبات ما قلته لي سابقا (أنس وكفى)».

قالت بعاطفة قوية: «من الآن أقولها وسأظل أرددها (أنس وكفى)».

غمغم بعاطفة أقوى: «وأنا أقول لك (مرام وكفى)».

تعانقت العيون في حديث صامت يجدد عهد ربما سيكرر كلما فتح هذا الموضوع مستقبلا فحواه (أنس ومرام وكفى) ونزلت عينا أنس على شفيتها وغمغم بلهجة حارة خافتة: «هل أنت متأكدة أن هذه هي نهاية المشهد في تلك الروايات؟».

احمرت خجلا وأطرقت برأسها تهرب من عينيه الشقيتين اللتين تطالعانها من خلف زجاج النظارة، فأبعد يديه عن رأسها يكبح جماح وحوش جائعة تسكنه واستقام واقفا يتنحرج بحرج، فجأة عبست مرام وتغيرت ملامحها فرفعت أنظارها إليه قائلة: «أنس هل تدخن السجائر؟!».

تملكه الحرج من سؤالها المبالغت وتشمم ملابسه ثم تنحنح يقول بمراوغة: «هل أثرت عليك حالتك العاطفية وأصبحت بهلوسة روائح؟!».

«أنس رائحة سجائر مختلطة بعطرك».

قالتها مصدومة فقال بسرعة: «أنت السبب في هذا أيضا وترتني باتصالك (وقلدها بصوت ناعم) أنس هل قررت أن تتركني.. أريدك بشكل عاجل لأن هناك قرارا عليك أن تعرفه فتوترت.. أنت السبب».

شعرت بحرجه أمامها فقررت ألا تزيد وقالت بوجنتين حمراوين: «أنا أتحدث بهذا الميوعة!».

رد مؤكدا: «أجل رأيت مدى عذابي؟ وبعد كل هذا انتهى المشهد بنهاية أقل حرارة مما كنت أتوقع، لهذا علي أن أعالج إحباطي الآن بسيجارة أخرى».

تجاهلت ما يلح له وسألته: «منذ متى؟».

أجابها معترفا بخزي: «منذ بضعة أشهر لكني أسعى بجدية للتخلص منها (وأضاف ببعض الشقاوة) وكي أتخلص منها لا بد من محفزات مثلا كلما شعرت بالرغبة في تدخين سيجارة ومنعت نفسي أحصل على مكافأة تعزز وتشجع ما فعلته».

سألته مفكرة: «مكافأة من أي نوع؟».

أضاف بابتسامة شقية: «كالذي يحدث في المشاهد العاطفية في الروايات».

عبست تقول مفكرة: «لا أذكر أن هناك روايات تحدثت عن التدخين (ثم اشتد عبوسها وهي ترفع إليه أنظارها قائلة) أنس هل تلمح لشيء غير مؤدب!».

قهقه ضاحكا فزمت شفيتها حتى لا تشاركه الضحك؛ لكن صوت ضحكته طمان عصام الذي وصل للتو أن أخته بخير فلبسته حمائية الأخ، خاصة بعد أن علم من نيللي في الهاتف أنها تركتهما ورحلت ففتح الباب ووقف يتطلع فيها وفي ابن عمه الذي يقف عند النافذة قائلا: «ما شاء الله على تسبيب واستهتار عائلة شلتوت! ماذا تفعلان وحدكما؟!».

اليوم التالي

إنه متوتر جدا ولا يعرف كيف سيعبر لها عما يريد أن يقوله، لأن كل ما رتب له طوال الليل نساها الآن عندما اقترب من غرفتها.

حين علم بالخبر من عصام وأنها قد تواجه بعض المشاكل في الإنجاب لم يشعر للوهلة الأولى بأهمية الأمر لكن عندما فكر فيه خاصة مع معرفته أنها كانت تتمنى أن يكون لها أولاد أشفق عليها كثيرا.. فمرام لا تستحق هذا لا تستحق إلا كل ما هو رائع مثلها، عدل من هيئته وتطلع في الهدايا التي أحضرها لها ثم طرق على الباب، حين دخل ابتسمت له ثم تطلعت باندهاش فيما يحمل فاقترب يعطيها ما في يده باقة ورد ودمية فراء كبيرة حمراء وكيسا لامعا من أكياس الهدايا.

سألته باندعاش: «ما هذا يا مراد؟».

أحس بالخرج فجلس بجوارها على السرير يقول: «هدية».

«أعرف أنها هدية ما المناسبة؟».

نظر أمامه مفكرا ثم فرك كفيه قائلا: «هدية بمناسبة شفاءك».

تطلعت في الورد بسعادة ثم حضنت الدمية الكبيرة وفتحت الكيس تخرج منه وشاحا حريريا ملونا وهتفت: «واااا! ذوقك رائع يا مودي (ثم عبست تسأله) لكن هذه الهدايا تبدو بمبلغ كبير، الدمية وحدها أتوقع غالية الثمن من أين أتيت بالنقود؟».

تطلع فيها بجانب عينيه ثم أجاب: «الحقيقة أنني جمعت من الكل كي نشتري لك هذه الهدية أخذت من عصام ومن أنس ومن أبي ومن جدتي حتى زينة أصرت أن تعطيني مصروفها.. الكل أعجبه فكرة أن نشتري لك هدية وفوضوني أنا كي أشتريها».

قالت بامتنان: «حبيبي.. ذوقك رائع».

أضاف مراد وهو ينظر أمامه: «واحد من أصحابي شاهدي وأنا أخرج من المحل تعرفينه ذلك المحل الكبير عند أول الحي، فظن أنني أشتريها لحبيبتي وأخذ يمطرني بتعليقاته المتهكمة».

ضحكت مرام فأضاف: «وحين دخلت إلى المصعد هنا في

المستشفى رأيت نفس التوقع في عيون من كانوا معي فيه». ضحكت من جديد وهي تقول: «الورد الأحمر والدب ذو الفراء الأحمر طبيعي أن يخمنوا هذا ستدل حبيبتك في المستقبل يا مراد».

نظر إليها يقول بحشرجة: «لكنهم لا يعرفون أنني أحضرتها لمن هي أعز إنسانة عندي في الوجود لأمي العانية». لمعت عينيها بالدموع مغمغمة: «مراد».

أضاف بحشرجة: «قالوا إنك حزينة لأنك قد يكون لديك مشاكل في الإنجاب.. لكن يا مرام أنت أم دون الحاجة لأن تحملي في بطنك طفلا (وأضاف بلهجة عاطفية أثرت فيها بشدة) أنت أمي وأنا ابنك أنا حين أعود بذاكرتي لا أذكر أمي شادية إلا مشاهد بعيدة لا أذكر دفء حضنها ولا رائحتها؛ لكني أذكر كل شيء معك كل شيء يخصك كيف لا تكونين أمي بعد كل هذا».

انهمرت الدموع من عينيها رغم أنها وعدت أنس ألا تبكي مجددا لكن حديث أخيها العاطفي أثر فيها بشدة فأمسكت بوجهه قائلة بحنو: «أنت محق.. فأنت أكبر أولادي».

رفع حاجبا وقال بغيرة مؤكدا: «وأهمهم».

ضحكت من بين دموعها وقالت: «وأهمهم طبعاً».

كان لا يزال يشعر بالعجز وأنه لم يقل كل ما تحضر لقوله فغلبته عاطفته ومال عليها يحضنها قائلاً: «إياك أن تحزني

أبدا أنا لا أتحمل كونك حزينة، حتى لو لم يبد علي ذلك لكني
أتأثر بشدة حين فسخت خطبتك مع أسعد كنت حزينا من
أجلك رغم أنني لم أكن أطيقه ولولا أنك من قلت لا أريده كنت
ذهبت إليه وضربتة لأنه أحزنك».

ربتت على ظهره وهي تقول: «لا بأس يا حبيبي أنا بخير
وأحمد الله وأشكر فضله على وجودكم جميعا في حياتي».

أبعدها عنه قائلا: «أنا اكتشفت شيئا وأنا أفكر فيك اكتشفت
أنني لم أحضر لك هدية عيد الأم من قبل لهذا أعدك أن أشتري
لك هدايا عيد الأم التي فاتتني وأحرص على أن أحضر لك
هدية كل عام».

انهمرت الدموع من عينيها وهي تربت على صدره قائلة:
«حبيبي أنت يا مراد لا داعي لمثل هذه الأمور بيننا».

حضرها من جديد بينما دق باب الغرفة ثم دخل عصام
وتفاجأ بالمشهد فابتسمت له مرام من فوق كتف مراد الذي
ابتعد عنها يداري وجهه ويمسح عينيه بينما أطل أنس برأسه
قائلا: «ماذا يحدث بالضبط؟ (وتطلع في مراد الذي وقف
يتنحنح وقال مناكفا) ماذا حدث يا مودي هل كنت تبكي؟
وما هذه الأشياء الرومانسية يا ولدا والله لست قليلا».

قال عصام لأنس بلهجة موبخة: «أرأيت الهدايا.. أختي منذ
أن خطبت لك لم أر حتى حزمة فجل تدخل بيتنا».

مط أنس شفتيه ورد ممتعضا: «ولماذا أضيع نقودي في
هذه الأمور وأنا من الممكن أن آخذها إلى مطعم ونأكل وجبة

دسمة (وتطلع في وجه مرام التي ضيقت عينيها تدقق فيه وقال) لم أقصد شيئاً ست مرام؛ لكنه من غير المنطقي أن أهدي الورود لقرنفلة».

تخضبت وجنتاها بحمرة الخجل بينما تبادل مراد وعصام النظرات الممتعة قبل أن يتدخل الأخير قائلاً: «كفى تسبيلاً هيا نريد أن نعود بك للبيت لأنني عندي مواعيد مهمة».

لماذا لا تشعر بالانتصار؟

من المفترض أن تشعر به لأن عمها رضى وأعاد الأدوية للمخازن صحيح ما زالت لا تأمن جانبه وصحيح تعلم أنه لن يكف عن محاولاته لفرض سيطرته على كل شيء لكن عليها أن تفخر بنفسها، وأنها قد وصلت لهذه النقطة لكن كيف تفرح والطريق لا يزال طويلاً أمامها ومليئاً بالعقبات ربما ستؤجل الفرح للحظة أخرى، لحظة الوصول بالشركة لبر الأمان وحتى تحين تلك اللحظة ستتخذ من هذا الانتصار البسيط والمؤقت على عمها دفعة كي تشحذ همتها التي أوشكت على النفاد كي تواصل طريقاً لم تختره لنفسها، وضعت نيلى نظارة الشمس على عينيها بعد أن تمت بنفسها على وصول الأدوية للمخازن وعادت لسيارتها تركبها وتنطلق في طريقها الطويل لعلها تجد له آخر.

بعد ثلاثة أسابيع

الفرح يحيى القلوب التي قتلها الحزن.. والنظرات رسول بين المحبين والزغاريد كانت وستظل أنشودة تُعزف على أوتار الحياة تتناقلها الأجيال.

في بيت عارف الذي جاء دوره ليفرح علت الزغاريد وملأت الفرحة القلوب بعد طول غياب، فوقف أنس ببدلة رسمية أنيقة يتبادل النظرات مع مرام عبر الصالة قبل دقائق من عقد القران، نظرات فرحة مرتبكة ذاهلة غير مصدقة، اخترقت العدد الذي امتلأت به الشقة من أهل البناية الذين قد دعوا لحضور عقد قران ابنة عارف شلتوت على ابن عمها الدكتور أنس، لقد طلب أنس من عمه عقد القران بعد أن خرجت نتيجة تحليل العينة التي أكدت شكوك الطبيب كي يشغلها عن التفكير في الموضوع الذي يعلم أنه بالنسبة إليها حساس، فطلب التسريع بعقد القران وأن يؤجل الزفاف حتى يكمل تجهيز الشقة وها هي اللحظة قد حانت وقد ظنّها لن تأتي أبداً.

تطلع مبتسماً في أم بيسو التي لم تتوقف عن إطلاق الزغاريد وتوزيع أكواب الشربات وزجاجات المياه الغازية، وفي عصام الذي يستعد لأن يكون شاهد العروس، ومراد الذي يحوم منذ الصباح في المكان ببعض العصبية والنزق كديك أضرمت النار في ذيله وعاد ينظر إلى مرام من جديد وكأن كل شيء يخصه يعود إليها. نظراته الفرحة المرتبكة غير المصدقة سافرت عبر الصالة لتتواصل مع مرام التي تقف عند شرفة القرنفل ترتدي رداء أنيقاً بلون عاجي به لمعة خفيفة

من قطعتين سترة وتنورة طويلة تنتهي باتساع وحجاب بتدرجات بين العاجي والوردي، كانت في كامل زينتها.. وكانت حلوة.. شهية.. مشرقة كضوء الصبح الذي يأتي بعد ظلمة ليل حالك السواد، قال المأذون مازحا: «أين ذهب العريس هل هرب؟».

ابتسم أنس فسحبه عصام يقول مازحا هو الآخر: «لا تقلق لن نسمح له بالفكاك يا شيخنا».

اختلط التأثير بالفرح فصنع مزيجا عجيبا من العيون اللامعة والابتسامات المرسومة على وجوه آل شلتوت في لحظة تعني لهم الكثير، فاقتربت مرام ومعها نيللي وزينة بينما الحاجة روح التي تجلس مختالة بين الجارات بعباءة جديدة اشتراها لها ابنها خصيصا كي تحضر بها المناسبة أخذت تنمر بالأوامر على أم بيسو المسكينة.

أحضر عصام الدفتر لأخته الجالسة على أحد المقاعد القريبة من جلسة الرجال كي توقع فيه ووقف يتبادل النظرات المختلطة مع نيللي الواقفة بجوارها.

(العقبى لنا يا رب) هكذا قالت النظرات ودعت القلوب ليعود بعدها بالدفتر إلى المأذون فيمسك الأخير بيد عارف الذي لمعت عيناه بالعاطفة، حينما تواجهت بعيني أنس الذي فاقه تأثرا وجاهد كي لا يبدو عليه ذلك التأثير ثم حانت منه نظرة نحوها نظرة سريعة خاطفة انفجرت لها دقات قلبه المذهولة وعاد يتطلع في عمه الذي يردد خلف المأذون.

الأمنيات تختبئ في متاهات الوجدان حتى لو لم تكن نعي بوجودها وتظل كامنة هناك حتى تجد من يحررها، وما أجمل من أن تحررها الأقدار حين ترسم للقسمه والنصيب طريقا مزيئا بالقرنفل.

(هل انتهى كل شيء؟) سألتها أنس لنفسه حينما انقض عليه عصام يحضنه بقوة المحبة والأخوة بينهما والفرح الكبير لزواج أخته، بينما وقف عارف يتلقى التهاني من الجيران والأقرباء الواحد تلو الآخر قبل أن يقترب منه أنس ويقبل كتفه ورأسه ثم يحضنه.

قال عارف بعينين مفرغتين بالدموع: «الحمد لله الذي مد في عمري حتى اطمأنت عليها مع من أثق في أنه سيصونها».

غمغم أنس بصعوبة والفرحة تلجم لسانه: «أطال الله في عمرك يا عماه».

أما عصام فأخذ أخته الخجلة بين أحضانه وقال: «فليكتب لك الله السعادة كما تستحقين يا حبيبتي».

لم تستطع مرام التفوه بشيء كان الشعور أقوى من أن يجد كلمات تصفه حتى حينما اقترب منها عارف فقبلت يده وقبل جبينها ثم قال: «شادية سعيدة الآن في قبرها أنا أكيد من ذلك.. وفخورة بك كما أنا فخور بابنتي زينة البنات بارك الله لك».

هكذا كانت المشاعر مصرة على ذرف الدموع المختلطة

بالبسمات حتى روح تأثرت وبكت.

بعد دقائق اقترب منها اقترب من مرام قرنفلته وأخرج من جيبه محبسا وضعه بارتباك في بنصرها الأيمن وتلاه خاتما وإسورة ذهبية متجنباً النظر في عينيها وغير مصدق لأنها أصبحت زوجته

(مرام زوجته!) ردها في سرها وهو يأخذ رأسها بين كفيه ويطبع قبلة سريعة مرتبكة على جبينها وسط النظرات التي تحيط بهما والزغاريد العالية.. بعدها اضطر للابتعاد كي يتلقى تهاني الموجودين بينما حضنها مراد بقوة وأطال في الحضن حتى أبعدته نيللي بغيظ وأخذتها إلى حضنها تبكيان بتأثر.

شعر مراد بالاختناق فخرج يقف أمام الباب يحاول السيطرة على مشاعر الخوف من الفقد التي تسيطر عليه يخبر نفسه بأنه لم يعد صغيراً كي يشعر هذا الشعور يخبر نفسه بأن مرام سعيدة وبأنه حتى لو لم يعترف بذلك أمامهم فأنس خير رفيق لها لكن رغم كل الحقائق والبراهين لا يزال الخوف يسيطر عليه من فقدانها.

خرج باسم خلفه وتشجع كي يبادر بالتحدث معه فوقف بجواره مستنداً على الحائط بين الشقتين فنظر إليه مراد ثم عاد ينظر أمامه دون أن يتفوه بشيء ليقول باسم بعد فترة من الصمت: «لم تتح لي الفرصة لأن أشكرك على ذلك اليوم الذي دافعت فيه عني حاولت أكثر من مرة لكنك دوماً تتجاهلني».

عبس مراد وتطلع فيه قائلا: «أنا لا أتجاهلك لكني لم أحب أن تكون جاسوسا علي».

أسرع باسم بالقول وقد أزعجه الاتهام: «لا والله لم يحدث».

«ألم تتقصى أخباري وتنقلها لأنس».

قال باسم موضحا: «هذا لأنني كنت قلقا عليك مثلهم أقسم لك».

ناظره مراد يقول ساخرا: «بل أردت أن تكسب ثقة الكبار وتلفت أنظارهم».

هتف باسم بلهجة بدت صادقة أمام عيني مراد: «أقسم لك لم تكن هذه نيتي.. أنا بالفعل قلقت عليك حينما أخبرني الدكتور أنس أنك تخفي شيئا علينا أن نتأكد من أنك لا تفعل ما يؤذيك».

قال مراد بكبرياء طفولي: «إن كنت تسعى لأن تكون صاحبي عليك ألا تخونني».

أصر باسم على ما يقول: «لم تكن خيانة كان خوفا عليك ويسعدني طبعاً أن نكون أصحاب».

هرش مراد في رأسه ثم قال ليغير الموضوع: «أنس أخبرني أنه قد تفاجأ بالحلقات الكوميدية التي كتبتها ووصفها بالرائعة».

ابتسم باسم وقال: «وأنا سعدت جداً برأيه هذا لا تتصور فرحتي فهذه هي المرة الأولى التي يقدرني فيها أحد».

تعاطف مراد معه واستاء من نفسه لأنه كان دوما يصدّه
لقد نهر أصحابه حينما تنمروا عليه لكنه هو أول المتنمرين،
لوى شفّتيه وقال بتهكم: «وهل من الممكن أن أرى كتاباتك
العبقريّة يا عم الكاتب؟».

رد باسم بترحيب: «طبعا في أي وقت».

ساد الصمت وعاد كلاهما ينظر أمامه قبل أن يقطعه باسم
حينما أدخل يده في جيبه وأخرجها مملوءة بقطع الحلوى
ومدها لمراد الذي عبس قائلا: «هل سرقت الشيكولاتة من
الحفل».

أجاب باسم بكبرياء: «لا.. هذا النوع محشو بالبندق جئت به
من بيتنا».

عوج مراد شفّتيه مرددا: «محشو بالبندق!» ثم قبض على
كف الآخر يأخذ الشيكولاتة فلم يترك له إلا واحدة وفتح
إحدى القطع ووضعها في فمه وعاد ينظر على السلم الصاعد
لأعلى أمامه قبل أن يستدير ويقول لباسم باستنكار: «ولماذا
تملأ جيبك بالشيكولاتة؟ هل أنت طفل؟!».

ضحك باسم وأجاب: «بل كنت سأعطيها لزيّنة فوجدتها
مشغولة وملتصقة بمراملكني أحب الشيكولاتة لن أنكر ذلك».
هز مراد رأسه وألقى بقطعة أخرى في فمه وعاد ينظر أمامه
فسأله باسم: «ألن تعود للداخل؟».

تنهد الثاني وقال: «أشعر بالملل».

صدرت ضحكة قصيرة ساخرة من باسم وعلق: «الملل هو رفيقي (ثم استدار يتطلع فيه قائلاً) ما رأيك أن تأتي لشقتي كي نلعب بلايستيشن؟!».

دب الحماس في مراد واعتدل في وقفته يقول: «فكرة جيدة».

فأضاف باسم: «وسأجعلك تقرأ الحلقات الكوميدية».

قالها وهو يسرع إلى باب شقته ليفتحه والسعادة تغمره.. لقد حصل على رفيق.. ولم يكن رفيقا عاديا بل هو مراد الذي تمنى دوما أن يكون صاحبه لكنه لم تكن لديه القدرة على المبادرة وكسب الصداقات.

بعد قليل اختلطت القهقهات الصادرة من شقة باسم بالزغاريد الصادرة من شقة عارف في الوقت الذي كان مراد يقول فيه: «أنت مصيبة يا بيسو إن هذه الحلقات قنبلة ضحك».

في التاسعة مساء كان البيت قد خلا من المهنيين من الجارات وكذلك الجلسة التي نصبها آل شلتوت في الشارع أسفل البناية يستقبلون المهنيين ويوزعون الشربات وقطع الشيكولاتة، وغادر أيضا أقارب آل شلتوت عائدين لمدينتهم الأم بعد أن اعتذروا عن المبيت نظرا لارتباطهم بالتزامات في اليوم التالي، دخل عارف وخلفه ولداه وابن أخيه فاستقبلت زينة والدها قائلة بفرح: «أبي هل ستنزل مرام لتبيت معنا

اليوم؟».

تطلع الأخير في مرام التي لا تزال بملابس الحفل تجلس مع نيللي وجدته ثم قال: «ليس الآن يا زوز».

قالت الأخيرة عابسة: «ألم تصبح زوجتك؟ رأيتك تكتب في الورقة مع الشيخ».

ابتسم يقول: «لا بد أن ننتظر حتى أشتري لها فستانا للزفاف وفستانا آخر لابنتي الجميلة مثله، وأقيم حفلا آخر وهذا يحتاج لمبلغ كبير علي أن أدخره أولا».

نظرت زينة لمرام وقالت بإحباط: «كنت أتمنى أن تنزل معنا اليوم (ثم اقترحت) لماذا لا تنزل معنا وحين تدخر المبلغ نقيم الحفل؟».

تطلع أنس في مرام من جديد ثم قال: «أنا شخصا ليس عندي مانع أبدا أبدا».

أطرقت مرام برأسها بخجل بينما قال عصام لزينة بامتعاض: «لا يا زينة.. لا بد أن نقيم الزفاف أولا».

زفرت الأخيرة تقول بضيق: «أنتم تعقدون الأمور».

فغمغم أنس بصوت خافت سمعه عصام: «أتفق معك».

هدرت روح في الصغيرة: «قلنا ليس الآن حينما يقيم لها زفافا وتلبس الفستان.. ألا يكفي أننا أقمنا حفلا بسيطا عاديا كنت أشعر بالحرج أمام الناس».

ارتفع حاجبا أنس بينما قال عارف لأمه: «ما لزوم هذا الكلام يا أمي؟!».

غمغمت الأخيرة: «كلكم ترفعون الضغط».

قالت مرام لزيئة: «ما رأيك أن تنامي أنت في غرفتي الليلة».

قالتها وهي تفتح لها ذراعيها فذهبت إليها زيئة لتحضنها بينما توجه أنس لجدته قائلا بعد أن قبل رأسها وجلس بجوارها: «لم تباركي لي بعد يا جدتي».

تغيرت ملامحها ونسيت ما كان يغضبها قبل ثوان وقالت وهي تربت على صدره: «مبارك لك يا سالم يا حبيبي».

أما عصام فوقف يتبادل النظرات مع نيللي وود لو يطلب منها أن يخرجها إلى الشرفة أو يجلسا في ركن بعيد يشتاقي للحديث معها ولا يكفيه أحاديث الهواتف بينهما؛ لكنه ورغم أن علاقتهما باتت معروفة لأغلب أعضاء الأسرة لن يستطيع أن يفعل ذلك بهذه الجرأة ويعلم بأنها لن تقبل بذلك أيضا، فكانت النظرات الصامتة بينهما تبوح بما يعجز عنه اللسان وتمنعه الحدود وتعرقله الظروف، أملا كان أم وعدا باللقاء أضحى الآن معلقا على موسم جديد للقرنفل تتحقق فيه الأمنيات.

قال مراد بعبوس: «أنا جائع لم أكل طوال اليوم».

تنهد عصام وطرده أفكاره الكثيبة ومشاعره المشتعلة ورد:

«الأكل على حساب العريس اليوم بالتأكيد».

رفع أنس حاجبيه ليضيف عصام: «سنطلب طعاما من الخارج على نفقتك يا عريس (واستطرد بلهجة متسلية) ماذا نأكل يا مراد؟ أفكر في أن نطلب كباب وكفتة أنا شخصيا سأخذ كيلو مشكل».

رد مراد بعينين لامعتين: «أريد حمام.. سأخذ زوجين» أخرج عصام هاتفه يدون عليه قائلا: «وزوجين لك من الحمام المحشي وزوجين لي أيضا».

قال أنس باعتراض: «ستأكل كل هذا وحدك؟!».

خمس عصام في وجهه بأصابع كفه الخمسة يقول: «ما شأنك أنت؟ هل ستحسدني أم أنك بخيل؟».

ضحك عارف بينما لوي أنس شفثيه مغمغما: «لا حول ولا قوة إلا بالله!».

سأل عصام: «وأنت يا جدتي ماذا ستطلبين من محل المشويات؟».

ردت بدلال: «أريد فته بالموزة».

«رائع.. وأنت يا حاج؟».

قال عارف وهو يراقبهم ضاحكا: «أي شيء».

سأل عصام: «وأنت ماذا ستطلب يا عريس أم تنوي أن تنام خفيفا».

ابتسم له أنس ابتسامة صفراء وأجاب: «كلك ذوق».

فنظر عصام لنيللي يسأل: «والأستاذة؟».

ردت وهي تترك مكانها وتستقيم واقفة: «الأستاذة تريد أن تعود للبيت».

قالت مرام باعتراض: «ليس قبل أن تأكلي شيئاً فأنت مثلنا لم تأكلي طوال النهار».

قالت نيللي وقد بدى عليها الإرهاق الشديد: «لا أنا مجهدة».

اقتрحت مرام بما تمناه عصام: «لماذا لا تبيتين معنا الليلة؟».

ردت الأخرى: «لن أستطيع عندي اجتماع مهم في صباح الغد ولا بد أن أحضر له الأوراق».

أشفق عصام عليها وجرت عيناه سريعا على قوامها الذي صار أنحف وشك أنها لا تأكل كما يجب فناظرته هي تقول: «هل ستوصلني؟».

هز رأسه وقال بتأكيد: «طبعاً».

مالت تقبل مرام وتهنئها ثم ألقت السلام على الموجودين ليقول أنس: «في أي وقت أستطيع أن أزورك في المكتب غدا؟».

ردت نيللي: «العائلة عصرا مناسب».

هز رأسه فهمت أن تطلب منه أن يخبرها بنتيجة فحص

عينات الأدوية؛ لكنها وجدت أن الوقت والمكان غير مناسبين فطلبت من نفسها المزيد من الصبر وتحركت تستعد للمغادرة مع عصام الذي أملا أخاه الطلبات وقال: «اطلبها حتى أعود بعد أن تعرف ماذا سيأكل أنس ومرام».

هز الثاني رأسه بينما قال عارف وهو يترك مكانه: «وأنا سأدخل لأغتسل وأبدل ملابسني».

وقف عصام يتطلع في نيللي التي تضع شاحن هاتفها في الحقيبة، بينما ترك أنس أريكة روح وتحرك يجلس بجوار مرام قائلا: «مساء الخير».

كان قلبه كقلب تلميذ يرتجف في أول يوم دراسي له، ولم تكن هي أقل منه ارتباكا فناظرته بجانب عينيها، بينما جلست زينة على حجره وأخذت تلتقط لها صورا معهما بالتابلت.. فناظرهم عصام من عند باب الشقة ثم سأل أخوه سؤالا خبيثا لم يخف عليه ولا على أنس مغزاه: «هل ستذهب لأصدقائك الليلة؟».

غمغم مراد الجالس عند منضدة السفارة: «لا أنا متعب وعندي مذاكرة لهذا (واختلس نظرة مأكرة نحو أنس وأضاف) أنا سأسهر الليلة لأذاكر».

قال عصام بلهجة لئيمة: «بارك الله فيك يا حبيبي أهم شيء مستقبلك بالطبع».

ربت مراد على صدره معجبا بنفسه وهو يتبادل النظرات المأكرة مع أخيه وقال: «عشت يا أخي».

عاد عصام يقول وهو يفتح الباب: «لن أوصيك يا مراد اطلب كل الطلبات على حساب عريسنا واحتفظوا لي بنصيبى إن تأخرت».

قالها وخرج تاركا نيللي واقفة تبتسم لمرام فهي وكما هو متفق عليه ستخرج بعد دقائق يكون هو فيها قد نزل واستقل أحد التكااتك وانتظرها خارج الحي كي يوصلها بسيارتها، حين غادرت نيللي تطلع أنس في جدته التي فتحت التلفاز تستعد للسهرة ولا بنته التي تلتصق به هو ومرام ثم قال لمراد: «معقول ستفوت عليك جلسة اليوم مع أصحابك؟! والدولارات والشهرة التي تنتظرك يا مودي!».

تنهد مراد وقال بلهجة مسرحية: «المذاكرة أهم يا عريسنا ألم تقل لي ذلك أكثر من مرة».

هز الأخير رأسه وقال متهمكا: «سبحان الله تذكرت كلامي الليلة بالذات (وتطلع في مرام التي فهمت ما يدور ومال عليها يقول) مساء الخير».

غمغمت وهي تلعب في الخاتم في إصبعها: «مساء النور».

قدم نفسه لها قائلا: «أنس سالم وشهرتي المنحوس».

تلاقت عينيها ثم انفجرت مرام ضاحكة فأضاف أنس: «أضحكين! تمام تمام يا ست مرام (وفرك كفيه في فخذه مضيفا) قرب البعيد يا رب».

اليوم التالي

تطلعت نيللي في أنس ودلكت جبهتها بأناملها فتوقف عن حديثه ثم قال بعد ثوان: «يبدو أن ما أقوله لا يزال غامضا بالنسبة إليك».

تمتت نافية: «لا أبدا أنت شرحت بشكل واف، التركيبة الكيميائية لمكونات الدواء لكن..».

صمتت بحيرة فقال: «لكن تريدن الخلاصة».

«أجل».

سحب نفسا عميقا وأجاب: «الخلاصة يا أستاذة نيللي أن هذا الدواء رغم التقرير الذي كتبه الشركة المنتجة أن المادة الخام بها شوائب وما تم رصده بعد ذلك من وجود مواد تعتبر سامة في قاع البراميل أثناء التصنيع، ثم عادت وعدلت التقرير بعلاقات عمك طبعا إلا أنه وفقا للعينات التي تم تحليلها ليس به ما تُسألني عنه جنائيا لم يظهر شيء في مكوناته بشكل واضح وقاطع، يدل على أن به ضررا مباشرا على صحة المرضى؛ لكن تلك المادة التي وجدت في قاع البرميل هي مادة سامة وتم عمل أبحاث دولية تحببت سميبتها، وقد أريتكم الأبحاث العالمية التي تتحدث عن هذا الموضوع خاصة لو اختلطت بمواد كيميائية أخرى منها المادة الفعالة لذلك الدواء؛ لكن هذا الأمر لا يزال خارج نطاق المسؤولية الجنائية وعليه إن نزلت هذه الأدوية للسوق لن تضر بالمرضى على الفور؛ لكنها قد تضر بهم وفقا للدراسات التي

أشرت إليها على المدى البعيد لأنها مادة تترسب في الجسم وتسبب مضاعفات كثيرة، خاصة أن هذا الدواء لمرض مزمن أي أن المريض سيتناوله لفترة طويلة وربما جاء حظه في هذه الطلبية بالذات، وحصل على أكثر من علبة تعرفين أن شعبنا يعشق التخزين المهم تستطيعين أن توزعي الدواء في الأسواق دون الخوف من أي مساءلة جنائية».

ساد الصمت وناظرها أنس وأوشك على أن يسألها إن كانت لا تزال ترغب في المزيد من التوضيح لكن نيللي تكلمت بهدوء: «أنت ترمي الكرة في ملعبى إذن!».

هز رأسه وقال بصراحة: «هذا حقيقي (واستقام واقفا يضيف) والآن علي أن أذهب لأن عندي حصص».

«دكتور أنس».

توقف واستدار لها فقالت نيللي: «انتظر من فضلك» وأخرجت من الدرج شيكا وخرجت من خلف مكتبها تعطيه إياه فعبس قائلا دون أن يمد يده: «ما هذا؟».

قالت بلهجة عملية تختلف تماما عن نيللي التي يراها في البيت: «هذا تقدير لوقتك وجهدك في فحص العينات».

هز كتفيه قائلا: «ليس هناك داع لهذا».

قالت نيللي: «أنا مصرة».

أخذ أنس منها الشيك وطواه ثم وضعه في جيب سترته الداخلي فأضافت نيللي: «ولن يكون هذا آخر تعاون بيننا».

راقبها متسائلا وهي تذهب إلى مكتبها وتلتقط من فوقه عدة أوراق وتعود إليه قائلة: «اقرأ هذا العقد جيدا وإن كان هناك أية بنود تريد أن تضيفها لا تتردد في أن تخبرني وستناقش فيها».

سألها عابسا: «ما هذا؟».

ردت بوضوح: «هذا تعاقد بينك وبين شركة (واي زد) كي تكون مستشارا لها أو خبيرا أيا كان المسمى (وأضافت بما يشبه الترجي) أنا أحتاجك يا أنس».

تطلع فيها صامتا فأضافت: «والوظيفة لن تتطلب منك دوام كامل لكني أريد أن تكون بجانبني في الخطوات المقبلة، أنا فقدت الثقة في الجميع.. وأريد أن أعتمد على رأي شخص أثق فيه خاصة أن لديك الخبرة في المجال وحامل لشهادة ماجستير وعلى وشك الحصول على الدكتوراه».

(أخيرا جاءت لحظة التقدير يا أنس) قالها في سره وهو يتطلع فيها قبل أن يسحب منها الورقة بهدوء ويتحرك نحو مكتبها فيلتقط قلما ويوقع فقالت له ضاحكة: «ألن تقرأ العقد وترى ما فيه؟».

أعطاهما نسختها وطوى نسخته ووضعها في جيبه يقول ببساطة ووضوح: «بارك الله فيما رزق أخبروني بنظام العمل حينما ترتبون كل شيء.. سلام».

خرج وأغلق الباب خلفه فتطلعت نيللي في أثره ثم عادت لتجلس على مكتبها وتفكر فيما قاله لقد رمى الكرة في ملعبها

ووضعها في أزمة بين ضميرها وبين مصدر جيد للسيولة
كان سيفطي جزءا لا بأس به من ديون الشركة، أسندت رأسها
بكفيها بإرهاق تفكر ولم تدرك من الوقت مر حتى رن هاتفها
فرفعت رأسها والتقطته ترد: «نعم طارق».

حينما لم تجد ردا قالت: «أتمنى أن تكون طنط نورية
أفضل».

أتاها صوت طارق يقول بحشجة: «نورية ماتت يا نيللي».

فتحت زينة الباب ثم نظرت لمرام الجالسة عند منضدة
السفرة تقوم ببعض الحسابات بين هاتفها وبعض الأوراق
وقالت على حسب ما تعودت سابقا: «إنه أبي».

ابتسم أنس لابنته التي تحشر جسدها بين الباب الموارب
تمنعه من الدخول، بينما احمرت وجنتا مرام ورفعت خصلة
من شعرها المرفوع بمشبك فوق رأسها خلف أذنها وغمغمت:
«ليتفضل».

فتحت له زينة الباب ثم قالت: «لقد جئت مبكرا اليوم يا
أبي.. ألا يوجد عندك دروس؟».

غمغم وهو يدخل: «عندي بعد قليل يا زينة لكني أحتاج لأن
أعطي شيئا لمرام».

قالها ووقف متسمرا تتسارع دقات قلبه وهو يراها أمامه
مكشوفة الشعر ترتدي بدلة رياضية قطنية رمادية اللون

بشريطين ورديين على الجانبين، فأخذ يتطلع فيها بملء عينيه رغم ملامحه الجادة في الوقت الذي لم تعرف فيه مرام أين تذهب بنظراتها وقد أضحى وجهها كحبة طماطم ناضجة.

قالت روح بلهجة موبخة: «المرء يلقي السلام حينما يدخل».

عدل من النظارة الطبية وغمغم: «السلام عليكم يا جدتي كيف حالك؟».

غمغمت شاكية: «ضوسي يؤلمني».

كانت نظراته لا تزال مسلطة على مرام التي دفنت وجهها في الأوراق أمامها حتى إنها تخرجت من القيام لاستقباله، بينما رد أنس على جدته: «من الحلوى التي تأكلينها يا روح.. ويبدو أنني سأمنعهم من إدخال الحلوى إلى المنزل عموماً سأخبرهم أن يعطوك قرصاً مسكناً».

هتفت موبخة: «ألا يكفي أنك تمنع عني منذ أسبوع الشيكولاتة التي كنت تحضرها يومياً».

قال يمسد على رأس زينة الملتصقة بساقه ونظراته تتفحص ما ترتديه مرام: «هذا لأنني كنت أتوقع ما ستفعلينه في يوم عقد القران من التهام كمية مهولة من الشيكولاتة في الحفل دون علمنا (ثم نظر لابنته يسألها) أين جدك؟».

ردت زينة: «جدي خرج قبل قليل».

«ومراد؟».

«مراد يذاكر في غرفته (وأضافت بحماس) لقد تفتح المزيد من القرنفل يا أبي».

غمغم وهو يتطلع في مرام: «أجل يا ابنتي تفتح المزيد من القرنفل بالفعل».

قالت زينة: «الألوان رائعة».

«جدا (قالها معلقا على المنظر أمامه وأضاف) اذهبي يا زينة وابحثي لجدتك على فيلم تشاهده».

تركته زينة فاقترب منها وقلبه يهفو إلى عناق مشتاق وسلام حار كالجمر وهو يتمتم في سره (ما أجمله حين يتفتح القرنفل ويكشف عن حلاوته).

كانت الطاولة بينهما حاجزا ومن الجيد أنها كذلك، فربما فشلت إرادته في الحفاظ على توازنه فالفاكهة التي يراها على بعد خطوات.. شهية.. طازجة.. وجميلة إلى حد معذب، وهو قد استبد به الجوع إلى حد مؤلم ولا إنساني.

غمغم بحشجة: «كيف الحال؟».

«بخير وأنت؟».

قالتها وهي ترفع إليه أنظارها فقال: «أنا؟ أنا غالبا ارتفع عندي الكولسترول وقد يتوقف قلبي في أية لحظة».

غمغمت بعاطفة: «بعيد الشر عنك».

بلع ريقه ورد: «وعنك يا قرنفة (وأضاف وهو يسمح لعينييه أخيرا بالتدقيق فيها بكل حرية ويرسمها بشكل مفصل) ماذا تفعلين؟».

«أقوم ببعض الحسابات».

انتبه وقال: «بمناسبة الحسابات زيدي على ما نملك مبلغ xxxxx».

قالت متفاجئة: «ما شاء الله.. من أين لك هذا ألم تعطني قيمة حصص الأسبوع الماضي أول أمس؟».

رد وهو لا يزال يرسمها بملء عينييه: «هذه مكافأة من الشركة التي بت أعمل فيها».

عبست تسأله: «شركة! لا أفهم».

أجابها موضحا: «سأعمل في شركة نيللي».

اتسعت عيناها وقالت بسعادة: «حقا! ما هذه المفاجأة؟!».

أضاف سعيدا بفرحتها: «والمرتب بفضل الله جيد».

صفقت بيديها تقول: «رائع.. رائع ما هذه الأخبار الحلوة».

غمغم: «لكل جديد رزقه وأنت رزقك كبير يا قرنفتي».

سألته مستفسرة: «هل هذا معناه أنك ستترك الدروس؟».

أجابها بسرعة: «لا بالطبع وظيفتي عند نيللي استشارية لن تتطلب مني المداومة اليومية سيبلغونني بالتفاصيل وسأرتب بعدها مواعيدي».

قالت بحماس: «حمدا لله.. هذا سيجعلني أغير الخطة».

ونظرت للأوراق أمامها فصمت لبرهة ثم قال بخفوت وحشجة: «مرام.. لم أكن أعرف أن قلبك بهذه القسوة».

رفعت إليه أنظارها تقول متفاجئة: «أنا!».

رد عليها مؤكدا بالخفوت نفسه: «أجل تتفاخرين بجمالك أمام محروم مثلي».

ارتبكت وازداد اشتعال واحمرار وجهها وغمغمت وهي تقلب في الأوراق بارتباك: «عن أي جمال تتحدث!».

استمر في لهجته المؤنبة يقول: «لم يكن هذا العشم يا بنت عمي أن تذيني بهذا الشكل».

رفعت أنظارها إليه قائلة: «ما عاش من يذك».

قال بصوت متهدج بالمشاعر: «بعيد الشر عنه ليعش عمرا طويلا حتى لو سيتدل علي ويعذبني».

سأله بدلال: «أنا أعذبك!».

قال بحرارة كادت أن تلفحها رغم المسافة: «تقتليني هذه اللحظة بهذا الجمال».

أطرقت برأسها وساد الصمت وهو لا يزال يدقق فيها شعرها البني الناعم ونحرها الأبيض وجذعها المكتنز.

رفعت إليه مرام رأسها من جديد حين استمر الصمت فأشار لها أن تقترب منه، فازدادت خجلا واحمرارا وتطلعت ناحية

جدتها وعادت إليه بنظرة رافضة لكنه أشار لها مرة أخرى بإصرار.

تركت الأوراق واستقامت واقفة أمام عينيهِ الجائعتين اللتين أخذتا تدققان في كل إنش فيها في ذلك الرداء الرياضي من بنطال وبلوزة وهي تلف حول الطاولة وتقترب منه بخطوات مرتبكة تقترب.. ويقترب هو من حلمه في التوحد معها.. في التئام جزيئتهما.

هل يؤذي نفسه باقترابها الذي يعرف أنه سيقف عند حد معين؟ أم أن رؤية الماء عن قرب والتغزل فيه قد يخفف من ظمأه؟!

وقفت أمامه لا يفصلهما إلا بضعة إنشات فأخرج من جيبه لوحا كبيرا من الشيكولاتة الفاخرة وأعطائها لها قائلا: «سامحيني أنا فاشل كما تعلمين في شراء الهدايا وقلت إن الإكسسوار لديك منه فيما تبيعيه من كل شكل ولون ولن أعلو على ذوقك والعطر خفت ألا يكون مطابقا مع ذوقك وليس منطقيا أن يهدى القرنفل بالورد فلم أجد إلا هذه مؤقتا».

قالها شاعرا بالتقصير فابتسمت وأخذت منه الشيكولاتة تقول: «لا حرمني الله منك أبدا».

اعترف أنه قد أذى نفسه باقترابها وهو غير قادر على الحصول على ما يسد به رمقه فقال لها: «هلا ناولتني كوبا من الماء ريثقي جف ككل شيء بداخلي والله».

ناظرته بارتباك تحاول تفسير باقي الجملة فكرر كلامه:
«أريد ماءً يا مرام سأموت من العطش».

أسرعت بالقول: «حاضر.. حاضر» وهي تتركه نحو المطبخ
فلم تتركها عيناه لثانية حتى وروح تسأل: «هل هذه
شيكولاتة التي خبأتها في جيبك يا مرام؟».

ردت الأخيرة وهي تعود بزجاجة الماء: «لا يا جدتي».

مد ذراعه بطوله ليأخذ منها الزجاجة كي لا تقترب أكثر
ورفعها إلى فمه فسأله مرام: «الحكم في القضية بعد أيام
أليس كذلك؟».

شرب وأنزل الزجاجة ثم هز رأسه بالإيجاب فسأله وهي
تأخذها منه: «وماذا تعتقد سيكون؟».

سحب نفسا وقال: «أنا متفائل جدا فهذا الشكل الذي أمامي
يجعلني متفائلا جدا».

ارتبكت وتحركت نحو المنضدة لتضع عليها الزجاجة
فأضاف أنس ساخرا: «وتفاؤلي النادر هذا يجعلني أشعر
بالتشاؤم».

انفجرا ضاحكين في الوقت نفسه الذي خرج فيه مراد
وتطلع فيها بشعرها المكشوف ولبسها الضيق ثم قال عابسا:
«ماذا يحدث بالضبط؟».

عقد أنس حاجبيه بينما قال مراد لأخته بضيق: «لماذا
تقفين بهذا الشكل أمامه أين إسدالك؟».

رفع أنس حاجبيه بينما ناظرته مرام بنظرة موبخة تقول:
«مراد ماذا تقول!».

قال الأخير بغیظ: «بل أنت ماذا تفعلين؟ وهو ماذا يفعل هنا
في هذا الوقت؟».

هتف أنس بعبوس: «وأنت ما شأنك؟».

تطلع مراد في أخته ثم قال: «مرام كيف تستقبله بهذا
الشكل؟!».

قالت روح: «لماذا يصيح هذا الولد المزعج؟».

ليتدخل أنس قائلاً: «هل أنت غبي يا بن؟ لقد أصبحت
زوجتي».

قال الثاني مجادلاً: «لم يحدث.. لم يحدث الزفاف بعد».

رد عليه أنس ببرود وهو مستمتع باستفزازة: «ومع هذا هي
زوجتي».

فتح عارف الباب ومراد يقول: «وأنا لا أوافق على هذا».

فجرت إليه زينة وكأنها تستنجد به بينما قالت مرام عابسة:
«مراد!».

ناظرها يقول بغیظ: «اسكتي أنت».

تنهد أنس يقول: «يا حبيبي انتهى وقت اعتراضكم جميعاً
إنها عندكم الآن فضلاً مني».

سأل عارف: «ماذا يحدث؟».

حيا أنس عمه بينما قال مراد غاضبا: «أبي لا تسمح بهذا الوضع إنه لا يعجبني.. انظر كيف تقف أمامه».

ازداد حرج مرام فغمغمت وهي تهرب إلى الداخل: «أنت جنت يا مراد».

ضحك عارف فقال مراد: «أنت تضحك يا أبي هذا بدلا من أن تمنعه من دخول البيت حتى موعد الزفاف».

رد عارف ببساطة: «لكنها بالفعل أصبحت ضيفة عندنا».

تطلع مراد في وجه أنس الذي ابتسم له ابتسامة شريرة وقال: «سعادتي لا توصف وأنا آخذها منك ومن أخوك هذا الذي يتصنع اللامبالاة؛ لكنني أعرف أنه يموت من الغيظ».

عاد مراد ينظر لأبيه بغضب جعل عارف يجد صعوبة في التحكم في نوبة ضحك وهو يقول: «أخشى أن أقول شيئا فيطلب أن تزف إليه مساء اليوم يا مراد لذا دعها معنا قليلا».

طحن الأخير ضروسه واندفع مغادرا إلى غرفته وهو يبرطم: «أنا لا أفهمكم.. لا أفهمكم والله».

فشيعته ضحكات أنس الشريرة ليقول له عارف: «أنت تصب الزيت على النار».

ناظره أنس بتسل من وقفته يديه في جيبي بنطاله ليقول عارف وهو يربت على كتفه: «لم أرك منذ زمن تضحك هكذا.. لهذا أتمنى ألا تحزن إن كان الحكم في القضية ليس في صالحك».

غمغم أنس بجدية: «الأمر لم يعد يهمني ليأتي الحكم أيا
كان لأغلق هذه الصفحة التي استنزفتني وكل شيء قسمة
ونصيب».

ربت عارف على كتفه يقول براحة: «هذا ما أردت أن أسمع
منك ليكتب الله لك ما فيه الخير».

في المساء

(يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً)

دخلت نهلة مع بعض الزميلات من الشركة للفيلا وهي تعلم
أنها لن تقابله وأنه سيكون مع الرجال ومع هذا حرصت على
المجيء حتى لو لن يراها وتراه، جاءت بقلب حزين على موت
سيدة أحببتها خلال بضع دقائق فقط جمعت بينهما وتمنت لو
تسأل أي شخص عنه، تمنّت أن يطمئنها أحد عليه، تمنّت لو
تملك الجرأة فتسأل عنه نيّلي التي تجلس بين النساء تتشج
بالسواد ويبدو على وجهها الحزن.

اقتربت هي وزميلاتها من نيّلي وسلمت عليها مثل
الباقيات فتطلعت الأخيرة فيها ثم سحبتها تقول: «تعال
اجلسي هنا يا نهلة بجواري».

تفاجأت الأخيرة بالطلب وارتبكت لكنها نفذت وجلست
بجوارها وسط نظرات الأخريات اللاتي أوعزن ما فعلته نيّلي
لأنها تعمل في مكتبها هذا هو التفسير الذي دار في أذهان

الجالسات، أما نيللي فأحست أن هذا هو مكان نهلة حتى لو لم يكن هناك رابط رسمي بينها وبين طارق حاليا أرادت أن تنفذ ما هو المفترض أن يكون في مناسبة كهذه لو كان طارق قد تزوجها شعرت أنه سيحب هذا رغم أنه لن يرى هذا المنظر وتذكرت حين حكى لها عن زيارة نهلة لنورية وحب نورية لنهلة.

في جانب آخر من الفيلا دخل طارق يأمر الخدم أن يزيدوا من عدد الكراسي بالخارج ثم تطلع من بعيد في والده الذي يتحدث في الهاتف في غرفة مكتبه، فذهب إليه ومع كل خطوة كان يقترب منه فيها كانت مهمته تصعب في السيطرة على مشاعر الكره بداخله لذلك الرجل.

تطلع مهدي في ابنه وهو يحاول إنهاء الحديث مع محدثه ولم يخف على طارق أنه لم يبد متأثرا كما كان يمثل أمام المعزيين في الساعات الماضية.

حين أغلق مهدي الخط قال طارق بكره واضح: «لن أنسى لك أنها طلبتك كثيرا ولم تأت إليها».

قال مهدي غاضبا: «ألن ننتهي من هذه الأسطوانة المشروخة أنا كنت عندها قبل الوفاة بليلة».

قال طارق بإصرار: «وظلت تطلبك طوال يوم وفاتها واتصلت بك أنا في الصباح وترجييتك أن تأتي وأخبرتكم أنها في حالة سيئة وتريد رؤيتك لكنك لم تأتيها إلا بعد العصر».

تكلم مهدي مبررا: «قلت لك كان عندي أشغال مهمة كما أنني

في النهاية أتيت لماذا تكبر الأمر ألم آتي إليها ورأيتني».

قال طارق بحشجة: «وكانها كانت تنتظر رؤيتك قبل أن تودعنا وتغادر».

حين أحس أنه محاصر هتف مهدي بغضب: «هل تحاسبني يا ابن نورية؟!».

ترقرقت الدموع في عيني طارق وقال: «نورية ماتت ونحن نأخذ عزاءها الآن يا مهدي بك».

قالها وتحرك مغادرا فطحن مهدي ضروسه وشعر أن طارق قد أفلت من سيطرته تماما وهذا الأمر يغضبه بشدة يغضبه ويقلقه من الأيام المقبلة.

بعد ساعة كانت نهلة تخرج مع نيللي من الفيلا بعد أن طلبت منها الأخيرة أن تنتظرها نصف ساعة ولا تغادر مع زميلاتهما اللاتي غادرن، فلم تجد نهلة بدا من الموافقة رغم شعورها بغرابة ما تفعله نيللي اليوم وقلقها من التأخر عن العودة للبيت.

قالت نيللي في الهاتف: «لا أفهم أين أنت؟».

ظهر لها عصام أمام البوابة فأنزلت الهاتف تناظره بعبوس ليقترب عصام ويفتح يده لها ببرود فأعطته مفاتيح السيارة وهي تحدجه شذرا وتقول: «سنوصل نهلة أولا».

ألقى نظرة سريعة على نهلة قبل أن يهز رأسه بصمت ويتحرك يبحث عن سيارتها بين السيارات الكثيرة المصطفة

بالخارج بينما قالت نهلة بحرج: «ليس هناك داع أستاذة نيللي أرجوك أنا سأركب تاكسي».

قالت نيللي وهي تمسك بذراعها: «لا.. سأوصلك يا نهلة وكنت أريد أن أقول لك طارق بحاجة إليك فاصبري عليه إن كنت تحبينه حبا صادقا اصبري عليه».

تطلعت فيها نهلة متفاجئة أنها تعرف قصتها مع طارق لتقول نيللي: «سؤالك عن طارق الذي حملته عينك طوال الوقت كنت أفهمه لكني لم أجد الفرصة للرد عليه، إنه ليس بخير لهذا أرجوك كوني بجواره إن احتاجك».

أطرقت نهلة برأسها وزاد قلقها عليه بينما توقف عصام أمامهما بالسيارة فركبت نيللي بجواره وركبت نهلة بحرج في المقعد الخلفي لينطلق بهما عصام وهو يتجاهل النظرات التي تقصفه بها نيللي، لأنه أصر على أن يحضر ليوصلها بل إنه حسبما فهمت قد جاء وشارك في جانب من العزاء كي يوصلها حينما تنتهي.

بعد نصف ساعة قالت نهلة: «سأنزل هنا من فضلك».

طالعتها عصام في المرآة الأمامية وهو يركن السيارة بينما التفتت إليها نيللي تقول: «لماذا؟».

قالت نهلة موضحة: «لن يكون لطيفا أن يراني أهل الحي أنزل من سيارة في هذا الوقت لذا سأركب من هنا مواصلة بسيطة ستوصلني خلال دقائق للبيت (وأضافت بلهجة ممتنة) أشكرك بشدة أستاذة نيللي تصبحان على خير».

حين نزلت وتحرك عصام بالسيارة من جديد انفجرت فيه
نيللي قائلة: «ماذا أفعل معك؟».

تحركت مقلتاه ناحيتها ثم عاد ينظر أمامه قائلاً ببرودك
«الحقيقة ما أريد أن تفعل به معي لن أستطيع البوح به الآن..
لهذا أي شيء تجودين به على مسكين مثلي خير وفضل
منك».

احمر وجهها من المعاني المبطنة لحديثه وضربته بقبضتها
في ذراعه العضلي وهي تقول: «أصبحت مستفزا ووقحا يا
عصام».

رفع حاجبا وقال بلهجة خطيرة: «وأنت أصبحت ذات يد
طويلة ولا أحد يمد يده على عصام البرنس ويبقى حيا
(وتطلع فيها بنظرة جانبية وأضاف) هذا تهديد بالمناسبة
فخافي على عمرك».

قالت بغیظ: «أنا أتحدث بجدية لم يكن هناك داع لإصرارك
على الحضور وانتظاري حتى تعيدني للبيت».

قال عصام بضيق: «قلت لك لا أحب عودتك في المساء
وحدك خاصة أن الطريق إلى هذه الفيلا يكاد يكون خاليا..
ثانيا كانت فرصة جيدة لأن أراه».

«من؟».

«ابن عمك».

غمغمت غير مصدقة لما يفعلك «لا حول ولا قوة إلا بالله!».

ناظرها بنظرة جانبية مرة أخرى ثم عاد للطريق صامتا
فقالت له: «وهل رأيته؟».

مط شفتيه وهز رأسه دون تعقيب فتأملته لبرهة في البدلة
الرسمية التي تزيد من وسامته ثم تكتفت تقول: «هل ستظل
تخنقني هكذا كثيرا؟».

ضحكة ساخرة قصيرة أطلقها ثم قال: «أنا أخنقك! أنا ألف
حول نفسي حرفيا بسببك يا نيللي هانم.. طوال اليوم ذهني
مشغول بك وبما تواجهيه في العمل وازداد قلقي منذ أن
وجدت تلك الأوراق وتحديث عمك».

قالت باستغراب: «مما أنت قلق لا أفهم».

أجابها عصام: «هذا الرجل مريب وأخشى من أن يؤذيك
لهذا أنا حرفيا لا أنام حتى حين تكونين في شقتك أكون
قلقا وأحيانا أرى كوابيس أثناء نومي والله لو كان ذلك ممكنا
لطلبت منك أن تبיתי في بيتنا حتى أستطيع النوم».

تأثرت بخوفه عليها وقالت تطمئنه: «لا تقلق علي الله هو
الحافظ».

قال وهو يوزع نظراته بينها وبين الطريق: «ونعم بالله
لكن صدقا أنا أعاني ولهذا أستغل أية فرصة كي أكون معك
(وناظرها بملء عينيه من رأسها حتى أخمص قدميها يقول
بعاطفة قوية) والله لو بيدي لتركت عملي وعملت عندك
سائقا وحارسا شخصا يا نيللي حتى لا تبتعدي عن عيني

أبدا.. ولبث في السيارة تحت بيتك طوال الليل».

اتسعت ابتسامتها وارتجف قلبها من هذه الجرعة من المشاعر القوية فهمست: «لا تخاف علي إلى هذا الحد»

«ليتني أقدر على ألا أخاف.. أتعلمين؟ بعيدا عن أني قدمت واجب العزاء لابن عمك الذي لم يعرفني بالطبع.. لكني كنت أدعوا الله ألا يلمحني عمك ويتذكرني لأنني كنت سأضطر إما لتقديم واجب العزاء له وهذا لم أكن أرغب فيه أو أن أضربه علاقة ساخنة كي يتركك في حالك وهذا ما كنت أتمناه».

أرجعت رأسها للخلف وغاصت في المقعد متكئة تستمتع باللحظات القليلة التي تجمعها به اللحظات التي تشعر فيها بالراحة ولا تحمل فيها هم شيء فتأملها عصام وهي مغمضة العينين وجرت عيناه سريعا عليها بكليتها قبل أن يجبرهما على التأدب والنظر للطريق أمامه؛ لكن أفكاره لم يستطع أن يأمرها بذلك.. فذلك بيده الحرة رقبتة التي تعرقت فجأة وسألها بعد برهة: «ماذا أخبرك أنس بشأن فحص الأدوية؟».

قالت دون أن تفتح عينيها: «لماذا لم تسأله؟».

رد عصام موضحا: «سألته لكنه رفض الإجابة قال لي هذه أسرار عمل».

ابتسمت نيللي ليضيف عصام: «لكنه أخبرني أنك قد وظفته مستشارا للشركة وأنت ستمنحينه راتبا جيدا».

تكلمت وهي لا تزال مغمضة العينين: «أنا بحاجة إليه فعلا

بحاجة لمن أثق فيه وفي علمه ونزاهته يذكرني أحيانا بأبي في عمله».

ابتسم عصام وقال بعاطفة قوية: «الحقيقة يا نيللي أنت بالفعل وجه السعد علينا جميعا.. وكأن الله قد وضعك في ذلك اليوم في طريقنا كي تكوني سببا بطريقة أو بأخرى في أن تتغير حياتنا للأبد».

اعتدلت على جانبها لتواجهه وتكورت على نفسها في المقعد تكثف ذراعيها وتسترخي أكثر وهي تغمغم من بين نعاسها: «بل أنتم من كنتم لي ملاذا.. في بيتكم اكتشفت نفسي وراجعت الكثير من الأفكار التي كنت أؤمن بها وجدت الراحة وسط عائلة كلها دفء، وأصبح كل شخص منكم تربطني به بذكرى كنتم من الكرم والسخاء معي أن قدمتم لي كل الرعاية والدعم وأنتم لا تعرفونني.. تعاملتم معي بإنسانية دون تكلف أو مصلحة شاركني أحلامكم ولحظاتكم الصعبة في الوقت الذي كنت أعاني فيه من مشاكل مع عائلتي الحقيقية».

ابتسم وهو يتطلع فيها بين الثانية والأخرى وود أن يقبل جفنيها المكحليين بالأسود المغمضين أمامه، بينما أضافت نيللي بصوت أكثر حرارة: «وأهم شيء قابلتك أنت.. هذا حدث غير عادي بالنسبة إلي تستطيع أن تقول إن الله وضعنا في طريق بعضنا حتى يكون كل منا سببا في سعادة الآخر».

صمتت فتطلع فيها واستشعر أنها قد نامت فمد يده يحرك

ظاهر سبابته على خدها قائلاً بلهجة حانية: «هل نمت؟».

أصدرت همهمة فقبض يده بحزم وأبعدها ليعود فيتطلع في الطريق المظلم أمامه إلا من بعض الإضاءة الخافتة وتمتم بأمنية تتأجج كالجمر في صدره: «يا رب دبرها من عندك وقرب البعيد فأنت وحدك الأعلم بالحال».

بعد أسبوع

انفجار في الضحك عم المكان لكن أنس احتفظ بملامحه الجادة وضرب بالعصا في الهواء لتحدث ذلك الصوت المخيف، فحاول الطلبة كتم المزيد من الضحك بينما عاد أنس ينظر لفتحي وقال: «أي تجاذب هذا الذي سيحدث بين الإلكترونات السالبة يا باشمهندس فيجو؟ هذا التجاذب يحدث لك أنت حينما ترى فتاة حلوة وأنت واقف على ناصية الشارع (ثم نظر للفتاتين الجالستين في زاوية الغرفة وقال) لا مؤاخذه يا بنات».

عاد الضحك يضحج بالغرفة الأرضية التي تم تأجيرها في بناية قريبة ليعقد أنس فيها الدروس - مؤقتاً حتى يجد مقراً دائماً - نظراً لأن مرام رفضت أن يستقبل الطلبة في شقته حتى لا يهلكها وتخفيفاً على الشباب من صعود سلم البناية العالي، هكذا حالهم مع الدكتور أنس الذي يجمع بين الفكاهة والهيبة في مزيج جاذب وساحر بالنسبة إلى أعمارهم الصغيرة.

قال فتحي: «ألم تقل يا دكتور أن نفس اتجاه الدوران يكون هناك تنافر؟».

رد أنس: «تمام يا حبيبي لكن إن عكس أحدهما اتجاهه لا يعني أنه سيكون هناك تجاذب بينه وبين الإلكترون الآخر (ورسم على السبورة البيضاء بالقلم) تذكر مثال السيارة الذي قتلته عشرة أشخاص يدفعونها من الأمام وعشرة يدفعونها من الخلف في نفس اللحظة ماذا سيحدث؟».

هرش فتحي في رأسه وقال: «أها تذكرت يا مستر.. تذكرت لن تتحرك السيارة».

سأله أنس: «وما السبب يا حبيب المستر؟».

تلعم فتحي فنفض أنس العصا في الهواء ثم قال دون أن يزيح عينيه عنه: «قولي يا رقية لماذا؟».

وقفت إحدى الفتاتين تقول بخجل: «أنا يا مستر؟».

نظر إليها يسألها: «هل هناك في المكان رقية أخرى؟».

أجابت بسرعة: «قوتان متساويتين في المقدار متضادتين في الاتجاه يلغي كل منهما الآخر».

أشار عليها أنس بالعصا وقال: «نقطة هنا لصالح الدكتورة رقية سجل عندك».

قالها قاصدا بيسو مساعده في الحصص ليس لأنه الأكر انضباطا وتنظيما بينهم فحسب؛ لكن لأنه قد رأى بعين الأب أن باسم يحتاج لدعم وتشجيع ليخرج من شرنقته وتنبأ له

بمستقبل رائع إن تم تشجيعه.

قال باسم بتأكيد وهو يدون على هاتفه: «تم يا دكتور».

عاد أنس لفتحي الذي يكتم الضحك ونظر إليه بنظرات شريرة يقول مفكرا: «بم أحكم عليك؟ بم أحكم عليك؟».

هتف مراد ضاحكا: «اجعله يقلد صوت الحمار».

انفجار جديد بالضحك يضج به المكان الضيق شاركهم فيه فتحي نفسه فحافظ أنس على جديته وقال: «سكووت».

صمت الجميع ليقول أنس: «سأكون رحيما وحنونا معك وأسألك سؤالا سهلا.. أريد أسماء ثلاثة علماء مصريين في أي مجال».

امتقع وجه فتحي ليقول أنس وهو يخرج الهاتف من جيبه الذي ضبطه على وضع الاهتزاز في انتظارا لاتصال من المحامي: «أمير أجب على هذا السؤال من قبل».

غمغم أمير بلهجة فخورة: «أجل فعلتها».

ابتعد أنس عن الجلسة وتطلع في رقم المحامي بتردد ثم حاول تنظيم أنفاسه

من قال إنه لم يعد يهتم؟! من قال إنه لم يعد يعبأ بالحكم؟! إنها قضية عمره حقه الذي يريد أن يأخذه من الآخرين. سحب نفسا طويلا لكنه فشل في إعادة الوجه اللامبالي الذي يرتديه منذ الصباح ورد: «نعم يا أستاذ حسن».

قال الأخير مهللاً: «مبارك يا دكتور مليون مبارك».

عاد أنس بظهره للخلف ليستند على الحائط وسأله بحشركة: «هل تقول الصدق؟».

هتف المحامي: «كسبنا القضية كسبناها والكلية ملزمة بتعيينك بأمر من المحكمة».

دلك أنس جبينه بأنامله مغمغماً: «الحمد والشكر لك يا رب الحمد والشكر لك يا رب شكرا يا أستاذ حسن شكرا على كل شيء».

حين أغلق الخط بعد دقائق وقف في الممر يرتجف وينظم أنفاسه ثم اتصل بمرام التي كانت مثلها مثل عارف وعصام ينتظرون أي خبر عن القضية حتى نيللي نفسها سألت مرام في اتصال صباحي عن موعد النطق بالحكم، فقالت مرام بلهفة: «طمئنني يا أنس».

رد بحشركة: «كسبت القضية يا مرام كسبتها حقي عاد لي يا قرنفلتي».

سمعها تصرخ بفرحة: «أنس كسب القضية يا أبي».

فقرصت الدموع عينيه بينما سألته مرام بلهفة: «هل هذا يعني أنك ستصبح أستاذا بالجامعة؟».

تطلع في الشباب خلفه الذين يساعد بعضهم فيجو في البحث عن إجابة السؤال عن طريق البحث في الإنترنت بعدما رفض أمير المساعدة وقال لها بصوت متهدج: «لا لم

أعد أريدها».

قالت متفاجئة: «لكنك قضيت عمرك تلهث وراء هذه الأمنية!».

هز رأسه وهو لا يزال يتأملهم من بعيد وقال: «أعلم.. لكن على ما يبدو بعض الأمنيات تتغير يا مرام يكفيني أن استرددت حقي والآن أصبح عندي مهمة أخرى أكثر أهمية وممتعة وطريق آخر أراه هو الأصلح لي وربما بسببه لم يقسم لي الله في أن ألتحق بالتدريس بالجامعة منذ البداية».

قالت تناقشه: «من الممكن أن تستمر في إعطاء الدروس وأنت تدرس بالجامعة».

قال أنس عازما على تنفيذ قراره: «قلت لك أصبح حلما باليا يا قرنفة فبعض الأحلام تبلى مع الزمن اذهبي الآن عندي حصة واتصلي بعصام وأبلغيه أعلم بأنه ملهوف هو الآخر ليعرف».

أغلق الخط ووقف يسيطر على انفعالاته ثم لبس قناع الصرامة وعاد إليهم ينفذ العصا في الهواء متجاهلا الهواتف التي عادت إلى جيوبهم بسرعة وقال: «أين كنا يا حلوين آه نطبق حكما على فيجو هيا يا حبيبي ما أجابتك؟».

في المساء

قال بترج: «هل أستطيع أن أراك لبضع دقائق (وقبل أن

تعرض أضاف بحشجة) أعلم أن الوقت متأخر لكني بحاجة ماسة إليك يا نهلة».

لم تقو على الاعتراض فهي تنتظر اتصاله هذا منذ يوم الوفاة وحاولت الاتصال به لمواساته؛ لكن هاتفه كان مغلقا ولم يأت للعمل منذ أسبوع فسألته: «أين أنت؟».

قال وهو يتطلع حوله: «خارج الحي بجوار محطة البنزين». بعد قليل كانت تفتح السيارة وتدخلها فابتسم لها ابتسامة واهنة وهو يتطلع فيها بملء عينيه قائلا بحشجة: «اشتقت إليك يا نهلة.. اشتقت إليك جدا».

سألته وهو يشغل السيارة ويتحرك بها مبتعدا: «لماذا كنت تغلق هاتفك؟».

أجابها بكآبة: «كنت أريد الانفراد بنفسي لأرتب أشياء نورية الجميلة».

تطلعت فيه بتعاطف وتأملت ذقنه غير الحليق وملابسه الكاجوال ليقول طارق بعد قليل مشيرا على المقعد الخلفي: «هذه الباقة تركتها لك أُمي انتهت منها قبل وفاتها ببضعة أيام لكني التهيت بحالتها الصحية ولم أسلمها لك».

التفتت نهلة تتطلع في باقة من الورد المجفف على المقعد الخلفي ثم التقطتها تدقق فيها بانبهار وهي تغغم: «يا الله! ما أروعها!».

ترقرقت الدموع في عينيها فنظر إليها طارق لتقول نهلة:

«لم أتوقع أنها ستفي بوعدا بشأن الباقة ظننتها ستنسى».

غمغم بصوت متأثر بالعاطفة: «نورية أحبتك جدا يا نهلة..
أتعرفين ماذا قالت لي وهي تعطيني الباقة؟ قالت هذه للفتاة
ذات العينين الخضراوين التي تجعلك تضحك».

سألته: «هل تألمت كثيرا قبل أن تموت؟».

قال نافيا: «لا بفضل الله لم تتعذب قبل وفاتها رحلت
كنسمة مثلما عاشت.. طلبت صبيحة ذلك اليوم أن ترى
حديقة أزهارها فلففتها بالأغطية وحملتها إلى هناك وأجلستها
على حجري كي تشاهد أزهارها.. وبالطبع سألت عنه».

قالها بحقد فسألته: «من؟» ليجيبها: «مهدي.. كانت تطلبه
طوال اليوم بإلحاح وهو لم يستجب فورا لندائها».

توقف بالسيارة في ساحة واسعة تطل على النهر واستمر
في الحديث قائلا: «المهم حين عدنا للغرفة أخذت تهذي
وتتحدث عن ورود تراها أمامها تفتتح في الغرفة وفراشات
لامعة تحلق حولها فعلمت أن الوقت قد حان وأنها ستتركني
(وانهمرت دموعه وهو يضيف) بمجرد أن وصل مهدي نظرت
إليه بتعلق غريب متممة باسمه وماتت مبتسمة سعيدة».

أجهشت نهلة بالبكاء الخافت فنظر إليها طارق قائلا:
«أتعرفين شعوري تجاهها شعور مركب هل ستصدقيني إن
قلت لك إنني أشعر وكأن ابنتي هي التي ماتت؟».

ابتسمت نهلة من وسط دموعها بتعاطف فأضاف طارق

بلهجة متألّمة: «ابنتي ماتت يا نهلة».

رفعت كفها إليه ومسحت دموعه تقول بحشـرجة: «يكفي هذا الحزن يا طارق أنت قلت ذهبت مبتسمة سعيدة.. أي إنها لا تحب الحزن ولا تريده لك قالت لك (نهلة التي تجعلك تضحك) أي إنها تتمنى أن تراك دوما سعيدا».

وضع كفه فوق كفها يمنعها من أن تبـعده عن صدغه وقد اهتز جسده للمستـها فأغـمض عـيـنيه وطـبع قـبـلة في باطنه فأصابها بعدوى الارتجاف لتهمس نهلة بعد برهة وهي تحاول سحب يدها وتوبخ نفسها على التساهل معه: «طارق يكفي هذا».

أبعدت يدها عن وجهه لكنه لم يطلق سراحها بل أحنى رأسه يطبع قبل أخرى في كفها المفتوح ويغرق وجهه في نعومته متمنيا لو استطاع أن يغرق هو بكليته فيه؛ لكن نهلة رغم تعاطفها معه وتمنيها أن تخفف عنه آلامه تصنعت بعض الحزم وسحبت كفها تقول: «يكفي هذا أنت تستغل حالتك لتتجاوز حدودك».

ترك يدها وابـتسم وهو يمسح بقايا الدموع قائلا: «آسف».

تطلعت فيه بعينيها الخضراوين وقالت بشفقة: «لا أحب أن أراك هكـذا».

قال مطمئنا: «لا تقلقي علي سأعود لحياتي الطبيعية بسرعة (وشرد مفكرا وهو يضيف) هناك بعض الأمور علي أن أنتهي منها أولا (وتطلع فيها يقول) بعد أن تنتهي فترة الحداد أريدك

أن تحدي لي موعدا مع والدتك وخالك».

احمرت وجنتاها ثم سألته: «ووالدك؟».

أجابها: «من كانت نقطة ضعفي ماتت.. والآن سيرى طارق الحقيقي».

بعد قليل كان يقف بالسيارة بالقرب من الحي الذي تسكن فيه فترجلت نهلة وهي تحمل باقة الورد ليقول طارق: «أسف أني أنزلتك من البيت في هذا الوقت، أعدك بأنني لن أكررها وسأتحمل حتى تنتهي فترة الحداد ثم سأحضر بنفسني لأطلب يدك من أهلك».

توردت وجنتاها وقالت: «لا تحمل هم شيء.. المهم أن تعود كما كنت تصبح على خير».

قال بصوت متهدج: «وأنت بخير يا حبيبتي.. طمئنيني حين تصلين للبيت».

راقبها وهي تبتعد ثم التقط هاتفه الذي يرن وتطلع في اسم المحامي الخاص بجده الراحل والد نورية ثم رد: «نعم يا أستاذ عربي حاضر.. حاضر.. أنا أعرف أني وعدتك في العزاء أن أتصل بك لكنني انشغلت حاضر سأمر عليك فأنا أيضا أحتاج لأن أعرف بالضبط تفاصيل كل شيء».

بعد عدة أيام

قالت مرام لزيئة التي تتابع الرسوم المتحركة مع روح

وقالت بغیظ: «أین الملبس الداخلیة؟ أحضرت الملبس الخارجیة فقط یا فالحة».

تطلعت زینة فی الكیس الذی أحضرت فیہ ملبسها صباحا ثم قالت: «ألیست فی الكیس؟».

قالت مرام مؤكدة: «لیست فی الكیس یا حلوة ماذا ستلبسین بعد الاستحمام؟».

قالت زینة وهی تعود لمتابعة التلفاز: «لنتظر إذن حتی یأتی أبی فی المساء ثم أنزل لأحضرها».

قالت مرام: «أبوك سیتأخر اللیلة عنده الكثیر من الأشغال».

غمغمت زینة ببساطة تداري فرحتها: «إذن نؤجل الاستحمام للغد».

قلبت مرام مقلتیها وقالت باستهجان «لغد؟! وأمس صعدت دون أن تحضري ملبس من الأساس (وتكتفت تقول) یبدو أنك متعمدة حتی لا تستحمی».

تصنعت زینة البراءة تقول: «أنا مرامي! أبدا.. أبدا».

قالت مرام: «ماذا سنفعل الآن؟».

تسطحت زینة على الأریكة وقالت وهی تتمطی: «اتركیني بالله علیك مرامي فأنا أخیرا أخذت الإجازة الصیفیة ولا أرید إزعاجا».

رفعت مرام حاجبها وقالت: «وما دخل الإجازة

بالاستحمام؟! (ثم تحركت تلتقط الإسدال وهي تقول لروح)
سأنزل بسرعة لشقة الطابق السادس أحضر ملابس لزيئة يا
جدتي».

أشاحت لها روح بيدها بينما أسرع مرام بفتح أحد
الأدراج والبحث فيه ثم التقطت مفتاح شقة أنس.

في الوقت نفسه كان أنس الذي وصل للشقة قبل دقائق
يسب ويلعن هاتفه الذي ترفض بطاريته أن تشحن بأي شاحن
من شواحن الطلبة بعد أن نسي شاحنه في البيت، فعاد
مجبورا بعد أن انتهى من الحصص الصباحية وقبل أن يذهب
لورديته في الصيدلية كي يحضر شاحنه وهو يخبر نفسه بأن
عليه تغيير الهاتف قريبا وشراء واحدا جديدا.

خرج من المطبخ في يده زجاجة مياه وتحرك نحو أحد
الأدراج يأخذ منه قرصا مسكنا للصداع ثم توجه ناحية
مقبس الكهرباء الأرضي خلف باب الشقة وفك سلك الشاحن
منه ثم بلع قرص المسكن وتجرع الماء في نفس الوقت الذي
سمع باب الشقة يفتح.

جحظت عيناه وأنزل الزجاجاة ثم وقف متجمدا وهو يسمع
بسملة خافته متبوعة برائحة قرنفل هلت على قلبه من خلف
الباب المفتوح ثم رآها تدخل الشقة تنظر أمامها قاصدة
الغرف الداخلية فوضع الزجاجاة فوق المنضدة بخفة ومد يده
يغلق الباب بهدوء.

استدارت مرام على صوت إغلاق الباب ثم أطلقت صرخة

فزع حينما لمحته قبل أن تكتمها بيدها بسرعة وتمسك بقلبها وهي تقول: «أنس! سامحك الله سامحك الله كدت أن أموت حينما رأيت خيال إنسان».

ظل صامتا يتأملها ونسى كل شيء الهاتف والشاحن والصداع والطلبة والصيدلية انمحي كل شيء من عقله ولم يعي سوى حقيقة واحدة أنها هنا أمامه أخيرا.

بدأت مرام تستوعب أنهما وحدهما وتستوعب تلك النظرة الغريبة في عينيه.. نظرة حارة لامعة تشع بالوهج الذي أصاب قلبها بالرهبة.. فاحمر وجهها وغمغمت بارتباك: «متى عدت؟ ألم ألم تقل إنك ستنتهي من الحصص وتذهب للصيدلية؟ (وأسرعت بالقول) أنا سأتي في وقت آخر».

قالت الجملة الأخير وهي تهزول نحو الباب فأسرع بوضع كفه عليه ليمنعها من فتحه لتهتف ببعض الرهبة: «أنس دعني أخرج».

كانت توليه ظهرها فاقترب أكثر ولمس بشفتيه رأسها فوق قماش الإسدال ونطق بهمس حار بجوار أذنها: «هل أنت خائفة مني يا قرنفلتي؟».

هزت رأسها المنكسة نافية فهمس من جديد وهو يصارع وحوشا جائعا جن جنونها وتلح لتكسر قيدها وتتحرك: «تبخلين عليّ إذن.. ألا تملكين بعض الشفقة عليّ يا قاسية القلب».

صمتت ولم تعرف بم ترد وبدأ قلبها ينتفض في صدرها

فأجبرها أنس على الاستدارة ورفع وجهها إليه يتسم
ابتسامة دافئة وهو يتطلع في عينيها من هذا القرب فناظرته
بارتجاف ليس له علاقة بالرعب الذي واجهته قبل دقيقة
ارتجاف من نوع آخر مليء بالرغبة والترقب خاصة حينما
أصبحت في مجال جاذبيته.. حبيسة جسده الذي يحاصرها
دون أن يلمسها فغمغمت بتأناة حين رفع يده وسحب غطاء
شعرها للخلف «جئت كي أحضر ملابس لزيينة لأنها.. لأنها..».

لم يقو على التحمل واقترب أكثر يمحو المسافة بينهما
ويهمس أمام شفتيها بخفوت: «لأنه من حسن حظي».

سحبها إليه وأطبق على شفتيها دون أن يمنحها الفرصة
للاستيعاب فذاب طعم الكلمات في فمها ولم يبق إلا طعم
شفتيه الحاريتين المهاجمتين وسط ذبذبات الكهرباء التي
هزتها بقوة وهو يسحقها بين ذراعيه مصدرا أنينا مشتاقا
معذبا من حنجرته.

كم من الوقت مر وهو يعتقل شفتيها؟ كلاهما لم يعرف..
لكنه أطلق سراحهما أخيرا وأبقاها مسجونة بين ذراعيه
يتطلع فيها لاهنا ثم عاد وغمرها بحضن قوي متأوه مصحوبا
باسمها، كرر اسمها كثيرا وأنفاسه الساخنة تلفح رقبتها وهو
يدفن وجهه فيها كمن يتلقى رشفة ماء بعد طول الظمأ
فيتعذب بها.

تقبضت مرام إلى جانبيها ومستقبلات الأنثى فيها تستقبل
في ذهول ذاك الكم الهائل من الدفء والصلابة التي تحيط

بها لحظتها ورائحة عطره تمتزج بأنفاسه الحارة وكلماته فتغمرها وتزيدها ليئا وضعفا واستسلاما وهو يبوح لها بهمس بينما يداه تتحسسان تفاصيلها بلهفة: «أتعلمين منذ أن أصبحت على ذمتي وأنا أتسأل أهو مجرد حلم؟ أم أنني سأستطيع أن أضمك إلى صدري وأتذوق طعم شفتيك؟».

ساد صمت مشتعل بالمشاعر المتأججة قبل أن يضيف أنس وهو لا يزال يشدد من احتضانها: «قد تضحكين وتقولين ماذا يقول هذا الرجل وهو في هذا العمر وقد سبق له الزواج.. لكنني لم يسبق لي الوقوع في الحب يا مرامي.. ولم أعذب بالشوق من قبل ولم أتلهف بهذا القدر لوصال امرأة.. وهذا يزيد ما أواجهه صعوبة وتعقيدا».

اغرورقت عيناها الشاخصتان لأعلى بالدموع مستندة بذقنها على صدره وهي تحاول استيعاب هذا الكم من المشاعر التي يغمرها بها ثم رفعت يدها لتقبض على ملابسه بتشبث وكأنها تخشى السقوط من الارتفاع الذي حلق بها إليه، بينما وصل كف أنس إلى رأسها فمسح على شعرها بحنان وقبض على بعض منه في كفه ودفن أنفه فيه يستنشق عبيره وهو لا يزال يغمرها بدفئه ويوقظ فيها المزيد من المشاعر التي لم تشعر بها من قبل فتكلمت بصعوبة: «أنس لا أصدق أن كل هذه المشاعر لي أنا!».

ولأن الكلمات حين تعجز عن التعبير تتوارى خلف الصمت كان رده أبلغ من أي كلام عندما أبعد رأسه قليلا وانهاه على شفتيها من جديد بالقبلات الحارة لتخبرها بالمزيد.. وبما

يستطيع أن يخبرها به مؤقتا.

الحب كامن.. محظوظ هو من أيقظه لكن الوحوش الجائعة لا تعرف الصبر ولا تعترف بالحلول الوسط لهذا كان على أنس السيطرة على نفسه بسرعة.. وكم كانت مهمته شاقة معذبة وهو يطلق سراح شفيتها ويدفن وجهه في رقبتها بعد أن منع يديه عن المزيد من الاستكشاف المعذب له فاستقرت جبهتها في تجويف رقبتة وقلبها ينتفض بعنف في صدرها.

سكن كل شيء لدقائق إلا من صوت الأنفاس العالية وضجيج القلوب وكلاهما يعرف بأن وقت الفراق قد وجب وعليهما جمع شتات النفس التي بعثرتها المشاعر فحولتها لفوضى فوضى المشاعر المتلهفة.. فهمس أنس من بين لهاته: «أنا في هذه اللحظة لست متحكما في نفسي بالمرة دقيقة أخرى وسأكون غير مسئول عن أفعالي (وسحب نفسا عميقا من رائحتها يملأ بها صدره ثم أضاف) سأفتح الباب وأؤكد من خلو الطريق أولا».

أصدرت همهمة فشاكسها قائلا: «أتركيني إذن لماذا تتشبهين بي!».

ابتسمت وفكت قبضتها عن ملابسه فاستمر في مشاكستها رغم أنه هو من يحتجزها عند الباب بجسده: «يا بنت عيب هذا دعيني أمر».

ضحكت بخفوت وعيناها خجلة من أن تواجهه بنظراتها.. فرفع رأسه وتطلع في جفنيها المسبلين ثم مارس كل ما يملك

من قوة كي يبتعد خطوة للخلف ويساعدها في إدخال شعرها الذي أضحى في حالة فوضى تحت غطاء رأسها، ثم عدل ملابسه وفتح الباب وهو يجاهد نفسه التي تلح بالمزيد منها.

خرج إلى السلم ينظر للأعلى والأسفل ثم أشار لها بأن تخرج فأسرعت تهرول صاعدة وهو يهمس: «على مهلك ستتعثرين».

استمرت في هرولتها وكأنها تهرب من نفسها قبل أن تهرب منه وقلبها يصدر ضجيجا متمردا في صدرها، بينما حمد أنس ربه أن الشقة المقابلة له مالكة لا يسكن فيها فعاد إلى شقته لا يعرف ماذا سيفعل في الوحوش التي أيقظها من خدرها التي توشك على أن تفتك به.

دخلت إحدى الموظفات إلى مكتب الإدارة العامة مندفعة وهي تقول: «نهلة».

فرفعت الأخيرة رأسها لزميلتها التي تعمل في مكتب طارق شرف الدين متفاجئة وكذلك فعل رامي الذي تفاجأت الموظفة بوجوده فارتبكت وحيته بارتباك ثم اقتربت من نهلة التي تطلعت فيها بعينين متسعيتين مندهشتين تحاول أن تخمن ما خلفها ليجعلها تتصرف بهذا الشكل العجيب.. فمالت الأخرى عليها تمنحها هاتفها قائلة: «انظري لهذا».

أنزلت نهلة نظراتها للهاتف ثم حبست صرخة ملتاعة بكفها كادت أن تفلت منها.

الفصل التاسع عشر والأخير

«ولتعلم أن ما أنت ساع إليه هو ساع إليك.. وأن في اللحظة التي تتقبل بها كل شيء حتى الآلام.. سيفتح لك الباب».

جلال الدين الرؤمي

نظرت نهلة للصور أمامها في الهاتف بذهول وتساءلت من صورها هي وطارق في السيارة؟ الصور التقطت لهما وهي تضع يدها على صدغ طارق وهو يقبله وأخرى وهو يميل ويقبل باطن يدها، رفعت أنظارها لزميلتها التي قالت: «هذه الصور أرسلت لأكثر من موظف في الشركة في الوقت نفسه من رقم مجهول والكل بات يتحدث عن الأمر».

لطمت نهلة على وجهها وعادت تتطلع في الصور بذهول ولم تدر ماذا تفعل وإلى أين تذهب إنها لفضيحة، تركت مكتبها وأسرعت تغادر الغرفة أمام نظرات رامي المندهشة ولحقت بها زميلتها فسأل رامي الأخيرة: «ماذا حدث؟».

بلعت الأخرى ريقها ثم منحتة هاتفها بينما وقفت نهلة بالخارج حائرة لا تعرف ماذا تفعل فالمفاجأة ألجمتها ورأسها متوقف عن التفكير، مر من جوارها زميل وزميلة من إدارة أخرى وحدجاها بنظرات رشقت كبريائها بسهام الإهانة وتجاهلها يكملان طريقهما، ازداد ارتباكها وشعورها بالشلل

التام فأسرعت نحو الحمام لتختبئ من الجميع.

في الوقت نفسه خرجت نيللي من مكتبها تقول لرامي والهاتف على أذنها: «أرسل صورة التعاقد الخاص بشركة المتحدة للسيد فاضل من فضلك يا رامي».

هز الأخير رأسه بينما وقفت نيللي تكمل حديثها في الهاتف مع العميل.

بعد أن أغلقت الخط أعطت المزيد من التعليمات لرامي قبل أن تدخل موظفة من قسم آخر تقول: «سأحتاج لتوقيعك أستاذة نيللي على هذا الملف».

هزت الأخيرة رأسها ثم سألت رامي: «أين نهلة؟».

ناظرها الأخير ولم يعرف بما يرد إنه مستاء مما حدث ويشعر بالشفقة على زميلته وعلى نيللي باعتبار أن ما تقوله الشائعات عن زواجها من طارق صحيح فقال بتحفظ: «لا أعرف ربما ذهبت إلى الحمام».

تدخلت الموظفة تقول بلؤم: «كان الله في عونها بالتأكيد مصدومة مما حدث».

حدج رامي زميلته بنظرة غاضبة بينما قالت نيللي: «ماذا حدث؟».

مجددا شعر رامي بالحرج والحيرة وقال لزميلته: «مي من فضلك لا داعي لزيادة الوضع سوءا بالخوض فيه».

فقالت مي وهي تراقب تعابير وجه نيللي: «بصراحة قلبي

معها؛ لكنها أخطأت أن سمحت بذلك».

هتفت نيللي بعبوس: «قلت ماذا حدث لنهلة؟».

أسرعت مي بإخراج هاتفها من جيبها وقالت: «هذه الصور أرسلت على الهواتف من رقم مجهول لأكثر من موظف في الشركة».

اتسعت عينا نيللي وهي تحقق في الهاتف بينما ازداد شعور رامي بالاستياء لتقول الأولى باستنكار: «ما هذا التهريج؟».

قالت مي: «الموظفون يتحدثون منذ الصباح عنها وعن الأستاذ طارق».

قالت الاسم الأخير وهي تدقق في وقع الخبر على نيللي فلم تستطع الأخيرة تحمل ما سمعته ولبستها الحمائية، فخرجت غاضبة وأخذت تمشي في أروقة الشركة حتى وصلت للاستراحة التي يستخدمونها للتدخين ووجدت بعض الموظفين يتحدثون والهواتف بأيديهم فدخلت تقول: «ماذا يحدث هنا بالضبط؟».

امتقعت وجوههم وتكلم أحدهم: «كنا ندخن أستاذة نيللي».

قالت بحدة وهي تتطلع في ساعتها: «هناك وقت استراحة تستطيع أن تدخن فيه.. عموما سأراجع مع الأستاذ طارق أوقات الاستراحة ونضع تعليمات محددة للراغبين في التدخين تفضلوا إلى مكاتبكم فوراً».

قالتها وتحركت مغادرة بعصبية فقال أحدهم: «لديها

الحق أن تشعر بالغضب فالكل يعرف أنها والأستاذ طارق سيتزوجان».

قالت موظفة أخرى: «بصراحة موقفها صعب وبالتأكيد تشعر بالصدمة والحرع أمامنا أن موظفة لديها تخطف منها خطيبها».

تحدث آخر: «لا يوجد أي شيء يؤكد ارتباط نيللي بطارق، لو كانا على علاقة أو ينويان الزواج ما الذي أخرهما كل هذا الوقت؟».

تكلم أكبرهم سنا وهو يطفئ سيجارته ويرشف آخر رشفة من قهوته: «هيا وكفوا عن العثرة ولنعد لمكاتبنا فلو عادت ووجدتنا ما زلنا مجتمعين هنا قد تصب علينا جام غضبها من طارق».

في الحمام أغلقت نهلة عليها باب إحدى الكبائن وجلست تبكي بحرقة، لقد حاولت أن تتصل بطارق لكن هاتفه كان خارج التغطية، ماذا فعلت بنفسها؟ الإحساس مهين أن ينظر لها بنظرة الفتاة اللعوب التي تحاول إغواء ابن أحد الشركاء في الشركة والله وحده يعلم كم قاومت مشاعرها تجاه طارق.

في الوقت نفسه دخلت نيللي الحمام ثم نادى: «نهلة هل أنت هنا؟».

انتفضت الأخيرة ومسحت دموعها ثم قالت: «نعم».

حين خرجت تطلعت فيها نيللي وفي وجهها المنتفخ من البكاء ثم قالت لها بلهجة موبخة: «لماذا تحبسين نفسك هنا ولماذا تبكين؟!».

لم تستطع نهلة الصمود فانهارت في البكاء تقول: «أنا انفضحت وسيرتي ستكون على كل لسان الآن.. أنت تعرفين كيف سينظرون لي خاصة أن هناك إشاعة قوية تتوقع زواج طارق منك».

قالت نيللي بلهجة متعاطفة: «أنا متفهمة لوضعك لكني لا أريدك أن تتأثري بما حدث، طارق عليه أن يتصرف ويحل الأمر وليس أنت (وأضافت بلهجة حازمة) لكن لا تظهرى بهذا المنظر أمامهم، أنت بهذا الشكل تؤكدى لهم أفكارهم المشوهة».

طالعتها نهلة لتضيف نيللي: «امسحي دموعك ولا تظهرى ضعفك لأحد أبدا.. لا تكونى مغيرة للشفقة فيأكلوا لحمك».

غمغمت نهلة: «لكن..».

قالت نيللي بحزم: «ليس هناك (لكن) هيا عدلي من هيئتك وتعالى نخرج سويا حينما يروننا معا بعد ما حدث هذا سيمحو من رأسهم أنى وطارق بيننا أى وعود بالزواج وسيمحي أية شكوك أنى قد أشعر أنك قد أخطأت في حقى».

تطلعت فيها نهلة بامتنان فلم تتوقع أن تساندها بهذا الشكل، وزاد احترامها لشخصها فأسرعت إلى المرأة كي تعدل من هيئتها.

بعد دقائق كانت نهلة تسير بجوار نيللي التي قالت لها من بين أسنانها ابتسمة وكأنك لا تعلمي شيئا، رسمت نهلة ابتسامة مغتصبة على وجهها وعيناها تدققان في زميلين آتيين من بعيد وعينيها تدققان فيهما.. هي ونيللي التي قالت لها بابتسامة مسرحية: «أريدك أن تنتهي من الملف الذي كلفتك به اليوم يا نهلة».

قالت الأخيرة وهي تحافظ على ابتسامتها: «تمام اقتربت من الانتهاء منه أستاذة نيللي».

مر الزميلان من جوارهما وأرسلا إيماءة تحية لنيللي ثم ابتعدا لتخرج نهلة الهواء المحبوس في صدرها، بينما قالت الأخرى: «استمري ولا تتركي فرصة لينال منك أحد.. وإن حدثك أي شخص في هذا الأمر أخبريه أنك لا تريدين الحديث عن هذا الموضوع الآن وأن طارق سيتصرف».

قالت نهلة ببؤس: «حاولت الاتصال به ولا يرد».

لتقول نيللي وهي تدخل لمكتب الإدارة العامة: «وأنا أيضا حاولت يبدو أنه في مكان خارج التغطية».

بعد قليل طرقت نهلة على مكتب نيللي ودخلت تقول بارتباك: «أنا آسفة لكني غير قادرة على تحمل باقي اليوم ولا التمثيل أمام الجميع أنني بخير فهلا سمحت لي بالمغادرة؟».

طالعتها نيللي ولم يعجبها هشاشتها لكنها كانت متفهمة لموقفها فقالت لها: «لا بأس تستطيعين المغادرة اليوم».

قالت نهلة بامتنان: «أشكرك جدا أستاذة نيللي على كل شيء».

ثم غادرت أمام نظرات نيللي الشاردة التي طحنت ضروسها تشعر بالغیظ من طارق الذي حاولت الاتصال به أكثر من مرة ولم تستطع الوصول إليه، الأمر كله يحرق دمها ويثير حفيظتها فالتقطت الهاتف تحاول من جديد ثم تحفزت حينما وجدته يرن قبل أن يجیبها طارق: «نعم نيللي».

هتفت غاضبة: «طارق أين أنت؟!».

خرج من المصعد وكل خلية في جسده تشتعل بالغضب منذ أن أخبرته نيللي بما حدث، لقد فعلها والده سبقه بضربة سيف حتى يخضعه لكنه لا يعرف أنه لم يعد طارق القديم أو بمعنى أدق لا يعرف طارق الحقيقي وأن الألوان لأن يقابله، دخل الشركة بخطوات سريعة غاضبة وهو ينظر لساعة يده ليتأكد من أن وقت الاجتماع الخاص بالموظفين الذي دعا إليه بشكل عاجل في طريقه إلى هنا بالبريد الإلكتروني قد اقترب؛ لكنه توجه أولاً إلى مكتب الإدارة العامة ليس من أجل نهلة فقد علم من نيللي أنها قد غادرت؛ لكن كي يقابل ابنة عمه.

دخل المكتب يقول لرامي: «نيللي بالداخل أليس كذلك؟» ولم ينتظر الرد بل أسرع بالدخول.

قابله نيللي تقول: «أخيراً وصلت».

كان في حالة غضب لم ترها عليه من قبل فقال لها: «كيف كان حال نهلة إن هاتفها مغلق؟».

ردت نيللي بحمائية تجاه بنت جنسها: «ماذا تتوقع أن تكون حالتها؟ لقد فضحت بالمعني الحرفي والكل سينظر إليها بالتأكيد نظرة الفتاة الوصولية».

قال بوعيد: «سأحاسب المتورطين في هذا الموضوع».

هم بالمغادرة فأسرعت نيللي تقول: «طارق».

استدار إليها فقالت: «كن عاقلا وحكيما.. هذا الموضوع حساس بالنسبة لسمعة نهلة».

صاح غاضبا: «لهذا لا بد أن يتم فتح تحقيق عاجل».

قالت مهدئة: «افعل ما يتوجب عليك فعله لكن بهدوء ولا تترك فرصة لأحد لأن يضر بها».

تكلم من بين أسنانه: «أشعر برغبة في القتل أقسم لك».

«اهداً وتعامل بمهنية».

قالتها مهدئة فرد طارق: «أنا طلبت اجتماعا عاجلا وسأدخله الآن».

تكلمت نيللي: «علمت بهذا الموضوع وسأحضر معك كي يفهم الناس أنها لم تسرقك مني وأنه ليس بيننا أية وعود بالزواج».

غمغم طارق: «طوال عمرك إنسانة حازمة وشهامة يا بنت

عمي ودوما تقفين بجواري».

فابتسمت له بتعاطف ثم عادت وتصنعت العبوس تقول:
«الحقيقة هذه المرة ليست من أجلك لكن من أجل سمعة
المسكينة».

في إحدى قاعات الاجتماعات وقف طارق يتطلع في
موظفي الشركة ووقفت نيللي بجواره متكئة عابسة الوجه،
تكلم بلهجة غاضبة: «ما حدث هذا مهزلة ومن فعل ذلك
سأصل إليه بالتأكيد».

أسرع أحد الشبان بالرد: «لا نعرف بالضبط يا أستاذ طارق
من أرسلها..كلنا تفاجأنا بالصور على هواتفنا من رقم غريب
وهذا معناه أن مسرب الصور شخص يعرف موظفي الشركة
جيذا وأرقام هواتفهم».

قال طارق غاضبا: «سأصل إليه وأبلغ عنه الشرطة لانتهاكه
خصوصيتي أنا وزوجتي».

علت الهمهمات بينما تفاجأت نيللي بما قاله؛ لكنها لم تظهر
ذلك ليقول طارق مؤكدا: «أنا ونهلة عقدنا قرانا قبل وفاة
أمي بأيام قليلة تحقيقا لرغبة أمي.. وكنا ننتظر أن تتحسن
حالتها كي نعلن لكن حدثت الوفاة بعد أيام معدودة ولهذا
أجلنا الإعلان ولم نستطع الاحتفال، هذا هو ملخص الأمر
ببساطة ومن فعل هذا قصد أن يلطخ سمعة زوجتي وهذا لن
أتساهل فيه».

قالت موظفة: «صدقني يا أستاذ طارق نحن اندهشنا من الصور لكن الأستاذة نهلة فوق رؤوسنا».

تكلمت مي بتزلف: «ألف مبروك يا أستاذ طارق.. حين رأيناها تجلس بجوار الأستاذة نيللي في العزاء لم نكن نعلم أن ذلك لكونها زوجتك كنا عزيزاها هي الأخرى».

رفعت نيللي حاجبها وشعرت بالغىظ من لؤمها؛ لكنها لم تعقب بينما نظر طارق لنيللي نظرة مختلصة متفاجئة ورد: «كنا نود أن نعلن في ظروف أفضل.. عموما لم يفت الوقت بعد إن شاء الله تنتهي فترة الحداد ونحتفل بالزواج وستكونون جميعا مدعوون إلى الحفل».

«ألف مبروك يا أستاذ طارق وسنبارك لنهلة بالتأكيد».

قالها آخر وتبعه آخرون ثم تحركوا بعد قليل عائدين إلى مكاتبهم ما بين السعادة من أجل العروسين أو الشك فيما قيل أو الامتناع والمصممة من بعض الحاققات.

حين خلا المكان استدارت نيللي تسأل طارق: «هل تشك فيمن أشك فيه؟».

قال من بين أسنانه: «وهل هناك غيره؟!».

قالها وهو يندفع مغادرا قاعة الاجتماعات فلاحقته نيللي بصوتها تقول: «طارق لا نريد فضائح أمام الموظفين».

لم تعرف إن كان قد سمعها أم لا فوقفت تحك جبينها بإرهاق قبل أن تنظر في ساعتها وتسرع نحو مكتبها لتنتهي

من المهام التي تنتظرها.

كان مهدي في مكتبه يتفتت من الغيظ والغضب حينما علم من جواسيسه في الشركة أن طارق ادعى أن نهلة زوجته، لم تسر الخطة كما أراد فقد سرب هذه الصور بعد أن كلف شخصا بمراقبة طارق ليعلم بخطواته المقبلة وكان من المفترض أن هذه الفضيحة ستضر بسمعة هذه البنت فتبتعد عنه؛ لكنه لم يكن يعمل حسابا لأن يدعي ابنه أنها زوجته وبالطبع لن يستطيع أن يكذبه علنا أمام الموظفين، ماذا يفعل الآن؟ هل يسرع بإرسال الصور لأهل الفتاة؟ ليته فعل ذلك قبل أن يكلف من يرسلها على الهواتف.

لماذا كل خططه لا يكلل لها بالنجاح؟ ولماذا هو شخص منحوس وقليل الحظ في كل شيء؟!

اقتحم طارق المكتب دون استئذان فاستعد مهدي للمواجهة، أغلق الأول الباب قائلا من بين أسنانه: «أنا حاليا أمارس أقصى درجات ضبط النفس حتى لا ننفضح أمام الموظفين ويعلموا أنني أتهمك أنت شخصا بتسريب الصور».

قال مهدي بجنون: «أنا طلبت منك أكثر من مرة أن تبتعد عن هذه البنت التي ليست من مقامنا وأن تركز مع نيللي».

قال طارق بتحدٍ: «هذه البنت ستكون زوجتي خلال أيام بإذن الله ولن أتخلى عنها مهما حدث».

«هل تتحداني؟!».

قال بإصرار: «أتحدى أي شخص يتدخل في حياتي».

قال مهدي باستنكار: «أنا أبوك ومن الواجب عليك طاعتي».

رد طارق بمرارة: «لا أنت أبو أولادك من زوجتك العانية.. أما أنا فلم أكن عندك سوى وسيلة تحقق بها أغراضك بطاقة تلعب بها على أمني رحمها الله بطاقة تضغط بها على عمي أو تكسب بها نيللي شخص مغفل لم تخبره أن له الحق في الوصاية على أموال أمه والتصرف فيها منذ أن أتم الواحدة والعشرين من عمره كما أوصى جده أبو والدته، بينما أنت لم يكن لك إلا وصاية مؤقتة دون الحق في التصرف في أي شيء لكنك خدعته واستغفلته كل هذه السنين».

امتقع وجه مهدي وفهم أن محامي جده قد أخبره بكل شيء فقال بحشجة وهو متفاجئ بحالة ابنه الغاضبة التي لم يره عليها من قبل: «وماذا تريد الآن؟».

قال طارق بلهجة متشفية: «الوضع الآن تغير يا مهدي بك أموال أمني التي أنا وصي عليها سأستلمها قريباً.. لذا علينا أن ننظم العلاقة بيننا المرحلة القادمة.. نصيبك من التركة أعرف أنه قليل بالنسبة لطموحاتك يا والدي وأنا على استعداد لأن أزيده لك قليلاً في مقابل ألا تتعرض لنهلة أو أهلها وأن تأتي معي مثل أي أب يضع سعادة ابنه فوق كل اعتبار لنقابل أهل نهلة كي نخطبها».

هتف مهدي باستنكار: «هذا مستحيل لن أوافق على أن

تتزوج هذه البنت».

كان طارق يعلم أنه لن يوافق بهذه السهولة فقال بهدوء وصلابة: «فكر في الأمر جيدا وسنتفاهم يا مهدي بك، نهلة مقابل زيادة نصيبك من التركة».

قالها وتحرك مغادرا أمام نظرات والده الغاضبة لكنه استدار عند الباب يضيف بتحذير: «لو وصلت الصور لأهل نهلة أو حدث أي شيء لها من هذه اللحظة تأكد أنك ستخسر كثيرا مهدي بك.. وأنت رجل ذكي وعملي ومتأكد أنك ستحسبها جيدا ولن تعرض نفسك للخسارة».

أغلق الباب خلفه فضم مهدي قبضته بقوة يكاد أن ينفجر من الغضب، بينما ازداد شعور طارق بالقرف لكنه أوصى نفسه بالتماسك فقواعد اللعبة هو من سيضعها من الآن فصاعدا وعليه أن يخطط لها جيدا فمهدي ليس سهلا وسيبتزه بالتأكيد حتى يوافق.

في المساء

«اضرب.. اضرب بقوة أكثر» قالها عصام بحزم لمراد الذي يقف أمامه في صالة الألعاب يرتدي قفازات الملاكمة ويضرب في كيس الرمل أمامه الذي يمسكه له.. فقال مراد وهو يحاول التركيز على الهدف: «حاضر»

لكمه عصام في ذراعه المكشوف من الفانلة السوداء ذات

الحملات التي يرتديها وقال: «أريدك أن تكون أكثر صلابة واعلم أن قوتك الداخلية هي ما تخدم قوتك الخارجية».

كان مراد في حالة نادرة من الطاعة سعيد بأن هناك ما يجمعه بأخيه الأكبر فتمتم: «حاضر».

التفت عصام إلى باسم الذي يكاد أن يغشى عليه فوق جهاز المشي فقال له مشجعا: «استمر على هذا أنت تبلي بلاء حسنا».

أوقف باسم الجهاز وقال من بين أنفاسه المتقطعة: «هل تعتقد أنني سأستطيع فقد الوزن فعلا لقد جربت أكثر من حمية في البيت وفشلت».

أجابه عصام مشجعا: «واظب على الحضور إلى هنا مع مراد وأعدك أنك ستخسر وزنا إن شاء الله».

قال باسم بامتعاض: «المهم أن أستطيع إقناع أمي فهي تخنقني».

قال عصام مطمئنا: «إن شاء الله ستقتنع خاصة حينما تعلم أنك معي أنا ومراد».

اتسعت ابتسامة باسم من بين لهائه سعيدا بالرفقة والتشجيع بينما ترك مراد الملاكمة وقال لعصام: «لماذا لا نذهب لمركز رياضي مختلط (وأضاف بابتسامة وقحة) المناظر الجميلة ستشجعنا على الاستمرار وتمنحنا القوة».

ابتسم عصام ورد ساخرا: «لا يا حبيبي لن تمنحك القوة بل

ستهدها».

قهقه مراد وشاركه باسم الضحك ليقول الأول: «نريد أن نرى تفاصيل حلوة يا أخي كالمقطع المصور الذي يلف مواقع التواصل حاليا عن الفتاة التي كانت في المركز الرياضي المختلط هل رأيتها يا باسم؟ كانت قبلة محظوظون من كانوا معها».

احمر وجه الأخير بحرج فتطلع عصام في الاثنين ثم قال: «إن تجاوبتم معي ووصلتم لنتائج جيدة سأخذكم في رحلة لصالة ألعاب مشتركة يا شقي أنت وهو المهم أن نواظب على يومين في الأسبوع لنحصل على نتيجة وأريدكم أن تشجعوني بالجدية والالتزام لأنني مشغول في أمور كثيرة (وأضاف بحزم) هيا عودا لما تفعلان وبعد التمرين دعونا نشاهد سويا ذلك المقطع المصور وما فيه من قنابل».

قالها بلهجة شقية فانفجر مراد ضاحكا وقال وهو يعود للكم الكيس: «هكذا يكون الحماس».

قال طارق في الهاتف بقلق: «لماذا تغلقين هاتفك والله كنت على وشك أن أذهب إلى بيتك».

أجابته نهلة بإنهاك: «نمت بمجرد أن وصلت ونفذت بطارية الهاتف هل علمت بما حدث؟».

قال بتعاطف: «لا تسمحى لما حدث بأن يضايقك أو

يحزنك».

قالت باستنكار: «كيف لا أفعل يا طارق، لقد أصبحت سيرتي على كل لسان ويا ويلى لو علم أهلي أنت لا تعرف خالي». قال مطمئنا: «لا تخافي من أي شيء لقد أخبرت الجميع أنك زوجتي».

شهقت وقالت بغير تصديق: «كيف؟ كيف تقول ذلك؟! قلت لهم إنني تزوجتك بالسرا».

قال بانزعاج: «اهدئي واسمعي، لم أقل شيئا من هذا أخبرتهم أننا عقدنا القران قبيل وفاة أُمي بناء على طلبها ولم نعلن بسبب الحداد، وما فعلته نيلى في العزاء حين أجلسك بجوارها جاء صدفه جيدة لتؤكد لهم ما قلته إنك كنت موجودة بصفتك زوجتي لقد أخبرتهم أن الزفاف سيتم بعد انتهاء فترة الحداد» شعرت بالارتباك وتمتت بتلعثم تحاول الاستيعاب: «لكن.. لكن».

قال بلهجة حازمة وهو يستند بظهره إلى ظهر سريرته: «ليس هناك لكن ولم يكن هناك أي حجة أخرى أستطيع أن أفسر بها الصور.. فحتى لو قلت خطيبتي ستجدين من يتحدث من خلف ظهورنا أيضا لهذا قطعت الألسنة بهذه الطريقة».

شعرت بالحيرة وسألته بارتجاف: «وماذا سنفعل الآن؟». «ستحددن لي موعدا عاجلا مع أهلك وسأطلبك منهم

رسميا واتفق معهم على عقد القران في أقرب وقت وأنا مستعد لكل طلباتهم».

سألته بقلق: «لكن.. لكن والدك هل سيسكت عن هذا؟».

رد مؤكدا: «لا تقلقي بشأنه أنا أعرف كيف أجعله يرضخ لما أريد».

ساد الصمت فعدلت نهلة من وضع رأسها على الوسادة ونظرت في سقف غرفتها تقول بلهجة يخنقها البكاء: «طارق أنا خائفة».

قال مطمئنا: «لا تخافي يا حبيبتي ما دمت حيا واعلمي أنني على استعداد لأن أضحي بالغالي والنفيس من أجلك وأنه من يقترب منك سيرى طارق آخر لم يعرفه من قبل».

صمت فأضاف: «أريدك غدا ألا تغيبني عن العمل وأن تتعاملني مع الجميع بوصفك زوجة طارق شرف الدين وأخبريهم أنك كنت مستاءة من الصور لتعديها على حياتك الشخصية لهذا غادرت ولم تخبري أحدا بأنك زوجتي».

غمغمت نهلة: «حاضر لكني ما زلت أشعر بالحرج والإهانة يا طارق».

قال بتعاطف: «أنا أعرف حقك فوق رأسي لو كان هناك شيء أستطيع أن أفعله أكثر من القول بأنك زوجتي كنت فعلت أعرف أنه ليس لك ذنب وأنك تدفعين ضريبة علاقتك بي لكن يبدو أن علينا التضحية قليلا كي نكون معا».

قالت باختناق: «ما يؤلمني أن هناك من سيشك في صحة ما قلته وسيقولون بإنك تزوجتني لتداري على الفضيحة».

أجابها بهدوء: «يا حبيبتي أي شخص عاقل سيفهم أنني لست مضطرا للزواج منك لو كنت فتاة رخيصة أتسلى معها لا شيء يجبرني على هذا أبدا».

كان شعورها بجرح الكرامة يلح عليها فقالت: «أعرف ذلك لكنهم سيقولون أغوت أحد المديرين».

آلمه ما قالته فتكلم غاضبا: «نهلة لو فكرنا فيما سيقوله الناس لن يكون لنا مستقبل معا هل تريدان ذلك؟».

أسرعت بالقول: «أنا لا أقصد لكن من لي غيرك أشكي له همي وما أخافه».

زفر وقال بلهجة أهدأ: «لا بأس.. أنا متفهم لما تفكرين فيه لكن إن كنت متمسكة بي عليك بتجاهل ما سيقولون عنك إنك انتهازية وعلي أنا الآخر أن أتجاهل ما قد يقولونه إنني الرجل الغر الساذج الذي وقع في شباكك أيتها الانتهازية».

ابتسمت في صمت فقال طارق بلهجة مغازلة: «لكنهم لم يخطئوا فيما يظنون.. فأنت أوقعتني في شباكك فعلا وعيناك الخضراوان مارستا علي سحرا لم أستطع الفكك منه».

ابتسمت وقالت بإنهاك عاطفي: «طارق أرجوك لست في مزاج لأي شيء».

قال مشجعا: «انسي الموضوع وأعدك أن كل شيء سيكون

على ما يرام، أهم شيء حدي لي موعدا مع أهلك في أسرع وقت لا بد ألا ندع فرصة لأحد أن يكتشف أننا لسنا متزوجين بعد هذا الأمر عاجل يا نهلة».

بعد ثلاثة شهور

«فعلتها كي أخلص ضميري وبالطبع عمي يصفني بالغبية لكني لم أستطع التفاوضي عن الشك في سلامة الأدوية فأعدمته..حاليا وبعد ما باعت الشقة التي أسكن فيها والسيارة والأرض التي ورثتها عن أمي الوضع أصبح مستقرا في الشركة وتم جدولة الديون الباقية لتدفع خلال السنوات المقبلة».

اعتدلت نيللي في وقفها أمام قبر والديها وأضافت بحسرة: «أنا أعلم أنني سأمر بفترة صعبة فلم يعد في حسابي بالبنك ما يكفيني حتى لشراء شقة تملك صغيرة لهذا سأضطر لأن أبحث عن شقة للإيجار بمبلغ ليس كبيرا لكن لم يكن هناك حل غير ذلك كان علي التخلص من ديون بعض الجهات المزعجة ودفع مستحقات الموظفين (ونكست رأسها وأضافت) أتمنى أن تكون فخورا بي الآن وبما فعلت لإدارة الأزمة رغم تخلي عمي عني وأعدك أنني سأواصل الحفاظ على شركتك لأنني أعلم كم كانت مهمة بالنسبة لك.. رغم أنك تعرف أنها لم تكن حلمي (واستدركت بابتسامة حزينة) لا أذكر إن كنت قد أخبرتك بهذا أم لا يا أبي أنني

لم أرغب أبدا في خلافتك في إدارة الشركة لا أذكر لأنك لم تسألني أبدا عن حلمي وماذا أريد.. ولم نكن نتشارك شيئا سوى أخبار العمل».

صمتت شاردة ثم أضافت بعد قليل: «تأثرت جدا حينما أخبرني عمي جودت برأيك بي وأنتك تراني بمئة رجل وتمنيت لو أسمعها منك وتمنيت أيضا أن تقابل عصام ولدي يقين بأنك كنت ستعجب به ربما رفضت أول الأمر؛ لكني كنت سأصر أن تقابله وحينها ستدرك كم هو شخص يستحق الإعجاب».

انهمرت دمعة ساخنة على خدها فأسرعت بمسحها تقول بجلد: «أعدك أنني سأكون قوية كما عرفتني وأني لن أسمح للمحن بأن تهزني.. وبأنني لن أكون أبدا مثيرة للشفقة (ورفعت رأسها للسماء مضيئة بنظرة مترجية) وأتمنى يا أبي أن تعبر الشركة من محنتها حتى تفخر بي أكثر.. وأتمنى أن تختصر المسافات بيني وبين عصام بسرعة حتى نستطيع أن نتزوج لا أعرف متى سيتحقق ذلك أشعر أنه بعيد لكني قوية وسأظل قوية وصامدة».

سحبت نفسا وأضافت بعد قليل أمام قبر والدتها: «ليتك كنت معي الآن يا أمي ليتني أحظى بحضنك كل مساء بعد يوم طويل مرهق وضغط وأحكي لك عن عصام أنا واثقة بأنك أنت الأخرى كنت ستحبينه وستدلينه أفقدك أنت وأبي بشدة وكنت أتمنى أن تكونا على قيد الحياة فالوحدة قاتلة والأيام صعبة.. صعبة بشدة يا أمي وأنا أحاول الصمود ولا

أسمح لنفسى بالانهيار».

توقفت عن الحديث وغلبتها الدموع فسمحت لنفسها بالبكاء.

بعد قليل وبعد أن انتهت من قراءة الفاتحة خرجت نيللي من مدفن والديها واستقلت السيارة الصغيرة المستعملة التي ابتاعتها بعد أن باعت السيارة الأخرى كي تدفع جانبا من الديون.. وغادرت منطقة المقابر تترك الأموات في سباتهم وتعود هي لذلك العالم الصاخب الذي تصارع فيه.

بعد عدة أيام

اتسعت ابتسامة طارق وهو يسلم بحرارة على خال نهلة، بينما أطلقت أمها زغرودة قبل أن يناظرها أخوها بنظرة لائمة احتراماً لحالة الحداد عند العريس ووالده الجالس يلوي فمه ويناظر الجميع بقرف واضح؛ لكن طارق قال معلقاً: «لا بأس أمي كانت تحب الأفراح وتكره الحزن وأنا أكيد أنها سعيدة الآن».

أطلقت أم نهلة الزغاريد سعيدة أمام نظرات الجيران المنبهرين كيف استطاعت نهلة الإيقاع بهذا العريس الثري، بينما تلقى طارق المزيد من التهاني من أهل نهلة وعيناه مشغولتان بزوجه التي تقف منكمشة محرجة بجوار نيللي وبعض الفتيات قريباتها.

أخيرا نال ما تمناه أخيرا أصبحت نهلة زوجته بعد الحرب
الضروس التي خاضها كي يخضع والده واضطره للتنازل عن
جانب من ورثه أكبر من نصيب مهدي في صفقة بينهما وترك
له الفيلا بعد أن أخذ منها كل ما يخص أمه.. كل هذا حتى
يرضى الأخير أن يحضر معه لأهل نهلة..

كان من الممكن أن يذهب وحده في أول زيارة له لطلبها؛
لكنه خشي من توجس أهلها من نواياه للاختلاف الطبقي
والاجتماعي بينهما، خاصة أنه متعجل على عقد القران
فكان وجود والده مهما لإقناعهم بجديته وأنه ليس فتى
لعوبا يتسلى ببنات الناس ورغم هذا طلب أهل نهلة التريث
قليلا في طلبه لعقد القران حتى استطاع إقناعهم بعد بعلاثة
أشهر أن يعقد القران على أن يتم الزفاف بمجرد أن ينتهي
من شقته.. وها هو قد عقد قرانه على حبيبته التي أشاحت
بأنظارها عنه بخجل.

راقب والده الذي سلم على الموجودين بقرف واضح
وأسرع بالرحيل مختلقا حجة وعلى ما يبدو أن أهل عروسه
كانوا يخمنون أن والده لا يشعر بالرضا على هذه الزيجة
ولهذا لم يعقبوا على رحيله لكنه شعر بالاستياء والحرص
الشديد أمامهم.

قطع المسافة نحو نهلة فارتبكت وهي تراه آتيا وذابت
أكثر أمام ابتسامته الحانية فوقف طارق أمامها ومال يقبل
وجنتيها ثم سحبها إلى حضنه وضمها بقوة يستشعر طراوة
جسدها بين ذراعيه ، بينما وقفت نيللي تطالعهما بسعادة أن

تكللت قصتهما بالنجاح، كم هو مبهج أن يحاط المرء بالأخبار السعيدة وبالقلوب الهائلة وكأن في ذلك مواساة أو طبطبة على قلبها الذي ينهكه الشوق.

تطلعت في الهاتف لترى إن كان عصام قد اتصل بها؛ لكنها لم تجد منه أي اتصال بعد تلك المشادة التي حدثت بينهما قبل ساعات، لقد تذمر لأنها ستحضر عقد قران طارق وتذمر لأنها لن تكون موجودة طوال اليوم مع مرام في يوم زفافها بعد أن تزامن الحدثين في يوم واحد بصدفة عجيبة جعلتها ممزقة بين الواجب أن تكون مع ابن عمها تحضر عقد قرانه وبين أن تكون بجوار مرام لحظة بلحظة فحاولت أن تقوم بواجبها تجاه الاثنين وفرغت نفسها الأيام الماضية لمساعدة مرام في بعض الأمور التي تخص ترتيب شقتها واختيار الألوان والأقمشة وغيرها وقضت رغم مشاغلها يوم أمس كله في بيت آل عارف لتحضر حفل الحناء الذي أقامته مرام، ثم ذهبت معها اليوم إلى صالون التجميل الذي كان من ضمن هداياها لها أن حجزت لها عند صالون تجميل شهير ذهبت معها وقضت اليوم بأكمله حتى اطمأنت على زينتها وعلى استعدادها وكل شيء، ثم استعدت هي أيضا من هناك ثم تركتها قبيل المغرب قبل أن يأتي أنس لاصطحابها لقاعة الزفاف وأسرعت لحضور عقد قران ابن عمها وها هي ستتحرك بعد قليل للعودة لحفل زفاف مرام.

إنها مجهدة بشدة.. مجهدة نفسيا وبدنيا والفترة الماضية كانت مرهقة بالنسبة إليها ولهذا لم تكن صبورة هذه المرة

مع عصبية عصام وميله للتحكم هذه المرة تشاجرا لأنه كان معترضاً على ذهابها لعقد القران لكنها تعلم أن السبب هو غيرته عليها من طارق ولم يكن لديها الطاقة النفسية للجدال، خاصة حينما عرض أن يحضر إلى مكان عقد القران كي يصحبها للحفل ظناً منه أنها لا تزال تملك سيارتها القديمة.

لم تخبره بعد لم تخبره أنها قد باعت السيارة واستبدلتها بأخرى صغيرة ومستعملة ولم تخبره بعد أنها باعت الشقة وأغلب ما فيها من أثاث قيم وستغادرها قريباً وأنها لا تعرف حتى لحظتها إلى أين ستذهب، خاصة أنها تعيش هذه الأيام في وضع مادي أقل بكثير مما تعودت وسيستمر ذلك حتى تنتهي مشاكل الشركة المادية تماماً

عليها أن تركز الفترة المقبلة في البحث عن شقة بديلة ولا تدري ماذا ستفعل مع الخالة راجية فالأخيرة مصرة على البقاء معها وهي تريد أن تخفف من نفقاتها الشهرية.

زفرت بإرهاق وتطلعت في العصفورين المغردين أمامها وتمنت لهما السعادة، بينما قالت نهلة بخفوت خجل: «الناس تتطلع فينا يا طارق اذهب لتجلس مع الرجال».

قال هامسا بابتسامة سعيدة: «وما المشكلة أصبحت زوجتي».

«اذهب بالله عليك أشعر بالحرَج».

مال عليها هامسا: «حسناً سأفعل لكن اعلمي أنني لم أقدم لك المباركة على عقد قراننا على أكمل وجه لذا افعلي أي

شيء كي نكون وحدنا بضع دقائق على الأقل سأرتكب فضيحة إن لم أتمكن من تقديم المباركة كما يجب».

أشاحت بوجهها ودفعته بيدها في صدره فوقعت عينا طارق على قريباتها الواقفات على بعد خطوات وقال لهن: «أرايتن ماذا تفعل معي من أول دقيقة!».

ضحكت الموجودات فقبل طارق جبين عروسه وهم بالذهاب لجلسة الرجال لتقول نيللي وهي تقبل وجنتي العروس: «اسمحي لي أن أغادرياً نهلة ألف مبروك».

قالت الأخيرة باندعاش: «بهذه السرعة!».

ردت نيللي: «هناك مناسبة أخرى علي أن أحضرها حفل زفاف صديقتي لهذا لم أستطع الاعتذار إن شاء الله نعوضها يوم زفافك».

قالت نهلة بامتنان وهي تشدد على احتضان يدي نيللي بين يديها: «مهما عبرت لك عن امتناني يا أستاذة نيللي لن أوفيك حقك».

«لا تقولي هذا.. كما أنني من الآن فصاعداً نيللي فقط أنت أصبحت من العائلة كما أنك قد استقلت من العمل لذا فعلاقتنا علاقة أسرية يا عروس».

تطلعت نهلة في طارق ثم عادت لنيللي مبتسمة فقد أصر طارق على أن تستقيل من عملها ووعدا أن يتكفل هو بأسرتها بعد جدال كبير بينهما أصر فيه هو على موقفه وبأنه

ليست له عائلة كي يراعا وأمه واختيها سيكونان عائلته..

تجمعت الدموع في عينيها وهي تلمح السعادة على وجه أمها لزواجها من طارق ليس لأنه ميسور حال ولكنها أحبته بصدق واعتبرته ابنها الكبير فتمتعت تدعو ربها في سرها أن يحفظ لها أسرتها ويبارك في زوجها الذي أضحى كل شيء لها.

سلمت نيللي على طارق مهنته تقول: «ألف مبروك يا عريس لا تتصور فرحتي من أجلك».

رد طارق: «بارك الله فيك.. العقبى لك في القريب العاجل (ثم أضاف) سأوصلك للخارج».

تحرك معها يخرج من الشقة المتواضعة في الحي الشعبي الذي تعيش فيه عروسه فقالت نيللي على الباب: «يكفي هذا اذهب لأهل عروسك».

قال طارق بلهجة عاتبة: «أنا غاضب منك يا نيللي».

سألته باندعاش: «لماذا؟».

أجابها مستاء: «إلى هذه الدرجة أنت لا تقدريني».

«ماذا حدث؟».

«الذي حدث أنك تصرفت دون إخباري وبعثت شقتك وسيارتك وقطعة الأرض التي كانت بحوزتك كي تغطي ديون الشركة دون أن تخبريني واستغللت انشغالي في التجهيز لعقد القران والشقة».

بلعت نيللي ريقها وقالت: «أنا المسئولة عن الشركة وكان لا بد أن أفعل ذلك..».

قال عاتبا: «أخبريني على الأقل».

«كنت سأخبرك لكنك كما قلت كنت مشغولا».

«وماذا ستفعلين الآن؟».

ردت مطمئنة: «لا تقلق سأدبرها اذهب الآن لأهل زوجتك».

حين نزلا للشارع وقفا أمام البناية وقال طارق عابسا: «أنا علمت بالصدفة صباح اليوم ومن ساعتها وأنا غير قادر على استيعاب ما فعلتيه».

حكّت جبينها بأناملها يارهاق وقالت: «قلنا ليس هذا هو الوقت المناسب».

استمر في الحديث بإصرار: «اسمعي أمر الشقة والسيارة سأحلها لك إن شاء الله».

قالت متهمكة: «وهل سيبقى معك شيء بعد أن ساومت والدك من أجل أن يرحمك وبعد تجهيزات زواجك والشقة والأثاث».

قال مطمئنا: «لا تشغلي بالك بهذا المهم أني لن أقبل أن تعيش بنت عمي بهذه الطريقة»

كان إجهادها قد وصل لمداه فهتفت بحدة: «أنا لست قاصرا كي تنفق علي يا طارق».

تطلع فيها متفاجئا بأسلوبها فأسرعت بالقول: «سامحني أنا مضغوطة ومتوترة جدا لكن دعني أقول إنه لو تريد المساعدة بحق هذا المبلغ ضعه في الشركة فنحن بحاجة لسيولة الفترة القادمة، واصبر علينا في دفع هذا الدين (وأضافت بلهجة عملية وهي تطالعه بصلافة) لو كنت تريد أن تساعدني تعاون معي كي نخرج بالشركة لبر الأمان فكما تعرف أبوك قرر أن يأخذ دور المشاهد أما أنا فسأتصرف في شقة إيجار لفترة حتى تتحسن الأمور».

وقف صامتا لبرهة يناظرها بغير رضا ثم قال: «ألم يكن من الأفضل أن توافقي على الزواج من أحد الشبان الأثرياء الذين يطلبونك للزواج بدلا من انتظار هذا الشاب وأنت في هذه الظروف؟».

هتفت باستنكار: «لا أعتقد أن علي أن أتزوج كي أعيل نفسي يا طارق ما تقوله هذا يهين كبريائي».

زفر الأخير بحيرة فقالت لتنهى الموضوع الذي لم يكن مناسباً في هذا التوقيت: «دعنا من هذا الأمر الآن وسنتحدث فيه فيما بعد، عد لأهل عروسك ولا تشغل بالك بي».

تطلع فيها وهي تتحرك وتركب تلك السيارة الصغيرة المستعملة ثم زفر بقوة وقرر أنه إن وافق على اقتراحها بضخ مبلغ سائل في حساب الشركة فعليه على الأقل أن يجد لها شقة وأن يتحمل هو ثمن الإيجار الشهري فهذا أبسط شيء لا بد أن يقدمه لها.

تعرف لحظات الفرح على أوتار القلوب لحنا يبقى للذكرى
مدى الحياة وتسقط المشاعر الأخرى مع طول الرحلة فلا
يبقى من الذكريات إلا السعيدة.

وقف عارف يتطلع في القاعة الصغيرة التي يقام فيها
حفل زفاف ابنته في إحدى البواخر حفل ضم عددا قليلا من
المقربين.. كل فرد من الأسرة دعا عددا صغيرا من معارفه أو
زملائه في العمل للحضور.. ورغم سعادته كأب يزوج ابنته
خاصة حينما يكون الزوج ابن عمها كان بداخله غصة وتمنى
أن تكون شادية معه في ليلة كهذه فهو رغم السنين الطويلة
لم ينسها إنها حبة في وجدانه للأبد.

وقعت عيناه على أمه التي تجلس بجوار أم بيسو متأنقة
كعاداتها في عباءة سوداء تلمع من أطرافها وشفاتها مطلبتان
بالأحمر في منظر لم يره عليها منذ سنوات طويلة؛ لكنها
أصرت أن تفعل ذلك بعدما رأت صورة أرسلتها نيللي تخص
مرام وزينة من صالون التجميل على هاتف مراد فتذمرت
لأنها لم تذهب معهن.

ضحك عارف وهو يتذكر ثورتها وتوبيخها للجميع وكيف
تدخل عصام لتهدئتها وتطوعت أم بيسو بإحضار أحمر شفاه
كان عندها أدى الغرض وحمد ربه أنها لم تطلب أكثر من ذلك
حتى لا تتسبب في إحراجهم، خاصة أنهم في محيط لا
تتزين النساء في مثل عمرها عادة بوضع مساحيق الزينة،

فكر قليلا في نفسه هل لو وصل لمثل عمرها سينقلب لطفل مثل أمه؟ لا يحب ذلك ولا يتمنى أن يتحمله الجميع بهذا الشكل الذي يفعلونه مع أمه تذكر جدته، كانت أكبر من روح ماتت بعد أن تعدت الثمانين عاما وكانت تتمتع بكامل قواها العقلية حتى وفاتها يذكرها جيدا ويذكر الحُكم التي كان يحب أن يسمعها منها فجدته هي من حبيبته في القراءة وكانت من الفتيات المتعلمات القلائل في زمنها.

تحرك بأنظاره في المكان الصاخب ذي الموسيقى العالية ووقعت عيناه على مراد الذي يقف بعيدا منزويا وبحث عن أصحابه فوجدهم في جانب من القاعة يرقصون،

عاد ينظر لابنه ذلك المراهق من جيل آخر وزمان آخر غير الزمان الذي تربى فيه إنه لا يزال يتحين الفرص لأن يتقرب منه يحاول أن يجد شيئا مشتركا يجمعهما فمراد لا يحب الزراعة موله ولا القراءة ولا يحب لعب الشطرنج أو الطاولة وليس مهتما بتعلمهما لذا لا يزال يحاول البحث عن شيء مشترك يجمعهما ويستغل الأوقات التي يدعي فيها رغبته في المساعدة للحصول على كتاب ما من على الإنترنت في أن يتحدث معه بشكل يحاول ألا يكون متعمدا في بعض الأمور ويجاهد كي يتفهم وجهة نظره،

ورغم كل هذا يشعر أن الهوة لا تزال كبيرة بينهما لكنه لن يستسلم ولن يتركه كي يشرد عن مسار العائلة أو رحلتها في الحياة، يعرف أن مهمته أصعب مما واجهه مع أخويه لكنه عازم على الاستمرار ويدعو لأن تمر سنوات مراهقته على

خير وأن ينضج مراد ويتفتح كزهرة من زهور شرفته بلون
ونكهة مميزة تخصه.

أما أنس فكان يقف بالقرب من ساحة الرقص يمسك بباقة
من زهر القرنفل الأبيض تخص العروس صنعها عارف بنفسه
من أزهار شرفته وقف يشعر بمشاعر مختلطة ما بين الفرحة
والحرج.. فمن أجل مرام وسعادتها قرر أن يقيم هذا الحفل
البسيط.. لكنه لا يشعر بالارتياح في هذا الجو الصاخب تأملها
وهي ترقص بين الفتيات الحاضرات منذ أن بدأ الحفل وتذكر
الرجفة التي أصابت قلبه حينما رآها بفستان الزفاف كانت
لحظة لن ينساها أبدا، أمن الممكن أن ثمحى الآلام والخيبات
كلها في لحظة؟!

هذا ما حدث له حينما رآها تخرج إليه من صالون التجميل
بفستان منفوش بطبقات كثيفة من التل فستانها وحجابها
الذي يبرز وجهها المستدير كالقمر كان بلون العاج وفوق
رأسها تاجا رقيقا.. كانت تشعر بالخجل وظلت تحجب عنه
وجهها بكفيها لفترة، كيف كان سيحتمل أن يراها بهذه الهيئة
المهلكة وهي تتعلق بذراع رجل آخر؟! حمدا لله على رحمته
فبغبائه أو بسبب حبه الشديد لها كان سيقتل نفسه بيديه فلم
يكن ليحتمل أبدا أن يكون واقفا هذه الوقفة في هذا المشهد
نفسه وهي تزف لشخص آخر.

ارتجف جسده بقوة عند هذه الخاطرة وشعر وكأن روحه
ستغادر جسده فأسرع بنفض تلك الأفكار المزعجة عن رأسه
وعاد يحمد ربه للمرة التي فقد عددها هذه الليلة، تأمل ابنته

التي ترتدي فستان زفاف هي الأخرى بحملات رفيعة وتنورة من التل المنفوش بلون العاج شعرها مفردا على ظهرها وقد صفوه لها بتموجات أعجبتها بشدة، تأملها وهي ترقص مثل مرام وصد من أن ابنته تعرف الرقص! لا يعرف متى تعلمت ذلك لكنها ترقص وتهز خصرها بتميع أنثوي هل يولد الإناث بجينات الميوعة!

هرش في رأسه ووقف يتابع زوجته وابنته مذهولا الاثنتان أصيبتا بهوس الرقص منذ أن بدأ الحفل أما هو فيقف كاللوح الخشبي، كما وصفه عصام بعد أن اتفق مع مرام منذ البداية أنه لن يشاركها في هذه الهستيرية التي تفعلها هي وابنته المجنونة.

مراد أيضا كانت المشاعر التي تسيطر عليه مركبة وتخص مرام بالتحديد.. سعيد من أجلها وفي الوقت نفسه لا يشعر بالراحة وهو يراها تتزوج ولا يعرف كيف ستبيت الليلة في بيت آخر حتى لو كان في البناية نفسها وحتى لو كان مع ابن عمه حتى إنه غير قادر على الاندماج مع أصحابه الذين يرقصون في جانب من القاعة، فوقف يتابعها وهي ترقص ولم تنجح الموسيقى الصاخبة والأغاني الشبابية في أن يتخلّى عما يخيم على صدره من مشاعر سلبية.

اقترب منه باسم يقول بمشاكسة: «لم أتوقع أنك ستكون من الفريق الهادئ توقعت أن تكون من فرقة المجانين».

قالها وهو يشير على أصحابهما الذين يشعلون الحفل

بالرقص فتطلع مراد ناحيتهم ثم عاد ينظر أمامه ليقول باسم بلهجة مطمئنة: «لا تقلق.. أي شيء في أوله له رهبة بعدها ستكتشف أن الأمر بسيط جدا ولم يكن ليستحق أن تتوقف عنده».

تطلع فيه مراد بطرف عينيه دون رد لقد أسر إليه بمخاوفه في لحظة كان فيها يحتاج للحديث مع شخص سيفهمه، ولم يعرف لماذا اختار باسم بالذات ليخبره.. ربما لذلك التقارب الذي حدث بينهما مؤخرا بشكل تطور بسرعة في وقت قصير حتى باتا يلزمان بعضهما معظم الوقت تقريبا إن باسم يتماشى مع الجانب الهادئ فيه، بينما باقي الشلة يمثلون الجانب الصاخب عنده وبدخول باسم في حياته أشعره ذلك ببعض التوازن النفسي.

قال باسم وهو يشده: «لا يجب أن تقف كالصنم هكذا إنه حفل أختك يا رجل.. كما أنك ستفوت عليك فرصة رائعة بالرقص والهستيرية التي تعشقها».

تطلع فيه مراد ليضيف باسم: «إن كنت تريد إسعادها لا بد أن تكون أنت سعيدا أليست مرام تستحق السعادة؟».

هز مراد رأسه بالإيجاب ليقول باسم: «إن هيا لتسعدنا باحتفالك بزواجها».

قالها وسحبه نحو الجانب الذي يرقص فيه أصحابه الذين بمجرد أن اقترب سحبه وسطهم ليرقص فتمنع قليلا قبل أن يندمج معهم شيئا فشيئا ولم يتوقف عن الرقص بعدها،

مما جعل باسم الذي يقف يتابعهم يبتسم وهو ممتن لتلك الظروف التي قربت بينهما حتى أصبحا صديقين.

أما عصام فكان يقف على باب القاعة يتفتت من الغضب وهو ينتظرها.. حتى بدأ يشك في أنها لن تأتي بسبب المشادة التي حدثت بينهما، نعم يعترف أنه احتد عليها.. ونعم يعلم أنه تصرف بسخافة وغباء.. وأنها تتحمل منه الكثير لكنه هو الآخر مضغوط ولا ينام تقريبا ما بين عمله في شركة جودت وعمله الحر الذي بدأ يعلن عنه بكثافة على مواقع التواصل الذي يحتاج منه لأن يوليه جزءا من وقته للترويج له توفيراً لنفقات شركة تسويق إلكتروني ستحتاج لمبلغ كبير كي تساعد في الانتشار وبين الشراكة التي يخطط لأن يقيمها مع اثنين من أصحابه لتكوين شركة على المواقع الافتراضية لتصميم مواقع الإنترنت عمل خاص إن نجح سيدر عليه دخلا إضافيا

إنه بالفعل لا يجد وقتا للنوم.. كل هذا ليسرع في تثبيت خطواته وجمع المال الذي سيبدأ به حياته معها؛ لكنه رغم ذلك محبط من المشوار الطويل الذي ينتظره حتى يصل إليها وهو لم يعد يطيق بعادها ولم يعد قادر على الالتزام بالحدود معها يريد كلها يريد أن يغلق عليها بابه وينام قرير العين وهي في حضنه يريد أن يحميها وأن يطمئن عليها وأن يعلن عن غيرته عليها وملكيته لها لكنه مكبل.

قطع أفكاره حينما تدخل الباخرة أخيرا ترتدي فستانا باللون العاجي.. اللون الذي اتفقت هي ومرام وزينة

أن يرتدينه كان من طبقات من قماش الأورجانزا به لمعة خفيفة بأكمام طويلة.. ينزل ببساطة وانسيابية من رقبتها حتى الأرض وحزام عند الخصر يبرز رشاقتها بشكل مبهر وحجابها من نفس لون وقماش الفستان، رقيقة راقية بسيطة واستثنائية وسماها يلمع بشكل مميز لكنها كانت عابسة الوجه جادة الملامح هذا ما لاحظته حينما اقترب ليقابلها.. فطحن ضروسه وابتأس، خاصة حينما لم تنبس ببنت شفة لكن تحركت معه في صمت ولم يعرف أنها كانت تتجاهل بتعمد فوضى النبضات والمشاعر بداخلها وهي تراه بالبدلة الجديدة التي تبزر كتفيه العريضين وتبرز وسامته بشكل رجولي مميز جعلها تتساءل كيف سيكون في بدلة العريس؟

هو الآخر لم يتكلم شعر أنه بعد ما حدث بينهما على الهاتف لو تحدث قد يزيد الطين بلة يكفي شعوره بالاستياء لأنه احتد عليها.. فسارا نحو القاعة في صمت وكلاهما غاضب، مشتاق، عاتب على الآخر.

عند باب القاعة سأله باقتضاب: «هل بدأ الحفل منذ وقت طويل؟».

غمغم بعبوس وهو حائر كيف يصلحها ويحتوي الموقف خاصة أن هيئتها توحى بمزاجٍ عكر: «منذ ساعة تقريبا».

هزت رأسها وغمغمت: «سأذهب لمرام».

راقبها وهي تبتعد فازداد غضبه وإحباطه وجز على أسنانه ثم تحرك كي يرحب مجددا بزملائه في العمل الذين حضروا

قبل قليل، لقد سلم عليهم وأجلسهم عند إحدى الطاولات وتركهم وخرج كي ينتظر نيللي.

بعد قليل حضنت نيللي مرام للمرة الرابعة منذ أن وصلت وكلاتهما الفرحة لا تسعها ثم سحبتها مرام لتقف أمامها وبدأت تتراقص على إيقاع الموسيقى، فتابعتها نيللي وهي تصفق بحرج لكن مرام أمسكت بيديها وبدأتا تتمايلان على إيقاع الموسيقى الراقص، قالت صافي زميلة عصام الجالسة بين زملائها وهي تتابع ما يحدث: «من الواضح أن نيللي صاحبة العروس فعلاً».

لم يرد عصام الواقف بجوار طاولة زملائه يديه في جيبه بنطاله عابس الوجه لا يعجبه أن ترقص مع مرام.. فكونها غير مرتبطة رسمياً يجعل العيون الفضولية كثيرة عليها، راقبها وهي تضحك بحرج ومرام مصرة على عدم تركها وتتمايل معها يمينا ويسارا ثم أشاح بنظراته وهو يجز على أسنانه.

تركت صافي مقعدها تقول: «سأذهب للحمام» ثم اقتربت من عصام وسألته: «أين الحمام؟».

تطلع حوله ثم أشار لها على ناحية فهزت رأسها ثم قالت له مدقة: «ألن تعترف لنا».

ناظرها من بين جفنين ثقيلين ثم سألها: «أعترف بماذا؟».

قالت له بطريقة المائعة وهي تمسك بساعده: «بأي شيء بينك وبين نيللي شرف الدين كلما رأيتهما معا شعرت بشيء ما في الأجواء.. كما أن الجميع يتحدثون عن كونها تعيرك

اهتماما خاصا كلما جاءت للشركة».

لم يعجبه أن يتحدث زملائه عنها؛ لكنه لم يجد ما يقوله يبدو أنه سيظل عالقا في المنتصف في علاقته بها لا هو خاطب رسمي له الحق في الظهور معها علنا ولا هو بعيد أو قادر على ذلك.

كان بوده أن يقف بجوارها في يوم كهذا وأن يحيطها بذراعه فيعلن للجميع أنها تخصه.. كان بوده أن يراقصها تلك الرقصة الهادئة رغم أنه لم يجرب من قبل.

تكلم بصعوبة يرد بمراوغة: «لو كل إنسان كف عن الفضول الحياة ستكون أفضل».

ضحكت صافي وقالت بمكر: «أعجبتني الإجابة المراوغة يا عصام».

هز رأسه مبتسما وأجابها: «سعيد أنها أعجبتك».

قالها وعاد يتطلع في ساحة الرقص ليجد مراد قد سحب مرام ووقف يرقص أمامها، ضحكت مرام ورقصت أمام أخيها فشكلا ثنائيا متناغما؛ مجنونا؛ ومشتعلا بالطاقة كانت سعيدة لسعادته وكان سعيدا لسعادتها فترك العنان لنفسه لفرحته بأخته وأخذ يرقص أمامها بشقاوة سلبت قلوب بعض المراهقات الحاضرات في الحفل، بينما وقفت نيللي تصفق وهي تتطلع فيهما خاصة مراد المتأنق في تلك البدلة الرائعة عليه.

بحثت عن عصام لترى إن كان يتابع ذلك المشهد المؤثر الذي حاز على انتباه الجميع حتى إن عارف دمعت عيناه وهو يراقبه من الطاولة التي يجلس عليها مع أقاربه؛ لكن الابتسامة تجمدت على وجه نيللي حينما لمحت صافي وهي تضحك مع عصام الواقف يديه في جيبه بنطاله يبتسم لها وما استفزها أن صافي هذه تكاد تلتصق به في وقفاتها وهي تلمس ذراعه فاشتعل غضبها، خاصة مع حالتها النفسية وتحركت نحوهما.

في الوقت نفسه تطلعت عينا عصام بحركة متكررة نحو نيللي فوجدها آتية ثم عقد حاجبيه وهو يرى تعبيراً غريباً على وجهها لم يفهمه.

اقتربت نيللي تتصنع ابتسامة صفراء وتقول لصافي التي هلت لرؤيتها: «كيف حالك؟».

أجابت صافي: «بخير حمداً لله.. سعيدة أن رأيناك اليوم».

قالت نيللي بلهجة مجاملة: «أنا الأسعد (وقالت لعصام) أريدك قليلاً».

تنحى وقال: «آه طبعاً تفضلي».

قالها وهو يشير لها كي تتقدمه فتحركت بعصبية ولحق بها وقلبه يتراقص من السعادة لأنها عادت للتحدث معه.

في خارج قاعة الحفل وعند سور الباخرة التي تستقر بالقرب من ضفة النهر استدارت إليه تقول بحدة: «هل من

الممكن أن تفسر لي علاقتك بهذه البنت؟!».

تفاجأ بسؤالها فاتسعت عيناه وقال باستنكار: «نعم!!
علاقتي!! تقولين علاقتي!! (ثم وضع يديه في جيبه بنطاله
وقال) ماذا تظنين أنت؟».

قالت بعصبية: «أريد أن أعرف منك كي أفسر التصاقها بك
بهذا الشكل كلما وقفت بجوارك تلمس كل لحظة ذراعك.. ولم
يبق إلا أن تأخذك في حضنها».

اتسعت ابتسامته فجأة فزادت من وسامته واستفزها ذلك
مما جعلها تصيح بغضب: «هل تضحك؟! هل تجد أن كلامي
مثير للضحك؟!».

قهقه ضاحكا وهو يضرب كفا بكف فهاجمتها رغبة في
البكاء؛ لكنها قاومتها بقوة وهي تشيح بوجهها ورغم هذا
لاحظ عصام لمعة الدموع في عينيها فرق قلبه وكف عن
الضحك.

اقترب منها وأمسك بذقنها يقول بلهجة خافتة: «حبيبتي».
ناظرته بحدة مع ازدياد لمعة الدموع في عينيها فكانت
أمامه مزيجا عجيبا من القوة والضعف وود لو يقبل حجرها
الأسودين الذين يناظرانه كليل لامع فقال بهمس: «أتغارين؟».
لم ترد على سؤاله بل قالت بعصبية تداري شعورها
بالضعف: «لم أحب ما يحدث يا عصام».

قال بهدوء: «ماذا حدث؟ إن هذه طريقتهما مع الجميع ولا

تقصد شيئاً».

هتفت بغیظ: «لا تقصد شيئاً».

قال الهدوء نفسه: «صدقيني أنا في البداية كنت مندهشاً مما تفعل لكني وجدتها تفعل ذلك مع الجميع هذه هي طريقته».

قالت بإصرار: «ومع هذا لا بد أن تضع لها حداً في التعامل معك وإلا سأدخل أنا».

داعب بإبهامه ذقنها الذي يمسك به وقاوم بقوة رغبة في أن يقطف تلك الشفتين المكتنزتين وهو يقول مشاكساً: «وماذا ستفعلين إن شاء الله».

أبعدت يده عنها بعصبية وهي تقول: «عصام أنا لا أمزح صدقني أنا حينما أغضب أكون سخيفة جداً».

مط شفتيه ورد بلهجة ذات مغزى: «العينه واضحة أمامي».

هتفت بعصبية: «إن كانت لا تعجبك هذه العينه تستطيع تركها».

تنهد قائلاً: «ليتنى أقدر.. كنت رحمت قلبي المسكين من قسوة الحبيب ولوعة الشوق».

تعانقت عيناها لبرهة ثم أنزلت نظراتها حتى لا تضعفها نظراته القوية فاستقرت على صدره العريض وانتابها ذلك الشعور الملح بالحاجة لحضن يخفف عنها ما تترشح تحته من ضغط، فأسرعت بالتحرك من أمامه وهي تقول بلهجة مهددة:

«عموما لقد حذرتك فإن كنت لا تريد الفضائح لا تسمح لهذه البنت بالاقتراب منك».

كانت حادة معه ومع هذا تجاهل زمجرة من كبريائه ولحقها بصوته قائلا: «أهذا كل شيء أردت أن تقوليهِ وستعودين لخصامي من جديد».

ردت وهي تقترب من باب القاعة: «أجل هذا هو كل شيء ولو اقتربت هذه البنت منك لن يمر الأمر على خير».

تركته ودخلت فتأمل مشيتها العصبية وزفر بغيظ ثم دخل خلفها لكنه كان سعيدا لغيرتها وتبدل مزاجه فأرسل لها على الواتساب يقول بإغظة: «ماذا أفعل في نفسي؟! الفتيات يحاصرني من كل جانب وأنت تهمليني» (وجه يخرج لسانه).

اهتز هاتفها في حقيبة اليد الأنيقة في يدها فأخرجته وتطلعت فيه ثم طحنت ضروسها وبحثت عنه في القاعة حتى تفاجأت أنه قد اقترب من الثنائي المجنون في الحفل ووقف يشاركهما الرقص وهو يختلس النظرات المغيظة لها بين اللحظة والأخرى.

صحيح كان رزينا وقورا حتى في رقصه؛ لكنه شارك مراد الرقص حول أخته التي كانت تعيش لحظة استثنائية من الفرح فاختلطت المشاعر وتكاثفت حولهم فكان مراد أول المبادرين بعناق قوي للعروس خلصها منه عصام وحضنها هو بتأثر.. ثم ذهب الأخوان وحاولا سحب العريس الذي يتحدث

مع بعض الحاضرين كي يشاركهما الرقص لكنه رفض بشدة وهو في منتهى الحرج.

بعد قليل كان عصام قد عاد لوقفته بجوار طاولة أصحابه، بينما زينة التي تعبت من الرقص جلست على حجر جدها تحضن باقة القرنفل ووقف أنس بجوارهما يوبخها على مساحيق الزينة التي تضعها على وجهها، بدأت أغنية أخرى تعرفت عليها مرام من بداية الموسيقى فتركت الجميع وذهبت إلى أنس الذي تفاجأ بها تسحبه من يده وسط شعوره بالحرج والارتباك ليقف في وسط القاعة، مما جعل الراقصين يفسحون لهما المجال ثم وقفت ترقص أمامه على إيقاع الأغنية وهو متخشب.. فأمسكت بطرفي سترة البدلة حتى لا يفر منها وأخذت تتمايل أمامه بدلال.

نصبي وقسمتي الحلوة ونور عيني

في بحر عيونك الحلوة.. تدوب عيني

أنا لو أجيبك الدنيا على كفي

ولا يكفي غرامي وشوقي وحنيني

كانت شهية شقية أمامه.. وكان ساحرا ورجوليا أمامها، تابعها بابتسامة هادئة لا تعكس حقيقة طوفان مشاعره الداخلية التي تنهكه.. وتسمرت عيناه مبتسما على هاتين الشفتين المطليتين أمامه، شفتان هو في شوق حارق لهما، فمنذ تلك المرة التي تواجدت في شقته صدفة لم يستطع أن ينفرد بها بعدها، خاصة أنها أصبحت أكثر حذرا من أساليبه

الماكرة لاستدراجها وكأنها أيقنت أنه لم يعد متحكما في
نفسه فما اختبراه من مشاعر وأحاسيس في تلك اللحظات
التي سرقاها من الزمن أخبرهما أن أي خلوة بينهما قد لا تمر
على خير.

بحبك آه بحبك مش كلام وخلص
مافيش أصلا كلام يوصفك الإحساس
لقيت فيكي اللي ما لاقيتهوش في كل الناس
بحبك آه بحبك مش كلام يتقال
يا أجمل من رأيت عيني أدب وجمال
يا فرحة عمرها ما خطرтли يوم على بال
كلمات الأغنية أثرت في عصام فنظر لنيللي التي كانت
تبادلله النظرات وتخلى عن حذره وتحرك نحوها.
راقبته وهو يقترب ببطء لكن بخطوات ثابتة ونظراته
القوية تمارس عليها ذلك السحر، وللحظة تذكرت اللحظة
التي كان يقترب نحوها يقطع الشارع في المرة الأولى رآته
فيها كان مميزا حتى في هيئته بالبدلة التي بدت غريبة وقتها
وهو يترجل من ميكروباس.

كثير بسرح في حالي قبل ما أقابلك
في أيه ضيعت عمري كله من قبلك
دا يوم ما هواكي جاني

لقيت نفسي ومكاني

أتاريني جيت الدنيا عشان أحبك

وقف بجوارها بصمت كان يريد أن يفعل أكثر من الصمت
ومن الوقوف بجوارها يديه في جيبى بنطاله.. لكنه كالعادة
مكبل.. ففضا عناق العيون بصعوبة وأجبرا نفسيهما على
النظر أمامهما على ساحة الرقص؛ لكنهما فشلا في فصل عناق
القلوب كما فشل اختلافهما وشجاراتهما على فصل قلبيهما
عن بعض وقف بجوارها يتقبض في جيبه حتى لا يمسك
بيدها وربما فعل أكثر وأخذ يتابع أنس ومرام كما يفعل
الباقون.

استمرت مرام تتمايل أمام أنس مبتسمة وسعيدة باللحظة..
وبهذا الرجل الذي كان من نصيبها وكم كانت سعادتها تعني له
الكثير، فمحت إجهاد الفترة الماضية في تدبير نفقات الزفاف،
صحيح لم يتم تجديد الشقة بالكامل لكن ما تم فيها أفضل
كثيرا مما كان متوقعا في البداية، وبعدها خير مرام نظرا
للظروف المادية إما أن يقيم لها حفلا للزفاف.. أو أن يسافرا
لعدة أيام خارج العاصمة في إحدى المدن الساحلية فاخترت
الحفل كي يفرح الجميع.

نصيبي وقسمتي الحلوة ونور عيني

في بحر عيونك الحلوة تدوب عيني

أنا لو أجيبلك الدنيا على كفي

ولا يكفي غرامي وشوقي وحنيني

غلبته مشاعره ولم يستطع الصمود أمام قرنفلته المدهشة
فمال عليها يحضنها بقوة وسط هتاف الشباب إلا أخويها
الذين دارى أكبرهما امتعاضه خلف واجهة صامتة بينما
لوى الصغير شفثيه يمنع نفسه من التصرف بطفولية وتملك
صبياني ويفسد كل شيء.

أما زينة فأرسلت كل الصور التي صورتها بهاتف والدها
إلى رقمها على الواتساب كي تفتحها من التابلت، حينما تعود
للبيت وفكرة ما عزمت على تنفيذها سترسل صورة لها هي
ومرام بفساتين الزفاف إلى المجموعة الخاصة بالمدرسة
التي تضم مدرسات وبعض أولياء الأمور وعدد من صاحباتها
في الفصل على الواتساب وستكتب تحتها (هذه صورتي مع
أمي).

في نهاية الحفل وقف المصور يلتقط الصور لعائلة شلتوت
روح تجلس على الطاولة وبجوارها عارف، ويقف أنس بين
ابنته على يمينه تحضن باقة القرنفل وزوجته على يساره
التي أصر مراد أن تتأبط ذراعه هو الآخر مثلما تتأبط ذراع
أنس ووقف عصام على يسار مراد؛ لكنه تحرك قبل التقاط
الصورة وذهب إلى نيللي فسحبها من يدها متجاهلا كل
العيون المسلطة على العائلة وأوقفها بجواره وهو يمنع ذراعه
من الاستقرار خلف ظهرها.

التقطت الصورة صورة آل شلتوت تخلد لحظة من لحظات

أمام البناية التي يسكن فيها آل شلتوت وقفت العائلة
فسلمت نيللي على مرام وحضنتها ثم همست لها في أذنها:
«تشجعي ولا داعي للارتباك».

كان ذلك تعليقا على ما أسرت لها به مرام الليلة السابقة عن
شعورها بالخجل والارتباك كلما اقتربت ليلة زفافها وبالطبع
لم تسلم من سخرية وتهكم نيللي التي ذكرتها بتلك المرة
التي قبلها فيها في شقته، التي لم تستطع ألا تخبر نيللي
عنها ساعتها فقصت عليها ما حدث وهي مبهورة مقطوعة
الأنفاس.

قالت نيللي وهي تحضن يدي مرام بين يديها: «أتمنى لك
كل السعادة التي تستحقينها يا مرام».

لتقول الأخرى بعاطفة قوية: «وأنا أتمنى لك مثلها في
القريب العاجل جدا».

تقدم عصام ليبارك لأخته قبل أن يوصل نيللي للمنزل
فحضنها صامتا ولم يجد الكلمات التي تعبر عن شعوره سوى
كلمات قليلة فغمغمت مرام: «لا حرمني الله منك يا حبيبي».

حين أبعداها لمحت التماع الدموع في عينيه فقالت
بانتصار: «قلت لك ستبكي يوم زفافي ها أنت تبكي اشهدوا
يا ناس البرنس يبكي لفراقي».

ضربها على رأسها قائلاً بعد أن أجلى حنجرتة: «هذه دموع السعادة يا هبلأء لأننا سننتخلص منك».

قهقهت ثم تعلقت بذراع أنس الواقف إلى جوارها تقول: «القدر لم يعطك الفرصة كي تتخلص مني كما يجب يا مسكين فلا أحد يمكنه التخلص من مرام».

اقترب عصام من أنس وحضنه حضن أخوة ومحبة وصداقة وقرابة واعتزاز ولم يتبادلا الكلمات فكلاهما لم يكن بارعا في ذلك لكن المشاعر كانت متبادلة.

بعدها تركهم ليصعدوا مع العروسين وفتح هو لنيللي باب السيارة المؤجرة المزينة بالورود التي زُفت بها أخته، التي قادها هو بنفسه بالعروسين فدخلت نيللي وتحرك هو نحو مقعد القيادة وهو لا يزال مصدوما لأنها قد حضرت دون سيارة.

لقد تفاجأ بذلك عند خروجهم من الباكسة حين أخبرته أن سيارتها في الصيانة ولم يدر أنها قد ركنت السيارة الجديدة عند بيتها واستقلت سيارة أجرة في طريقها للحفل بعد أن قررت تأجيل إخباره بالحقيقة قليلا حتى تستقر أوضاعها.

حين علم بذلك تمنى أن تجلس هي بجواره في الطريق للبيت بعد أن أصرت زينة حشر نفسها بين مرام وأنس في المقعد الخلفي؛ لكن روح أصرت على الجلوس هي بجواره.. وفشلت محاولات ابنها عارف في إقناعها أن تتركب معه هو في سيارة أخرى يقودها أحد أصدقائه مما اضطر نيللي

لركوب سيارة أجرة مع مراد وباسم وأمه.

دخل عصام السيارة وربط حزام المقعد وهو يقول مؤنبا:
«ورغم أن سيارتك في الصيانة أصرّيت على أن تحضري
وحدك بسيارة أجرة».

عند باب شقة أنس كان مراد يحضن مرام للمرة المئة تقريبا،
بينما عارف يقول لحفيدته: «ألم تعديني أنك ستبيتين في
حضني الليلة يا زينة؟».

قالت الأخيرة برفض شديد: «في مرة قادمة يا جدي لكني
اليوم لا بد أن أبيت مع مرام».

كتمت أم بيسو الضحك ودفعت ابنها كي يصعد أمامها وهي
تقول: «ألف مبروك للعروسين بارك الله لهما».

هرش أنس خلف رأسه وقال لابنته: «اليوم جدك يريد
أنا تبّيتي معه فلا يصح أن تحزنيه.. كما أنك وعدتني أنك
ستتركين مرام كي تعتاد على الشقة بضعة أيام قبل أن
تشاركينها فيها».

تخصرت زينة تقول: «بصراحة أنا فكرت في كلامك
ووجدته غريبا ما علاقة اعتياد مرام على الشقة بأن نبدل أنا
وهي الأماكن لبضعة أيام».

حاولت مرام التماسك حتى لا تضحك بينما لوى مراد
شفّتيه فتنحّج عارف بحرج ونظر لأنس الذي ظل يتطلع في
ابنته لا يجد ردا.

هتفت روح بعبوس: «وكيف سيتزوجان وأنت موجودة؟!».

ربت عارف على ظهر أمه برفق كي تصمت وهو يتطلع لأعلى ولأسفل حرجا من أن يسمع الجيران صوتها العالي، بينما رفعت زينة رأسها لجدتها تقول: «لقد تزوجا يا جدتي ألا ترين فستان الزفاف».

قالت روح بإصرار: «لا لم يتزوجا بعض فلم...».

أسرع عارف بالقول بسرعة: «اصعدي يا أمي اصعدي مع مراد أنت تعبت اليوم.. ألم ترغب في دخول الحمام؟».

وحدج ابنه شذرا فاضطر الأخير لأن يساعدها على صعود باقي الدرجات وهي تقول: «آه والله نسيت»

حين صعدا حاول أنس أن يجد ردا مقنعا لابنته فقال: «اسمعي يا زينة.. من العادات أن يبقى العروسان وحدهما بضعة أيام قبل أن يشاركهما أحد».

تكتفت تقول مجادلة: «أنا لا أفهم هذا الكلام الذي تقوله (وتغضنت ملامحها قائلة بتأثر) ألا تريداني معكما».

رق قلبا مرام وأنس بينما قال عارف بلهجة تمثيلية بائسة: «هل ستتركييني بعد أن وعدتني بالمبيت معي أنا بائس وحزين».

تحركت مقلتاها فوق وجوه الكبار بحيرة وحزن حتى استقرت عند مرام التي أمسكت بذراع أنس باستنجاد ولم يكن هو أقل منها شفقة على ابنته التي نكست رأسها تقول

بلهجة حزينة انفطرت لها القلوب: «حاضر سأصعد معك يا جدي».

حاول أنس التماسك لكن مرام لم تعطه الفرصة وقالت لوالدها: «اتركها يا أبي بالله عليك (ونظرت لزوجها) أنس».

فنظر الأخير لعمه وأشار له باستسلام أن يتركها بينما لمعت عينا مراد بالمكر وهو يراقب المشهد من فوق واتسعت ابتسامته بسعادة بأن نجحت خطته في إقناع زينة بالمبيت معهما، قال أنس لابنته مشيرا على الباب المفتوح الذي تقف عنده مرام: «تفضلي يا ست زينة».

اتسعت ابتسامة الأخيرة وأسرعت نحو مرام التي مالت تحضنها فوقف يراقب المشهد بامتعاض بيدين متقبضتين غيظا في جيبى بنطاله ثم تبادل النظرات مع عمه الذي قاوم الضحك وهو يقول: «ألف مبروك يا عريس».

قال أنس ببؤس: «من الواضح أن التهنئة لم تخرج من قلوبكم صادقة يا عمي».

ضحك عارف وهو يتحرك صاعدا بينما قالت زينة: «لا تحزن يا جدي سأعوضك في يوم آخر لكني اليوم سأبيت في حضن أبي ومرام».

كتم أنس فم ابنته وقال: «ستفضحيننا» وتطلع لأعلى ثم دفعها لداخل الشقة بينما واصل عارف صعوده ضاحكا وهو يتمتم بالحمد والشكر لله.

دخل أنس وأغلق الباب ثم استدار يتطلع فيهما وهما مستمرتان في العناق وتبادل القبلات لتقول زينة بعدها بحماس وهي تسحبها من يدها: «ستنامين في غرفتي الليلة».

أسرع أنس بالقول معترضا: «نعم! وأنا».

قالت زينة: «أنت كبير وناضج يا أبي».

هتف بغیظ: «ولأني زفت كبير أحتاجها لأن تكون معي بالغرفة».

اتسعت عينا مرام بينما سألته زينة بعبوس: «لماذا؟!».

فتح فمه ليجيب لكنه لم يجد إجابة مناسبة بينما كتمت مرام الضحك فوقف يناظرها متخصرا ثم قال: «تضحكين يا ست مرام يعجبك ما يحدث لي!».

استمرت في الضحك يسيطر عليها الحرج بينما نكس أنس رأسه فجأة ورد على سؤال ابنته بمسكنة: «لأني أعاني كوابيس ليلية وأحتاج لمن يوقظني حين تهاجمني».

أمسكت مرام نفسها بصعوبة من الانفجار بالضحك، بينما ضيقت زينة عينيها تقول باندهاش: «هذه المرة الأولى أسمع بهذا الموضوع! لكن هل تزوجتها كي تنقذك من الكوابيس».

لم تستطع مرام التماسك وانفجرت ضاحكة بينما لملم أنس شفتيه كي لا يضحك وقال لمرام: «المفروض أن تتعاطفي مع حالتي الصعبة ست مرام لا أن تضحكي».

حاولت الأخيرة التماسك مرة أخرى وهي تغمغم مختلسة النظرات لزينة: «لديك حق أنا آسفة ألف لا بأس عليك».

عاد أنس لابنته يقول: «كما أن مرام هي الأخرى متعبة جدا بعد المجهود الذي بذلته في الحفل لديها صداعا شديدا وأخشى أن يتطور أثناء الليل لشيء أكبر لا قدر الله وستحتاج لمن يكون ساهرا بجوارها وأنت تنامين ولا تدرين بشيء حولك.. ألسنت متعبة يا مرام؟».

قالها بلهجة ذات مغزى فقالت الأخيرة: «ها! آه جدا جدا (وأمسكت برأسها) المطارق تضرب في رأسي لا بد أن أجد شيئا للصداع».

ناظرتها زينة قليلا ثم قالت بعد قليل: «لا بأس المهم أنك ستبيتين معنا اليوم مرامي».

قالت مرام مطمئنة: «نادني في أي وقت ستحتاجيني فيه».

تحرك أنس يقول بعدم صبر وهو يقود ابنته للداخل: «لن تحتاجك إن شاء الله إنها فتاة كبيرة وأنا سأبقى بجوارها حتى أتأكد من أنها قد نامت».

وغمز لمرام كي تسبقه للغرفة فقالت زينة: «انتظري يا أبي كي ألقى عليها تحية المساء».

تركته وذهبت لمرام تفتح ذراعيها فغمرتها الأخرى بحضن كبير وقبلات، بينما ضرب أنس كفا على كفا ووقف ممتعضا

حتى انتهيتا من عناق حار غير مبرر بالنسبة إليه ثم أوصل ابنته لغرفتها يقول: «بدلي ملابسك واغتسلي».

هتفت معترضة: «لا لن أغسل وجهي وأزيل زينته أبدا».

هتف قائلا باستنكار: «نعم! ألا يكفي أنك لطخت وجهك بهذه الأصباغ دون أخذ الإذن مني».

ناظرته بغضب فوبخ نفسه أن يجادلها في وقت كهذا وهو يريد أن تنام وبسرعة فطاقتة على الصبر قاربت على النفاد فقال لها مهادنا: «هيا بدلي ملابسك وأنا قادم كي أبقى معك حتى تنامي».

قالها وهو يغلق عليها الباب ويسرع إلى مرام التي دخلت غرفته غرفتهما.

تراقصت ابتسامة على وجهه وهو يطرق طريقة خفيفة على الباب ثم يفتحه بترقب فوجدها تقف أمام المرآة وقد تخلصت من حجابها وفردت شعرها وتحاول فتح سحاب الفستان فاستدارت إليه تناظره بخجل.

دخل يغلق الباب خلفه وقال وهو يفك ربطة عنقه ويخلع سترة البدلة: «هناك مثل شعبي يقول المنحوس سيظل منحوسا حتى لو علقوا فوق رأسه فانوسا».

ضحكت فقال محذرا: «لا تضحكي الآن قبل أن تنام لأنني لن أكون مسئولا عن تصرفاتي».

ساد الصمت فدقق فيها وهي تقف في وسط غرفة نومه

الجديدة في الشقة التي أعادت هي ترتيبها وفق ذوقها التي لم يدخلها إلا الآن بعد أسبوع ينام على الأريكة في بيت عمه؛ لكنه لم يعنيه أي شيء حوله إلا هذه القرنفلة التي تقف تشبك أصابعها وتطالعه بخجل.

سألها: «هل تريدان مساعدة؟».

هزت رأسها نافية.. فسألها بشك: «هل أنت متأكدة رأيته تنازعين في فتح السحاب».

أسبلت أهدابها ولم ترد فاقترب منها يقول: «أنا متخصص في فتح سحاب الفساتين».

ضحكت وغطت وجهها من الحرج خاصة حينما وقف خلفها وأبعد شعرها جانبا ثم فتح لها السحاب ببطء فتوقفت عن الضحك وانكمشت.

أما أنس الذي أوشك قلبه على الانفجار وهو يرى ظهرها العاري أمامه مال وطبع قبلة على مؤخرة رقبتها.

غمغمت بصوت هارب منها: «أنس ابنتك لا تزال مستيقظة».

لفت ذراعيها حولها وحضنها من الخلف ثم دفن وجهه في شعرها يهمس بحرارة: «يا إلهي! يا إلهي أنت هنا أنت حقيقة ولست هلوسة».

سمعا صوت حركة بالخارج فتركها على مضض وتحرك نحو الباب يقول بعد أن أجلى حنجرتة: «سأحاول أن أجعلها تنام سريعا (ثم ناظرها من عند الباب مضييفا بحسرة) كنت أود أن

أساعدك أنا في خلعه لكنها حظوظ».

أغلق الباب فوضعت مرام يدها على صدرها تهدئ من طرق قلبها الذي يوشك على أن ينفجر ثم أسرعت بتبديل ملابسها.

«بأي حق يا عصام؟ بأي حق لا أفهم؟!».

قالتها نيللي صارخة بعصبية لم يرها عليها من قبل بعدما تجددت الخلافات بينهما أثناء الطريق وبعدها توقفت بهما السيارة أمام البناية التي تسكن فيها.

رد عصام غاضبا: «ماذا تعنين بكلامك هذا؟!».

هتفت موضحة: «أعني بأي حق أنت غاضب؟! لأنني ذهبت لحفل عقد قران ابن عمي! وبأي حق كنت ترغب في أن تأتي لاصطحابي من أمام البناية التي تسكن فيها عروسه إن كنت أسمح لك بهذا في الأوقات العادية فكيف كنت تريد أن تفعلها وابن عمي موجودا هل تعتقدني سأقبل بذلك أم أنك تشعر أنني إلى هذا الحد مستهترة؟!».

امتقع وجهه بالغضب من اتهاماتها التي تصفه كشاب مستهتر فقال ساخرا: «صدقت من أكون بالنسبة إليك كي أفعل ذلك!«.

فقدت أعصابها أكثر فواجهته تقول بإصرار: «أجل من أنت يا عصام؟ ما توصيف علاقتنا؟!».

تناظرا لبرهة عيناها السوداوان المكحلتان تتأججان

بالغضب اللامع بالدموع وعيناه تنضحان بالألم وقد صفعته
بسؤالها ليرد بعد قليل بحشجة خافتة: «قلتِ ستصبرين
عليّ».

ندمت على ما تفوهت به في لحظة انفعال وآلمها جرحها
لكبريائه بالحديث على موضوع تعرف أنه حساس بالنسبة
له فقالت بلهجة جادة: «وهل تعتقد أنني أطلبك بشيء؟!
هل تتوقع بعد كل ما فعلته أنني قلت ما قلته كي أطلبك
بشيء؟».

ظل صامتا يحدق فيها بنظراته القوية التي يختلط فيها
الغضب مع الألم فأضافت نيللي: «أنا أتحدث عن أسلوبك
المتناقض معي، تفرض حصارا عليّ وفي المقابل أنت تخاف
من أن تعلن عن ارتباطنا».

هتف باستنكار: «أنا خائف! أنا يا نيللي!».

كانت غير قادرة على السيطرة على أعصابها بعد فصاحت
بتحدي: «أجل خائف على كبريائك، خائف من كلام الناس، من
أن يقولوا شابا وصوليا ويلهث وراء أموالها».

انفلتت أعصابه فصاح بجنون وهو يضرب على المقود: «أنا
لست خائفا من شيء أنا عصام عارف أنت من عليها أن تفهم
السبب الحقيقي لماذا أفعل ذلك».

غاضبة، مرهقة، محبطة، وجزء منها يعترف بعدم جدوى
ما يحدث بينهما كل هذا شعرت به فردت عليه بلهجة حادة:
«وأنا لا أريد أن أفهم وكلامي هذا ليس استعطافا لسيادتك،

أنت من فتح الحديث عما حدث بيننا من شجار اليوم ولست أنا».

فتحت الباب لتغادر فهاجم عليها يغلقه بعنف في الوقت نفسه ضغط على المتحكم لمنعها من إعادة فتحه فقالت غاضبة: «افتح الباب يا عصام».

قال بتحدٍ: «لن أفتحه ولن تغادري حتى تكمل الحديث».

صرخت في وجهه: «نحن لا نتحدث.. نحن نتبادل الاتهامات والصوت العالي وسنخسر بعضنا بهذا الشكل».

تطلعا في بعضهما لاهئين وكل منهما يعاني غليانا في أعصابه وصراعا داخليا لا يطفئه إلا عناق حار هذا ما كانا يحتجان إليه فترقرقت الدموع في عينيها وأشاحت بوجهها نحو النافذة تقول بإصرار: «افتح الباب من فضلك».

رؤية الدموع في عينيها أطفأت غضبه بسرعة ورققت قلبه فأمسك بيدها ومال برأسه يسند جبينه على عضدها قائلا بهمس حار: «أنا لست جباناً يا نيللي لن أنكر أنني حريص على هذا الجانب الذي يخص كبريائي لكنه ليس السبب فيما أفعل..السبب الأساسي أنني شديد الحرص عليك وعلى سمعتك..لو كنت أنظر لك كفتاة مستهترة كما اتهمتنى لم أكن أحرص على المسافة بيننا أمام الناس أنت من تقولين كلاما متناقضا أنا أخاف عليك أكثر من نفسي ولا أحب أن يتحدث الناس عنك وأغار عليك بشدة والله أغار والغيرة تمزقني خاصة وأنا غير قادر على الوجود معك طوال الوقت».

أغمضت عينيها متألّمة فأكمل عصام بالهمس نفسه: «ما صدر مني اليوم بشأن حضور عقد قران ابن عمك لديك كل الحق فيه أعمتني الغيرة وتصرفت بغباء وأعتذر».

كان لا يزال يسند بجبينه على عضدها ويحرك إبهامه على ظاهر كفها فغمغمت نيللي بخفوت دون أن تدير وجهها إليه: «أنا أيضا تصرفت بعصبية.. سامحني».

رفع رأسه وهمس قائلا وهو يتطلع في جانب وجهها من هذا القرب: «أنت رائعة في كل حالاتك.. وأعلم أنك تصبرين علي لكن أستحلفك بالله أن تصبري أكثر ولا تقرري الابتعاد».

قالها بتذلل فاجأها كاشفا جزءا مما يخفيه خلف كبريائه من مشاعر فادارت وجهها إليه ليتقابل وجهيهما، وقالت بحشجة وهي تتطلع في عينيهِ: «سأنتظرك حتى آخر العمر.. كن أكيدا من هذا فلا تشغل بالك بي.. استمر في طريقك ولا تجعل أي شيء يعطلك مهما كان».

أخذ أنفاسها العطرة إلى صدره وتلمس شفثيها بعينيهِ بنظرات مشتاقة ثم مال يرفع يدها إلى فمه ويمطرها بالقبلات فأحست أنه ليس متحكما في أعصابه كما اعتاد أن يكون معها فسحبت يدها بصعوبة وأشاحت بوجهها من جديد تقول: «افتح الباب ودعني أنزل من فضلك نحن متوقفان في السيارة منذ مدة أمام البناية وهذا لا يصح».

أدرك هو الآخر بحالته المنفلتة وغمغم باستسلام: «حاضر».

«تصبح على خير».

«وأنتِ في أمان الله».

قالها وتابعها حتى دخلت البناية وتمنى لو يقدر أن يصعد خلفها ثم شغل السيارة وتحرك.

أرسل لها بعد قليل يسألها: «وصلت الشقة؟».

كتبت «نعم».

كتب لها: «أحبك حتى آخر نفس في صدري أحبك أحبك.. أحبك يا نيللي».

تسلل أنس من غرفة نوم ابنته بعد أن تأكد تماما من أنها قد نامت وتحسر على الليلة التي لن يكون فيها على راحته تماما؛ لكنه عاد وشكر ربه ثم أسرع بشوق إلى الغرفة،

حين فتح الباب كانت مرام تقف بإسدال الصلاة فغمغم بسرعة: «نسيت أن أتوضأ سأعود بعد قليل» ثم عاد يغلق الباب.

ابتسمت مرام من ارتبائه الواضح وجلست على السرير تسيطر عليها مشاعر متناقضة.

حين عاد وقف في وسط الغرفة يتطلع فيها وهو يجفف وجهه وذراعيه بالمنشفة واحتارت أهو أوسم بالنظارة الطبية أم دونها كحاله الآن.

قال لها بحشجة: «دعينا نصلي بسرعة..لأنه غالبا لن أكون

مستولا عن أفعالي بعد لحظات».

بعد الصلاة أخذ يدعو الله وأخذت تتطلع فيه وشعور هائل بالأمان يغمرها رغم توترها فإحساس أن تكون مسئولة من رجل وليس أي رجل إنما أنس إحساس شديد الروعة، سحبها إليه وضمها إلى صدره ثم أخذ يدعو بدعاء الزواج فانكملت في حضنه بعدها أنزل أنظاره إليها يسألها هامسا: «لماذا ترتجفين؟».

كان خدها على صدره لكنها رفعت وجهها إليه ولم ترد، فتطلع في عينيها من هذا القرب ثم شدد من ذراعيه حولها وعانقها بقوة وهو يهمس: «يا الله.. ما زلت لا أصدق».

ثم أبعد رأسه وتطلع في عينيها المكحلتين من جديد ومال يلتهم شفتيها.

بعد قليل استقام واقفا وأوقفها يقول: «لماذا لا تنزعين عنك هذا الإسدال؟».

وقفت بارتباك ففتح لها السحاب الأمامي وأبعده عن كتفيها فوجدها ترتدي روبا أبيض شفافا جف حلقه عند رؤيته، فأسرع بمساعدتها في إنزال الإسدال عنها ووقف يتطلع فيها عن قرب ودقات قلبه تقفز حتى حنجرتة، كانت جميلة في عينيها إلى حد كاد أن يطير بسببها عقله وكانت متوترة إلى حد كبير، فمد يده يفتح زر قميصه مما جعلها تغطي وجهها بسرعة.

ضحك أنس وقال باستنكار: «أنا لم أفتح سوى زرا واحدا!».

قالها ثم أخذها إلى حضنه من جديد ورفع ذقنها يتأملها قبل أن يطبق على شفتيها..

حين أطلق سراح شفتيها همس: «أنت ترتجفين بقوة أعلمين.. أنا أيضا متوتر».

ابتسمت بخجل وهي تستشعر يده تتسلل تحت الروب وسألته: «مما أنت متوتر؟».

نجح في نزع الروب عنها وتطلع فيها بملء عينيه وقال بانبهار: «من هذا الجمال الذي قد لا يتحمله قلبي».

ثم دفن وجهه في عنقها يقبله فقالت بتلعثم وهي تستشعر وقع قبلاته ويديه على جسدها البكر: «زينة يا أنس أخشى أن تستيقظ زينة».

رفع وجهه قائلا وقد تحول جسده لجمرة نار: «لا تقلقي بعد أرهاق اليوم لن تشعر بشيء وأنا أغلقت الباب من الداخل (وفك أزرار قميصه مضيئا) أتريدين الصدق؟».

هزت رأسها تتطلع فيه بملء عينيه وهي تحاول التوازن أمام حضوره الرجولي الذي يزداد كل ثانية ليقول أنس: «أنا بالفعل متوتر لأن الوضع معي معقد جدا.. ليس فقط لأنك حلوة كقطعة من الجنة لكن لأنني أخشى على قلبي من التوقف ولأنني سأبذل مجهودا كي أسيطر على نفسي كي لا ألتهمك هل تفهمين ما أقصد؟ (وأضاف شارحا أكثر) أقصد أنني سبق لي الزواج وأنت لم يسبق لك فهناك اختلافا في

الخبرات هل تفهمين؟».

رمشت بعينيها عدة مرات ثم هزت رأسها نافية فضحك قائلاً وهو يميل ليلصق جبينه بجبينها: «ضيقي على هذا أن هذه البراءة تثير شهيتي أكثر فستزيد من تعقيد الأمور معي يا مرام».

قالت بتلقائية: «لا بأس اشرح لي عن الشيء المعقد وسنحله سوياً».

قال وهو يحضن وجهها: «بالطبع سأخبرك عن كل شيء بالتفصيل فهذا الأمر بالذات لن أستطيع حل عقده وحدي». وأطبق على شفتيها بقبلة وضع فيها كل مشاعره وأحلامه وأمنياته التي باتت أخيراً. مشروعة وقابلة للتنفيذ.

صباح اليوم التالي

وقف عصام في الاستوديو يطلع رميح على بعض النماذج الإعلانية التي صممها القسم فأشار له الأخير ببعض التعليمات.. ليتفاجأ عصام بمن يضع يده على كتفه، حين أدار وجهه وجد جودت عابدين فسلم عليه بحرارة قائلاً: «رأيت سعادتك مشغولاً مع المخرج فلم أرغب في مقاطعتك».

سأله جودت: «كيف حالك؟».

أجابه عصام: «بخير حمداً لله».

هز جودت رأسه شاردا فتنحنح عصام يقول: «سأذهب أنا». تحرك يغادر المكان فجاءه صوت جودت يقول: «انتظر خذني معك يا عصام».

توقف عند الباب وانتظره حتى أخبر رميح بعض التوجيهات ثم تحرك معه فأسرع عصام ليطلب مصعد البناية. في المصعد قال عصام: «أتمنى أن أكون عند حسن ظنك يا جودت بك».

رد الأخير ساخر: «المهم أن نكون نحن عند حسن ظنك عصام بك».

ابتسم الأخير بحرج وتعرق جسده يقول: «لن تنساها لي أليس كذلك؟».

هز جودت كتفيه ورد: «ولماذا أنساها وأنا أستطيع أن أذكرك بها لوقت طويل».

ضحك عصام محرجا ليسأله جودت: «كيف حال الحفل الدعائي الخاص بشركة نيللي شرف الدين أنت في الفريق أليس كذلك؟».

بلع عصام ريقه ثم قال: «تمام كل شيء تمام بكل تفاصيله وإن شاء الله سيكون حفلا ممتازا».

زفر جودت وتطلع أمامه يقول شاردا: «أتمنى ذلك فهي بحاجة ماسة لنجاح هذا الحفل».

قال عصام: «إن شاء الله ستمر أزمة الشركة على خير».
تكلم جودت: «هذه البنت ممتازة ما شاء الله عليها أي أب
كان سيفخر بها».

غلبته مشاعره فقال بتأكيد على ما قاله جودت: «إنها بالفعل
استثنائية».

تطلع فيه جودت يقول مضيقا عينيه: «نيلى أخبرتني أنكما
مقربان».

تنحج بحرج وهز رأسه بنعم فعاد جودت ينظر أمامه
مغمما: «عييها الوحيد أنها عنيدة بعض الشيء لم أصدق أبدا
ما فعلته.. باعت شقتها وسيارتها كي تسد جانبا من الديون
بدلا من أن تلجأ لي».

اتسعت عينا عصام وتطلع في وجه جودت في الوقت الذي
فتح فيه المصعد فخرج الأخير ليسرع عصام خلفه وهو
يجر جر قلبه بين قدميه مصدوما وسأله: «عفوا جودت بك..
ماذا قلت؟ باعت شقتها وسيارتها؟!».

عبس جودت وسأله: «ألم تكن تعرف! ألم تقل إنكما
مقربان!».

بلع عصام ريقه الجاف وقال مفسرا: «هذا صحيح لكنها لم
تخبرني أبدا».

غمغم جودت بضيق: «أنا تفاجأت بهذا الجنون ووبختها
عليه ورفضت أن تعيش وحدها في شقة مؤجرة فعرضت

عليها أن أشتري لها شقة لكنها أخبرتني أن ابن عمها سيشتري لها واحدة».

اشتعال الغيرة في عيني عصام لم يخطئه جودته فقال وهو ينهي الحديث: «ليكتب لها الله كل خير».

ظل عصام لبرهة يتطلع أمامه مصدوما يحاول الاستيعاب فقال جودت: «باشمهندس عصام هيا إلى مكتبك لقد انتهت فقرة ثرثرة الرجل العجوز».

تحرك الثاني بطريقة آلية حتى إنه لم يحييه فاستدار جودت يكمل طريقه وهو يفكر في نيللي لقد وبخها بشدة قبل عدة أيام لأنها تصرفت دون أن تخبره.. صحيح باعت الشقة التي تعيش فيها بمبلغ كبير حل جانبا من الأزمة وأنها لا تريد أن تزيد من ديون الشركة بالاقتراض منه أكثر مما اقترضت؛ لكنه لم يعجبه ما فعلت وتوقع أنها لن تخبر عصام إلا بعد أن تجد شقة ويستقر حالها فهو يعرف عزة نفسها واستقلاليتها وكان متأكدا من أن عصام يكن لها مشاعر خاصة؛ لكن هل سيستطيع عصام أن يفعل شيئا كي يجتمعا؟ فهو كأب لا يفضل لها أن تعيش بهذا الشكل وحدها لفترة أكبر عموما لو لم يتصرف ابن عمها في شقة لها كما أخبرته لا بد أن يتصرف هو أما عصام فالكرة أصبحت في ملعبه ويدعو الله ألا يتصرف بغباء.

بعد الظهر

صوت الزغاريد أيقظه من نوم عميق لم يحدث له منذ سنوات ففتح عينيه يحاول استيعاب أين هو ثم سمع أصواتا في الصالة، بحث عن مرام فلم يجدها في الغرفة فأسرع بارتداء ملابسه؛ لكنه تردد في الخروج حينما سمع صوت أم بيسو فقط ولم يسمع صوت أحد معها، حاول التنصت مجددا فلم يصله سوى صوت مرام تتحدث مع أم بيسو ففهم أن المرأة جاءت وحدها لهذا تخرج من الخروج وعاد للاستلقاء على السرير.

غاص بين الوسائد باسترخاء لم يختبره منذ وقت طويل وليكن صادقا لم يختبره قط بهذا الشكل الذي يشعر به الآن.. وشعور بالاكتمال لم يتصور أنه موجود من الأساس.. فأغمض عينيه وزارته كل أحداث الليلة الماضية بينه وبين مرام كل شيء يخصها جمالها جسدها المكتنز الجميل خجلها وبراءتها رائحة عطرها شعوره معها وخوفه من أن يؤذيها بمشاعره الملحة المحرومة كل شيء لقد نال قطعة من الجنة بعد طول شقاء مرام كانت جائزة صبره وما أروعها جائزة!

بعد قليل خرج من غرفته وتوجه نحو المطبخ فوقف على بابه يطالعها بعينين لامعتين ويتأمل تفاصيلها المغرية كانت ترتدي رداء طويلا من الحرير الأبيض بحمالات رفيعة تكشف عن ذراعيها الأبيضين المكتنزين ونحرها وأعلى صدرها بينما شعرها البني الذي لونت بعض خصلاته بالأصفر مسدلا يغطي ظهرها، استدارت تنظر إليه وهو يقف عاري الجذع عند باب المطبخ فتلونت بالخجل ليسألها بصوت رخيم: «هل جاءت

أم بيسو وحدها لم أسمع صوتا آخر معها فتخرجت من الخروج؟».

ردت بخجل: «أجل جاءت وحدها».

نظر نحو غرفة ابنته يسأل: «أين زينة؟».

«في الطابق السابع.. لقد اتصل بها أبي في الصباح ولا أعرف بما أخبرها فطلبت أن تصعد».

نغزه قلب الأب فسألها: «هل ضغط عليها للصعود؟».

أسرعت نافية: «لا لا كانت متحمسة جدا».

اقترب منها ببطء يسأل وعيناه تدققان في تفاصيلها المغربية: «وكيف حال العروس؟».

ناظرته بجانب عينيها ثم عادت لما تفعله وهي تقول بحرج: «بخير حمدا لله ماذا عن العريس؟».

غمغم بلهجة حارة: «العريس عاش ليلة لا تنسى ليلة أمس».

احمرت وجنتاها فاقترب منها يسألها: «ماذا تفعلين؟».

«أرتب الطعام الذي جاءت به أم بيسو بارك الله فيها تعبت في الطبخ».

حضنها من الخلف ودفن أنفه في شعرها يهمس: «مرام».

عادت إليها ذكرى مشاعر ليلة أمس بين أحضانها.. ليلة أن نضجت مشاعرها وأصبحت امرأة كاملة تذكرت كل شيء يخصه وكم أذهلتها قوة مشاعره تجاهها.. فلم تكن تعرف أنه

يخبئ خلف قناعه الجاد الساخر كل هذا القدر من الحنان لقد
غمرها بحنانه ومراعاته مختلطين بعنفوان رجولة عاصف
فكان مزيجا مذهلا أشعرها بأحاسيس جديدة عليها ورائعة،
همس بجوار أذنها: «هل أخبرك سرا؟».

لجمها الخجل وسمرها دفء جسده الملتصق بها فهزت
رأسها بالإيجاب ليسألها: «هل ستصدقيني؟».

أبعدت ذراعيه واستدارت إليه تقول بلهجة عاشقة: «أنا
دوما أصدقك فأنت أنس».

أبعد شعرها عن وجهها وحضنه بكفيه قائلا: «ليلة أمس
اكتشفت أنني لم أكن متزوجا من قبل ولم أشعر بكل هذه
المشاعر التي هزتني كالطوفان الهادر».

ارتج قلبها بقوة إن كل ما يصدر عنه منذ الليلة الماضية
يغمرها بالتأثر فشبت وأحاطت رقبتة بذراعيها وحضنته
فاتسعت ابتسامته وهو يحيطها بذراعيه يغمرها بحضن كبير
سعيدا بمبادرتها وغمغم من فوق كتفها: «يا رب العالمين!».

أخذ يقبل عنقها ثم رفع رأسه وتطلع في عينيها ثم قبل
شفتيها بلهفة فتشبعت به مرام قبل أن يطلق سراحها ويقول
بأنفاس ساخنة: «مرام هل تدركين أننا قد أصبحنا وحدنا
بالشقة؟».

هزت رأسها بالإيجاب فقال: «إذن تعالي نحل الأمور
المعقدة».

قالت بارتباك: «ألم نحلها قبل ساعات».

أجابها بجدية كادت أن تضحكها: «لا.. لا أنت لا تفهمين..أولا أنا لم أشرح لك تفاصيل المشكلة جيدا نظرا لحساسية الوضع ليلة أمس (وقبل شفتيها بقبلة طويلة ثم أضاف من بين لهاته الحار) كما أن هذا الأمر المعقد لن يكفي شرحه سنوات وسنوات يا مرامي».

قالها ومال يطبع قبلات ملتهبة على نحرها ويعود بها إلى الغرفة.

قبيل الغروب

لم تغادره الصدمة بعد وعقله يكاد ينفجر من التفكير منذ أن علم بما فعلت نيللي..

لماذا لم تخبره؟

منذ أن علم من جودت عابدين في الصباح وهو لم يتوقف عن التفكير وحين اتصل بمرام قبل قليل ليبارك لها ويطمئن عليها حاول أن يستشف بشكل غير مباشر إن كانت تعلم ما فعلته نيللي؛ لكن يبدو أنها لا تعرف شيئا هي الأخرى.

خرجت نيللي من البناية التي تقع فيها شركتها وبحثت بعينيها عن عصام الذي أخبرها أنه ينتظرها أسفل البناية لم يفعلها من قبل وعلى ما يبدو كلامهما ليلة أمس قد أثر فيه المشكلة أنها لم تخبره بعد بما فعلت وعليها الآن أن تخبره

بنصف الحقيقة.

وجدته على الناحية الأخرى من الشارع وراقبته وهو يقطعه حتى وصل إليها فقالت تداري ارتباكها» ما هذه المفاجأة؟».

قال بهدوء وهو يتأملها مشفقا عليها أن تواجه كل هذه المسؤوليات وحدها: «فهمت منك صباح اليوم أنك تنوين زيارة مرام بعد العمل لهذا قلت أمر عليك ونذهب سويا».

أجابت نيللي: «لكني سأمر على بعض المحلات أولا لأشتري الهدايا قبل ذهابي».

هز رأسه وقال بتفهم: «لا بأس سأكون معك (وأضاف بمشاكسة) إن لم يكن عندك مانع طبعا (وبحث حوله يقول بلهجة مأكرة) لماذا لم يحضر حارس العقار سيارتك كما يفعل كل يوم؟».

أجابت بارتباك: «عصام هناك ما لم أخبرك به حتى الآن».

«خير».

«لقد باعت السيارة وابتعت أخرى أصغر وأرخص».

سألها بهدوء: «والسبب؟».

تنهدت وردت: «السبب أن مبلغها سدّد بعض المستحقات المتأخرة».

هز رأسه وسألها: «وأين هي؟».

أشارت على واحدة مصطفى أمام المبنى فتغضنت ملامحه وأدرك أنها ليست جديدة وإنما مستعملة فهز رأسه يبلع مشاعره المستاءة ومد كفه لتضع فيه المفاتيح ثم سبقها إلى السيارة، حين جلست بجواره واستقر هو خلف عجلة القيادة سأله بعبوس: «لكن كيف عرفت أن حارس العقار كان أحيانا يضطر لركنها بعيدا عن المبنى بسبب الزحام وأنه يحضرها لي؟!».

غمغم وهو يشغل السيارة وينطلق: «علمت بذلك أيام التسول نيللي هانم وأنا أراقبك كشحاذ الغرام من بعيد».

عبست وقالت بصدمة: «ماذا قلت؟ عصام لم تخبرني بهذا الأمر من قبل هل كنت تأتي هنا لتراقبني وفي الوقت نفسه تمارس علي دور صاحب الكبرياء!».

قال بتهكم: «نعم.. متسول في الصباح وصاحب كبرياء آخر اليوم هكذا حالي معك نيللي هانم».

بعد ثلاثة أسابيع

كانت متوترة وكأنها المرة الأولى التي تخطط فيها لاحتفال أو حدث ما رغم كل ما نفذته في حياتها العملية ورغم أن ما أعدته اليوم لا يطلق عليه احتفالا أكثر منه جلسة عائلية دافئة حتى إنها ترددت هل تدعو طارق وخطيبته أم لا؛ لكنها شعرت أن الجلسة ستكون أكثر حميمية مع آل شلتوت دونهما ولا تريد أي توتر قد يحدث بين عصام وطارق فبال تأكيد

الأخير سيتحفظ على علاقتها بعصام وستكون مكبلة أمامه في التعامل معه لهذا تراجعت عن دعوتها وقررت أن تستضيفهما في وقت آخر، لقد وعدت عائلة عصام من قبل أن تضيفهم في بيتها ولم تجد فرصة أفضل من عيد ميلادها للتنفيذ؛ لكن الحقيقة التي لا تريد أن تعترف بها أنها أرادت أن تريحهم شقتها قبل أن تغادرها فهذه الشقة تحمل ذكريات كثيرة مع والدها ووالدتها أرادت أن يرى عصام هذه الشقة أرادت أن يلمس بيده المواضع التي لمسها والدها ووالدتها، وأن تتخيل أنهما لم يرحلا وأن عصام يزورهما من أجل طلب يدها للزواج؛ لكنها آمنيات صعبة التنفيذ فأهلها قد رحلوا وعصام أمامه وقت طويل حتى يستطيع أن يتقدم لها

زفرت تشجع نفسها وتأملت نفسها في المرأة ثم أسرع تغادر الغرفة وهي تقول لمربيبتها: «أنا سأفتح يا دادة».

ابتسمت الخالة راجية وهي تراها تهول كمراهقة متحمسة وأشفقت عليها فهي دوما تشعر بأن نيللي كبرت قبل أوانها، فتحت نيللي الباب فوجدت ذراعا ممدودا أمامها بباقة زهور قبل أن تسمع صوتا يقول دون أن تراه: «أنا مراد ولست عصام حتى لا تخطئ الفهم.. آآآاه».

ضربة أخذها مراد على ظهره من يد عصام بينما ضحكت نيللي وأخذت منه الباقة تقول: «رائعة».

فوقف مراد أمام الباب يقول بفخر: «من اختياري».

جاء صوت روح تقول بنزق: «هل ستظل تسد الباب هكذا!».

تحرك مراد خطوتين للداخل وهو يقول: «تفضلي يا جدتي تفضلي ادخلي اروي فضولك».

استقبلتها نيللي مرحبة فاتسعت ابتسامة روح وأخذت تتطلع في الشقة بحماس وفضول، بينما استقبلت نيللي الباقيين بترحيب وسمحت لهم بالدخول، عارف وأنس ومرام وزينة.. حتى جاء دور صاحب الكبرياء فوقفت أمامه تطالعه وكأنها تستقبل خطيبها.

رسمها عصام بعينه في تلك الملابس البسيطة والأنيقة ككل شيء فيها ثم قال: «باقة الورد هديتي أنا؛ لكنه يمارس سخافات كالعادة».

قالت بدلال أمام عينيه: «شكرا».

جاء صوت أنس الذي استقر هو ومرام على إحدى الأرائك في بهو الشقة الواسع: «لماذا لا يضع الناس كرسيين عند الباب أو خارجه؟ فقد أصبح ذلك مطلوبا هذه الأيام».

لكزته مرام موبخة بينما دخل عصام فأغلقت نيللي الباب ثم رحبت بهم جميعا وعرفتهم على الخالة راجية وطلبت منها أن تدخل الهدايا التي جلبوها معهم للداخل فقالت روح: «قلت لكم لن تطبخ بنفسها مربيتها التي ستطبخ هي آخرها صنع أطباق السلطة».

ردت راجية ببعض الحمائية: «لَمْ هذا الكلام يا حاجة.. الست نيللي ما شاء الله عليها في كل شيء».

بينما ضحكت نيللي وقالت لروح: «يبدو أنك لن تتنازلي عن التصور الذي في رأسك أبدا».

بعد قليل كانت نيللي ترتب المائدة ومرام تساعدتها، بينما الخالة راجية تحضر المزيد من الأطباق من المطبخ.. وكان عصام يقف شاردا أمام بعض الصور الصغيرة المرصوفة فوق إحدى الطاولات الجانبية، صور لنيللي في أعمار مختلفة وصورة تجمعها مع والديها، من لطف الله عليه أن رأى هذه الشقة بعد أن علم أنها قد باعها فبالتأكيد كان سيصاب بنوبة إحباط قد تودي بحياته؛ لكنه في الوقت نفسه يشعر بالحسرة أن تبيعها ليس لقيمتها المادية؛ لكن لقيمتها المعنوية بما تحمله من ذكريات عند نيللي، اختلس النظرات نحوها وزادت شفقتة عليها واحترامه لها ولشجاعتها وقوتها النفسية.

قالت روح بإعجاب: «الشقة ما شاء الله يا (نيللي) لماذا تركتها وجئت لتعيشي عندنا في بيتنا؟!».

قالت نيللي بابتسامة: «لأنني أخاف البقاء وحدي حينما أكون مريضة ودادة راجية كانت تزوج ابنتها.. عموما أنا أستضيفتكم اليوم كي تروا الشقة التي عشت فيها أغلب عمري قبل أن أبيعها».

قالت العبارة الأخيرة وهي تختلس النظر نحو عصام الذي ناظرها بنظرة غامضة بينما قالت مرام عابسة: «تبيعينها؟! لماذا؟».

ردت بلهجة حاولت أن تكون عملية بعيدة عن العاطفة التي

تسيطر عليها: «سأبيعها لأنها ستغطي جانباً من ديون الشركة وسأشتري شقة أصغر بإذن الله».

رمقها عصام صامتا ولم يعقب إنما عاد ليتأمل الصور أمامه وهو يشعر بما تمر به من لحظات صعبة بينما قال أنس: «كتب الله لك ما فيه الخير».

تنهد مراد يقول وهو يتطلع حوله بانبهار: «بصراحة خسارة كبيرة أن تضطري لبيعها (ونظر لإحدى اللوحات المعلقة على الحائط وقال) هل من الممكن أن ألتقط صورة مع هذه اللوحة الجدارية؟ أنا لا أعرف ماذا تعني وما قيمتها لكنني أشعر أنها قيّمة لهذا سأصور بجوارها وأنشر صوري على مواقع التواصل».

ضحكت نيللي خاصة وهي تراقبه يلتقط صوراً لنفسه مع اللوحة فتدخلت زينة تقول: «ما رأيك أن أصورك أنا؟».

ناظرها مراد بقرف لتقول مراد: «زينة تصور صوراً جميلة جربها».

هز مراد رأسه برفض فحدجته مراد بنظرة توبيخ ثم قالت لزينة: «صورينا كلنا زوز».

فاكدت نيللي: «أجل صورينا كلنا لتبقى ذكرى هذه الزيارة معنا للأبد».

بعد قليل اقتربت من عصام الذي لا يزال شارداً أمام الصور ثم سألته: «لماذا تحقق في هذه الصور كل هذا الوقت؟».

تنهد بطريقة مسرحية وقال: «أحاول أن أقنع نفسي أن الجمال ليس كل شيء».

ناظرته بغيظ ولكمته في ذراعه فحدجها بنظرة جانبية وقال بحاجب مرفوع: «يدك استطالت على البرنس يا نيللي». قالت وهي تبعده: «ابتعد عن صوري.. ابتعد».

خشب جسده فصعب عليها مهمة دفعه فاستسلمت وتركته ليتحنح عصام ويسألها بجدية مفاجئة: «هل أستطيع أن أستخدم هذه الشاشة؟ أريد أن أريك شيئاً عليها».

هزت رأسها موافقة بينما نظرت مرام لوالدها ولأنس تخفي ابتسامة ماكرة ليقول مراد مناكفا: «آه الشاشة.. لقد حان وقت العرض إذن».

حدجه عارف بنظرة ناهرة فوضع يده على فمه بعد أن قال: «مراد صامت.. مراد لن يفسد المفاجأة».

استغفرت مرام ربها بغيظ من أخيها الصغير بينما رفع أنس إليه رأسه يقول: «صدقني ليس عصام وحده من سيلقي بك من الشرفة أنا أيضا سأساعده في ذلك إن لم تخرس».

تنحنح مراد ورد بسماجة: «لا بأس الجو جميل بالخارج والله».

كان عصام متوترا فاللحظة لم تكن عادية بالنسبة له لحظة يعد لها منذ ذلك اليوم الذي قرر فيه أن يتخذ خطوة جادة نحوها، وضع (فلاشة) في الشاشة وقال لنيللي: «هذا فيلم

رسوم متحركة قصير صممه أريد أن أخذ رأيك فيه».

ابتسمت وقالت بسعادة: «أنا أكيدة أنه سيكون رائعاً».

وقف بجوار الشاشة يتطلع فيها وهي تقف في منتصف الصالة مكتفة تشاهد الشاشة بتركيز، بينما الباقون جالسون خلفها عدا مراد الواقف بجوار الأريكة التي يجلس عليها أنس ومرام وبدأ الفيلم بصوت عصام يعلق على الأحداث والشخصيات التي تتحرك على الشاشة، التي أظهرت أولاً صورة فتاة مرسومة لها شعر أسود طويل حتى قدميها عيناها لامعتان سوداوان وترتدي زي محاربة من العصور القديمة.

(كان يا مكان كانت هناك أميرة تدعى وجه السعد).

رفعت إليه نيللي أنظارها متفاجئة ثم عادت تتطلع في الشاشة التي تتحرك فيها الأحداث لتصف كل كلمة يقولها صوت عصام المسجل.

(الأميرة وجه السعد كانت تحكم مدينة كبيرة بعد وفاة والدها وفي يوم من الأيام تعرضت المدينة لهجوم من عم الأميرة الذي كان يرغب في أن يستولي على الحكم بدلا منها وحين علمت وجه السعد بذلك خرجت لملاقاة عمها وجيشه قبل أن يقترب من المدينة.. بعد معركة دامية هُزم فيها جيشها استطاعت وجه السعد أن تفر هاربة إلى الغابة وهناك وقعت في فخ منصوب في الأرض).

تطلعت نيللي حولها فوجدت مراد يسجل ما يحدث بهاتفه

فاندهشت ولم تفهم لكنها أسرعت لاستكمال المشاهدة حتى لا يفوتها شيء.

(في الوقت نفسه كان هناك شاب بسيط الحال يدعى البرنس).

تمتم أنس عند هذه النقطة قائلاً وهو يرى الشاب المقصود طويلاً منفوخ العضلات: «الشعر الطويل الذي تجره الأميرة خلفها ومررناه.. لكن يا أخي هذه العضلات لا تطابق الحقيقة مطلقاً».

ابتسم عصام وتبادل النظرات مع نيللي بينما غمغمت مرام: «أنس هذا خيال».

جادلها قائلاً: «هذا غش وتزييف للحقائق وليس خيالا».

ظل عصام ونيللي منتبهان للشاشة التي عرضت الشاب ينزل من ميكروباس فقال مراد باستنكار: «ميكروباس في الغابة! وفي العصور القديمة!».

فرد عليه أنس يشاركه التهكم: «أجل يوصل بين الغابة والعاصمة».

قال عارف بتوبيخ: «أخرسا».

فغمغم أنس وهو يكتم الضحك: «أمرك يا عمي».

استمر التعليق الصوتي لعصام يقول معلقاً على الأحداث التي تتحرك أمامهم (وجد البرنس وجه السعد في الفخ فأنقذها).

ركزت مرام في الشاب الذي سحب الأميرة وأخرجها من الفخ محمولة على ذراعيه ثم هتفت معترضة «أنا أحتج.. البرنس كانت معه أخته في هذه اللحظة».

ضحك أنس يقول: «ألم يكن خيالا قبل قليل».

ضحكت مرام بينما واصل التعليق الصوتي (أراحها البرنس تحت شجرة ثم وجدها مريضة وتعاني الحمى).

قال مراد هامسا: «ما علاقة الوقوع بالفخ بالحمى».

همس أنس ساخرا: «ماذا تعرف أنت عن الفخاخ العاطفية إن بها فيروسات تذهب العقل أسألني أنا».

قالها وهو ينظر لمرام بنظرة خاصة احمرت لها وجنتاها.

(بقي البرنس بجوار الأميرة عدة أيام حتى استفاقت من الحمى وفتحت عينيها فرأته وسيما رائعا).

تطلعت نيللي في وجهه فناظرها بنظرة محرجة مبتسما فعادت للشاشة بينما هتف أنس: «أنا اعترض على الجملة الأخيرة هذا كذب وتدليس».

هتف روح بعصبية: «أخرس يا سالم أريد أن أسمع».

بلع أنس لسانه واستمر العرض (عندما استعادت وجه السعد عافيتها أصرت على أن تعود لمدينتها لتدافع عنها.. فقام البرنس بتوصيلها بالميكروباص حتى باب المدينة وبعد توديعها وقف البرنس يبكي)

«يا قلب أمك!» قالتها روح بتأثر شديد وهي تتطلع في الشاب الذي سقط على ركبتيه ودفن وجهه في كفيه وأخذ يبكي، بينما كتم مراد وأنس الضحك بصعوبة بعد أن قال الأخير: «عاطفي جدا هذا البرنس».

قالت روح لعصام: «إياك ألا تجمع بين الشاب المسكين والأميرة يا عصومي سأخاصمك للأبد».

ابتسم عصام وتطلع في نيللي التي ناظرته بعينين دامعتين وعادت للشاشة.

(بعدها هام البرنس على وجهه في الغابة أياما وليال لكنه لم يستطع أن ينسى وجه السعد فقرر أن يعمل بجد كي يجمع المال ثم يذهب ليطلب يدها

لكن بعد بعض الوقت لم يستطع تحمل فراقها فقرر أن يذهب إليها كي يطلب يدها فورا.)

اتسعت عينا نيللي وناظرته بمفاجأة ثم عادت تتابع الشاشة (انتظرها البرنس خارج أسوار مدينتها التي استعادتها بكل شجاعة من يد عمها الظالم فتفاجأت وجه السعد بوجوده وسألته: كيف حالك يا برنس؟ فنزل البرنس على ركبة واحدة أمامها).

انهمرت الدموع من عيني نيللي وهي ترى الشاب يجلس أمام الفتاة على ركبة واحدة (قال البرنس للأميرة: أنا ما زلت أكافح كي أكون جديرا بك لكني غير قادر على هذا الفراق لو وافقت على الزواج مني سأنحت الصخر من أجلك كي أجمع

المال الذي يجعلك سعيدة أنا أعرف يا وجه السعد أني أطلب شيئاً كبيراً وأن مقامك كبير؛ لكنني متأكد أن قلبك أكبر وكرمك أكبر وأكبر.. فهلا أشفقت على حال مسكين مثلي ووافقت على الزواج منه؟).

توقف العرض على الشاشة ووقفت نيللي تتطلع في عصام في عناق عيون متبادل في صمت صاخب المعاني والمشاعر.. فहतفت روح باستنكار: «أين البقية ماذا حدث لوجه السعد والبرنس؟».

سألت زينة والدها: «هل وافقت الأميرة يا أبي؟».

قال أنس وهو يتطلع في عصام ونيللي المتسمرين مكانهما: «حالا سنعرف يا حبيبتي».

كانت نيللي ترتجف من المفاجأة بينما عصام متوتر بشدة وقلبه يدق بعنف إن ما يفعله الآن بتسريع الزواج بينهما وما ظل يخطط له ويعد له العدة والحسابات منذ أن علم بما فعلت سيلقي به في النار التي لن تتركه في حاله لوقت طويل سيلقي بنفسه عرضة لألسنة الناس قربانا لها فأغلبهم لن يكفوا عن إرجاع كل نجاح سيحققه لمساعدة زوجته كمديرة شركة كان يود أن يثبت أقدامه أولا ويحقق كيانه بعيدا عنها قبل أن يرتبط بها؛ لكنه وبعد الذي حدث لها لن يحتمل أبدا أن تبقى وحدها بعد الآن لهذا كان لا بد أن يضحى بكبريائه من أجلها سيتعلم أن يتجاهل الهمز واللمز حوله وسيتعلم أن يتجاهل أي شخص سيحاول أن يقلل من

مجهوده ونجاحاته من أجلها سيتعلم تجاهل الناس.

اقترب منها بخطوات واثقة وعيناه تمارسان عليها ذاك السحر الذي يأسرها به وأخرج علبة مخملية من جيبه يقول «هذا المحبس لا يليق بمقامك؛ لكني طامع في قلبك الكبير وكرمك الأكبر فهلا وافقت يا نيللي شرف الدين الشهيرة بوجه السعد على الزواج من عصام عارف الشهير بالبرنس؟».

ساد الصمت ما بين الترقب والذهول والفرح ثم قالت نيللي من بين دموعها بحشجة: «هذه أجمل هدية عيد ميلاد جاءتني في حياتي طبعاً أوافق جداً».

صاحت مرام تهلل بسعادة وصفقت زينة بينما ظل الباكون يتابعون المشهد وأنس ومراد مصران على إلقاء النكات لكن عصام ونيللي كانا في عالم آخر.

أخرج عصام المحبس ووضعه في بنصرها الأيمن ومال يطبع قبلة على يدها فانهمرت دموع نيللي.

بينما تطلع أنس في مرام المتأثرة وقال لها ساخراً من نفسه: «أنا أكثر منه رومانسية».

ناظرته بذلك البريق الذي يومض في عينيها حينما تتلاقى مع عينيها ثم حضنت ذراعه تهمس «بالطبع فأنت أنس.. أنس وكفى».

دغدغت قلبه بما قالت فلف ذراعه خلف ظهرها وسحبها يضمها إليه قائلاً: «مرام وكفى».

بعد الطعام انتحت نيللي بعصام جانبا في جلسة جانبية وقالت: «لنترك العواطف جانبا ونتحدث بطريقة عملية، عن أي زواج نتحدث خلال أشهر؟! أنا تصورت أنك تطلب خطبة طويلة».

قال بلهجة حارة: «أنا لن أحتمل كثيرا يا نيللي ولو في امكاني أن أتزوجك الآن وفورا لفعلتها».

سألته: «من أين سندبر مصاريف الزواج؟».

اعتدل في جلسته ومال بجذعه للأمام يستند بمرفقيه على فخذه وقال بجدية: «اسمعي أنا فكرت وخططت لكل شيء الشقة الإيجار التي تنوين أن تسكني فيها».

وصمت يراقب ردة فعلها فتطلعت فيه بصدمة جعلته يقول: «أنا أعرف كل شيء كل ما أخفيته عني».

بلعت ريقها وسألته: «ماذا تعرف ومن أخبرك؟».

«أعرف أنك بعت هذه الشقة والسيارة لتسديد بعض الديون وأنت لن تشتري شقة أصغر كما ادعيت لكنك ستؤجرين شقة وهذا لن أقبل به أبدا (وأضاف بلهجة شرسة) إلا إذا قررت القبول بالشقة التي عرضها أو سيعرضها عليك ابن عمك».

اتسعت عيناها تقول: «وهذا أيضا تعرفه!».

جز على أسنانه وقال بلهجة قاطعة: «انسي أمر شقة ابن عمك هذه تماما الشقة أنا من سيؤجرها شقة لنتزوج فيها لقد قدمت على سلفة من العمل والحمد لله قد قبل الطلب،

وقدمت على قرض من أحد البنوك بضمان وظيفتي وانتظر الموافقة عليه كل هذا كي نؤسس شقة بسيطة».

قالت له مصدومة: «قرض وسلفة، أنت كنت ترفض هذا الموضوع، حتى المشروع الخاص بالمواقع الإلكترونية الذي بدأته مع أصحابك دخلته بمجهودك الشخصي مقابل مشاركتهم المادية وقبلت بحصة أقل في الأرباح لأنك ترفض الدين والقروض».

قال بلهجة صادقة وهو يرسم وجهها بعينيه: «هناك مواقف تجبرنا على أن نغير آرائنا في بعض الأمور».

طالعتة بتأثر ثم استحضرت شخصيتها العملية تقول: «ما فعلته أثر في بشدة لكن أنا لست صغيرة كي تخاف علي بهذا الشكل».

قال بلهجة صادقة: «أنت بمئة رجل هذا أنا أكيد منه؛ لكني أريد أن أكون مسئولاً عنك أريد أن أشاركك مسئولياتك».

«وماذا عن الناس الذين سيقولون تزوجها من أجل المال كما كنت دوما تقول؟ أنت تعرف أنه لا أحد يعلم بتغير ظروفنا فما زلت أدير الشركة».

همس بلهجة حارة بما هو مؤمن به: «من أجلك سأتحمل أي شيء».

«لكن قد تستمر هذه النظرة للأبد».

كررها بتأكيد: «من أجلك سأتحمل أي شيء».

قوست شفتيها تقول بتأثر: «أنت تفعل هذا شفقة بي أليس كذلك».

«بل شفقة بي أنا والله العظيم».

«عصام أخاف من كبرياءك أن يؤذينا».

«خوفي عليك وعلى قلبي سيردعه».

«عصام».

«وجه السعد».

بعد عدة أشهر

ما غرس يحصد ولو بعد حين.. والسعي لا يعني بالضرورة أن نصل إلى ما كنا نسعى إليه من البداية؛ لكنه بالتأكيد سيوصلنا لمكان يُستحق، السعي مفتاح الفرج وبعض الأمنيات تتساقط أحيانا في رحلة العمر أو تجدد أوراقها كل ربيع.

وقف عارف بترقب في ساحة إحدى دور المناسبات التابعة لأحد المساجد ينتظر وصول العروس مثله مثل الباقيين وتطلع براحة في وجوه أفراد عائلته العريس.. ابنه الكبير عصام يقف خارج القاعة متوترا ينتظر وصول نيللي ومراد يتابع مع باسم أخبار الحلقات الجديدة على الإنترنت

التي يكتبها باسم ويقوم ببطولتها مراد وعدد من زملائهما ويشاركهم في الحلقات شخصية كرتونية من تصميم عصام، بينما العمل كله تحت إشراف وتوجيهات من أنس فيما يخص المحتوى العلمي المبسط الذي يتم تقديمه.

ضحكات عالية أطلقها مراد وانقلب وجهه باسم لسبب ما جعل الأول يشاكسه محاولا دغدغته مما جعل الأمر يتطور لعراك مازح بالأيدي بينهما لقد تقاربا أكثر الفترة الماضية ويبدو أن اختلافهما في المسار التعليمي لن يؤثر على علاقتهما، فباسم قد حصل على مجموع عال أهله للالتحاق بكلية الطب أما مراد فحصل على مجموع جيد واختار كلية التجارة ولن ينسى عارف فرحته حينما ظهرت نتيجة مراد لقد قطع شوطا كبيرا معه لرأب الصدع بينهما ونجح في إحراز تقدم ملموس ولا يزال يسعى للمزيد في علاقتهما.

أما أنس الواقف أمامه في الساحة يستمع بتركيز لعرثرة ابنته الصغيرة ذات الفستان القرنفلي المنفوش فقد حصل على درجة الدكتوراه وذاع صيته في الحي والأحياء المجاورة كمدرس للكيمياء والطلب عليه قد زاد بشكل كبير للعام الدراسي الجديد حتى إنه أجر غرفة أرضية أكثر اتساعا من السابقة وجعلها بشكل مريح للطلبة.

وابتسم وهو يتطلع في زينة التي تصور كل شيء حولها لقد أصبحت مولعة بالتصوير وأفردت وقتا طويلا لتصوير النباتات في حديقته.

أما هو فعاد يعمل من جديد يعمل في نفس مكان العم أمين بائعا للكتب بعد أن استطاع إقناع أولاد المرحوم ألا يفرطوا في الكتب القيمة التي يحتويها الدكان وبعد أن عرض عليهم إيجارا ثابتا وجدوا أنه سيكون مربحا أكثر من أن يتم استخدامه كمخزن نظرا لصغر مساحته، وفي المقابل قرر عارف بعدما جدد الدكان من الداخل وساعده عصام في عمل بعض الديكورات بسيطة التكلفة، التي جددت من مظهره قرر أن يضم جانبا من الكتب والروايات الحديثة وبعض الهدايا البسيطة بجانب الكتب القديمة القيمة التي أبقاها للاستعارة بل إنه استعان بمراد لتدشين صفحة على مواقع التواصل لعرض الكتب القديمة لمن يرغب في استعارتها فوصلت أخبار هذا الدكان الصغير الذي لا يزال يحمل الاسم القديم نفسه (الكتب خانة) إلى عدد أكبر من المهتمين بالكتب، لقد تغيرت حياته كثيرا بعد هذا القرار الذي اتخذه فعمله في بيع وتبادل الكتب حقق له شغفه.

جاءه صوت والدته من الداخل تتبرم من شيء ما فأسرع بدخول القاعة يقول: «ما بك يا أمي؟».

قالت بعبوس: «أين العروس تعبت من الجلوس».

تكلم عارف موضحا: «يا حاجة لقد وصلنا من نصف ساعة فقط والعروس في الطريق».

غمغمت بتذمر: «ألا يكفي أنه عقد قران دون احتفال كبير عصومي يستحق أفضل من هذا ولا أفهم لماذا يصر على

الزواج من تلك الفتاة التي لا تتقن سوى عمل السلطة!».

تنهد عارف قائلا: «يا أمي تكاليف حفل الزواج مسئولية العريس وليست العروس، يكفي أنها قد وافقت بظروف حفيدك حتى إنها اكتفت بعقد القران هنا في المسجد بدون حفل زواج كبير».

أشاحت روح بيدها مغممة: «وهل كانت ستجد شابا مثل عصومي تحمد ربها أنه قد قبل بها».

في الخارج كان عصام متحمسا قلعا متوترا وقد نفذ صبره.. فدقائق تفصله عن تحقيق حلم من أحلامه بل أهم أحلامه.. حلم الارتباط بنيللي حلم زاره فجأة وفي غفلة من الزمن فغير حياته من أجل الوصول إليه، فأصبحت نيللي المكسب والمقصد والمنتهى وعشقه لها هو الوقود الذي يحثه على المواصلة على السعي الجاد على حفر الصخر وسط عالم شرس.

اقترب أحد أصدقائه من الحاضرين من الشركة يقول مازحا: «أين العروس يا عريسنا هل غيرت رأيها وهربت».

ابتسم له عصام ولم يرد فهو يعرف ما يدور خلف ظهره جيدا منذ أن تم إعلان الخطبة؛ لكنه وعد نفسه رغم شعوره بالغيظ والغضب أن يتجاهل ما يسمعه.

اقترب صوت بوق سيارة منغم على الإيقاع قبل أن يتوقف أمام قاعة المناسبات الملحقة بالمسجد عدد من السيارات واحدة نزل منها جودت عابدين ورميح فسلم عليهما عصام

بحرارة وعرفهما على أنس وعارف الذين انضما إليه للترحيب بالقادمين، ثم وصلت سيارة العروس ومعها مرام التي تصاحبها منذ الصباح التي ترجلت من السيارة التي يقودها طارق ابن عم نيللي وترجلت أيضا نهلة والخالة راجية التي حرصت على الحضور وعلى أن تكون مع نيللي في آخر ليلة لهما معا قبل أن تعود لبلدتها؛ لكنها ورغم اضطرار نيللي للاستغناء عنها أصرت على أن تزورها مستقبلا مرتين بالشهر لتعاونها في شقتها الجديدة فلم تجد نيللي بدا من الموافقة.

سلم عصام على طارق ثم اقترب من أخته التي تقف عند باب السيارة المفتوح في انتظار أن تخرج العروس ومال يتطلع في نيللي بقلب يكاد يحطم صدره ويخرج لاستقبالها معه.

لقد كان هذا حلم نيللي منذ أن كانت صغيرة وتشاهد الأفلام الأجنبية أن تحضر مع أهلها في سيارة ويستقبلها العريس أمام مقر عقد القران ولهذا نفذ لها عصام طلبها وها هو يستقبلها، بلع ريقه الذي جف ومد يده لها كي يساعدها على الخروج فتطلعت نيللي في وجهه وفي يده الممدودة لها وفي مرام التي تقف بجواره تستعد لمساعدتها وتذكرت حينما كان الاثنان يمدان لها يدا في وقت كانت هي في أمس الحاجة إليها.

وضعت كفها وقلبها في كفه فقبض عليهما بحزم رقيق وخرجت من السيارة تساعدها مرام في تسوية فستانها الذي لم يكن منفوشا بل ينزل انسيابيا هادئا وأنيقا.

تأملها بنظراته القوية التي تخضعها لسحره وتطلع في ملامحها الرقيقة وعيناها المكحلتان اللتان ازدادت سوادا ولمعانا.. ثم اقترب وقبل جبينها وسط الزغاريد العالية.

في داخل القاعة بعد قليل تركت مرام العروس التي جلست على مقعد مزين في الواجهة تمسك بباقة قرنفل صنعت خصيصا لها من شرفة حميها واقتربت من أنس الذي قال: «لم نتفق على هذا».

ناظرته بتساؤل فأضاف: «لم نتفق على أن تكوني بهذا الجمال».

احمرت وجنتاها الجميلتان وهي تهديه ابتسامة مشرقة فتأمل أنس فستانها الرقيق الذي يبرز اكتناز جسدها باحتشام وقال بمغازلة: «أنا رجل غيور ولا أحب أن ينظر أحد لما يخصني».

قالت له ضاحكة: «الفستان محتشم».

رد معترفا: «لا أنكر ذلك لكنه يجعلك جميلة ويعقد المشاعر عندي وبهذا الشكل وبعد افتقارك الأيام الماضية وأنت مشغولة مع نيللي اعلمي أن التعقيد زاد عندي وسنبذل مجهودا أكبر لفك اشتباكاته»

أخفت ضحكة محرجة خلف يدها التي غطت بها فمها وناظرته بملء عينيها بتلك النظرة التي تشعره أنه أهم رجل على الكوكب ثم قالت معترفة: «وأنا أيضا افتقدتك الأيام

الماضية».

قال المأذون: «أين شاهد العريس؟».

حدجه عصام الذي بدا متوترا جدا يريد أن يتعجل الإجراءات فأسرع أنس بالعودة لطاولة المأذون كي يوقع على العقد، بينما وقع جودت كشاهد من جانب العروس،

بعد قليل كان عصام يمسك بيد طارق تحت منديل كُتب عليه بالخيط (البرنس & وجه السعد) وكلاهما عصام وطارق يحاول أن يتقبل الآخر في حياة نيلى، لقد أصرت على أن يطلبها عصام من ابن عمها بعد أن رفض عمها مقابلته من الأساس وبعد أن مارس طارق عليه ضغوطا كي لا يتدخل في هذا الموضوع بأي شكل يسئ لها، وبعد أن مارس جودت هو الآخر ضغوطه من جانبه على مهدي كما فعل قبلها، حين قررت نيلى إعدام الأدوية حذره جودت من التعرض لها في مقابل ألا يمارس عليه بعض الضغوط الاقتصادية مستغلا علاقاته ببعض الجهات المهمة في الدولة وبهذا حوَصر مهدي وأحس أنه يلعب لعبة أكبر منه ومن إمكانياته فلم يجد بدا من الاستسلام على مضض.

أما طارق فرغم تقديره لعصام كشخصية كان يتمنى لابنة عمه زوج أفضل ماديا خاصة مع ظروفها الحالية وهي ترفض بشدة تلقي أي مساعدة شخصية منه هذا بالإضافة، لأنه لم ينس بعد أن ذلك العصام قد نجح فيما فشل فيه هو من امتلاك قلب ابنة عمه صحيح هو ممتن لما حدث، لأن نهلة

هي حب حياته لكن شعوره تجاه عصام في هذا الجانب ليس أكثر من منافسة ذكورية بينهما معلما أخبر نهلة قبل ذلك حينما سألته عنه.

أما بالنسبة إلى عصام فهو غير قادر على نسيان أن طارق كان يرغب في الزواج من نيللي هذا الأمر يضع حاجزا بينه وبين طارق الذي لن ينكر أنه في المرات القليلة التي قابله فيها وجها لوجه وتحدث معه وجده إنسانا خلوقا وراقيا ويختلف تماما عن والده؛ لكنه غير قادر على تخطي هذا الجدار بينهما أما الذي توطدت علاقته بطارق فهو أنس توطدت العلاقة خلال العمل سويا في شركة الأدوية.

تطلع عصام في عيني نيللي يداري ارتجافه وهو يسمع كلمات المأذون أما الأخيرة فتذكرت والدها وتمنت أن تكون يد والدها هي التي تمسك بيد عصام الآن وأن تكون والدتها حاضرة تجلس بجوارها تنتظر أن تنتهي مراسم الزواج كي تطلق الزغاريد فترحمت على والديها وحبست دموعا أرادت الفرار من مآقيها، ثم شجعت نفسها بالرضا بالمقسوم رضا كان دوما وسيكون سر نجاحها في الحياة.

سلام ممتعض بين العريس وابن عم العروس ثم تلقى عصام التهاني على صوت زغاريد مرام وأم بيسو من المهنئين، خاصة من بعض زملائه في الشركة ومن بينهم صافي التي لا تزال تستفز نيللي.. بينما اقترب طارق من نهلة فابتسمت له ابتسامة حانية ليغمغم هو: «أتمنى لها الخير».

تعلقت بذراعه وشاركته الأمنية: «ليسعدها الله مع من اختاره قلبها».

تطلع طارق في عروسه التي لم يمض على زواجهما إلا ثلاثة أشهر وسألها: «وأنت كيف حالك ألا زلت تشعرين بالدوار؟».

احمر وجهها ولم ترد فقال: «غدا سأخذك للطبيب».

قالت بدلال: «أنا ذهبت مع أمي اليوم للطبيب».

رفع حاجبا وقال: «لماذا لم تخبريني؟».

غمغمت بحرج: «أنت كنت مشغولا مع نيللي وأمي أصرت لأنني تعبت اليوم».

لاح القلق على وجهه وسألها: «ماذا قال الطبيب ولماذا لم تتصلي بي يا نهلة؟».

«اطمئن سأخبرك حينما نعود للبيت».

قال بإصرار: «أخبريني يا نهلة لن أنتظر حتى نعود للبيت».

ازداد احمرار وجهها وهمست: «قلت لا تقلق (وصمت قليلا تتطلع في عينيه ثم قالت بصوت متهدج) أنا حامل».

جاء وقع الخبر سعيدا على ملامحه وسألها: «حقا؟».

هزت رأسها تطبق على شفتيها ببعضهما بخجل فطوق كتفيها بذراعه يضمها إليه بسعادة كبيرة وطبق قبلة فوق رأسها متمتما: «حمدا لله».

استطاع عصام أخيرا أن يتخلص من المهنئين واقتررب
منها.. ومع كل خطوة كان قلبه يزداد تضخما من السعادة،
أهي حقيقة؟! نيللي زوجته أخيرا؟!

راقبته نيللي وهو يقترب وسيما بالبدلة عريض المنكبين
يملك ابتسامة تخلب لبها حتى وقف أمامها يتطلع إليها لغوان
ثم سحبها إلى حضنه.
أخيرا..

ذراعه قويان وحضنه دافئ عطر.. وهي رقيقة ناعمة
كغيمة وردية.. شدد من ذراعيه حولها وتمنى لو يحبسها بين
ضلوعه بجوار(قلبها) الذي يحتل صدره فغمرها بدفئه وأمانه
حتى إنها بكت..

أخيرا الحزن الذي تمنته حصلت عليه.

رفعت نيللي يدها إلى ظهره وقبضت على ملابسه تدفن
وجهها في صدره القوي وهي ترتجف ولم تخجل أن تضمه
هي الأخرى بقوة..كانت في حالة يائسة لذلك.

الآن فقط ستسمح لنفسها بالشعور بالضعف.

الآن فقط ستنزاع عنها قناع الصلابة وستبكي.

الآن فقط ستستعيد شعورها بالأمان الذي فقدته حين
أصبحت وحيدة.

الآن فقط وفي هذا الحزن عاد إليها دفء العائلة.

ظلا ساكنين لبرهة..لم يتفوها بشيء والعيون والزغاريد حولهما وكاميرات الهواتف تصور هذه اللحظات المؤثرة بينهما لكنهما كانا في واد آخر.. يرتجفان متشبهان ببعضهما هي تدفن وجهها في صدره وهو يدفن وجهه بين عنقها وكتفها.. هي تبكي وهو يقاوم الدموع التي ستخدش كبريائه أمام الموجودين..

بعد دقائق بذلا فيها مجهودا كي يبتعدا عن بعضهما وقفا يتلقيان باقي التهاني ويلتقطان الصور فاقترب مراد يهنئ أخوه في حضن أخوي دافئ ثم قال له عصام: «العقبى لك يا وحش».

قال مراد متهمكا وهو يتطلع في نيللي التي تعدل من زينتها بعد أن أغرقتها بالدموع: «من الواضح أنه لا فرق بين مديرة وفتاة عادية فكلهن يبكين في كل وقت».

فلكرته نيللي بغیظ وهي لا تزال تكفكف دموعها بينما اقترب طارق وهنا نيللي ثم قدم لها هدية ذهبية قيّمة جعلت عصام يطحن ضروسه لكنه أغلق فمه يمنع نفسه بقوة من الاعتراض حتى لا يفسد الليلة فطارق له مساحة من النقاشات الحادة المنفعلة بينه وبين نيللي بعدها اقترب جودت ووقف يقبل جبين نيللي ثم قال لعصام بتهديد: «هذه ابنتي الخامسة فأعلم أنك لو قصرت معها أو أغضبتها ستواجهني أنا».

قال عصام مطمئنا وهو يضمها إليه: «سأحفظها في عيني

وفي قلبي».

أخرج جودت من جيب سترته ورقة يقول: «أنا لم أهديكما هدية زواج بعد».

تطلع إليه عصام بحرج فالرجل فعل معهما الكثير.. وافق على السلفة التي طلبها من الشركة رغم أنه لا يعمل بها إلا من وقت قصير، وأمر بتخفيف القسط الشهري ليسدد المبلغ في وقت أطول كما أنه حينما قدم على قرض من البنك بضمان وظيفته تدخل جودت لدى معارفه في البنك لتسهيل وتسريع إجراءات القرض ولهذا هو ممتن لهذا الرجل العظيم الذي لم يقف في وجهه حينما أراد الارتباط بنيللي ولم ينظر له نظرة متعالية ولأنه دوما يشجعه.

تناول شاكر الورقة من يد جودت الذي قال: «هذه تذكرتي طيران وحجز لمدة أسبوع لكما في منتجع سياحي خارج العاصمة أتمنى لكما السعادة من كل قلبي».

غمغمت نيللي بالشكر ولم يجد عصام ما يقوله سوى الشكر الجزيل ثم عاد يتطلع في نيللي مرة أخرى لا يصدق أنها أصبحت زوجته.

غمغم قائلاً: «تزوجنا يا نيللي هل تصدقين؟!».

قالت وقد عادت للبكاء: «تزوجنا يا عصام هل تصدق؟!».

اقترب منها بحركة مباغتة يحضنها من خصرها ثم رفعها في لحظة انفجار بالسعادة.. ودار بها حول نفسه عدة مرات..

متعانقان يدوران في مدار واحد.

لقد فاز بها..

فاز بالأميرة (وجه السعد).

بعد زفة تفاجأ بها عند خروجها من قاعة عقد القران دبرها له أنس ومراد الذي لم يتوقف عن الرقص هو وأصحابه.. ودع العروسان المهنئين تحت البناية التي تقع فيها شقتهم الجديدة.. وبعد دقائق دخل عصام إلى تلك الشقة الصغيرة الأنيقة التي أجراها وتم فرشها في وقت قياسي مناصفة بينه وبينها كما أصرت نيللي دخل يحملها يحمل حلمه ويخطو به أول خطوة في داخل شقتهم.

تطلعت فيه نيللي بقلب يرتجف من السعادة مسحور بنظراته القوية التي ترسم ملامحها وهو ينزلها ببطء ويغلق باب الشقة بالأقفال ثم استدار إليها يقول بلهجة جادة مفاجئة: «هيا انزعيه».

رفعت حاجبيها وسألته: «ماذا تقصد؟!».

قال بحشركة: «حجابتك أريد أن أراك دونه بسرعة».

قالت بارتباك عروس «انتظر حتى...».

قاطعها بلهجة حاسمة وهو يقترب منها: «لن أنتظر لحظة واحدة الآن وفورا».

بدأ ينزع الدبابيس فقالت باستنكار: «ماذا تفعل؟!».

رد ببرود: «ماذا ترييني أفعل».

قالت بعبوس وهي تنزع الدبابيس: «عصام.. نحن ما زلنا عند باب الشقة».

تركها وخلع سترته على عجل ووضعها على طاولة السفارة وفك ربطة عنقه وهو يقول: «أليست هذه شقتنا بيتنا.. إذن لا تفتحي فمك».

اتسعت عيناها وقالت: «ستنزع ملابسك في الصالة!».

قال وهو يسحب الربطة ويلقي بها على منضدة السفارة: «أنا أنزعها في أي مكان في بيتي.. هيا يا نيللي هيا لن أنتظر لعائية أخرى».

غمغمت باندعاش: «مجنون» وبدأت في فك حجابها ثم أولته ظهرها بحرج تكمل مهمتها فوضعت الدبابيس على المائدة بينما عينا عصام تتفقدان قوامها بحرية وجراءة.

فتح بعض أزرار قميصه وشمر ساعديه وعيناه لا تحيدا عنها ثم اقترب يساعدها في نزع طبقات الثل.

حينما استشعرت وجوده خلفها ازداد ارتباكها وتركته يكمل ما كانت تفعله فسحب عصام الطبقة الأخيرة وكشف أمامه شعرها أسود ناعم مرفوع ببعض الدبابيس تخلص منها بنزق لينسدل شعرها أمامه متوسط الطول.

أدارها إليه فطالعتة بوجنتين مشتعلتين وهو يعدل خصله

بأطراف أصابعه حول وجهها وكأنه يشكل لوحة أو تصميم ولم يبد أي ردة فعل سوى لمعة مرت في عينيه فتأملته بتدقيق تحاول أن تفهم ما يدور في رأسه.

حين انتهى من تصفيف شعرها ودون أن يتفوه بشيء مال عصام بها فجأة يسندها على ذراعه ثم هجم على شفتيها فتفاجأت نيللي وتقبضت إلى جانبيها بارتباك وهي تستشعر غزو شفتيه الحارتين وتلك المشاعر التي بدأت تتحرك بداخلها قبل أن يطلق سراحها ويتطلع فيها بنظرات ذاهلة وهي لا تزال مائلة على ذراعه.

ساد الصمت لبرهة فقالت مشاكسة تداري شعورها بخجل العروس: «ألا ترى أنك تفتقد للطف واللياقة نحن ما زلنا بجوار باب الشقة وأنت لم تقل شيئا..».

وكانه لم يسمعها رغم أن كل ما يصدر عنها وما تستقبله حواسه منها حاليا يفجر المزيد من المشاعر المشتعلة بداخله فهجم على شفتيها مجددا يقتنص منهما ترياقا لعذابات مضت وستمضي كلما سكنت بين ذراعيه، فأغمضت نيللي عينيهما تتلقى ما يخبرها به من كلام غير منطوق ومشاعر عنيفة متأججة.

ترك شفتيها لاهما وعاد يطالعها بنفس النظرات الذاهلة يرسم ملامحها بدقة ويمسح بيده على شعرها فتعانقت أنظارهما وهمس بارتجاف: «أنت حلوة جدا أحلى حتى من أحلامي».

اتسعت ابتسامتها وهي تتطلع في وجهه الرجولي القريب
منها ورائحة أنفاسه العطرة تصيبها أكثر بالخدر ثم غمغمت
ساخرة وهو ترفع يدها لتتحسس ذقنه : «حمدا لله أن خرج
منك شيئا لطيفا».

لا يزال لا يصدق أن الحلم الصعب قد تحقق فظل يتطلع
فيها لبرهة مشدوها ثم هجم على شفتيها مجددا واعتصرتها
ذراعه وكأنه يريد أن يتأكد من أنه لا يحلم..

إنها رقيقة.. لينة.. وفاتنة.. سحرها كلما اقترب يزداد قوة
ويزيده ضعفا أمامها ويحطم كبريائه العالي.. حلوة كقوس
قزح توهج بعد المطر.. عطرة كأنفاس القرنفل في ليلة صيف
منعشة.. مدهشة كفرحة مفاجئة لم تكن في الحسبان.. تركها
بعد برهة يلهث وعاد يتطلع فيها قائلا: «كم مرة قلتها؟».

سألها لاهة «قلت ماذا؟».

«أحبك».

«لم تتفوه بشيء حتى الآن».

«قلت يا بنت الحلال الآن على شفتيك.. قلتها بكل قوة
وتركت أثرها على شفتيك.. كم قبلة؟».

عضت على شفتها السفلى وردت بدلال: «ثلاثة».

عبس وقال: «أنت تعدينهم إذن لم يسر مفعول التخدير
بعد».

وهجم على شفتيها من جديد فضربته بقبضتها على ذراعه

ثم تشبعت به أكثر والدفع يتسرب إلى داخلها بسرعة.

بمجرد أن أطلق سراح شفتيها كانت قد وصلت إلى حالة من الضعف والتأثر فدفنت وجهها في رقبته وحضنته ذلك الحزن الذي كانت في انتظاره.. تقوقعت فيه واختبأت بين عضلاته.. فاعتصرها عصام بقوة وهو يغمغم بأنفاس عالية: «أنا لا أهلوس أليس كذلك؟!».

ردت بصوت مكتوم متهم من بين أحضانه: «لا أنت تتعامل بتوحش فقط».

اتسعت ابتسامته وقال بشقاوة: «أنت لم تري شيئا بعد».
سألته: «ماذا تقصد؟».

أبعدها عن صدره وساعدها لتعتدل واقفة ثم وضع ذراعه تحت ركبتيها ورفعها فوق ذراعيه قائلا: «أقصد أنه قد حان وقت الافتراس».

قالها وهو يتحرك بها إلى الداخل فقالت وهي تتشبث بعنقه: «عصام!».

هتف بوعيد: «عصام تحمل كثيرا.. عصام يكاد أن يجن أو يمرض من الأدب الذي مارسه معك لوقت طويل.. انتهى عصر الأدب بيننا للأبد يا نيللي ومن الآن فصاعدا كل الأمور ستسير وفقا لقواعدي أنا».

«عصام!.. أيها الفظ».

معنى حبي..

إن قلبي يلقي كل حاجة أنت.

تبقى ليه؟ ومين؟ وامتى؟

والإجابة تبقى.. نور.. وناس.. وبيت

تبقى صوتي لما أغني

أو دموعي لو بكيت

مع استقبال النسمات الأولى من فجر أول يوم لهما كزوجين
اختارت نيللي من هاتفها أغنية للمطربة أنغام ليتسلل صوتها
الناعم ويغمر الغرفة، ثم عدلت الأغطية حول جسدها
والسعادة تطفئ على مشاعر الخجل بداخلها، فاستندت
برأسها باسترخاء على الوسادة المرتفعة وعيناها تراقبان
عصام الذي غادر السرير كي يريها مفاجأة أعدها لها.

تأملت جذعه الأسمر العاري وذراعيه القويين الذين كانا
سكنًا وحضنًا دافئًا لها الساعات الماضية، بينما مسح عصام
المزيد من الدموع مصرة على تحطيم كبريائه والفرار من
مآقيه مثلما حدث معه خلال الساعات الماضية، كلاهما بكى
في حضن الآخر فكانت المشاعر بينهما استثنائية؛ عاشقة؛
ملتاعة؛ ومشتاقة؛ ومتأججة.. وكان انهماك الدموع يروي ظمأ
المشاعر.. ولم تتخيل نيللي أبدا أن ترى دموعه؛ لكن مشاعره
هزمته أمامها وهو يخبرها بالكثير فأمطرها بكلمات حب
وعشق لم تتوقع أن تخرج منه، رآته على حقيقة

دون حواجز.. رآته وسيما رجوليا مهلكا وعاشقا حتى
النخاع.. أیصفها بجائزته؟.. فماذا يكون هو بالنسبة لها؟!..
لقد ذابت بين ذراعيه.. تلاشت بين جزيئاته.. ما هذا الشعور
بالاكتمال؟!.. كانت تعلم بأنه نصفها الآخر.. كانت محقة..
وكان قلبها صائبا.

فرد عصام أمامها ستارة إضافية نزلت من النافذة فرفعت
نيلى حاجبيها وابتسمت وهي ترى أمامها صورتها مطبوعة
على الستارة بطولها، وما أدهشها أن الصورة كانت لها بشعرها
فعبست تسأله: «كيف فعلت ذلك؟ أنا لم أرسل لك صورة لي
دون حجاب!..».

تطلع إليها ورد بفخر: «ركبتها.. أنت أخبرتني بعد أن عذبتني
في الإجابة أن شعرك أسود ومتوسط الطول، فركبته مع
وجهك وأريتها لمرام فأخبرتني أنها تشبهك على الحقيقة».

ضحكت نيلى ثم قالت: «قصة الشعر مختلفة لكنها تليق بي
رائعة يا عصام.. الصورة والفكرة أن تطبع على الستارة رائعة»

معنى حبي

إن قلبك لو ناداني..

أجمع العمر في ثواني

وأهديهولك في ابتسامة أحلى من كل المعاني

اقترب منها من جديد وكلمات الأغنية تقول الكثير مما تريد
نيلى أن تقول، فجلس على السرير بجوارها وأمسك بأطراف

شعرها بين أصابعه يقول بعاطفة قوية: «لكن الأصل أحلى بكثير».

قالها وهو يتطلع فيها وفي جفونها المنتفخة من البكاء مثله.. وتحسست أصابعه كتفها العاري قبل أن تقفز الدموع إلى عينيه من جديد ويهمس بصوت متهدج: «أحبك يا وجه السعد أحبك أحبك أحبك.. حتى آخر نفس في صدري وأعدك أنك لن تندمي أبدا، لأنك كنت كريمة معي وأعدك أن تكون حياتنا مواسم قرنفل كثيرة يجدد فيها الوعد بالحب».

قالها وأطبق على شفتيها ليوقع على وعوده بختم العشاق.

معنى حبي...

إن قلبي يلقي كل حاجة أنت

تبقى ليه ومين وامتى

والإجابة تبقى نور وناس وبيت

تبقى صوتي لما أغني

أو دموعي لو بكيت

ما بعد النهاية

أعظم الأعمال بدأت بحلم بسيط آمن به صاحبه وسعى إلى تحقيقه، فنحن وأحلامنا كالبدور، لن نثمر إلا في تربة مناسبة وصبر ورعاية واهتمام، إنبات طفولة.. بلوغ إزهار إثمار.. رحلة حياة.. رحلة تحقيق الأحلام.

(بعد عشر سنوات)

«أعجبتني تصميماتك يا باشمهندس».

قالها عصام للشاب الجالس أمام مكتبه فقال الآخر بامتنان: «أنا شاكر جدا لهذا الإطراء يا فندم».

أشفق على ارتبائه وتذكر يوما كان يجلس في مثل جلسته فقال مشجعا رغم أنه لم يحظ بالقبول لاختياره للوظيفة: «لديك مخيلة ابتكارية رائعة ولو زودت مهارتك على برنامج التصميم الذي تنفذ عليه ستخرج بنتيجة أروع من هذه».

«ملاحظتك بالتأكيد سأخذها في الاعتبار».

قالها الشاب فنفض عصام عنه مشاعر التعاطف وقال بلهجة عملية تناسب خبراته مكانته الوظيفية: «تمام هذا كل شيء الآن وبالتأكيد سنرسل لك نتيجة التصفية».

استقام الشاب واقفا فوقف عصام يسلم عليه بابتسامة ودودة ثم عاد يجلس على مكتبه وأمسك بعينه زافرا بإنهاك.

تطلع في الساعة التي تجاور طوقاً أسود من الجلد في يده
ثم قفز واقفا يلتقط سترة البدلة وهاتفه ومفاتيحه ويغادر
متعجلاً، حين خرج من المكتب - مكتبه الذي كان قبل عشر
سنوات مكتب رميح - قال للسكرتيرة التي وقفت باحترام:
«أنا اليوم لن أستطيع أن أتأخر عن مواعيد العمل لدي مشوار
مهم».

قالت السكرتيرة بارتباك: «لكن رميح بك طلب أن أخبرك أن
جودت بك موجود».

لاح الاهتمام على وجه عصام وأسرع نحو مكتب المدير
العام للشركة رميح، الذي يديرها منذ سنوات بعد أن قرر
جودت نظراً لازمة صحة ألمات به أن يخفف من أعباء العمل
فأصبح لا يأتي لزيارة الشركة إلا كل فترة.

أذن لعصام بالدخول فدخل يلقي السلام على رميح والرجل
العجوز المتأنق الذي تخطى السبعين من العمر الذي بادره
بالقول: «كيف حالك يا ولد؟».

قال عصام: «بخير ما دام سعادتك بخير».

علق جودت قائلاً لزوج ابنته: «هذا الولد دوماً يتحدث
بكلام معسول رغم أنه يعلم أنني لا أحب ذلك».

ابتسم عصام وقال باحترام: «أنت تعلم مقامك عندنا يا
جودت بك».

قال جودت: «دعنا من هذا أريدك في موضوع».

«ثُرني».

أخرج من جيب سترته بطاقة عمل وقال: «هذا شخص أعرفه.. كان يبحث عن شركة لتصمم له موقع لشركته على الإنترنت فأعطيته رقم هاتفك فسجل هاتفه حتى يتصل بك إنه من طرفي».

التقط عصام البطاقة وقال بابتسامة: «أوامرك يا بك هل تريد مني شيئاً آخر؟».

حدجه رميح بنظرة عاتبة مشيراً على الرجل العجوز ثم قال: «هل عندك شيء مهم لهذه العجلة؟».

قال بلهجة محرجة: «آسف جداً.. لكني لا بد أن أخرج الآن لأخذ الأولاد من الحضانة لأن نيللي اليوم في الشركة».

قال جودت: «اذهب.. ولا تنس أن تحضر الأولاد معك أنت ونيللي في حفل زفاف حفيدتي فالحفل نهاري وسيناسبهم»

قال عصام: «حاضر (ونظر له ولرميح مضيئاً) ألف مبروك لكريمتكم».

بعد نصف ساعة كان يركن سيارته أمام أحد الأماكن التي توفر استضافة يومية للأطفال وترجل منها ثم أعطى الحارس بطاقته الشخصية كي يستلم بها الأولاد ووقف وعقله مشغولاً باسترجاع ذكريات العشر سنوات الماضية.

إنه لم يكل لحظة.. كان ولا يزال في حالة من العمل المتواصل.. ترقى في المناصب في شركة جودت وشركته

الخاصة بتصميم المواقع الإلكترونية تعمل بكفاءة فهي كيان افتراضي على الإنترنت وكل معاملاتها مع عملائها عن طريق الإنترنت؛ كما أنه لا يزال يعمل في التصميم الحر من آن لآخر فهو شغفه الأساسي.. ويحمد الله أن ديونه وقروضه قد انتهت وحاليا يعيش في شقة أكبر ملكه.. يدفع لها أقساطا سنوية وبعدها ينتهي منها سيشترى لنيللي ما وعدّها به من قبل بيت أمام البحر هكذا يخطط لنفسه ولعائلته الصغيرة.

ابتسم وهو يراها آتيان من بعيد.. باهي في الثامنة ومازن الذي يهرول ناحيته قاطعا حديقة المكان بسعادة في الثانية من عمره.. فاستقبله عصام وحمله فوق ذراعه يقول: «كيف حالك يا وحش؟».

ضحك مازن بسعادة بينما اقترب باهي بوجه مقلوب فسأله: «ما بك؟».

قال باهي بحنق: «لن أنسى لكم أنكم وضعتُموني في حضانة أطفال».

رفع عصام حاجبيه باندھاش ثم ضحك وتحرك نحو السيارة وهو يقول: «هذه ليست حضانة لكن كما تقول أمك مكان به أنشطة يستقبل الأطفال حتى سن الثانية عشر».

قال باهي بحنق: «كنت أريد الذهاب عند جدي عارف ومرامي».

زفر عصام وقال: «قلنا لك إن اليوم بالذات (مرامك) ليست متفرغة تحضر وليمة من أجل زينة.. ومازن كما تعلم لن

يتركها تفعل شيئاً، وجدك كان ملتزماً بموعد في الصباح أي إن كل الطرق أغلقت ولم يكن أمامنا إلا أن نقضيا اليوم في الحضانة (ووضع مازن في الكرسي الخاص بالأطفال وهو يسأل ابنه الكبير) لماذا لم تستمتع بالوقت؟».

قال بامتعاض: «أطفال سخفاء وألعاب سخيفة.. أنا كبير».

ناظره باندعاش يتطلع في ملامحه التي تشبهه كثيراً وفاض الحنان من قلبه وهو يراه يكبر أمام عينيه، لقد سمته نيللي باسم أبيها بعد أن رفض مراد بشدة أن يسمي هو باسم عارف لأنه يريد أن يسميه هو لابنه المستقبلي.

قال عصام لابنه: «تمام يا بطل هيا اركب».

أجلسه عصام في المقعد الخلفي بجوار أخيه واستدار ليجلس أمام المقود ليقول باهي: «أبي أنا جائع لم يعجبني الطعام الذي قدموه».

فقال عصام وهو ينظر لساعته: «أمامنا ساعة ونصف حتى تنتهي والدتك من اجتماعها هل تريد أن أبتاع لك وجبة؟».

هز باهي رأسه بالإيجاب فشغل عصام السيارة ليضيف باهي: «أبي لقد وعدتني أن نأكل جمبري في يوم لا تكون أُمي معنا».

نظر عصام أمامه ثم استدار إلى ابنه ولمعت الفكرة في عينيه، فتطلع في ساعته من جديد يفكر ثم قال بشقاوة: «ما رأيك في أن نأكل ساندويشين من الجمبري قبل أن نذهب

إليها؟».

ناظره باهي ولمعت الشقاوة نفسها في عينيه يقول:
«موافق لكن هل لديك معطر للجو فحتمًا ستشم الرائحة في
السيارة».

أخرج عصام فواحة عطر ووضعها أمامه يقول غامزا:
«سنضعها من الآن حتى لا ننسى».

صفق باهي فقلده مازن دون أن يفهم السبب، بينما تحرك
عصام بالسيارة وباهي يقول: «المهم ألا نتأخر لأن عمي مراد
وعدني أن نلعب سويًا اليوم على الإنترنت».

بلهجة مهنية أنهى المقابلة وبابتسامة رزينة وقف وسلم
على العميل الجالس أمام مكتبه ونظر لأبنه المراهق الذي
يطالعه بانبهار منذ بداية الجلسة فخمن بأنه قد تعرف عليه
ليبادره الفتى باندفاع « هل استطيع أن ألتقط معك صورة
كي أخبر أصحابي بأني قابلت (مودي) »

ناظر الرجل ابنه بنظرة توبيخ وقال « لا تؤاخذة فهو منذ
بداية المقابلة وحين تعرف على شخصيتك يرغب في أن
يطلب هذا الطلب »

قال مراد بابتسامة رزينة وهو يعدل من بدلته الرسمية
الأنيقة « طبعًا بكل سرور » وتحرك يترك مكتبه ليقف بجوار
الفتى ويلتقط لهما صورة ثم سلم عليهما وودعهما فهو معتاد

على هذه الطلبات من بعض المتابعين له على اليوتيوب..
وعاد يجلس على مكتبه وينظر في الأوراق أمامه في ذلك
البنك الذي يعمل فيه.. ينتظر دخول العميل التالي.

تطلع أنس في ساعته بتوتر ثم نظر لنيللي التي تترأس
الاجتماع الخاص بمجلس إدارة الشركة الذي عقد لمناقشة
موضوع تطلب حضوره كمستشار للشركة، بينما قالت
نيللي: «إذن وفقا لتوصية الدكتور أنس سننفذ ما اتفق
عليه (ونظرت للسيد جورج مدير الشركة فهز رأسه لها بما
يعني غلم.. فعادت تقول وهي تنظر في جدول الأعمال) ما
الموضوع التالي للمناقشة؟».

مال عليها أنس يقول هامسا: «نيللي لو لم يكن هناك سبب
آخر لوجودي فأنت تعلمين ما ينتظرني».

هزت رأسها وتطلعت في باقي بنود جدول الموضوعات ثم
قالت: «تستطيع أن تنصرف».

استقام أنس واقفا يقول: «أنا أعتذر لكم جميعا لكني مضطر
للاستئذان فابنتي ستعود من السفر اليوم وعليّ أن أكون في
استقبالها في المطار».

قالها وحيا الجميع ثم غادر لتقول نيللي بلهجتها العملية:
«لنعود لموضوعاتنا».

بعد ساعتين

تطلع أنس في ساعته بعدم صبر فقالت مرام الواقفة بجواره: «أنت نظرت فيها قبل خمس دقائق يا أنس».

ناظرها بجانب عينيه ثم مط شفتيه ولم يعقب فتأملته مرام مشفقة، إن هذه هي المرة الأولى التي تبتعد فيها زينة عنه وذلك بعدما تم إقناعه بصعوبة أن يتركها لتسافر لوالدتها في الإجازة الصيفية ورغم صعوبة الأمر على مرام مثلما كان صعبا عليه ومشاركتها لمخاوفه من أن تنجح أمها في إقناعها بالبقاء واستكمال دراستها بالخارج، خاصة أنها انتهت هذا العام من الثانوية العامة وتم قبولها في كلية الزراعة فهي عاشقة للزرع كجدها وطموحها أن تكون أستاذة بالجامعة كوالدها؛ لكن التخوف من أن تقتنع بوجهة نظر أمها ظل يقلقهما حتى وإن لم يفصحا عن ذلك أمام زينة، خاصة أن نها في المرات القليلة التي نزلتها في زيارة سريعة للوطن عرضت هذا العرض أكثر من مرة، رغم كل هذا كانت مرام مثل عارف ترى أن زينة لا بد أن تخوض التجربة ما دامت تريد ذلك وتم إقناع أنس الذي وافق على مضض أن تسافر إلى والدتها.. وها هي عائدة بعد شهر قضته بالخارج.

حين وصلت الطائرة راقبت مرام اللهفة والترقب على وجهه ثم قالت: «بالمناسبة لقد علمت زينة أننا قد ذهبنا إلى ذلك المنتجع السياحي دونها».

اتسعت عيناه وناظرها بغيظ قائلا: «لماذا أخبرتها؟!».

قالت مرام بسرعة: «لست أنا بل مراد».

عبس أنس فأوضحت مرام: «حينما اتصلت مرة ولم ترد أرسلت لمراد تسأله عنا فأخبرها».

مط شفتيه وقال: «ستحاسبني حساب الملكين الآن».

ضحكت فتطلع فيها يقول بلهجة منتقمة: «سأخبرها أنك السبب».

صاحت باستنكار: «أنا؟!».

قال بتأكيد: «أجل أنت (وتأملها بتدقيق وأضاف) تزدادين حلاوة وأنا ضعيف أمام الحلويات».

حدجته بنظرة لائمة وقالت: «أنس نحن أمام الناس».

قال ببساطة: «وماذا فعلت؟ أنا أغازل زوجتي قرنفلتي».

ظهرت زينة تدفع عربة الحقائق أمامها وتبحث عن والدها وشعور بالراحة للعودة للوطن يمتلكها، لقد أضحت شابة في العامنة عشرة وتفتحت كما تتفتح الزهور وتسرع عيني الناظرين إليها، لوحت لوالدها ومرام بحماس بمجرد أن رأتهما ثم أسرعتا إليهما تقول: «أبي مراراااامي».

من قال إن الصغار يكبرون؟ أجسامهم تستطيل وتتفرع وعودهم يشتد لكنهم يبقون في عيون أبويهما صغارا.

تلقتها مرام في حضنها وسمحت لنفسها أخيرا بالبكاء لقد ظلت تقوم بدور المهدئ والمطمئن لأنس طوال شهر كامل

وحان الآن لأن تفصح عن مشاعرها، لقد اشتاقت إليها حد الجنون اشتاقت لرائحتها لرؤيتها على الطبيعة بعيدا عن المكالمات المصورة اشتاقت لحضنها.

غرقت زينة في حضن من ربته ومن لا تعرف غيرها أما ومن افتقدتها بشدة في بلاد الثلج.. ثم حضنت والدها الذي اشتاق إليها حتى تورم قلبه، ضمها أنس يتمتم بالشهادة الخلاص من القلق وشكر ربه أن عادت صغيرته لعشه ولحضنه ثم همس: «حمدا لله على سلامتك يا حبة قلب أبيك».

تطلعت زينة فيهما وقالت من بين دموعها: «اشتقت إليكما بشدة واشتقت للجميع جدي وعصام ونيللي والأولاد ولن تصدقوا اشتقت لمراد الغليظ».

ضحكت مرام وقالت: «ألن ننتهي من شجاركما؟».

قالت زينة ساخرة وهي تعدل حجابها حول وجهها: «بالعكس أنا عائدة وعندي مخزون من المناكفة ستكون من حظه ونصيبه.. وهو ابن حلال ويستحق كل خير».

وضع أنس الحقائب في سيارته بينما سألتها مرام هامسة: «كيف الحال مع أمك؟».

تنهدت زينة وقالت: «لا بأس الرحلة كانت جميلة في التعرف على بلد أخرى وثقافات أخرى؛ لكن مشاعري تجاهها لا أعرف ما زلت أشعر أنها قريبة لي من بعيد.. وأحاول أن أضغط على نفسي كي أحبها ولا أعرف كما أنني لا أكرهها أيضا

تعرفين شعوري».

هزت مرام رأسها وقالت: «لا بأس كانت تجربة حلوة وإن شاء الله ستكررينها كل فترة».

سألتها بشك: «هل تعتقدي أن أبي سيوافق على ذلك؟».

أجابت مرام مطمئنة: «هو فقط متعلق بك؛ لكنه ليس مستبدا ولا متسلطا».

هزت زينة رأسها وقالت: «لنؤجل القرار في هذا الأمر لوقته».

تطلعت مرام في ملامحها وضممتها بعاطفة قوية مغممة: «اشتقت إليك زوز اشتقت إليك بشدة».

غاصت زينها في حضنها من جديد فأخرج أنس رأسه من السيارة يقول: «الأختان (عواطف ومشاعر) هلا أجلتما عرض (الأم والابنة) هذا لوقت آخر حتى لا نتأخر».

توجهتا بسرعة نحو السيارة ومرام تقول: «لقد فقدت وزنا، ظننت أن المكالمات المصورة لا تظهر حقيقةك؛ لكنك بالفعل فقدت وزنا (وأضافت بامتعاض واضح) ألا يوجد لديها طعاما».

ضحكت زينة وردت وهي تركب السيارة: «تعلمين لست معتادة على الطعام الغربي والخبز عندهم استغفر الله كله أفرنجي حتى اشتكت معدتي».

قالت مرام بحنان جارف: «حبيبتي طبخت لك كل ما

تشتهين يا قلب أمك».

ابتسمت زينة ثم قالت مداعبة وهي تحضن مقعد والدها من الخلف: «وأنا اشتقت إليك واشتقت إلى ذلك الأربعيني الوسيم ذي النظارة الأنيقة».

وقفت نيللي بعد الاجتماع تتحدث مع السيد جورج المدير الحالي للشركة وتملي عليه تعليماتها.

لقد استمرت في إدارة الشركة بدوام كامل الخمس سنوات الأولى من زواجها حتى انتهت الديون وعبرت الشركة أزمته، وكم كانت فترة صعبة عليها وعلى أسرتها خاصة حينما ولدت باهي ولولا شخصيتها المثابرة وتفهم عصام لظروفها وتشجيعه لها لما استطاعت أن تمر بها من عنق الزجاجة، بعدها وبعد أن حققت لوالدها حلمه قررت أن تجد حلا وسطا بين أحلام والدها وحلمها بحياة هادئة تولي فيها اهتماما لبيتها وأسرتها، خاصة حين خططت أن تنجب مرة أخرى فقررت أن توظف مديرا ذا خبرة لإدارة الشركة متخصصا في المجال الدوائي، مما أتاح لها وقتا لممارسة حياتها ورعاية أسرتها ومباشرة أغلب العمل عن طريق الإنترنت فلا تحضر لمقر الشركة إلا في الاجتماعات المهمة.

تحركت نيللي تودع السيد جورج ونظرت في ساعتها وأسرعت بالمغادرة لكنها انعطفت يسارا وتوجهت لمكتب مدير الموارد البشرية الشريك بالشركة قبل مغادرتها، فدخلت

تقول للسكرتيرة التي قفزت واقفة حينما رأتها: «طارق بالمكتب؟».

لم تنتظر الرد، بل طرقت الباب وفتحته ثم وقفت تستند بساعدها على عتله وهي تقول: «طارق بك».

رد عليها بلهجتها نفسها: «نيللي هانم».

سألته: «أين أبوك؟ لم يحضر الاجتماع فقلت أسألك هل لا يزال مريضا؟».

رد طارق بتهكم: «لا مريض ولا شيء إنه يرمح كالحصان ربما كان لديه اجتماع في شركته الأخرى».

قالها يقصد تلك الشركة الخاصة بالاستيراد والتصدير التي دخل فيها مهدي شريكا بعدما حوصرت كل طموحاته في شركة باهي.

قالت نيللي باللهجة المتهكمة نفسها: «المهم أنه لا يزال حيا».

غمغم طارق وهو يللم مفاتيحه وهاتفه استعدادا للمغادرة: «لا تقلقي سيظهر في أي وقت ليفتعل أي مشكلة كالعادة وربما لم يحضر بسبب حضور أنس للاجتماع، فكما تعلمين لا يستلطفه خاصة أن أنس لا يعرف المجاملة ولا يعجبه أساليبه التسويقية الملتوية».

ضحكت نيللي وسألته: «وأنت.. لماذا لم تحضر ألم تصبح شريكا معنا أم أنك نسيت طارق بك؟».

ابتسم طارق يقول: « كان عندي اجتماع مهم لم استطع تأجيله والبركة فيكم (وأضاف) خذيني معك أنا أيضا مغادر فنهلة تنتظرني مع الأولاد في المطعم المواجه للمبنى».

سأله نيللي وهي تسير معه إلى الخارج: « كيف حالها مع نورية؟».

رد مطمئنا: «حمدا لله بخير لقد تخطت منذ فترة الصدمة التي أصابتها حين علمت بالخبر».

قالت بعاطفة قوية: «وهل هناك من يقاوم سحر نورية!».

سألها: «هل غادر أنس؟» فأجابته: «أجل فليده موعد مهم».

عبس طارق ورفع الهاتف على أذنه يتصل به ثم قال: «غادرت دون أن تمر علي لتسلم أيها النذل».

«نورية» قالها تامر ذو التاسعة من العمر وهو يبحث عن أخته التي اختفت من منطقة الألعاب في ذلك المطعم العائلي للوجبات السريعة، ثم نظر لأخيه جواد الذي يصغره بعام بنظرة مرتعبة وانطلقا يبحثان عنها بين الطاولات بهلع.

في الوقت نفسه اقتربت نورية التي تبلغ الرابعة من العمر من إحدى الطاولات فانكششت المرأة الجالسة وسحبت طفلها إلى حضنها وهي تتطلع في الفتاة الصغيرة ذات الفستان الوردي والشعر الأصفر التي تحمل ملامح متلازمة داون.

شبت الصغيرة على أطراف أصابعها وحاولت التقاط الكوب

البلاستيكي المغطى الذي يحتوي على مشروب غازي فهدر الرجل فيها: «أذهبي من هنا».. وقال للنادل الذي كان يمر بالصدفة: «ما هذا؟ كيف يتركونها تتجول بيننا بهذا الطريقة».

لمح تامر ما يحدث فنادي على أخيه واندفعا نحوها بينما قالت المرأة لزوجها: «اترك لها الكوب كي تأخذه وتمشي».

حاول ابنها الصغير التدخل وإعطاء الكوب لنورية؛ لكن أمه سحبت يده بسرعة ونهرته بينما سحبت نورية الكوب فوق وأغرقت محتوياته الأرض ولطخ فستانها فهدر الرجل: «أذهبي من هنا.. أين أمها؟ كيف يسمحون بتركها بهذا الشكل!».

اندفع جواد يبعد أخته بينما صاح تامر في وجه الرجل بحمائية: «لا تصيح في وجه أختي».

تدخلت امرأة على طاولة أخرى تقول للرجل باستنكار: «المكان مليء بالأطفال الذين يتحركون بيننا ومنهم من يسكب المشروب على الأرض الأمر بسيط (ونادت على النادل) من فضلك نظف المكان هنا».

كانت نورية تراقبهم بعينيها الخضراوين وهي منكشة خلف أخيها وقد تملكها الرعب في الوقت الذي اقتربت نهلة التي خرجت من الحمام تبحث عن ثلاثتهم، حينما لم تجدهم في منطقة الألعاب فنظرت في المشهد ثم أسرع إليهم تقول بفزع: «ماذا حدث؟».

انفجرت الصغيرة في البكاء بمجرد أن رأت أمها فحملتها

بلهفة بينما حدج الرجل نهلة بامتعاظ ولم يرد.. آلمتها النظرة التي حدجها بها الرجل لكنها وعدت نفسها ألا تلتفت لضيق الأفق الذين يتنمرون على المختلفين عنهم وما أكثرهم حولها بينما قال جواد موضحا: «سكبت الكوب».

قالت نهلة للرجل: «أنا أعتذر وعلى استعداد لشراء واحد آخر».

هتف تامر باعتراض: «هو من عليه أن يعتذر لقد صرخ في وجهها».

كانت نورية لا تزال تبكي فهددهتها نهلة وهي تخرج من حقيبتها مبلغا من المال وتقول للنادل: «من فضلك أريد واحدا بدلا منه للأستاذ».

قالت زوجته بلهجة متعالية: «لا داعي نحن لا نقبل العوض».

تطلعت فيها نهلة بنظرة محتقرة ثم سحبت ولديها تقول: «هيا بنا والدكم ينتظرنا».

قالتها وأسرعت بمغادرة المكان.

طحن عصام ضروسه ولوى شفتيه وهو يرى نيللي تخرج مع ابن عمها من مصعد البناية، لا يزال لا يستسيغ علاقتهما شعور يراه طبيعيا أن يغار عليها من ابن عمها رغم أنها لا ترى ذلك طبيعيا، لن ينكر أن طارق شخص محترم وربما لو كان

تعرف عليه في ظروف أخرى أو لم يكن ابن عم نيللي وسبق وتقدم للزواج منها لأصبحا أصدقاء ولن ينكر أنه أحيانا يشعر بالغيرة لعلاقته الجيدة بأنس، التي أضحت علاقة شخصية أكثر منها علاقة عمل؛ لكنه غير قادر على قبول وجوده في حياة نيللي كزميل عمل أو قريب.

حياه طارق فرد عصام التحية بينما أسرع نيللي نحو السيارة إلى حيث ولديها لتطمئن عليهما، ليخرج باهي رأسه من النافذة ويقول: «عمي طارق أين تامر وجواد؟».

رد الأخير: «إنهم على الناحية الأخرى (وأضاف يقول لعصام) أنا مضطر للذهاب حتى لا يقطعوا الشارع وحدهم أراكم فيما بعد».

قالها وتحرك يقطع الطريق مشيرا لنهلة والأولاد أن يبقوا مكانهم فصاح باهي: «قل لتامر وجواد إنني سأتصل بهما حينما أعود للبيت».

أدخل عصام رأس ابنه من النافذة ثم جلس أمام المقود يقول لنيللي التي اتخذت مكانها بجواره: «كيف كان يومك يا وجه السعد؟».

في الوقت نفسه استقبل طارق أسرته فحمل نورية الباكية عن أمها يسأل: «ما بها حبيبة أبيها؟».

كانت نهلة قد طلبت من ولديها ألا يخبرا والدهما بشيء منعا للمشاكل فطارق ضعيف تجاه ابنته ولا يحتمل أن يضايقها أحد فغمغمت: «لا شيء إنها منزعجة».

مسح طارق دموعها وتطلع في عينيها الخضراوين كأماها
يقول مداعبا: «لا تبكي فأبيك لا يحتمل دموعك (ثم سأل
نهلة بتشكك) هل أنت بخير؟».

ردت مؤكدة وهي تنفض عنها مشاعر الألم من معاملة بعض
الناس لابنتها: «بخير وفي نعمة والحمد لله».

فابتسم لها بحنان ثم أمسكا بطفليهما يعبران الطريق، بينما
نورية التي تتعلق برقبة والدها تنظر من فوق كتفه وتخرج
لسانها بشقاوة وإغابة للرجل الذي صاح في وجهها قبل
قليل حينما لمحته يخرج هو وأسرته من باب المطعم.

ترجل من التوكتوك وظل واقفا في وسط الشارع مشغولا
بالهاتف كعادته وابتسامة شقية تزين وجهة؛ لكنه لم يكن
يلعب ولا يتفقد أحوال قناة اليوتيوب التي يرفع عليها
الحلقات الكوميدية المصورة التي يشترك فيها مع باسم
وأنس وعصام، التي قد لاقت شهرة واسعة وحققت نسب
مشاهدة عالية جدا وحققت له باعتباره بطل هذه الحلقات
شهرة كبيرة بين متابعي هذا التطبيق، فهذا هو شغفه الذي لا
يزال يمارسه رغم أنه يعمل محاسبا في أحد البنوك، لم يكن
يفعل أي من هذا بل كان يتحدث مع فتاة يسميها على هاتفه
(my love) فكتب لها: «أنا وصلت وسأحدثك بعد قليل».

بوق سيارة مزعج انفجر في وجهه فأجفل مراد ورفع
أنظاره يتطلع في السيارة التي تقف أمامه، بينما قائدها

يصيح من النافذة: «هل الأستاذ فاجأته نوبة شلل فيقف في منتصف الطريق غير قادر على الحركة».

ناظره مراد بمقلتين مقلوبتين فقال الآخر: «ابتعد يا بارد هل أصبت بالصمم أيضا».

قال بلهجة خطيرة وهو يتطلع فيمن يترجل من سيارته الحديعة غالية الثمن: «لماذا لا تصفها بعيدا».

رد باسم وهو يغلق باب سيارته: «حبيبي أنا أصف سيارتي في أي مكان أريد (ثم اقترب منه يقول ببعض الإغاضة) لماذا لم تخبرني كنت انتظرتك يا مسكين خارج الحي حينما توصلك حافلة البنك لأوصلك في طريقي إلى هنا».

قال مراد ممتعضا: «شاكرين جهودك والله».

قال باسم الذي فقد كثيرا من وزنه وأصبح ذا جسد رجولي رغم أنه لا يزال ممتلئا: «حبيبي افرج عن أموالك التي تحتفظ بها بالبنك من أرباح الحلقات المصورة واشتري لك سيارة بدلا من الادخار من أجل الزواج من حبيبة القلب (وربت على كتفه مضييفا بتسلي) صحيح لن تقدر على شراء سيارة غالية الثمن مثل سيارتي لكنها بالتأكيد أفضل من التوكتوك الذي نزلت منه قبل قليل».

قلب مراد مقلتيه وقال بلهجة مهددة: «من الأفضل أن تغرب عن وجهي الآن».

قال باسم بلهجة متحدية: «بل أنت الذي ستغرب من أمامي

كي أصف السيارة مكانك يا بارد».

اتسعت ابتسامة مراد فجأة.. فعبس باسم ليأتي صوت أنس من خلف الأخير يقول: «أنت يا بني آدم ابعده سيارتك من هنا هذا المكان يخص سيارتي».

انتفض باسم واستدار يقول لأنس الذي يخرج رأسه من النافذة: «حاضر حالا».

وأسرع نحو سيارته تشيعه ضحكات مراد الشامتة.

بعد دقائق ترجل باسم من سيارته التي صفها بعيدا ووقف يعدل من ملابسه بارتباك وقلبه يكاد أن ينفجر وهو يراها تترجل من سيارة والدها.

كانت ترتدي فستانا باللون السماوي ويزين حجاب صغير وجهها الأبيض، لقد اشتاق إليها ولوعه الفراق شهر كامل وهي بعيدة لا يراها من باب الشقة الموارب في الذهاب والعودة، ولا يراقبها من خلف النافذة وهي تهتم بالزرع والزهور الخاصة بجدها.

مر شهر وهو يتتبع أخبارها على الفيسبوك ويكاد أن يفقد صوابه بابتعادها.. ورغم أن علاقتهما لا تتعدى أحاديث عابرة وسط العائلة في المناسبات أو تحيات متبادلة في الذهاب والعودة؛ لكن فترة سفرها جعلته يتأكد من مشاعره نحوها التي بدأت تتضح معالمها وتتشكل منذ العام الماضي، حاول أن يخبر نفسه أنها لا تزال صغيرة؛ لكنه يراها ناضجة شكلا وعقلا إنها ابنة الدكتور أنس الرجل الذي يعتبره بمثابة أب

الذي لولاه لما أصبح الدكتور باسم.

اقترب منهم وسمع مراد يقول بتبرم: «كنا مرتاحين يا رب لماذا عادت!».

ردت زينة بابتسامة شريرة تشبه ابتسامة والدها: «أعلم أنك اشتقت لي يا مودي».

قال باسم بحرج: «حمدا لله على سلامتك يا زينة».

تلون وجه زينة فجأة واستدارت تقول: «شكرا باسم كيف حالك؟».

قال بصوت هارب منه وهو سعيد برؤيتها: «بخير (وأضاف بصوت أخفت) الآن فقط أصبحت بخير».

قالت مرام: «هيا يا زينة لنصعد أولا».

تحركت الأخيرة ومرت من أمام باسم الذي كاد أن يتوقف قلبه عند مرورها ثم دخلت للبناية فراقبت مرام ملامحها الساهمة مبتسمة حتى انتبهت زينة ولون الخجل ملامحها وهي تقول: «علام تضحكين؟».

غمغمت مرام: «لا شيء».

قالت زينة هامسة: «تفاجأت به خلفي قلبي توقف والله حين سمعت صوته».

ضحكت مرام وقالت: «سلامة قلبك».

بعد قليل

حين دخل عصام ونيللي لبيت عارف استقبل الأخير حفيديه بالأحضان.. ثم أعطت نيللي مازن لمرام والذي هل عند رؤيتها.. فمرام تشارك نيللي في تربية الأولاد وتقضي معهما معظم أوقاتها.

الاثنان تقضيان معظم أوقاتها معا إما في بيت عصام أو في بيت أنس.. والفترة الأولى التي كانت نيللي تداوم على الذهاب للعمل مرام من تولت رعاية باهي فكان نيللي أو عصام يوصله لمرام ويمر ليأخذه بعد مواعيد العمل، سلمت نيللي على زينة بحرارة ثم أخذت تسألها عن تفاصيل الرحلة. بعد قليل خرج عصام من الحمام بعد أن غسل أسنانه وهمس لابنه: «ادخل واغسل أسنانك جيدا لا نريد لأمك أن تلاحظ».

قال باهي باعتراض: «لقد غسلت فمي بالصابون في المطعم».

قال عصام: «إن لديها حاسة شم قوية وستعرف أننا قد أكلنا جمبري».

هتفت نيللي من خلفه: «ماذا قلت؟ ماذا أكلتما؟!!».

كانت قد تركت الجلسة واقتربت لتعرف عما يتهامس هو وابنه، فمالت تتشمم عصام وهي تقول بلهجة ساخرة: «وأنا أقول لنفسي لماذا يضع عطره بكثافة اليوم وظننت أنك

تخونني لاكتشف أنك تخونني مع الجمبري».

تحكم عصام في نفسه بقوة كي لا يضحك، بينما أسرع باهي هاربا نحو الحمام لتقول نيللي لزوجها: «أنت وابنك ستنامان هنا الليلة حتى تزول عنكما الرائحة».

اقترب منها فابتعدت للخلف تقول محذرة: «إياك أن تقترب».

قال لها هامسا بلهجة مغازلة: «كيف تقولين ذلك يا وجه السعد لقد كنت أخطط كي نختلس بضع دقائق أنا وأنت في غرفة مرام القديمة (وغمز لها يقول) هل تذكرين؟».

احمر وجهها من الحرج وقد فهمت ما يقصده؛ لكنها حافظت على ملامحها الصارمة تقول بتحذير: «إياك أن تقترب مني قبل أن تستحم».

قال يستفزها: «لا تبالغي بهذا الشكل يا نيللي أين المشكلة؟ ستورمين وستنتفخين قليلا؟ لا بأس (وغمز) أحبك في كل أشكالك».

تجاهلت طريقته التي تضعفها وقالت بلهجة موبخة: «وتعلم ابنك الكذب يا عصام؟».

قال مبررا: «هذا كذب أبيض».

«أبيض؟!».

هرش في رأسه قائلا: «ابنك اشتاق للجمبري هل أحرمه!».

رق قلبها فقالت: «أنا لا أعترض لكن أخبروني كي آخذ احتياطي، عليكما بالاستحمام قبل أن نعود للبيت».

قال باستنكار: «هل تتحسسين من مجرد الرائحة! عموما لقد غسلت فمي وفرشت أسناني بالفرشاة والمعجون وتمضمضت بالغسل ماذا تريدان أكثر من ذلك؟ أتمضمض بماء النار؟!».

عبست.. فقال بلهجة درامية: «عموما يا نيللي ليس هناك داع لا أن ثقبليني ولا أقبلك هل تظنينني ساموت لو لم أقبلك! الأمر عادي بالنسبة إلي».

ازداد عبوسها ووقفت متكئة تشاهد العرض المسرحي الذي يقوم به وهو يضيف: «وإن أردت أن أوصلك للبيت وأعود إلى هنا لا بأس والآن سأغرب عن وجهك وأدخل إلى غرفة مرام حتى أقوم ببعض الأمور التي تخص العمل ولم أقدر على القيام بها في المكتب كي ألحق بولديك».

تأملته وهو يحمل حقيبة اللاب توب الخاص به وتجاهلت أسلوبه الذي يستدر عطفها وحبها وقالت بلهجة ساخرة: «أنت بارع في التمثيل يا عصام.. ابحت عن شخص يكتشف موهبتك».

أشاح بيده مبتعدا ومر في طريقه بأنس الذي يتحدث في الهاتف فدقق في السترة التي يرتديها وقال بلهجة حاقة: «هل هذه السترة جديدة؟».

كانت مكالمة مهمة فناظره أنس موبخا واستمر في حديثه

فأضاف عصام بصوت عال: «ذوقك بشع غالبا اشتريتها من الباعة المتجولين».

ضم أنس قبضته وحدثه بغیظ فضحك الثاني وكف عن مشاكسته وتحرك نحو غرفة مرام القديمة.

في غرفته كتب مراد على الواطساب لحبيبته: «أنا فاتحت أبي بشأن رغبتني في الزواج».

جاءه ردها: «وكيف كانت ردة فعله؟».

«الرجل ضدم.. كان يتصور أنني لن أفكر في الإقدام على هذه الخطوة الآن، ولقد كنت بالفعل لا أفكر في هذا الأمر لكن حسبي الله فيمن كان السبب».

جاءه الرد ملصقا لوجه يختبئ خلف كفين خجلا فاتسعت ابتسامته وازدادت ضربات قلبه، إن هذه الفتاة أسرت قلبه ومن يوم أن عرفها وهو غير قادر على الحياة دونها

كتب لها: «لكن ما دمنا قد قررنا أن نتخذ خطوة جدية في علاقتنا لا بد أن أعترف لك اعترافا».

«ما هو؟».

«عديني أنك لن تغضبي».

«أعدك».

«بصراحة هناك فتاة أخرى في حياتي».

«نعم؟!».

«هذه هي الحقيقة اسمها مرام.. إنها حبي الأول وستظل تمتلك قطعة مميزة من قلبي فهل أنت على استعداد لتقبل هذه الحقيقة وأن تقبلي بها شريكة لك في قلبي؟».

لم يجد سوى الصمت لعدة دقائق ظل يناظر فيها الشاشة بترقب ثم كتبت: «مراد ماذا تقول؟!».

وتبعته: «مراد!».

انفجر ضاحكا حتى دمعت عيناه ثم أسرع يخرج من غرفته يبحث عن مرام واقترب منها يقول: «انظري لهذا».

تطلعت مرام في الهاتف ثم قالت بشفقة: «حرام عليك مسكينة البنت».

انفجر ضاحكا من جديد فقالت بتوبيخ: «كف عن السخف واتصل بها ووضح لها الأمر يا مجنون».

ضحك مجددا واستعاد هاتفه وعاد لغرفته بينما أكملت مرام مداعبة مازن الصغير الذي يجمع اللعب من الأرض ويرصها في حجرها وهو يحكي لها عن قصة خيالية، فوقف أنس يتطلع فيها شاردا عن حديث ابنته التي تقص لجدها ولنيللي بعض المواقف التي حدثت معها أثناء سفرها.

تأملها وشعور بالغصة يسيطر عليه.. يعرف مدى اشتياقها لطفل لكنه ليس بيده شيء ليفعله أكثر مما فعلاه فخلال العشر سنوات الماضية لم يتركها طبيبا مشهورا لم يذهب إليه ولا علاجا لم يجرباه.. حتى الحقن المجهرى رغم تكلفته

العالية جرباه قبل عامين ولم ينجح، يعترف أنهما في نعمة كبيرة بوجود زينة في حياتهما لكنه وكأمنية دفيئة لم يصرح بها لأحد يشناق للمزيد من الأولاد.. ويتمنى طفلا من صلبه ينمو في رحم مرام وبين تجدد الأمل المؤذي وألم الإحباط القاسي يشفق عليها؛ لكنه لم يقف يوما أمام تحقيق حلمها، وها هي تستعد لعملية أخرى بالحقن المجهرى ويتمنى أن يحقق الله أمنيته خاصة أن الطبية متفائلة هذه المرة وهذا في حد ذاته يدعوها للتفاؤل.

رفعت مرام إليه أنظارها وكأنها أحست أنه يراقبها ثم ابتسمت فغمز لها بعينه بشقاوة جعلها تضحك ثم نظرت في هاتفها الذي وصلته رسالة على صفحة بيع الإكسسوارات والطور الخاصة بها من زبونة تسأل سؤالا لكنها لم ترد فليها فتاة تعمل معها ترد على استفسارات الزبائن، لقد توسع عملها واستطاعت أن تحصل على ماركات شهيرة في عالم الإكسسوار والطور حصرية لصفحتها مما زاد من عدد متابعيها والمتعاملين معها.

أما أنس فجاءه بريد إلكتروني من الجامعة فقرر أن يرجئ قراءته للمساء، إنه يعمل حاليا أستاذا بالجامعة بجوار عمله كمستشار في شركة نيلى وقد حدث ذلك بعد أن اقتنع برأي الدكتور فياض رحمه الله حينما تحدث معه بشأن رغبته في عدم استلام وظيفته في الجامعة، فنصحه ألا يتسرع في القرار وألا يغلق بابا قد فتح له.. نصحه أن يستلم وظيفته هناك وبعد حصوله على الدكتوراه وتعديل درجته العلمية

الوظيفية بما يتناسب مع شهاداته يطلب إجازة وخلالها يقرر أي الطرق سيسلك..

وقد قام بذلك فعلا.. حتى بدأت الدولة في مهاجمة مراكز الدروس الخصوصية وبدأت تزداد البلاغات الكيدية التي قدمها منافسوه من المدرسين ضده، الذين لم يعجبهم أن يقدم أسعارا منافسة لهم بل أقل مما يتقاضوه من الطلبة بكثير لذا توقف عن تدريس الكيمياء لطلبة الثانوية؛ لكنه لا يزال يسجل كل عام شرح المنهج كاملا في حلقات مجانية تذاع على الإنترنت لمادة الكيمياء لطلبة الثانوية.. وهذه الدروس تحظى بحجم مشاهدة عال كل عام ولهذا قرر منذ سنوات أن يقطع إجازته ويعود للتدريس بالجامعة.

ورغم كل هذا لم يتخل عن حلمه الذي تعلق به الذي كان يهدف إليه وهو إشرافه وتوجيهه للمراهقين في فترة دقيقة من حياتهم لذا اعتمد على سمعته الجيدة في التدريس وحب الطلبة له وأنشأ مركزا للتنمية البشرية للمراهقين يعقد دورات تدريبية في أكثر من مجال تتماشى مع أعمارهم يغطي نواح علمية ونفسية تنموية ويعلمهم مهارات حياتية وقيم نشاطات ومسابقات غرضها استغلال طاقة الشباب الصغير وتوجيهها للمسار الصحيح مقدمة بشكل عصري وجاذب.

بدأ الحلم بسيطا برأس مال صغير هو وبعض الشركاء الذين تحمسوا للفكرة واتفقوا معه في الهدف.. بعدها استطاع الحصول على ترخيص لمزاولة هذا النشاط ليكبر المركز شيئا فشيئا ويزداد رأس ماله وتزداد استثماراته في عقول الكثير

من الشباب.. ويدعمه أكثر من جهة رسمية وغير رسمية.

إنه يشعر بالفخر لما وصل إليه بإنشاء هذا المركز ويشعر بالفخر أن يكون هو ومن معه من المؤمنين بالرسالة قد أسهموا في مساعدة عدد من الشباب للوصول إلى بر الأمان.

قطعت زينة أفكاره حينما اقتربت منه متكئة تقول وتعبير متحفز على وجهها: «أممم.. ذهبت للمنتجع أنت ومرام دوني يا أنس هل سمح لك قلبك أن تستمتع دوني.. دون ابنتك التي هي قطعة منك».

هرش خلف رأسه وقال بمسكنة: «أنا يا ابنتي!».

ناظرته بحاجب مرفوع فبدت شديدة الشبه به فأضاف أنس: «كان مؤتمرا يتبع الجامعة».

«وماذا كانت تفعل مرامي معك ما دامت هي سفرة عمل؟!».

بلع ريقه ونظر لمرام التي اقتربت منهما ثم قال لزينة بالطريقة التمثيلية نفسها: «أصرت على الحضور فأخذتها كي أتخلص من إلحاحها».

طالعه مرام تتحكم في ابتسامة بينما قالت زينة بلامح خطرة: «أفهم من هذا الكلام أنه لم يكن (أسبوع عسل)».

أسرع بالنفي: «أبدا أنا لم أرها إلا لماما طوال فترة الإقامة هناك».

أشاحت مرام بأنظارها كي لا تضحك فقالت زينة لمرام باللهجة الخطرة نفسها: «وأنت.. لماذا ألحيت عليه في الذهاب

معه دوني؟».

ناظرته مرام ثم حضنت ذراعه تقول: «بصراحة لن أستطيع أن أتركه يذهب لمكان كهذا النساء فيه من كل شكل ولون».

بحركة تلقائية واستجابة لقربها منه رفع أنس ذراعه ولفه حولها ثم ضمها إلى صدره وهو مستمر بالقول باللهجة التمثيلية المتمسكة نفسها: «هل رأيت كيف تخنقني بحصارها».

قالت له زينة بلهجة ساخرة وهي تتطلع في التصاقهما ببعضهما: «هي تحاصرك لكنك لا تفعل!».

«أنا يا ابنتي؟! أبدا.. إطلاقاً».

رن جرس الباب ففتح مراد الذي كان لا يزال يتحدث في الهاتف فوجد رأس باسم يطلع عليه من جانب الباب، فقال له: «ماذا تريد؟ ولماذا كنت تحاول الاتصال بي؟ معي مكالمة يا متخلف».

اعتدل باسم وأجاب بقم جاف: «كنت.. كان الحاج عارف قد أرسل لي رسالة وأنا في المستشفى يطلب مني أن أمر عليه حين أعود لأقيس له ضغطه ولا أعرف هل لا يزال يحتاجني في وجود الدكتور أنس أم لا».

ضيق مراد عينيه يناظره بشك لأنه يعلم سبب وجوده فقد سبق وأن أفصح له عن مشاعره تجاه الصغيرة زينة فزجره بنظرة بينما قال عارف: «تعالى يا دكتور باسم ادخل يا

ولدي».

عدل باسم من ملابسه وتنحى يتجاوز مراد الذي لوى
شفتيه بامتعاظ وتركه ودخل إلى غرفته ليكمل حديثه، بينما
خطا باسم للداخل يداري ارتباكها حينما رآها واقفة..

ألقي التحية وبدأ بقياس ضغط عارف وفحصه بينما
احمرت وجنتا زينة لوجوده..

إنها تشعر بمشاعر تجذبها تجاه باسم.. يعجبها فيه طبيته
وهدوءه وتفوقه الدراسي وجديته وحنانه كل هذا قالت
لمرام منذ فترة حينما صارحتها بما تشعر به نحوه وتحب
علاقته بوالدها وتشعر أن كليهما يكن للآخر عاطفة قوية
وتنتابها الحيرة لتفسير بعض تصرفاته.. لا تعرف إن كان يولي
لها اهتماما من نوع خاص أم إنها تتخيل ذلك لقد افتقدته هو
الآخر وسعدت جدا حينما أرسل لها رسالة خاصة يسألها عن
أحوالها عند والدتها صحيح كان حديثا متحفظا ومقتضبا من
كلا الجانبين لكن أسعدها اهتمامه.

قال باسم بلهجة عملية: «ضغطك جيد يا حاج حمدا لله لا
تهمل الأدوية».

تمتم عارف بالحمد وقال: «أتعبناك يا ولدي».

ابتسم الأخير وتمتم ببعض عبارات المجاملة ولم يجد ما
يقوله أو يتحجج به للبقاء فانسحب للمغادرة مختلسا نظرة
سريعة نحو زينة.

عند الباب سمع صوتها الرقيق يقول: «باسم انتظر من فضلك».

توقف قلبه عن النبض وتجمد مكانه لبرهة يولي ظهره للجميع ثم استدار فقالت موضحة وهي تنظر في إحدى الحقائق التي تحتوي على أكياس الهدايا التي أحضرتها: «أريد أن أعطيك شيئا لتوصله لوالدتك».

التقطت كيسا واقتربت منه تقول بوجنتين مشتعلتين: «هذه هدية بسيطة للخالة أم بيسو».

قال بصوت هارب منه: «لم يكن هناك داع».

قالت بلهجة رقيقة: «هناك هدية لك أيضا».

أمسك بالكيس فاستدارت وتحركت مبتعدة وشعور لذيذ يدغدغ أعصابها بينما تمتم باسم بالشكر بارتباك وغادر.

بعد قليل قال أنس: «أنا سأنزل لأحضر بعض الأوراق من السيارة حتى تجهزوا المائدة».

هزت مرام التي تضع الطعام على السفرة رأسها بينما نظرت نيللي الواقفة ترتب معها السفرة في هاتفها مبتسمة وهي تقرأ رسالة عصام: «التقرير لا بد أن أرسله بعد قليل وأحتاج لرأيك فيه بشكل ضروري وعاجل».

كانت تعلم أنه فخ لاستدراجها للغرفة فتطلعت حولها بحرج ثم كتبت له: «أرسل لي ما تريد رأيي فيه على الهاتف».

أرسل لها ملصقا غاضبا ثم كتب: «تمام شكرا لا أريد منك

شيئا».

زفرت وأعادت الهاتف إلى جيب بنطالها فسألتها مرام: «ما بك؟».

قالت محرجة: «لا شيء أخوك يتدلل».

ابتسمت مرام فسألتها نيللي: «هل أنت مستعدة للحقن المجهري؟».

علت الجدية ملامح مرام وهزت رأسها تتملكها مشاعر كثيرة متناقضة فقالت نيللي مشجعة: «ليكتب الله ما فيه الخير لك».

إن هذا الأمر هو حلمها الذي لا تزال تلهث خلفه تسعى إليه.. والباقي يخضع لما كتبه الله لها إنها مستسلمة لقدرها.. راضية.. رغم التوق الشديد بداخلها في الإنجاب.. في حمل طفل من أنس في رحمها؛ لكنها وعدت نفسها أن تسعى وتتقبل النتائج بعد ذلك برضا، خرج مراد من الداخل يقول: «ها هي سأجعلك تتحدثين معها».

قالها وأعطى الهاتف لمرام يشير لها بنظرة خاصة فأخذت منه الهاتف وتوجهت نحو المطبخ تقول: «ألو أهلا كيف حالك؟».

جاءها الصوت الرقيق يقول: «أهلا بك أنا سعيدة جدا بالحديث معك».

قالت مرام يتملكها شعور الأم التي تخطب لابنها: «مراد

حدثني عنك كثيرا».

«وأنا أيضا.. ومن كثرة حديته مشتاقة لمقابلتك».

غمغمت مرام بابتسامة: «إن شاء الله».

لف مراد ذراعه حول أخته وناكفها بقبلة على خدها فأبعدته بضيق كي تركز في المكالمة، بينما تطلعت نيللي حولها في الصالة فوجدت عارف يجلس ومازن على حجره، بينما باهي يحكي شيئا لجده الذي يستمع إليه بإنصات ونظرت لزينة المشغولة بأكياس الهدايا ثم عضت على شفتها وقالت لنفسها: «فلنرى ماذا يريد صاحب الكبرياء العالي الذي يغضب كالأطفال».

قالتها وأسرعت للداخل وعلى وجهها ملامح شقية.

أما زينة فأخرجت سوارا من الخرز وتحركت إلى ركن معين بالصالة وبالتحديد فوق شاشة التلفاز فرفعت أنظارها للصورة المعلقة على الحائط.. صورة جدتها الراحلة روح الفؤاد دققت في ملامحها المبتسمة الهادئة في الصورة وترقرقت الدموع في عينيها وهي تقول هامسة: «لقد اشتريت لك هذه الهدية يا جدتي أعرف أنك ستحبينها».

تطلع عارف في حفيدته بتأثر وهي تقف أمام صورة جدتها وراقب ما تفعله مبتسما، بينما وضعت زينة السوار فوق رف كانت قد صنعته بنفسها تحت الصورة وأسمته (ركن روح الفؤاد) يقع بين شاشة التلفاز الذي كانت تحبه وصورتها.. ورصت عليه بعض من أشياء روح المفضلة.

لقد تأثرت بشدة لرحيل جدتها كانت أول مرة تجرب فراق شخص عزيز وقد كان ذلك مؤلماً، شعور جديد تعلمته من الحياة وتحاول تقبله لكن كما قال لها والدها (لا بد للحياة أن تسير للأمام شئنا أم أبينا تقبلنا أم لم نتقبل بنا ودوننا ستستمر لهذا لا نملك إلا الرضا بقضاء الله)

مسحت زينة دموع الحنين وقرأت على روح جدتها الفاتحة.

أسفل البناية نظر باسم لحافظة النقود الجلدية التي أهدتها له زينة وقبلها ثم وضعها في جيبه وعدل من ملابسه ثم خرج من البوابة عازماً على تنفيذ ما قرره، اقترب من أنس الذي يغلق باب سيارته ويحمل في يده أوراقاً وقال: «دكتور أنس».

قال الآخر منشغلاً: «ماذا هناك يا باسم؟».

بلع ريقه الجاف وقال بارتباك: «كنت أريد أن أتحدث معك في موضوع».

«أجله حتى أراك في المركز في المساء ألن تحضر حفل توزيع الميداليات؟»

«لكني أريدك في أمر شخصي لن يحتمل التأجيل».

رفع إليه أنس أنظاره وبدا الاهتمام على وجهه يقول: «ماذا حدث؟».

قال وهو يقف أمامه متقبضاً: «أنا كما تعلم عني عمري سبعة

وعشرون عاما.. وحيد والدتي وهي امرأة طيبة جدا ميسور الحال والحمد لله.. أعمل طبيبا وأكتب كتابات ساخرة على مواقع التواصل وقريبا سيصدر لي أول كتاب ورقي و...».

قاطعه أنس قائلا: «لماذا تخبرني بما أعرف يا باسم؟!». ناظره يقول: «هذه مقدمة يقولونها دوما في مثل هذه المواقف».

قال أنس بعدم صبر: «ادخل يا بني في الموضوع دون مقدمات».

«أنا قررت الزواج».

ألقى بالعبارة في وجهه بسرعة فاتسعت عينا أنس وقال متفاجئا: «حقا (ثم أضاف وقد شعر بشعور الأب الذي كبر ابنه) رائع.. مبارك لك هل تريدني أن أذهب معك لأهل العروس؟».

بلع ريقه وأوضح: «بل أريدك أن توافق على أن أتزوج».

«لا أفهم؟!».

قالها أنس عابسا فأوضح باسم: «أنا أريد مصاهرتك».

شعر أنس بالحيرة وقال: «لا أفهم!».

«أريد أن أطلب يد كريمتك زينة».

«نعااام!».

نطقها أنس باستنكار فسأله باسم بتوتر: «ماذا حدث لماذا

ضد مت؟».

قلب أنس مقلتيه يقول بلهجة مستخفة: «هل تعاني الحمى يا دكتور!».

«لماذا يا دكتور؟».

«هل تعرف عمر زينة؟».

«أجل».

قال بلهجة موبخة: «وما دمت تعرف يا عبقرى كيف سأزوجه طفلة».

«طفلة! (قالها باسم باندهاش ثم أضاف) يا عمى.. أقصد يا دكتور.. إنها ليست طفلة إنها ناضجة وعمرها ثمانية عشرة عاما.. وهو سن قانونى للزواج».

قال أنس لينهى الموضوع: «فى نظرى ما زالت طفلة».

وتحرك مبتعدا فلحق به باسم يقول: «لن نتعجل فى الزواج لتكن خطبة طويلة و..».

استدار له أنس يقول بلهجة خطيرة وقد نجح باسم فى استفزازه: «اذهب من أمامى الآن.. (وتحرك يقول متعجبا وهو يتفحص الملف فى يده) يريد الزواج من ابنتى الصغيرة!».

لحق به باسم يقول بإصرار: «ما المشكلة فتيات كثيرات يتزوجن فى مثل عمرها كما أنى قلت لتكن خطبتنا طويلة

كما تريد وأنا جاهز لكل شيء».

عند بوابة البناية استدار إليه أنس يقول بلهجة قاطعة:
«وأنا غير موفق».

سأله باسم: «هل لديك اعتراض على شخصي؟».

رد أنس دون تردد: «بالطبع لا فأنت في مقام ابني».

أسرع باسم بالقول بابتسامة متسعة: «ها أنت قلتها ابنك
إذن أين المشكلة؟!».

قال أنس من بين أسنانه: «يا بني إنك أكبر منها بعشر
سنوات».

«تسعة (قالها باسم مجادلا وأضاف بلهجة مأكرة) أعتقد
أنك أكبر بنفس عدد السنوات من زوجتك».

قال أنس بغيظ محذرا: «ابتعد يا باسم من أمامي فأنا لا
أطيعك هذه اللحظة».

قال باسم بإلحاح فاجأ أنس: «دكتور أنس أرجوك».

قال الثاني بإصرار: «ابتعد يا بني وابحث لك عن طفلة
أخرى لتتزوجها».

قالها وتركه صاعدا فهتف باسم بتصميم: «لن أياس وسأظل
ألح وألح حتى توافق يا دكتور أنس».

دخل أنس بعد دقائق فوجد مرام تقول بنزق: «يا مراد افعل
شيئا مفيدا ناولني باقي الأطباق من المطبخ (وتطلعت حولها

تسأل) أين ذهبت نيللي؟».

طوقها مراد بذراعه من الخلف وشاكسها بطبع قبلات عدة على خدها قائلاً: «قالت لي إنها أحبتك جداً».

ناظرته تقول: «هلا توقفت عن الحديث عن حبيبة القلب وابتعدت عن طريقي كي أنتهي مما أفعل».

استمر في مشاكستها يقول: «أحبك مرامي».

صاح أنس: «أنا جائع... جااائع».

خرجت زينة تحمل صينية وقالت: «الصينية ساخنة افسح لها مكاناً يا مراد».

اضطر الأخير لترك تعذيب مرام وإفساح مكان على السفارة لتضع فيه زينة الصينية بينما اقتربت مرام تسأل أنس: «لماذا تبدو منزعجاً؟».

تطلع في ابنته من بعيد وقال مفزوعاً من الفكرة: «تصوري جاءني عريس لزينة».

رفعت مرام حاجبها متفاجئة ثم ضحكت فأضاف: «وتصوري من يكون... باسم».

شهقت مرام متفاجئة واتسعت عيناها ثم سأله بلهفة: «وبما أخبرته؟».

«رفضت بالطبع».

عبست وسأله بانزعاج: «لماذا؟!».

قال باستنكار: «لماذا؟؟؟؟ البنت ما زالت طفلة».

«طفلة؟!!! أنس!».

«نعم».

جاء لزيئة اتصال من أمها فخرجت للشرفة لتتحدث فتابعها عينا والدها ثم قال لمرام بإصرار: «أجل.. ما زالت طفلة يا ناس».

جادلته مرام بعبوس: «ليست طفلة وعليك بسؤالها عن رأيها من الآن فصاعدا».

ضيق عينيه وسألها «هل هناك شيئا لا أعرفه؟».

غمغمت بارتباك: «لا لا».

«مرااام».

قالها يحاول تفسير ردة فعلها فقالت: «ليس هناك شيء».

تطلع فيها لبرهة باتساع عينيه يحاول استيعاب أن ابنته كبرت ثم سألها: «هل هناك شيئا بين زينة وباسم؟!».

أسرعت مرام بالقول مدافعة: «لا طبعا».

«إذن ما الأمر؟».

قالت بغیظ: «الأمر أن الولد ممتاز ونعرفه ويعرفنا كما أن ابنتك لم تعد طفلة وعليك بسؤالها ما دام العريس جيدا».

قال بإصرار: «ما زالت طفلة وأنا أبوها ولا أوافق».

قالها وتحرك نحو السفارة يقول: «أين بقية الناس أنا جائع». ونظر لابنته التي تقف في الشرفة تتحدث في الهاتف وغمغم وشعور غريب بالخوف من انتزاع ابنته منه قد سيطر عليه: «طفلة.. أنا والدها وقلت ما زالت طفلة».

في الناحية الأخرى من الصالة انفجر مراد بالضحك وشاركه عارف ليبعد الأول الهاتف الذي كان يريه فيه صورة قائلا: «دوما أقول إنك شقي يا حاج ولا بد أن نزوجك».

قال عارف بلهجة ذات مغزى: «نزوجك أنت أولا».

أسبل مراد أهدابه يقول بلهجة تمثيلية: «لا بد أن أطمئن عليك يا عارف يا ولدي أولا حتى أستطيع أن ألتفت لنفسي وأبدأ حياتي».

خرج عصام من الداخل وعلى وجهه ابتسامة واسعة وخرجت خلفه نيللي بوجنتين مخضبتين بالحمرة فقال مراد لعصام: «نريد أن نبحث عن عروس للحاج يا عصام فحينما أتزوج سيبقى المسكين وحده وسيحتاج لمن ترعاه وتدله».

ابتسم عارف ولم يتابع ما رد به عصام بل شرد في مراد الذي تحسنت علاقته به خلال السنوات الماضية.. وحينما يعود للخلف ويتذكر الأيام الصعبة التي مرت بينهما يحمد ربه كثيرا ويشعر بالفخر بنفسه أنه لم يستسلم للإحباط وسعى لرأب الصدع بينهما حتى ذاب الجليد واختفت العوائق.. وأضحى مراد رجلا وإنسانا مسؤولا وناجحا في حياته الأمر

إن أراد أن يلخصه هو (ثوابت لا تبلى مع الزمن.. مع بعض من مستجدات توابك العصر ولا تتعارض مع تلك الثوابت).

تجمعت الأسرة حول المائدة فتأمل عارف أبناءه وأحفاده ولم يكن وحده السعيد بالتجمع العائلي كل واحد فيهم كان يعرف كم هو محظوظ بعائلته حتى باهي حفيده تتمم لوالدته: «أحب حين نجتمع كلنا حول المائدة».

ابتسمت له نيللي وطبعت قبلة حانية على رأس صغيرها الذي يجلس بينها وبين والده، بينما مازن يجلس على حجرها وتمنعه من الإمساك بالأطباق الساخنة ثم جالت بأنظارها في الجالسين على المائدة عائلتها الصغيرة التي أهداها الله لها ثم عادت لتنظر إلى عصام الذي ينصت لما يثرثر به باهي.. تأملته وذاك الشعور الذي تحمله له لم يقل عن الماضي أبدا بل يزيد مع كل لحظة تمر عليهما معا، فهو السكن والوطن والعائلة والحضن وكم لجأت إلى هذا الحضن ولم يخذلها أبدا لقد راهنت عليه وتحدت الجميع وهو أبدا لم يخيب ظنها.

رفع عصام أنظاره إليها إلى السمراء التي ملكت قلبه وزرعت قلبها بين ضلوعه فتعانقت أنظارهما ليمد ذراعه الذي يحمل حول معصمه طوقا جلديا خلف مقعد باهي، بينما الأخير لا يزال يحكي له عما فعله في لعبة ما على الإنترنت.. فأنزلت نيللي كفها ليتعانق الكفان خلف ظهر المقعد وابتسامة رضا تزين ثغريهما، أما القلوب فكانت ثملة بنشوى المشاعر.

أما أنس فاغتاظ من تدلل مراد على مرام وانشغالها بطلباته

التي لا تنتهي فقال فجأة: «مرام ماذا يوجد بياقة قميصي إنه يضايقني؟».

تركت الأخيرة مقعدها المجاور له ومالت عليه تتفحصه قائلة: «لا يوجد شيء».

قال بتدل: «لا أعرف أشعر بشيء يضايقني».

اقتربت أكثر منه تقلب ياقة القميص متفحصة، بينما حانت منه نظرة مغيظة نحو أخويها اللذين لويا فميهما بامتعاض فتابع عارف ما يحدث مبتسما ليقول أنس وهو يمد لها ذراعه: «هلا فتحت لي الزر أريد أن أشمر ساعدي».

ضيق عينيها وتطلعت فيه وفي وجهي أخويها ثم ضحكت تقول وهي تشر له كم القميص: «ألن تكفوا عن إغاضة بعضكم كالأطفال».

تمتم مراد بصوت متهم يقلد أنس: «مرام هلا هرشت لي ظهري».

ضحك الموجودون لتقول نيللي: «بدأت فقرة الشجار حول مرام».

قال أنس بلهجة صبيانية متجاهلا تعليقاتهم: «صدقيني هناك شيء يشكني في ياقة القميص».

رغم معرفتها أنه يتدل لكنها قلبت ياقة القميص من جديد وقربت منه عينيها متفحصة: «وهي تقول صدقني ليس هناك شيء يا أنس».

فغمغم الأخير وهو يمسح بيده على ظهرها: «تمام سلمت يدك يا غالية».

علق عصام بامتعاض: «تحتاج لأن تستحم وستنتهي مشكلتك إن شاء الله».

قلب أنس مقلتيه بينما انفجر الباكون بالضحك ليقول عارف من بين ضحكاته مناديا: «أين أنت يا زينة؟».

قالت الأخيرة من الشرفة: «حالا آتية حالا».

قالتها وانتهت من تصوير زهرة قرنفل بيضاء وجدتھا قد تفتحت في غيابھا.. وتأملت الصورة ثم نشرتها على صفحتها على الفيسبوك صفحة تخص صور النباتات والأزهار وكتبت: «قرنفلة بيضاء من شرفة جدي تفتحت في غيابي؛ لكني عدت للوطن ولبيتي وللشرفة وأزهارها ذلك المكان النائي عن العالم الذي يشعرني بالبراح والراحة رغم مساحته الضيقة أتعلمون يوما ما سيكون لي شرفة أزرع فيها أزھاري الخاصة مع أمنياتي وأحلامي وأرويتها بصبر وأرعاھا بكد واهتمام وإصرار حتى تطرح فكما يقول المثل من زرع حصد وأذكر في السياق نفسه كلمات قرأتها يوما.. أن أعظم الأعمال بدأت بحلم بسيط آمن به صاحبه وسعى إلى تحقيقه فنحن وأحلامنا كالبذور.. لن نثمر إلا في تربة مناسبة وصبر ورعاية واهتمام إنبات طفولة بلوغ إثمار رحلة حياة رحلة تحقيق الأحلام أترككم الآن مع القرنفلة البيضاء وللحديث عن الأزهار بقية».

كتبت زينة المنشور ثم أسرعت باللاحاق بتجمع العائلة الذي
اشتاقت إليه وعلى صوت الضحكات السعيدة التي خرجت
من شرفة القرنفل كان باسم واقفا تحتها يقرأ ما نشرته على
صفحتها وكان أول من تفاعل مع منشورها بـ(قلب أحمر).

تمت